المجلة الجديدة

BACK

HARVARD UNIVERSITY LIBRARY

مارس ١٩٣٧ | V. 6/3 | الثمن ٣ قروش

Bind 6 1937 Incomplete

اقرأ فى هذا العدد

مطبعة المجلة الجديدة

AL-M
AL-M

1 9

OL
250
750

OL 25065.750

VE RI TAS
HARVARD
COLLEGE
LIBRARY

Acme
Bookbinding Co., Inc.
100 Cambridge St.
Charlestown, MA 02129

Acme
Bookbinding Co., Inc.
100 Cambridge St.
Charlestown, MA 02129

OL 25065.750

AL-MAJALLAH AL-JADIDAH

THIS VOL. CONTAINS:

vol. 6 nos. 3, 6, ~~10,~~ 8, 10, 12, 1937

روش

دبدة

المجلة الجديدة

مارس ١٩٣٧

الثمن ٣ قروش

HARVARD UNIVERSITY LIBRARY

V. 6/3

Bind 6 1937 Incomplete

اقرأ فى هذا العدد

مطبعة المجلة الجديدة

التحليل النفسى

العلاج المدهش والاول من نوعه بالقطر المصرى لشفاء جميع الاضطرابات النفسية والعصبية مثل الخوف والخجل والوساوس وضيق الخلق وضعف الاعصاب وغير ذلك من العوارض المذكورة فى الاستمارة التي ترسل مجانا لمن يطلبها من الاستاذ الدكتور شكرى جرجس الاخصائى فى الامراض النفسية والعصبية وعضو المجمع العالمى للطب النفسانى بجنيف ٨٣ شارع ابراهيم باشا امام اولاد عنان تليفون ٥٢٦٦٣ والعبرة بالنتائج كما يشهد بذلك جميع من شفوا بهذا العلاج فاذا كنت يئست من كافة العلاجات الاخرى فجرب التحليل النفسى فتندهش من قوة هذا العلاج الحديث الذى تبوأ المكان الاول فى أوروبا وامريكا

ظهر حديثا

أوراق متناثرة

نواح طريفة فى الادب القصصى المصري

للاستاذ صلاح الدين كامل

يطلب من مكتبة النهضة (شارع المدابغ) ومكتبة الوفد (شارع الفلكى) وبالبريد من المؤلف (شارع سامى رقم ١٥ مصر) والثمن ٥ قروش

الحياة الجديدة

للاستاذ نقولا يوسف

لاتفتك فرصة اقتناء نسختك منه فان العدد محدود ثمنه ١٠ قروش صاغ غير أجرة البريد . يتناول بحوثا مختلفه فى المسائل العالميه والمصرية والدراسات الأدبية والفنية يباع بمكتبه الهلال بالفجالة بمصر

HARVARD
UNIVERSITY
LIBRARY

فهرست

مارس سنة ١٩٣٧

الاشتراك فى هذه المجلة

فى مصر والسودان سنة كاملة ٤٠ قرشا وسنتين ٦٥ قرشا و ٣ سنوات ٩٠ قرشا وخارج القطر (داخل الاتحاد البريدى) ١١ شلنا للسنة و ٢٠ شلنا لسنتين و ٣٠ شلنا لثلاث سنوات

ويجب اضافة ١٠ قروش (شلنين) فى السنة لكل مشترك خارج الاتحاد البريدى

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين) مصر



صاحب السعادة على أسلام باشا

OL 25065.750

صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد الاول

المجلة الجديدة

العدد الثالث
من
السنة السادسه

مارس ١٩٣٧

سير الحوادث

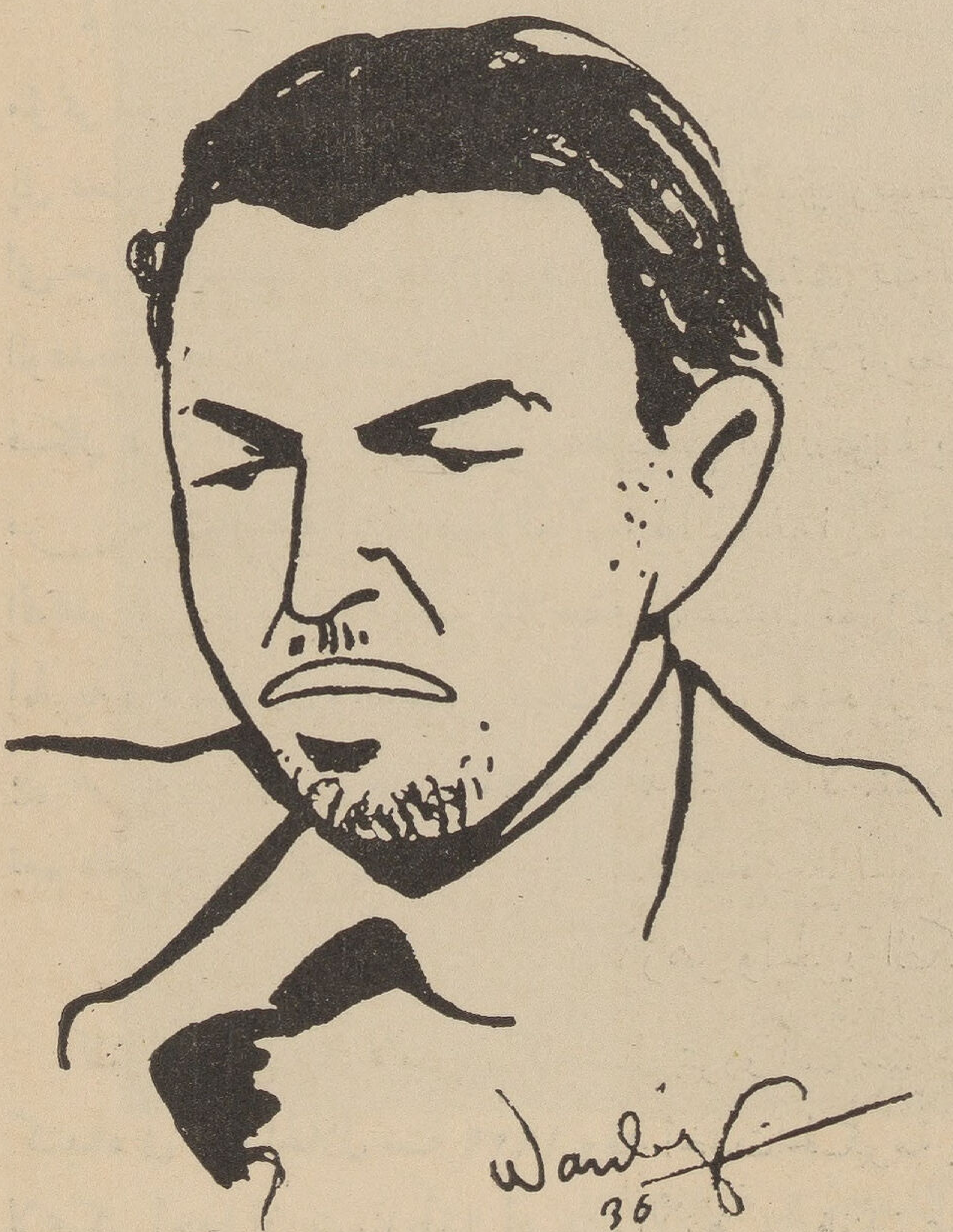
لم يحدث فى الشهر الماضى فى مصر أى شىء له اتصال بالتطور السياسى . فان الحكومة تنتظر مؤتمر مونترو للاتفاق على الغاء الامتيازات الاجنبية والامور تسير سيرها الطبيعى نحو ضم مصر إلى عصبة الأمم . وقد سافر الملك فاروق إلى أوربا وسيعود فى الوقت الذى يوافق بلوغه سن الرشد أى حوالى أغسطس من هذا العام . ولكن حدثت جملة أشياء لها قيمة اجتماعية . فان الوزارة الوفدية سجلت المعاهدة فى أذهان الأعيان تسجيلا تاريخيا بمنح بضع مئات من الرتب والاوسمة فكان فرح عام بين الذين نالوها وغضب عام بين الذين لم ينالوها . ونحن نختلف من تركيا والعراق من حيث استبقائنا للرتب والغائهما لها . ولهذا الاختلاف مغزاه الاجتماعى وأثره فى الروح الديمقراطى . ومما كان موضع الملاحظة أن عددا كبيرا ممن خاصموا الوفد سنة ١٩٣٠ « وخاصموا الحرية والاستقلال والدستور بذلك » قد نالوا هذه الرتب . ولم ينلها أولئك الذين ضحوا باموالهم بل خربت بيوتهم فى سبيل الدفاع عن الدستور والاستقلال. وحبذا اليوم الذى نري فيه الديمقراطية تعم مصر وتلغى الرتب

الازهر والحرية الفكرية

كنا أول من دعا الامة إلى الاحتفال بمرور الف سنة على تأسيس الأزهر . وذلك بمقال مسهب كتبناه فى مجلة الهلال سنة ١٩٢٩ وقد أخذت الحكومة برأينا « الذى لم يسبقنا اليه أحد » ولذلك لايمكن أحدا أن يتهمنا بأننا أعداء الأزهر . فاننا نرى فيه جامعة مصرية يجب أن نفخر بأنها أقدم معهد للثقافة فى العالم . والذين يعرفون نزعاتنا المختلفة لاينكرون علينا هذه الحماسة للأزهر

ولكننا يجب أن نقول مع الاسف أن سلطان الازهر — أو بكلمة أصح شيخ الازهر — يتزايد . وهذا السلطان المتزايد يؤذى الأمة أذى بليغا فى تطورها الذهنى . فان شيخ الأزهر السابق هو الذى كتب الى وزارة المعارف يدعوها الى قطع الاشتراك فى المجلة الجديدة . وكل منا يعرف علاقة هذا الشيخ بزكى الابراشى واسماعيل صدقى وموقف هذه المجلة منهما . وهو موقف نعتقد انه يشرفنا . وشيخ الازهر الحاضر الذى كنا نعتقد فيه حرية الرأى قد خيب الظنون فى هذا الاعتقاد . فانه كتب لوزارة الصحة خطابا يدعوها الى سؤال الدكتور زكى ابو شادى بشأن ما كتبه عن فرويد زعيم التحليل النفسى فى السيكلوجية الحديثة . وهو الذى دعا الى مصادرة كتاب الاستاذ اسماعيل احمد ادهم « حياة محمد ونشأة الاسلام » . والمصادرة كلمة كبيرة تعيد الينا ذكرى محكمة التفتيش فى القرون المظلمة . وهذا المؤلف الذي صودر كتيبه عالم معروف له مؤلفات فى التركية والالمانية والانجليزية . وقبل أيام كتب الشيخ عبد المتعال الصعيدى مقالا غاية فى الاعتدال والتفكير الرصين عن الحدود فى الاسلام فأحيل مقاله بامر شيخ الازهر الى لجنة تهيئة لمحاكمته

وعندنا أن الازهر يجب أن يكون جامعة ثقافية فقط ويجب أن يكون مقام الشيخ المراغى مثل مقام لطفى السيد باشا كل منهما مدير لجامعته . واذا كان لا يمكن لطفى السيد باشا أن يتعرض لكتاب ما فيشير بمصادرته فكذلك لا يمكن للشيخ المراغى أن يتعرض للكتب فيشير بمصادرتها . وعندنا بعد كل هذا وفوق كل شخص محاكم منظمة بها قضاة متعلمون يمكنهم أن ينظروا فى كل دعوى ونعود فنكرر أن قائل هذا الكلام هو الذى دعا سنة ١٩٢٩ قبل أي مصري آخر وقبل الشيخ المراغى نفسه الي الاحتفال بمرور الف سنة على الازهر . ولذلك فكلامنا هو كلام الصديق لا العدو

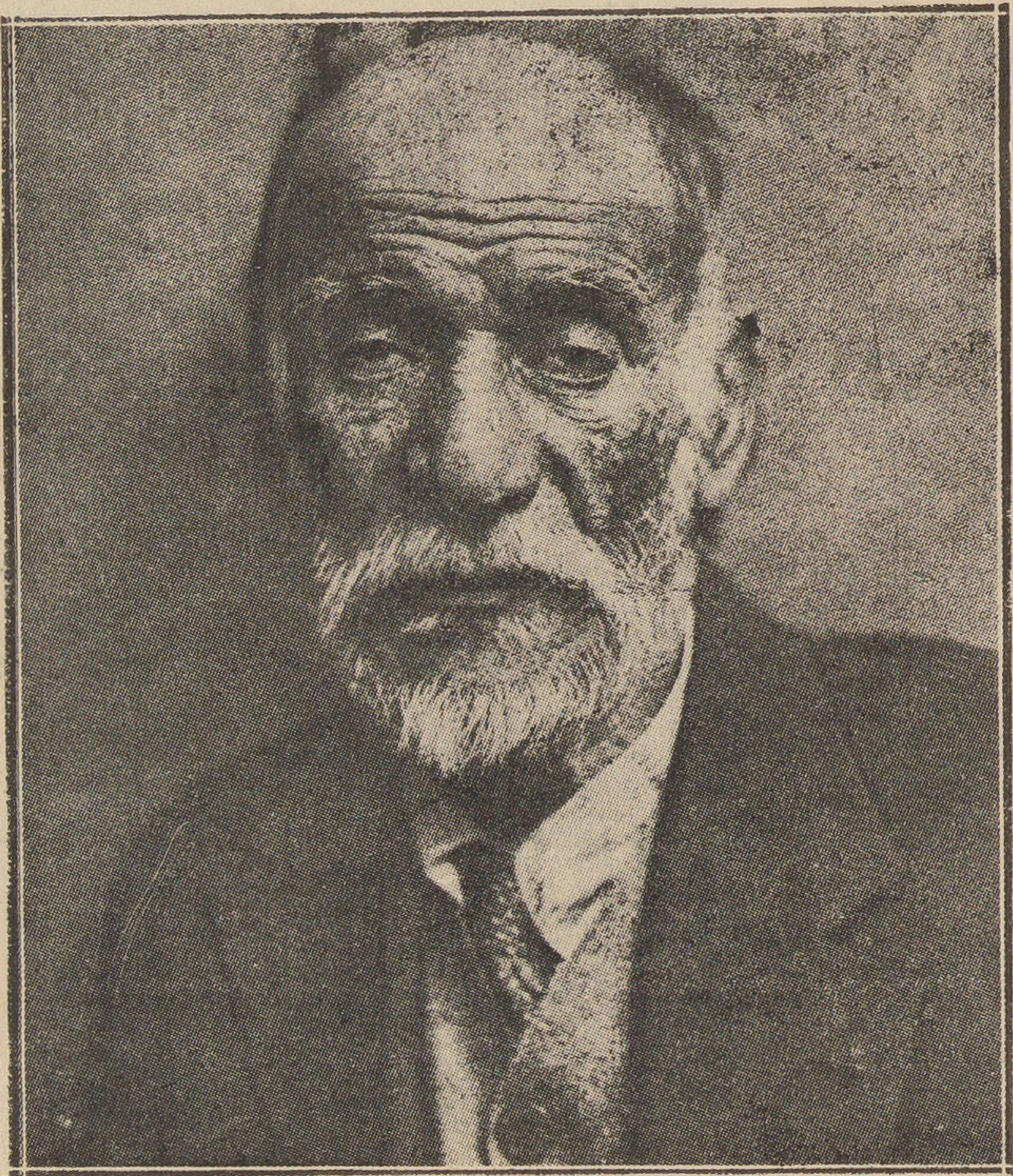


الاستاذ اسماعيل احمد ادهم
صاحب الكتاب المصادر

حركة القبعة

دعا الأستاذان توفيق الحكيم وزكى طليمات الى ترك الطربوش واتخاذ القبعة . وهذه دعوة تجد ترحيبا من المجلة الجديدة التى قالت بهذا الرأى منذ نشأتها كما قال به صاحبها قبل اكثر من عشرين سنة . ونحن نزيد على هذه الدعوة أنه فى عهد الاستقلال الجديد يجب توحيد الزي باجبار العمال على اتخاذ البنطلون حتى يتوحد الزي بين أبناء الأمة . وقد أخذت المرأة المصرية بالقبعة ولم تتهم فى وطنيتها أو دينها أو أخلاقها . ويجب علينا أيضا نحن الرجال أن نتخذ القبعة وأن ندعو الحكومة الى اجبار العمال والفلاحين على اتخاذ البنطلون حتى يزول عن بلادنا هذا المظهر الشرقى المزرى . ومتى أخذنا بالزى الأوربى وعممناه بين طبقات الامة فاننا عندئذ لن نجد مايؤخر تقدمنا وأخذنا بالآراء العصرية . لأن العائق القائم أمام هذه الآراء هو عائق سيكلوجى والقبعة والبنطلون يزيلانه . ونحن نؤيد زكى طليمات بانه يجب على الوزراء أن يأذنوا للموظفين باتخاذ القبعة قبل كل شيء

تأبين الزهاوى



جميل صدقى الزهاوى

ستحتفل حكومة العراق بتأبين الزهاوى هذا الشهر . وقد دعت وزارة المعارف المصرية الى الاشتراك فى هذا الاحتفال فندبت هذه الاستاذ الكبير على الجارم . ونحن مع قدرنا لعلى الجارم بك الذى لانعرف فى مصر من هو أعمق فهما لروح اللغة العربية عبارة ولفظا، منه، نعتقد أن الوزارة لم توفق فى هذا الاختيار . لأن على الجارم محافظ والزهاوى ليس مجدداً فقط بل ثائراً . وكتابه الذى أوصانا بطبعه بعد وفاته يضع على الجارم موضع الاعداء له . وكان

يمكن أن تندب الوزارة أديبا مصريا مجددا ليقوم بهذه المهمة ويقول كلمة ينتفع بها العراقيون فى نهضتهم الحاضرة بل ينتفع بها الاحرار فى جميع الاقطار العربية . وقصارى ما سوف يفعله الجارم بك قصيدة غاية فى متانة الاسلوب ورصانة العبارة ولكنها بعيدة كل البعد عن روح العصر هذا الروح الذي كان يغمر جميل صدقى الزهاوى

فى الخارج

أهم حوادث الشهر الماضى فى الخارج قرار الحكومة البريطانية انفاق ١٥٠٠ مليون جنيه على زيادة سلاحها فى مدة خمس سنوات قادمة . وسيخصص هذا المبلغ لزيادة القوات الجوية والبحرية فقط أي لن ينفق منه شيء على القوات البرية اعتقادا بأن توزيعه على ثلاث قوات لايؤدي الى الغاية المرجوة لأن توزع الزيادة على ثلاث قوات لايكون له ذلك الاثر الذى ينشأ من التركيز فى قوتين

وهذا القرار يدل على أن حال العالم السياسية أسوأ حال وأن الخوف من الحرب يعوق التقدم الاجتماعى ويحول دون سعادة البشر . وهذا الخوف قد بعثه أول من بعثه موسولينى بمذهب السيف الذى دعا اليه

ومن حوادث الشهر الماضى أن الايطاليين قتلوا الراس دسنا صهر الامبراطور هيلاسلاسى وقد اكتسبوا من أفريقيا المظلمة عاداتها وعرضوا جثته فى اديس ابابا لكى يلتذ رؤيتها الايطاليون الذين تأفرقوا

أما فى أسبانيا فان الثائرين استولوا على مالقه . وكانت من أحسن المراكز الحربية عند الحكومة وقد زاد الامل بذلك بنجاح الثائرين وهزيمة الحكومة . ولكن الوقت لايزال بعيداً لتحقيق هذا الامل . فان مدريد لاتزال فى يد الحكومة . وقد انتهت الدول الكبري إلى فرض الرقابة على أسبانيا كلها ومنع المؤنة والذخائر والجنود من الوصول إلى الحكومه أو إلى الثائرين . وهذا الاتفاق سيضر بالاثنين ولكنه يعجل نهاية القتال

ومن حوادث الخارج أيضا استعداد النمسا لعودة الارشدوق أتوسليل آل هابسبرج ولا يمكن التكهن بما سوف يؤدى اليه عودة العرش فى وسط اوربا

الانجليزى الذى دعا الى المذهب الالمانى

من الغريب أن أعظم دعاة المذهب الألمانى انجليزيان أحدهما توماس كارليل صاحب كتاب الابطال . والثانى هو ستون ستيوارت تشمبرلن صاحب كتاب أسس القرن التاسع عشر الذي ولد سنة ١٨٥٥ ومات سنة ١٩٢٩

وقبل أن نتكلم عن هذا الثانى نقول ان المذهب الالمانى يدعو الى جملة أشياء منها :

١ — الايمان بالأبطال وأنهم هم الذين يقودون الامم الى التضحيات العظمى . وهذا الايمان ينافض المذهب الديمقراطى الذي يضع الثقة كلها فى الشعب . فان كارليل يقول ان تاريخ العالم ليس من صنع الشعوب بل من صنع القادة أى الابطال . وهو بذلك يؤيد الديكتاتورية

٢ — ان الشعب الالمانى يعد الى السلالة النوردية أرقى السلالات البشرية فى العالم وأنه يجب الاحتفاظ بنقاوتها

٣ — ان اليهود من السلالة السامية وهم يجب لذلك ألا يختلط دمهم بالدم النوردي

وثم مبادىء أخرى اقتصادية واجتماعية يسعنا أن نغفلها الآن و نقتصر على هذه المبادىء الثلاثة . وواضح أن المبدأ الاول القائل بالبطولة يؤيد حكم الفرد أو الديكتاتور . وهذا المبدأ قد شرحه كارليل فى كتاب « الابطال وعبادة البطولة » وهو الكتاب الذي ترجمه السباعى قبل ثلاثين سنة ثم اتضح لشيخ الازهر فى العام الماضى أنه يخالف الاسلام فطلب منعه . وهذا الكتاب هو فى لبابه دعوة الى الفاشية . ونحن المصريين نرى أنفسنا الآن محرومين من درس الشيوعية ومن درس الفاشية بحكم الازهر . . .



هوستون ستيوارت تشمبرلن

أما المبدآن الآخران فيرجعان الى تشمبرلن . فان هذا الانجليزى رحل الى المانيا كما رحل أخ له الى اليابان . وكلا الأخوين عبقري . فان تشمبرلن (فى ألمانيا) يسترشد الالمان بنظريته عن السلالات البشرية . كما يسترشد اليابانيون بمؤلفات تشمبرلن الآخر عن تاريخ لغتهم وآدابهم

ونظرية تشمبرلن ليست جديدة من جميع نواحيها . فقد سبقه جوبينو الفرنسى الى تقرير معظمها وهى أن السلالات البشرية تختلف فى قدرتها على استحداث الحضارة والثقافة وأن السلالة الونجية تكاد تكون خالية من الكفاءات البشرية العالية فلا نظام فى الحكومة ولا فى الاجتماع ولا ابتكار فى الاقتصاديات ولا اختراع فى الآلات ولا قدرة على ايجاد ثقافة حية تنمو جيلا بعد جيل . وكذلك السلالة المغولية التى ينتمى اليها الصينيون فانها متوسطة الذكاء لها خواص تختلف من الخواص الاوربية ولكنها راكدة لا تنمو فى حضارتها أو ثقافتها . ثم يقول جوبينو أن الاوربيين هم الذين استحدثوا الحضارة العالمية

ولكن تشمبرلن يقسم النوع البشري كله الى قسمين أحدهما تلك السلالة المستطيلة الرأس (لا الوجه) والأخرى تلك السلالة المستديرة الرأس

والمستطيلون هم الالمان أي الجرمان . وهم خميرة الارض وليس مكانهم ألمانيا فقط إذ هم فى كل قارة وقطر . فاينما وجدت رجلا مستطيل الرأس فهو يعود إلى هذه السلالة . واذا كان فى أمة ما حضارة - ولو كانت الصين - فان هذه الحضارة تعزى إلى هؤلاء الافراد القلائل ذوى الرءوس المستطيلة الذين يمكنهم أن يبتكروا ويخترعوا ويكتشفوا . لأن الصين نفسها على الرغم من أن ٩٩ فى المائة من سكانها مستديرو الرءوس لا يزال بها واحد فى المائة من الرءوس المستطيلة (الجرمانية أو النوردية) التى تقود الامة فى الحضارة والثقافة . وهكذا الشأن فى جميع الأمم التى ترتقى بمقدار مافيها من الرءوس المستطيلة

ويشرح تشمبرلن معنى الانحطاط والرقى بمقياس السلالة والوراثة فقط . فان انجلترا عظيمة لأن لأبنائها رءوساً مستطيلة . وفرنسا منحطة لأن بها كثيراً من الرءوس المستديرة . وبكلمة أخرى يقول تشمبرلن ان الرأس المستدير هو الرأس الشرقى رأس اليهودى والسوري والعربى والصينى . وهو رأس لا يرجى منه خير فى الثقافة أو الحضارة . وان مانشأ عند هذه الشعوب من الحضارة انما كان بفضل من هجر الى أقطارهم من ذوى الرءوس المستطيلة أى الرءوس الجرمانية . ثم يشرح تاريخ أوربا فيقول ان حضارة الاغريق ازدهت وكذلك ساد الرومان حين كانت الرءوس مستطيلة فلما كثرت هجرة الشرقيين المستديري الرءوس الى اليونان وايطاليا سواء بالأسر فى الحروب أو بشراء العبيد واختلط الدم الاوربى بالدم الشرقى زالت العبقرية وفسد المزاج ، وركدت الحضارة

والثقافة بل عمت الفوضى . لأن العتق فى الانسان لايختلف عند تشمبرلن من العتق فى الحيوان أي أنه يحتاج الى نقاوة الدم هذه النقاوة التى تعنى بها ألمانيا . والفوضى التى عمت أوربا فى القرون المظلمة ترجع الى أن دم الاوربيين لم يكن خالصا اذ كان مزيجا من الرءوس المستديرة والرءوس المستطيلة . وأن النهضة جاءت بعد هجرة الشعوب الشمالية (الجرمانية) الى الجنوب أى حين تغلبت الرءوس المستطيلة وأصبح لها القيادة فى الحكومة والثقافة والحضارة . وهو يحمل الحملة العاتية على اليهود ويطلب من الجرمان أن ينظروا الى المصلحة البشرية الكبرى بمنع اليهود من السلطان أيا كان هذا السلطان . بل هو يحمل على العرب ويبين أن حضارتهم لم تكن شيئا يذكر وأن رجال الثقافة عندهم كانوا من الفرس (وهم جرمانيو الأصل) أو من البربر (مثل ابن خلدون) وهو كذلك ليس سامى الأصل . بل هو يبالغ حتى ليوهم القارىء أن السيد المسيح كان جرمانيا ويحلل لفظة يسوع حتى يكاد ينتهى الى أنها تعنى جرمانى

ومع أن نظرية تشمبرلن غريبة فان الأدلة التى يقدمها للقارىء فى كتابه « أسس القرن التاسع عشر » تقدم بالقناطير . والمؤلف كنز للمعارف الانسانية وهو يتحدث بلهجة الالفة التامة عن مصر الفرعونية أو بغداد العباسيين أو اسكندرية البطالسة من الناحية التاريخية كما يتحدث عن الدين والأخلاق كأنه من الأنبياء . ومع هذه الدعوى الكبيرة التى يدعيها الجرمان يذهل القاريء أمام هذا الطوفان من المعارف والبراهين التى يسوقها فى سهولة واقناع فى نحو ألف صفحة . واذا كان الألمان قد قرأوا هذا الكتاب ــ الذي طبع منه الامبراطور فيلهم آلاف النسخ ووزعها بالمجان ــ فانهم معذورون فى حملتهم الحاضرة على اليهود ومعذورون فى القوانين الجديدة التى سنوها لصيانة الدم الألمانى من الاختلاط بغير الآريين

الانجاز

بقلم الدكتور أمير بقطر

لم يمض على العالم عصر ، اشتدت فيه حاجة الناس الى سرعة الانجاز ، اشتدادها فى خلال العشرين السنة الماضية ، اومنذ نهاية الحرب العالمية الكبرى . ومعظم المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى يعانيها العالم اليوم راجع الى عدم التوفيق بين سرعة الانتاج العلمى وبطء التطبيق العملى ، أو محاولة القائمين بالشئون العامة « والخاصة » ان يضعوا أجهزة البخار والكهرباء على ظهور الدواب بدلا من أن يتركوها تجرى على قضبان من الفولاذ ، أو عجلات من الصمغ المرن . ويعزى هذا العيب الاجتماعى الى عوامل شتى منها الخمول ، والتواكل ، والجهل ، والكسل ، والخوف ، والضعف ، والتردد ، ووهن فى جسم الامة جرثومته عنف التقاليد واستحكام حلقاتها ، وخلوها من البطولة

واذا قصرنا دائرة البحث على بلادنا المصريه ، فاننا نجد هذا العيب مجسما فى كل ناحية من نواحى العمل ، خصوصا إذا قسنا الأمور بمقياس البلدان الأوربية ، ونجد هذه الظاهرة جلية فى جميع الشئون العامة والخاصة ، الحكومية والأهلية ، الجمعية والفردية

لو شئنا لملأنا مجلدات باسماء المشروعات التى وضعت على بساط البحث ولم تخرج الى حيز الانجاز أو أخرجت فعلا بعد أن دوخت مصالح ، وعقدت لجان ، وازدحمت سجلات ، ومضت عشرات السنوات ، حتى فات المقصود من هذه المشروعات أو كاد

وإذا شئت أن تبحث فى مصلحة عامة عن فرد واحد مسئول ، أو أفراد عن علة الارجاء والتأجيل وعدم الانجاز ، أو الابطاء فيه ، فانك لا تصل الى نتيجة ، فى غالب الأحوال . منذ سنوات كان يضم مجلس من المجالس أحد الوزراء المصريين السابقين فى ذلك الحين المتصفين بالنشاط وحب العمل فسأله أحد الحاضرين عن السبب الذى حدا بمشروع عينه بالاسم ان يموت موتا طبيعيا رغم ما أنفق عليه من أموال وما استدعى من خبراء أجانب ، وما قرره هؤلاء من إمكان إخراج المشروع الى حيز العمل والانجاز . وكم كانت شدة دهشتى عندما سمعت الوزير يؤكد أنه لم يستطع معرفة المسئول عن موت المشروع ، رغم انه كان الرئيس الاعلى للوزارة التى تشرف عليه ، ولا معرفة سبب هذا الموت . وقد مضى على هذا الحادث عشر سنوات ولا يزال المشروع على بساط البحث

منذ خمس سنوات طلب الى كاتب هذه السطور أن يتخيل ماتنشره جريدة مصرية بعد خمسين عاما من الاخبار والمقالات . وكان المطلوب أن تكون الكلمة فكاهية ، تلقى على المائدة بعدالعشاء فى وليمة أفرادها من غير المصريين . ومما ذكرت من الاخبار المحلية فى جريدة المقطم أول يناير سنة ١٩٨٢ ما يأتى :

« تشكلت لجنة فنيه برآسة وزير المواصلات للبحث فى مشروع كهربة خط حلوان » . وفى نهاية الحفلة أقبل على أحد سكان المعادى من الحاضرين وقال لى انه معجب بالجريدة سوى خبر واحد وأكد لى أن خط حلوان ستنجز كهربته فى خلال ستة شهور وقد مضى الآن على المشروع خمس سنوات فلا هو أخرج الى حيز الانجاز ، ولا عدل عنه واتقى شره

شاهدت صيف سنة ١٩٣٦ فى نهاية مدينة البندقية بناء ذا خمس طبقات فسيح الارجاء كبير المساحة وحيدا فى بابه وهندسته ، وذلك ان يستعمل مخزنا للسيارات « جراج » ويستطيع راكب السيارة أن يصعد بها الى الطابق الاعلى وهو يقودها ، وذلك لأنها مشيدة بكيفية تجعل بها طريقا حلزونيا متدرجا فى الصعود ويؤدي الى طبقاتها الخمس . ولا يخفى أن مدينةالبندقية الجميلة لاتوجد بها سيارات لأن شوارعها أنهار وطرق مواصلاتها زوارق وبواخر بيد أن هذا الجراج قد أنشىء لتمكين القادمين اليها من مدن أوربا بالسيارات أن يودعوها فيه عند زيارتهم للمدينة . ويوجد فى هذا البناء مكتب بريد وآخر للتلغراف والتليفون الدولى وقهوات ومخازن وفوق ذلك فان أمامه ميدانافسيحا جدا تحيط بين حدائق صغيرة بديعة يحف بها الماء من كل جانب . وتجرى فى الميدان قطر ترام تشتبك بأسلاك كهربائية معلقة ولكنها لاتجرى على قضبان بل تسير على عجلات من المطاط كالسيارات . شاهدت كل ذلك فدهشت لأننى مع تعدد زياراتى لهذه المدينة لم أر كل هذه المنشآت من قبل ، وقد زادت دهشتى عندما قيل لى أن هذا العمل العظيم قد شرع فيه وتم إنجازه فى بضعة شهور

وفى نهاية الصيف اقفلت راجعا الى مصر فألفيت ميدان العتبة الخضراء مقلوبا رأسا على عقب بعد هدم المحكمة المختلطة وتنظيم خطوط الترام . فحمدت الله لأن هذا المشروع القديم فى طريقه الى الانجاز وخيل الى أن غرس الحدائق والأشجار وبناء الارصفة لا يستغرق الا أسابيع . والآن قد مضى على هذا الكلام ستة شهور تقريبا ولا تزال أكوام الأتربة قائمة ، ولا يزال الغبار يعمى العيون ، ويخلق جوا بديعا تنمو فيه جراثيم السل ، ومرعى خصيبا يترعرع فى ارجائه الرمد الحبيبي ولا تزال الأرصفة مهدّمة ، والشجيرات الصغيرة المسكينة تموت عطشا ، وليس ثمت من أثر للخضرة ولا مايحمل على الاعتقاد أنها ستكون

فى مخيلة كاتب هذه السطور من عدة سنوات أمثلة لسوء النظام ونماذج لعدم الترتيب والتنسيق وأهم هذه الأمثلة أربعة ، وهى مكتب خاص لأحد أصدقائى ، ووزارة كبيرة الاتصال بالجمهور ، ومصلحة التنظيم بالقاهرة ، والعتبة الخضراء . أما وقد طال الزمن على اصلاح العتبة فاننى أكاد أعتقد أن ستظل نموذجا لسوء النظام الى الأبد . أما مصلحة التنظيم فان هنـاك مايحمل على الامل بانها تسير نحو سياسة الانجاز سيرا بطيئا جدا ، بيد أنه مهما تعلقنا بخيوط هذا الأمل ، فانا لا نزال نعتقد أن داء التأجيل والارجاء والخمول مستحكم فيها . فما من أرصفة تهدم ، الا وتبقى شهوراً بغير إصلاح ، وما من حفرة تحفر ، إلا وتظل كذلك أياما وأسابيع ، وما من عمل يبدأ ألا ويتذبذب بين الايقاف والانجاز ويتأرجح بين التقدم شبرا والتأخر مترا

وهذه مشروعات القوانين تدعو الحاجة الى اخراجها من دائرة البحث والتشريع الى حيز التطبيق ولـكنها تخرج من لجنة الى لجنة وتتداولها مصلحة ومصلحة وتنتقل من وزارة الى وزارة ، حتى تموت فى المهد طفلة ، أو ينحل جسمها بعد أن تبلغ من العمر عتيا ، أو تهمل لعدم الحاجة اليها ، أو ترمى فى زوايا النسيان لأن لهب الحماسة التى دعت الى التفكير فيها تـكون قد خبت

وهـذه مشاريع علميـة وصناعية وزراعية واقتصادية واجتماعيـة تدوي البـلاد بأصدائهـا شهورا ، ثم تعقد لأجلها لجان وتلقى خطب وتنشد قصائد ، وتولم ولائم ، ثم تدهن بالزبدة ، وما يكاد يطلع النهار ، وتنشر الشمس عليها أشعتها الذهبيـة ، حتى تذوب وتصبح نسياً منسياً

وهذا كاتب فى مصلحة عامة ، قد لايفتح عليه طيـلة يوم كامل إلا بخطاب يطلب منه كتابته ، ولـكنه يرجئه الى الغد وبعده وبعده ، لأنه يكره سرعة الانجاز ، ولأنه اعتاد أن يرى المصالح العامة تقدم رجلا وتؤخر أخرى قبل أن تنجز عملا ، وان كان ذلك العمل لايستدعى سوي بضعة سطور . وما يقال عن الـكاتب يقال عن رئيسه ورئيس رئيسه ، حتى أصبح التأجيل والتطويل والمد والجزر والوعد والارجاء وعرض الأوراق ودرس المسألة وحفظها أو التروى فى البت فيها — حتى اصبحت هذه وأمثالها من مستلزمات العمل فى كل ماله علاقة بالجمهور . وأصبح من المألوف ألا تقضى مصلحة الا بالمحسوبية ولا يجاب عن سؤال الا بالتوصية ، ويحدث أن الجواب لا يأتى الا بعد أن يـكون الغرض منه قد فات وأصبح عديم الفائدة

أذكر أننى كتبت مرة خطابا لناظر مدرسة رجوته فيه ان يكتب لى شيئا عما يعرفه عن طالب ذكرت له اسمه ، وانتظرت طويلا وطويلا ، ثم اعدت الـكرة فـكررت الرجاء . وجاءنى الرد بعد زمن طويل . وكان الرد مدهشا .. معجزة الايجاز ، وآية التنفيذ ، وكان مختصرا جدا . وكأن الزمن

الطويل الذي قضاه حضرة الناظر فى الرد كان منصبا على التفكير فى العبارات الموجزة التى دبجتها يراعته . والآن يريد القارئ أن يعرف فحوى هذا الجواب وهو بحروفه ... « إشارة الى كتابكم رقيم — بخصوص الطالب .... نفيدكم ان ماتطلبونه مبين فى شهادة نصف السنة المرسلة لولى أمره ... وتقبلوا

ولا يتسرب الى ذهن القارئ أن المصالح والوزارات الحكومية هى وحدها المصابة بهذا الداء الوبيل ، فان العلة متفشية فى المصالح الخصوصية وفى الأفراد وفى معاملاتهم الخاصة تفشيا يدعو الى شدة الأسف . ذكر لى صديق يقوم بتحرير مجلة من المجلات أنه يطلب المقال من أحد الأدباء فيعد بارسالها فى يوم معين ، فيتابعه بالتليفون يوميا ، وهو يرجىء الكتابة يوما بعد يوم فلا يرسلها الا فى اللحظة الأخيرة أو لا يرسلها أبدا . وعلة هذا الارجاء هو مانريد أن نسميه داء عدم الانجاز أو التنفيذ . ونريد أن نذكر أساتذة الانشاء فى المدارس الثانوية — بهذه المناسبة — أن يعودوا طلبتهم الكتابة بغير استعمال مسودة لأن فى هذا ضياعا للزمن فى معظم الاحايين فضلا عن أنه يمهد لهم الطريق الى عدم الانجاز

اذكر أننى طلبت الى أحد المشتغلين بالتعليم أن يكتب مقالا لننشره فى مجلتنا التربية الحديثة بشرط أن يتناول هذا المقال بحثا فنيا فى مسألة من مسائل التربية . وظل هذا الوعد قائما بغير تنفيذ ثلاثة أعوام وأخيرا أبان لى أنه أوشك أن يتم كتابة المقال فسررت وسألته عن عنوانه فقال « الضمير » فوددت ألا يتم انجازه لأنه خارج عن نطاق المجلة ، وفعلا لم يصل المقال — والحمد لله ، إن الصعوبة التى يلاقيها الناس فى إتمام المقالات ترجع الى عوامل لغوية فى كثير من الأحوال ، بيد أن العلة الحقيقية هى عين العلة التى يرجىء فيها الكاتب فى المصلحة كتابة الخطاب ، وعين العلة التى يرجىء فيها الرئيس البت فى أمر ، وعين العلة التى ترجىء بها مصلحة التنظيم ردم الحفر ورصف الطرق وبناء الأوصفة . وهى عين العلة التى تشاهدها بين ظهرانينا فى كل مكان وزمان وبين سائر الطبقات

أقول بين سائر الطبقات لأننى أذكر واقعة حال لاتزال ماثلة فى ذهنى مع قدم عهدها . وهى اننى كنت مرة على رصيف المحطة فى احدى مدن الوجه القبلى انتظر قطارا . وسمعت جرس الناظر يقرع مرات متوالية مزعجة يدعو به الخادم ، وكنت أعرف الناظر وأعرف الخادم ، وكان الخادم جالسا خلفى تقرع دقات الجرس الكهربائى أذنيه وهو لايبالى

فسألته : ألا تسمع هذا الرنين المتوالى يا هذا ؟

فأجاب : أجل ياسيدى ولكنى لا أريد أن أعوده الاجابة بهذه السرعة فضلا عن أننا لم نعتد

القيام فورا تلبية للطلبات حال صدور الأوامر . فكان جواب ذلك الخادم مشخصا حقيقيا لعلة عدم الانجاز

استميح القارىء عذرا إذا أكثرت من استعمال المفرد المتكلم كثيرا فان هذه عادة الفتها الجأ اليها فى التمثيل من الذاكرة مما يمر بى شخصيا من الحوادث . غير أننى أريد ان أذكر فى ختام هذه الكلمة أمرين :

أولهما أن الذى حدا بى إلى طرق باب هذا الموضوع هو وجود كلمة انجليزية كثيرة الاستعمال قلما نستعملها فى اللغة العربية . وذلك انهم كلما أرادوا ان يعددوا الصفات المستحبة فى فرد من الافراد قالوا انه executive أى ذو انجاز او تنفيذ . فالموظف الذي لاينجز وحدة من وحدات العمل بالسرعة المطلوبة قيل انه عديم التنفيذ او الانجاز . والرسول الذى يبعث فى جهة معينة لتأدية مهمة صغيرة كانت او كبيرة ثم يعود يخفى حنين بدعوي كذا وكذا ، ثم يعرف عنه ذلك مرة بعد مرة ، يقال عنه انه عديم التنفيذ او الانجاز

والامر الثانى الذى اريد ان اختم به هذه الكلمة هو أن الارجاء والتأجيل والابطاء والامهال والمبالغة فى التروى والحذر ، والمد ، والتطويل وغيرها من صفات عدم الانجاز لم تعد مستحبة فى هذا العصر ، ولا تتفق والعالم الحديث بما اتصف به من السرعة المدهشة . وقد اتضح هذا المبدأ واضحا فى سياسة عصبة الامم اخيرا فى المشكلتين الحبشية والاسبانية . فلجنة العقوبات ولجنة عدم التدخل قد أخفقتا وكان إخفاقهما مثارا للنقد فى جميع الامم

وهذه الديموقراطية فى انجلترا لم يقر قرارها الا بعد مئات السنين ، فقد بدأت المحاولات الديموقراطية قبل سنة ١٢١٥ لم تنجز إلا قبل سنة ١٦٨٩ . غير ان نوع الحكم الحاضر يستتب او يكاد فى هذا العصر فى سنوات قليلة . فالكمالية والفاشية والشيوعية لم تولد إلا فى نهاية الحرب العالمية ولكنها بلغت سن الرشد فى الاولى والثانية وكادت فى الثالثة

والنازية أصغرها جميعا ولكنها كادت كذلك تبلغ سن النضوج ، ومع عدم اعجابنا بأى من هذه النظم كل الاعجاب فاننا لا ننكر ما تتحلى به كل منها من هذه الصفة البديعة والفضيلة السامية التى اتخذناها عنوانا لهذا المقال وهى صفة التنفيذ وفضيلة الانجاز ، التى تشتد حاجتنا اليها ، فى جميع مرافق الحياة المصرية على اختلاف انواعها وتعدد مناحيها

زيادة السكان فى مصر

نشطت حركات الخدمة الاجتماعية فى مصر فى السنوات الاخيرة مما يدعو المتفائلين الى الاعتقاد بامكان توفير السعادة والرقى للطبقات الدنيا من عامة الشعب فى المستقبل

والمشتغلون بهذه الخدمة سواء أكان عملهم فى اوساط العمال ام فى اوساط الفلاحين سرعان مايقفون على مسألة خطيرة بل على مشكلة عويصة الحل وسرعان ايضا مايهملون التفكير فيها والاهتمام بمعالجتها اهمالا تاما وهذه المشكلة هى زيادة المواليد بين هذه الطبقات زيادة مروعة أدت الى بذل المجهودات الجبارة والاموال الطائلة ولكن دون كبير فائدة وذلك لزيادة الوفيات أيضا . وقد ادى هذا إلى تفشى العطل ، وضآلة الأجور ومن ثم الى الفقر ، والجهل والتأخر العقلى والصحى والاجتماعى . كل هذا يجعل مهمة القائمين بالخدمة شاقة بل ونخشى أن تتجسم الحالة تجسما قد يبعث على اليأس ان لم نشرع فى اصلاح الأمور اصلاحا مباشرا من هذه الناحية

ولا أحاول فى هذه الكلمة أن اقترح خطة للسير فى دراسة هذه المسألة وانما سأعالج الموضوع بايجاز من ناحية واحدة هى ناحية نسل الفئة الممتازة

تلك الفئة التى لها القدرة على القيام باعمال يفيض نفعها على الكثيرين والتى تكون ذات أثر فعال فى ترقية أحوال المجتمع وتوفير السعادة لأفراده وذلك بفضل ماتتمتع به من مزايا عقلية وخلقية وعليها تقع بالفعل اثقل اعباء الاصلاح

ليس لدينا من الاحصاءات مايقفنا على التغيرات الطارئة على عدد الأفراد الممتازين وعلى أحوالهم ولكن من الميسور أن نعرف الشيء الكثير عن ذلك من مجرد المشاهدة ولا نكون مخطئين اذا حكمنا بان الزيادة فى عددهم هى دون حاجة البلاد بكثير

إن السرعة التى نسير بها نحو الرقى ليست كافية لأن تصل بنا الى المركز اللائق بين سائر الامم المتمدينة التى نتطلع اليها فى نهضتنا الحديثة ، وما ذلك إلا لان مقدرة الممتازين من أبناء الأمة فى حاجة ماسة الى الزيادة

وفكرة تحديد النسل بوجه عام بدأت تتسرب بين صفوفهم فسن الزواج بينهم تتأخر كثيراً وزواجهم لايكاد ينتج من الأطفال مايكفى لملء محلهم فى المجتمع من بعدهم

وهذا مما يعرفنا بجلاء أن الزيادة فى عدد السكان فى مصر انما تنشأ من الطبقات المتوسطة والفقيرة

ومن هنا يتضح الخطر الذى يهددنا فى المستقبل ويرشدنا الى أن قصر الاصلاح على أفراد الجيل الحاضر لايقينا من شرور المستقبل

ولماذا تناقض الطبقة الممتازة نفسها ؟ انها ترغب فى اصلاح أحوال الفقراء وترقية حال الامة . ولكن تصرفها فى نسلها يعمل على مايخالف ذلك إذ أنها بتقليل نسلها تضع العراقيل فى سبيل تحقيق هذه الرغبات السامية

ان الافضل للامة أن تتنازل عن خدمات المئات من ابنائها فى ميادين السياسة ، والاقتصاد والتعاليم ، والبر وكل ماله صلة بتحسين المجتمع عن أن تحرم من أن يكون لهم نسل وفير العدد وبطبيعة الحال لهم مقدرة على جعله نسلا ممتازا يمتد أثر خدمته فى المستقبل القريب الى ميادين واسعة النطاق

فاذا كنا قد أدركنا ان مسألة زيادة نسل الطبقات المنحطة وقلة نسل الطبقات الممتازة تسبب كثيرا من المتاعب فهل يحق ان نهملها كل هذا الاهمال

اننا نتدخل فى اصلاح شتى المسائل فلماذا لايكون نصيب هذه المسألة متناسبا مع خطورتها . ليس فى صالح الامة أن تترك الامور تسير كما هى عليه فى غير السبيل السوى . إن موضوع السكان والوقوف على مايتصل به من الحقائق يرشدنا الى سبل نافعة للاصلاح انه موضوع جدير بالعناية مهما كانت العوامل التى تقف فى سبيله

نظمى شحاته



الانجليز وهل هم كغيرهم من البشر

كتاب ملخص تأليف

ج . رينيه . وتلخيص صادق روفائيل

يكاد يكون الأجماع منعقدا ، فى مختلف البلاد والأقطار ، على أن الانجليز شعب محوط بالغموض وغرابة الأطوار ، وأنهم ليسوا على شاكلة سائر الآدميين ، فى طبيعتهم ونظراتهم للحياة واستجاباتهم للمؤثرات الخارجية ، مما أغرى الكثيرين من الكتاب والباحثين بتصنيف المؤلفات ، التى تناولت أطوار هذا الشعب بالوصف والتحليل ... ومن بين هؤلاء المؤلفين مؤلف هذا الكتاب . ج . رينيه

فقد أقام بينهم ، وعاش تحت سمائهم ، وتغلغل فى مختلف أوساطهم ، ولا أدرى ، كما لايدرى كل من حدثته نفسه بتكييف هذا الشعب ، وتعليل طابعه ومميزاته ، أهو موفق فى حكمه ، بالغ غايته فى تقرير الحقيقة عنهم ، أم يظل الانجليز ، رغم التحليل والتعليل فوق كل تحليل وتعليل

ويهمنى أن أبدأ بتوجيه النظر الى أن ما جاء بهذا الكتاب مقصور على الانجليز دون غيرهم ،من البريطانيين ، فلا يتناول الاسكتلنديين المعروفين بقوة ذكائهم ، وشدة تدينهم ، وبعد غورهم ، وروح الصلف والكبرياء التى تغلب على أخلاقهم ، ولا أهل ويلز المشهورين بروحهم الموسيقية . وأخلاقهم الرياضيـة ، ودقتهم ومهارتهم ، ولا الايرلنديين الذين يغلب على طباعهم الغدر وحب سفك الدماء

والكتاب مقسم الى خمسة عشر فصلا ، تقع فى حوالى ٣٠٠ صفحة أحاول أن أوجزها فيما يلى:

١ ـــ الاجنبى فى انجلترا

يهبط الاجنبى عاصمة بلاد الانجليز ، فيذهل لاتساع نطاقها ، وكثرة ميادينها وتشعب طرقاتها حتى لايدرى الى أية ناحية يتجه ، ولا أى السبل يتخذ ، فاذا أراد أن يختار لنفسه نقطة من قلب المدينة ، يوجه منها حركاته ، ويشرع فى اتجاهاته اختلط عليه الامر ، وسقط فى يده ، لأنه

لا يكاد يقر الرأى فى ذلك ، على ميدان جبل طارق حتى تجتذبه حديقة هايد بارك ، ثم لا يلبث أن يتردد بين هذه ، وميدان بيكادلى وهكذا .. والواقع أنك لا تستطيع أن تعين له فى لندن ، النقطة التى يمكن اعتبارها قلب هذه المدينة العظيمة ، الذى تدب منه الحركة ، وتتدفق منه الحياة الى جميع أطرافها ، فالمدينة كلها تعج بحركة لا ينقطع سيلها حتى ليخيل اليك أن أهل لندن ، انما ينزحون منها ، فرارا من خطر داهم ، لكثرة ماتشاهد من السيارات العمومية ، وعربات الترام ، التى تنقل أهلها ، مابين المدينة حيث يعملون لكسب معاشهم ، ووست اند حيث يقبلون على رياضتهم ومسراتهم .. وأنهم يمرون بك فى غدوهم ورواحهم ، فلا تستطيع أن تتبين فى صفحة وجوههم ، ماينم عن داخلية نفوسهم ، من مباهج أو مشاغل أو غير ذلك من مختلف العوامل النفسية

نعم انها لظاهرة تسترعى النظر ، تلك السحنة الصماء التى لا تنم على شىء مما يكابده القوم من مختلف الاحساسات والمشاعر ، حتى أنك لتقف مشدوها ، أمام ذلك المنظر الرائع ، الذى يثير من عجبك واعجابك ، مالا تثيره أبدع التماثيل ... وأن مايحمله اليك وجه الانجليزى من الغاز وما يكتم وراء صفحته من أسرار ، لهو ما توحى به أيضا اليك مدنيتهم ، التى تخفى وراء مظهرها مالا قدرة لك على معرفة كنهه ، أو كشف حقيقته ، فاذا ضقت ذرعا بهذا الغموض ، وخطر لك أن تلتمس الجلوس فى احدى المقاهى ، عسى تهىء لك الفرصة التعارف السطحى مع أحد روادها ، وجدت المدينة لا أثر للمقاهى فيها ، ولا سبيل للتلكؤ فى شوارعها ، التى من شدة ماتعج به من حركة المرور فيها ، يخيل لك كأن الناس يسيرون على غير هدي ، وكأن المركبات تنطلق دون غاية مقصودة ... فى وسط هدا البحر الهائج بالنشاط والحياة ، لا تلبث أن يقع نظرك على رجل الشرطة فتشغل به عن كل شىء سواه ، فهو صديق الشعب ورمز السلام ، لا يحمل سيفا ، ولا يتدجج بسلاح ، يدير حركة المرور المعقدة من موضعه بدقة ولباقة ، لا يضن بمعونته على أحد ، ولا يبخل بارشاده على انسان ، يوجهك حيث تريد ، ويمدك بما تحتاج اليه من معلومات . لذلك تراه موضع الاعجاب والتقدير من الجميع ، له مكانته حتى فى نفوس من لم يسعدهم الحظ برؤيته ، ممن سمعوا به او قرأوا عنه

والاجنبى فى بلاد الانجليز . ينظرون اليه بعين الريبة والتحفظ ، حتى أنهم لا يتنزلون عن تسميته « غريب » مهما طال استقراره ، وهم يذهبون فى ذلك الى أنه لا ينتمى الى نوعهم ولا يرتفع إلى درجتهم . والغريب من أمر هؤلاء القوم أنهم مع ذلك اذا تم التعارف للاجنبي المقيم بينهم بأحد منهم وقامت الصداقة بينهما وجدت الانجليزي يدعوه الى داره مرارا لتناول العشاء

معه ومع عائلته ، حيث يلقى منه كل رعاية تثلج صدره وتنسيه غربته ذلك لأن الانجليزى . الذى لايفتح لك مغاليق صدره يفتح لك عن طيبة خاطر باب داره . على نقيض مايقع لك مع الفرنسى وقد يستقر الأجنبي هناك فتصبح لندن موطنه ، ولكن شتان مابين حياته وحياة الانجليز . تلك الحياة التى يصعب على كثير من الأجانب أن يدركها ويألفها ، خذ مثلا الاسكندناوى فانه يتم له الاستقرار فى بضع شهور بينما السويسرى يظل طول عمره الذى يقضيه بين ربوع الانجليز غريبا عنهم وغريبة عليه حياتهم

وعلى الأجنبى لكى تتم له الأقامه بين الانجليز ومجاراته لهم فى حياتهم والاندماج فيهم أن يذلل كثيرا من الصعاب التى يتوقف مدى تغلبه عليها على استعداده الشخصى ومبلغ مقدرته على التكيف ببيئتهم وحياتهم فهناك صعوبة اللغة وأكثر ما تبدو هذه الصعوبة فى أساليب نطقها ، واختيار الالفاظ والعبارات التى تؤدى الغرض المطلوب فى عرفهم وليس هذا بالامر الهين على الأجنبي فقد عانى المؤلف الامرين طوال السنين حتى وفق الى ذلك . وهناك المناخ والطقس المتقلب وضجة حركة المرور التى تسلبك الراحة والسكون وغير ذلك من مظاهر الحياة التى لاتمت بصلة الى ما تعوده الأجنبى عن لندن ولكن الزمن خير معوان على استساغة هذه الحياة حتى تصبح لديه مألوفة وربما كان أكثر ما يعانيه الأجنبى من أمر معيشته مشكلة الطعام والطريقة التى جري القوم عليها فى اعداده وطهيه . مما هو بعيد كل البعد عن ذوق الاجنبى ذلك لأن الانجليز قوم عرفوا بأنهم يأكلون ليعيشوا ولا يعيشون ليأكلوا . واذا استثنينا حفلة عيد الميلاد . التى يخصونها بمختلف الوان الطعام . ويقبلون عليه فى شىء من الأسراف لوجدنا أنهم فيما عدا هذه المناسبة أبسط الناس فى طعامهم وأكثرهم اعتدالا فى مشاربهم فالجانب الاكبر من أطعمتهم يقوم على اللحم أما الخضراوات فلها مكان ثانوى من مائدتهم ويغلب فى طريقة الطهى عندهم السلق على سواه مما تعافه نفس الأجنبى عادة ولا يستسيغ طعمه . ولكن لامناص له من ترويض نفسه على تناوله . اذا لم يكن هناك بد من الأقامة بينهم

والآن انتقل الى ما يشاهده الاجنبى المستطلع من مميزات هذا الشعب وما يستشعره من طابعه الخاص . الذى يجعلك تحسب لأول وهلة ان الأرض لايسكنها الا جنسان : الجنس البشرى والانجليز . ولاتنس أن تسلك فى عداد الجنس البشري جماعة الاسكتلنديين والارلنديين وأهل ويلز أما الأنجليز فانهم نسيج وحدهم ولانظير لهم من البشر والواقع أنك كلما ازددت معرفة بهم وتذوقا لمبادئهم ووقوفا على أطوارهم وطبيعتهم تمنيت لو أنك خلقت على شاكلتهم أو ازددت رغبة على الأقل فى التشبه بهم والأخذ عنهم وهذا كان شأن المؤلف ازاءهم

لعلك تحسب الانجليز كالفرنسيين يؤمنون بالحرية والمساواة !! كلا فان الأنجليز يقدسون الحرية لاقصى حدود التقديس دون المساواة التى لايدينون بها . ولا يسلمون بنظريتها . لذلك تجد الشعب هناك طبقات : الطبقة الملكية . فالارستقراطية . فكبار رجال المال والتجار والصناعة . وطبقة البور جواز . فطبقة العمال . ولكل طبقة مكانتها واحترامها فى نفس الطبقة التى دونها لذلك فكل منها تنظر للطبقة التى فوقها . على أنها مثل تجتذى . فتحاول تقليدها . والاخذ عنها فى كثير من خصالها وأعمالها . ولعل لهذه الظاهرة أثرها . فى تماسك الحياة الاجتماعية عندهم وفى طبعها بطابع النظام والتقدم

وللانجليز مقدرة طبيعية خاصة ، على النظر للأمور ، من ناحيتها السارة ، التى تجعلهم يقبلون مرتاحين على أشق الأمور ، وأخطر المهام ، حتى انهم ليواجهون الموت ، وعلى وجوههم ابتسامة الرضى والارتياح ، كأنهم يعالجون احدى ألعابهم الرياضية المحبوبة . . . والفكاهة عند الانجليز ، فن لهم فيه طابع خاص ، يتميزون به عن سائر البشر ذلك أنهم فى الظروف الحرجة التى تثير سخط الانسان العادى ، وفى المواقف التى تبعث فيه الرعب ، يغلب عليه الاطمئنان ، حتى ليخيل اليك انه ليس كغيره من الآدميين فى الاستجابة للمؤثرات الخارجية ، وقد ذكر المؤلف ما لوحظ فى أثناء الحرب العظمى من بروز هذه الظاهرة فى الجنود الانجليزية ، إلى جانب جنود الدول الأخري ، فبينما كنت ترى الألمان يتوجهون لساحة الوغى ، وهم ينشدون الأناشيد ،والفرنسيين وهم صاخبين متوعدين ، كان الانجليز باسمين متفكهين . . . والواقع انك تستطيع أن تمارس أى شىء مع هؤلاء القوم ، تستطيع محاربتهم ، والاتجار معهم ولكن ما أعسر أن تحاول الاقامة بينهم ، والحياة على غرارهم . . . وقد أراد المؤلف ، أن يضع تعريفا للفكاهة عند الانجليز (Humor) فذهب إلى انها المقدرة الشائعة عند أغلبهم ، على مقابلة الظروف المحرجة بالضحك أو الابتسام

أما روح المجون عند الانسان العادى فهى أشد منها عند الانجليزى ، الذى هو أقل دراية بها منه ، وليس أدل على ذلك من أن تشهد جماعة النظارة منهم ، فى مشهد من يشاهد احدي الروايات المسرحية فتجد ان الانجليزي يترقب الفرصة للضحك ، ويستحثها حتى ليبلغ من فرط تلهفه عليها ، أن ينطلق بالضحك فى غير موضعه ، أو أن يضحك من لذعات المستر شو مع أنها موجهة ضد ما يحتل من نفسه مكانا مقدساً وحتى فى عهد شكسبير كان الانجليزى يضحك من الأقوال اللاذعة التى لو تطرق إلى أذنيه شىء منها خارج دار التمثيل . لكانت تثيره لدرجة تجريد سيفه أو عصاه للتنكيل بقائلها

والانجليزى شديد الحرص على احترام كلمته ، فانه لايتقاعس أمام تنفيذ وعده مهما كلفه ذلك من اضرار بمصالحه . . وقد كان الانجليزى أول من بدا حليق الشارب واللحية وربما كان فيما

أبداه بذلك من الشجاعة ، انما أراد التخلص من ذلك اللثام الذى يستعين به غيره على اخفاء احساساته ومشاعره ، لأنه بلغ من قوة ضبطه لنفسه أن يتصرف بمشاعره كيف شاء ان أراد أظهرها وان أراد أخفاها وكتمها . وما هو معروف من شدة التحفظ والحياء انما هو ثمرة مماراض نفسه عليه من كتم مشاعره واحساساته طوال السنين والأجيال . . . وقد يتبادر إلى الذهن ان الانجليزي ربما يختلف عن غيره فى مواقف الحب بسبب كبته لعواطفه ، والواقع ان شأنه فى ذلك شأن بقية البشر

فقد يبلغ به الحب درجة الهيام ، ولكنه لا يبوح به لغير من يحب ، وقد يظل الانجليزى يدرس فتاته سنينا متوالية حتى يأتى اليوم الذى يكاشفها فيه بدخيلة نفسه ، حتى اذا أمنت على رغبته ، كان ارتباطهما بهذا الكلام لا يقل قوة عن رباط الزواج نفسه

وقد تلاحظ فى محادثة القوم تميزها بخلوها من كل ما يمس الشؤون الخاصة ، فلا يطرق مسامعك لفظ أنا وأنت خلال الحديث ، وإذا وقع شيء من ذلك كان اضطرارا لا محيص عنه ، وبايجاز ينطوى على الأسف المكتوم ، والانجليزى يتحاشى فى الحديث استعراض مواهبه العقلية كما يتحاشى المسائل الجنسية والعاطفية اللهم إذا استثنينا فيما يتعلق بهذين النوعين من الحديث طائفة العصريين منهم . ولا يميل الانجليزى أن يتطرق الحديث إلى المالية الشخصية

وللأخلاق المرتبة الأولى على الذكاء لدرجة أن النجاح فى الجامعات القديمة كان يقوم على مايبديه الطلبة من شجاعة واقدام وبطولة ، أكثر مما كان يقوم على ما يظهرونه من علم وذكاء ، لذلك يتحاشى الانجليزى التنويه بذكائه فى حديثه

والانجليز قوم ينفذون النظريات ، ويدينون بما هو عملى ، وهذه الظاهرة تغلب عليهم فى أحاديثهم كما فى حياتهم

وربما يقال واذا تجرد الحديث مما ذكرت فعلام يمكن أن يدور ، اللهم إلا على الطقس ، أو ان يكون أجوف ، لا قيمة له ؟ . . . كلا فان الانجليزى المعروف بتحفظه يخفى وراء تحفظه وصفحته محياه الهادئة ، عقلا راجحا ، خصيب الانتاج ، ولكنه يبرز انتاجه ضمنا لا صراحة ، وانه لمن المشاهد الممتعة حقاً ، أن ترى انجليزيين ، وقد جمعتهما جامعة الحديث لأول مرة ، فأخذ الواحد يلتمس الآخر ، فيلتقى به فى عرض الحديث ، الذي يقوم ككل شيء آخر على نظم وقواعد معينة فلا تجد أسئلة مباشرة ، يوجهها المتكلم للمخاطب ، فيهتك بها ستار شخصيته ، ويبرزها مجردة للعيان كما يفعل غيرهم ، بل يكاد يكون حديثهما أشبه شيء بلعبة من ألعابهم الجميلة ، التى تحمل طابعهم الخاص ، حيث يتبادلان فيهما الاشارات والتلميحات ، فتغنيهم عن التصريحات

ولا أريد أن أنتقل من هذا الحديث ، قبل ان أنبه الى ظاهرة أخرى جديرة بالذكر فى هذا الصدد . ذلك انه بينما ترى الامريكى والايرلندى والأوربى ، يميلون عادة إلى الاغراق والمبالغة فى حديثهم مدفوعين الى ذلك بدافع من شاعريتهم ، أو بدافع الترويج والاعلان عن أغراضهم، تجد ألانجليزى شديد الحذر ، كثير الحيطة ، يذهب فى حذره وتحفظه الى درجة ان ينزل فى عبارته إلى ما دون الحقيقة نوعا ما ، فيأمن التورط ، اذ يستطيع دائما ، ان يجد مجالا لاصلاح عبارته ، بما تقضى الضرورة باضافته ، أو بتنميقه ، دون أن يعترى قوله ما يشينه ، أو ينأى عن الحقيقة على نقيض ما يقع للمبالغ ، فانه لا يستطيع ان يعود ، فينقص من اغراقه ، دون أن يكشف بذلك عن عدم تحريه للحقيقة من بداية أمره . . . لذلك فانك تدرك علة شيوع عبارات « أكاد أميل الى الظن » اذ تحس على ألسنة الانجليز رغبة منهم فى ان لا يخرجوا او يقطعوا بشىء

وهناك مبدأ آخر ، على جانب عظيم من الأهمية عند الانجليز ، خصوصا فى حياتهم العامة ، الا وهو مبدأ الحصول على أحسن النتائج الممكنة . رغم كل اعتبار آخر . وهو مبدأ يظهر لك مبلغ تمسكهم بالناحية العلمية . ورفعها فوق كل منطق وتقليد . فلا يدعون اختباراتهم تمر جزافا دون أن يجنوا ثمرتها . ويتعلقوا بنتائجها . متخذين منها دعامة لتصرفاتهم وأعمالهم . ومن هنا يتبين لك ناحية قد تكون شاذة من نواحى العقلية الانجليزية . خذ لذلك مثلا . نظام الحكم عندهم . ينظرون اليه على أنه أفضل النظم . لانه جاء وليد الاختبار الذى أثبت صلاحيته لذلك فهم يتمسكون به . وينتج من ذلك انهم لا يبالون المتناقضات . التى يوقعهم فيها أخذهم بما هو عملى ونبذهم لما هو نظرى . فتجد بلادهم جمهورية . وعلى رأسها ملك . وحزب الاحرار عندهم حزب محافظ . وحزب المحافظين لا يخلو من راديكاليين . وحكومة العمال الاولى كانت تضم بين أعضائها كثيرا من المحافظين . وقد يملأ الانجليز صحفهم التهكمية بالشكوى من الضرائب وهم فى نفس الوقت يقبلون على التبرع بسخاء لمساعدة المستشفيات . التى بدلا من أن تتكفل بها احدى الهيئات الرسمية ، يضطلع الافراد بمصاريفها وتكاليفها . وقصارى القول أن هذه العقلية تسلم بما تثبت التجربة أفضليته . لذلك فانهم ليسوا شعبا جامدا . رجعيا . بل هم بطبيعتهم ميالون لكل اصلاح وتغيير . طالما كان التغيير يحفظ اسم القديم ولا يكون تغييراً كليا ماحقا لكل آثار الماضى

والنظام ظاهرة بارزة عند الانجليز . الذين هم مطبوعون عليه وعلى حب التنظيم . وانك لتجد النظام هناك وقد شمل جميع نواحى الحياة . حتى لتكاد تجدهم جميعاً فى حركتهم وسكونهم كأنهم جيش منظم . يلزمون فى كل شىء نظاما خاصا . وقواعد تكاد تكون ثابتة . فلا تجد

هناك مثلا لوحات تحذير الشعب من السير فوق الحشائش . ومع ذلك فيستحيل عليك أن تضبط فردا واحدا يشذ عن هذه القاعدة . التى يتبعها بوحى من نفسه . كذلك لايمكن أن تقع جريمة بين الشعب . وتحت نظره . دون أن يبادر من تلقاء نفسه الى معاونة رجل الشرطة فى مهمته. لانهم يقدرون مهمته ويجلونها

والانجليز لم يتركوا شيئا فى حياتهم الا ووضعوا له نظاما مرعيا من الجميع على السواء وأنظمتهم ليست بالأنظمة الوضعية التى تحتاج الى قوة لارغام الأفراد على اتباعها . وانما هى أنظمة مصدرها وحى الضمير والذوق والعرف العام ، ذلك لأنها جاءت نتيجة لتربيتهم بروح واحدة ووفق مبادىء واحدة حتى كانهم صبوا فى قالب واحد ... أقول لكل شىء عندهم نظام ، للاكل نظام ، للزيارات نظام ، وللحديث نظام ، وللتعازى نظام ، وللتعارف نظام وهكذا كل مظهر من مظاهر النشاط الانسانى نظام مألوف من الجميع بحيث يتشددون فى مراعاته ، ويبلغون فى تشددهم هذا حد الاسراف غير المعقول احيانا .. خذ لذلك مثلا مسألة التعارف عندهم ، من نظامها أن الانجليزي قد تجمعه بالانجليزى ظروف كثيرة كظروف السفر معا فترات تطول أو تقصر ، ولكنها ربما تتكرر يوميا ، أو تأتى فترات متفاوتة متكررة ، وقد يجمعهما الجوار فى المسكن مدداً طويلة أو قصيرة ، فلا يمكن للواحد أن يتصل بالآخر بالحديث أو خلافه ، بل يظلان طوال الوقت الذي يتلاقيان فيه وهما متجانبان لايتبادلان عبارة واحدة ، أو يفكر أحدهما أن يوجه للآخر كلمة واحدة ، حتى يقيض الله لهما ثالث يقدمهما لبعضهما فيتم التعارف بينهما على يديه . . . ومن ذلك ماحدث مرة لأحد الأساتذة الأجانب وكان فى لندن ، وقد دعى ذات مساء الى حفلة عشاء عند أحد الأشراف ، وشاءت الظروف أن يجلس فى القطار الذي أقله وجها لوجه أمام انجليزي ظهر من ملبسه ومن الجهة التى يقصدها أنه من بين المدعوين ، فخطر للاستاذ أن يحاول مجاذبته الحديث ، خصوصا وأنه لم يكن يعرف الطريق بعد النزول من القطار الى منزل الداعى ، وسرعان ما لحظ الانجليزى هذا الخاطر ، فعمد توا الى كتاب كان يحمله ففتحه وعلائم الجد بادية على وجهه ثم أخذ يقرأ باهتمام خشى معه الأستاذ أن يقطعه عليه ، وهكذا ظل طوال الطريق على هذه الحال من الاهتمام ، لايمكن جاره من الاتصال به حتى انتهى بهما القطار الى محطة الوصول فسارع الانجليزي الى النزول ، ولم يجد الأستاذ بدأ من اللحاق به ، وفى أدب جم سأله الطريق الى منزل الداعى ، فحدق فيه الانجليزى بشىء من الامتعاض وقال له يمكنك أن تتبعنى ، وهكذا فى صمت عميق قطع معه المسافة الى المنزل المقصود ، واذ ذاك تقدم اليه الأستاذ بالشكر فلم يزد عن أن يجيبه بايماءة من رأسه مع ابتسامة صغيرة افترت عنها شفتاه . وتشاء الظروف أيضا أن يأخذ الأستاذ

مكانه الى جانب زميله ، وطبعا قام الداعى بأداء مراسم التعارف بينهما ، وسرعا ما أقبل الانجليزى على الاستاذ هاشاً باشاً ، يحادثه طول الوقت ويغمره بظرفه وأنسه ويتجاذب معه أطراف الحديث فى مختلف الشئون ، ولكن دون أن ينبس بكلمة أو اشارة الى ماحدث فى القطار أو الطريق كأن شيئا من ذلك لم يقع ، والاستاذ بين معجب ومنذهل . . .

وهكذا يملك عليك الاعجاب جميع مسارب النفس كلما أمعنت فى درس صفات القوم وعاداتهم فهم بلا منازع شعب متجانس المبادىء والعادات ، دمث الاخلاق ، على جانب كبير من الآداب والمجاملة ، ولكنهم فى ذلك كما فى كل شىء بقدر ونظام خاص ، فالمجاملة والتلطف لهما حدودهما ومواضعهما لايسرفون فيهما ، ولايتخطون حد المعقول ، وربما كان من الطريف أن أعرض لمقابلة طفيفة بين ماهم عليه من هذه الناحية وبين ماعليه غيرهم من الجنس البشرى ، مقتصرا فى ذلك فقط على موضوع المجاملة : خذ مثلا الامريكى فانه مبالغ فى مجاملته ذلك انه اذا وقعت عينه وهو فى المصعد على احدى أفراد الجنس اللطيف عمد توا الي قبعته يخلعها عن رأسه فى جلال المتعبد ووقار المتخشع احتراما للمرأة الماثلة أمامه ، بينما تجد السويسري مستلقيا على مقعده فى الترام أو عربة الامنيبوس ويرى احدى السيدات واقفة أمامه فلا يخطر بباله أن يخلى لها مقعده . . . ولكن بين هذا وذاك تجد الانجليزى يضع كل شىء فى موضعه ، فهو يتقبل الخدمة التى يقوم بها له رجل الشرطة او احدى العاملات باحدى المحلات التجارية دون أن يرفع قبعته لأحدها ولكنه لايغفل المبادرة بالتنازل عن مقعده لأية سيدة تقع عليها عينه وهى واقفة بالترام أو القطار

من ذلك يتبين كيف أن الانجليزي خلع عنه نير تلك المجاملات الجوفاء ووقف بها عند الحد اللائق المعقول

أما عن طريقة الانجليز فى تناولهم الطعام واستعمال الشوكة والسكين ، فهى بلا منازع موضع اعجاب الجميع بل هى مثل يحتذى وانموذج الكمال الذي يأخذ عنه الاوربيون جميعا

٢ — الغرور القومى عند الانجليز

هذه ظاهرة بارزة فيهم فهم على الاطلاق يعتقدون بانهم شعب ممتاز عن كل البشر وأن كل ماهو انجليزي آية الآيات وغاية الكمال ، والمؤلف يعدد فى كثير من المقتطفات التى اقتبسها من مختلف الجرائد والمجلات ، كل مايتيهون به على العالم أجمع مما فى بلادهم ، فمنتجاتهم ، وعاصمتهم ، وأراضيهم ، ومميزاتهم ونساؤهم وأنظمتهم وبالاجمال كل ماهو انجليزى لايمكن أن يجارى فى جميع انحاء العالم : الصوت الانجليزي أفضل صوت يمكن التقاطه واذاعته ، حديقة حيواناتهم تبذ كل

حدائق العالم فى نظامها وقيمتها العلمية وفى جميع الوجوه الأخرى ، مواصلاتهم أفضل مواصلات وكذلك الحال بالنسبة لصحافتهم وصورهم وقانونهم وقضائهم ونظم الامن عندهم ، والموظفين فى حكومتهم ، ومواطنيهم وعلمائهم ورجال الفن عندهم وجيشهم وبحريتهم الخ . . . حتى انهم يعتقدون أن الكمال لم يخلق الا فى بلادهم ومن غريب أمر هؤلاء القوم أنهم يعتقدون بان الاجانب يساهمونهم عن عقيدة صادقة هذا الرأي ، ويسلمون معهم بهذا الحكم ، فلا حاجة بهم لاستطلاعهم رأيهم فى ذلك على عكس الامريكي الذى لايتردد فى الاستفسار من الاجنبي عن رأيه الخاص فى أمريكا وكل ماهو أمريكي كأنه يشك فى مشاطرة الاجنبي رأيه فى اعتداده ببلاده وهنا يتبين لك مبلغ اختلاف القوم فى نظرتهم لقوميتهم عن سواهم من بقية البشر ، فالانجليز دون سواهم من بقية الشعوب يذهبون فى اعتقادهم الى أنهم مميزون من غيرهم من باقى الآدميين ، أما قوميتهم فهى تتمثل فى التحدث عن أنفسهم بخلاف الفرنسيين فان قوميتهم تتمثل فى تحدثهم عن فرنسا لا عن الفرنسيين

٣ — الانجليز وعطفهم على الحيوانات

ليس هناك من يجهل مقام العجماوات فى بلاد الانجليز فهى بلا منازع أسعد جميع حيوانات الارض ، يدلك على ذلك مايلفت نظرك عند ماتهبط بلادهم من الحرية والطمأنينة التى يتمتع بها الحمام فى حركاته وتنقلاته بين أقدام المارة مما لا يمكن أن تقع عليه عينك فى أية ناحية أخرى من أوربا اللهم الا فى محلات الاستعراض حيث تكون الطيور قد استأنست بالناس وألفت البشر ، وقصارى القول أن انجلترا هى جنة الطيور والعجماوات . فأين قططها المسمنة وما عليه من مظاهر الشبع والرى من قطط ايطاليا الناحلة العجفاء وقس على ذلك الخيل وبقية المواشى . والواقع لو أتيح لعجماوات الانجليز النطق لما وجدت محلا للشكوى بل لأعلنت عن كامل سعادتها ولست مبالغا اذا قلت بأنه بلغ من عناية الانجليز بها والسهر على توفير الراحة لها . أنك قد تجد فى بلادهم أن من أدركهم العوز من الطاعنين فى السن من الانجليز أكثر عددا مما قد يعوزها القوت من الحيوانات المسنة وهذه ظاهرة تنفرد بها انجلترا وحدها

ويروي المؤلف ماوقع له مرة مع جماعة من الانجليز والاجانب . جمعته بهم جامعة . وتناول الحديث بينهم فيما تناول من مواضيع شتى موضوع هذه الظاهرة فلم يسع المؤلف الا أن يعلن فى صراحة أن الانجليز قد بلغوا من رعايتهم للحيوانات مبلغ التطرف والشطط ولكى يؤكد قوله ساق لهم مثلا فقال : هبوا رجلا مسنا فى صحبة كلبه ضل الطريق فى مكان ناء منعزل . وقد ادركهما

الجوع . حتى أشرفا على الموت . واذا بعابر يمر بهما فتأخذه عليهما شفقة فيعمد الى محاولة انقاذهما بما يحمل معه من قوت ، واذ به يجد أن القوت لا يكفى الا لواحد منهما فقط بحيث اذا اقتسمه بينهما يموتان قبل ان يعود اليهما بطعام آخر فأؤكد لكم ان هذا الرجل ان كان غير انجليزي لا يتردد فى انقاذ الرجل المسن دون الكلب . ولا يمكن أن يخطر بباله . أنه بازاء مشكلة تدعو للتفكير اما اذا كان انجليزيا فقد يتردد بين أيهما ينجى . ويطول به التردد حتى ليفوت الوقت ويدركهما الموت قبل أن يقدم على نجاة أحدهما

هذا ما قال به المؤلف مخاطبا جلساءه ، وكم كانت دهشته عظيمة عندما أجاب الحاضرون من الانجليز بالاجماع وبلا أدنى تردد « طبعا لابد من نجاة الكلب أولا لأن الحيوان المسكين لا يستطيع أن يعبر عن حاجته »

اذن فلا غرابة اذا عرفت فداحة العقوبة التى ينزلها الانجليز بمن يقصر فى العناية بالحيوان فى بلادهم . فقد حوكم شابان لقتلهما فأرا حرقا على لهب شمعة . وأغرب من ذلك ما حدث فى سنة ١٩٢٧ من محاكمة أحد الأفراد . لأنه نفخ دخان سجارته فى وجه كلب ولا أدري لماذا لا تتذرع بهذا الحكم جماعة محاربة التدخين فيطالبون بمساواة بنى الانسان بالكلاب

فلا يسمح للمدخنين أن يؤذوا غيرهم بتدخينهم الذى ينعقد سحبا أمام وجوه اخوانهم فى المركبات والواقع أنه لما يدعو الى الدهشة أن يخصوا الكلاب والحيوان بجانب من الامتيازات لا يتمتع بشىء منها مواطنوهم من أبناء الفقراء المدقعين . فقد وقع فى يد المؤلف بعض تقارير من جمعية اسمها « أصدقاؤنا العجماوات » ورد بها بيان بعدد الاغطية التى صرفتها الجمعية فى شتاء سنة ١٩٢٨ و ١٩٢٩ ليتدثر بها الكلاب ، رفعا لعادية البرد القارس عليها بينما كان أبناء الفقراء فى نفس الوقت لا يجدون ما يتقون به وطأة البرد . من حذاء أو جورب حتى قعدت بهم الحاجة عن التوجه للمدرسة

ليس ذلك فقط بل أن الجمعية قامت بتهيئة ملجأ للكلاب الضالة . يثير حسد سكان الاحياء الفقيرة التى تسمى سلمز Slums

وفى هذا الملجأ جميع معدات الراحة التى لا تخطر ببال أحد أن يتمتع بها هذا الحيوان فالبناء على أحدث طراز صحى تتوافر فيه وسائل التهوية والتدفئة والانارة بالكهرباء مع نظام للمجارى . مما لا تجد منه شيئا فى مساكن الفقراء التى لا تبعد كثيرا عن موقع هذا الملجأ

انذهل المؤلف من كل ذلك وسرت اليه عدوى احترام الحيوان حتى أنه اذا نسى يوما فحاول أن يعطى قطته درسا فى الامانة بان يلطمها لطمة خفيفة ليحول بينها وبين ما تريد اختطافه من طعامه

يخيل اليه أنه تعدي على حرمة القانون وواجب أن تنزل به عقوبته

وأنه أن ينس لاينسى ماوقع له يوما من سيدة انجليزية كانت فى ضيافته . وقد حاول أن يجلس فى مقعد كانت تحتله قطته فعمد الى طردها وأخذ مكانها فقد بلغ من تقريع السيدة له على فعلته ما وقر فى نفسه أنه لم يكن جديرا باقتناء هذا الحيوان المحترم بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك فقد ظل المسكين عدة أيام متوالية يفزع كلما طرق باب داره طارق مخافة أنه يكون الطارق مفتش جمعية الرفق بالحيوان قد جاء لمجازاته

لهذا فاننا لا نستغرب البتة نفور الانجليز من عرض ألعاب الحيوانات المستأنسة ، وحجتهم فى ذلك ان المدرب عند الزامه لها بتأدية لعبة ، أو حركة معينة ، انما يملى عليها مالا يتفق مع ارادتها مما يؤثر فى أعصابها تأثيراً سيئا . . . . هكذا عقلية الانجليز من هذه الناحية ، حتى انها أباحت طلب محاكمة أحد المزارعين لأنه فى سنة ١٩٢٨ ، عمد إلى ذبح بضع بقرات ، على مرأى من بعضها مما اعتبرته جمعية الرفق مؤذيا نفسيا وجثمانيا . ولحسن الحظ لم يصدر الحكم بادانته ، لأن هذا الحد من صرامة قوانين جمعية الرفق لم يجزه القضاء بصفة عامة

والجمعيات التى من شأنها تعزيز حقوق الحيوان ، وتفضيلها على حقوق الانسان كثيرة العدد فى بلاد الانجلز ، وهى بخلاف الجمعيات الأخرى التى وظيفتها منع اجراء التجارب العلمية والطبية فى الحيوانات ، فان هذه الجمعيات لا تقر تعذيب الحيوان ، حتى ولو كان من وراء ذلك خير للانسان ، كالوصول إلى تقرير علاج لبعض الأمراض العضالة فى الانسان كما أن هناك جميعيات أخرى لحماية الطيور ، لما لها من الأثر فى تجميل حياة الانسان

ويذهب بعض الذين أرادوا تحليل هذه الظاهرة من نفسية الانجليز ، الى انهم ينزلونها هذا العمل من الاعتبار ، ويمدونها بهذا القدر الباهظ من العطف . لقوة الشبه بينها وبين الانجليز فكلاهما يحب السكون ويلازم الصمت

والو قع انك اذا اردت أن تقف منهم على علة هذه العناية ومصدر هذا العطف لرجعوا ذلك إلى حرمانها من موهبة النطق وعجزها عن التعبير عن حاجتها

أما نزعة الانجليز الى ملازمة الصمت وتحاشي الاسهاب ، فانها أصبحت لديهم بمثابة عادة ثانية لكثرة ماراضوا أنفسهم عليها . ولكن ان كان يثير اعجابك أن ترى الانجليزى يصمد ، لكل العقبات التى تعترضه ، ويتحمل متاعبه بصبر منقطع النظير . فيبدو فى أحرج مواقفه بنفس هادئة ووجه باسم ، بينما ترى الفرنسى فى مثل موقفه يصخب . ويكثر من الحركات والتلويح بيديه . فلا تنسى ما تجره عليهم هذه العادة من أضرار . فالاجنبي يستغلها فيهم . ويتخذهم بسببها آلة لأغراضه

فنى بلادهم يجنى الاسكتلنديون وأهل ويلز ثمرة تجارتهم . وهم لايتذمرون . وكم فان الايرلنديون يقفون عثرة فى سبيلهم حتى أتيح للانجليز أخيراً التخلص منهم بمنحهم الاستقلال الداخلى . ولا يقتصر الامر على ذلك بل يتعداه الى الامور الخارجية والمسائل الدولية فان الدول الاخرى كثيرا ما تخدعهم وتستغلهم أشد استغلال لخدمة مآربها

وللتدليل على ذلك . يرجع بنا المؤلف الى الحرب العظمى . وموقف انجلترا فيها وماعاد عليها به هذا الموقف من كسب

لقد كان شباب الانجليز المشبع بالمثل الاعلى وروح التضحية ، يتطوع فى هذه الحرب الطاحنة فى سبيل انقاذ دولة البلجيك الصغيرة الجريئة التى استبسلت فى وجه ألمانيا العاتية فماذا كان نصيب انجلترا بالقياس لغيرها ؟ لقد ربحت بلجيكا الصغيرة الجريئة ، التى كسبت عطف انجلترا بشجاعتها ، فجعلتها تجود بالنفس والنفيس . خرجت من أوربا بحصة الاسد من أرض ألمانيا وبمطامع أخرى فى جارتها الشمالية . وبذلك أصبحت خطرا على السلام الاوربى الذي تتطلبه سلامه انجلترا وليس هنا فقط بل ان بلجيكا كانت فى مقدمة الدول التى بدأ فيها الانتعاش بعد الحرب بينما انجلترا لا تزال حتى اليوم تسدد فى ديون الحرب التى عليها لامريكا . وتبذل جهدها لوقف تيار العطلة فى بلادها . . . . هذا من ناحية بلجيكا أما من ناحية فرنسا فقد استغلت انجلترا لجرتها للحرب الى جانبها ضد المانيا مستعينة على ذلك بالفكرة التقليدية التى نبتت فى عقول الانجليز . من عهد بعيد عن عدم السماح باخلال التوازن الدولى فى أوربا من جانب دولة عسكرية قوية كألمانيا يمكنها أن تكون خطرا داهما على انجلترا اذا هى احتلت الجزء من الشاطىء الاوربى المواجه للأراضى الانجليزية . بينما كانت نية فرنسا أن تحطم فى ألمانيا منافسا قويا لها فى تجارتها . ونسيت انجلترا انها بوقوفها الى جانب فرنسا قد حققت لهذه الاخيرة كل أغراضها . ولم تقف عند هذا الحد فحسب بل جعلت منها أكبر خطر يهددها ويقف فى وجهها . كأنها عملت على الحيلولة بين استيلاء ألمانيا على الساحل الاوربى المقابل لبلادها . ومكنت حليفتيها البلجيك وفرنسا من ذلك . وكلتا الدولتين يتبعان نظاما واحدا فى تنظيم قوتيهما العسكرية . أما كون فرنسا أصبحت قوة عسكرية هائلة فواضح من اتساع نطاق سلاحها الجوى الذى عمدت الى تدعيمه بفضل رخص الايدى العاملة فى بلادها . ومظاهرها بالفقر المالى حتى توصلت الى عمل تسوية لديونها مع انجلترا . هذا بخلاف خطر أمريكا عليها

والانجليز أنفسهم يشعرون بهذا الضعف فيهم . ولا يغيب عنهم حقيقة استغلال الدول لهم

والظاهر انهم راضون عن هذه الحالة . مما جعل موقف انجلترا الآن غيره ايام كان جون بول يتحدى اربع اركان المعمورة

والمتتبع لمسلك الانجليز ازاء العجماوات التي اتخذوها أولا أصدقاء ثم أسرفوا في رعايتها حتى أصبحت تبدو وكأنها لهم أسيادا ، ان المتتبع لهذه الظاهرة عندهم لايتردد في نعتهم بالرياء والنفاق عند مايجدهم يبيحون الى جانب ذلك صيد الارانب وقنص الثعالب والوعل حتى لترى رؤساء الشرف لجمعيات الرفق بالحيوان يقضون وقتهم مابين الاشراف على هـذه الجمعيات والاشتراك في هذه الألعاب الدموية ، فأى تناقض أبرز من أن يحمل الانجليز على مصارعة الثيران في اسبانيا وصيد الحمام فى مونت كارلو بينما هم يمارسون صيـد الأرانب والثعالب والوعول فى بلادهم ، ويجدون فى هذا النوع من الرياضة لذة وفروسية

لقد تضاربت الأقوال في تعليل هذا التناقض ، فمن قائل بان هذه الرياضة مقصورة على طبقة لارستقراط وهى من البقية الباقية من امتيازات هذه الطبقة ، التى أبقت عليها انجلترا التقليدية شأن غيرها من التقاليد الأخرى ، ومن قائل بان الانجليز بتدليلهم العجماوات ، وتوسيع دائرة حقوقها عليهم يعانون رد فعل نفسى ، ورغبة مكبوتة فى نفوسهم للسيادة عليها ، فلا تجد هذه الرغبة منفذا للظهور الا على هذا الوجه

٤ ـ الكبت عند الانجليز

يتميز الانجليزي عن بقية البشر بقوة ضبط نفسه ، فهو أقدر الآدميين جميعاً على كبح جماح نفسه وكبت رغائبه ، وقد بلغ من ذلك مبلغا امتد الى غريزته الجنسية حتى ان دور المراهقة عندهم أطول منه فى أى بلد آخر . وقد يعدو الشباب الانجليزى طور المراهقة دون أن يجد من ينوره أو يوقفه على سر هذا التغيير الذى يحسه على أثر نمو جسمه وظهور غريزته الجنسية فى اكمل مظاهرها لأن الآداب العامة والعرف هناك يحول دون طرق هـذه المواضيع فى أوساطه وبيئته ، حتى انه ليبلغ سن الثلاثين من عمره دون أن يكون له أى اختبار فى هذه الناحية . . ،

الى هذه الظاهرة النفسية يعزى حياء الانجليزى وفتور المرأة الانجليزية ، وصرامة قانون عقوباتهم وميلهم الى أخـذ المخالفات للآداب العامة بمنتهى القسوة ، لأن هذه الشدة تفسر رد الفعل الناتج من كبت الغريزة الجنسية . . . ولم تفت الانجليز نتائج الكبت هذه لذلك هم يهيئون منفذا لكبتهم لغريزتهم فى التسامى اذ يستغلون رغباتهم المكبوتة فى ممارسة الفنون والألعاب الرياضية . . . وعدد النساء هناك يربى على عدد الرجال بكثير وهذا سر زيادة عدد العانسات . . .

وقد يذهب الرجال والنساء فى اختلافهم الى أقصى حدود الاختلاط دون أن تخشى المرأة على نفسها نزق الرجل وطيشه لما هو معروف عنه من قوة ضبط النفس

٥ ـ تخلف الانجليز عن غيرهم في الدهاء والذكاء

لايعتد الانجليز بحدة الذكاء اعتدادهم ببروز الشخصية ، بل انهم يخشون الذكاء الخارق لأنه يعتبر عندهم شذوذا عن المجموع الذين يحرصون على وحدته لذلك فقد يبدو لك أن الانجليزى غير ممتاز عن غيره من ناحية الذكاء ، والانجليز على العموم ينهجون فى سياستهم التعليمية منهج تربية الشخصية لامنهج حشو الأدمغة بالمعلومات العامة ، ويسوق المؤلف لاثبات ذلك ماحدث له مع أحد الانجليز الذى التقى به باحدي الفنادق فى مدينة فلورنسا بايطاليا . وقد مال عليه الانجليزى ليسأله أن يرشده على نهر البو على زعم أن هذا النهر يخترق مدينة فلورنسا ، فدهش المؤلف لقصور معلوماته الجغرافية فى هذه الناحية وقد هون عليه مايعلمه شخصيا من عدم قابليته الطلبة بوجه عام تقريبا لعلم الجغرافية

والانجليز أنفسهم يسلمون بان الأجانب أوفر منهم مهارة وأكثر دهاء وأن لهم فى ذلك أساليب شيطانية تغيب عن علمهم ويدللون على ذلك بما كانت تدبره المانيا من خطط جهنمية فى الخفاء تمهيدا لاثارة الحرب العظمى وهم غافلون ، وبما كان يعمد اليه الاجانب من تكديس بضائعهم لاغراق الاسواق الانجليزية وشل حركة بضائعهم وغير ذلك من الوسائل التى لايقبل الانجليزي أن يلجأ اليها حتى ولو كان ذلك فى مقدوره

والانجليز يعترفون بتخلفهم عن بقية الشعوب فى سهولة تعلم اللغات الاجنبية وربما كان ذلك راجعا الى كونهم أقل ذكاء منهم ولتلك تدهش عندما تجد أن هؤلاء القوم الذين يشعرون بصعوبة لغتهم وبالتالى بصعوبة تعلم لغات غيرهم من الاجانب تدهش عندما تجدهم يتعلمون اللغات الشرقية باكثر سهولة اذا ما تخطوا قناة السويس وليس أحد ينكر صعوبة تعلم هذه اللغات بالنسبة للغات الاوربية ولكن السبب فى ذلك ليس ببعيد . فوجود الانجليزى فى مستعمراته حيث يشعر بكامل سيادته على من حوله يحفزه على تعلم لغة من يسود عليهم وهو اذا وجه عنايته لامر أتقنه لذلك سرعان مايجرى لسانه بلغة القوم غير عابىء بصحة عبارته طالما كانت أوامره مطاعة وقوله نافذاً . ولايريد المؤلف أن ينقص من ذكاء الانجليز ولكنه يقصد أن يقول بانهم لايمتازون عن غيرهم من الشعوب من جهة الذكاء وأن ذلك لايمنع من أن يكون لهم فى المستقبل شأن آخر غير هذا الشأن .

ومما يؤخذ على الانجليز تأخرهم فى فن العمارة ، وربما كان السبب فى ذلك راجعا إلى تمسكهم بالتقاليد ، وميلهم الى الاحتفاظ بالشكل والاسم القديمين

٦ - القانون الانجليزى

لئن طغت موجة التغيير والتجديد على انجلترا . فاخذوا يرحبون بمقدم السائحين بدلا من أن يعتبروهامنهم اذ سمحوا للاجنبي بالاقامة بارضهم بضعة أيام وأسندوا الى الاجانب بدلا من الانجليز، اعمال الخدمة بالفنادق وغيروا نظام الطهى بما يجعل الاجنبي يحمل للاقامة عندهم جميل الذكرى، اذا تم كل هذا التغيير وامتد حتى شمل كل شىء ، فان شيئا واحدا سيظل فى انجلترا لا يعتريه تغيير أو تبديل ذلك هو نظام الادارة القضائية ، فالانجليز يفخرون بقضائهم ويعتزون به ، ويحافظون على تقاليده بل ويذهبون الى أنه انموذج القضاء فى العالم أجمع مما لا يقرهم عليه أحد من غير الانجليز . لغموض قانونهم وتعقد أساليبهم القضائية ، حتى ان من يوقعه سوء الطالع فى مشكل ، يضطره للالتجاء الى القانون ، لا يجد مندوحة من الاستعانة بعدد من أهل الخبرة فيه يزداد أو ينقص بقدر مراحل الدعوي ، ويلقى من تعنت رجال القانون مايضيق له الصدر لاتخاذهم من مهنتهم احتكارا شديد الوطأة على المتقاضين كثير التكاليف عليهم بحيث لا يستطيع الانجليزى أن يعرف من تلقاء نفسه ما يجب عمله فى أبسط المشاكل دون أن يلجأ الى رجال القانون يستفسرهم ويستشيرهم بخلاف الفرنسى الذى له من مجموعة قوانينه خير مرشد يرجع اليه وما أسهل أن يستخرج منه المادة التى يحتاج اليها فى صدد موضوعه . ولكن القضاء الانجليزى له ميزات ثلاث : نزاهته وسرعته فى الفصل فى الدعاوى وصرامة أحكامه . أما نظام المحلفين فهو مصدر عناء للانجليز كما هو كذلك بالنسبة للامم الغربية الاخرى ومع ارتفاع شكوى الامم من مساوىء النظام تجد الانجليز يتعلقون به ويكبرون شأنه لما يذهبون من أنه يكفل عدم تحيز القضاة . ونظام القضاء عندهم لا يبيح اصدار حكم المحلفين بعدم كفاية الادلة . كما يفعل الاسكتلنديون ، ولا أن يكون حكمهم بحسب الاغلبية بل يجب أن يكون بالاجماع

وتقوم وجهة نظر القضاء فى المحاكمة على تناول الفعل موضوع الدعوي دون الفاعل فلا يتعرضون لشخصه وأخلاقه وأصله وماضيه على نحو مايفعل القضاء الفرنسى الذي لا يفصل الفعل عن الفاعل لما لشخصية الفاعل من الأثر فى اتيان الفعل موضوع الاتهام

ومن هنا سرعة الفصل فى الدعوى اذ لا يحتاج الامر لحجز المتهم رهن التحقيق الذى يتناول التحرى عن حالته وحياته بل يساق المتهم فورا للمحاكمة عما اسند اليه ويعقب ذلك اصدار الحكم

فورا بادانته أو ببراءته ، أما صرامة أحكام القضاء الانجليزى فمصدرها تجرد العقلية الانجليزية من فكرة احتمال كون المتهم ضحية الظروف أو ضحية المجتمع . والاجماع منعقد هناك على ضرورة أخذ المجرم بالشدة حتى أن صدور الحكم فى بعض الحالات باحالة المجرم الى مستشفى المجاذيب بدلا من المقصلة يعتبر تراخيا من القضاء يقابله الرأي العام بعاصفة من السخط ولذلك فان العقوبة التى ينزلها القضاء الانجليزى بمرتكب جرم ما ، اشد صرامة منها فى اى بلد آخر ، ولسبب الجرم نفسه وقد لا تجد اجماعا على عقوبة الاعدام . بل وتحبيذا لها من أى شعب غير الانجليز . ويلى القضاء من حيث المنزلة والاعتبار عندهم رجال الشرطة وقاتهم نصيب الشعب فى معاونته على واجبه التى لها خط كبير فى نجاح مهمته

وانجلترا كما قدمنا بلد المتناقضات فبينما يحرم القانون بعض الافعال ، اذ تجدها تباشر فى ظل القانون — ولا نعجز عقلية القوم ، أن تجد لذلك مبررا لا ينقص مما يدعونه من كمال قانونهم — كالمراهنات العلنية فى الشوارع مثلا . فانها محرمة قانونا مع أنه يكاد يكون لكل انجليزى نصيب فى يوم دربى ، واللوتريات لا يجيزها القانون مع أن السباق الذى هو شكل آخر للوتريات مباح كل الاباحة ، واغلاق المحلات التجارية يوم الاحد محتوم بامر القانون ولكن لا يمارسه الا من كان على استعداد لذلك ولم يكن هناك نص من القانون

٧ ـ الانسجام عند الانجليز

يكاد يكون كل شىء فى انجلترا يجرى وفق نظام مقرر للجميع لا يشذ عنه أحد ولا يخرج عليه فرد منهم حتى أنك تجد ملاهى أحدى الضواحى لا تكاد تختلف عن ملاهى الاخري وتجد من حرص الشعب على أن يسير كل شىء على نمط واحد ماتدهش له . فقد أراد مرة أحد زعماء المعدنين فى سنة ١٩٢٩ أن يبقى فى أحد مطاعم هولبرن بدون أن يلبس سترته . فأرغم على الخروج . وهكذا تجد هناك كثيرا من الاعمال يمارسها الجمهور لا لسبب الا لانها مألوفة فاذا تجارى أحد على الخروج على المألوف فى شىء من خصائصه وجد معارضة شديدة لاعادته الى حظيرة العرف المألوف . وانك لتركب احدى سيارات الامنبوس مثلا فتشاهد كل من سبقوك الى الركوب قد جلسوا الى جانب اليسار دون أن يسير واحد منهم فيشغل مكانا على الجانب الايمن ، بينما يرى مكانا خاليا من الجانب الايسر فاذا أردت أن تعرف السبب فى ذلك وجدت أن الركاب يجلسون على اليسار أسوة بغيرهم ولذلك تجد الحياة هناك متجانسة حتى بلغ من تعلق الانجليز بهذا التجانس أن طرحوا ظهريا حدة الذكاء التى يخرج صاحبها عن دائرة التجانس مع الآخرين . ولكن هذا التجانس الذي تلمسه

فى طبقات تلك الامة تجده مفقودا ازاء الدين حيث يختلف الشعب جماعات لكل جماعة ماتراه من أساليب وطقوس عبادتها دون أن تجد معارضة أو نقدا من غيرها والواقع أن الحكم على الانجليز اختلف من هذه الوجهة فهناك من يعتقد بانهم متدينون غيورون على عبادتهم ، وهناك من يحسبهم لايقيمون للدين وزنا ، اذ يؤدون شعائرهم بافواههم لا بقلوبهم . وحقيقة الأمر ، أنه لايمكن بحال الاقتصار على عصر واحد من العصور التى اجتازتها انجلترا للحكم على موقفهم إزاء الدين فقد أتى، عليهم حين من الدهر ، كانوا شديدى التدين كما أتى عليهم حين آخر ، كان الدين لايصل الى أعماق نفوسهم فكانت الكاثوليكية تسود حينا والبروتستانية حينا آخر ويتبع كل حالة كثير من أعمال التعصب والاضطهاد الا أنها كانت تخالف ما كانت عليه فى البلدان الأخري من حيث الوازع لها اذ كان سياسيا أكثر منه دينيا . والروح الدينية فى انجلترا ليست على حالة واحدة من الاستقرار بل ينتابها التغيير والتبديل خلال العصور المختلفة فبينما كنت تري فى القرن الثامن عشر ظهور روح تطهير الدين ورجاله من سلطة الأمور العالمية ، تجد القرن التاسع عشر يتميز بطغيان المادة على الدين حتى كان رجال الدين يمارسونه كأنه مهنة من المهن ولا يزال الأنجليز للآن معنيين بامور الدنيا منشغلين بها عن أمور الأخرى ولكنهم فى ذلك يمتازون عن سواهم بتحليهم بصفات عالية وخلق متين فضلا عن نظرتهم للدين نظرة علاقة بين الانسان وخالقه فهى فى عرفهم مسألة شخصية لادخل لأحد فيها فهم يعملون بروح واحدة وفكر واحد دون أن يكون للعقيدة الدينية أثر فى ذلك . بينما تجدهم لايتسامحون فى خروج أحد منهم على العرف والمألوف فيما عدا ذلك . والمتباهى بذكائه وثقافته فى أثناء حديثه مرذول مستهجن يواجهونه بكل امتعاض . والشيوعية عندهم كذلك مبغضة لخروجها على مبدأ الحرية الشخصية ومبدأ الملكية

ولقد شغل الشعب هناك الأمور العلمية وأبحاثها عن الدين حتى أنهم لايؤمون الكنائس يوم الأحد الا جريا وراء فصاحة الواعظ أو بلاغته دون الاهتمام لمذهبه وهم اذا ولجوا الكنائس بدوا خاشعين ولكنهم اذا انصرفوا منها انصرفوا عما يتعلق بالدين والظاهر أن خضوع الكنيسة للدولة جر وراءه خضوع الأخرى للدنيا . لذلك قد تدهش اذا علمت أن للبرلمان والعلم الأنجليزى فى نفوس رجال الدين مكانا أفضل مما للانجيل والصليب . وأكبر عقبة فى سبيل التقدم جمود زعماء الكنيسة ووقوفهم سدا منيعا فى طريق اصلاح نظام الطلاق وتحديد النسل والتهذيب الجنسى . ولكن رجال الدين الكاثوليكى هناك متسامحون كثيرا عن أمثالهم فى البلاد الأخرى فهم يتغاضون عن زواج الكاثوليكى بالبروتستانتية طالما هما يتعهدان بتنشئة اطفالهما على المبدأ الكاثوليكى

ولا ننسى أن كاثوليك انجلترا انضموا الى دولتهم عندما شجر النزاع بينها وبين البابا مفضلين القومية في ذلك على الدين . ولذلك لا تربطهم بالباباوية أدنى رابطة وكنيستهم لم تحتفظ الا ببعض الطقوس الشكلية كاللباس واستعمال البخور والشموع

وقصارى القول فان الكنيسة فى انجلترا رغم كل ما تقدم ستظل ثابتة الدعائم ، قائمة فى وجه كل التيارات والأعاصير

٨ ـ الانجليز شعب ناضج السياسة

يواجه الانجليز فى حياتهم العامة ، كثيرا من المشاكل شأن كل الشعوب الأخرى، ولكنهم من دونهم جميعا ، يمتازون بالنضج والمرونة والاتزان ، فتراهم يعالجون مشاكلهم ، فى حزم وأناة ويخرجون من جميع أزماتهم . وألوية النصر لهم معقودة ، فلا ثورات ، ولا اضطرابات ولا عواصف جامحة أو انقسامات . ذلك لأنهم شعب متماسك، يقوم لما يعتلج صدره من مختلف النزعات والمشاعر يكاد يحس ويفكر ويعمل كرجل واحد

فالننظر الآن موقف هذا الشعب إزاء مشكلتين خطيرتين ، تعرضان الآن لكل دول أوربا ، مشكلتين داخليتين ، وهما مشكلة تقرير السلم ، ومشكلة تقرير الديموقراطية . فقد عرضتا هاتان المشكلتان لانجلترا فعالجتهما حتى وفقت لحلهما . بما سجل لها نضوجها كشعب رصين . يعرف كيف يعالج مشاكله مهما دقت . بينما أخذت الدول الأخرى إزائهما تتخبط فى دئلها وحلولها . وهى تكاد تجمع على اعتناق مبدأ الديكتاتورية تحت أشكال وأسماء مختلفة لذلك لم تستح هذه الدول أن تنقل عن بعضها أسوأ ظواهر النظم التى تطغى على الحرية الشخصية كالنظام الفاشى الذى نقلته دول كثيرة عن ايطاليا . حتى فرنسا الديموقراطية لم تخل من طائفة من بينها تطوف بأحلامها ومخيلتها صورة الدكتاتورية التى تقوم على الارهاب والتنكيل بمعارضيها كما هو الحال الآن فى ايطاليا وألمانيا وروسيا وغيرها

وربما كان التحول عن الديموقراطية إلى الديكتاتورية راجع إلى ما ظهر من فشل الديموقراطية خصوصا فى البلاد التى لم يتم نضجها السياسى . فقد تنبهت الأفكار إلى أن ما هو قائم من حكم الشعب ، انما هو صحيح من الناحية النظرية والصورية. أما من الناحية العملية فانه بعيد عن ذلك . والواقع ان حكم الشعب بواسطة الشعب نفسه ، ولأجل الشعب يكاد يكون أمرا مستحيلا . ولذلك فلا غرابة إذا ما قيل بأن الديموقراطية بشكلها الراهن ، هى اسمية وصورية . وهنا أخذ المؤلف يستعرض أساليب الحكم الديموقراطى فى مختلف الدول . مبتدئا بفرنسا . فعاب على برلمانها أن أعضاءه بدلا من

توجيه جهودهم لتعضيد برنامج قومى عام، تجدهم مسخرين كلا منهم، لأغراض دائرته وربما لأغراض فرد من أفراد دائرته . مما يؤدى الى اصطدام المصالح الاقليمية بالمصالح العامة للبلاد . هذا ما يقوله عن فرنسا التى يعتبر حكمها الديمقراطى أقل ضررا منه عند سواها

ثم يشير الى الدانمرك . حيث يقوم النظام فيها على أساس التمثيل النسبي للهيئات والمصالح فى مجلس العموم فيضع الاهتمام بالمصلحة العامة وسط مختلف هذه النزعات والألوان النيابية والمبادىء المتمكنة أما فى انجلترا فتجد المبادىء العامة المتغلغلة فى نفوس الشعب أفرادا وجماعات حاكمين ومحكومين . هى أكبر عامل على تدعيم نظامهم الحكومى الذى يقوم على أساس نظامهم فى الحياة وهذا هو السر فى عدم ظهور النظام السوفيتى أو الفاشى هناك . فالملك يمثل مصدر السلطة . ولكن السلطة فى الواقع ليست فى يديه . فهناك الحكومة والبرلمان . أما الحكومة ففيها من هيئة الموظفين الدائمين الذين يضطلعون بأكبر نصيب من اعبائهـا . من يمتازون بنزاهتهم . وادراكهم لواجباتهم وتقديسهم لها وما يجعلهم فى مصاف أحسن طراز من هذا النوع فى العالم . ذلك للدقة التى تراعى فى اختبارهم

والى هذه الفئة ترجع القوة التنفيذية للاستئناس برأيها فيما تضعه من خطط سياسية . أو يعتد برأيهم كثيراً فى المسائل الادارية لخبرتهم فيها التى تفوق خبرة الوزراء . ولذلك فانه يمكن القول بأن أعمال الحكومة خاضعة لمراقبة هذه الطائفة (Civil Service) من ناحية ولمراقبة البرلمان من ناحية أخرى وذلك عن طريق الاستجواب والأسئلة التى يوجهها للحكومة . والبرلمان مكون من مجلسين . مجلس اللوردات وأعضاؤه وصلوا إلى هذه المرتبة اما بالميراث أو بوسائل أخري . ومجلس العموم وعدد أعضائه ٦٠٠ عضو منتخبين بواسطة جماعة الناخبين . فى دوائر لايراعى فيها المساواة لا فى عدد السكان ولا فى المساحة ويراعى الناخبون فى اعطاء أصواتهم للمرشحين . ماقام به المرشح من تنفيذ وعوده فى الدفعات السابقة . أو سياسة الحزب الذي ينتمى اليه . وان كان ليس لذلك فى الواقع الأثر المطلوب . وتخضع الحكومة أخيرا للرأي العام وهو يتمثل فى الصحافة . والمجتمعات والعرائض . ويبلغ من سلطان البرلمان على الحكومة أنه يستطيع فى أى وقت شاء اسقاطهـا . إذا صوت ضدها ، ولكن لا يغيب عن الذهن . ان نظام الاحزاب يجعل وقوع ذلك نادرا جيدا . أما سلطة الرأى العام فهى مباشرة ولو أنها سلبت أزاء سياسة الحكومة

من ذلك يتبين أن نظام الحكم فى انجلترا يمكن أن يقال عنه فى ضوء الديمقراطيـة الصرفة ، ديكتاتورية مخففة . وعوامل تحقيقها ترجع إلى سلطة الرأى العـام عليها وحق الأمة فى المعـارضة (Veto) والواقع ان الديمقراطية بمعناها الحقيقى لا يمكن أن توافق العصر الحالى ، لأنها تفسح

السبيل فى الحكم لحب الذات . وعدم الكفاءة . أما الحكم القائم على النظام البرلمانى فانه يفسح المجال لحكومة مقتدرة طموحة . أما الكفاءة والمقدرة ففى هيئة الموظفين الدائمين . وأما الطموح فيتمثل فى رجال السياسة . وربما كان السر فى تشابه سياسة الاحزاب التى تتولى الحكم راجع الى نفوذ الموظفين الدائمين فى وزارة الخارجية فقد كانوا موضع ثقة المستر ما كدونالد . أكثر من أى رئيس حكومة آخر سبقه . وعلى العموم فمن حسنات هذا النظام انه يكفل التقدم وان كان بطيئاً

ويمتاز نظام الحكم فى انجلترا بتوافر الثقة المتبادلة بين الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة فمثلا يعترف للملك بسلطة مطلقة ، والثقة معقودة ، على أنه لايتعدي عمليا الحدود التى رسمتها له التقاليد . وكذلك الحال بالنسبة للحكومة وهيئة الموظفين الدائمين . فانها لا يمكن أن تتخطى الحدود المقررة للسلطة المخولة لها . هذه الحدود التى لا تقوم ضمن قانون مكتوب ولكنها ترجع الى الشعور العام . والى ضمير هذا الشعب أفراداً وجماعات . مما يكفل الحرية للجميع ويدل على نضج الامة سياسيا . ونظام الحكم الانجليزى ينفرد بكونه نظاما طبيعياً . فكما ان الجسم السليم يساعد الجروح البسيطة على الالتئام بفضل حيويته الكاملة . وكما أنه يجعل صاحبه يتحاشى مايضره بفضل احساسه الدقيق إذا ما وقع تحت مؤثر ضار . فان الشعب الانجليزى بفضل ما اكسبته الآلام والمتاعب من حكمة وحزم . تراه عند قيام أول انتخاب عام يعمد الى سحب ثقته ممن أساءوا حكمه دون رحمة ولا تردد . واذا ما أحست الاقليات سوء الحكم بالنسبة لها . فانها لا تعتمد أبدا إلى وسائل العنف فى اظهار ذلك الأثر . بل لهم من الوسائل السلمية الأخرى ما يجعلهم يعلنون عن مظلمتهم . ولما كان الشعب مطبوع على روح التسامح والدعة التى ولدتها فيهم الحرية ، فان هذه الروح تعين مواطنيهم على التمييز دون عناء . بين الشكوى الحقيقية والتذمر المكتوم الذى تبعثه الاهواء لذلك فلن تنجح الدكتاتورية هناك . أما الشيوعية فهى أبعد الانظمة جميعا عن مبادىء القوم . أما الفاشية فان سير تشامبرلن يعجب بها كثيرا حتى بلغ من اعجابه بها وبموسولينى وايطاليا الجديدة ، انك تجد صورته بمكتب السنيور موسولينى . ولكن لا تنس ان المنطق ليس له سلطان على العقلية الانجليزية . فقد يعجب سير تشامبرلن بايطاليا الفاشية ولكنه لا يميل الى وجود الفاشية فى بلاده

أما مشكلة صعوبة تقرير السلم . فما أشبه الحالة الآن ، بما كانت عليه قبل الحرب العظمى . فقد انفجرت الحرب وسط نداءات السلام التى كانت تنبعث من محكمة العدل الدولية فى لاهاى . وها نحن اليوم لا يكاد يمر يوم دون أن تتطرق الى آذاننا طنطنة السلم المنبعثة من عصبة الامم . التى

منيت بالفشل التام فى كل ما كان معقودا عليها من الآمال . حتى أصبحت فى نظر الجميع لاتتعدى مكتباً من المكاتب لتبادل الاخبار الدولية . وسيظل هذا شأنها . طالما كانت كل دولة تتعصب لسيادتها وجنسيتها وترتكب كل المساويء فى سبيل هذه السيادة والجنسية . تلك المساويء التى تخلع عليها اسم الشرف لارتكابها فى سبيل الدولة والقومية فمحال أن تقوم الوحدة بين دول هذا شأنها فى جامعة كجامعة الامم أما عند الانجليز ففكرة الوحدة تسمو على فكرة القومية بين جماعة الامم البريطانية التى ستتكون منها الامبراطورية

فبينما كانت الامبراطورية الألمانية تضطهد البولنديين والفرنسيين . والدول التى أنشئت بمقتضى معاهدات سنة ١٩١٩ تضطهد مافيها من الاقليات ، فان المملكة المتحدة لاتعرف شيئا عن هذه الظاهرة . فالاسكتلنديون وأهل ويلز يكونون قوميات حرة الا أنها تشاطر الانجليز الشعور بانهم رعايا بريطانيين وهكذا يشعر أعضاء الامبراطورية بانهم مواطنون فى الكومونولث وهذا الشعور عامل قوى لتدعيم الوحدة بين الامبراطورية يشد بناءها ويزيد رابطتها والعوامل الاقتصادية من ورائها توطد دعائمها وهذا هو السبب فى أنك لاتجد أثرا للحواجز الجمركية بين هذه الأمم ، ولايمكن أن تقف مع الحياد اذا اشتبكت احداها فى حرب ولايخشى على هذا الاعتقاد السائد عقول المواطنين البريطانيين من الزوال يوما ما لأن العقلية البريطانية لاتسلم بطغيان فكرة الدولة على فكرة الأمة . ومما تقدم يمكن القول بان جامعة الأمم البريطانية هى أفضل انموذج يتخذ لتنظيم عصبة الأمم الدولية على غراره . وانجلترا هى وحدها التى بمؤهلاتها وانظمتها ومميزاتها تستطيع أن تقود العالم أجمع الى الوحدة والسلام

٩ ـ نظرة الانجليز الخاصة للحياة

ان نظرة الانجليز للحياة وفهمهم لها يكاد يكون نظرة وفهما خاصين بهم دون سواهم كأنهم يشرفون على الحياة من محيط آخر غير محيطها الذى يضم بقية الأدميين وينظرون اليها بعقلية غير عقلية بقية البشر . فاستجاباتهم للمؤثرات الخارجية لا تأتى كنتيجة طبيعية ومنطقية لسلسلة الحوادث التى تتكون منها هذه المؤثرات كما هو الحال عند الانسان العادى، لعدم تقيدهم بالمنطق فى أمور حياتهم

والانجليز يقومون على ممارسة كل مايتعلق بحياتهم بروح من الاهتمام وبشكل يوحى اليك كأنهم انما يعملون وفق نظام خاص . ولايتبادر الى الذهن أن مايبدونه فى تصرفاتهم من روح الجد يمنعهم من التفكه والتبسط خلال مايقومون به من أعمال أو العاب ولكن هى تقاليدهم التى تتغلغل

الى كل شيء فتخلع عليه صفتها وتحوطه بنظام خاص لممارسته بمقتضاه . من ذلك تجد أن كل مايجرى بينهم يتم وفق نظام مرعى من الجميع لايمكن الخروج عليه أو التغاضى عنه حتى فى كلامهم تجدهم يعمدون الى استعمال عبارات وكلمات دون غيرها لاعتقادهم بانه ماجرى بها العرف إلا لأفضليتها على سواها . وهكذا الحال بالنسبة لأساليب تعارفهم وأكلهم ، ومبانيهم واجتماعاتهم وغير ذلك

١٠ — يستعرض المؤلف فى هذا الفصل تاريخ الانجليز من حيث نشوء وتطور مميزاتهم وأطوارهم ويذهب الى أن بعض هذه المميزات كحبهم للحيوان مثلا لم يكن موجودا منذ نيف ومائة سنة ويزعم أنه جاء وليد كبتهم لغريزتهم الجنسية ومشاعرهم ، هذه العادة التى نشأت بالتدريج فيهم . فقد كانوا فى ختام القرن الثامن عشر كما روى عنهم بعض الفرنسيين يطلقون العنان لشهواتهم دون أن يبلغوا فى ذلك حد الافراط . كذلك فانهم لم يكونوا على ماهم عليه من النضج السياسى الحالى . وفى القرن السابع عشر لم تكن قد ولدت بعد مواهبهم التى يتميزون بها الآن وأهمها تلك الغريزة التى تكفل لهم حريتهم وخلع كل نير للحكم عن عاتقهم . ثم عرض بعد ذلك لتاريخ الفن الانجليزى والمعمار والموسيقى والانتاج العقلى وغير ذلك من مظاهر النشاط الاجتماعى

١١ ـ الانجليز والانسان العادى

لاحظ المؤلف أن طبقة العمال فى المدن والأرياف لايشاركون أفراد الطبقات الأخرى فى مميزاتهم التى تخرجهم عن طور الانسان العادى كما أن لغتهم تتميز بعجزهم عن نطق الحرف H لذلك قسم الانجليز قسمين قسم يتمسك بالتقاليد وهو الذى يختلف عن بقية الآدميين ، وقسم يشارك الآدميين أطوارهم . وقد أمكن المؤلف أن يتغلغل فى هذه الطبقات فى جميع أنحاء انجلترا اللهم إلا بعض المقاطعات التى عجز المؤلف عن التفاهم مع أهلها . وقد لاحظ فى أثناء اختلاطه ومساكنته لأهل الأرياف بانهم يمتازون عن سكان المدن بحدة الذكاء وقوة الذاكرة . كما انهم لايعبأون بالتردد على الكنيسة فى أيام الاحاد ولا بالاسراف فى العطف على الحيوانات . أما حديثهم فانهم يرسلونه على سجيتهم دون تحفظ ولايكتمون مشاعرهم أو غريزتهم . وبالاجمال فهم يقربون من الانسان العادى إلا أنهم أقل غرورا من الناحية القومية من أفراد الطبقات الأخرى . والفرق بين عمال الارياف وعمال المدن أن أعمال المدن اكثر اعتدادا بانفسهم وغرورا بقوميتهم ، كما أنه ليس من السهل التغلغل فى أوساطهم ولايكاد الفارق بين العامل الانجليزى وغير الانجليزى يتعدى الفارق الناتج من اختلاف المناخ والتقاليد والعادة إلا أنه شديد التمسك بوعده والاحترام لكلمته

والظاهر أن الانجليزى اذا غير بيئته فان البيئة الجديدة بمناخها وخلوها من التقاليد التى لها سلطان عليه وعلى توجيهه فى تصرفاته تترك أثرا فى أطواره فيكون أقل تمسكا بها ، وبالتالى فانه يقرب من الانسان العادى اللهم إلا اذا كان فى إحدى مستعمراته كالهند مثلا فان مركزه الممتاز هناك بالسيادة يجعله محتفظا بمميزاته . وربما كان السر فى تقارب طبقة العمال فى المدن والأرياف عدم كون فترة القرن التى كونت مميزات الطبقات الاخرى بالتربية والتعليم غير كافية لتغلغل هذه التربية فى تلك الأوساط

١٢ — فى هذا الفصل يعرض المؤلف للخطأ الشائع عن نسبة خواص الانجليز والامريكيين الى أصل واحد . فيفند هذا الزعم بما بين أطوار الشعبين من فوارق فى الشعور بالسيادة الممتازة عند الانجليز برسوخه فى عقليتهم والمحور بالتشكك عند الامريكيين وشدة حساسة الامريكيين ازاء النقد وزيادة تعصبهم ضد الملونين . والسبب فى ذلك راجع طبعا لوجود العنصر الأسود اللون بين سكان أمريكا ومايخشاه الامريكيون من تأثيره على النساء والأطفال . ثم عدم مشاركة الامريكيين للانجليز فى تقاليدهم

يتناول المؤلف بعد ذلك روح الانصاف البارزة عند الانجليز وما يشاع من أنها ترجع الى شدة اقبالهم على ممارسة الالعاب الرياضية فيدلك على غير ذلك . لأن نسبة اللاعبين من السكان حسب ما أظهرته الاحصائيات لايزيد عن ٣ فى المائة أما الجانب الاكبر من الشعب فانه يكون جماعة المتفرجين أو المتراهنين على الالعاب ، فليست الالعاب الرياضية نفسها هى التى تربى هذه الروح وإلا لكانت ألمانيا أولى بها لما هو معروف من مقام الالعاب الرياضية عندهم . كذلك برهن على أن لعبة التنس الذائعة الانتشار هناك لاتربى هذه الروح وانما أسندها الى التربية العامة عندهم على نمط خاص ووفق ومبادىء معينة كان من شأنها تربية هذه الروح وغيرها من المميزات فيهم . ولكى يسوق للقارىء كيفية تكوين الشخصية الانجليزية بالتربية والتعليم خاص فى تاريخ انجلترا منذ بزوغ فجر القرن الثامن عشر ، وعرض لأساليب الحكم من حكم بدأ ارستقراطيا يستند فى تدعيم سلطة حكمه على رجال الكنيسة ثم يستعرض كيفية ظهور الديمقراطية بفضل العوامل الاقتصادية وظهور الحركة المعروفة فى منتصف القرن الثامن عشر بالانقلاب الصناعى ، وما جرته من اتساع نطاق الانتاج وتحسين وسائل المواصلات وزيادة الثروات فبرزت الى الميدان جماعة كبار رجال المال والصناعة والتجارة . فى وقت استنارت فيه الافكار بنور الثورة الفرنسية مما أدى الى اشتراك الشعب فى الحكم بواسطة ممثليه فى البرلمان

ثم أخذ نفوذ الشعب فى الازدياد ، واذ رأى سلطة أهل الدين ورجال الكنيسة تتخطى حدودها

ويسلك رجالها مسلكا منافيا للدين وهب الشعب بحركة اصلاح دينى خشى الاشراف معها أن تفضى الى القضاء على سلطتهم بعد تقويض سلطة رجال الكنيسة كذلك خشى كبار رجال الصناعة والتجارة تمادى الشعب فى حركته فيخرج زمام العمال من أيديهم فانتهزوا فرصة هذه الحركة وقيام الكنيسة الانجيليكية واقبلوا مع الاشراف لتعضيدها ورسموا للشعب طريقا أمينا لتوجيهه فى الاتجاه الذي لا تخشى عاقبته . ذلك بأن عمدوا الى انشاء نظام للتربية والتعليم القومى، اتخذوا له أساسا مبدأين من مبادىء الدين المسيحى، وهما مبدأ العفة ومبدأ تقديس يوم الأحد وجعلوا هدفهم من هذا النظام الحصول على المثل الاعلى وهو الجنتلمان الانجليزى وقد انتصروا على هذين المبدأين دون سواهما لانهم رأوا من الوجهة العملية أن أمة من الامم لم تستطع أن تنهج وفق القانون المسيحى ومبادئه ، وأنه اذا أمكن ذلك لانقلبت أمة روحية تنصرف الى ماوراء الحياة الدنيا

١٣ - كيف نشأ هذا المثل الاعلى

يتناول المؤلف فى هذا الفصل نظام تربية والتعليم والعوامل التى ساعدت على نجاح هذه الفكرة وتهيئة العقلية الانجليزية لها من ظهور طائفة من الكتاب والمؤلفين الذين نهجوا فى مؤلفاتهم منهج توجيه الشعب على هذا الأساس

وما حل القرن التاسع عشر حتى تم الاجماع على نشر المدارس العامة التى تجمع بين جدرانها أبناء الأشراف وأبناء رجال الصناعة والتجارة لتهيئة الفرصة لأن يأخذ هؤلاء عن أولئك فى طباعهم وعقليتهم وتعميم مبادىء الطبقة الارستقراطية بين شركائهم فى الحكم من افراد الشعب ، ليكفلوا رفع مستوى الطبقات التى هى دون طبقة الارستقراطيين . وكانت النية جعل هذه المدارس مجانا للفقراء . ولكن سرعان ماتغير هذا الاتجاه وأصبحت غايتها للاغنياء والقادرين على تكاليف التعليم كما تخصصت بعض المدارس لتهيئة الطلبة للسلك السياسى ككلية ايتون - ثم أخذ المؤلف يستعرض أساليب التعليم فى هذه المدارس منذ نشأتها والاصلاحات التى أدخلها على هذه الاساليب الدكتور أرنولد ناظر مدرسة رجبى الذى بنى طريقته فى التربية على بث الروح الارستقراطية بين النشء ، وعمل على تعميمها فى انجلترا عن طريق المدارس العامة وقصد الوصول الى أن يخلق من ذلك الجيل الجنتلمان الانجليزى الذي يمتاز خلقه بالرجولة والمسيحية الحقة ونور العلم . أما عن المسيحية فقد مزج الدين بكل ما يمس التعليم والتربية . وأما الرجولة فبالرياضة البدنية وممارسة الفضيلة عمليا فى الحياة . وكان يراعى الموازنة بين الرياضة البدنية والرياضة العقلية فلا يدع أحداهما تطغى على الأخرى وكان يمتاز فى طريقته بان جعل للتربية الخلقية المقام الاول على التعليم حتى أنه

كان يتشدد فى اختيار المدرسين لمدرسته من حيث ضرورة توفرهم على هذه المبادىء . أما عن التعليم فقد أدخل اللغات الحديثة وبعض المواد الاخرى على البرامج ومع كل ذلك فان الدكتور أرنولد اكتشف أنه لم ينجح كما كان يحب أن يخلق من تلاميذه الجنتلمان الذين تتوفر فيه الرجولة وروح المسيحية ونور العلم . فانه بمعاملتهم على أمل الوصول إلى هذه الغاية وعلى أنهم على جانب كبير من هذه الصفات انما يوحى بها الى نفوسهم فتشب على احترامها واتخاذها مثلا أعلى يتجهون اليه فى تصرفاتهم وحياتهم المستقبلة وبذلك استطاع هذا الدكتور أن يرى فى أبناء مدرسته التى نسج على منوالها كثير من المدارس فى انجلترا روح الحكم والسيادة لأنه بطبعهم بطابع الاعجاب بالصفات الأخلاقية العالية التى ليست لهم قد طبعهم فى الواقع على المقدرة على اظهار مشاعر خارجية لما ليس فيهم وضبط مشاعرهم الحقيقية وبدلا من أن يجعل منهم مادة رخوة يصوغها فى قالب رجال يستجيبون للمؤثرات الخارجية فانه استطاع أن يحول بينهم وبين طبقة بقية الآدميين

١٤ ـ انتشار طابع هذا المثل الاعلى بين الشعب

توالى الاصلاح على المدارس العامة حتى سنة ١٨٦٠ حين أصبح جوهريا عاما وصادف هذا الأصلاح ظاهرة أخرى هى اطراد تقدم الأنجليز وعلى سبيل التدليل على هذا الأصلاح أشار الى مدرس مساعد بمدرسة هارو اسمه ادوارد موون أدخل طرقا حديثة للتعلم بمدرسته ومبادىء أوسع للتربية ، كان يمتاز بتقديم الألعاب الرياضية على سواها ويخصها با كبر نصيب من العناية دون مبالاة باختلال التوازن الذى كان يتمسك به أرنولد كما كان من مبدئه أعطاء التلاميذ أكبر نصيب من الحرية الشخصية فى حدود الاتجاه للغاية المطلوبة ، وكان يخالف أرنولد فى كثير من وجهة نظره فكان يعيب عليه محاولته تكليف الطلبة ضد طباعهم . كما لايبالى ضرورة اختيار المعلم بحيث يكون أفضل أخلاقا من تلميذه انما الضروري أن تلعب دورك بمهارة وشجاعة للحصول على أحسن النتائج الممكنة . وقصارى القول انه كانت نتيجة كل هذه الأساليب ، ووسائل التربية والتعليم صوغ النشء فى قالب واحد من الوجهة الخلقية وجعل الجميع كتلة واحدة . بانماء روح الجماعة على روح الفرد . وبذلك لا يشذ فرد منهم عن المجموع . بل يشبون وقد تكيفوا بمجتمعهم وهو المدرسة التى هى مصغر المجتمع الخارجى . بحيث يعدون للاندماج فى هذا المجتمع الأخير بروح واحدة دون أدنى مشقة . ومن هنا يتبين كيف نشأت عندهم نظرتهم الخاصة للحياة ومختلف العوامل التى ساعدت على تكوين مبادئهم التى يتميزون بها عن بقية البشر . ومن بينها عذا أخذت كل طبقة من طبقات الشعب عن الطبقة التى فوقها بالاقتباس والتقليد . عامل استقلال كل

جيل عن الجيل الذى سبقه . فلا يكاد يمت اليه بصلة اللهم إلا بالاسم وعلة ذلك تقديس الحرية . بحيث لا يلقن الآباء نظرياتهم لأبنائهم . ولا يفرضون عليهم آراءهم فرضا بل جرى الانجليز منذ القرن الخامس عشر على عدم الاسراف فى الضرب على أطفالهم . مما جعل صلة الأطفال بوالديهم صلة احترام أكثر منها صلة ثقة وتواكل . وإلى يومنا هذا لايهتم الوالدان بتهيئة ثروة أو تركة أو بائنة لبناتهم كما يفعل الفرنسيون بل يقتصر اهتمامهم على تهيئة أساس مستقبلهم ثم يتركون ما تبقى لهم . ويذهب المؤلف إلى أن هذه الظاهرة يعزى اليها ميل الانجليزى الى التغيير والتجديد فى الجوهر مع الاحتفاظ بالاسم أو الشكل القديم . ذلك لاضطرار الجيل الجديد بالارتباط بالجيل السابق عن طريق الاسم أو الشكل على الأقل اذا اختلف الجوهر . وإلا لانعدمت الصلة بين الأبناء والآباء

وهذا المثل الأعلى ، الذى تبين لنا وليد للتعليم والتربية . وأنه مكتسب لا طبيعى . لم يتغلغل بعد عندهم فى طبقات العمال فى المدن والأرياف لضعف غريزة التقليد والمحاكاة فى هذه الطبقة بسبب فقد الصلة بين طبقة العمال المزارعين والطبقات الأعلى الاخرى . بخلاف الحالة بالنسبة للطبقة الوسطى والطبقة الارستقراطية مما يجعلها تندفع فى سبيل رفع شأنها وتحسين أحوالها

١٥ – مستقبل الانجليز — العودة الى حظيرة الآدميين

تدل كل الدلائل الراهنة فى انجلترا وارلندا على اتجاه الانجليز نحو حظيرة الآدميين . فقد أخذوا يطلقون كلمة زائرين بدلا من كلمة « غرباء » على الاجانب فى بلادهم . ويروجون لنزول السياح عندهم . ويذهب المؤلف إلى أن تنازلهم عن هذه التسمية جاء نتيجة لانتشار اللغة الانجليزية فى العالم . حتى أصبحت مألوفة عند غير الانجليز لدرجة انهم يتركون طابعهم الشخصى عليها مما جعل الانجليز يضطرون إلى العدول عن بعض الكلمات الفاشية عندهم مثل Colmiae Alui Chinamen الى غيرها مما لا يثير الشعور . ولا يؤلم وقعه فى نفس غير الانجليز مثل Ymeh violn chense Briliohe ir Cilyen of the Dominin فاجتماع عوامل انتشار اللغة الانجليزية . وبالتالى المدنية الانجليزية فى الممتلكات المستقلة . وكون هذه اللغة هى لغة الامريكيين . والعوامل الاقتصادية والسياسية التى تربط انجلترا بهذه البلاد . وتبادل الافكار بينها بطريق ذيوع الصحافة الامريكية والانجليزية والمؤلفات والمطبوعات التى تخرجها كل منهما ثم وسائل المواصلات التى سهلت اختلاط أفراد هذه الشعوب بالانجليز واستقرارهم ببلادهم حتى بلغ من أمر بعضهم أن يتقلد بتقاليد انجلترا أمثال دزرائيلى اليهودي الايطالى الأصل . ولورد بفربروك الكندى . ومستر هيوز الاسترالى .

وغيرهم من الاسكتلنديين . ممن ليسوا على مباديء وتقاليد الشعب الانجليزي . ولا يخفى أثرهم فى الحياة العامة . وبروز المرأة الانجليزية الى الميدان . حيث نالت حق المساواة فى الحقوق الانتخابية كالرجل منذ ١٩١٨ وما هو معروف عن النساء من نظرتهن العملية للحياة وبعدهن عن الرسوم والتقاليد الشكلية . كل هذه العوامل التى تتضافر على العمل معاً يضاف اليها روح العصر الحاضر التى تقاوم كل قيد وروح البحث العلمى مما هو منتشر فى العالم أجمع وقد غزا انجلترا بفضل وسائل النقل الميكانيكية كل ذلك يعمل على اخراج انجلترا من عزلتها . وربطها بالعالم أجمع . فيجرفها نحو أطوار بقية الآدميين وقد بدأ هذا الأثر بالظهور بخروج الانجليز على عادة كبت غريزتهم . وتحاشى المسائل الجنسية والاهتمام بالأمور العقلية وبالايجاز قبول الحياة على علاتها بدون قيود أو رسوم شكلية لا فائدة منها ولكن ذلك مقصور فقط على جماعة العصريين منهم وقد تبع هذا التحول فى الافكار تجديد توسع الابحاث العلمية والانتاج العقلى والموسيقى والفنون والاغانى والرقص الشعبي وفن العمارة المطبوعة بطابع العصر الحاضر فى غيرها من البلدان الاخرى والنتيجة هى سير الانجليز بخطى واسعة نحو حظيرة بقية الآدميين ولكنه ينتظر لهذا الشعب متسقبل عظيم حيث يؤمل أن يتولوا قيادة العالم من الناحية الفنية

ردیارد کبلنج وقصیدته

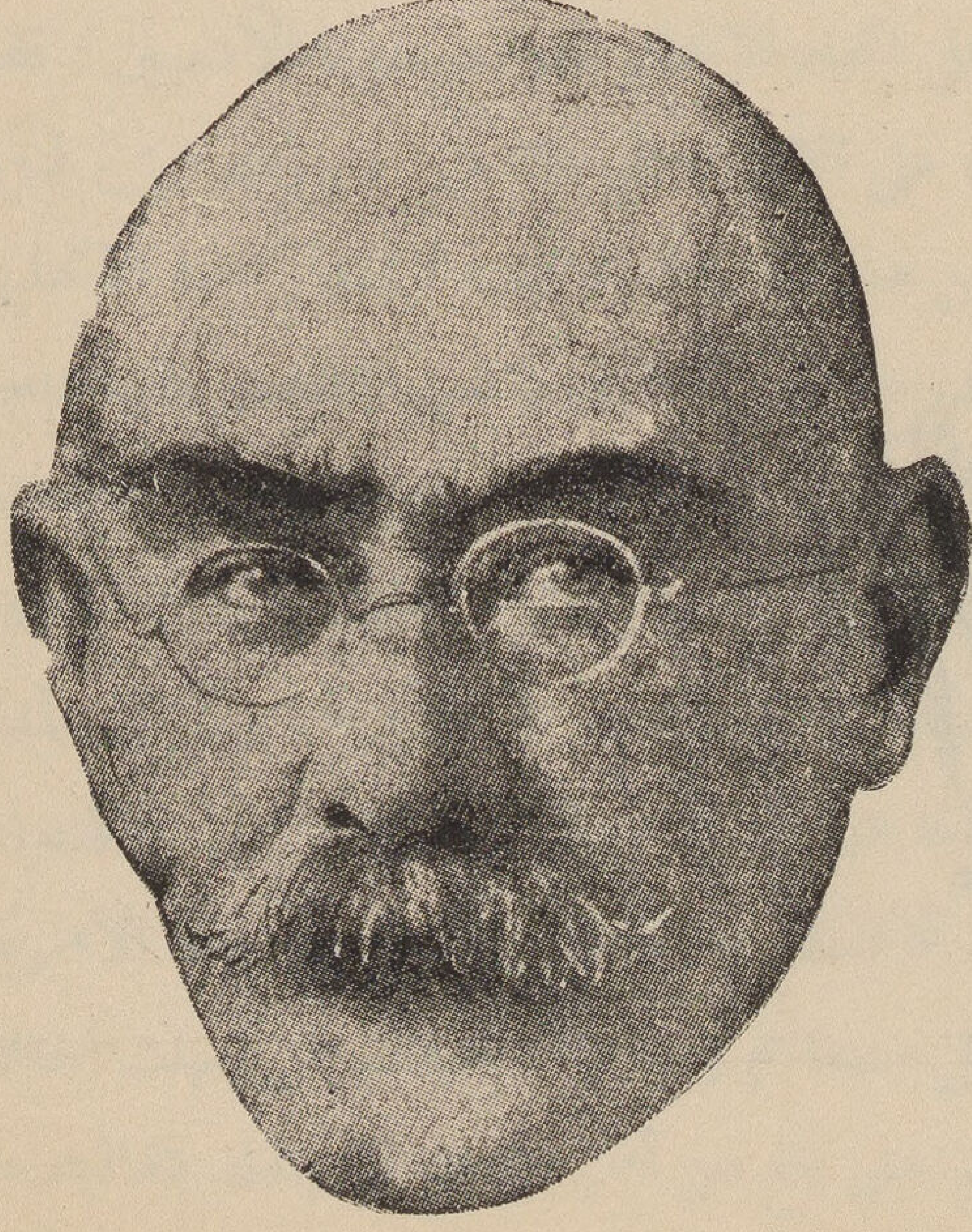
بقلم الاستاذ . م . ع . الهمشری

رحل كبلنج عن هذا العالم بعد أن ترك وراءه مجداً يضج بالذكر الخالد وبعد أن نال حظا من الشهرة يغبطه عليه كل عظيم من قادة الفكر . وليس ذلك راجعا الى ماخلفه من تراث النثر أو الشعر أو الروايات الكبيرة والقصص القصيرة وإنما لأن كثيرا من تعبيراته الرشيقة الساحرة قد طبعت أثرها على عقل وخيال أبناء جيله

وكل من قرأ كبلنج يذكر له ما كتبه وينساب على ألسنة كثير ممن يتكلمون الانجليزية مقطع أو تعبير كبلنجى التقطوه أو رسم أثره فى ذهنهم من غير أن يعرفوا من أية مؤلفات الشاعر االعظيم وثب اليهم هذا المقطع أو التعبير

ولو لم يكن الكتاب المقدس والشاعر شكسبير لأصبح كبلنج أجدر الأدباء جميعا بالاقتباس من أقواله لاللحكمة التى فى قرارتها وإنما لجرسها الموسيقى الذى لاينسى

لقد كانت شخصية كبلنج ذات طابع خاص ظهر فى مؤلفاته العديدة . وانك حين تقرأ روايته الكبيرة « كم » أو القصة الصغيرة « عين الحياة » أو كتابه « Just—so—stories » أو تقرأ فى شعره قصيدة « صخرى المقطوع حديثا » تتجلى لك العظمة والطاقة التى تشيع فى أنحائها جميعا وتجد الذهب البراق الفتين الذي لايوجد إلاقليلا فى مؤلفات ومصنفات الكتاب والشعراء الحديثين



ردیارد کبلنج

ولد ردیارد کبلنج فى بمباي عام ١٨٦٥ وكان ابوه رجلا فنانا يدعى جون لجوود كبلنج الذى تولى فيما بعد منصب أمين دار الآثار الاميرية فى لاهور التى استمد منها كبلنج وحى قصة « كم » فصورها فى « قصر العجب » .

وقد كان يعاون ابنه الأديب الناشىء فى قصصه البدائية

كان من الطبيعى ان يذهب رديارد الى بلده انجلترا فى سن مبكرة لينال من التعليم بنصيب حيث شاء والده ألا يهمل تعليم ولده . وسافر رديارد وأخذ يكفله قريب له هناك فى سوث سى ولم يلبث أن التحق بكلية الخدمة العامة الواقعة فى ديفون الشمالية . ولما اطمأن الى السابعة عشر من عمره عاد الى الهند وعين محرراً وكيلا فى الغازيت الأهلية والحربية فى لاهور . ولقد أعجب به رئيسه أيما اعجاب وراعته العبقريه المتفتحة فى كل أعمال الأديب الناشىء حتى انه قال « اذا أردت أن تلقى الرجل الذى يحب عن رحب أن يعمل عمل ثلاثة رجال فابحث عن عبقري ناشىء »

وقضى فى عمله خمس سنين ثم تركه الى منصب مثله فى جريدة « الرائد » فى بلدة الله اباد . وكان فى أثناء هذه السنوات ينشر شعره وقصصه الصغيرة وكتابات أخرى فى هذه الصحف التى يقوم بالاشراف الجزئى عليها ولم تكد تزحف اليه العشرون حتى كان ذا اسم رنان فى الاصقاع الهندية

وأرسلته جريدة « الرائد » فى عام ۱۸۸۹ فى رحلة طويلة الى الهند واليابان وسان فرنسيسكو ونيويورك وانجلترا . وقد صادفه الحظ فى ذلك الآن ولاقت مؤلفاته من الذيوع والانتشار نصيبا محمودا وقد امتدحها كثير من الأدباء وأثنى النقاد عليها اذ لاقوا فيها طابعا انجليزيا خاصا لم يتأثر بالأدب الفرنسى أو غيره من الآداب الأوربية التى كانت قد طغت على الأدب الانجليزي

وفى سنة ۱۸۹۱ أقلع رديارد فى سياحة أخرى طويلة زار فيها هذه المرة افريقيا الجنوبية وسيلان وأستراليا ونيوزيلنده . ولم يكن ينقضى على هذه الرحلة عام حتى سطعت فى سماء حياته مس كارولين بالستير وكانت أخت صديق له يدعى ولكوت بالستير فتزوج منها وقضيا شهر العسل معا فى الولايات المتحدة بالقرب من براتلبورو فى فيرمونت حيث ابتنى كوخا خشبياً كبيرا بيديه أسماه « نولاجا » وعاش هناك سنينا ثلاثا حيث رزق بولده جون الذى قتل فيما بعد فى الحرب العالمية بينما كان يعمل مع الحرس الارلندى وبابنته جوزفين التى ماتت عام ۱۸۹۹ . ولأجل هذين الولدين العزيزين كتب رديارد قصصه فى كتابه « الادغال » و « قصص على الغارب » ولو لم يكن كتب غيرهما لضمنا له الخلود وحدهما

وفى هذين الكتابين نجد رديارد كبلنج يتجرد من طاقته الشيخة ويهبط من سماء الأفق الرفيع ليحدث الأطفال حديثا هادئا ساحرا صادقا مألوف النبرات متوافق الموسيقى يعيد فقراته فى لباقة نادرة ليلمس خيال كل طفل ويوقظ اهتمامه ويدخل على نفسه الجذل والمرح الشديد وقد بلغ من حب الاطفال له أنك تراهم سويعة المساء يترقبون قدوم الوقت الذى يسمعون فيه هذه القصص الشائقة

قضى كبلنج عهده فى فيرمونت متنقلا بين المروج والمراعى يطلب القنص والصيد وكان شاذاً

غريبا لم يتعرف الى جيرانه ولم يجدوا هم أنفسهم مايشجعهم على ذلك . لقد ظل مبهما لهم ولكل سكان المدينة . فيمم شطر انجلترا وضرب عصاه فى روتنجدين من أعمال أسكس ثم تركها الى برواش حيث لبث فيها سراة حياته

وانكب على الكتابة والتأليف وأخذت الثروة تهبط عليه من كل مكان اذ وجدت مؤلفاته رواجا فى أسواق الادب الاوربية والامريكيه . ومن الصعب علينا أن نحسب ايراد رديارد الذي كانت تدره عليه مؤلفاته وإنما قيل بان مادفعه الامريكيون وحدهم بلغ ٨١٥٠٠ جنيه انجليزى من الطبعات الأولى

ولقد شغف كثير من هواة جمع الكتب بشراء مؤلفات رديارد كبلنج مهما كلفهم ذلك ولقد يدهشك أن تعرف أن زوجة الشاعر الامريكية كانت من بين هؤلاء الهواة وأنها كانت مجدة مثابرة فى الحصول على هذه الطبعات . وفى عام ١٩٢٧ بيعت بالمزاد فى مدينة نيويورك الطبعة الأولى من إحدى مؤلفاته فى الهند (عام ١٨٩١) بمبلغ ٨٠٠ جنيه انجليزى

وقد اعتزل الشاعر العالم فى السنين الأخيرة من حياته وقبع يناجى وحدته فى منزل عتيق فى بورواش على منحدرات أسكس مشيد على طراز القرن الثامن عشر . وازداد شذوذه وأخذت أطواره تأخذ مظاهر غريبة ولقد اعتراه مرض تجنب الناس وأصبح يطير من كل صوت . وقد قنع «حكيم بورواش» كما يسميه خلصاؤه من القرويين — بصداقة نفر قليل من الفلاحين السذج البسطاء تاركا هذا العالم ومافيه من شهرة كاذبة وضغائن خادعة وشراذم من الصحفيين والأدباء لا هم لهم إلا تعكير الجو على كل مفكر متأمل (على حد تعبيره)

وقد وصفه أحد أصدقائه حينما أخذ بمخنق السبعين قائلا هو كائن ضئيل البدن ، عنيد ، أصلع الرأس تأخذك الدهشة من حاجبيه الخنفسائيين البارزين وقد استأسد الشعر الشائك فيهما وهما يستوفيان عينيه الغائرتين البراقتين الدكناوين المختبأتين خلف نظارته الصغيرة ذات الأهداب الذهبية الرفيعة ، وقد لبس حذاءه الدائر التلسين تفوح منه رائحة دهان الجلد على نمط عتيق

هذه صورة سريعة عن حياة شاعر الامبراطورية البريطانية عدو الشرق والناس — وسوف نتناول فيما بعد — دراسة نتاجه الفكري من قصص وشعر ونأمل أن ننصفه بقسطاس

اذا ... IF

نظم الشاعر رديارد كبلنج هذه القصيدة ينصح بها ابنه ولكن الموت لم يمهل هذا الابن فاستأثر به الي جوار ربه ، فاصبحت هذه القصيدة نصيحة الى أبناء الامبراطورية الانجليزية كلهم

اذا اسطعت ألا تفقد العقل والحجا ... وظلت على رغم الحوادث حازما
وقد ضل كل الناس حولك وانثنوا ... على كل ما قد كان منك لوائما

* * *

اذا أنت قد صدقت نفسك بينما ... ظنون الورى ترتاب فى ذلك الصدق
وبالرغم من هذى الشكوك عذرتهم ... وقابلت هذا الشك باللين والرفق

* * *

اذا اسطعت أن تلقى انتظارك دائما ... صبورا ولم تملل عذاب الترقب
اذا اسطعت أن تبقى صدوقا مكرما ... إذا كذبتك الناس لم تتكذب

* * *

إذا بغضتك الناس وازداد ضغنهم ... عليك فلم تحقد وأنت رحيم
وبالرغم لم تظهر وقورا وطيبا ... وأنك فى كل الأمور عليم

« * »

بنى إذا ما اسطعت أن تتخيلا ... ولم تك عبداً يكبر الوهم والحلما
بنى إذا ما اسطعت أن تتفكرا ... ولم تجعل الأفكار مقصدك الأسمى

« * »

اذا أنت لاقيت انتصارك هادئا ... ولم تتذمر من هزيمتك الكبرى
وصاحبت ذين العاهلين كما هما ... سواسية لم تفتقد معهما أمرا

« * »

اذا اسطعت أن تصغى الى الحق قلته ... ليصبح فى هذا الوجود ضياء
يحوّره غوغاء إفكا وضلة ... ليغدو شباكا توقع البسطاء

* * *

اذا اسطعت أن تلقى الذي قد بنيته ... وأنفقت فيه العمر وهو مهدّم
وعدت اليه من جديد تقيمه ... بمعولك البالى ولا تتبرم

« * »

بنى إذا جمعت مالك كله ... وكوّنت ما حصلته من مكاسب
وغامرت فى أمر مروم مقامرا ... بمالك هذا كله غير حاسب

« * »

ولـكن خسرت القدح خسران جاهد ... فعـدت لتبنى بادئا غير يأس
ولم تك بـكاء على ما فقـدته ... ولم تك شـكاء ولم تتنفس

« * »

إذا أنت أجهدت الفؤاد مع القوى ... لتمضى فى مسعاك والغنم سانح
وقد خارت الأعصاب منك ولم تعد ... بها فضلة تطوي عليها الجوانح

* * *

مضيت بقلب واهن الخفق خائر ... تكر وجسم كاد يصبح هالـكا
ولم تبق من هذي القوى غير عزمة ... تصيح : ألا سر جاهـدا فى نضالـكا

* * *

اذا أنت خالطت الجماهير صائنا ... فضائلك العليا ولم تتلوث
اذا أنت سايرت الملوك محافظا ... لطـابعـك الشعبى كالمتشبث

* * *

اذا اسطعت أن تقصى عدوك عن أذى ... وتأمن حتى صاحبا لك وافيا
اذا أنت قدرت الرجال جميعهم ... ولم تك فى هـذا الحساب مغاليا

* * *

بنى اذا حاسبت كل دقيقـة ... من الوقت تمضى ، ليس ترحم ، عاتيه
ملأت بها كل الثوانى ولم تـكن ... لتتركها — تمضى سدى — كل ثانيـه

* * *

ستحـكم فى الدنيا بنى جميعها ... وتصبـح للدنيا العريضة مالـكا !
وأعظم من هذين شأنا ستغتدي ... بها رجـلا فوق الرجال لذلـكا ! !

سيكولوجية الصناعة

بقلم الدكتور ابراهيم ناجى

أتيحت لى فرصة منذ سنتين فى لندن . فسمعت محاضرات قيمة عن هذا الموضوع ونحن اليوم على أبواب عصر جديد والمستقبل للصناعة فيجب أن نلتفت الى سيكلوجية الصناعة . وسنرى هنا ان ذلك الموضوع يتناول نواحى المجتمع

الموضوع الذى سنتحدث عنه الآن موضوع جديد جدا ، وكثير من أصدقائى عندما قرأوا عنوان هذه الكلمة تعجبوا لأنهم لم يكونوا يعلمون أن للصناعة سيكلوجيات خاصة . ولهم الحق فى تعجبهم لأن السنوات الأخيرة كشفت للعلماء حقائق هامة تختلف تمام الاختلاف عما تعود أن يعتقد العامة والخاصة منذ أجيال . وزاد تلك الحقائق أهمية قيام الحرب العظمى فشعرت الأمم بعد الحرب أنها بحاجة الى إنعاش الصناعة لتعويض ماسببته الحرب من الأضرار البالغة . ومن هذا أخذت الأمم المتمدينة تستغل الحقائق السيكلوجية الجديدة فى إنهاض الصناعة . وأهم هاته الحقائق أن الأفراد يختلفون فى الذكاء . ويختلفون فى المواهب بينما كان المعتقد دائما عند الفلاسفة والمفكرين ان الناس يتساوون فى وجود مواهب دفينة عند الجميع يمكن اظهارها وصقلها بالطرق المناسبة والوسائل اللازمة

ولكن الاختبارات الحديثة فى علم النفس سجلت خطأ هذا الوهم . وأظهرت بلا جدال أنه فوق الاختلافات الفردية . فان الذكاء الفطرى يولد ولا يصنع

وإن الله ينعم على عبده بمقدار من ذلك الذكاء يختلف فى كل فرد عن الآخر . وحصته منه لا تتبدل ولا تزيد بالتعليم ولا تنقص

وإنما الذى يزيد أو ينقص بالتربية والتعليم هو المواهب والطبائع والكفايات المختلفة

وقد قسم الفيلسوف « ينج » الذكاء الى قسمين قسم أفقى وقسم عمودى . فالقسم الأفقى هو ذلك الذى يحتوي المواهب والامزجة والكفايات . وأما العمودي فهو الفطرى ويشبه بخزان البنزين فى السيارة . فكما أن سيارة سعة خزانها جالونان لا يمكن لخزانها أن يسع أكثر من جالونين فكذلك العقول البشرية حظها من الذكاء الفطرى أو العمودى كمية غير قابلة للزيادة . وهذه الكمية

هى التى تغذى المواهب المختلفة وتغذى الاستعدادات المتنوعة فى الذكاء الأفقى . فهذا الذكاء المجرد هو الذي عليه المعول . والذى اذا أمكن قياسه أمكن أن نتنبأ بما سيكون عليه الفرد فى المستقبل . لا بل يمكن أن نحدد وجهته فى الحياة .

هذه هى أول حقيقة بنى عليها علم سيكلوجية الصناعة . حقيقة اختلاف المواهب البشرية والذكاء العام .

وانه لكى ينجح الفرد فى عمل ما يجب أن يعرف أولا مقدار ذكائه العام الذى يغذى مواهبه وثانيا ماهى تلك المواهب وإلى أى جهة تتجة .

بناء على هاته الحقيقة الهائلة بنيت معاهد سيكلوجية لاختبار الذكاء والمواهب . لكل منها معمل سيكلوجى لاختبار المتقدمين للعمل . وفى زمن الحرب صارت تجرى هذه الاختبارات على آلاف من طالبى الالتحاق بالجيش فى مختلف المهن

وقد أمكن أن يستدل على نجاح تلك الاختبارات من تتبع نتائجها .

ثم امتد تطبيق السيكلوجية أبعد من ذلك . فقد تعدت مسألة الاختبار الى دراسة نفسية الصانع فى المعمل ، وإلى وجود سيكلوجية خاصة للعمل بقصد أن تعرف أسباب التعب وأسباب السآمة وأسباب قلة الانتاج .

ثم صارت هناك سيكلوجية خاصة للبائع والشاري وسيكلوجية للاعلان . كل ذلك مبنى على حقائق ثابتة فى علم النفس أمكن تطبيقها واستغلالها استغلالا اقتصاديا كبير النفع بعيد الأثر .

وسأحدثكم عن هذا كله بايجاز .

فنبدأ الآن بالكلام عن نفسية الصانع وهذا موضوع إنسانى جدير بالتفاتكم .

العنصر الانسانى فى السيكلوجية الصناعية

سترون الآن فائدة علم النفس الحديث فى تطبيقه على العامل وستتبينون أهميته الهائلة حين تعلمون أنه بعد أن كان المعتقد فى العصور القديمة أن المصنع والصانع ما هما إلا وسيلة للانتاج ، أى أن المسألة اقتصادية آلية محضة ، تطور الأمر إلى فهم الحالة على حقيقتها فقد اتضح أنه يجب أن يفهم أن العامل هو إنسان بشري له أعصاب وله غرائز وله انفعالات ومطامح وآمال . فيجب أن ينظر اليه كانسان ويجب أن تدرس نفسيته درسا كافيا ويجب أن تدرس الدوافع والأسباب التى تؤدى الى هذا الشىء أو ذاك . تلك الدوافع التى قد تبدو سطحية للناظر الى الامور (؟) نظرة سطحية هى أعمق مما يظن الكثيرون . فهناك غرائز ثابتة تسيطر على كل مخلوق بشرى و تعمل عملها بالا كثر

فى وسط العمال كما تعمل عملها فى الاوساط الاخرى الشبيهة بذلك الوسط وتؤثر على العلاقة بين الفرد وزميله وبين الفرد ورئيسه وبين الفرد والمجموع وتؤثر فى النهاية على الانتاج العام للمصنع أو المعمل

قد اتضح لعلماء النفس أن هناك بضعة غرائز ثابتة أولية تسيطر على العامل وتحت تأثيرها يعمل أولا يعمل ينتج أو لاينتج يسعد أو يشقى يهدأ أويثور . وهذه الغرائز الأولية ليست الواحدة منها منفصلة عن الاخرى بل هى غرائز متشابكة متشابهة وهى على كل حال أصيلة ثابتة فى أعماق الطبيعه البشرية يمكن تطبيقها على الصانع فى المصنع والكاتب فى المكتب وبالاختصار فى أي مكان للعمل فيه اخلاط من الناس . هذه الغرائز أربعة حب الملك أو الحيازة . والثانية اثبات الذات ومنه حب النفوذ أو الظهور والثالثة غريزة التحدى والرابعة غريزة التجنب والهرب .

الغريزة الاولي (حب الملك أو الحيازة)

أساس هذه الغريزة أن كل شيء تملكه تعده جزءا من نفسك ، وتدافع عنه كما تدافع عن نفسك بل فى الواقع تحب أن تملك ، وتقول هذا لى وذاك الشيء ملكى وتحب أن ترى هذه الممتلكات التى هى أجزاء من نفسك وكيانك تحب أن تحصيها وتذكرها وتسيطر عليها وتدافع عنها ، وقد يكون ملكك لشيء ما وهميا لا أساس له ومع ذلك تدافع عنه وتتأثر له كأنك تملكه وتتألم اذا أصابه شيء أو فوته عليك أحد.

ذكر « تيد » فى كتابه « الغرائز والصناعة » أنه بينما كان يمر ذات يوم فى مصنع حياكة — وجد احدى العاملات تبكى بكاء مرا فلما سألها أجابت أن الرئيسة أعطت آلة حياكتها لاخرى ، مع أن هذه الآلة هى ملك للمصنع لا للحائكة ولم يهديء أعصابها أن أعطوها آلة حياكة جديدة بل لم تستقر حتى أعادوا اليها القديمة التى تعدها ملكها .

ومن هذا الباب أيضا اعطاء عمل شخص ما لآخر ، والعجيب أن صاحب المعمل أو المصنع يقول هو ذاته ان هذا المصنع ملكى ولى الحرية فى اعطاء هذا المعمل لهذا الشخص أو ذاك كما يتراءي لى ولكنه ينسى أن أهم أسباب اضطراب العمل تجاهل هذه الغريزة فى العمال . يقرب من هذه الغريزة ، غريزة إثبات الذات ووثيق الصلة بهذه مايسمى غريزة الخلق ، فكل انسان يريد ويسر حين يعمل عملا ، يراه ينمو ويتكون فى يديه ، وهذا « المخلوق الجديد » الذي هو صنع يده ، يعده جزءا من نفسه .

فعندما نلاحظ اختفاء هذه النزعة الطبيعية فى العامل او الصانع لابد من البحث عن السبب فى

عوامل أخرى سببت انعدام هذه الصفة البشرية الاساسية أو جعلتها تتوارى الى حين .

ومن أهم أسباب اختفاء هذا العامل الأساسي فى الصناع حلول الآلة محل اليد والفكر لأن الفرد لا يتبين مجهوده الفردى فى وسط الانتاج العام للآلات .

والسبب الثانى هو أن يفقد العامل الأمان فى عمله كأن يكون مهددا بالطرد أو الحرمان فى كل وقت فيصير ولا رغبة له فى ابتكار أو خلق ويلفق عمله كيفما اتفق.

والسبب الثالث التبرم بالعمل والقلق وعدم الارتياح فهذا يمنع العامل بتاتا من الزهو بالعمل أو الفخر بمجهود ينفقه عليه .

وغريزة إثبات الذات ليست هامة فى المعمل أو فى المصنع فقط ، بل فى الحياة على الاطلاق ، فكل مخلوق مهما كان ضئيلا يشعر أنه على شيء ويحاول أن يثبت أنه على شيء . وأن أتفه مخلوق فى الدنيا ليشعر أنك جرحته جرحا لا يشفى اذا تجاهلته واعتبرته صغيرا .

فاعطاء الاوامر بوحشية والتصرف مع العمال أو الصناع كأنهم آلات لاحساب لها ، من أهم أسباب التذمر والقلق فى كل دوائر العمل على الأطلاق .

ويتفرع من اثبات الذات حب الظهور وحب السلطة . وهاتان الغريزتان إلا غريزة واحدة ، مختلفة الدرجة ، وتتوقف على المزاج والظروف ، على أن الأولى أى حب الظهور فيظهر أثرها فى المعمل أو المصنع .

ويمكن استغلال ذلك فى التنافس .

أما حب السلطة فأصله فى الطبيعة البشرية البدائية إظهار القوة تجاه الاشياء المادية ، أما فى المدنية الحاضرة فيتحول ذلك إلى إظهار سطوة الأنسان على أخيه الأنسان . وينشأ من ذلك اصطدام المطامع والرغبات وتحطيم الامانى .

فان هاته الغريزة تدفع الى الأمام غريزة نائمة هى غريزة التحدى أو المقاتلة.

وهذا مانسميه « بالكره » وهو ليس شيئا بسيطا بل هو مركب من الغضب وحب الانتقام والتجنب والنفور ، فاذا ازداد الامر سوءا بين المرءوس ورئيسه تكون النتيجة عاطفة مشوهة أو تكون عكس ذلك وهى اعتداء العامل على من أساء اليه لسبب تافه غير معقول.

هذه هى الغرائز التى تسيطر على العامل أو الصانع ويجب على كل من يدير مصنعا أو معملا أن يلم بعلم النفس إلماما تاما حتى يستطيع أن يعالج الأمور المعالجة الصالحة وبقى عليه أن يفهم نقطة أخرى شديدة الأهمية . هى نفسية الصانع الحديث الذى أصبحت له اليوم نقابة تدافع عنه وتغذيه بمبادئها وأفكارها .

ويشعر كذلك بما يسميه « ماكدوجال » « روح الجماعـة » أى شعوره شعور باقى الأعضاء واحترامه لقوانين الجماعة .

أقول « روح الجماعة » وهذه الجماعات تختلف ، فهناك جماعات من الفوضى تتلاقى بالمصادفة وتجتمع وتفترق ولا رباط لها ولا نظام ، وجماعة النوادى لها قوانين وأنظمة وروح ولكن أرقى هذه الجماعات النقابة ، ويشترط فيها أولا أن تكون متجانسة الهيئة وثانيا أن يشعر أعضاؤها بواجباتهم نحوها ويكون لهم كبرياء وزهو واعجاب من انتسابهم اليها .

وبهذا تنمى فى الأفراد « روح الجماعة » واذا تمشت هذه الروح فى الخارج أمكن أن تسيطر على العامل فى الداخل أى فى المعمل أو المصنع وتكون سببا كبيرا فى النجاح واطراده ويجب أن يلاحظ أن تمشى « روح الجماعة » فى الفرد ماهو الا وسيلة للفرد لأثبات ذاته ، وفى هذا إشباع لغرائزه التى ذكرناها وإلا تحولت الى ناحية خطرة وضارة كما بينا سابقا .

سيكلوجية المهنة

قد بينت سابقا أن هذه السكلوجية ترتكز على حقيقة ثابتة هامة . وهى اختلاف الذكاء والمواهب فى فرد عنها فى آخر ، أما الذكاء فقد ذكرت تقسيمه عند « ينج » وان السائل ليسأل ما هو الذكاء ولا يجد رداً شافيا . وقد اختلفت تعاريف الفلاسفة بشأنه ، ولكنهم اتفقوا على أنه ذلك الشىء الذى يميزه حتى الرجل العادى بالبديهة فى الرجل الآخر ويلمحه فى وجهه بدون الطلاء الذى تصنعه الثقافة والمدنية . أى بدون أن يخدعه مايسميه الفلاسفة الاجتماعيون بالذكاء الاجتماعى . أي ذلك الذكاء الذى بواسطته يمكنك أن تتصرف تصرفا ناجحا فى الحياة ، وهو مبنى على عوامل كثيرة تتاح للانسان أولا تتاح كالثقافة والتجارب والظروف والبيئة ، وقد أحسن العالم « دريفر » حين قال أن الذكاء الفطرى هو العين التى تري بها والثانى هو اليد التى بواسطتها تعمل .

والثانى قابل للاكتساب والنمو بواسطة التربية والتدريب . والأول يولد فينا كما تولد العين بكمية خاصة من النور تنقيه على الأشياء فهناك عين قوية كالنور الكشاف وهناك عين عليها من يوم الولادة عتامة تجعلها لاتميز الأشياء إلا بصعوبة .

موضوع الذكاء أيها القاريء موضوع شائق وقد كتبت عنه المؤلفات الضخمة . ولو أننا استرسلنا فى بحثنا لخرجنا عن موضوع هذه الكلمة . على أنى أوجز هنا الرأي الأخير ، ان الاختلاف الحقيقى فى الذكاء إما اختلاف فى الصفة أو اختلاف فى الكميه أو العمق أما فى الصفة فهذا هو الذكاء

الأفقى أو الاجتماعى . أما فى العمق ، فهذا هو الذكاء العمودي أو الفطرى أو المجرد أما اختلاف الصفة فالناس على الغالب نوعان نوع يفكر ويصمم ويتحرك حسب ما بداخليته .

ونوع يفكر حسب مايرى بالخارج ويأخذ منه ليرسم فى داخله مسترشداً بالحقيقة الخارجية .

ومهما استعرضت مدارس الفلاسفة والمفكرين فلن تخرج عن هذا الرأى أو ذاك أو تجد ثالثا هو وسط بينهما وموفق بين رأيين متضادين

وتصرفات الأشخاص والأمزجة والطبائع مبنية على انتسابهم لهذا النوع من التفكير أو ذاك. فالذى يدمن التفكير فى ذاته أميل الى الأحلام منطو على نفسه قدرى ميال الى العزلة . والذي يؤمن بالحقيقة الخارجية أميل الى أن يكون علميا عمليا وهو جرىء مرهف الحس يريد التمتع بالحياة لايؤمن بالقدر ولا الخرافة قليل الخيال مغامر ميال الى التجربة . والعصر الحديث بما وصل اليه تقدم فى العلوم صار يعتمد على الحقائق البارزة التى اكتشفها فى السنين الأخيرة ومعنى هذا أن الناس كلما تقدموا فى المدنية صاروا عمليين أى خرجوا من دائرة أنفسهم الى الحقائق الثابتة . وكلما كانوا بدائيين . أى غير متمدينين . احتبسوا فى دائرة من تصوراتهم وأخيلتهم وبنوا عليها كل تصرفاتهم فى الحياة

فالخلاصة انك عند ما تريد أن تعرف طبيعة صاحب لك أو شخص يهمك فارجعه الى موضعه واسأل نفسك : هل هو شخص يعيش فى دائره نفسه وخيالاتها أم شخص يأخذ بالواقع ويدين بالحقيقة الملموسة ؟

إنما ذكرت هنا هذا التقسيم لأنه يهمنا ونحن نختبر المتقدمين لمصنعنا أو مكتبنا أن نعرف بعد اختبار الذكاء العام ماهو مزاجه ومن أى نوع هو من النوع الدائب فى التفكير الخيالى المنطوى على نفسه أو من النوع العلمى الجرىء المغامر المتفائل.

هناك صنف آخر من الذكاء الافقى . أو بعبارة أدق صنف آخر فى حقيقة الذكاء الأفقى . الا وهو المواهب

وهى تختلف فى كل فرد عن الآخر تمام الاختلاف . وتأخذ فى البزوغ عند أوان البلوغ ، وأقصد بالمواهب الفنون كالموسيقى والشعر والرياضة ، والمهارة فى الأعمال اليدوية أو الميكانيكية . فالانسان يولد موسيقياً أو لا يولد ، شاعرا أو لا يولد ، وهذه المواهب تكون واضحة وضوحا شديداً فى بعض الناس من سن باكرة . ولا يجب خلط الموهبة بالعبقرية فان العبقرية تتوقف على كمية الذكاء العمودي الذى وهبه الله للشخص ، على كمية النور التى فى عين الذكاء الفطرى ، فهذا الذكاء الفطري الذى يغذى هذه الموهبة ، ويمدها من منبعه . فان كان ذكاءً فطريا عميقا قويا ، أمكن للموهبة أن تسطع وتتجلى تجلياً عبقريا ، فعلى الاختبارات

السيكولوجية أن تظهر هذه العبقريات والمواهب والأمزجة ، لكى يوجه كل شخص فى الوجهة التى يجب أن يولى وجهه شطرها . وهذه الاختبارات إما أن تجرى على الطلبة فى المدرسة بعد التعليم الابتدائى ، أو تجرى على المتقدمين للوظائف أو المهن المختلفة . وكلما تقدم الطالب فى السن كان الاختبار أشق على المختبر لصعوبة التمييز بين الموهوب والمكتسب . أما فى صغار الطلبة فاختبارات الذكاء المجرد تكفى . ويمكن بواسطتها التحذير من اتباع وجهة معينة لا يصلح لها الطالب بتاتا . ويمكن أن « يفرز » العبقريون فينتفع بعبقريتهم قبل أن تضيع فيما لم تخلق له .

وهذه الاختبارات مبنية على أن الذكاء هو « أن تصيب الحكم ، وتجيد الفهم ، وتحسن التعليل» وهى عبارة عن أسئلة خاصة مناسبة للأعمار .

فاذا أدى الصبي الأسئلة المناسبة لعمره فهو عادي ، وإذا أدى ، ماهو أعلى من عمره ، سمينا ذلك عمره العقلى . فنقسم العقلى على الميلادى ونضرب فى مائة . فالعباقرة يأخذون ١٣٠ فمافوق . وضعاف العقول يأخذون درجات تحت المائة . فينصح ذووهم بأن يختاروا لهم أعمالا لا تحتاج إلى ذكاء كبير كالأعمال اليدوية وما يشا كلها ، وبعبارة أخرى ينصحون أن لا يستمر طفلهم فى الدراسة الثانوية والعالية .

هذا فى صبية المدارس ، وقد رأي كثير من المربين اليوم أنه خطأ بالغ ان يجمعوا الطلبة المختلفين فى المواهب والذكاء فى فرقة واحدة .

هذا فى الطلبة أما فى المهن وهو موضوعنا اليوم ، فاختبارات الذكاء الفطرى ، تبدأ أولا ، ثم تتلو ذلك اختبارات المزاج والطباع ، ويعرف ذلك من مجرد الحديث ، ثم اختبارات المعلومات العامة ، ثم اختبارات المهارة اليدوية أو الميكانيكية ، ثم اختبارات ترمى إلى إظهار المواهب الخاصة الدفينة ، وتعطى لهذه الاختبارات درجات ، ثم يؤخذ المجموع ، فبناء على هذه الدرجات أصبح فى الامكان أن يحكم على الطالب هل هو صالح أو غير صالح لما يتقدم اليه ، على أننا لا يمكننا أن نحدد وجهته بالضبط ولكن يمكن أن نحصر دائرة الاختيار ، ويمكننا التحذير من وجهة معينة ، واليكم جدول الدرجات .

فوق ١٥٠ يصلح للأشياء العظيمة كالسياسة والادارة والزعامة .

بين ١٥٠ — ١٣٠ الأعمال الفنية كالطب والمحاماة والهندسة

١٣٠ — ١١٥ الأعمال الكتابية

١١٥ — ١٠٠ الأعمال التجارية .

١٠٠ — ٨٥ الاعمال التجارية الحقيرة .

٨٥ — ٧٠ الاعمال اليدويه.

٧٠ — ٥٠ عمل فاعل .

تحت ٥٠ — معهد ضعاف العقول والبله ...

بعد أن ينتهى هذا الدور دور التوجيه ، يبقى لدينا دور الاختيار ، الخاص بالمهنة الخاصة التى يتقدم اليها الطالب . فبعد التحدث الى الطالب للحكم على طبيعته لنرى هل تتلاءم مع طبيعة العمل الذي يتقدم اليه ، يجرى عليه الاختبار : والاختبار نوعان تركيبي وتحليلى : أما التركيبي فمعناه اختبار العمل بحالة ، والتحليلى نختبر به الطالب فى أجزاء العمل المختلفة . أما الأول فقد وجد الأصوب أن يختبر فى العمل ذاته ، بل فى شيء مشابه له .

خذ مثلا طريقة اختبار سائقى الترام فى هامبورج .

يوضع أمام الطالب لوحة فيها نوعان من الثقوب مفرد ومزدوج ، المفرد يشير الى عابر الطريق والمزدوج يشير الى مركبة ، والمفروض ان المركبة أخطر من العابر ، وأن الخطر فى كليهما يزداد بقرب المسافة . يوضع تحت تصرف السائق جرس ، وآلة تدار باليسرى . وآلة تدار باليمنى ، فالأولى للخطر الصغير ، والثانية للخطر الأكبر شأنا ، والاخيرة للخطر الداهم ، ثم تدار الثقوب ، وتدنو اليه بطريقة خاصة ، وعليه أن يستعمل الجرس أو آلة اليد اليسري ، أو اليمنى ، حسب توجيه الثقوب اليه .

فيتضح بذلك للمتحن أن يعرف هل هذا الطالب كفء لوظيفة سائق ترام أم لا . وهكذا فى باقى المهن ، وهذه الاختبارات توجد لدي جميع الشركات ، ولا يمكن أن يقبل جزافا لمجرد توصيته كما هو الحال عندنا فى مصر مع الاسف ، حيث يمكن بتوصية لشركة الترام أن يعين السائق بعد تمرين قليل . فلا تلبث أن تسمع عن الحوادث فاذا علمت السبب لا تعجب لان الاختيار عندنا غير موضوع على قاعدة علمية بتاتا بل هو لمجرد « أكل العيش ! »

هذه هى الطريقة التركيبية . أما الطريقة التحليلية ، فترمى إلى امتحان الطالب فى أجزاء العمل . ففى عمل الكوائين ، فى المحلات الكبيرة الخاصة بذلك يقسم هذا العمل إلى فرز وغسل ومكوى ، وكل قسم من هذا يجزأ الى أجزاء أخرى صغيرة ، ويلاحظ ، عمل الطالب من كل جهاته . ففى احدى هذه الشركات كانت نتيجة اختبار طالب هى كما يأتى :

(١) ذكاء تحت المتوسط . لابأس .

(٢) عنده ملاحظة جيدة للبقع ، وعنده نظر صائب فى طى الملابس للحجم المناسب .

(٣) حركاته اليدوية طيبة ، وسرعته جيدة ، ومنتظمة .

(٤) يبدو عليه الاهتمام ولا يتطرق له السأم فى أثناء العمل .

(٥) قوته الجسدية تامة .

وكما أنى ذكرت لكم الطريقة التركيبية فى هامبورج لانتخاب سائقى الترام ، ففى انكلترا تتبع الطريقة التحليلية ، فان هذا العمل لو حللناه لاجزائه لوجدناه يستدعى (١) سرعة تركيز الفكر والنظر (٢) الانتباه (٣) حضور الذهن (٤) الثقة بالنفس ، وهكذا فيعطى الطالب امتحانا فى أجزاء العمل المختلفة ليرى درجة صلاحيته له .

هذا هو بايجاز موضوع سيكلوجية المهنة بقسميه التوجيه والاختيار .

وترون أنه قد وضع على قواعد عملية دقيقة تضمن بها الشركات والمصانع حسن اختيار عمالها أو صناعها .

القسم الثالث من كلمتنا لا يقل أهمية عن سابقيه ، وهو سيكلوجية العمل نفسه .

سيكلوجية العمل

تقوم سيكلوجية العمل كما تقوم سيكلوجية العامل على أننا بصدد مخلوق بشري لا آلة صماء . فهذا المخلوق البشرى له انفعالات وآمال ومطامح ، وله نزعات وميول ، وله أصدقاء وله أعداء وبه حاجة الى الراحة التى ان لم يعطها اختلسها ، وبه حاجة الى الجو الذى يساعده على العمل ، وبه حاجة الى دفع السآمة والضجر ، وبه حاجة إلى فهم كيانه الجسدى .

والعوامل التى تؤثر فيه وترهقه ، وبالجملة هو فى أشد الحاجة لان يفهم أنه إنسان ، وأن يعامل كانسان .

سيكلوجية العمل ترمى الى درس مسألة التعب . وما هى الدوافع التى تؤدى اليه . لان التعب يؤثر فى الانتاج العام وهو ماترمى الى تحسينه كل الجهود ، وخاصة علم السيكلوجية الصناعية ، الذى ما قام حقاً إلا ليصل الى تحسين الانتاج العام واطراد نموه ودرس العوامل التى تؤدى الى تأخره وتقهقره

ومن الواضح الجلى أن العامل المرهق المتعب لا يستطيع أن يؤدى النتيجة المرجوة منه ، وقد اتضح أن السبب الاكبر لفشل الانتاج الصناعى ، هو أولا كما ذكرت هنا عدم فهم نفسية العامل وذلك يؤدى الى أن يجعل منه رجلا مهملا متراخيا ، لا لذة له فى العمل ولا دافع ، والثانى هو إرهاق العامل بكثرة العمل وطول الساعات وقلة الراحة على زعم أن ذلك يؤدى الى وفرة الانتاج ، وهو رأي خاطىء تمام الخطأ كما دلت على ذلك الاحصائيات والبيانات المتعددة من آلاف الشركات والمعامل والمصانع التى درست هذا الموضوع وأجرت عليه تجارب عديدة .

ما هى أسباب تعب العامل ، وكيف يمكن اتقاؤها ؟ أو بعبارة أخرى كيف يمكن الحصول من هذا العامل على أكبر نتيجة بأقل ما يستطاع من الجهد ؟

التعب إما عقلى أو جسدى أو عصبى . وليس بين التعب فى العقل أو الجسد أو العصب فاصل ، بل الواقع أن الجسم وحدة متماسكة وما يؤثر فى جزء منه يؤثر فى الآخر .

أما التعب العقلى ، فقد درسنا أسبابه فى كلامنا على نفسية العامل ، ويزيد على ذلك طبيعة العمل فى العصر الحديث ، فان حالة الآلات تستدعى انتباهاً وتركيزاً منها للعقل ، ولابد أنكم شاهدتم رواية العصر الحديث لشارلى شابلن فهى رواية عظيمة قائمة على سيكلوجية الصناعة ، ففيها يعطى شارلى آلة ويكلف أن يربط بها مسامير فتصير حركته هو آلية ، وترهق أعصابه وفكره حتى أنه حين يرى أحدى العاملات يخيل له أن أزرار معطفها هى تلك المسامير التى يربطها فيجري اليها ليربطها بالآلة التى فى يده .

وغير ذلك فان هذا العمل الآلى المتواصل يؤدي الى السآمة ، وقد تفننت الشركات فى إبعاد هذه السآمة ومعالجة هذه الأعصاب المتوترة باعطاء فترات كثيرة من الراحة والترويح عن العمال بطرق شتى من التسلية ، ولم يلاحظ أن الانتاج العام قد قل على أثر ذلك بل بالعكس وجد أنه تحسن عن قبل .

أما التعب الجسدى وهو تعب العضلات ، فاسبابه كثيرة ، وهو قسمان التعب غير اللازم وهو الذي يمكن تداركه واستبعاده ، والتعب الذى لا يمكن تداركه لأنه ملازم وضرورى لكل عمل نعمله مهما كان نوعه .

أما النوع الأول وهو التعب غير اللازم فاسبابه سوء التهوية وسوء الاضاءة وسوء ترتيب العمل

أما سوء التهوية فيؤدى إلى الخمول والتعب وقلة الانتاج ، وقد اختلف الباحثون كثيرا فى اثبات سبب ذلك الخمول ، فمنهم من قال أن السبب هو تشبع الجو بثانى أكسيد الكربون وآخرون قالوا أن السبب هو قلة الاكسجين الصالح ، وآخرون قالوا بل مواد سامة تخرج مع التنفس من الرئتين . وعلى هذا كان المعقول والمفروض أن مجرد دخول هواء صالح بدل الفاسد يغير هذا الخمول ويبدده ، ولكن ذلك لم يحصل أى لم يتجدد النشاط بتجدد الهواء ، فلا بد إذن من سبب آخر . وقد عرفوه . ذلك هو ركود الهواء أو الرطوبة حول الجسد .

فان الأول يمنع تسرب الحرارة من الجسد فتحدث حرارة داخلية هى السبب فى الخمول والتعب والرطوبة تمنع تبخر العرق والافرازات فتحدث خمولا وتعباً كذلك . إذن يمكن إحداث حركة فى الهواء الراكد بواسطة مراوح تبرد الجو إلى درجة خاصة .

أما الاضاءة فانتم تعلمون أن سوء الاضاءة يؤدى الى تعب الأعين ، وتعب الاعين يؤدى الى إجهاد الجسم على العموم ، ومشابه لسوء الاضاءة النور الشديد القوى الذى يبهر العين ويجهدها ، وكذلك دخول النور من نوافذ ضيقة أو معتمة ، وكذلك وضع النور فى موضع خطأ بالنسبة للعامل ولكن هذه المسائل كلها أمكن معالجتها تماما بواسطة الاضاءة الهندسية الحديثة التى ترونها وتعجبون بها فى المنشآت العصرية . حقاً إن الانسان ليعتاد أسوأ الظروف ويحاول أن « يتأقلم » كما يقولون أى أن العامل الذى يعمل فى الرطوبة يروض نفسه على تحملها ، والذى يشتغل فى نور ضئيل لايلبث أن يعتاده على الزمن ولكن ليس معنى ذلك أنه يستطيع أن ينتج كالآخر الذي توفرت له التهوية الجيدة والنور الحسن التوزيع والقوة .

فالواقع أنه لوحظ تحسن الانتاج تواً بمجرد الالتفات إلى حالة التهوية والاضاءة .

وشوهدت نتيجة أخرى . تلك النتيجة هى قلة عدد الاصابات بعد تحسين التهوية والاضاءة ، لأن الاصابات على العموم لها سببان الاول اختيار العامل لمهنة لايصلح لها ، والثانى أن يشتغل وهو متعب ، ويظهر أن السبب الاول وهو سوء الاختيار يؤدي إلى السبب الثانى وهو التعب بسرعة لأن العامل الذى يكلف بعمل لايصلح له يتعب بسرعة ولذلك تكثر اصاباته ، وقد اتضحت حقيقة عجيبة على أثر ذلك وهو أن العمال الذين يصابون أو يتسببون فى الحوادث هم هم فى كل مرة تقريبا

السبب الثالث للتعب غير اللازم هو سوء ترتيب العمل ومعنى هذا أن يقتضى العمل من العامل القيام بحركات لاضرورة لها ، كأن يكلف المشى إلى آلات بعيدة عن متناوله ، أو أن يرفع يديه أو يخفضهما كثيراً لتناول شيء للقيام بعمله ، ومن سوء العمل أن لايكون له نظام ثابت ، فيتردد العامل فى إثر كل خطوة يخطوها ، فيتكلم ويسأل ، ويسير من هنا إلى هناك ويضيع مجهوده فى حركات تؤدى إلى تعبه وقلة انتاجه الفردى .

كيف يمكن دراسة هذا التعب ؟ . أولا يعرف وجوده تواً عند مايتبين نقص فى الانتاج العام ولكننا لانريد أن ننتظر هذه الكارثة حتى نتلافاها ، بل الامر كل الامر أن نتقى الداء قبل وقوعه وقد اتبعت لذلك طريقة شيطانية عجيبة هى ايجاد مايسمى بالرسم البيانى للعمل ، وهى أن يكون لكل عامل ورقة يرسم فيها رسم بيانى لعمله ، قائم على بيان مقدار انتاجه الفردى فى كل ساعة من ساعات عمله ، فهو تسجيل كتسجيل ورقة الحرارة عند المريض ، وقد اتضح أن للعامل العادي خطا بيانياً لايتغير ، فهو يبدا بارتفاع فى النشاط لايلبث أن يبلغ القمة ثم يهدأ ويصير مستويا قليلا ثم ينخفض بالتدريج .

فاذا كان العامل متعباً فان القمة أولا ينخفض مستواها ، وثانيا يحدث انخفاض فجائى فى الخط

النازل ، والعجيب أن هذا الرسم يبين ان كان العامل سئماً أم لا فان رسم السآمة يكون على شكل لوادى أى منخفضاً من الوسط مرتفعاً من الجانبين لان العامل يبدأ بنشاط وينتهى بنشاط لكى ينجز عمله قبل الانصراف ، ويتكاسل فى أثناء النهار لانه سأمان . .

فعلى ذلك توضع لوحة أمام العامل المختبر وهذه اللوحة فيها دائرة وكل دائرة لها مركز ويعطى العامل قلماً وتمر عليه الدوائر ويكلف أن يصيب المركز بالقلم ، ثم تحصى أخطاؤه فيتبين منها على وجه التقريب إلى أي درجة هو متعب .

* * *

ما نوع التعب الآخر وهو الذى لاغنى عنه فقد أمكن دراسته بواسطة مايسمى الحركة أو الزمن ، أما الحركة فقائمة على رسم حركات العامل بالفوتوغرافية فى أثناء عمله لكى يعرف بالضبط حركاته المجدية وغير المجدية ، وأما الزمنى فباحصاء الزمن اللازم لكل جزء من أجزاء العمل حتى يمكن تقدير كم من الزمن يأخذ العامل فى انجازه جميعه .

* * *

الآن كيف يمكن تلافى التعب ؟ هناك حقيقة سيكلوجية هامة جداً اكتشفت حديثا وأدت إلى نتائج لم تكن متوقعة . وهى أن تقصير ساعات العمل وإعطاء فترات راحة فى أثناء العمل وفى آخر الاسبوع تؤدى إلى زيادة الانتاج لا إلى قلته .

هذا هو موضوع سيكلوجية العمل وقد فصلته تفصيلا دقيقا لأهميته فأستميح العذر فى التطويل نصل الآن إلى الجزء الاخير من كلمتنا وهو سيكلوجية الاعلان . وهو جزء شائق جدير بالدرس .

سيكلوجية الاعلان

ذا ضمن الصانع نجاح مصنعه ثم أراد توزيع بضائعه وجب عليه أن يعرف كيف يعلن عنها . فسيكلوجية الاعلان مبنية على فهم الطبيعة البشرية ومستندة إلى قواعد علم النفس فى إثارة الالتفات واستدامة الالتفات والتذكر . فانه لايكفيك أن ترى اعلانا ما . بل يجب أن يبقى فى ذاكرتك . ولا يجب أن يبقى فى ذاكرتك فقط بل يجب أن تذكره فى الوقت المناسب حين تحين الحاجة فالاعلان يستدعى شيئين النداء والاستجابة . فاذا كان النداء ناجحا كانت الاستجابة ناجحة الطرق الميكانيكية وتتوقف على قوة النداء ، فانه يجب أن يكون النداء قويا لكى يسمع . ويعتمد كذلك على الحجم . فكلما كبر حجم الدعوة أو النداء ، كان التأثير أقوى ، ولكن

اتضح أنك اذا أعلنت فى ربع صحيفة ٤ مرات كان ذلك خيرا من الاعلان مرة واحدة فى صحيفة واحدة.

ومن طرق الأعلان الميكانيكية القوية الاعتماد على الحركة . ولذلك نرى إعلانات أسبرين باير ذات الضوء الكهربائى المتحرك .

وكذلك الاعتماد على الألوان والتناقض بينها ليزداد الشىء وضوحا كأن يكتب اسم الشىء باللون الأسود على أرضية بيضاء وكذلك الاعتماد على المكان . فان العين تميل لأن تتجه اتجاها خاصا وقد وجد أن ذلك الى أعلى و ناحية الشمال فالأعلان الذى يظهر فى أعلى الصفحة والى الأيسر يكون أقوى من غيره .

هذه هى الطرق الميكانيكية وكلها تستلفت النظر أما الذى يستديم الالتفات فيقوم على شيئين الأول التنوع فى صورة الاعلان والثانى ان يكون الاعلان سارا لطيفا

والثالث التكرار . وقد اتضح أن الانسان ينسى معظم الشىء فى الأيام التالية له ، ثم يصير النسيان أيضا

والرابع أن يراعى أن أبقى الأشياء فى المذاكرة أكثرها وضوحا ،والتى تسرنا لأول وهلة

والخامسة أننا نتذكر الشىء العام أولا ثم الخاص

هذا هو النداء أو الدعوة ، فكيف نضمن الاستجابة ونضمنه بالتأثير

أولا : التأثير بتعديد الصفات التى يمتاز بها الشىء

الثانى : التأثير باستغلال أسماء شهيرة فان العقل دائما يرتاح الى ذكر العظماء أو المشاهير الذين يحبهم . الثالث لكى نضمن التأثير لابد من مراعاة قواعد هامة سيكلوجية « ١ »يجب أن يكون الاعلان ايجابيا أى ليس فيه من صور النفى مايستثير التفكير فى معناه والاعتراض عليه .

«٢» يجب أن تكون الحقيقة واضحة وعلى شكل اخبارى عام ، لان العقل يحاول أن يعارض كل ما هو صادر خارجا عنه .

« ج » لايجب أن يكون فيه مقارنة فان هذا يستدعى التعليل والتفكير

قصة في رسالة للاستاذ محمود اسماعيل المـكى

هذه الدنيا لمن

عزيزتي المحبوبة

تلحين لـكي أبعث اليك باخبارى ، فهى تطربك وتشجيك كما تقولين . سامحك الله وهانذا أكتب لك قصة مثلما تقرئين فى الصحف والمجلات . هى حقا طريفة وأن يـكن ينبعث من جوانبها الالم . ولقد تحيرت فى عنوانها اذ وددت أن اسميهـا الممرضة الحسناء ، هـكذا ينعتون صديقتك وينادونها فى تلك المستشفى التى كانت غرضا لحوادث هذه القصة . وهو عنوان أخاذ براق . يدفع الانسان الى القراءة . تري ماخطب هذه الممرضة الحسناء ؟ وماهى حوادثها اللذيذة المحببة الى النفس ولـكنى جادلت نفسى فى أمر العنوان الآخر ذلك لانى تساءلت عشرات المرات ، كما ساءلنى غيري خلال فصول هذه القصة ، ترى هذه الدنيا لمن ؟ فلم أكن ألقى جوابا . ولقد كانت تتراءى لى أشباح حيوية فجة هى حقا مؤلمة . وانى أصارحـك القول بانه عنوان غريب كئيب من دأبه أن ينفر قارىء الصحيفة من محاولة قراءتها . ولما كنت أكتب لك ، وليس للصحيفة ، فقد أحببت أن أتوج به قصتى ، فهو مما ترتاح له نفسى ، وأنى أعرف سريرة نفسك ولعلك تساءلت ذات يوم عين السؤال ترى هذه الدنيا لمن ؟ فهل تجدين جوابا فى روايتى ؟

تعرفين أنى قدمت المستشفى فى بواكير شتاء عام ١٩٣٣ نقلا من قصر العينى حيث كنا نعمل سويا . لقد استطبت عملى فى دار المستشفى الجديدة . فهى قائمة على ربوة عالية الى جانب البحر ، وهى متسعة منسقة ، ذات جو شاعرى ، أصلح الأمـكنة مسرحا لقصص الغرام . فالبحر وزرقتـه ، واتساع الأفق ثم انبساطه . وهذه الأشجار قائمة باطراف المستشفى . وتلك الطرق الملتوية مكسوة بالعشب الاخضر . والهواء الرطب . والشمس الفاتنة بالنهار . ثم ظلمـة الليل السادل ، وفيه السماء حالـكة تلمع فيها النجوم منذ الابد والى الابد . لقد سـكرت حين رأيت ذلك . وهتفت من أعماق نفسى « كل هذا لك يامالك ... » ولـكن ... ، هل من رفيق يملأ نفسه معى من ذلك الجمال ويغذى روحه من هـذا الحسن الفائض ، فارى فى وجهه بهجة الدنيا ونحيا معاً مثل عصفورين هبطا الى الجنة فأنشدا أعذب الالحان

ولعل السماء استجابت لي ... سمعت صوتاً عذباً ، مثل حفيف الشجر أو رجع الموسيقى يهمس

خلفى .. « ملك .. ملك .. » استدرت فى سرعة فاذا الدكتور كمال ـ الطبيب الامتياز بالمستشفى ـ

— ماذا يادكتور ..

— أنت هنا وحدك فى نور القمر . . بماذا تعبثين

— لقد أحببت أن أسمع سكون الليل ، وأبصر صفحة الماء السوداء ، فاذا هى بيضاء كاللجين منحة من ذلك الملك الجميل الذى يختال فى قبة السماء

— شاعرة ... أنا أيضا أحببت ذلك وسعيت اليه ، فلقيتك ، فاستنار وجهى وقلبى ، قمر فى السماء وقمر فى الارض

اضطربت وخفق قلبى ، وتخاذلت ساقاي .:. ساءلت نفسى :

— أيكون هو ؟ . . : ودكتور ؟ . . رباه ! . . .

لقد كان الدكتور كمال شاباً رشيقاً أنيقاً ساحر العينين ، مستقيم العود ، بارع الحديث ، مثلا اعلى للشباب المرح ، ولقد سمعنا عنه نتفاً من أفواه الزميلات فلم يكن هو المنتظر ولم أفكر فيه لقد قلن انه محبوب من النساء ومحب لهن ، وانه رجل ذو غزوات وذو ماض لشد مايرعب العذراء ولكنى صممت أذنى عما سمعت ، وقلت لعله افك وبهتان

التمس يدى ومرنا فى صمت الى طرف من المستشفى وجلسنا تحت شجرة وارفة ـ لا أعرف اسمها ـ تحجب عنا نور القمر الكشاف . وقبالتنا البحر يغمرنا بنسيمه الرطب

قلت — هل تعشق الطبيعة

قال — هنا أسعى اليها أغلب الليالى فأسبح فى بحرها المحيط . وأسمع نغمها الشجى ، وغناءها الساحر ، فاشبع روحى الظمىء الى الجمال

— هل أنت نوبا تجىء الليلة

— هو ذلك ولكن لايعرف مكانى أحد . وأنت

— أنا كذلك نوبا تجيه . .

— ولايعرف مكانك أحد . .

ثم ضحك فى سرور

قال — لقد رأيتك اكثر من مرة فى القسم الباطنى ، وأنا فى الجراحة . فحسبتك فتاة عادية ، فلما لقيتك هنا ، كأنك بنت الطبيعة أكبرتك ورأيت نفسى ظالما لك . . . يخيل الى أنك لست ممرضة ، ولكنك أميرة ...

فغضضت من بصرى الى الارض فى اضطراب ، وقد أحسست كلامه ينفذ بعيداً الى أعماق نفسى

فيسكرني و[illegible] كاد أن يغمى عليّ

قال — ملاك . . سل تسمحين بأن نتصادق ونتحاب ، بكل معنى الكلمة البريئه ، لننعم معاً بجمال الوجود وسحر الطبيعة . لا تحسبي شأنا لمركزينا

كلانا سواء أمام الله ، وأمام البحر العظيم ، وحين نفارق هذه الدنيا — الجحيم — التى تجعل من الناس عظيماً وصعلوكا ، وغنياً وفقيراً ، وصحيحاً ومريضا . . . أنا وأنت سواء . . . انسان كامل ، له قلب وله حس وله شعور . هل تسمحين بصداقتى

لقد ذرفت عيناى الدموع ، فما سمعت ذلك الحديث المقدس مرة فى عمري ، رغم انى كنت أشعر به مسطوراً فى فؤادى . ووجدتنى أهبط على يديه أقبلهما وأبللهما بدموعى . وهو يلف جسمى بذراعه اليمنى . ونحن جالسان . وأخذ يقبل شعرى ثم يعبث به ويقول :

— ها قد تفاهمنا . . — وها قد جاءنى جوابك سريعاً . بالله ما أبدعك وأعظمك . وأنت منذ الليلة صديقتى ومعبودتى . . ثم قبلنى فى جبينى . قبلة ملتهبة . . سرت منها الكهرباء الى كل عضو فى جسمى

جلسنا على تلك الربوة زهاء ساعة ألقيت اليه بخلاصة حياتى الماضية ، وهى عادية كما تعلمين — خلت من الحوادث والوقائع . وهو بدوره قص على مجمل حياته — فى الدراسة الثانوية ثم فى كلية الطب ، كصفحة ناصعة من التلمذة البريئة . ثم عرج على ما يشاع عن مخاطراته ، فنفاها نفياً . معللا إياها بحفيظة أولئك الفتيات اللائى يمقت أن يصلهن ، وهن اليه راغبات . وانه طاهر الذيل كالعذراء البتول ، فلم يداخلنى الريب فى ذلك

قال — لقد اصطفيتك دونهن رفيقة وصديقة ، فلا أحب أن يعلمن سرنا ، وإلا سعين بنا ووشين وهن علينا واجدات

هكذا صرنا صديقين ثم حبيبين مدلهين . وبدت الحياة لى ربيعاً مزدهر الورود والأزهار . وجعلت الأيام ترجّع أناشيد ملؤها الحب واللهو والمرح . هبطت إلى السعادة فاستلبتها لى وحدى وخبأتها فى أعماقى لئلا تفلت منى . . فحيثما أغدو وأروح ، وأنام وأقوم ، تصحبنى هذه السعادة فأري الدنيا ونفسى مثل بستان وكروان

أنا حبيبة الدكتور كمال . وسوف أكون زوجته — هكذا قال لى — وسوف يبتاع لى قصراً تدور به حديقة بها الزهر والياسمين ، وسوف يقدم لى أرشق الهدايا ، وأزهى الثياب . . وسوف يصحبنى فى كل مكان وكل زمان . كذلك نسلخ أيامنا على هذه الأرض

كان الأسبوع الثانى عقب تعارفنا حين رجانى وألح فى الرجاء — ذات ليلة عطرية — أن

أقابله خارج المستشفى فى احدى المنتزهات العامة ، الخاصة . البعيدة فى ضواحى المدينة . فأجفلت :

— لم يا صديقى وهل يكون المكان أجمل من هذا المكان

— هل تخافيننى

— حاشاى

— هيا نبصر الدنيا معاً ، وننتقل كطائرين من غصن إلى غصن ، ومن زهرة إلى زهرة ، لا ندع بقعة حتى نشهدها حبنا وسعادتنا

— ترصدنا العيون ، فيفشو السر

— لا ، سنكون فى نجوة ، لا تحسبي لذلك شأنا . اليوم سر وغداً جهر . . هيا يا حبيبتى

انطلقت بنا السيارة فى اليوم التالى إلى الضواحى ، وكان الأصيل فى أبهى حلله ، والنسيم رقيق لطيف ، واجتزنا مروجا خضراء ، وحطت السيارة أمام كازينو فى الخلاء ، مزدان بالأزهار فى حيطانه وأبوابه . تبعث الينا من جوفه أصوات ورقة من الموسيقيين . فأقبلنا عليه ، واحتوانا كما احتوى غيرنا ، ساعات من الليل ، هى دقائق من العمر

لقد كانت أمسية فذة ، أتمنى لك مثلها ، ولا أتمنى

* * *

كان صباح الغد كئيبا فقد هبط الغرفة رقم ١٣ مريض جديد ، كان له شأن فى هذه القصة . هو شاب فى نحو الخامسة والعشرين ، نحيل ، أصفر الوجه ، ذاهب ماء الحياة ، وان يكن حلو القسمات ، ذابل العينين ، ينظر إلى فى حياء ، فاذا تكلم فكأنما عيناه تدمعان

لم أدر مرضه على وجه الدقة . ولكن كلفت العناية به . وأثار الطبيب الذى يعالجه بأن أبدأ فأناوله ـ تحت الجلد ـ قدراً من سائل (الكلسيوم ساندوز) فكشف لى من جسمه وأديت العلاج . ما أبشع ما رأيت ، وأي بنيان آدمى

علمت ان المسكين يبصق دماً ، وأنه من الموت قريب ، ولكنه كان يبتسم فى يأس ، لم يكن يخشى ، ولكنه كان حزينا

لست أدرى لم أشفقت عليه ، وعندي مثله عشرات ، كان ينادينى بأدب واحترام فلا يقول إلا « مدموازيل » ـ على عكس جميع المرضى الذين ينادوننى بالاسم المجرد أو بأنت . وكان يطلب برجاء ولا ينسى أن يشكرنى بعد تأدية واجبى

الحياة غريبة حقا ، بينما هى تبسم للبعض اذ تعبس للآخرين . بل قد تبصق فى وجوههم . شاب فى ربيع العمر يتعذب على هذا النحو . . وقد يذهب . . ولربما لم ينعم خلال عمره القصير بما هو من حق الناس

لقد وجدت نفسي كلفة بانقاذ الفتى . لقد فكرت فى ذلك . ووطنت العزم على بذل كل عنايتى لكى يشفى ولكى يأخذ حظه من الدنيا ولعل دافعى فى هذا كان سعادتى التى أحببت أن أفيض منها على العالمين

بدأت أتحبب اليه فأدخل غرفته . فى الفينة بعد الفينة . أرتب شئونه . فأرى درجة حرارته وموعد تجرع الدواء . ثم اسأله ان كان يحتاج الى شيء . فكان يرنو إلى بعين غريبة . فيها شكر ورجاء وأمل

فأقول - لا تجزع أيها العزيز . لقد عنيت بعشرات مثلك . بل وأشد مرضا منك . وهم الآن أحياء ينعمون بهذه الدنيا الجميلة

-- صحيح . .

-- هل من ذلك شك . تبدو عليك دلائل الصحة . ما هى إلا نوبة فى طريقها الى الذهاب

-- شكراً من أعماق نفسي

فاذا كان المساء - وكنت نوباتجية هذا المساء - رجوت الدكتور كمال . على رغم منه ومنى . أن يدعنى شطرا من الليل الى جانب مريض يحتضر . أمرنى كبير الاطباء ألا أفارقه

كان المريض المسكين يخاف النوم ويرغب عنه - لا سيما الهزيع الاخير - فهو يزعم أنه الزمن الذي حددته الغائلة لمهاجمته . وهو يبصق الدم فى آخر الليل

أراد أن يقضى ليلته هذه ساهراً ، وألححت عليه كى ينام ولكن عبثا ، فوطنت النفس على قضائها الى جانبه أواسيه . طفقت أحدثه من هنا وهنا . ثم جعلت أقرأ له بعض الصحف والمجلات التى أحضرتها

حتى انبثق الفجر ، وأنا ساهرة فى حضرة شاب نسمر ونتحدث وقد شعرت بانى قطعة من العاطفة السامية ، وأنى أذوب شفقة ورحمة بهذا الفتى فغبطت نفسى على نبلها وجلالها

علمت منه أنه رقيق الحال ومركزه الأدبى صغير ، ولكنه كان ذا ثقافة واسعة نتيجة اطلاع ورغبة فى المعارف . وكان ذا شعور فائض وخلق كريم . ولعل ذلك الداء الوبيل . لو أنه هو - يجعل من فرائسه مثلا غاية فى التهذيب والكمال الروحى

اذا كان اليوم الثانى عند الظهيره اقبلت عليه فرحه متهللة وبيدى نتيجة امتحان بصاقه

قلت - هيه . . ياصديقى ها أنتذ برىء معافى

-- كيف ؟

-- انظر هاهو تحليل بصاقك سلبي للمرض الخبيث

-- صحيح . . أرينى

فأدنيت منه ورق الامتحان فنظر اليها وفى سرعة تناول يدي وقبلها ، واغرورقت عيناه

« * »

لقد أصبحنا صديقين ، ويبدو لى أنه يرانا حبيبين

لقد سلخنا أياما فى عيشة غريبة ، كانت حقا هادئة هانئة ، كم ليالى قضيناها فى الغرفة رقم ١٣ أقرأ له أدبا وقصصا . لقد أرادنى أن أقرأ له قصة اسمها روفائيل ، بطلها شاب مريض بداء الصدر ، كثير الشبه منه ، جمال وشباب ، وعاطفة نبيلة وحب عفيف وخوف من الحياة . لقد سمحت لمريضى أن يطارحنى الغرام — عذرا ياعزيزتى — فى سبيل شفائه ، وسمحت له أيضا بتقبيلى ، ولكنه لم يقبل سوى يدى

والحق لقد أصبح له فى قلبي نصيب ، ومن روحى مكان . ولو لم أكن أحببت الدكتور كمال ، لكان مريض الغرفة رقم ١٣ حبيبي الاول وخطيبي الحق

مرت الأيام تجرى وراء بعضها وأنا لا أرقبها ولا أعنى بها . لقد توزعت أوقاتى فى قسمة عادلة بين الشابين . فحيثما أكون فى المستشفى ، فمعظم الزمن انفقه الى جانب المريض — مافى ذلك حرج — فنتحدث عن حبنا وعن مستقبلنا . وحيثما أخلو من العمل الى الفراغ ، يلتهمنى الدكتور كمال فنظل نلهو ونسمر الساعات

لقد حاسبت نفسى طويلا على هذا السلوك الغريب . هل أنا منافقه . هل أنا عاشقه لكليهما ، وهل يتسع قلبي للشابين معا . لست أدرى ، ولكنى أعلم أنى أحب الدكتور كمال حبا جما ، يملك منى النفس والجسد ، وأعلم كذلك أنى أحب المريض رقم ١٣ حبا جما . ولكنى أحسب حبه من نوع آخر ، ربما كان قريبا من ذلك الحب الذي ينبت بين أختين أو بين أم وابنتها

كلاهما يقبلنى وأنا راضية لهذا . حقيقة أحدهما يقبل وجهى والآخر يدى ، لكن كليهما يحسبنى حبيبته الوحيدة . ثم ماذا . . وهل أخفى عنك شيئا .. لقد ارادنى الدكتور كمال فثرت على العرف والواجب ولكنى لم أتورط فى الاثم الى أبعد حد

أما ذلك الفتى المسكين ، العاشق المريض ، فكان يرانى أطهر مخلوق على الأرض . لقد طلبنى الى الزواج منه ، ووعدته بذلك — وكان يقول أننا خطيبان أمام الله — عذراً ياأختى — لقد كنت انتوى فسخ تلك الخطبة الوهمية - عقب شفائه - لكى لاتسوء حاله

مازالت تدوى فى أذنى كلمته حينذاك وهى :

« لقد كنت ملاكا كريما فأحببت أن أكافئك ، ولكنى كنت أخشى منى عليك ، فلما شفيت أو قاربت الشفاء ، ووجدتنى سليماً معافى ، مثل كل الناس ، قدمت نفسى ، روحا وجسما ، ثمنا لحنوك وعطفك على ، فاقبلينى زوجا ، بل عبداً مخلصا وخادما أمينا »

ولكنها ثلاثة أيام بعد ذلك الاعلان حين قرر كبير الاطباء أن المريض رقم ١٣ أبل وصرح له بالخروج من المستشفى والعودة الى أعماله .. وحين خلوت به بعد ذلك ، وهو يكاد يطير من الفرح ويعلنى أنها أيام قلائل ثم اهجر هذه الحرفة

فى الغرفة رقم ١٣ بكيت فبكى

قلت — يا أخى العزيز عفوك وصفحك ، انى مخطوبة لغيرك

— ماذا ؟

— نعم أنا خطيبة الدكتور كمال

— منذ متى .. ولكنك وعدتنى . . هل كذبت ، لا أحسبك تستطيعين

— لقد وعدتك لكى أرفه عنك ، لكى أقهر العلة

— اذن لا تحبيننى

كانت الدموع تبلل وجهى خفضت بصرى الى الأرض وتمتمت . نعم .. وأنا لا أدري ماذا أقول فتأوه المسكين وكاد أن يهوى على الارض وأشاح بوجهه عنى . لقد حسبته سوف يثور ويتهمنى بالخيانة — وله عذره ، ولكنه عاد الى وقال :

— اذن كان عطفا وشفقة مازعمته حبا وغراما .. ومع ذلك فاشكرك ايتها الاخت .. وأرجو لك زواجا موفقا مع الدكتور كمال

ثم غادر الغرفة رقم ١٣ ولم أره بعد ذلك ولم اسمع عنه خيراً أو شرا

لقد انتهى حلم قاس فيه عذاب وفيه هناء .. انقضى كأن لم يكن

والحق لقد شعرت بان عواطفى تتمزق حين فارقنى الفتى أحسست أننى أحبه وأنى لا أقوى على فراقه ، وعجبت من نفسى كيف صارحته بعدم حبي .. حقا يا أختى العزيزة ، انى لا اعرف كيف هو .. ان كنت أحب ذلك الفتى فما نوع حبى لكمال ؟

ثم ماذا ؟

ثم ثلاثة أيام بعد ذلك أيضا فاعلم أن الدكتور كمال نقل الى مستشفى فى بلد آخر ، فتكون الصاعقة واعجب كيف أنه لم يخبرنى وهل يكون نقلة فجائيا لا يعلم به هو الآخر . ولكن يصل الىّ منه خطاب — من ذلك البلد البعيد — يذكر أيامى السعيدة .. ويأسف لهذا الفراق . ولكنه يعوضنى عنه أنيسا جديدا هو الدكتور فوزى فهو يعرف سرنا .. وهو يوصينى به خيرا

لا تدهشى ياعزيزتى ، لقد صارحنى الدكتور فوزى بان كمالا اتخذنى ملهاة . وأما هو فسوف يكون الوفى الامين . هى النغمة السابقة يرجّعها صاحبه

احسبنى ضايقتك ياحبيبتى فعفوا لقد كان ذلك أيضا حلما فيه هناء وفيه عذاب . ولقد انقضى كأن لم يكن . وأنى أختم كتابى فابعث لك بقبلاتى وآمالى اختك — ملك

التليباثية

أ كد أطلع على دعوتك بشأن « التليباثية » حتى عراني العزم إذ طالما فكرت في هذه الظاهرة وكنت أعزوها في الغالب الى النظرة الصوفية على الرغم مما خامرني من شكوك . ولكننا قد تعودنا منك التجديد فلعل قلمك أن يفتح بابا للاهتداء الى خاصة جديدة في النفس كما ذكرت

ولقد حدثت لى شخصيا حوادث من هذا القبيل أكتفى بذكر بعضها : -

١ -- كان أحد طلبة الطب صديقا حميما لى وكنت دائم الاتصال به بالمكاتبة أحيانا والمقابلة أخرى ولكن حدث بعد انتهاء أحد الاعوام الدراسية أنه لم يحضر كعادته فاتصلت به بمكاتبات عدة كانت كلها تفيض حنانا الى كلماته وشوقا الى رؤيته وتلهفا على صحته أكثر من أى وقت مضى وتمثل بذهنى ماأصابه فرأيته معى فى حلم وقد جلس أمامى على مقعد مدرس ثم هوي من فوق المقعد على الأرض وهو يتأوه فبكيت واستيقظت وأنا لاأستطيع أن أكف عبرتى حتى بعد اليقظة وجال بخاطرى أن مارأيته من مرضه صحيح فحزنت كثيرا وإذا بى بعد ذلك أعلم بانه عندما كان فى الامتحان أصابه نزف رئوى وتمكن معه مرض الصدر حتى توفى متأثراً به فلم أهتم بهذا الخبر لانى شعرت بانه مطابق لما أعلم من قبل

٢ -- كنت مدرسا باحدى المدارس فى غير بلدى وطبعا كنت على اتصال بوالدى وأسرتى بالمكاتبة وأحيانا بالمقابلة فنمت ذات يوم نهارا فرأيت والدي فى نومى وقد نام مريضا على سريره ففزعت لذلك وقمت وكان أول همى ان كتبت اليه خطابا لم اخبره فيه بما رأيت بل اكتفيت بالسؤال عن صحته كالمعتاد فأسرع الى الرد بانه مريض ولم يشأ ان يخبرنى فذهبت اليه فرأيته فى نومته على سريره مريضا كما رأيت ولم يزل به هذا المرض حتى اختاره الله الى جواره

فى الحادثتين المذكورتين أجلى مظاهر التليباثية التى رأيتها بنفسى وقد حدثت أشياء أخرى مشابهة إلا أنها اقل اهمية من هذه . كما حدثنى كثيرون عن أشياء وقعت لهم من هذا القبيل

وإنى لآمل كثيرا ان يكون فتح باب هذه النظرية على يديكم بفضل الابحاث المستفيضة ورجائى ان تنشروا ماتصل اليه اختباراتكم وماتنتهى اليه تجاربكم وتقبلوا احترامى

احمد مختار ابو السعد

« ٠ »

تلبية لدعوتكم العلمية الأخيرة افيدكم بان حالات كثيرة حصلت معى شخصيا فكنت كما

يقول بعضهم « قلبي يدلني » على حدوث حدث ما وسرعان مايتحقق . واقرب مثل لذلك انني وانا عائد من المدرسة ظهرا لتناول طعام الغداء بالمنزل فكرت وانا فى الطريق ان ارجع للمدرسة لتصحيح بعض الكراسات ولكن مالبث هذا الشعور الغامض او الحاسة الجديدة ان احاطتنى علما وانا فى الطريق بأنى سوف لا اتمكن من العودة الى المدرسة لان اخى الاكبر قد حضر الى من البلدة فى مهمة !! وقد كان . وتحققت « النبوءة » بما يشبه المعجزة

اما الاحلام فانى اقسمها بالنسبة لتجاربى الى ثلاثة اقسام :—

١ — الكابوس وهو مايحدث عقب اكلة ثقيلة وهو ان دل على شىء فعلى استيقاظ الذعر والخوف الذى كان يشعر بهما الانسان الاول فى عهد نزاعه ضد الطبيعة واخيه الانسان

٢ — احلام الكبت وهى استيقاظ العقل الباطن فيأخذ حريته فى التعبير عما يشاء من امانى الخ مما يحاول الانسان وهو غير نائم ان يخفيه حتى على نفسه !

٣ — احلام المستقبل او التنبؤ وهى معى صادقة فى ٨٠ فى المائة منها فما من مرة اعوم فى البحر وانا فى المنام الا مرضت . وهى لاتكون صريحة ولا تعبر عماتريد الا بالالف والدوران حول موضوعها

وانى اقتصر بهذا لعلمى بان نطاق مجلتكم الغراء سوف لايتسع لردود القراء جميعا

احمد حزين

« * »

لي صديق قد مرض بالسل وقد هزل جسمه وكثيرا ماتخطر ببالى خواطر محزنة عندما اراه فى هزاله اذ اعتقد انه لن يعيش كثيرا

وفى ذات ليلة حلمت الحلم التالى : رأيته وقد مات وانا سائر خلف جنازته وقد بلغ بى الحزن واستيقظت وانا محزون قد تولانى الغم . فلما قصدت الى المكتب وجدت اخوانى فقلت لهم وأنا مغموم . حلمت هذه الليلة حلما سيئا اذ رأيت ان صديقى فلان « وهم يعرفونه » قد مات وانى اسير فى جنازته

فصاح بى احدهم : ألم تقرأ الجرائد ؟

فقلت : لا . هل مات بالفعل ؟ وظننت انهم يقصدون انه قد نعى فى الجرائد

ولكن اتضح ان من نعى هو اخوه . وهذا هو تفسير الحلم . فانى اخطأت خطأ بسيطا اذ رأيته هو الميت بدلا من ان اري اخاه . وقد عجب اخوانى لهذا الحلم الذى كثيرا مارأيت امثاله وهذه هى التليباثية فى الحلم . فان العقل الباطن ينطلق فى النوم ويرى مالايراه المستيقظ فيشعر على البعد بالحوادث التى تجرى فى الغيب . وخطأه فى تعيين الاشخاص لاينقص من ميزته

صادق حلمى

بوذا وتعاليمه

قبل أن تفسد

ليس بين الأديان ماهو أكثر خرافات من الديانة البوذية . مع أنها كانت أبعد الاديان عند نشأتها مما يمكن أن يبعث على الايمان بالخرافات . وانما شاعت فيها الخرافات لأنها تفشت بين أمم مختلفة فى الثقافة متفاوتة فى الحضارة فاكسبتها الشعوب التى آمنت بها عقائدها الاصلية وجعلتها كشكولا من العقائد المستحيلة والشعائر السخيفة

ولد بوذا منشىء هذه الديانة حوالى سنة ٥٠٠ قبل الميلاد فى الاقليم الذى يعرف الآن باسم أوده بالهند . وكان أبوه اميراً ونشأ الابن فى العز والسؤود . ولكنه مابلغ سن الشباب وولد له ابنه البكر حتى هجر اسرته وجعل يرود الهند جائلا مفكرا . وانتهى الى وضع البوذية ومات حوالى سنة ٤٢٠ قبل الميلاد

والمتأمل لديانته كما كانت قبل أن تتعلق بها خرافات نحو ستمائة مليون مؤمن يعيشون فى الصين واليابان والهند وسيلان والهند الصينية وغيرها يتعجب من جراءة بوذا فى تفكيره واقدامه على الايمان بعقائد نكاد نتوهم انها من اختراع الروسيين الشيوعيين هذه الايام مع أنه قد مضى عليها ٢٤٠٠ سنة

وذلك أن بوذا انكر النفس الانسانية . وتطرق من ذلك الى انكار الخلود اذ مادام الانسان ليس له غير هذا الجسم الفانى فانه لن يخلد . ثم تطرق من هذا ايضا الى انكار الخالق باعتبار انه كائن مستقل . أى انه بكلمة أخرى أنكر كل مايؤمن به المسلمون واليهود والمسيحيون مما نطلق عليه عبارة « ماوراء الطبيعة »

ومن اعجب ماقاله احد اتباعه فى عصوره الأولى ان الكون ليس له بداية وأنه ليس نتيجة لسبب سابق

واصل الشرور عند المسيحيين هو الخطيئة . ولكن أصل الشرور عند البوذيين هو الألم . ويعتقد البوذى أن الآلام انما تحدث لنا لأن لنا من رغبات وشهوات . وطريق الخلاص من الالم أن نقتل هذه الرغبات والشهوات بمجاهدة انفسنا حتى اذا ماتت بلغنا حالا من السعادة يطلق عليها اسم « نروانة » هى وصول الشخص الى مستوي لايحس فيه برغبة فلا يحس الما ، وتماثيل بوذا تمثله

فى هذه الحال أى أنه هاديء راض سعيد لايشتهى شيئا ولا يرغب فى شيء . كما يرى القاريء من الصورة المرافقة وهى تمثال صينى صنع حوالى القرن الثامن للميلاد

والمسيحى أو المسلم يطلب خلاصه أو نجاته بمعونة الله ولكن البوذي يطلبها بمجاهدته الشخصية وهو لذلك لايعرف عقيدة عن العالم الآخر ولا يعترف بقيام الكهنة . وعنده أن البوذية تنحصر فى ثلاثة مبادىء هى :



تمثال لبوذا صنع فى الصين حوالى سنة ٨٠٠ بعد الميلاد المسيحى

١ — ان الأصل لجميع الآلام أى لجميع الشرور فى العالم هو الرغبة

٢ — ان الطريق للتخلص من الآلام أى لمحو الشرور انما يكون بترك الرغبات

٣ — ان السعادة تعنى النروانة أى ألا يشعر الانسان برغبة أو شهوة لأى شيء فى العالم

ومن هنا يري القاريء أن البوذية تناقض المسيحية . فان المسيح يطلب توفير الحياة وبوذا يطلب الغاء الحياة . ولكن وضع الألم كأنه الشر الذى يجب

ان توجه الجهود لمكافحته قد قاد البوذيين الى تقديس الحياة فانهم لايقتلون حيوانا ولو كان نملة . وقد أسسوا المستشفيات للحيوان قبل ٢٤٠٠ سنة . ولكن كيف نجح هذا الدين الذى رفض وجود الكهنة والايمان بالآلهة وبناء المعابد وتقديس الشعائر ؟ نجح بانكار جميع هذه الاشياء التى دعا اليها بوذا . فان للبوذيين كهنة ورهبانا فى كل مكان ولهم آلهة لاتحصى ولهم شعائر تحتاج الى السنين لحفظها ولهم معابد فى كل مدينة وقرية . وهكذا تمارس البوذية باسم منشئها وضد مبادئه وتعاليمه

قيمة الجغرافيا

من مقال للاستاذ ميلر الامريكى

كاد الناس ينسون فضل هذه المادة القديمة العهد على الثقافة العامة ، وما ذلك الا لأنها طالما كانت منذ عهد بعيد جزءا لايتجزأ من مناهج الدراسة . ولا بأس هنا من أن نذكر القائمين بتدريسها ودرسها لما فى ذلك من الفوائد الآتية :

(١) إن المعلومات الجغرافية تلعب دوراً هاما فى حياتنا اليومية ، فى عصر انتشرت فيه الصحف ودوت فيه أصوات البلدان من وراء البحار على أمواج الأثير ، وأصبح فيها للسياحة شأن عظيم ، واذا لم يكن للجغرافيا فضل غير هذا لكفى

(٢) إنها تدعو لتقدير المجهودات الأنسانية ، والاعجاب بها ، فيما يتعلق باستثمار مصادر الثروة الأرضية ، واتخاذها وسيلة لتحسين العيش ورفع مستوي الحياة

(٣) انها أساس متين لجميع العلوم الاجتماعية كالتاريخ والأقتصاد والاجتماع

(٤) انها تشرح لنا بطريقة غير مباشرة أن تطور الجماعات الانسانية ونشوءها وارتقاءها تعزى الى البيئة الجغرافية أو الارضية التى حدث فيها ذلك التطور . وما على الانسان إلا أن يوازن بين الاسكيمو وسكان الكنغو والمصريين والصينيين والامريكيين . ولاسبيل الى تفهم جهات النظر عند جميع الشعوب والامم وحل المسائل الدولية بغير تفهم البيئة الارضية وأثرها فى تطور التاريخ البشرى

(٥) انها أساس لتفهم المصالح الانسانية المشتركة وخصوصا فيما تعلق بانتاج المواد الخام وصناعتها ، واعدادها للسوق ، والوقوف على أهمية المصادر الطبيعية وأثرها فى سعادة الشعوب ، وموضعها من المشاكل الدولية الحاضرة

(٦) بها يستطيع أن يعلم الفرد أن سعادته مقرونة بسعادة غيره من الأفراد من بنى جنسه ، ومن غيره من أبناء البلدان الاخرى . وبعبارة أخرى تبين لنا الجغرافيا بدليل قاطع للعيان ، أن التعاون بين الامم أساس الاطمئنان والسعادة ، والجشع وحب الذات والعنف والقومية المتطرفة تؤدى الى شقاء العالم

الصناعة المصرية

بقلم على اسلام باشا

بمصر صناعات كثيرة وصلت الى درجة من الاتقان كبيرة كصناعة الاثاث والاحذية والسجاد والكليم والمنسوجات بأنواعها من قطنية وصوفية وحريرية وكتانية وصناعة الحقائب والتلافيع والسجاير والكبريت وبعض الادوات الزجاجية كالاقداح وخلاف ذلك من المنتجات الجيدة المتقنة التى شاهدناها جميعا فى معرض الجزيرة فى فبراير الماضى

هذه المصنوعات الوطنية جديرة باقبال المصريين عليها وايثارهم لها وتفضيلها على مثيلاتها الاجنبية — فنحن أولى ، بصناعاتنا . وصناعاتنا أحق برعايتنا ولا شك أن الامة المصرية الرشيدة ستضاعف اهتمامها بصناعة البلاد وتزيد تشجيعها لها واقبالها عليها قياما منها بالواجب الوطنى المفروض على كل منا

أما الحكومة فقد شملت الصناعه بعطفها وحمايتها مما استحقت عليه ثناءنا ولا يزال مرجوا منها زيادة الحماية لبعض الصناعات التى تلقي من المنافسة الاجنبية عنتاً وارهاقا بل واضطهادا يقصد به قتلها كما أن من حق صناعة النسيج على الحكومة أن تخصها بجعل ملابس رجال الجيش والحراس والسعاة من منتجاتها

هناك مسألة عظيمة الاهمية جديرة بعناية عاجلة من الحكومة وهي مسألة تنظيم النهضة الصناعية فى البلاد وعدم ترك الامور بغير ضابط حتى لا تكثر مصانع أصناف معينة عند حاجة الاستهلاك فنتفادى مضار التخمة الصناعيه وهى كارثة مدمرة وقى الله مصر شرها

تنظيم النهضه الصناعيه الآن سهل ميسور . ولعل أكثرنا لا يتصورون مبلغ التزاحم العنيف فى صناعات مصرية متعددة أذكر منها على سبيل المثال صناعة الكبريت على حداثة عهدها وصناعة طحن الغلال اذ لا تكاد تخلو قرية من تنافس شديد فيها وازدحام عواصم المديريات والقاهرة والاسكندرية بالمطاحن التى تزيد كثيرا على الحاجة . وهذا هو حال محالج القطن وأسعدها حظا لا يحالج نصف مقطوعيته الحقيقية كذا معاصر زيت بذرة القطن ومصانع الثلج فى أنحاء البلاد

وخصوصا فى القاهرة والاسكندرية فان انتاجها يربى ارباء كبيرا على الاستهلاك . ومصانع الاسمنت وقد اضطرت ادارتها الى الاتفاق على تعطيل بعضها حتى لا يبور انتاجها وفى تعطيل المصانع ضياع لرؤوس أموالها وفى هذا التعطيل خسارة كبيرة خصوصا لبلد كمصر تستورد من الخارج جميع آلات مصانعها وكأنها تصدر أموالها وتستعيض بها آلات غير منتجة

التزاحم الصناعى يدفع الى مكافحة غير عادلة تهوى بالارباح أو تسبب الخسائر مما يؤخر تقدم الصناعة والبلاد فى حاجة شديدة الى ازدهارها وتوطيد أركانها لتدعيم الاقتصاد القومى وتثبيت قواعده لخير الجميع خصوصا الطبقة العاملة

تنظيم النهضة الصناعية مسألة حيوية جديرة بعناية الحكومة وفى مقدورها حين تتبين الخطر من سوء الرأى فى التزاحم المحلى عدم السماح باقامة مصانع جديدة للصناعات المتوافرة فى البلاد . وليس فى هذا مصادرة للحرية بما أن المصلحة القومية واجبة التقديم على كل مصلحة خاصة فكيف وفى مثل هذه الاحوال تكون المصلحة الخاصة نفسها مما يدعو الى هذا المنع ، والميدان الصناعى فى مصر متسع كل الاتساع لصناعات جمه لا وجود لها الآن فلا مراء فى أن المصلحة العليا للبلاد تقتضى توجيه القادرين على المشروعات الصناعيه الجديدة أو توجيههم من قبل الحكومه الى انشاء ما يحسن انشاؤه من غير الموجود منها وفى ذلك كل النفع للقائمين بها وللبلاد

ليس التزاحم الصناعى الضار كل مايشغل المستصنعين فى مصر بل تشغلهم أمور أخرى منها اليد العاملة والتحويل الصناعى

أما اليد الحاذقة الماهرة فقليلة الوجود خصوصا فى الصناعات الدقيقة الجديدة وأكثر مصنوعاتنا جديدة على عاملنا وهذا يقتضى الصناعة تضحيات كبيرة فى سبيل تدريب العمال وتعليمهم وما يتطلبه ذلك من اتلاف خامات وسرعة استهلاك الآلات وما يترتب عليه من زيادة المصاريف مما يذهب بأكثر الارباح حتى ان بعض الشركات الصناعية المشهود للقائمين بأمرها بالحزم والكفاية لم تتمكن من صرف أرباح لمساهميها سنين عديدة

يبذل المستصنعون المصريون كل تضحية مهما غلت فى سبيل تدريب عمالهم وتكوينهم وتحسين أحوالهم المادية والصحية وعمال الصناعة فى مصر خصوصا فى مصانع الشركات الكبيرة والمثقفين من المستصنعين أسعد حالا وأرغد عيشا من زملائهم فى الحقل . . . يدفع القائمون بأمر الصناعة الى ذلك واجبهم الوطنى وعطفهم الطبيعى كمصريين على أبنائهم العمال وحرصهم على المصلحة المشتركة

بينهم وبين عمالهم . وفى هذا خير كفيل لتنظيم العلاقة بين الطرفين بما لا يرهق فريقا لصالح فريق

أما ماتناقلته الصحف من الرغبة فى نقل قوانين أجنبية خاصة بالعمال ونقاباتهم لتطبيقها فى مصر فأقل ما يوصف به مثل هذا الاجراء أنه سابق لأوانه فى قطر يختلف اختلافا كبيرا عن تلك البلاد من حيث رسوخ القدم الصناعية بها وحداثة عهده بمصر والذى يبدو لنا أن مثل هذه القوانين لن تسمح حكومتنا الوطنية الرشيدة ولا برلماننا بأن توضع وضعها النهائى الا بعد أن تباحث فيها المستصنعين الاهليين وتتبين ماقد يعلق من الاخطار ببعض أحكامها لاسباب محلية محضة قد تخفى على غير المباشرين لامور الصناعة ومن المصلحة أن لا نأخذ عن غيرنا الا ما يلائم بيئتنا ولا يتعارض مع ظروفنا وحالتنا وأن لا نعمد الي الطفرة فالعجلة فى مثل هذه الامور الحيوية ضارة وهذا الاحتياط الذى نلتمسه بكل قوة من حكومتنا وبرلماننا سنتقى به مغارم شديدة لا تصيب أصحاب المصانع بانفرادهم بل تصيب العمال أيضا وتعوق تقدم الصناعة الى أمد بعيد وتقضى على آمال كبيرة تبنيها الامة على مستقبل هذا الركن العظيم الهام من أركان حياتها الاقتصادية

بقيت لى كلمة أقولها فى التسليف الصناعى فقد خصصت له الحكومة نحو مليون جنيه ولكن القانون الحالى الذى لا يجيز ارتهان الآلات يحرم أصحابها من الانتفاع بالسلف الصناعية الا اذا كان لهم بجانب أدواتهم وآلاتهم الصناعية عقارات ثابتة تتخذ تأمينا لتلك السلف مما يتعذر معه على غير مالك العقار من المستصنعين الاستفادة من الاموال التى خصصتها الحكومة للتسليف الصناعى ولا بد اذن من اكمال هذا النقص فى التشريع تمكينا للصناعة من الاستفادة بالسلف ثم تخفيض سعر الفائدة الحالى وهو سعر مرتفع مرهق ليس له نظير فى أى بلد صناعي ممدن ولا أرى وسيلة لاستكمال هذا النقص الا بعدم تسويف انشاء بنك التسليف الصناعى الذى وعدت به الحكومة من قبل، وقد أصبح فى هذه الايام حاجة للامة أمس من كل حاجة أخرى ولا يتعذر على الحكومة عند الاقتضاء أن تستخدم للمعاونة فى تكوين رأس مال البنك جانبا من احتياطيها العام . فان تخصيص مثل هذا المبلغ لا يعد خروجا به عن كونه جزءا من ذلك الاحتياطى العام يمتاز عنه بأنه أكثر أثمارا وأنفع للبلاد

هذا بالايجاز الذى اقتضاه المقام بيانات ورغبات وأمانى رأيت أن أجعلها تحت نظر الامة والحكومة والبرلمان

قصة من الأدب الايطالى

صلاح الدين والمرابي

للقصصى الايطالي « جوفانى بوكاتشيو »

كان صلاح الدين الأيوبى من الشجاعة وقوة الشكيمة بحيث رفع نفسه من شخص عادى لا يعتد به ، الى سلطان قوي تهابه الدول ، وحاكم جبار تخشى بأسه الناس .. وقد زج هذا الرجل العظيم نفسه فى عدة حروب طاحنة ضد الغرب والمسيحيين وأحرز عليهما انتصارات عظيمة باهرة سجلها له التاريخ بمداد الفخر والاعجاب .. ولكن هذه الحروب المتكررة التى كان يخوض صلاح الدين غمارها من وقت الى آخر مالبثت أن أتت على جانب عظيم من ثروته ، كما أن النفقات الكثيرة التى كان يتطلبها ملكه الواسع وسلطانه العريض جعلته فى مسيس الحاجة الى المال

وفى أحد الأيام اشتدت به الحاجة الى المال الى حد انه لم يدر ماذا يفعل لايجاده ، ولم يعرف كيف يثبت مركزه المالي الذى كان يتزعزع يوما بعد يوم .. وأخيرا تذكر بعد أن اعيته الحيل وأعجزته المحاولات ان بمدينة الاسكندرية مرابيا غنيا يدعى ملشيز دش . وكان هذا الرجل من كبار المرابين اليهود الذين لا يقرضون المال إلا بارباح فاحشة . وزيادة على ذلك ، فقد كان بخيلا الى حد أنه كان لا يقرض المال لمن يلتمسونه منه الا بعد كثير من المماطلة والتسويف ، والا بعد كبير مشقة وعظيم عناء .. ولم يجد صلاح الدين من ينقذه من ورطته ، وينتشله من هاوية الافلاس التى كان على وشك أن يتردى فيها من جراء بذخه ونفقاته سوى هذا الرجل . ولذلك عقد العزم على أن يستعين به مهما كبده ذلك من متاعب أو كلفه من مشقة وعناء

ومع أنه كان يعلم تمام العلم مبلغ عناء هذا الرجل وشدة صلابته ، فانه لم يشأ أن يستخدم سلطته وجبروته فى ارغامه على نيل مايريد . ولذلك صمم على أن يلجأ الى الحيلة والدهاء وحدهما دون الاستعانة بقوته التى قد لا تجدى فتيلا مع هذا اليهودى العنيد .. ولم يلبث أن ارسل من يأتى بهذا المرابى من الاسكندرية بعد ان بحث هذا الموضوع من كل جوانبه ، وفكر فيه من شتى نواحيه ولما حضر استقبله فى قصره بحفاوة بالغة وسرور عظيم لم يخف مغزاهما على عينى ذلك اليهودى

خبيث ... وبعد أن استقر بهما المقام جلسا صامتين برهة إلى أن بتر صلاح الدين هذا السكوت بقوله :

لقد سمعت من بعض الناس أنك رجل حكيم ملم بكثير من المسائل الدينية التى قد يستعصى فهمها ، ويصعب إدراكها فى كثير من الأحايين على من لم يعرفوها على حقيقتها ، ولم يفهموها على أصولها

ثم نظر اليه نظرة دقيقة فاحصة وقال:

— ... وسأعرض عليك الآن مسألة من تلك المسائل لأننى اريد أن أعرف رأيك فيها بعد أن عجزت عن دراكها ، وأخفقت فى حلها بنفسى

وسكت السلطان برهة استجمع فيها افكاره المشتتة ثم تابع حديثه فقال : — .. وتتلخص هذه المسألة — أو المشكلة إذا شاء لك أن تسميها كذلك — فى أى هذه الأديان الثلاثة أفضل: الاسلام أم المسيحية ، أم اليهودية ؟

وبالرغم من أن اليهودى كان حكيما كما قال عنه صلاح الدين إلا أنه رأي بثاقب فكره وبعد نظره ان فى هذا السؤال إحراجا له وأحبولة نصبها له السلطان لايقاعه فيها

ولما كان يعلم أن صلاح الدين لن يحجم عن التنكيل به أو يتردد فى الانتقام منه اذا مافضل أحد هذه الأديان على الدينين الآخرين ، فقد جلس فى مكانه صامتا يفكر فى هذه المشكلة التى طلب منه السلطان حلها

وأخيرا ضاق صلاح الدين بسكوته فقال وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة ماكرة :

هل عجزت ياصاحبي عن الاجابة على هذا السؤال ؟

وهنا قال له المرابى بعد طول روية وتفكير . — مولاي . ان هذا السؤال الذى عرضته على الآن يحتاج إلى كثير من الاناة وأعمال الفكرة قبل الاجابة عليه

ثم سكت فأمن صلاح الدين على كلامه بهزة من رأسه وقال :

— هو كذلك

فاعتدل المرابى فى جلسته وقال مستطردا :ـ .. ولذلك أرانى مضطراً الى ان أمهد لاجابتى بحكاية قصيرة اذا سمحتم لى بذلك

فابتسم السلطان ابتسامة ذات مغزى وقال :

لامانع عندى البتة

وبعد أن استجمع اليهودى شتات أفكاره تابع كلامه فقال :

أذكر يامولاى اننى سمعت مرة عن رجل غنى واسع الثراء ، مرهوب الجانب كان يمتلك بين جواهره النفيسة وأحجاره الكريمة النادرة المثال خاتما جليل القيمة عظيم الشأن . ولما كان هذا الرجل شديد الرغبة فى الاحتفاظ به كان يخشى أن يؤول بعد وفاته الى فرد آخر من غير الاسرة ، فقد أعطاه لابنه الذى اختاره وريثا لقبه وأملاكه من بعده ، وأوصى بان يكون هذا الابن ربا للاسرة ، وأن يكون مبجلا مسموع الكلمة من كل أفرادها طالما كان هذا الخاتم فى حيازته . وقد أوصى ذلك الابن فيما بعد مثلما أوصى أبوه قبيل وفاته . وبذلك احتفظت الأسرة بهذا الخاتم النفيس أحقابا طويلة وصار ينتقل بين أفراد الاسرة لمدة كبيرة من الزمن

واستراح اليهودى لحظة ثم قال : ــ واستمر الحال كذلك الى أن آل هذا الخاتم الى رجل عنده ثلاثة أولاد مطيعين له ، منفذين لأوامره . وكانوا كلهم عنده فى منزلة واحدة ولا يزيد حبه لأحدهم على حبه للآخرين . ولما كان أبناؤه يعلمون مبلغ الشرف الذى يناله كل من يصبح هذا الخاتم فى حيازته ، ويطمعون فى الاستحواز عليه والاحتفاظ به بأية وسيلة وبأى ثمن، فقد أخذوا يتوددون الى أبيهم الذي كان فى هذه الاثناء قد أدركته الشيخوخة وأضناه الكبر وأصبح قاب قوسين من الموت أو أدنى . وكان كل منهم يتزلف اليه على حدة لكى يعطيه هذا الخاتم دون أخويه ويتوسل اليه سرا فى أن يكون من نصيبه وحده بعد وفاته . ولما كان هذا الرجل يحب أولاده بدرجة واحدة كما قلنا ، لم يدر إذ ذاك ماذا يفعل لارضائهم جميعا ، ولم يعرف مَن مِن الابناء يفضله سيما وأنه كان قد وعد كلا منهم على حدة بان يكون هذا الخاتم من نصيبه بعد انتقاله الى العالم الآخر ! وقد فعل ذلك لأنه لم يشأ فى ذلك الوقت أن يغضبهم أو يعكر عليهم صفو سعادتهم وتأملاتهم ! ولما أعيته الحيل وضاقت فى وجهه السبل ذهب الى صائغ ماهر وقدم له الخاتم ثم طلب منه أن يصنع اثنين مثله بشرط ألا يختلفا عنه فى شىء . ولما انتهى الصائغ من صنعهما كان الاثنان من دقة الصناعة وتمام المشابهة بحيث أن الصائغ نفسه لم يمكنه أن يميز الخاتم الحقيقى من الخاتمين المزيفين ! وقبل أن يموت الرجل ببضعة أيام أعطى لكل ولد من أولاده خاتما من هذه الخواتم بعد أن شدد عليه فى الا أن يخبر أخويه بذلك ! ولما مات الرجل ادعى كل ولد من اولاده انه الوارث الوحيد للقبه واملاكه وكان يدعم أقواله باظهار الخاتم الذى أعطاه له أبوه سراً وهو على فراش الموت ! ولما كانت الخواتم متشابهة بحيث يتعذر معرفة الخاتم الحقيقى من بينها ليصبح مالكه الوارث الوحيد لثروة أبيه الطائلة ، فقد لجأوا الى القضاء لينصفهم ويرد اليهم حقوقهم . ولكن القضاء عجز عن ذلك أيضا ، ولم يدر القضاة كيف يتصرفون فى هذه المشكلة العويصة ولذلك تركوها معلقة من غير حل ولم يبتوا فيها برأى قاطع أو حكم سديد

وبعد ان استراح اليهودى برهة قصيرة تابع حديثه فقال :

ـ وقد ذكرت هذه القصة يامولاى لأنها تشبه من بعض الوجوه قصة الأديان الثلاثة التى أنزلها الله على انبيائه المرسلين . فكل تابع من اتباع هؤلاء الأنبياء يعتقد أن دينه هو الدين الحق وان الله قد اصطفاه دون العالمين ليتبع مايحب ، ويبتعد عما يكره . ولكننا اذا شئنا أن نعرف أى هذه الأديان أفضل من الآخر فاننا لابد أن نعجز عن ذلك كما عجز القضاة عن حل مشكلة الخواتم التى سردتها منذ لحظة

فسر صلاح الدين لهذه الاجابة السديدة سرورا عظيما لأنها دلته على مبلغ ذكاء هذا المرابى من جهة . وحضور بديهته وصفائها من جهة أخري

ولما كان هذا الجواب الحاسم قد أنقذ اليهودي من الشباك التى أراد أن ينصبها صلاح الدين حوله ، وجعله فى منجاة من العقاب الذي كان على وشك أن يحل به فيما لو أخطأ الجواب ، فقد أبدى له السلطان حاجته إلى المال وصارحه بالحالة التى هو فيها ولم يخف عنه فى نفس الوقت ما كان قد اعده له من عقاب فيما لو عجز عن الاجابة عن سؤاله

فضحك اليهودى عند ذلك ضحكة ماكرة ولم يتأخر عن اقراضه المبلغ الذي يحتاج اليه . فشكره صلاح الدين على أريحيته شكرا جزيلا ولم ينس له هذه المكرمة مدى الحياة

ولم يكتف السلطان برد هذا المبلغ لصاحبه فيما بعد ، بل زاد على ذلك أن منحه كثيرا من الهدايا الثمينة ، والعطايا الفاخرة ، وجعله من اصدقائه المقربين وجلسائه المحبوبين طول حياته

محمد عبد اللطيف حسن

فى الحياة والعمل

بقلم سلامه موسى

عاصمة الاتراك مصرية

بوربانك

الهند ومصاعبها

علموا المرأة صناعة

البطء فى رقينا الاجتماعى

الازهريون والملابس الحديثة

الغاء الشوارب

وجوب الغاء المجمع اللغوى

شخصية المرأة المصرية

عاصمة الاتراك مصرية

كانت جريدة الأهرام قد نشرت تلغرافا لمراسلها فى لندن عن مقال نشرته مجلة سبكتاتور عن انقرة عاصمة تركيا وأن الذين انشأوها مصريون . وقد وصل الينا العدد الأخير من هذه المجلة وقرأنا المقال وهو للكاتب اللغوي المؤرخ رندل هاريس الذى يعتمد على البحث اللغوى فى أسماء البلاد للرجوع بها الى مصادرها التى تدل عليها أصولها : ونحن ننقل هنا هذا المقال . قال الكاتب :

نشر مقال فى جريدة التيمس حديثا يقول فيه كاتبه أن أنقرة عاصمة تركيا ستنظم من جديد حتى تعود بيزنطية جديدة لآسيا الصغرى . وكان يمكن كاتب هذا المقال أن يشير الى أن أنقرة أقدم من القسطنطينية وأنها كانت مركزا مصريا قديما

وهذا موضوع لم يسكب عليه غير قليل من الضوء . وقد احتجت أنا الى وقت طويل قبل أن أعرف أن المصريين ضربوا فى الاقطار الشمالية للتجارة والكشف وجلب المعادن . وقد كانت التقاليد التاريخية توهم أن المصريين لم يخرجوا من مصر . وأظن أن أول ما خامرنى من الريبة فى صحة هذه التقاليد كان عندما وجدت أن جزيرة باتموس قد سميت باسم مصرى وأنها لا تختلف من الاسم الذى نجده فى سفر الخروج من التوراه حين تذكر أن الاسرائيليين قد شيدوا لفرعون مدنا تسمى « بتوم ورعامسة » فاستنتجت من ذلك أن باتمو(س) هذه هى آخر الثغور الشمالية التى وصل اليها الملاحون المصريون . ثم مضى زمن طويل عرفت بعده أن بلدة أدراميتيوم والخليج المسمى باسمها فى شمال بحر ايجه انما قد سميا باسم القطر الذى يقع جنوب جزيرة العرب نعنى حضر موت . واذا جاز لنا أن نستنتج وان نسلم بان تجار العرب قد وصلو الى البحر المتوسط فى مثل هذا المدد العظيم فاننا لا يسعنا الا أن نسلم أيضا بان المصريين قد فعلوا مثل هذا نعنى أنهم خرجوا بسفنهم الى البحر الاسود على مرأى من القوقاز وعلى مسافة قريبة من بحر قزوين . ومعظم سياحات المصريين هذه كانت بحرية . وكان من الطبيعى عندئذ أن ينزل المصريون على الشاطىء الغربى لآسيا الصغرى ثم يتحسسون طريقهم الى الدردنيل والبوسفور ثم يسيرون بحذاء الشاطىء الشمالى لآسيا الصغرى نفسها ولكن اتضح لي لأسباب أخرى أن هذا الفرض لم يكن الحل الكامل للموضوع . فان من أقدم الممالك فى آسيا الصغرى مملكة كانت تدعى جالاطيه . وكانت التقاليد المأثورة تقول ان هذه المملكة كانت تحتوى ثلاثة أقاليم :

الاقليم الاول هو انقرة

والاقليم الثانى هو تافيوم

والاقليم الثالث هو بيسينوس

وان عواصم هذه الاقاليم تحمل اسماءها . وكان المفروض أن هذه الاسماء قلتية . وأن الشعوب القلتية قد استوطنت آسيا الصغرى . ولكن نشأت صعوبات أمام هذا الفرض . فقد شق على اللغويين أن يعرفوا الاصول القلتية التى ترجع اليها أسماء القبائل المستوطنة . كما كان من الشاق أن نعود بأسماء هذه الاقاليم ، وعواصمها ، الى التقاليد القلتية أو حتى نعرف معناها . وكان علينا عندئذ أن نبحث عن معانى هذه الاسماء الثلاثة فى نواح أخر

وقد وصلت أنا الى الاجابة عن حقيقة الاسم الاول « انقرة » من أبحاثى فى افريقيا الغربيـة . فهناك نجد اسم انقرة كثيرة الذيوع . وعاصمة الاتراك الحديثة لاتختلف من هـذه المدن الـكثيرة فى افريقيا الغربية وفى غيرها . ولـكن هذا الاسم واضح فى مصريته إذ هو « انخ رع » أي حياة الرب رع . وعلى هذا نقول أن هذه المدينة التركية هى مصرية الاصل . وقد زرتها بنفسى حين كنت قائما بمساعدة السـكان فى آسيا الصغرى عقب الحرب ورأيت النصب العظيم الذى أقامه الامبراطور اغسطوس تخليدا لذكره وهو نصب لايجهله المؤرخون

ولـكن إذا كانت أنقرة مصرية فماذا نقول فى الاسمين الآخرين اللذين يجب أن يـكون لهما اتصال بانقرة ؟ وهنا ينفتح لنا باب آخر للـكشف . فان المدينة الوسطى لهـذه المـدن الثلاث كانت تسمى تافيوم وقد كانت ملتقى الطرق من الشرق للغرب ومن الشمال للجنوب . وهى بذلك بقعـة فى غاية الخطورة . واسمهـا هو الصيغة اللاتينية لـكلمة تافى . وليست هـذه الـكلمة غريبة عنى إذ هى مرادفة لـكلمة مصر وتعنى المملـكتين . وقد شاعت هذه اللفظة حتى فى بريطانيا القديمة كما نرى فى نهر تافى الذي يتصل بنهر تامار ويصب فى خليج بليموث . وعلى ذلك نجد هنا اسما آخر مصريا

ولم أوفق بعد الى معنى الاسم الثالث « بيسينوس » ولـكن بما أن هـذه الأقاليم الثلاثة بعواصمها لابد أنها كانت متصلة الواحـدة بالأخرى فاننا نستطيع أن نقول دون أن نتردد كثيرا أنها جميعها كانت ثلاث مستعمرات مصرية تعيش فيها جاليات مصرية وأنها كانت ملتقى الطرق فى الاناضول

وهذا كشف جديد مفيد لأنه ينقلنا إلى زمن أبعد من نزول القلتيين فى آسيا الصغري وهجرتهم اليها ويردنا إلى الوقت الذى نجد فيه المصريين حيث ننتظرهم عند الشواطىء الجنوبية للبحر الاسود ويمكننا أن نستنتج من هذا الـكشف أن المصريين القدماء وصلوا الى البحر الاسود ثم بعد ذلك الى بحر قزوين . وليس هذا بطريق البحر فقط بل أيضا بالطريق البري فى آسيا الصغرى نفسها . وهذا

الـكشف يضع الثقافة المصرية والهجرة المصرية القديمة فى ضوء جديد . فان علماء الآثار قد أخطأوا فهم تاريخ مصر قبل العصر الفرعونى

بوربانك

بوربانك رجل امريكى لايجهله واحد من الامريكيين عامتهم وخاصتهم كما لايجهـله عالم من علماء أوربا

وقد اتيح لى أن اقرأ له ترجمة حياته فى كتابه « حصاد السنين » وهو قصة رائعـة لما يسميه « الخلائق الجديدة » فان بوربانك يقول انه قد « خلق » نباتات جديدة . وهذا التعبير على الرغم مما فيه من زهو كبير يجد مايبرره فى قصة حياته

وبعد قراءتى لهذا الـكتاب أشعر أن الولايات المتحدة ممتازة بصغر سنها وبانها تـكاد تخلو من التاريخ والتقاليد . ولذلك يبتكر أبناؤها ويجرءون على أن يسموا مايبتكـرونه « خلائق » وهذه اللفظة تجرى فى لغتهم فلا تسترعى النظر ولا تثير الشعور بان قائلها كافر . وقصارى مايفهم منها اختراع جديد

ولـكن لفظة الخلق تزيد على معناها الاستعارى عند بوربانك . فانه اختص بتوليـد الأثمار والزهور والبقول . فاشتغل فى اخراج برقوق بلا نوا . وقضى أكثر من خمس عشرة سنة وهو يحاول اخراج « تين شوكى » بلا شوك

وذلك لكى يزرعه فى الصحارى أو فى التربة القليلة الماء ويجعله مراعى للماشية التى تأكل منه الالواح الغضة الخالية من الشوك

وكان يعالج الخضراوات بحيث يعجل نموها ويزيد أوراقها أو حبوبها أو زهورها ويستخرج السلالات الجديدة منها . وقد نجح فى معظم ما حاوله وانتفع المزارعون الامريـكيون بما يسميه « خلائقه » . وأنا أنقل للقارىء بعض مايقوله عن هذا الموضوع .

« لقد قيل أنه لايمكن انسانا أن يغير الزهرة أو الثمرة وأن قصارى مايفعـله أن يؤكـد النزعة القائمة فيها النابتة فى طبيعتها أو يضعفها أو يمحيها . ولـكنى أنا قد برهنت المرة بعد المرة أنى يمكننى أن اضع العطر فى الزهرة أو أزيل عنها رائحة كريهة وأنى يمكننى أن اكسب الثمرة اللون الذي أريد والنسيج الذي انشد والطعم الذى أرغب فيه . ولم يكن هذا لأنى أمارس السحر . وانما نجحت فى ذلك لأنى كنت أدرس كل نبتة أو شجرة درسا دقيقا أخص عن مركباتها الـكيماوية مع العلم بالمبادىء

التى تؤثر فيها وتغيرها وهذا الى برنامج منظم على أصول منطقية لادخال العناصر الجديدة فى حياة السلالة الجديدة وجسمها »

ثم يقول : « لقد حدث مرة بعد أخرى أن قدم الى طلب بايجاد صفة أو طائفة من الصفات فى شجرة مألوفة يبدو عليها أنها لا تتغير أو فى زهرة أو ثمرة . فلم تكن تمضى بضعة أجيال حتى أكون قد سلمت البضاعة . وذلك أن تختار أي تحسين معقول فى أي شجرة وأنت واثق بأنه سيتم »

وليس من المفيد للقراء أن اعدد التنقيحات التى احدثها فى البقول والزهور والأثمار . فان هذا التعديد مسئم لان محاولاته كلها متشابهة . وإنما اسأل هنا : هل البيئة المصرية تتيح للمصرى أن يبتكر ويخترع و « يخلق » كما أتاحت البيئة الامريكية لبوربانك ؟

هذا مالا أظن . فاننا هنا نشأنا جامدين ليس فينا شباب الامريكيين . ولا يكاد يقل عمر أحدنا عن بضع آلاف من السنين نحمل على ظهورنا أو فى عقولنا ونفوسنا أعباء التقاليد وتعفن الثقافات فنحن شيوخ هرمون على الرغم من شباب أجسامنا . نتحدث عن هموم تاريخية مضى عليها الف سنة كأنها همومنا الذاتية . ألم يحدث قبل أسبوع فقط أننا تكلفنا عبء ثلاثة وثلاثين الف جنيه لعادة ابتدعتها شجرة الدر قبل مئات السنين ؟

وهكذا الشأن فى سائر حياتنا الفكرية . فاننا لا نبتكر فى التفكير فكيف نبتكر فى العمل وكيف نخلق فى النبات ؟ ونحن نعيش كما عاش آباؤنا . وعاش آباؤنا كما عاش جدودنا ولا نكاد نفكر فى الاختلاف منهم الا مع الاتهام باننا خونة للدين والعروبة والوطن والاخلاق وما الى كل هذا

لقد كان بوربانك فى سن الثمانين وهو يفخر بانه يخلق نباتات جديدة . فكانت نفسه شابة على الرغم من هرم جسمه . ولكن شبابنا الذين يقرأون الأدب القديم قد هرمت نفوسهم على الرغم من شباب أجسامهم . فهم يخافون كل شىء فى الدنيا يخافون القبعة . ويخافون العمل الحر . بل يخافون حرية المرأة ومزاحمتها لهم

الهند ومصاعبها

قبل أيام أذاعت التلغرافات أن أرملة هندوكية تطوعت لاحراق نفسها عقب وفاة زوجها على سبيل الولاء له وللتقاليد . وقد ربطت الى الخشب وما أن اشتعل ولفحها لهبه حتى اختلط صراخها بهدير النار الى أن ماتت . وجرى هذا وجمهور البراهمة المجرمين يتأملونه فى لذة التقوى والعبادة

والى هذا الخبر الذى يجعلنا نتوهم الهند وهى متأخرة عنا بمليون سنة نقرأ خبرا آخر يقول ان بعض الفتيات الهنديات سيسافرن هذا الشهر الى انجلترا للمباراة فى العاب رياضية ينتظر لهن التفوق فيها

ولهذين الخبرين مغزاهما . فان الهند تجمع بين أحط التقاليد الدينية وأخسها وبين الوان مختلفة من الرقى الحديث . فان فيها الانسان المنبوذ الذى يعد نجسا اذا عد الحمار أو البغل طاهراً . وفيها الأديب الكبير مثل تاجورى الذى ينال جائزة نوبل فى الأدب. وفيها الفاقة البالغة التى تجعل ملايين من الهنود يتناولون الافيون لكى يخففوا من حدة الجوع فى حين يعيش بينهم الامير الذى يقتنى مائة فيل ومئات الجواهر من الياقوت والالماس

ومصاعب الهند القائمة والقادمة هى من هذا التناقض بين القديم والحديث. فان الشباب الهنود يجدون من هذا القديم عبئا مرهقا من سلطان البراهمة على العامة الى فكرة النجاسة الى الحط من المرأة إلى الخلاف بين الطبقات إلى الخلاف بين المسلمين والهندوكيين

وقد بلغ الحنق بتاجورى أن يقول انه خير للهند أن تكتسحها موجة الالحاد من أن تبقى معذبة بهذه التقاليد والعادات المذهبية

والاحتلال البريطانى فى الهند أهون الشرور فيها بل هو ليس كله شراً إذ فيه بعض الخير. فان الانجليز هم الذين حرموا احراق الارامل وهم الذين نقلوا الهنود من التقاليد الشرقية الآسنة الى الاتجاه التعليمى الحديث والنظر الاوربى العلمى . بل هم الذين أوجدوا «المؤتمر الوطنى الهندى» سنة ١٨٨٥ لكى ينبهوا الهنود الى ضرورة اهتمامهم بشئون بلادهم . وهذا المؤتمر هو الذى يقوم هناك مقام الوفد عندنا . ومصاعب الهند كثيرة . ولا ينكر أن الاحتلال البريطانى واحد منها ولكنه ليس أهمها . وأعظم مايسىء هذا الاحتلال إلى الهنود هو تأييد البريطانيين للامراء المستقلين . فان فى الهند ٥٦٠ امارة مستقلة بعضها لا يقل فى المساحة أو السكان عن مصر وبعضها لا يزيد على قرية . وهؤلاء الامراء يحكمون رعاياهم بالاستبداد وينهبون أموالهم ويؤخرون تقدمهم ولا يؤيدهم فى كل ذلك غير الحراب البريطانية . ولو أن البريطانيين رحلوا عن الهند لما بقيت امارة مستقلة واحدة من هذه الامارات أو كانت تعيش بعد ان يخضع أمراؤها للشعوب التى يحكمونها ويؤسسوا البرلمانات التى تمنعهم من نهب رعاياهم وانفاق أموالهم على الفيلة والجواهر و بناء القصور وإقامة الأضرحة

ولكن فوق الاحتلال البريطانى هذه التقاليد المؤذية التى لا تزال قائمة فى الهند فى إيجاد الفواصل بين الطبقات . وهذه الطبقات فى الأصل أربع ولكنها تنقسم فيما بينها الي أكثر من مائة شيعة لا يجوز لابنائها أن يتزوجوا إلا منها بحيث قد تعيش الفتاة فى عزوبة مدي حياتها لأنها لا تجد فى قريتها واحداً من أبناء شيعتها

وطبقة البراهمة أولى هذه الطبقات تستبد بكافة الشعب لأنها تستأثر بالصلاة على الموتى وبغفران الذنوب وبجميع الشعائر الدينية . وهى التى تجعل نحو ستين مليونا من الهندوكيين منبوذين انجاسا لايجوز معاملتهم بالرفق الذى يعامل به الحيوان . وهذا الى مايبعثونه من روح التعصب ضد المسلمين

ومن مصاعب الهند فقرها الذى لاحد له . ويزيد هذا الفقر حدة استمساك الهندوكيين بديانتهم فان الفلاح يشتري من آنية النحاس شيئا كثيرا ينوء به ويقترض المال بالربا الفاحش لشرائه . وذلك كله لأن زوجته مضطرة الى تطهير هذه الآنية كل يوم وحملها من البئر الى البيت . ولو اشتريت من الفخار لتعرضت للكسر ولذلك تشترى من النحاس . ثم لهذا الاستمساك بالديانة الهندوكية يترك الهنود بقرهم يرعى فلا يذبحونه لأنه مقدس . فيخسرون المرعى ويخسرون اللحم

ومن المصاعب القائمة فى الهند هذا التكاثر الذى لاينقطع فى السكان . فان الهند لن تقل فى أرجح الظن عن ٤٠٠ مليون نفس . وهذه الكثرة الهائلة تجعل المادة البشرية رخيصة الثمن فى كل مكان . فان العامل يرضى باللقمة بل بنصف اللقمة ويعيش مريضا لقلة الغذاء

وهذه الكثرة فى السكان سيئة النتائج من جميع الوجوه وخاصة لأن الزراعة تمارس بالطرق البدائية التى تغل أحط مقدار من الغلات ولأن الصناعة لم تمس الهند إلا فى المدن العظمى . وقد حاول غاندى، أن يعمم المغزل فى القري ونجح الى حد ما ولكن المغزل ليس العلاج الشافى من الفقر وخاصة هذا الفقر الهندى الذي ليس له شبيه فى أى قطر آخر

علموا المرأة صناعة

ذكرت صحف أن وزارة المعارف تفكر فى انشاء مدرسة لتعليم الفتيات صناعة التفصيل والخياطة للسيدات . وانها بعثت فى طلب البرامج لمثل هذه المدرسة من الأقطار الاوربية

وقد أحسنت الوزارة فى هذا التفكير ، فانه تفكير بنائى استقبالى ينظر فيه الي مصلحة أبنائنا وبناتنا فى السنين القادمة ، وعندنا أن الصناعة أو الحرفة لاتقتصر فائدتها على الكسب المالى الذى يكتسبه الرجل أو المرأة وإنما هى تفيد أيضا فى تكوين الاخلاق وترقية الشخصية ، والمرأة التى تعيش فى البيت مدى حياتها لاتخرج منه ولا تختلط بالناس ولا تعاملهم ولا تصطدم بهم بل تعيش فى بيتها كأنها راهبة لاتعرف غير زوجها وأولادها — مثل هذه المرأة قد تسر الذهن الشرقى المنحط الذى يمكنه ان يصفها بأنها مخدرة ولكنها من حيث الشخصية أو القيمة الاخلاقية صفر .

فان الشخصية انما تتكون بالاختلاط بالناس والمعاملات المختلفة معهم ، والانسان حيوان اجتماعى يؤذيه الانفراد والاعتزال فيذبل ذهنه وتضوى شخصيته وتضمر مواهبه . ولكنه يكبر بالاجتماع وتنمو مواهبه الذهنية والعاطفية بالاحتكاك بالناس . واحتراف الحرفة أو ممارسة احدى الصناعات هى أحسن السبل لتنمية هذه الكفاءات

والمرأة المصرية التى ترجو أن تكون لهاشخصية انسانية نامية أو فى طريق النموالذى لاينقطع يجب أن تحترف صناعة تستطيع أن تستقل بها وتعيش منه . ولسنا نخشى انها عند ما تستقل بعمل ما سترفض الزواج . اذ لو جاز لنا أن نخشى هذا لصح الفرض بانها لاتتزوج إلا لأنها فقيرة جائعة تحتاج الى من يعولها وأن الزوج ليس له قيمة أخرى عندها غير أنه يعولها . وهذا نظر خاطىء . فان المرأة الغنية بالمال الوفير لا يمنعها غناها من الزواج . ولم يقل أحد قط أن المال يغير طبائع الناس وغرائزهم

ولذلك نحن نحض الآباء على أن يعلموا بناتهم كما يعلمون أبناءهم . نعنى أنه يجب ألا يقتصر تعليم الفتاة على تزويدها بما نسميه ثقافة عامة وهى فى العادة لاتخرج عن مبادىء القراءة وبعض الرطانة الفرنسية أو الانجليزية ، وانما نعنى ثقافة عامة حقيقية مع الاتقان العظيم للغة العربية ثم نزيد على ذلك تعليمها صناعة يمكنها أن تحترفها فى أى وقت ، لأن هذه الصناعة جزء من تربيتها وثقافتها وسبيل الى استقلال شخصيتها وعون لها على العيش الكريم حتى تستطيع أن تقطع شوط الحياة كله — اذا دعت الضرورة — وهى مرفوعة الرأس لها الشخصية البارزة والكرامة الانسانية المحترمة

ولذلك أيضا نظن أن قصر النساء على بعض الصناعات دون بعض هو خطأ . فان المرأة يجب أن تفتح لها أبواب الصناعات التى تفتح للرجال باستثناء تلك الأعمال التى تؤذيها فى صحتها كحمل الأعباء الثقيلة أو العمل فى الليل أو نحو ذلك

واذا كانت وزارة المعارف قد فكرت فى انشاء مدرسة لتعليم التفصيل والخياطة فانها مع احسانها فى هذا العمل يجب أن تفكر فى صناعات أخرى يمكن المرأة كالرجل أن تحترفها

وانه لمما يعيبنا كثيراً أن ننظر الى الفتيات فى الجاليات الاوربية المختلفة فنجدهن جميعا على وجه التقريب يحترفن الحرف المختلفة يبعن فى الدكاكين ويكسبن مايعلن به أهليهن فى حين تقعد بناتنا فى البيوت وهن عاطلات يرفعن قضايا النفقة على أعمامهن أو من ينتمين اليهن لأنهن يعجزن عن الكسب

وقد قلنا ان الصناعة التى تحترفها المرأة تزيد كسبها وتربى شخصيتها ونقول الآن انها تنمى ذكاءها وبذلك تزيد أيضا جمالها

البطء فى رقينا الاجتماعى

كان من أعظم ما يعاب على حركتنا السياسية فى طلب الاستقلال خلوها من حركة اجتماعية انسانية ترافقها فتهيىء القلوب للبر بأبناء الوطن وتنظم البرامج للاصلاحات . واقتصرت حركتنا على طلب الاستقلال وتوجيه الجهود نحو مكافحة الانجليز

ولذلك تخلفنا فى حركة الاصلاح الاجتماعى ولم يشترك زعماؤنا السياسيون فيها . ومن هنا النظر الشزر لبعض النزعات الارتقائية سواء فى الاقتصاد أم فى الاجتماع . بل من هنا أيضا تزايد القوة والسلطة فى بعض الدوائر الرجعية

كنا نحادث أحد الهنود الذين قدموا لزيارة مصر هذا الأسبوع . فكان مما قاله لنا أن شهرة بلادنا فى التقدم أكبر من الحقيقة . وذكر لنا منازل الفلاحين وحال المرأة والتعليم فى الأزهر والسيادة الاقتصادية التى للأجانب . وكان قبل قدومه إلى مصر قد زار ايران وتركيا . فأخبرنا أن الحكومة الايرانية تعاقب الرجل الذى لا يلبس البنطلون والقبعة ولو كان فلاحا . وتعاقب المرأة التى لا تتخذ الملابس الأوربية الحديثة . ثم ذكر أشياء أخرى عن تركيا

وأمس قرأنا تلغرافا مسهبا فى الأهرام جاء فيه أن حكومة أنقرة قررت :

١ — نفى الدراويش من تركيا نفياً مؤبدا

٢ — اعلان مبادىء الديمقراطية مع التطور والروح المدنى فى الدستور

٣ — تخويل الحكومة نزع الممتلكات من كبار المالكين وتوزيعها على الفلاحين

هذا هو بعض ما يقوم به الأتراك . ونحن نؤكد ان الكاتب الذى يدعو مثل هذه الدعوة فى مصر يمكن أن يقدم للمحاكمة وأن ينال العقوبة القاسية بتهمة محاولة قلب النظام . بل ان فى مصلحة الصحافة عندنا من يعتقدون أن العقوبة تجوز على ما هو دون ذلك من المطالبة بالاصلاحات البسيطة

ونتيجة ذلك كله اننا فى الوقت الذي تطرد فيه تركيا الدراويش نري حكومتنا تنفق ألوف الجنيهات على ارسال المحمل الذى سيصل إلى جدة ثم يعود . ونرى ألوف الجنيهات الأخرى تنفقها وزارة المعارف على طبع الكتب القديمة ونراها تنفق ألوفا أخري على ماتسميه المجمع اللغوى . ونري الوقف الأهلى لا يزال قائماً يدمر نظامنا الاقتصادى تدميراً

ونحن نسأل زعماءنا السياسيين ماذا كان يقول كمال أتاتورك عن :

١ — التكايا القائمة فى مصر والدراويش الذين فيها

٢ — ووزارة الأوقاف

٣ — والوقف الأهلى

٤ — والمحمل

٥ — وطبع الطبرى وياقوت

٦ — والمجمع اللغوى

٧ — وسلطان الأزهر الذى يتزايد

ماذا كان يقول أتاتورك فى كل هذه الأشياء ؟

ان مما لا شك فيه انه كان يقول بالغائها كلها . وكان يعمد بعد ذلك إلى تكليف الحكومة انشاء مصنع للزجاج أو الطائرات أو الأقمشة وبناء منازل نظيفة للفلاحين وتنظيم العمل والعمال وزيادة المستشفيات والمدارس وتأليف الكتب بالخط اللاتينى الذى يتعلمه الطفل فى شهر واحد بدلا من خطنا العربى الذى يتعلمه أطفالنا فيما لا يقل عن سنتين

وهنا نسأل : من منا المصيب ومن المخطىء نحن أم كمال أتاتورك ؟ واية النهضتين الخائبة وأيتهما الناجحة نهضتنا أم نهضة تركيا ؟

اننا لا ننكر تشاؤمنا أحيانا من نهضتنا . فقد تحقق لنا الاستقلال السياسى ولكننا لا نكاد نفكر فى اصلاح اقتصادى أو اجتماعى . والثقافة السائدة فى البلاد هى ثقافة رجعية لو كنا فى نهضة حقيقية لحذرنا أولادنا من الانغماس فيها لأنها ثقافة القرون المظلمة والادب المزخرف

ولقد قرأنا مقالا للأستاذ توفيق الحكيم يدعو فيه إلى القبعة . ونحن نؤكد أننا مادمنا فى هذا الركود الثقافى نقرأ الطبرى ونؤلف عن ابن خلدون فان نتيجة مثل هذه الدعوة أن يقال لتوفيق الحكيم انه كافر ومتفرنج . فقد وصفنا نحن بهذين الوصفين منذ أكثر من عشرين عاما ولا نزال نذكر دعوتنا الاولى للقبعة فى جريدة الاخبار التى كان يصدرها الشيخ يوسف الخازن سنة ١٩١٥

ونكبتنا الحقيقية التى سنزداد شعوراً بها فى المستقبل أن حركتنا الوطنية كانت فى الماضى سياسية فقط ولم تكن تحمل فى ثناياها تجديدا ثقافياً أو اجتماعيا أو اقتصاديا . وهى لا تزال خالية من هذا التجديد الذي لا يعد غريبا فقط عن بعض العناصر بل هو ينظر اليه كأنه كفر وزندقة ودعوة إلى فوضى الاخلاق . واذا استمررنا على هذه الحال فان اليوم لن يكون بعيداً حتى يصفنا الاتراك والايرانيون بل ربما كذلك العراقيون بأننا أمة افريقية متوحشة

الأزهريون والملابس الحديثة

قالت جريدة الجهاد .

« يتعرض الأزهريون الآن — فيما بينهم وبين أنفسهم — لتيارات توحى الى بعضهم أن يكونوا دعاة للخلوص من زيهم المألوف ، والدخول فى أزياء المطربشين سلابسة لمنطق العصر وهروبا من أفاعيل يرونها نازلة بأقدارهم الى حيث لا يريدون

« والأزهريون المجددون ينشرون الدعوة فى غير جهر بها ويمهدون لاعلانها بما يلجأون اليه من ارتداء الثوب الفضفاض فوق الحلة الافرنجية الضيقة ومن وضع العمائم على رءوسهم ساعات الدراسة والنأى عنها مابقى من أوقات الفراغ . ومحاوراتهم فى خلع زيهم أو الابقاء عليه تكاد الآن تصبح حديث الساعة فى الكليات وفى المعاهد ، وهم يتخذون الأسوة من طلاب دار العلوم ومن رجال التعليم الأولى »

« * »

ولا يسعنا الا أن نعلن اغتباطنا بهذا الذكاء الذي يبديه الأزهريون ولهذا التطور فى أذواقهم ورغبتهم فى أن يتخذوا الملابس التى اصطلح عليها جميع المتمدنين فى أنحاء العالم كله سواء فيه الشرق أم الغرب والزنجى أم الأبيض

والواقع أن الأزهرى الذي يتخذ العمامة والجبة والقفطان يجد نفسه غريبا فى الوسط الذى يعيش فيه . فان البذلة الأوربية قد عمت جميع الطبقات وهى اللباس الذي ألفته العين وارتضاه الذوق الحديث . وفى مدينة كبيرة مثل القاهرة أو الاسكندرية يجد الشيخ المعمم نفسه فى بعض الظروف فى غير المكانة التى تليق به إذ هو لا يجد الكرامة التى يجدها الأفندى . ثم هو يجد أن الأفندى الذى ربما يكون دونه فى الثقافة والتربية ووجاهة الأسرة ووفرة الثراء يبذه ويتغلب عليه فى شرف الأصهار الى الأسر الكريمة لأن الفتاة المصرية الحديثة قد نشأت على احترام الافندى وعلى السفور بل على اتخاذ القبعة . ومن الشاق على مثل هذه الفتاة أن تتزوج شيخا معمما . إذ هى تعرف أنها لا يمكنها أن تماشيه فى الطريق إذا بقيت بالقبعة وبقى هو بالعمامة . وقد عرفنا كثيرا من هذه الحوادث التى ظلم فيها الشيوخ لا لشىء الا لأنهم معممون . ولذلك ولأسباب أخري كثيرة عمد بعض الأزهريين الى اتخاذ الملابس الأوربية . وقد عرفنا منهم الأديب محمود الشرقاوى الذى كان يحضر الدروس فى الجبة فاذا خرج آخر النهار خلعها واتخذ البذلة الاوربية حتى إذا نال شهادة العالمية

اقتصر على الملابس الاوربية . وكثير غيره قد فعل مثله

وملابس الأزهرى هى ملابسنا الشرقية القديمة يستوى فيها المسلم والقبطى واليهودى . ولا يزال معظم الأقباط فى الصعيد يتخذون الملابس الأزهرية بجميع تفاصيلها . وهم وغيرهم من المسلمين فى بيئتهم الريفية لا يجدون أية غضاضة أو مضض . ولكن الطالب الأزهري الذى يعيش فى مدينة كبيرة مثل القاهرة يشق عليه الاختلاط بأهلها وهو شاذ عنهم . بل ان ظروف الحياة فى القاهرة تقتضى اتخاذ الملابس الاوربية . فان راكب الترام المعمم الذى يجرى وراءه لكى يدركه ثم يتسلقه ويقعد فى مواجهة الريح يجد جبته وقد طار جناحاها وهو مشغول بلم أطرافها . ولاعب الكرة يعود مضحكا إذا تجرأ على أن يلعبها وهو فى الجبة والقفطان . وقد شرع الأزهريون فى التفكير فى ادخال الألعاب الرياضية فى الأزهر ولا ندري كيف يحرمون من الملابس الاوربية إذا كانت نية ولاة الامور صادقة فى تدريبهم على الكرة وغير الكرة من الألعاب

ونحن نرجو أن يمضى الازهريون فى إنفاذ هذه النية . لأنهم لا يخدمون أنفسهم بهذا العمل فقط بل هم يخدمون الأمة كلها لانهم يقربون الوقت الذى نستطيع أن نصل فيه الى توحيد الزى . هذا التوحيد الذى حققه كل من تركيا وايران بالقانون . فان الفلاح الأيرانى يتخذ البنطلون والقبعة . وهو لو رؤي خلف الجاموسة بالملابس الشرقية لعوقب فورا بالحبس أو الغرامة . وقد أوشكت العراق أن تلحق بها

وليس توحيد الزى مما يستهان به فى قيمته الاخلاقية . فقد يقول بعضهم ان الملابس من القشور وأن للمدنية لبابا يجب أن تأخذ به . ولكن قيمة الملابس أكبر من القشور فان الأمة التى يختلف أبناؤها فى الملابس يختلفون أيضا فى العواطف بل هم ينشقون طوائف وطبقات. فتوحيد الزى هو توحيد للعواطف الوطنية التى تحتاج الأمة الى تعبئتها للخدمة العامة فى كل وقت. ولهذا السبب نحن لا نحتاج إلى أن يعود الازهريون فقط أفندية بل نحتاج إلى ان يتخذ الفلاحون من ملاك ومأجورين هذه الملابس الاوربية أيضا

ان السائحين الأجانب يجدون فى الجبة والقفطان والعمامة « لونا محليا » وهم يحبون استبقاء هذا اللون لكى يتشمموا منه روائح الشرق وينقلوا صورته بالقمرة يطرفون بها أصدقاءهم بعد عودتهم إلى بلادهم ولكننا نحن المصريين نريد أن نحس أننا أمة لنا زى موحد لا يختلف، فلاحنا من أميرنا ولا طالبنا الازهرى من طالبنا الجامعى

فليمض الازهريون فى دعوتهم بارك الله فيها وفيهم

الغاء الشوارب

ليست الشوارب زوائد سخيفة يمكن الاستغناء عنها بلا مبالاة . فانها سواء عندما ترسل أو عندما تحلق تدل على نزعة فكرية خاصة . فاذا كانت الأمة تكبر من شأن الذكورة وتحتقر الأنوثة ويقوم الرجال فيهادون النساء بجميع التكاليف الاجتماعية فان صفات الذكورة الجسمية تعود فيها فضائل وتعود صفات الانوثة — حتى الجسمية أيضا — رذائل . ومن عنا نجد ان احتقار الشرقيين للمرأة قد استتبع ارسال الشوارب بل أحيانا ارسال اللحى . مثال ذلك ان المرأة كانت على الدوام فى مقام منحط عند جميع الامم السامية مثل العرب واليهود أو البابليين أو الاشوريين . وكانت اللحية المرسلة شعار الرجال عند جميع هذه الامم . واللحية أدل على الذكورة من الشاربين

وقد كنا كذلك فى مصر الى عهد قريب . أى اننا كنا أيام نابلبون نرسل اللحى . ولم يكن للمرأة وجود اجتماعى فى ذلك الوقت . فلما ارتقينا فى أواخر القرن الماضى محونا اللحية . ثم لما بدأ القرن العشرين شرعنا فى محو الشاربين . ولهذا مغزاه العظيم . فاننا أصبحنا لا نكره أن تبدو وجوهنا كوجوه النساء لاننا لم نعد نحتقر النساء كما كانت تفعل الامم السامية . بل عدنا الى ما كنا عليه أيام الفراعنة حين كان الرجل والمرأة يتساويان فى جميع الحقوق وكان الرجل « أيضا » يحلق لحيته وشاربه

بل هذه المساواة بين الجنسين نقترب منها فى أيامنا من ناحية أخرى وهى أن النساء أصبحن يجززن شعورهن ولايتركنه ضفائر مرسلة خلفهن . ورغبة المرأة المصرية فى ان تبدو فى هيئة الرجل برهان على نفسيتها الجديدة . فانها تنزع الى استقلال الرجل وايمانه بالحرية والى نشاطه الاجتماعى وهى لذلك تتخذ هيئته

وقد كان يقال عن حلق المصريين القدماء لشوارهم ولحاهم أن هذا كان مبالغة منهم فى النظافة كأن الاشوريين والبابليين والعرب واليهود لم يكونوا يبالون النظافة حين كانوا يرخون لحاهم . والواقع أن النظافة لاشأن لها هنا . فان العرب كانوا يعنون أكبر العناية بشراء الطيوب وتضميخ لحاهم أيام الدولة العباسية كما هو واضح فى نوادرهم التى خلفوها فى كتب الأدب العربية . وانما يعزى حلق اللحية أو ارخاؤها الى حال نفسية خاصة . فان المصرى القديم مثل الامريكى الحديث كان يحترم المرأة ويساويها بنفسه ولا يرى عيباً أن يوصف بصفاتها . أما العربى فكان ينزع نزعة حربية تجعله يكبر من شأن الذكورة فيبالغ فى الاتصاف بها والاعتزاز بمميزاتها . واللحية من أكبر

مميزات الرجولة . ولذلك كان يرخيها

وانظر فى حال العالم الآن أو فى الماضى . فاينما وجدت الشوارب واللحى تحلق فهناك مساواة بين الجنسين أو محاولة لتحقيق هـذه المساواة . وأينما وجدت اللحى والشوارب ترسل فانك تجد مقام المرأة منحطا . وشىء آخرهو أنك لن تجد زوجا ملتحيا مع زوجة تقص شعرها واذا وجدتهما فثق بانهما يتهيآن للطلاق

وحلق الشاربين فى مصر برهان على استعداد الرجال للترحيب بالنهضة النسائية

وجوب الغاء المجمع اللغوى

لغتنا العربية لاتنهض بان تجتر الفاظها القديمة بل إنما يتوقف نهوضها على ماتطعم به من الفاظ جديدة يجب أن نأخذها كما هى من نحو مائة علم جديد لم يسمع بها العرب ولا فكروا فيها . وهذه العلوم الجديدة يعبر عنها بالفاظ عالمية لا يختلف فيها الفرنسى من الانجليزى والالمانى من الروسى . وهذا الاشتراك فى اللفظة العلمية من مصلحة العلم نفسه لان العلماء من الامم المختلفة يمكنهم بقليل جداً من المجهود أن يفهموا مايكتب فى اللغات الاجنبية . ولكن هذا المجمع — لان أعضاءه ليسوا من العلماء — يظنون أننا يجب أن نترجم الالفاظ العلمية وهم يبحثون عن كلمات عربية قديمة تقابلها وهيهات أن يجدوا ذلك . ومن هنا هذا العقم الحاضر

وأحسن الناس لوضع الالفاظ هم الذين يحتاجون اليها فى عملهم الحرفى . فالسمكري هو احسن الرجال لوصف ادواته . والخراز والنجار والسباك هم وحدهم الدين يسمون ادواتهم وعلينا نحن ان نأخذ الفاظهم بلا اعتراض . ولا يمكن المجمع اللغوى أن يقرر تسمية لفظة لكى يستعملها السباك او الخراز او النجار لان هذه التسمية من حقوقهم وليست من حقوق المجمع . ورجل اللغة عليه ان يسجل الكلمة ويقيدها فى المعجم وليس عليه ان يخترعها . لان الاختراع هو شأن العالم والاديب والفيلسوف والصانع والتاجر

وفى المناقشة التى دارت بشأن هذا المجمع فى مجلس النواب اقترح بعضهم أن يوكل اليه احياء الأدب العربى . ونحن نشك فى أن المجمع يمكنه أن يقوم بهذا العمل الذي يحسن أن تكلفه هيئة أخرى فى وزارة المعارف أو فى دار الكتب المصرية

ولكن مابعد هذا كله ؟ مابعد احياء الأدب العربى ؟ وما بعد تسمية المخترعات الحديثة باسماء عربية قديمة ؟ أجل . مابعد هذا كله ؟ هل فى هذا ماينهضنا ويجعلنا أمة قوية ذكية سليمة الجسم

والذهن نتدارس هذه الـ ١٢٨ علم التى يتدارسها المتمدنون والتى ليس لها أسماء الى الآن فى اللغة العربية ؟

نناشدكم الوطن والحضارة أيها الناس أن تستيقظوا

شخصية المرأة المصرية

لك صديق يدعى حسين أو جرجس أو محمود تسأله عن أبيه ما اسمه ؟ فيقول اسمه خليل . وما عمره ؟ يبلغ الرابعة والخمسين . هل هو سمين أم نحيف ؟ بل نحيف . وهل هو حليق أم ملتح ؟ بل حليق حتى أنه يحلق شاربيه . وهل هو رياضى يلعب ويستحم فى الصباح ؟ اجل هو يلعب التنس ويستحم كل يوم

هذا هو مايقوله حسين أو جرجس أو محمود عن أبيه . فاسأله هذه الأسئلة نفسها عن أمه . وعندئذ تجد وجهه قد تغير . تسأله عن اسم امه ؟ ماهذا ؟ وتريد أن يقول ان اسمها ست الـكل أو حنونه و خدرة أو عديلة ؟ انه لايخجل ان يقال انه حسين بن خليل أو جرجس بن منصور أو محمود بن على . ولـكنه يخجل من أن يقال انه حسين بن خدره أو جرجس بن حنونه أو محمود ابن ست الـكل . ثم أنت قد سألته عن أبيه نحيف هو أم سمين فهل مثل هذا السؤال يوضع عن أمه ؟ هذه وقاحة . وقد سألت عن والده هل هو يحلق لحيته أم يرخيها فهل من اللائق أن تسأله عن أمه هل هى تقص شعرها أم ترخيه وهل تلعب احدى اللعب الرياضية وتستحم كل يوم ؟

اننا نشعر جميعنا باننا لانرى بأسا فى هذه الأسئلة نسأل عنها فيما يتعلق بالاب ولـكننا نخجل منها فيما يتعلق بالام . فلماذا هذا ؟

لسبب واحد وهو أن ليس للمرأة عندنا ـ اما أو أختاً أو زوجة أو ابنة ـ شخصية . فاننا قد حجبناها عن الهيئة الاجتماعية ونحيناها الى زاوية البيت وفى الوقت نفسه نحيناها عن اذهاننا كأننا ناقد ألغيناها . وصحيح انها لم تنح التنحية التامة بل هى مندسة فى عقلنا الباطن . ولـكن معظم مافى العقل الباطن شهوات ورغبات نخجل من التفكير فيها او الافصاح عنها . وما هى الشخصية ؟

هى تأكيد الوجود . فللحيوان شخصية ليست للنبات . وللانسان شخصية أكثر مما للحيوان . بل نحن لانـكاد نعترف باز للحيوان شخصية الا اذا صادقناه تلك الصداقة الحميمة التى تكسبه شيئا من صفاتنا كالـكلب يعيش معنا ويرافقنا ويصادقنا فندرس أخلاقه ونتفاهم معه ونحادثه

بالايماءات والحركات والأصوات . ولأن لهذا الكلب شخصيه نحن لا نبخل عليه بالاسم الذي نناديه به

ولكن ماذا أقول ؟ اننا نبخل على بعض نسائنا بالاسم . فلا نتجرأ أمام صديق أو رفيق أن نذكر اسم الام أو الزوجة أو الاخت لأنها « الجماعة » أو « الحريم » والاسم أول صفات الشخصية واشارة الى تعيين الشخص

ونحن لنا من الشخصية بقدر مانؤكد وجودنا . فليس شك فى شخصية غاندي الذى طبع عصره بطابعه . وليس شك فى شخصية المتنبى الذى « شغل الناس » ونحن الرجال نؤكد وجودنا بالعمل الذى نحترفه وبالميدان الرحب الذى نعمل فيه فى هذا الاجتماع . ولكن المرأة المصرية التى نحبسها فى البيت لانستطيع أن نقول ان لها وجوداً « مؤكدا » فى الدنيا وهى لايتجاوز نشاطها بيتها . ولو كنا نحن الرجال نتقنع بنقاب يخفى وجوهنا ونقعد فى البيوت ويخجل ابناؤنا من ذكر اسمائنا لما كان لنا شخصية لأن هذه الظروف تلغى او تكاد تلغى وجودنا

فالمرأة المصرية معدومة الشخصية أو تكاد تكون كذلك . ولكن يجب أن نعترف بالشخصية لهذه الفلاحة التى تعمل وتكد مع زوجها فى الحقل والمنزل . ولهذه الارملة الفقيرة التى يجبرها الزمن على التكسب ولو كانت من الطبقة المتوسطة

اعرف سيدة من الطبقة المتوسطة مات زوجها وهى فى الاربعين من عمرها . ففاجأتها الدنيا وهى قعيدة بيت سمينة جاهلة تخاف من السير وحدها فى الشارع . ولها مع ذلك سبعة أولاد ليس فيهم كاسب اذ كانوا لايزالون فى المدارس . ولكن هذه الصدمة دفعتها الى خارج البيت . فزارت عزبة زوجها لأول مرة فى حياتها واشترت الجاموس والثيران وباعت القطن والقمح وعرفت المدارس التى يتعلم فيها اولادها فكانت تقصد اليها وتؤدى المصروفات عنهم . وتقصد الى الريف فتشترى ماتحتاج اليه ثم الى اسواق القاهرة فتجمع مؤونة البيت . وتسدد أقساط الديون وتتفق مع الدائنين . ومضت عليها سنوات وهى فى هذه الحال حتى صارت لها شخصية . فذهب عنها شحمها وانطلق لسانها تتحدث فى التعليم وأثمان القطن والوظائف ونجح أولادها ... لم تكن لها شخصية مدة زوجها ولكنها اكتسبت هذه الشخصية بعد وفاته لانها قامت بعمله

والمغزى أن الحرفة أو العمل الحر هو الذى يكون للرجال شخصيتهم . وهو نفسه الذى يكون للنساء شخصيتهم . ولهذا السبب يجب أن يكون لكل امرأة صناعة . . . صناعة تجعلها تختلط بالناس وتحتك بالدنيا الكبيرة فى السوق والمكتب والمصنع والمتجر فتؤثر وتتأثر... وبذلك تعيش

المقتطـــــف

المقتطف مجلة تقرأها اليوم وترجع اليها فى المستقبل ـ ولا أدل على ذلك من مطالعة مجلداتها السابقة كل مجلد تاريخ واف للسنة التى صدر فيها . فيه وصف المستنبطات التى استنبطت والمكتشفات التى اكتشفت وأشهرحوادث التاريخ وأهم مشكلات العالم السياسية والاقتصاديه واجتما لاعية وسير أعظم الرجال وآراء أكبر العلماء ـ وكل مايهم المرأة معرفته من ادارة مملكتها البيتية ـ وكل ذلك بكلام بليغ قريب التناول وصور كثيرة وتحقيق وتمحيص اشتهر بهما المقتطف مع مقالات كثيرة فى مواضيع شتى علمية وأدبية وفلسفية فاذا كنت ممن يعنون بالنهضة الشرقية الحديثة ـ اذا أردت أن تطلع على ارتقاء الحضارة الغربية فى الستين سنة الماضية ـ اذا أردت تاريخا وافيا لسير العمران منذ اكثر من نصف قرن الى الآن . فيجب ألا تخلو مكتبتك من مجلدات المقتطف وهى تباع مفردة أو مجموعة وقيمة الاشتراك السنوي فى القطر المصرى جنيه مصرى واحد ، وفى الخارج بمبلغ مائة وعشرين قرشامصريا أى مايساوي ٦ دولارات امريكية

ويخصم ٢٠٪ لحضرات الاساتذة والطلبة الذين يرفقون طلبهم بقيمة الاشتراك وبشهادة من مدير المدرسة . العنوان : ادارة المقتطف بمصر .

مِصرُ أصْلُ الحضَارَة

هذا الكتاب يشرح النظرية القائلة بان الانسان البدائى اهتدى الى الحضارة فى مصر وأن العالم كله أخذها عنه

وهو لسلامة موسى صاحب المجلة الجديدة . الثمن ١٠ قروش

5

بنك مصر

يساعدكم على الادخار

من اقرب واضمن الوجوه

اتصلوا بقسم بيع الاوراق المالية بالتقسيط

واستفيدوا من التخفيض المحسوس

والضمان الموفور

خابروا قسم التقسيط رأسا بمركز البنك الرئيسى

بالقاهرة

وفروعه بالاقاليم

ليس للبنك وكلاء متجولون

المجلة الجديدة

HARVARD
UNIVERSITY
LIBRARY

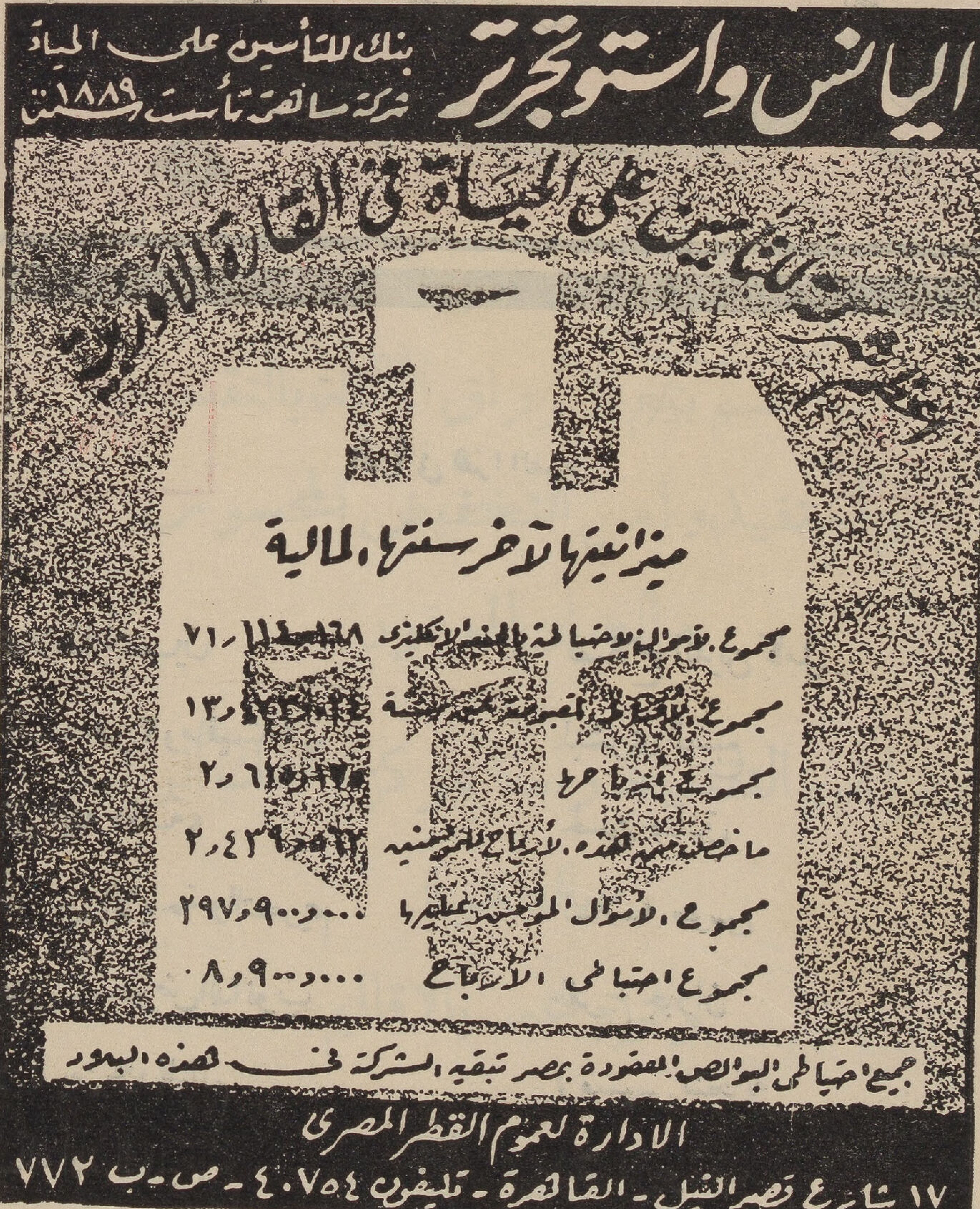
٦/٦ 6/6

يونيه ١٩٣٧

الثمن ٣ قروش

اقرأ في هذا العدد

مطبعة المجلة الجديدة


اليانس واستوتجرتر
بنك للتأمين على الحياة
شركة مساهمة تأسست سنة ١٨٨٩
للتأمين على الحياة في القارة الأوربية
ميزانيتها لآخر سنتها المالية
مجموع الأموال الاحتياطية بالجنيه الانكليزي ٧١،١١٤،١٦٨
مجموع الأقساط المتحصلة في السنة
مجموع الأرباح
ما خص حملة هذه الأرباح المؤمنين ٢،٤٣٩،٥٦٢
مجموع الأموال المؤمن عليها ٢٩٧،٩٠٠،٠٠٠
مجموع احتياطي الأرباح ٨،٩٠٠،٠٠٠
جميع احتياطي البوالص المعقودة بمصر تبقيه الشركة في هذه البلاد
الادارة لعموم القطر المصري
١٧ شارع قصر النيل - القاهرة - تليفون ٤٠٧٥٤ - ص - ب ٧٧٢

HARVARD
UNIVERSITY
LIBRARY

فهرست

يونيه سنة ١٩٣٧

الاشتراك فى هذه المجلة

مصر والسودان سنة كاملة ٤٠ قرشاً وسنتين ٦٥ قرشاً و ٣ سنوات ٩٠ قرشاً

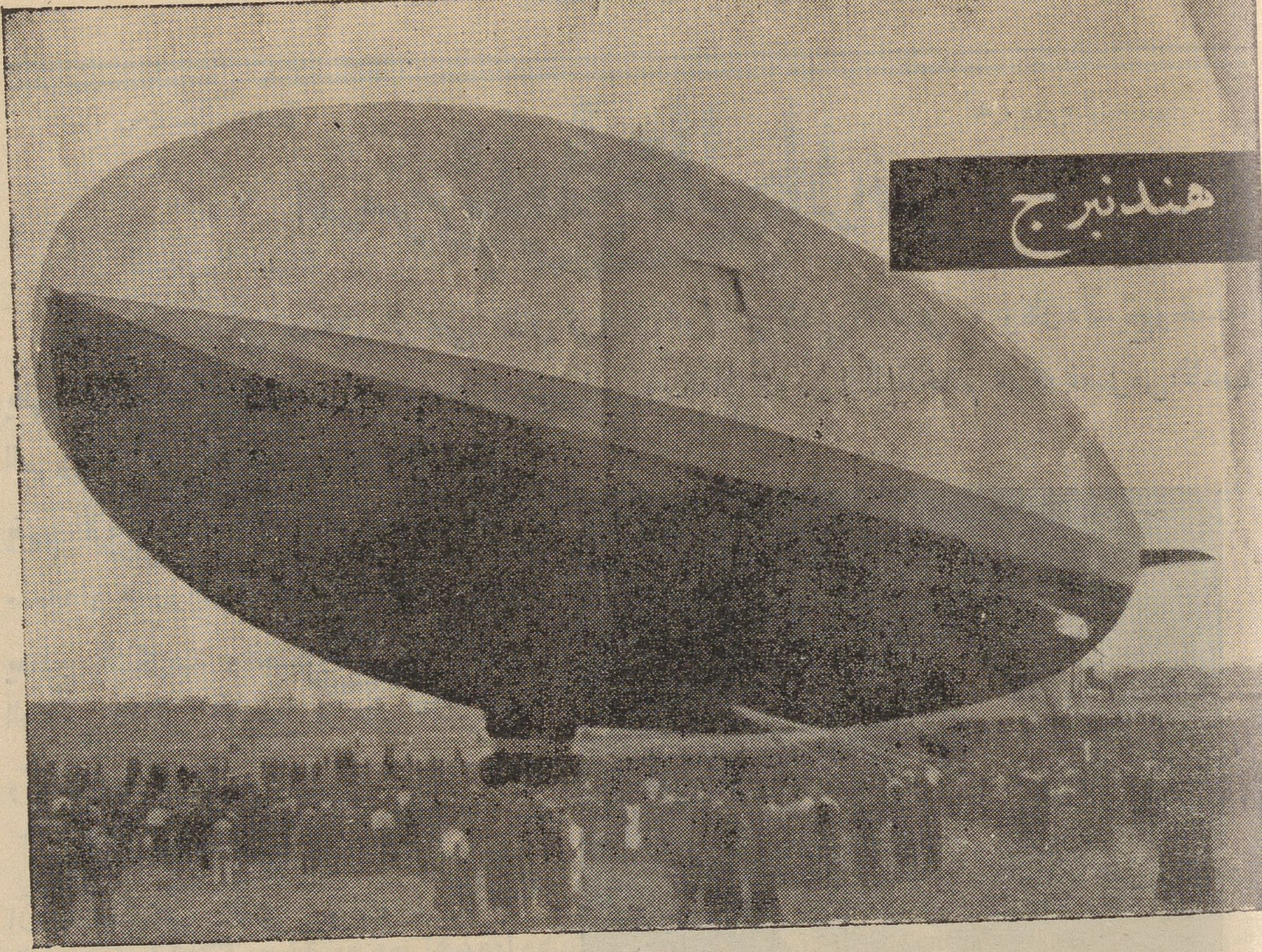
وخارج القطر (داخل الاتحاد البريدى) ١١ شلناً للسنة و ٢٠ شلناً لسنتين و ٣٠ شلناً لثلاث سنوات

ويجب إضافة ١٠ قروش (شلنين) فى السنة لكل مشترك خارج الاتحاد البريدى

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين) مصر



صاحبا الجلالة الملك فاروق والملكة الوالدة فى سويسرا





حدث فى الشهر الماضى حادث مروع اذ احترق البالون الالمانى هندنبورج فى الوقت الذي كان يحاول ان يهبط فيه فى الولايات المتحدة ولا يعرف السبب لاحتراقه.

وتري فى اسفل الصورة قائده الكبتن ارنيست ليمان الذى كان بين القتلى

المرحوم مصطفى صادق الرافعى

المرحوم مصطفى صادق الرافعى الذى توفى فى اواخر الشهر الاسبق . وكان « نسيج وحده » يفهم الادب لا كما يفهمه او يمارسه اى اديب اخر فى العالم كله . ولذلك اختتم بموته فصل من الادب العربى لا نظن انه يعود . فانه كان يفهم الادب كأنه جملة مزخرفة او عبارة منمقة او مجاز رائع او استعارة بارعة . وكان يعالج الكلمات والعبارات كما يعالج الصائغ دقائق الاحجار فى التلبيس والتنسيق



وكانت هذه العناية تمنعه من ان يفهم ان للكتاب الذى يؤلفه غاية . ولذلك يمكن ان ينقل فصل من احد كتبه الى كتاب اخر دون اضرار بموضوع الكتاب . لأن الواقع ان الكتاب ليس به موضوع معين . وكانت النزعة السائدة فى ادبه وطنية دينية أو ثقافية للعرب . ولذلك كان نقده على الدوام لمعاصريه من الأدباء ينحصر فى انهم اعداء للاسلام أو العروبة او جهلاء بالثقافة العربية القديمة . وكان يكره الروح العصري كراهة عمياء حتى كان اخر ما كتبه عن القبعة قوله ان الشاب الذى يخلع الطربوش ويتخذ القبعة انما ينخلع من الدين ومن الأخلاق ومن الوطنية : وله اراء كثيرة تجرى على هذه الوتيرة وقد اوذى الشباب المصريون كثيرا بهذه الآراء . ولكنا نعتقد انه كان فى كل ما يكتب مخلصا بعيدا عن النفاق

Arab 2
0L2.5065.750

صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد السادس

المجلة الجديدة

العدد السادس
من
السنة السادسة

يونيو ١٩٣٧

HARVARD
UNIVERSITY
LIBRARY

سير الحوادث

كان الشهر الماضى حافلا بالحوادث الجسام فى تاريخ مصر . فقد الغيت الامتيازات وانضمت مصر الى عصبة الامم وعن قريب سيتم الغاء صندوق الدين . وبهذه الاجراءات لا يتم لمصر استقلالها الذى فقدته سنه ١٨٨٢ فقط بل هى تسترد استقلالها الذي افقدها بعضه الخديو اسماعيل بتهوراته المالية التى اثمرت صندوق الدين والرقابة الاجنبية كما تستعاد اليها حريتها فى معاملة الاجانب التى قيدت منذ ايام احتلال الاتراك لمصر سنة ١٥١٧ لان الامتيازات الاجنبية ترجع الى ذلك التاريخ . فنحن منذ الان احرار فى فرض الضرائب على الاجانب وفى ايجاد مجلس بلدى للقاهرة وفى غير ذلك من الاعمال التى كنا الى الآن عاجزين عن القيام بها لقيود الامتيازات

وكل مصرى الآن مسئول امام نفسه وامام العالم على ان يعم العدل بلاده وعلى الا يثب طاغية الى كراسى الحكم وعلى ان تكون مصر خادمة للرقى البشرى العام كما هو مسئول عن حرية المرأة وحقوق العامل وعن الصحة العامة والثقافة العصرية . وهو اذا قدر كل ذلك صار استقلال مصر كسبا للحضارة . اما اذا وقعت البلاد فى ايدي الرجعيين ووضع الاوباش السلاسل على ابواب البرلمان واعيدت السخرة الى الفلاح فان استقلالنا عندئذ لا يعد كسبا للحضارة بل خسارة عليها. فلنجاهد الرجعيين كما جاهدنا الانجليز بل باشد مما جاهدنا الانجليز . فان الانجليزى كان عدوا متمدنا ولكن الرجعى عدو متوحش

محنة اسبانيا

لا تزال اسبانيا تأكل نفسها ويناحر ابناؤها . وقد مضى على الثورة الى الان اكثر من عشرة اشهر والثوار يستولون على اكثر من نصف اسبانيا ولكن ليس هناك مع ذلك ما يومىء الى

انتصارهم التام . فان الوزارة الاسبانية بعد ثورة الفوضويين قد استقالت والفت وزارة جديدة برياسة الدكتور نيجرين وهو اشتراكي معتدل (وفي الاصل عالم بيولوجي) وليس في الوزارة الجديدة فوضوي واحد . فهي من حيث اللون السياسي اشتراكية معتدلة . ولكن يخشى ان يقوم الفوضويون بثورة جديدة لحرمانهم من كراسي الحكم . وخاصة لان الوزارة شرعت تنزع منهم السلاح وعندئذ يسهل على فرانكو ان يتغلب على الحكومة

وبلباو في الشمال حيث الباسكيون توشك ان تسقط . فاذ انتهى فرانكو منهم امكنه ان يوجه قوات كبيرة هي الان مربوطة حول بلباو الى الجبهة الشرقية لمقاتلة الحكومة : وعندئذ ترجح كفته . ولكن الانتصار سيبقى مع ذلك بعيدا ما لم ينشق الحكوميون على انفسهم . وهذا الانشقاق يخشى منه كثيرا لان الفوضويين حاقدون على الوزارة الاسبانية الجديدة

وتجرى مساع مختلفة لعقد هدنة بين الحكومة والثوار . ولكن من البعيد جدا ان تقبل الحكومة وقف القتال لانها تنتظر النصر بقوة ما لديها من الاموال اذ عندها ما لا يقل عن سبعين او ثمانين مليون جنيه . وقد اقيمت رقابة من الدول الكبرى لمنع المتطوعين الاجانب من الالتحاق بجيوش الحكومة او جيوش الثائرين وهي ناجحة في هذا المنع . وهذا النجاح يقوى الامل عند الحكوميين بالنصر

احتراق هندنبورج

من فواجع الشهر الماضي احتراق البلون الالماني هندنبورج الذى كان يسافر بين اوروبا وامريكا وقد قتل فيه ٣٤ منهم قائده الباسل ارنست ليمان . ولم تعرف الى الان اسباب احتراقه وقد صرح الطيار اكنر بانه لن يستعمل غاز الهيدروجين في المستقبل لانه يشتعل . وسيستعمل بدلا منه غاز الهليوم وهو اغلى منه ثلاثين ضعفا . ومما يدل على همة الالمان ان الجنرال جورنج في غداة احتراق البلون هندنبورج امر ببناء بلون جديد

في الخارج

استقال المستر بولدوين من رياسة الوزاره الانجليزية واخذ مكانه المستر نفيل تشمبرلن

مات روكفلر ملك البترول في الولايات المتحدة بعد ان قارب المائة . ويقال ان تبرعاته للبر قد بلغت نحو ١٥٠ مليون جنيه

شعرت ايطاليا بخطر المباراة في القوة الحربية مع بريطانيا فاقترح موسوليني على الرئيس روزفلت عقد مؤتمر لتحديد السلاح

مجلة للعلوم

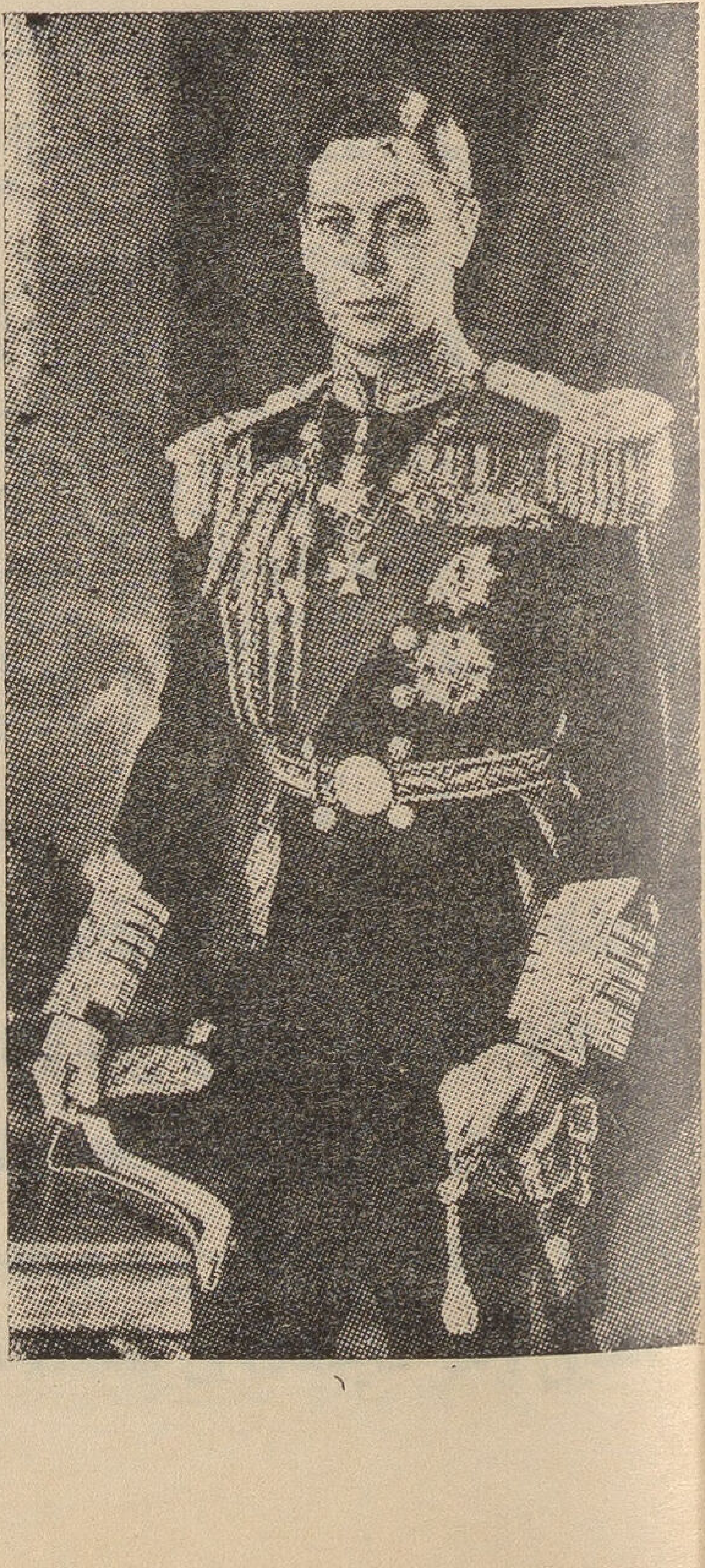
يجدر بالحكومة المصرية ان تتأمل بعض المجلات التى تصدرها الحكومات . فان مجلة « البحث

والتقدم» من المجلات الالمانية التى تصدرها الحكومة لكى يقف الجمهور على التقدم العلمى بالوانه المختلفة . وامامنا العدد الاخير وبه من المقالات . « مهاجرات السلالات البشرية » و« التأثيرات البيولوجية » للكئول فى التمثيل الغذائى) و « انتاج البترول فى العالم » و « علاقه السكرى بالغدة النكفية » و « الهيموفيليا » وهل هى مرض وراثى الخ

وهذه المجلة تنشر الابحاث التى تقوم بها المعامل الالمانية. وهى لا تقتصر على علم معين بل تتناول جميع العلوم . وتحسن حكومتنا لو درست هذه الفكرة وأصدرت مجلة عامة للعلوم

فرح انطون

فى الشهر القادم يكون قد مضى على وفاة فرح انطون خمسة عشر عاما . ويحسن برجال الادب الذين يعرفون فضل هذا الاديب العظيم فى النهضة الحاضرة ان يحتفلوا به . فان فى الاحتفال تنويها بالوان التجديد التى قام بها فى توجيه الادب الحديث نحو الثورة واعترافا بفضله على التفكير المصرى ونحن لا نعرف اديبا ممن يؤبه بهم فى مصر لم يتأثر بأحسن التأثرات من فرح انطون . وكثير من النزعات الحسنة فى ادبنا يعود اليه . وقد كان دأبنا فى كل فرصة ان نعترف بفضله ولذلك نحن ننتهز الفرصة الحاضرة لتنبيه الوجدان الادبى فى مصر الى ضرورة الاحتفال بمرور خمسة عشر عاما على وفاته



صاحب الجلالة الملك جورج السادس وصاحبة الجلالة الملكة

وقد تم تتويجهما فى الشهر الماضى بين مظاهر الفرح العامة بين الشعب البريطانى



اختلاط الجنسين

للاستاذ صلاح الدين كامل

عند ما قال الدكتور طه حسين — فى سياق الرد على دعاة تلك الحركة السخيفة الطائشة التى قامت تطالب بالفصل بين الفتيان والفتيات فى الجامعة — أنه ليس فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ما يحرم اختلاط الجنسين ، قام الرجعيون من رجال الازهر وقعدوا وتوالت مقالاتهم على صفحات الجرائد والمجلات طويلة متشابهة مملة طنانة جوفاء . والآن وقد أفرغوا كل مافى جعبتهم وهدأت العاصفة ، ها أنا ذا أعيد كافة ما قدموه من أدلة موضحا أن ليس فيها دليل حقيقى واحد على أن الاسلام يحرم الاختلاط

ويجب أولا فى مثل مانحن بصدده من بحث أن نميز الفارق الكبير بين ماورد فى القرآن الكريم وماورد فى الحديث النبوي الشريف . فالقرآن ثابت « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » نزله الله على عباده وحفظه من عبث العابثين « انا نحن نزلنا الذكر وانا له حافظون » وما ورد فيه على المسلمين أن يتبعوه . أما الاحاديث النبوية فمعلوم أنه قد اختلق منها الكثير مما يجعلنا فى حل من أن لا نقبل كل حديث يأتينا به سادتنا الرجعيون إلا بعد الفحص والتمحيص ، لا على ضوء النظرية القديمة فقط من « علم الحديث » التى تعتمد فى التثبت من صحة الحديث على تعدد الرواة أو الثقة بهم ، وانما أيضا على ضوء النظرية السيكولوجية الحديثة التى تقضى علينا بأن لا نقبل حديثا مرويا عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما لم يلتئم مع البيئة والظروف التى أحاطت بمحمد ويتناسب مع ماعرف عن نفسيته السامية وعقليته العالية وأسلوبه الحكيم فى الاقوال والافعال . كما أنا يجب ألا نهمل فى بحثنا عن حقيقة تعاليم ديننا الاسلامى تلك الحوادث والاخبار التاريخية المعروفة فى صدر الاسلام .

* * *

لم يأت لنا جماعة الازهريين الذين تعرضوا للرد على الدكتور طه حسين ، رغم شدة تعجبهم من قوله أن الاسلام لايحرم اختلاط الجنسين واتهامهم اياه تارة بالجهل وتارة بالمغالطة ، سوى بآيتين اثنتين من القرآن زعموا أنهما تقضيان بتحريم الاختلاط . وهاتان هما الآيتان:

« يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفوراً رحيما »

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها »

وأظنني لست فى حاجة الى التدليل على أن هاتين الآيتين ليس فيهما سوي الدعوة الى الاحتشام والعفة والنهى عن التبرج والتهتك . وليست الجامعة دار تبرج وتهتك وليس التبرج والتهتك موضوع مابيننا وبين دعاة الفصل بين الجنسين من خلاف

أما استشهاد بعض الاساتذة الاعلام على أن القرآن يحرم الاختلاط بتلك الآية التى تقرر مبدأ من مبادىء الاداب العامة فى الاسلام وهى : « يأأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا » وقولهم فى ذلك أن ليس النهى عن الدخول قبل الاستئذان للخوف على الجدران أن تنهار ولا على الارض أن تميد وانما هو لئلا يقع النظر على النساء !... فهو منطق غريب كأن البيت الذى ليس به نساء يحق لكل انسان ان يدخله دون استئذان !!

وأما استشهاد البعض على تحريم الاختلاط بآية : « ولا تقربوا الزنا ... » بحجة أن الله عند ما نهى عن الزنا جعل النهى منصبا على كل مايؤدى اليه وأن الاختلاط يؤدي الى الزنا ، فهو منطق أغرب وتعسف ظاهر لايحتاج الي نقاش

(*)

أما الاحاديث النبوية التى استشهد بها على منع الاختلاط فهى كثيرة ويجب أن نأخذها بحذر لما قدمت فى صدر كلامى من أسباب . وأهم هذه الاحاديث هى الآتية :

« قال النساء للنبي . غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوما من نفسك . فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن » وهذا الحديث يؤيد رأينا فى جواز الاختلاط ولا يؤيد العكس ، اذ أنه يدل على أن النساء كن يجتمعن مع الرجال حول النبي لسماع وعظه دون أن ينهاهن النبى عن ذلك . ولكن بعضهن تضايق من زحام الرجال واستيلائهم على المجلس ، فطلبن الى النبي أن يخصص لهن يوما حتى تتسع لهن الفرصة لسماع كل مايقول وسؤاله والاستفهام منه عما يغمض عليهن ، فوعدهن النبي بذلك وأنجز وعده وكان طبيعيا أن يفعل النبي ذلك بحكم أدبه واحترامه للمرأة وحرصه على تفهيم التعاليم التى أتى بها للرجال والنساء على السواء

« لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لاتحل له » وظاهر أن المقصود بهذا الحديث هو الدعوة الي العفة ، واللمس المشار اليه فيه ليس اللمس بمعناه اللغوى الضيق وهو مايحدث فى المصافحة أو جلوس رجل الى جانب سيدة مثلا ، وانما هو اللمس الذى

يتنافى مع العفة أو اللمس بالمعنى المفهوم من قوله تعالى فى سورة مريم . « قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا »

« لأن يزاحم الرجل خنزيراً متلطخا بطين أو حمأة خير له من أن يزاحم منكبه امرأة لا تحل له » واذا صح هذا الحديث

فليس المقصود به هو المزاحمه التى تأتى عفوا من وجود الرجال والنساء فى مكان واحد ، وانما قصد به ولاشك النهى عن التحكك بالنساء عمدا وانتهاز فرصة الزحام لهذا التحكك كما يحدث عندنا فى زحام الموالد مثلا ، وهو مايشاهده بطبيعة الحال اخواننا الأزهريون

« كان الفضل رديف رسول الله معه فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه ، وجعل النبى صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر » وطبيعى أن يفعل النبى ذلك وأن يتضايق من أن يتخذ من مجلسه مكانا للمغازلة أو مايشبه المغازلة . ولا ادري ماهو وجه الدليل على منع الاختلاط من هذا الحديث !

« أجيعوا النساء جوعا غير مضر واعروهن عرياً غير مبرح . لأنهم اذا سمن وا كتسين فليس شىء أحب اليهن من الخروج وليس شىء شرا بهن من الخروج . أما اذا أصابهن طرف من العرى والجوع فليس شىء أحب اليهن من البيوت وليس شىء خيرا لهن من البيوت » والشخص الذى درس أحكام الاسلام فيما يتعلق بالمرأة وقرأ ولو قليلا من سيرة محمد وأحاديث محمد يكاد يجزم بعدم صحة هذا الحديث . اذ لايعقل أن يقول محمد كلاما مثل هذا فيه منتهى الامتهان للمرأة التى رفع مكانتها وقرر شخصيتها . فضلا عما فيه من المخالفة لروح القرآن وتعاليمه وقد جاء فيه « ومن اياته أن خلق لـكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة »

أما الاستدلال على منع الاختلاط بين الجنسين بحديث الرسول فى النهى عن بقاء النساء بجانب القبور « أرجعن مأزورات غير مأجورات » بحجة أن هذا النهى لم يكن طبعا للخوف عليهن من الاموات وانما لمحظورات أخرى أوضحها تعرضهن للاجانب ! . . . . أو القول بان علماء الأسلام قد أجمعوا على أن لا تبدى المرأة للطبيب من جسمها الا بمقدار ما تمس الحاجة، كأن دعاة الاختلاط يقولون ان على المرأة التى تذهب الى الطبيب لعمل حقنة فى ذراعها مثلا أن تتجرد من كل ثيابها ! . . . الى آخر تلك السفسطة التى ملأ بها اساتذتنا الاعلام صفحات الجرائد والمجلات . . . .
فهى أشياء يصح أن تورد من باب التفكه لا على انها كلام جدى يستحق الرد عليه

واذا رجعنا الى الحوادث والاخبار المتواترة عن صدر الاسلام ، لوجدنا الدليل ساطعا على ان المرأة فى هذا العصر الزاهر كانت تختلط بالرجل ولم تكن لتعرف هذا الحجاب الذي ساد فى عهد

الحطاط المسلمين وتدهورهم والذى يريد سادتنا الرجعيون أن يجعلوه — زورا وبهتانا — جزءا لايتجزأ من الدين

ومن المعروف أن نساء المسلمين كن يخرجن فى غزوات النبى وفى فتوحات المسلمين الاولى ليشجعن الرجال على الحرب ويضمدن جروح المصابين ويقمن بالتمريض والمواساة ، وهو شىء لم يعترف به للمرأة الانجليزية الا فى سنة ١٨٧٠ فى أثناء حرب القرم عقب ذلك الجهاد العنيف النبيل التى قامت به الآنسة نيتنجيل كما هو معروف فى التاريخ الحديث ! فهل هذا يدل على ان الاسلام يقضى بحجاب المرأة ومنع اختلاطها ؟!

ومن الحوادث المعروفة حادثة تلك المرأة التى ناقشت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى المسجد حول مسألة تتعلق بحكم الاسلام فيما تأخذ النساء من مهور وقد أفحمت تلك المرأة عمر بالحجة حتى قال : « لقد أخطأ عمر وأصابت امرأة » فهل مثل هذا الحادث يعد دليلا على أن نساء المسلمين كن محجبات لا يختلطن بالرجال ولا يعرفن من أمور الحياة سوى ما يتعلق بشؤون البيت ؟

كانت عائشة أم المؤمنين زوج النبى وابنة أبى بكر الصديق فقيهة وعالمة يلجأ اليها المسلمون من كل صوب يتلقون منها اصول الدين ، وقد قال النبى فى حياته مشيرا اليها « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » كما كانت فوق ذلك خطيبة وقائدة ، ومن اشهر خطبها خطبتها فى مكة على أثر قتل عثمان مطالبة بدمه ، وهى تلك الخطبة التى جمعت على أثرها جيشا عدده ثلاثون الفا قادته بنفسها فى قتال على فى واقعة الجمل المشهورة ! فهل يعقل أن تفعل عائشة كل ذلك وهى متحجبة منزوية لا ترى أحدا من الرجال ولا يراها احد ؟!

وكانت السيدة سكينة بنت الحسين من أوفر النساء ذكاء وكمالا وأدبا ومن اكثرهن جمالا وأناقة وظرفا . وكان بيتها صالونا من افخم وأزهى الصالونات الادبية يؤمه صفوة رجال الآداب والفنون يستفيدون من سعة اطلاعها وحصيف نقدها ويأتنسون بأدبها وظرفها ، فهل كانت السيدة سكينة تستقبل الزائرين من الشعراء والأدباء وغيرهم الذين كانوا يفدون على منزلها من جميع الأنحاء وهى مختفية من وراء حجاب ؟!

واكتفى بهذه الامثلة القليلة التى شرحتها فى اقتضاب للتدليل على أن المسلمين من صدر الاسلام ما كانوا يعرفون الحجاب بالمعنى الذى فسره به بعض الفقهاء فيما بعد والذى يريد الجامدون ان لانحيد عنه ولو قضينا فى سبيل ذلك على مظهر من مظاهر التقدم فى البلاد !

صلاح الدين كامل

أدب الرافعي وكتبه

دراسة سريعة — بقلم الاستاذ اسعد حسنى

سئل مرة « برناردشو » الكاتب الانجليزى الاشهر ، عن الاديب فقال : « هو من يستطيع أن يخلق الحياة من العدم ، كما تخلق الطبيعة سواء بسواء .. بل هو من يفضلها ويسمو عليها فاذا كانت الطبيعة قد خلقت الانسان ، فعليه هو وحده أن يخلق السبرمان ... » !

وعلى هذه القاعدة نتناول بالحديث المرحوم الاستاذ الرافعي – طيب الله ثراه – كأديب ، ونعالج الكلام عن مدى ما خلفته كتبه الكثيرة من الاثر فى النفوس ، ومدى ما تنطوى عليه هذه الكتب من مظاهر الحيوية والبقاء ...

ونحن نحب قبل كل شيء أن نقررهنا فى سياق هذه الدراسة العاجلة فداحة الخسارة التى منيت بها أسرة « الادب القديم » بوفاة السيد مصطفى الرافعي . فقد كان رحمه الله من أعلامه البارزين . وموت الرافعي فى سنة ١٩٣٧ ، أى خلال الثلث الثانى من القرن العشرين ، الذى نعيش فيه محفوفين بجميع مظاهر الحضارة والنور ، خليق بأن يجعل الكلمة التى تقرر عنه ، تنطوى على شيء من قسوة الحقائق ومرارتها ... !

عاش الرافعي وهو يعالج الكتابة ، فى الادب العربى . والشعر – زهاء اربعين سنة ، أخرج خلالها طائفة من الكتب ، سنتناولها بالحديث والذكر فيما بعد ، وظل وهو يفاخر طيلة هذه الاعوام بأنه رمز للرجل المحافظ على القديم ، ضد غارات الجديد . وقد عرف بذلك كيف يناوش كل كاتب من الذين يتزعمون الادب الحديث ، وكيف يرميهم بالذع الالفاظ ، وينعتهم بالصفات المعيبة ، حتى ولو بالكفر ، والخروج عن القومية ، والخيانة الوطنية ، وهو لا يبالى ، مادام الغرض الجوهرى من كل هذا – ان يكون هو « بارعا » فى ابراز كلامه « البليغ » متفننا فى توشية أسلوبه البيانى المحكم بالزخرف الزائد ، والجمال الظاهرى الذي يأخذ بمجامع القلوب ، حتى وان صرفه عن الهدف الحقيقى ، او جعله يقصر عن النفاذ الى المعنى المقصود !

وكان الرافعي ، ومعه انصار مذهبه القديم ، يضحون بالمعانى المفيدة – كما قلنا – من أجل « سجعة » لطيفة ، ويستهينون بكرامة الادب ، وهو وظيفة الحياة ، لكى يقال عنهم « بلغاء » و « بارعون » !

كان أهل القديم ، لايفهمون من الادب ، الا انه الاسلوب اللفظى الانيق ، لانهم مقلدون . وكانو يستعينون على ذلك بتقليد « الحريرى » و « الهمذانى فى المقامات و « ابن معتوق » و « ابن

أوس » فى ايراد المعانى شعراً .. ولذلك لم تكن المعانى التى تنطوى عليها كتابات هؤلاء الا الوانا عجيبة ، متنافرة لا تناسب فيها ولا اتساق ، فتأخر الفكر وانحط الذوق ... وثار أنصار الجديد الذين اقلعوا عن التقليد ، وحرروا نفوسهم وعقولهم من القيود البالية ، وعاشوا فى صميم الحياة وأخذوا يوجهون الادب العربى ، الى الاتجاهات الحديثة ، التى رسمها اعلام البيان فى العوالم الراقية المتمدنية !

ومن هنا نشبت الخصومة بين الرافعي ، رمز القديم ، وبين أنصار الجديد ، الذين لم يروا فى انتاجه غير ضرب من التقليد والفناء فى الغير ، دون تحرير العقل والشعور . ولا ريب أن الانسان عندما يشرع فى التعبير عن عواطف غيره دون أن يسكب روحه ، وعواطفه يتلاشى فنه وتفنى ذاته ، وينحرف عن بلوغ الكمال . حتى وان اتخذ لذلك احسن الوسائط . واعظم الطرائق .. وهذا هو الحال فى أدب المرحوم الرافعى . فأنه لم يكن يفهم من وظيفة الادب الا انه رصف الالفاظ الرنانة . والجمل البليغة . لكى يخفى ماوراءها من المعانى السهلة التى لو بسطت باسلوب ادق لاثارت الضحك والسخرية . لفرط ما هى عليه من التفاهة !

وهذا هو الفرق الكبير بين القديم والحديث . او بتعبير أوضح ـ بين التقليد والتجديد !

واذا كان تأثير أنتاج الاديب فى الأذهان والنفوس يعظم بمقدار ما يستقل شعوره ويسمو . وبمقدار مايرق خياله ويتهذب فنه ويفيد فان المرء لا يستطيع ان يقرر عن أدب « الرافعى » اكثر من أنه ادب لا يؤثر فى القلوب والعقول الا تأثيراً وقتيا . لانه ادب مقامات . وبديع . وجناس والفاظ منتقاة قبل كل شيء . وأما من ناحية المعانى فهو أدب ميت لا يمكن أن يخلد بحال و يبقى على الزمن

ولقد يكفى الانسان عند ما يطالع للرافعى « مقالا » فى صحيفة من الصحف . أو يتوفر على قراءة كتاب من كتبه الكثيرة ـ اذا أستثنينا الكتب التى تتعلق بدراسة الادب العربى القديم ـ أن يسائل نفسه : ماذا أفاد من هذا المقال . او بما ذا خرج من هذا الكتاب . بعد هذا الجهد الذى أحتمله وبعد هذا الوقت الذي انفقه ؟ ... فلا يحير جوابا ... ذلك لانه يري نفسه عاجزا عن استخلاص العبرة المفيدة او تقرير الحقيقة الواقعة با كثر من أنه رأى افكارا مقيدة غير منطلقة لانها اسيرة لتقليد القدماء محاولة اقتفاء مناهجهم كانها تباريهم فى ميدان سباق . وشتان! بين المرآة واصل الشيء المنعكس عليها . بل شتان بين الحقيقة وظلها . وبين الجمال والزينة .!

حسن البداوة مجلوب بتطرية وفى البداوة حسن غير مجلوب

قلنا ان ادب الرافعى لم يكن ادب معنى ، بل ادب لفظ . . . وحتى أنصار الرافعى أنفسهم لم ينكروا هذه الحقائق فى مراثيهم له وحتى الرافعى نفسه ـ رحمه الله ـ كان يعرف جيداً مميزات ادبه ونواحى ضعفه . واية ذلك كله ان جميع من رثوه فى الصحف لم يستطيعوا ان يذكروه وهم

يعددون مواهبه باكثر من صفات البلاغة . ولقد طلبت احدى الصحف الى الرافعى ذاته قبل موته بزهاء شهرين أن يؤبن نفسه على نحو! ما فعل « ويلز » ـ فلم يسعه الا ان يقول عن نفسه أنه « أمام البيان » وحجة العرب ومالك ناصية البلاغة

ومن ذلك التمهيد نستطيع النفاذ الى ادراك القيمة الحقيقية لكتب الاستاذ الرافعى وبحسبى أن أذكرما هو بين يدى الآن منها وعددها ستة كتب وهى : —

المساكين — حديث القمر — رسائل الاحزان — السحاب الاحمر — اوراق الورد — على السفود « نقد تحليلى ! ! »

فاما كتاب المساكين ، فقد قرأته مرتين ، وأعدت قراءته اكثر بعد وفاة الرافعى ، فكان رايى فيه فى هذه المراحل الثلاث ، واحدا لم يتغير . فالرافعى صاحب اللفظ المسجع البليغ ، والتراكيب الرنانة المنغمة ، هو فى هذا الكتاب ، واحد لم يتغير ايضا . طغيان اسلوبه على عقله . واحتجاب الفن الحقيقى ، خلف زخرفة زائدة لا معنى لها . . . . واليك صفحة منه ، فى الفصل الخامس ، وكأن المرحوم الرافعى يصف فيه نفسه وادبه ويتكلم عن أثر كتبه ، قال امام الادب ! !

ـ « ولتد عنى يابنى من هذه الكتب فانها متى انتهت الى السماء ، رأيتها أكثر ما ترى الفاظا لا معنى لها ، اذ ليس هناك من الجلال الا ما يشبه أن يكون معنى لا الفاظ له ؟ ودعنى احدثك عن الحياة بما أفهمه انا الرجل الطبيعى من فلق الصبح ، ومن روعة الشمس ، ومن أقبال الليل ومن أدبار النور بما اعرفه من هذه اللغة ، وبما استوحيه من هذه الاشارات التى تتحرك بها جوارح الطبيعة ، وهى مزيج من لغة البقاء الارضى الذى يريد ان ينتهى ، ولغة الخلود السماوى الذى يريد ان لا ينتهى ! .. الخ .. الخ ... »

واليك قطعة اخرى من الفصل الثامن : —

« اما الجنود فاذا رايتهم يلتحمون قلت زلازل الارض قد خلقت على ظهرها ، واذا شهدتهم يقتحمون خلت نفوس الكرام قد حملت على دهرها ، وقد ايقنوا أن لم يكونوا للموت ، كانوا للاسر ومن لم يبن منهم على « الفتح » بنى على « الكسر » ! . وما منهم الا من يحمل رأسا كانه لا يملكه على عنق لا يدرى كيف يمسكه فى بدن لا يعرف اياخذه الموت أم يتركه » . الخ .. الخ

ومن ذلك كله تفهم ان الرافعى ـ كما قلنا ونقول ـ كاتب « بارع » ولكنه ليس مفيدا ، لانك لو قرأت كتابه هذا الف مرة ، ما استطعت ان تخرج منه بفائدة تذكر ، جلت أو هانت

وكتاب المساكين الذى اخترنا منه القطعتين السالفتين انما كتبه مؤلفه ـ يرحمه الله ـ ليقيم الدليل على أن مصر والشرق لم يعقما فان بين رجالهما من يبذ « فكتور هيجو » فيما خلد به ذكراه ، حين اخرج للعالم كتابه الباقى على الحياة « البؤساء » ـ كما حدثنى بذلك الرافعى نفسه فى سنة ١٩٣٣ حين التقينا بدار « كوكب الشرق »

ولننتقل بعد ذلك الى « حديث القمر » و « السحاب الاحمر » و « رسائل الاحزان » و « اوراق الورد » — وهذه الكتب جميعها من طراز واحد ، اذ تناول فيها الرافعي اسرار القلب البشري من الناحية العاطفية لانها هى عقد ينتظم فيه هذ المجموعة الاخيرة الكبيرة من كتب الغرام!

وقبل ان نتحدث عنها نورد بعض فقرات من كل كتاب على حدة :

قال فى حديث القمر يصف ابتسامة حبيبته . « يتخيلها ابتسامات من السعادة . كما يرى السكير المدمن فى عناقيد العنب سحابة من الخمر ..»

وقال فى رسائل الاحزان فى الرسالة الثانية عشرة صحيفة ١٤٧ ما يأتى

« وهنا مغاص الدرة فى لجج الحب فالق على نفسك من رقة قلبى حتى توائقنى على انها لا تخرج من نفسى الا كما اريد ان تتلقاها فلا انبسط ولا اتسرح بكلامى هذا الا فى مكان فى نفسك

«فترى من رقعة ندية طرازا اخضر مفوفا على ثوب الماء وفيه حبك بديع من اغصان الشجر يلوح طرائق طرائق وحبكا حبكا ! الخ..»

وعلى هذا النسق جرى الرافعى فى كتابيه الاخيرين «السحاب الاحمر» و«اوراق الورد» اللذين هما عبارة عن رسائل غرام عاطفية تطارحها شاعر صوفى ! وشاعرة روحانية — على حد تعبيره

فما نصيب هذه الكتب وما اثرها وما مدى اهليتها للبقاء ؟ وما مكانها من التفكير السامى . والشعور الصادق ، او الاخلاص فى التعبير الفنى الصحيح ؟

بحسب القارىء الواعى . اى المنتبه غير النائم . ان يقارن فى ذهنه بين صفحة من «الام فرتر» او «اعترافات لامارتين» التى ترجمها الاستاذ الزيات . وهو من الكتاب الحريصين على الاسلوب البليغ وبين جماع ما اشتملت عليه كتب الرافعى العاطفية الاربعة من المشاعر ، والاحاسيس ، وتصوير الخوالج ورسم القلوب . ليدرك نصيبها من الاخلاص الحقيقى فى الابداع . وليفهم من هذه المقارنة الموهبة الفكرية الصحيحة من القحط المعنوى المجدب . والشعور المرهف البصير من الكلام المزخرف الفارغ . والطبع الصادق السليم من الجمال الظاهرى الذي لا قوة فيه ولا روح . ولا حياة

وليس للرافعى من اثار فى النقد ، غير بعض احاديث نشرها فى الصحف متفرقة ، وغير كتاب اسمه على (السفود) وهو مجموعة مقالات نشرها قديما بمجلة العصور . ايام كانت تصدر عن ادب العقاد وشعره . وبعض ردود على ماوجه الى كتابته من النقد

ويكفى للدلالة على معرفة مدي فهم الرافعى لمهمة النقد . ان نذكر له انه اول من ابتكر فى أسلوب الصحف الادبية الفاظا بذيئة تشهد له بما تشهد من ذلك مثلا انه سمى العقاد « بالشاعر المراحيضى » وكان لايبالى أن ينعته «بالمغفل» فى معرض النقد الأدبى . وبالعبد ، فى سياق النقاش الكتابى ، ويدعو عليه بان يصاب «بالرمد الصديدى» ! وكتاب على « السفود » حافل باكثر من ذلك من

العبارات النابية ، ولذلك صرفنا النظر عن أن ننقل للقراء شيئاً منه .

كذلك كان المرحوم الرافعى ، لايبالى فى اتهام أى أديب يخالفه فى الرأى بالمروق عن الدين ، والخروج على القومية ، كما فعل مع الاستاذ سلامه موسى صاحب هذه المجلة ...

كما كان لايتورع بتعيير الدكتور طه حسين بانه أعمى ، عندما بايع العقاد بامارة الشعر منذ مدة ليست ببعيدة ... وقد جاء فى احدى مقالاته مرة . « ألا فليهنك ياعقاد ، أن الدكتور طه حسين قد وجه اليك اليوم تلسكوبه !! »

وكتب مرة ينتقد بيتاً من «الشعر» فجاء فى نقده ما يأتى :—

وهذا هو البيت أولا ليرى القراء أنه لايستحق كل ذلك : —

شربنا وغنينا وما فى عدادنا   سوى شارب قد باع بالخمر دنياه

النقد — «يعنى أنهم كانوا سكارى . وإذا كانوا سكارى فما هى الدنيا عندهم إلا الخمر . فكيف اذن يبيعون بها الدنيا ؟ أظن هذا المتشاعر انما يريد معنى العامة فى قولهم . باع دينه بالخمرة . وهذا كلام مستقيم ينطبق على السكير لان الخمر ليست من الدين . بل العامة أهدى من العقاد المراحيضى الى حقيقة المعنى لأنهم يجعلون شعار الحشاشين والسكيرين هذه الكلمة . « خراب يادنيا عمار يامخ» فكيف اذن بيعت الدنيا بالخمر ولا دنيا إلا فيها عند أهلها ؟ لعله يريد أسباب المعايش كالتجارة والصناعة ونحوها فتركوها واقتصروا على الخمر . فاذا كان هذا معناه وقصده فهم حثالة الناس ورذالتهم الذين لاقيمة لهم ولا منزلة كبعض سفلة العامة فى بعض الحانات التى يراها من يمر فى شارع كلوت بك !!! » اه .

وكل هذا لأجل بيت من الشعر !!! فياللادب الرفيع !!!

والخلاصة أن أدب الرافعى ، وكتبه ، لاتتسم بغير زخرفة اللفظ وإن خلت من الفكرة الخالصة ، أو الملاحظة الدقيقة . وأما أثرها فى النهضة الحديثة ، فانى اترك الحكم عليه للقراء وللتاريخ . غير انى أقرر حقيقة فرغ البحث منها ، وهو أن قيمة الكتب ، انما تقدر بما تنطوى عليه صفحاتها من ابراز الحقائق ، وتوخى الفائدة . بعيداً عن وسائل التنسيق . وبمقدار ماهى عليه من البساطة والصراحة . التى هى طابع هذا العصر عصر السرعة . دون الالتجاء الى الخيال المنسجم أو التشبيه الرائع أو التراكيب اللفظية البليغة أو الحشو الممل . أداة الأقدمين لأن الدنيا تتجدد وكل أديب صادق هو من يكتب لزمانه الحاضر لا زمانه المنصرم كما كان يفعل الرافعى يرحمه الله أوسع الرحمات !!

الحب . ماهو وما قيمته ؟

بقلم الاستاذ بشرى الضبع

(١)

الحب شيء والجنس شيء آخر . كلاهما ينبع من نبع خاص .

كان الناس الي عهد قريب جدا يخلطون ومازال كثرتهم حتى الآن يخلط أيضا بين هذا الصرح الكبير من العواطف الرقيقة والحنان والتعاطف الذهنى وبين الميل الجنسى الصرف . كانوا يظنون أن العلاقات الجنسية التى يشاهدونها فى المملكة الحيوانية والنباتية ، مظهر من مظاهر الحب . وكانوا يتوهمون أن الحب صفة أولية من صفات البروتوبلاسم . وكان كثير من الشعراء الأقدمين يقولون فى شعرهم . ان نشيد الحب يغمر الطبيعة كلها . ونجد بوشنر ، رسول المادية ، يصطنع لغة ابيروقليس فيقول : ان الذرات تتجاذب وتتنافر بدافع الحب والكراهية . وقال فيلسوف آخر المانى : انه كما تجذب المرأة الرجل والرجل المرأة كذلك الاكسوجين يجذب الايدروجين ومن هذه الرابطة الحبية يولد الماء .

فهو الحب فى شكل الجذب والدفع ، يشد الحجر الى الحجر والأرض الى الأرض ويسند هذا الصرح العظيم الذى نقف عليه . هذه عبارات وآراء كثيرا مانقع عليها فى قراءاتنا . وهى كما يقول الأستاذ بريفولت الذي اعتمد عليه كثيرا فى هذا البحث ، ليست إلا أقاويل أساسها الجهل التام بالحقائق البيولوجية . ذلك لأن الحب شيء والجنس الصرف شيء آخر . فالغريزة الجنسية أصيلة فى الانسان ، أما الحب فمكتسب . هو نتيجة الثقافة والتقدم الاجتماعى . فالعلاقة الجنسية مجردة فى الأصل من هذه الاحساسات التى نصفها بالحنان والرقة والعطف والتى تجمعها كلمة واحدة هى الحب . فان هذا اللون من العواطف قد نشأ متأخراً بعد أن قطعت الانسانية مرحلة كبيرة فى سلم النشوء والارتقاء

وهو حين نشأ ، نشأ متصلا بوظائف تختلف كل الاختلاف عن الوظيفة الجنسية . أما الجنس فى طوره البدائى فقد كان مصحوبا ، فى غالب الأمر بالقسوة والتلذذ من ايقاع الاذي ورؤية الالم فالحيوانات كائنات مفترسة ومنظر أى مخلوق فى حالة ضعف شديد أو حين يكون مطروحا على الارض مدرجا بالدماء لايعنى شيئا عندها سوى انه فريسة اى طعام . فالسباع والنمورة تقتل أناثها

وتلتهم صغارها . وفى الكتب الانثروبولوجية نجد شواهد كثيرة لهذا . منها أنه حدث أن جرحت إحدي اللبؤات ثم وجدت منهوشة النصف الخلفى بعد أيام . وحدث أيضا فى حديقة الحيوانات فى نيويورك أن فهدا امريكيا أحضروا له انثى فى قفص قريب من قفصه ليتآلفا فجعل فى أول الأمر يتملقها ويلعق فروتها ويداعبها بيده . فلما أدخلوها عليه افترسها . ومن هذا يستنتج الاستاذ بريفولت أن الجوع الجنسى ليس الا لونا من ألوان الافتراس . فغاية الخلية الذكر من الاندماج فى الخلية الانثى هو فى الاصل الحصول على غذاء بنفس الطريقة وبنفس الدوافع الأصلية التى تبحث بها عن الطعام . وكما أن البيضة تتمثل الخلية المنوية كذلك نجد أناثى العناكب تفترس وتلتهم ذكورها .

ومعنى هذا أن الاتصال الجنسى عند هذه الكائنات البدائية ، سادي ، أى أنه قاس كالجوع نفسه . فالقسوة هى العاطفة المباشرة والاساسية التى تصحب الغريزة الجنسية . فاذا اشتبك ذكر وأنثى فى هذا العمل الجنسى انقض الذكر على الانثى فى قسوة وانشبت الانثى بدورها أنيابها فيه . فانثى الجمل لاتكاد تنتهى حتى تستدير للذكر وتغرس أنيابها . وفى العالم الانسانى الراقى لاتزال بقايا من هذه القسوة التى يمتزج بها الجنس امتزاجا شديدا . وكلمتا «المازوكية» و«السادية» ليست بغريبتين عنا . ويلاحظ الاستاذ بريفولت ان كلمة «يقتل» فى اللغة المصرية القديمة تعنى أيضا «يأكل» وأنه كان من عادة العاشق المصرى فى ذلك الوقت اذا ما أراد أن يعبر لعشيقته عن حبه الشديد أن يقول لها : أتمنى لو أكلتك .

ويستنتج من هذا ، أن هذا التعبير لابد أن يكون له أصل بيولوجى . فالعواطف الرقيقة التى تنشأ بين الجنسين لاتتصل فى الاصل بالدافع الجنسى وانما هى تتصل بدافع آخر هو الاجتماع والثقافة . فالغريزة الجنسية لاتطلب اكثر من اتمام العمل الجنسى . أما الاسترفاق أى الحاجة الى الرفيق والمعين فهى حالة انشأتها وبعثتها وظيفة النسل والامومة . فان العناية بالاطفال أوجدت الانثى فى حالة حرجة يصعب عليها فيها أن تحمى نفسها وتوفر غذاءها : ومن هنا بدأت تسترفق الذكر . وبهذا أضيف الى الغريزة الصرفة شيء جديد غريب عنها . واكتسب الذكر تبعاً لذلك شيئا من العواطف الرقيقة الخاصة بالانثى . وتبدو هذه الحالة فى وضوح وجلاء حينما تحتاج الانثى للرقود زمنا طويلا على بيضها ليفقس . حينذاك يتحتم على الذكر ان يرعاها بالغذاء والسهر فى أثناء ذلك . أما فى الحالات التى تجد فيها الانثى قليلا من القدرة على حفظ كيان صغارها وحمايتها بنفسها فانا نراها لاتسترفق فحسب بل تنفر من الرفيق وتبتعد عنه . واكثر مايقع هذا عند الحيوانات الثديية . يروى لنا لفنجستون أنه لم ير قط قطيعا من ذكر الفيلة يسير مع أناثه . وان ذكر الجاموس يجتمع باناثه مدة شهرين فقط من السنة كلها . هذا مايقع فى العالم الحيوانى . أمافى

العالم الانسانى فهو فى بدء التطور لا يكاد يختلف كثيرا عنه عند الحيوان فالذكر فى القبائل البدائية يعامل الانثى فى برود شديد وعدم اكتراث . وزمن الاجتماع قصير جاف يكاد يقتصر على تأدية الوظيفة الجنسية الصرفه . فالاسكيمويون يعاملون زوجاتهم بجفاء واهمال شديد . وقبائل السكو بحو لاتعرف شيئا عن هذه العواطف الرقيقة التى تنشأ بين المحبين . وعلى عكس هذا تماما نجد الحب شديداً بين الامهات وأطفالهن . ويريد الأستاذ بريفولت من ايراد هذه الشواهد كلها أن يثبت أن الاسترفاق أو الحب انما هو امتداد عواطف الامومة واتساعها وانتقالها الى الزوج والاطفال وهو فى أول أمره يظهر ضعيفا جدا . أى أنه حب سلبي ، يقوم على تبادل المنفعة . ولهذا فان الصفات التى تبحث عنها المرأة هى الصفات التى تجعل منه مخلوقا ناجحا . وهى القوة والشجاعة وتحمل الشدائد .

والغريب اننا فى نظام زواجنا لا نفترق كثيرا عن هؤلاء الفطريين . فالأمر فى الزواج عندنا يقوم على المنفعة وليس على الحب المتبادل . ولهذا تظل المرأة عبدة لغريزة الامومة مدى حياتها أى أن وظائفها البيولوجية تستهلكها استهلاكا قاتلا وتدفعها الى الارتماء فى أحضان الرجل تطلب منه العون والحماية . ومن هنا ، هذا الاختلاف فى النفسية بين الرجل والمرأة . فالمرأة تقرب الحياة وتحسها وتتفاعل معها تبعا لطبيعتها البيولوجية ومركزها الاقتصادى . وليست كذلك الحال مع الرجل . وبهذا يتخذ التقدم النفسى للأمة طريقين متباعدين مختلفين يسيران جنبا لجنب : تطور نسائى وتطور رجالى . وكل من هذين التطورين يبرز أنواعا مختلفة من الصور النفسية ، من الميول والاهواء من الغرائز والانفعالات ، من القوي المتفاوتة فى التصور والارادة والعمل .

فالحب اذن أصيل فى المرأة مكتسب فى الرجل . هو عند الرجل من نتاج الثقافة والاجتماع . وهذا هو السبب فى اختلاف الحب عند الامم المختلفة . فهو عند العرب غيره عند اليونان وغيره فى القرون الوسطى . ومعنى هذا أن الرجل يتعلم الحب ، يتعلمه من الآداب والتقاليد التى تحيط به .

ونلخص بواعث الحب الاجتماعية الثقافية كما يراها بريفولت فيما يأتى :

١ — حاجة الانسان الشديدة الى مخلوق يشاركه فى الاعجاب بالصورة العليا التى رسمها لنفسه وتقديرها .

٢ — الاحساس بالجمال . وهو أيضاً ثمرة من ثمار التقدم الاجتماعى . ويتضمن هذا الاحساس المقياس الأعلى للجمال النسوي ، للرقة والعذوبة والشخصية والذوق ولباقة الحديث والحركات

٣ — المشاركة فى الذوق والميول

٤ — اشباع غريزتى الملكية والزهو

٥ — تهيئة الجو لحرية الاختلاط وتبادل الأسرار

هذا هو التاريخ النشوئى للحب . وهو كما ظهر لنا يقوم على اجتماع المرأة والرجل على هموم ذهنية وعاطفية بعيدة كل البعد عن الحاجة الجنسية الصرفة . وبالرغم من أن الرجل استمد عناصر الحب من المرأة ، إلا ان الملابسات التى أحاطت بها فى أثناء التطور ، وهى حاجتها الى معين اقتصادى وانشغالها بتربيـة الأطفال وما ترتب على ذلك من نشوء مزاج نفسى خاص بها ، هذه الملابسات وقفت بالمرأة وحصرت قواها المنتجة فلم تساهم مع الرجل فى بناء الثقافة

(٢)

وهنا أستاذ آخر اسمه « سوتى » يقوم على رأس المدرسة السيكلوجية الحديثة فى انجلترا يقرب موضوع الحب من النقطة التى بدأ بها بريفولت بحثه

يقول هذا الأستاذ إنه ليس فى الانسان ميل أصيل الى القسوة أو الـكراهية . وإنما تبعث فيه هذه الميول كنتيجة لنوع العلاقات التى كانت بينه وبين أمه فى أثناء الطفولة . فاتصال الطفـل بأمه يبعث فيه عواطف واحساسات تستمر معه حتى الممات . هذه العواطف هى العناصر الاساسـية للحب . فهذه الصلة هى الدافع الذى يدفعه فيما بعد إلى البحث عن مخلوق يقوم مقام أمه : يشاركه فى هموم نفسه ويعطف عليه ويعاونه ويشعره بالأمن ويطرد عنه قلق الوحدة . "فالحب هو الأصل فى الانسان لأن صلته بأمه لا تعلمه غير هذا أما الـكراهية والقسوة فهى ميول عكسية تتـكون فيه حين يحرم من الحب . وهو يستجيب لهذا الحرمان استجابات مختلفة . فمثلا تراه يحدث نفسـه : إن أمى طيبة القلب وعطوفة . فهى اذا لم تحبنى فذلك لأنى شرير . ومن هنا ينشأ مركب النقص فاذا كبر حلت الجماعة محل الأم واقترب من الجماعة بهذه المجموعة من العواطف والاحساسات التى كان يقترب بها من أمه . أو فانه يقول : أمى تحب الأطفال وتعطف عليهم فلأكن طفلا . وهذا هو سبب البلاهة أو الصبيانية . أو يقول : لتحبنى أمى أو تخافنى . وبعبارة أخرى ليحبنى المجتمع أو فليحذر بأسى . وهذا هو الاجرام . هذا الحب الذى يصدر عن صلة الولد بأمه يتسع فيما بعـد فيشمل الجماعة التى تحيط به ثم يستحيل إلى قوة فعـالة فى بناء الثقـافة . فالحب فى هـذه الحالة هم ذهنى عاطفى وليس حاجة جسدية أو كما يقول فرويد مظهر من مظاهر الغريزة الجنسية المـكبوته

(٣)

أما أدلر فهو يختلف عن بريفولت وسوتى ولـكنه وإن خالف فرويد فى أصول الدوافع الانسانية فانه يكاد يتفق معه فى الجوهر . فغاية الحياة عنده السيادة والسلطان . وغاية الحياة عند فرويد اللذة . وادلر يعالج الميل المنحرف الى السيادة والسلطان بتوجيهه توجيهاً حكيما أي يبعث

الروح الاجتماعية فيه . وفرويد يعالجه بتفضيل مبدأ الحقيقة والصالح العام على مبدأ اللذة . ومعنى هذا أن كليهما ينظر الى الانسان كمخلوق هدام مجرد من عناصر البناء والخلق فهو لهذا فى حاجة دائماً إلى الكبت ، كبت الغريزة الجنسية أو السيادة ، ليتهذب ويرقى . أما « سوتى » فعلى النقيض من ذلك . فالانسان عنده محب بطبعه . أى فيه ميل طبيعى إلى الاسترفاق . وهو لا يلجأ إلى الكراهية والعنف إلا حين يحال بينه وبين الحب

(٤)

ويقسم الكاتب الانسيكلوبيدى الكبير هـ . ج . ولز ، الحب ، إلى نوعين كبيرين :

(ا) الحب الانسانى العام أو الحب الكونى . وهو أرقى حالات الوجود الانسانى . هذا هو الحلم الذى يحلم بتحقيقه اليوت سمث ويقول عنه برجسون ويونج وبول فاليرى وكثيرون غيرهم بأنه غاية الحياة الكبرى . ففيه يحب الانسان المرأة لا امرأة بعينها . أو الرجل لا رجلا بعينه . وفيه أيضاً تموت الغيرة . لأن الذات تتسع ثم تتسع حتى تشمل البشرية كلها . وهذا الحب لا يمنع الانسان فى الوقت نفسه من أن ينكمش من حين لحين ليلبى نداء عواطفه الاولى التى تدور حول نفسه والتى ترتبط ارتباطاً وثيقاً باستجاباته البعيدة الخاصة بالطفولة أى يستحيل الجنس إلى وسيلة من وسائل التعبير المتعددة عن الحب . فيعشق امرأة بعينها ويحرص عليها . ولكنه حرص قائم على المساواة التامة . حرص مجرد من الغيرة القاتلة والامتلاك والتفوق

(ب) أما النوع الثانى فهو الذى يكون بين رجل بعينه وامرأة بعينها . يغار عليها وتغار عليه يحرص عليها حرصاً شديداً وهى تضيق عليه الخناق . وإلى هذا يقيم نفسه سيداً عليها وينظر اليها كما ينظر الى أمه أو الى نديم تقف على خدمته وتسليه وتغنى له . هذا النوع من الحب ، إنما هو حب محدود عاجز ، حب خاسر يمنع الانسان من المساهمة فى الرقى الاجتماعى والأعمال الانسانية لأنه واقع فى كل لحظة تحت سلطة الغيرة والاستبداد . من الجائز أن ينشأ بين الطبقات المتأخرة أو الشعوب الفطرية ولكنه يبدو شاذاً غريباً اذا وجد فى جماعة تطمح فى الرقى . من الجائز أن ينشأ عند المتوحش ، عند الفلاح ، عند بائع الكتب التافهة ، عند المجرم وعند هؤلاء الذين ضاقت نفوسهم وضؤلت شخصياتهم . ولكنه عار وخزى إذا وجد فى المثقف ، فى العالم ، فى الفنان أو فى أضراب هؤلاء . لقد اقترح ميريدث عشر سنوات كأقصى حد للحياة الزوجية ولكن ولز يقول لماذا نغمض أعيننا عن الواقع ، فان قصص الحياة تكاد كلها تنتهى بهذه العبارة بين الحبيبين : «لقد انتهى ما كان بيننا ولنعش أصدقاء» وولز لا يؤمن بالتفرقة بين الرجل والمرأة . لأن الفروق الموجودة إنما هى فروق مصطنعة . فحالة المرأة الاجتماعية الآن تحررها من العبودية البيولوجية .

وتفتح لها السبيل لتقف مع الرجل على قدم المساواة . فهى يمكنها أن تحب الآن وأن تعلن رغبتها فى الحب إذا شاءت . يمكنها أن تكسب قوتها وأن تعمل وتتحرك بمحض إرادتها . وهى إذ تفعل ، تفيد الثقافة وتمدها بقوة جديدة تنميها وتخصبها .

(٥)

والآن نحب أن نسأل : ما هو مركز الحب فى المجتمع المصري .

الحب كما يفسره بريفولت وسوتى وولز ، أى هذا الصرح الكبير من العواطف المثقفة الاجتماعية . لن أحاول التمويه والاطالة . سأقولها قولة صريحة لا لف فيها ولا دوران .

ليس فى المجتمع المصرى حب ! المجتمع المصري ليس اجتماعيا . إنه مبعثر مفكك . يقوم فى الغالب ، فيما يتصل بالحب ، على مزاج من فكرتين . الملكية المستبدة وسببها عدم المساواة بين المرأة والرجل . ثم تغلب الحاجات البيولوجية الصرفة .

غير أن هناك نفراً من الشباب المتعلم والمثقف ، يكبر الآن شيئاً ، يعانى آلاماً نفسية بعيدة الأثر من هذا المجتمع الذي لا يعرف عن المرأة سوي أنها مخلوق بيولوجى ، طعام ، شىء لا شخصية له ، عليها أن تجلس مكانها لا تتحرك إلا إذا دعيت ولا تتكلم إلا إذا أشير إليها بالكلام . مخلوق مجرد من الحاجات والميول التى تنبعث فى صدر الرجل . فاذا بدا لها أن تعلن رغبة من رغباتها كما يعلن الرجل أو تثبت وجودها أو تأتى بما ينم على الاستقلال والاعتماد على النفس . . إذا فعلت شيئاً من هذا فهى مجرمة اثيمة . هذه الفئة المتعلمة من الشباب تعانى الحرمان من الحب . هذا الشباب يعيش وحده . لا يجد هذه الصلات الخاصة القريبة الحرة التى تشعر بأنه يحيا ويعيش . ذلك لأنه يحيا حياة تختلف عن حياة السلف . هو شباب مثقف طموح فى نفسه هموم ذهنية . والتفكير المحصور الذي لا يتعدى جدران نفسه يقتله . كما تنقصه هذه الاستجابة المثقفة التى تلهب أعصابه وتدفعه الى الانتاج .

هو لا ينظر إلى الجنس إلا كوسيلة للتعبير عن عواطفه الراقية المثقفة .

كل إنسان على شىء من الرقى والحضارة يرسم لنفسه صورة عليا يحترمها . وهو يطلب من الناس ، سواء فى غموض أو عن دراية ، أن يشاركوه فى هذا الاحترام فاذا تم له ذلك أشرقت نفسه وتفتحت واتسعت . أما إذا فشل حزن واغتم وقل نشاطه . وتكونت فيه عقد نفسية مختلفة . فاحترامه لنفسه لا ينفع وحده . لأن هذا الاحترام لا يملك ذراعين أو شفتين . ومن هنا حاجته إلى المرأة . إلى هذا المزاج من الجنس والثقافة . ففى قبلاتها ودعاباتها يلمس فى وضوح وجلاء هذا الاحترام والتقدير .

الحضارة الصحيحة هي الحضارة التي تنمي في أفرادها جميع ملكاتهم . هي التي تكفل لهم أقصى درجات الوجود الحر الواسع الشامل . فهل يشعر الشباب في مصر عامة والشباب المثقف بوجه خاص أنه يتنفس في جو طلق وأنه يعيش في وسط مرن يسوده الحب ويساعده على تنشئة ملكاته وخواصه الطبيعية تنشئة سليمة . فاذا كان يشكو شيئاً أيشكو عقله أم قلبه ؟ واذا كان قلبه مريضاً ضعيفاً يشكو قلة النشاط وبواعث التفتح والازدهار ، أهو الذي يعاني وحده أم أن الشباب في البلاد التي تفرض حضارتها الآن على العالم كله يشكو أيضاً ؟ وإذا كان هذا الشباب المتحضر لا يعاني ما نعاني فلماذا لا نصطنع أساليبهم في الحياة ونظام معيشتهم ! ؟

حينما تنمو حضارة من الحضارات تبسط سلطانها على ما يجاورها من الحضارات الناشئة الضيقة . والأمم الصغيرة تتأثر برغمها بالنور الذي ينعكس عليها من هذه الحضارات القوية النابضة . وهي إذ تأخذ عنها ، تأخذ في بادىء الأمر ما يمس الجسم ومتعة الحسن . فهي تلبس الحرير وتقتني الاتوموبيل وتبني دور السينما . ولكنها تحتقر المرأة وتستهلكها كما تستهلك الطعام الشهي وتقيم الوالد سيداً وطاغية على ابنه فلا يستطيع الولد أن يسر الى أبيه بذات نفسه أو يجلس اليه يدخن سجارة أو يتبسط معه في الحديث .

ولا تستطيع الزوجة أن تجلس على مائدة الزوج أو تشتبك معه في حديث هام . هذه الامة الضعيفة الناشئة تقتني الراديو والطائرة وتؤسس البيوت المالية على أحدث الأنظمة ولكنها تحارب اختلاط الجنسين واستقلال الفتاة استقلالا يمس حياتها الشخصية والسياسية والاجتماعية . وتعتمد على الدين وحده في تفسير الحياة العامة . وتكييف احساسها وشعورها بها وفي استخراج المقاييس التي تتصل بالحياة الشخصية والاجتماعية والاخلاقية مهما قيل عن تاريخنا المجيد فلن يدفعنا هذا الى الاعتقاد بأن حضارتنا القديمة لم تتبخر وان بقيت بذورها وكمنت عبقريتها في صدورنا . فقدمرت علينا أيام مظلمة قاتلة محت من نفوسنا كل همة ونشاط . لم نتحرر منها الا حديثا وحديثا جدا . على أننا لم نفق من تلقاء أنفسنا وانما أيقظنا من سباتنا العميق نور قوي أشرق علينا من حضارة فتية . ولكننا أخذنا القشور وتركنا اللب . أي أننا أخذنا الثمار المادية لهذه الحضارة ولم نصطنع المزاج الذي اخترعها أو الصورة النفسية التي تخيلتها . فلو أنه حدث حادث مفاجيء ونتج عن هذا الحادث تدمير تام لكل ما انتجت هذه الحضارة القومية من مؤسسات ولم يصب طابع هذه الامة العقلي بانحراف أو تفسد صورتها النفسية في شكل من الاشكال فانها تنشيء من جديد حضارة جديدة قد تفوق سابقتها . أما اذا أصيب الذهن واتلفت الصورة النفسية فان هذه الامة تقف امام هذه المؤسسات في دهشة تامة ، كما يدهش المتوحش حين يصغي الى دقات الساعات أو الفونوغراف .

تتكون ثقافة كل أمة من عدة مؤسسات منها :

الحياة المنزلية ، الحياة الاقتصادية ، الحياة السياسية ، الحياة الاجتماعية ، الحياة الشخصية ، الحياة التعليمية ، الحياة الاخلاقية الخ .

ومعنى هذا أن للانسان حاجات غريزية ومكتسبة وان هذه المؤسسات وجدت لترضى هذه الحاجات .

فاذا نشأت حاجات ولم تتجدد المؤسسات القديمة أو نشأت صور نفسية جديدة ولم تنشأ تبعا لذلك مؤسسات جديدة ترضى هذه الحاجات فهذا هو الجمود . والذى حدث فى حركتنا التجديدية الحديثة هو أننا اصطنعنا بعض المؤسسات الاوربية وجمدنا فى اصطناع البعض الآخر . فبدأنا مثلا نتقدم فى السياسة والاقتصاد والتعليم والعلوم . ولكننا لانزال متمسكين بأساليبنا القديمة فيما يمس الحياة المنزلية والاجتماعية والشخصية ، والروحية . ومن الأمثلة على ذلك أن الشاب يتزوج أولا ثم يحب وليس العكس . يقع هذا بالرغم من نشوء حاجات وميول نفسية جديدة تتصل بهذه النواحى . وهى فى الواقع تفوق فى الاهمية أنواع الثقافة التى اصطنعناها . لانها قوام مزاج الفرد فلو أننا تقدمنا فى هذه النواحى لبدأنا كما بدأت أوربا ولأمكننا أن نبنى حضارة مثل حضارتها . لان هذه النواحى هى التى تميز شخصية الانسان وطريقة اقترابه واحساسه بالحياة . أو هى العناصر التى تتكون منها صورته النفسية وطابعه العقلى .

لاعجب اذن أن ينشأ فى مصر أدب يكره المرأة على نحو ما . فالشاب الذى لايجد مثله الأعلى أى الذى يكبت فيه الحب يسلك واحدا من هذه المسالك : هو يحلم بها ويخلقها فى فنه اذا كان فنانا . أو يتحطم على موائد الميسر والخمر . أو ينغمس فى اللهو الدنس ويقبل على وسائل التخدير المضرة أو ينتحر . فتوفيق الحكيم لا يكره المرأة وانما يكره امرأة بعينها . يكره المرأة المصرية المرأة البيولوجية . فهو يحب شبح امرأة . ولكونه فنانا ، بث الحياة فى هذا الشبح فكان لنا من ذلك «الملهمة» والراقصة الفنانة فى «عدد المرأة» أى أنه يحب المرأة التى يجتمع فيها الجنس والثقافة المرأة التى تعطى وتقنع بالقليل . المرأة الملهمة التى تلهب الذكاء وتبعث على الانتاج . لا المرأة التى تفنى وتستهلك .

(٦)

تشغل السيكلوجية فى عصرنا الحاضر مكاناً كبيرا بين العلوم الحديثة . وقد بلغت هذا الشأن حينما انفصلت عن الفلسفة . وأهملت البحث فى المسائل الغيبية وخضعت لأساليب البحث العلمى الصحيح . فتركت ماهية النفس وعنيت بدراسة دوافع السلوك الانسانى وبواعث سعادته وسرور

وشقائه المستعينة فى ذلك بنتائج علوم جديدة فنية كالانثروبولوجيا والبيولوجيا . وبهذا أمكنها أن تحل كثيرا من متاعب النفس الانسانية ومشاكل الحياة الاجتماعية . ولهذا ندر أن يقع الانسان على كتاب الاوربي المنظر السيكلوجى منبثا فيه .

وبالرغم من الحلول والاقتراحات القيمة التى تقدمها للبشرية من حين لحين ، نجد كثرة الجماعات عامة والهيئات المسئولية بوجه خاص تأخذ عنها فى بطء وحذر شديد . فان دل هذا على شىء فهو يدل على أن نظام التربية لايزال فاسدا وان القلوب ما زالت تتحكم فيها التقاليد والمعتقدات القديمة

ان نظرة عابرة لما يجرى فى العالم الآن من أحداث لتثير فى النفس قلقاً شديداً وبأساً قاتلا . ولقد دفعنى هذا الى تأمل طويل : ماقيمة هذه القيم الانسانية والمثل العليا التى نقرأعنها ؟ اما الحياة ماقيمة الحياة نفسها ! ماهى فى الصميم ، مجردة عارية من كل ما يحيط بها ويخفى معالمها ، من عراك وقتال وتناحر على الثروة والمجد والحياة وما الى هذه الأشياء !

أنحن أشباح تتحرك فى حلم طويل ! أيحلمنا الصانع الاكبر ! والتاريخ ! أهو حلم لانهاية له يحلمه صانع الزمان والمكان والحياة ! أيولد الانسان ليموت ! أتتفتح الحضارة ليغمرها رماد الزمن؟ الحياة ! أهى هذه الدنيا بألوانها واحزانها ، بحلوها ومرها وكل مايضطرب فيها ، قائمة فى أجهزتنا العصبية ، لاتلبث حتى تتلاشى اذا ما فسدت هذه الأجهزة وبادت ! أهى مجرد لبيد محبوس فى ذواتنا يريد أن ينطلق ويتحرر بوسائل متعددة الى نهايات غامضة ! وهذه الثقافات المختلفة ! أهى هذا اللبيد المحبوس ، ملتمعاً فى أعصابنا كما تلتمع الشحنة الكهربائية المحبوسة فى السلك البلاتينى داخل المصباح الكهربائى المفرغ من الهواء ! الحياة ! أهى ومضة خاطفة تلتمع ثم تذوب فى ظلام كثيف ! ومضة من غرائز لايدرى أحد من أين ، ثم ضغطت وجعلت ذرات ثم قضى على هذه الذرات أن تتعذب طوال السباق السخيف . الحرمان أحياناً والشبع والاكتفاء أحيانا أخرى ! ثم يتبخر هذا كله وتبقى ظلمات كثيفه ، فوقها ظلمات تحتها ظلمات ! أيذهب الحلم وتبقى الحقيقة المخيفة : عماء العماء !! هذه هى الحياة مختزلة فى هذه المعادلة الحسابية البسيطة !

فكرت فى هذا كله فى قلق شديد . فكرت فى شىء ينقذنى من هذا التخليط . وفجأة التمع فى ذهنى خاطر كأنه رؤيا : الحب !

إنه وحده أمل الانسانية وحافظه من التردى فى الهاوية ، لأنه ترياق العقل . هو وحده يستطيع أن ينتشلنا من عالم النيروانة، عالم الفكر المطلق . هو وحده يستطيع أن يشرق على قلوبنا كما تشرق الشمس على الاصقاع الثلجية فتحى مواتها وتبعث فيها الحياة . هو وحده يستطيع أن يحفظنا من المصير الذى صار اليه أوراسيما بطل الأسطورة اليابانية ، إذ تحلل شعر رأسه وصار

رماداً ودهن جسمه واخضرت أسنانه ودبت برودة الموت فى أوصاله حينما فارق قلبه الحب .

هو وحده يستطيع ، كالخمر ، أن يتسرب داخل الجسم الى منابع الفكر والعاطفة وهناك يستحيل الى منبه قوى يثير الفطنة والخيال والشعور والشجاعة والثبات والتعاطف وتضحية الذات وما اليها من الصفات الانسانية الرقيقة .

هو وحده يستطيع أن يرهف آذاننا فيجعلها تصغى لهمس الوجود ، للموسيقى التى تنبعث من كل الارجاء . من الوجوه والأعين ، من الأشجار والأزهار ، من العمارات والاندية ، من الاكواخ والحقول ، هذه الموسيقى التى تحمل فى تضاعفيها فرح الحياة ورسالة العبقرية .

هو وحده يستطيع أن يوقظنا مع الفجر لنشاهد الشمس وهى تشرق شيئاً فشيئاً فى الافق البعيد فى ألوان مختلفة رائعة .

فتمتزج قلوبنا بالفرح العظيم الذى تغمر به أشعتها الصافية اليوم الوليد وتمتلىء بأمل ورجاء فيما تحمل هذه الدورة الجديدة من دورات الأرض .

هو وحده يستطيع أن يذهب بنا فى ساعة من ساعات الاصيل الساحرة الى الحدائق الغناء لترى الطير والعشب والشجر وهى تتهيأ لحديث الليل وسمره وأحلامه وقد هرع اليها نفر غير قليل ممن أضاء الحب نفوسهم ، يسيرون زوجين فى رف النسيم وظل الشجر كانهم بعض هؤلاء الابطال الذين نسمع عنهم فى القصص الخرافية .

هو وحده يستطيع أن يهذب نفوسنا ويصقلها فتنبسط الى أغنية من أغانى شوبرت وتفهم عنها أو سيمفونيا من سيمفونيات بيتهوفن ، فاذا افاق الحياة تمتد أمامنا ثم تمتد واذا بالمسافة تقترب ثم تقترب بيننا وبين الوجود العام واذا بنا نشعر بحب شديد وحنين الى كل ما يضطرب فى الكون الى الطير والحيوان والجماد والانسان .

هو وحده يستطيع أن يدفع الاديب الى الكتابة والفنان الى التصوير والنحت والموسيقى والعالم الى الاختراع والاكتشاف .

هو وحده يستطيع أن يبدع الثقافة ويتقدم بها الى أقصى درجات الرقى .

هو وحده يستطيع أن يخلص العالم !

فالتاريخ يحدثنا والحياة الواقعة تحدثنا أيضاً أن أولئك الذين لم تعرف قلوبهم الحب اسلموا حياتهم فى نهاية الامر الى الشيطان .

وأعنى بالشيطان التفكك والانحلال والانهيار على هذه الارض التى نحيا فيها . فتجنب الناس والعزلة استسلام للشيطان ، أى قتل للنفس . والانغماس فى الخمر والبغاء استسلام للشيطان . أى

هدم للشخصية ومحاربة التقدم. وقتل الفكر الحر استسلام للشيطان . والبخل الشديد وتكديس الذهب استسلام للشيطان . وهكذا .

باع فاوست نفسه للشيطان لانه اعتكف فى صومعته واعتزل الحياة لا للحصول على المعرفة الالهية كما كان يتوهم وانما ليعبد نفسه . قلبه لم يعرف الحب : صميم الرغبات كان يملأه . وبافنوس فى قصة تاييس ، لم يكن مصيره أحسن حالا من مصير فاوست . ذلك لانه كان أنانياً شديد الانانية ظهرت هذه الانانية فى اول حياته فى الانغماس فى اللذات وأشباع الشهوة الفجة الغليظة . ثم ظهرت بعد ذلك فى ثوب راهب . ولو عرف قلبه الحب لما تصدع كيانه عن هذه الصيحة المنكرة . ان الله والسماوات ليست شيئاً مذكورا . وانه ما من شىء له وزن وهو حق الا الحياة الدنيا متاع السرور والا الحب الجسدى . وكذلك حطمت مدام بوفاريه نفسها على مذبح الشهوة .

اذا كان الامر كذلك فلم لا نحب : لم لا يملأ الحب قلوبنا لنتخلص ويتخلص العالم كله !

فلنحب وليكن حبنا واسعاً حتى يشمل الانسانية كلها ؟

قاتل ابنه

قصة للكاتب الفرنسى ميريميه

وترجمة الاستاذ حسن صادق

يخرج المدبر من حى بورتورفشيو ويسير نحو الشمال الغربى فى داخل جزيرة كورسيكا، فيرى الارض ترتفع فى غير تدرج ولا نظام . وبعد مسير ثلاث ساعات فى مستدقات اليمة معوجة كثيرة التعاريج تعترضها كتل ضخمة من الصخور وفى بعض الاحيان حفر صعبة موحشة ، يشرف على دغل أو أكمة وسيعة «هائلة» كما يطلق عليها أهل تلك البلاد . وهذا الدغل هو موطن الرعاة الكورسيكيين وملجأ كل شخص ساءت العلاقة بينه وبين القانون والعدالة

والزارع الكورسيكى يجنب نفسه دائما تعب تسميد حقله ، فيشعل النار فى جزء بعينه من من الغابة ، ثم يلقى البذور فى الارض وقد أخصبت برماد الاشجار التى كانت تحملها وتغذيها . ولايهمه أن تمتد النار الى مساحة أكبر مما تقتضيه الحاجة ، بل يلهيه عن كل ما يحدث الثقة التامة بحصوله على غلة وفيرة جيدة تعد له أسباب الراحة والرخاء . حتى اذا أينع الزرع ونضج ، اقتطف السنبلات وترك الجذوع لانها تتطلب جهدا فى الاقتلاع وتحدث ألما فى الحصاد . وهذه الجذوع التى تبقى مغروسة فى الأرض ولا يمتد اليها فأس الزارع أو يده ، تنمو فى الربيع نموا كبيرا وينبت منها فروع كثيرة تتكاثف الى درجة هائلة على مر الايام ، وبعد مضى سنوات قلائل تصل الجذوع والفروع الى ارتفاع يبلغ سبعة أو ثمانية أقدام . وهذا المكان أو الملجأ يزخر بالشجر والشجيرات تنمو وتختلط كما يشاء لها الله ولا يتسنى للانسان ان يفتح فيها منفذا الا والمعول فى يده . وهناك أدغال تبلغ من الكثافة مبلغا عظيما حتى أن الوعول نفسها تعجز عن اختراقها

فاذا قتلت انسانا ، فاذهب الى دغل بورتورفشيو وخذ معك بندقية وبارودا ورصاصا ومعطفا أسود اللون متصلة بأعلاه قلنسوة كبيرة هو فراشك وغطاؤك ، تعش فى اطمئنان ودعة . وهناك يقدم اليك الرعاة اللبن والجبن وبعض الفاكهة ، ولن تخشى يد العدالة أو تخاف أذى يصيبك من أقرباء القتيل ، الا اذا أرغمك الحال على الذهاب الى المدينة لتجديد سلاحك وذخيرتك

لما كنت فى كورسيكا عام — ١٨ ، كان بيت « ما تيوفالكونى » يقع على بعد نصف فرسخ من هذا الدغل . وهذا الرجل كان غنيا بالنسبة للجزيرة الفقيرة ، يعيش بشرف ، أى دون أن يعمل شيئا ، على ما تنتجه قطعانه التى يستودعها قبائل من الرعاة مبعثرة فى الجبال

حين رأيته بعد مضى عامين على الحادث الذى سأقصه ، بدا لى فى الخمسين من عمره على الاكثر . كان رجلا قصير القامة بدينا ، له شعر جعد حالك السواد وأنف أدلف وشفتان رقيقتان وعينان واسعتان تشعان بريقا حادا رهيبا ، ولون يضرب الى السمرة من أثر الشمس والجبل . نبغ فى الرماية حتى اعتبرت مهارته فى اطلاق البندقية واصابة المرمى خارقة للعادة حتى فى بلاده التى تشتمل على كثير من مهرة الرماة . ومن الأدلة على نبوغه فى هذا المضمار أنه لم يطلق قط على وعل بارودا متناثراً ، ولكنه يصيب هذا الحيوان دائما على بعد مائة وعشرين قدما برصاصة فى الرأس أو الكتف كما يشاء . وهو يستخدم بسلاحه ليلا بالسهولة والحذق الذى يستخدمه بهما فى ضوء النهار . وقيل لى عن هذه الميزة النادرة التى قد لا يصدقها من لم ير كورسيكا ويجول فى نواحيها ، ما يأتى : وضعت فى الليل على بعد ثمانين خطوة من ماتيو شمعة موقدة خلف جسم شفاف من الورق فى شكل الطبق وحجمه . وأعد الرجل سلاحه ثم أطفئت الشمعة بعد لحظات . ولما جثم الظلام ثانية فى مجثمة ، أطلق أربع رصاصات ، أصابت ثلاث منها الورق وثقبته ثلاثة ثقوب وأخطأت الرابعة

وبهذه الجدارة العجيبة التى تستدر الاعجاب الشديد ، نال ماتيو أوفر حظ من الشهرة وبعد الصيت . ويقال عنه أنه كان صديقا وفياً لمن يصافيه وعدوا خطرا على من يناوئه ويؤذيه ، ومع هذا كان واسع الكف لكل طالب ، طويل اليد بالمعروف والاحسان ، يعيش فى وئام وسلام مع الناس جميعاً فى حى بورتوفشيو . ولكن يروى عنه أنه ذهب فى ميعة صباه الى « كورت » للزواج من فتاة ملكت عليه قلبه . وهناك وجد له منافسا قويا شديد المراس فى الحرب وفى الحب على السواء ، فبطش به . ويدور على الألسنة أنه باغت هذا المنافس برصاصة من بندقيته ، بينما كان هذا يحلق لحيته أمام مرآة صغيرة معلقة بنافذته . وسواء أكان هو القاتل أم غيره ، فان أمر الجريمة وقف عند هذا الحد ، وتزوج ماتيو من جيوسيبا التى يحبها ورزق منها ثلاث بنات (وكان هذا مبعث غيظه وثورته) ثم أعقبت له ولدا ذكرا أسماه فورتيناتو فكان أمل الأسرة ورجاءها ووارث اسمها الذى تعتز به وتفخر . ولما ترعرعت البنات تزوجن من فتيان أشداء وفى خفض من العيش ، واستطاع أبوهن أن يعتمد على خناجرهم وبنادقهم فى كثير من الأحوال . اما الابن فانه ما كاد يبلغ العاشرة من عمره ، حتى بدت عليه مخايل الذكاء التى تبشر باستعداد جميل ومستقبل سعيد

فى صباح يوم من ايام الخريف ، خرج ماتيو مبكراً مع امرأته لزيارة بعض قطعانه فى أحد مراعى الدغل . وأراد فورتيناتو أن يصبحهما ، ولكن أباه رفض أرضاء هذه الرغبة لبعد الشقة بين البيت والمرعى وللضرورة التى تستوجب بقاء شخص لحراسة المنزل . وسنرى مما يلى أنه حدث ما يدعو الى الندم على هذا الرفض

ذهب الرجل وزوجه لشأنهما ، واستلقى الصبي على الارض فى هدوء تحت أشعة الشمس الصاحية ، يسرح الطرف فى الجبال الضاربة الى الزرقة ، ويفكر فرحا طروبا فى يوم الاحد القريب وتناول طعام الغداء عند عمه الكابورال فى المدينة حين يطل عليه ذلك اليوم المشتهى من ثنايا المستقبل المجهول

ومرت ساعات وهو مستغرق فى تأملاته البهيجة وأحلامه السعيدة ، وعلى حين سمع طلقة نارية أفزعته ، فانتفض قائما والتفت الى ناحية السهل الذى انبعث منه الصوت ، فسمع طلقات أخري من بندقية تتوالى وتتعاقب فى فترات غير متساوية ويقترب دويها منه شيئا بعد شيء . ثم ظهر له فى أول الطريق الضيق الذى يؤدي من السهل الى البيت رجل أغبر ذو لحية طويلة ، على رأسه قلنسوة مستطيلة مدببة كالتى يحملها الجبليون ، وعلى جسمه ثوب خلق قذر متهتك من كل جانب ، وهو متهالك فى نفسه يقتلع قدميه من الأرض فى جهد ومشقة ويتوكأ على بندقية خشية السقوط ، وقد أصيب منذ لحظة برصاصة فى فخذه

كان هذا الرجل قاطع طريق (وهذه الكلمة هنامعناها هارب من وجه العدالة) ، ذهب ليلا الى المدينة لشراء رصاص لسلاحه ، فوقع فى كمين أعده رجال الشحنة . وبعد دفاع هائل عنيف ، استطاع أن يتراجع وينتقل من صخرة الى أخرى ، وهم يتعقبونه فى أصرار وحماسة وقوة . وكان بينه وبينهم مسافة تساعده على الهرب ، ولكن جرحه أفسد عليه خطته وحال بينه وبين بلوغ الدغل قبل أن يلحق به الجند ، فقصد الى بيت ماتيو أملا فى النجاة

دنا من الصبي وقال :

— أأنت ابن ماتيو فالكونى ؟

— نعم

— وأنا جيانيتو سانبييرو . الجند ذوو القلائد الصفراء يتعقبوننى فخبئنى لأنى لاأستطيع المسير لأبعد من هنا

— وماذا يقول أبى اذا ما خبأتك بدون اذنه ؟

— سيقول انك أحسنت صنعا

— من يدري

— خبئني سريعا . انهم قادمون

— انتظر حتى يرجع أبى

— كيف أنتظر ؟ ! اللعنة ! سيكونون هنا بعد خمس دقائق · هيا خبئنى أو أقتلك فأجاب فورتيناتو فى ثبات ورزانة :

— بندقيتك غير محشوة ولم يبق فى منطقتك رصاص

— معى خنجري

— ولكنك لا تستطيع أن تجرى بالسرعة التى أجرى بها

ثم قفز قفزة فأصبح بعيدا فى مأمن من الرجل

— اذن أنت لست ابن ماتيو فالكونى ! أتتركنى للجند يقبضون على أمام بيتك !

فبدأ التأثر على وجه الصبي ، وقال وهو يدنو من الرجل ثانية . « ما ذا تعطينى اذا خبأتك » بحث الرجل فى كيس من الجلد معلق بمنطقته ، وأخرج قطعة ذات خمسة فرنكات كان يحرص عليها من غير شك ليشترى بها بارودا . فلما رأي الصبي القطعة الفضية هش لها وتبسم وتناولها وقال لجيانيتوا : « لا تخش شيئا »

وفى الحال فتح فرجة كبيرة فى كومة من البرسيم الجاف كانت ملقاة على مقربة من البيت ، فاندفع الرجل فيها ، وغطاه الصبي ثانية بطريقة ماهرة ما كره تبيح له دخول قليل من الهواء للتنفس ، ولا تلهم أى شك فى أن هذه الكومة تخفى فى جوفها رجلا . وفضلا عن ذلك نهج الصبي منهجا يدل على دقة هذا الوحشى واستمتاعه بقسط من العبقرية : فأخذ هرة وأولادها الصغار ووضعها على سطح الكومة ليلقى فى روع من يراها الاعتقاد بأن يدا لم تعبث بها منذ هنيهة . ثم لمح أثر دم فى الطريق قريبا من البيت فغطاه بالتراب فى عناية وبراعة ، وعاد يرقد على الأرض تحت أشعة الشمس وهو أكثر ما يكون شجاعة وهدوءا

ولم يمض بضع دقائق ، حتى وقف أمام بيت ماتيو ستة رجال فى أثواب سمراء وقلائد صفراء ، يرأسهم ضابط صف . وكان بين هذا الرئيس وماتيو فالكونى صلة قرابة بعيدة (والمعروف أن الناس فى كورسيكا يتتبعون درجات القرابة الى أبعد مما يتتبعها غيرهم فى أى مكان آخر) كان يدعى تيودوروجامبا ، وكان رجلا نشيطا كثير الدهاء يخشاه المجرمون جد الخشية لأنه قهر كثيرا منهم وأوقعهم فى قبضة العدالة

دنا رئيس الجند من فورتيناتو وقال له وهو يد من النظر فيه :

— عم صباحا يا ابن العم الصغير ! ها أنت ذا قد كبرت وترعرعت ! أرأيت رجلا مر بك منذ قليل ؟

— أوه ! لم أصبح بعد كبيرا مثلك يا ابن العم !

وكان جواب الصبي فى لهجة الجهل والسذاجة

— ستصبح مثلى فى المستقبل . ولكن اجبنى ألم تر رجلا يمر بك

— رجلا يمر بى ؟ !

— نعم . لبس قلنسوة مدببة من القطيفة السوداه وسترة مطرزة بالأحمر والاصفر ؟

— يلبس قلنسوة مدببة من القطيفة السوداء وسترة مطرزة بالأحمر والاصفر ؟

— نعم . أجب سريعا ولا تكرر أسئلتى

— فى هذا الصباح ، سيدى القسيس مر ببابنا على جواده بيرو . وسألنى كيف حال أبى ؟ وأجبته . . . .

— آه ! الصغير الصغير العجيب ! انك تتصنع المكر والدهاء ! تكلم وأسرع . أية سبيل سلك جيانيتو ، وهو الرجل الذى نبحث عنه . أنى على يقين من أنه سلك هذا المستدق

— من يدرى ؟

— من يدرى ؟ ! انى أعرف جد المعرفة انك رأيته

— أيرى المرء السابلة وهو مستغرق فى النوم ؟ !

— لم تكن نائما أيها الصعلوك ، فان طلقات البنادق أيقظتك

— أتعتقد اذن يا ابن العم أن بنادقكم تنتج كل هذا الصوت الذى تحسبه يوقظ النيام ؟ ان بندقية أبى تحدث صوتا أشد وأقوى من بنادقكم ، وشتان بين الصوتين

— فلتتخطفك الشياطين أيها الولد اللعين ! أنى واثق بأنك رأيت جيانينو ، وربما خبأته أيضا ! هيا يارفاق ، ادخلوا هذا البيت وابحثوا فيه عن المجرم الخطر انه لم يعد يستطيع المسير الا على رجل واحدة ، وهذا الوغد اللئيم يملك من الدهاء والذكاء ما يلهمه وسيلة يبلغ بها الدغل وهو يقفز ويعرج ، فلا تضيعوا شيئا من الوقت . ألا ترون أنه فضلا عن يقينى فان آثار الدم تقف عند هذا المكان ؟ !

فسأله فورتيناتو وهو يضحك تهكما وسخرية « ما ذا عسى أن يقول أبى اذا ما عرف أن أحدا من الناس دخل بيته فى غيبته ؟ »

فقال رئيس الجند للصبي وهو يشد أذنه « ألا تعلم أنى أملك الوسيلة التى تجعلك تغير هذه

النغمة ؟ بالحقيقة اذا ضربتك ببطن هذا السيف عشرين ضربة !

فأجاب فورتيناتو فى عزة وخيلاء وهو يواصل الضحك « أبى ماتيو فالكونى ! » سكت الرئيس قليلا ثم قال والدم فائر فى عروقه « ألا تعلم أيها الصغير العجيب أنى أستطيع الذهاب بك الى كورت أو باستيا ، وهناك ألقيك فى سجن مخيف وأضع القيد فى يديك والسلاسل فى رجليك وفيه تقام على خشبة من القش وتأكل الخبز القفار وتشرب الماء الآسن، ثم أقودك الى الموت بالجيلوتين اذا لم تقل أين جيانيتو سانبييرو ؟ !

انفجر الصبي ضاحكا عند سماع هذا الوعيد الملىء بالسخف ، وكرر قوله « أبى ما تيو فالكونى » فقال أحد الجنود لرئيسه همساً « لا تخاصم ما تيو ! » . فلما سمع هذا القول ظهرت عليه أعراض الحيرة فى جلاء ووضوح ، ثم شرع يتحدث الى جنوده بصوت خافت ، وكانوا فى تلك اللحظة قد عادوا من تفتيش البيت . ولم يكن هذا العمل مهمة تتطلب وقتا طويلا ، فان كوخ الكورسيكى لا يتكون الا من غرفة مربعة واحدة تشتمل على مائدة ومقاعد وصوان للملابس وأدوات للصيد وأوانى الطبخ . وفى أثناء حديث الجنود الخافت ، وقف الصبي يداعب هرته ، ويستمتع فى دخيلته استمتاع الخبيث الماكر بتخبط الجنود وحيرتهم وعجز رئيسهم وغضبه

ثم دنا جندى من كومة البرسيم الجاف وتفرس فى الهرة لحظات ، وطعن الكومة بحربة بندقيته عرضا واتفاقا بلا غرض معين ، ثم هز كتفيه كأنما قد شعر بأن حيلته كانت غاية البلة والسخف . ولم يظهر فى الكومة حركة ، ولم ينم وجه الصبي عن أقل انفعال أو جزع

كاد الرئيس يجن وجنوده . ونظروا الى ناحية السهل فى جد كأنهم مستعدون للعودة من حيث جاءوا . وانهم لكذلك اذا رئيسهم ، وقد اقتنع بأن الوعيد لن ينتج الأثر المرجو ولن يخيف ابن ماتيو فالكونى ، ففزع الى حيلة أخيرة ويحاول تجربة الدعابة والهدايا وسحر اللين والملاطفة قال للصبي :

— يا ابن العم الصغير ، انك فى نظرى جبار يقظ حريص كل الحرص ! سيكون لك شأن فى مستقبل الأيام . ولكنك تلعب معى لعبة سيئة . ولو لم أكن أخشى أن أسبب المالابن عمى ماتيو، لجرءتك معى على الرغم منك

— لغو !

— ولكن سأقص الأمر على ابن عمى عند عودته . وعقابا لك على كذبك، سيضربك بالسوط حتى يدمى جسدك

— سنرى ! وبعد

— ستری . . . ولـكن أصغ الى . . . كن ولداً شجاعا فأهدى اليك شيئا

— سأهدى اليك يا ابن العم رأيا سديداً ، وهو أنك اذا تأخرت أكثر من ذلك ، أفلت جيانيتو منك وبلغ الدغل آمنـا . وفى هذه الحال سيتطلب الأمر أكثر من شجاع مرح مثلك للذهاب الى الدغل والبحث عنه

فأخرج جامبا من جيبه ساعة فضية لا يقل ثمنها عن خمسين فرنكا . ولحظ أن عينى فورتيناتو الصغير أبرقت عند رؤيتها ، فقال له وهو ممسك بطرف السلسلة المعلقة فيها الساعة :

— أيها الشيطان الخبيث ! انك تذوب شوقا الى اقتناء ساعة مثل هذه ، تعلقها فى عنقك ، وتمشى فى أزقة بورتوفشيو فخوراً كالطاوس ، ويسألك الناس . كم الساعة الآن ؟ فتقول لهم فى كبرياء . ابحثوا عن الجواب فى ساعتى !

— سيهبنى عمى الـكابورال ساعة حين أكبر

— نعم . ولكن ابن عمك يملك اليوم ساعة . . . ليست فى الحق جميلة كهذه . . . ومع هذا فهو أصغر منك سنا

تنهد الصبي تنهدة عميقة ، فقال له رئيس الجند . « اذن أتريدها ؟ أترغب فى هذه الساعة يا ابن العم الصغير ؟ »

رنا فورتيناتو الى الساعة بطرف عينه ، كهرة يقدم اليها الانسان دجاجة كاملة ، فتشعر بأنه يسخر منها ، ولا تجرؤ على مد براثنها . وهى من حين الى آخر تدير عينها حتى لا تقع فى شرك الاغراء ، ولكنها تلحس فمها وتتلمظ فى كل لحظة ولسان حالها يقول لسيدها . « وما أقسى مزاحك ودعابتك ! »

ولكن جامبا أظهر حسن النية فى عرض ساعته ، ومع هذا لم يمد فورتيناتو يده ، بل قال فى بسمة مريرة :

— لماذا تسخر منى ؟

— اقسم بالله لبس فى قولى شىء من السخرية . قل فقط اين جيانيتو ، أمنحك هذه الساعة

انفرجت شفتا الصبي عن بسمة شك ، وحدق بعينيه السوداوين فى عينى جامبا محاولا أن يقرأ فيهما ما يلهمه الايمان بصدق أقواله . ورأى رئيس الجند التردد من الصبي فصاح قائلا :

— فلأفقد منصبي أن كنت لا أعطيك الساعة على هذا الشرط وهؤلاء الرفاق شهود على ، وليس فى وسعى أن أرجع فى قولى أو أخلف وعدى

وكان وهو يتكلم على هذا النحو ، يدنى الساعة رويدا من وجه الصبي حتى لمست خده المصفر أو كادت ، فبدت عليه آثار الصراع العنيف، القائم فى نفسه من جراء هذا الاشتهاء بين الرغبة الملحة والاحترام الواجب للضيافة ! وطفق صدره العارى يرتفع وينخفض فى قوة عجيبة كانما هو على وشك ان يختنق . ومالت الساعة تدور وتهتز أمام عينيه ، وفى بعض الاحيان تمس فى رفق روبة أنفه ، حتى ارتفعت فى النهايه يده اليمنى شيئا فشيئا نحو الساعة المشتهاة

لمستها اطراف اصابعه ، وثقلت باكملها على كفه المضطرب ، ولكن جامبا الماكر لم يتحرك من يده طرف السلسلة . وكان سطح الساعة الداخلى فى زرقة السماء الصافية وعلبتها معقوله مجلوة حديثا ، فظهرت فى الشمس لامعة شديدة البريق .. الاغراء كان قويا مستبدا !

فلم يلبث فورتيناتو أن رفع يده اليسرى أيضا ، واشار بها بالابهام من فوق كتفه الايسر الى كومة البرسيم الجاف ، وكان ظهره مسندا اليها

ادرك رئيس الجند كل ما يريد ، وترك السلسله من يده فسقطت الساعة فى يدالصبى فابتهج بها وشعر بانه وحده مالكها ، ثم نهض فى خفة الظبى وابتعد عن الكومة عشرخطوات، فهجم عليها الجند فى سرعة مخيفة يقلبونها ويبعثرون اعوادها

ولم يمض غير لحظات حتى تحرك النبات الجاف وخرج منه رجل ملطخ بالدم والخنجر فى يده وهو يحاول ان يقف على قدميه ! ولكن جرحه الذى برد وجمد عاقه عن الوقوف فسقط على الارض ، وفى تلك اللحظة انقض عليه رئيس الجند وانتزع الخنجر من يده ، ثم شد وثاقه على الرغم من مقاومته العنيفة

ولما ترك على الارض موثقا كحزمة من الخشب ، أدار رأسه نحوفورتيناتو ، وكان قد دنا منه ثانية ، وقال له «يابنى ..» فى لهجة هى أقرب الى الاحتقار منها الى الغضب . فالقى الصبى اليه قطعة المال الفضية اذ شعر بانه لم يعد يستحقها . ولكن المجرم لم يبد عليه ما يدل على أن هذه الحركة استرعت التفاته ، وقال لرئيس الجند فى هدوء وثبات « عزيزى جامبا ، لا استطيع المشى سترغمك الحال على حملى الى المدينة»

فاجاب الظافر القاسى

— لقد كنت تجرى منذ قليل أسرع من الارنب البرى ! ولكن اطمئن بالا . ان سرورى العظيم بالقبض عليك يجعلنى احملك فوق ظهرى واقطع بك فرسخا كاملا من غير ان اشعر بالتعب وعلى كل حال ايها العزيز ، سنصنع لك من الاغصان ومن معطفك محفة بديعة ، وفى مزرعة كريسبولى سنجد ما يعوزنا من الجياد

-- حسن . وأرجو أن تضع قليلا من القش فى محفتك استكمالا لاسباب راحتى .

وبينما كان بعض الجند منهمكا فى عمل محفة من الاغصان ، والبعض الآخر مهتما بتضميد جرح جانيتو ، ظهر ماتيو وزوجه على حين بغتة عند منعطف الطريق المؤدى الى الدغل . وكانت المرأة تتقدم محنية فى مشقة تحت عبء غرارة كبيرة من ثمار الشاهبلوط (ابو فروة) أما زوجها المتكبر المتغطرس فلم يكن يحمل الا بندقية فى يده وأخرى فى حمالة معلقة فى كتفه ، جريا على عادة أهل الجزيرة الذين يرون أن الرجل لا يليق أن يحمل شيئا آخر غير سلاحه

عند رؤية الجند ، أول فكرة جرت ببال ماتيو . انهم جاءوا للقبض عليه . ولكن لماذا جالت أذهنه هذه الفكرة ؟ أ كان بينه وبين العدالة سوء تفاهم أو صله فاتره ؟ كلا . كان يتمتع بسمعة حسنة او كما يقال ، مشهورا بسراوة الخلق وطيبة القلب ، ولكن كان كورسيكيا وجبليا ، وقليل من من هؤلاء اذا نقب فى ذاكرته ! لم يجد له بعض حوادث ، كطلقة بندقية أو طعنة خنجر ، أو ترهات أخرى غير هذه . وكان ماتيو أنظف وأهدأ ضميرا من كثير غيره ، لانه منذ أكثر من عشرة اعوام لم يستخدم بندقيته ضد انسان . ولكنه على كل حال كان متبصرا بعيد النظر ، فاتخذ لنفسه موقفا يساعده فى الدفاع اذا احتاج الامر ، وقال لزوجه «امرأه ، ضعى غرارتك واستعدى » فاطاعت فى الحال ، وأعطاها البندقية التى على كتفه خشية ان تضايقه ، ثم حشا البندقية التى فى يده

وتقدم فى بطء نحو البيت محاذيا الاشجار المغروسة على حافة الطريق ، وعلى اتم استعداد عند أول حركة عدائية ، للتستر بأضخم شجرة يستطيع من خلفها ان يطلق النار وهو فى مأمن من رصاص الجند . وسارت زوجه من ورائه قدما بقدم ، ممسكة بيديها البندقية وخزانة البارود ، لان أعظم مهمة ملقاة على عاتق المرأة فى حالة النزال هى ان تحشو سلاح زوجها فى مهارة وسرعة

أما جامبا رئيس الجند فقد شعر بالم شديد حين رأى ماتيو يتقدم على هذه الصورة ، وئيد الخطو وبندقيته مصوبة الى الامام وأصبعه على الزناد . ففكر وقال لنفسه « اذا ما ظهر أن ماتيو من رباء جيانيتو او صديق له وأراد ان يدافع عنه ، فان رصاصة بندقيته ستصب اثنين منا ، ما فى ذلك ظل من الشك ! واذا ما اتخذنى هدفا لسلاحه ، فعلى صلة القرابة العفاء ، لانها لن تقينى القتل المحقق

وفى غمار هذه الحيرة والتبلبل استقر على رأى فيه اقدام وشجاعة ، وهو ان يتقدم بمفرده نحو ماتيو ليقص عليه كل شىء ، ويقابله مقابلة الصديق القديم لصديقه . ولكن المسافة القصيرة التى كانت بينه وبين ماتيو بدت له طويلة تهول النفس وتفزع القلب

تقدم خطوة وصاح

— هولا ! هولا ! يارفيقي القديم كيف حالك ياصديقي الباسل ؟ انا جامبا ابن عمك

فوقف ماتيو ولم ينطق بكلمة ، ولكنه ، وجامبا يواصل الكلام ، كان يرفع فى بطء وهدوء فوهة البندقية . وفى اللحظة التى وصل فيها جامبا الى ماتيو ، كانت هذه الفوهة مصوبة الى السماء

مد رئيس الجند يده لمصافحة ابن عمه وقال

— عم صباحا يا اخى (هذه تحية أهل جزيرة كورسيكا المعتاده) لم أرك منذ زمن طويل

— عم صباحا ياأخى

— حضرت لاقرؤك وابنة عمى السلام ، ثم آخذ سبيلى سريعا : لقد بذلنا اليوم جهدا كبيرا ولا ينبغى أن نشكو النصب ، لاننا ظفرنا بصيد ذائع الشهرة . قبضنا الساعة على جيانيتوسانبييرو

فصاحت جيوسيبا « شكرا لله ! لقد سرق منا عنزة » وليدة فى الاسبوع الماضى »

فأجاب ماتيو بقوله « شيطان مسكين ! كان الجوع يمزق احشاءه » وعاد جامبا الى الحديث يقول « دافع هذا الشيطان عن نفسه دفاع الاسد المستميت ، وقتل أحد جنودى . ولم يقف عند هذا الحد . بل كسر ساق الكابورال شاردون ، ولكن فى هذا شر كثير لأن ، الكابورال فرنسى لا كورسيكى . ثم اختبأ فى النهاية جيدا حتى ان ابليس نفسه ما كان يستطيع ان يعثر بمخبئه . ولولا ابن عمى الصغير فورتيناتو ، لما وقفت أبدا على معرفة مكانه والقبض عليه »

ولما سمع ماتيو هذا القول ملكه الدهش الشديد وقال « فورتيناتو » وكررت زوجه كلمته فى اللهجة نفسها « فورتيناتو ؟ »

فأجاب جامبا

— نعم . جيانيتو كان مختبئا فى كومة البرسيم الجاف هذه . ولكن ابن عمى الصغير لجأ معى فى أول الامر الى المكر والخداع . سأروي لعمه الكابورال ما حدث ليرسل اليه هدية جميلة جزاء له على الالم الذى احتمله فى سبيل اسداء هذا المعروف : سأذكر اسمه واسمك فى التقرير الذى ارسله الى النائب العام

فقال ماتيو بصوت خافت يكاد لا يسمع « اللعنة »

وانضموا جميعا الى الجند وكان جيانيتو على المحفة مستعدا للرحيل . فلما رأي ماتيو فى صحبة جامبا ، انفرجت شفتاه عن بسمة غريبة ثم ادار وجهه نحو باب البيت وبصق على عتبته وهو يقول « بيت خائن »

لم يكن فى الحياة رجل يستطيع أن ينطق بكلمة خائن وهو يوجهها الي فالكوني ، ألا اذا كان راغبا فى الموت عازما عليه . ولو وجد هذا الرجل الجرىء ، لغسلت اهانته فى الحال طعنة خنجر قاتله

ليست فى حاجة الى التكرار . ولكن ماتيو على الرغم من خلقه وقف جامدا بعض لحظات، ثم رفع يده الى جبينه كرجل جعجعت به المصائب واصطلحت عليه الوان الهموم

وكان فورتيناتو قد دخل البيت عند رؤية ابيه ، فخرج بعد قليل ومعه اناء اللبن ، ثم قدمه الى جيانيتو وهو خافض البصر منكس الرأس . ولكن الرجل صاح فى وجهه بصوت هائل قائلا «اليك عنى» ثم التفت الى احد الجنود وقال «أسقنى يارفيقى» ولم يسع الجندى الا ان يضع سقاءه الجلدى على فم المجرم . فشرب حتى الرى من يد رجل تبادل واياه القذائف النارية منذ قليل

ولما انتهى من الشرب ، طلب من رئيس الجند أن تقيد يداه على صدره فى شكل صليب بدلا من تركهما موثقتين خلف ظهره . وقال يعزز طلبه «اريد ان انام مستكملا أسباب الراحة» فاجيب الى طلبه سريعا ، ثم أمر جامبا جنوده بالمسير، وقال وداعا لماتيو ، واتجه بخطى سريعة نحو السهل

لم يجب ماتيو على وداع جامبا ، وبقى فى مكانه صامتا لا يتحرك ولا يطرف زهاء عشر دقائق وكان الصبى ينظر بعين القلق تارة الى امه ، وأخرى الى ابيه المتكىء على بندقيته، المتفرس فيه بعين الغضب البالغ الذى يدخل على النفس الهلع

ثم قال الرجل لابنه بصوت هادىء ولكنه مفزع رهيب عند من يعرف هذا الكورسيكى العنيد «ما اعظم البداية التى ارتضيتها لنفسك» فصاح الصبى وهو يتقدم نحو أبيه والدمع يسيل من عينيه «أبى» وأراد أن يركع أمامه ، ولكن الوالد صرخ فى وجهه قائلا «الى الوراء ! اليك عنى» فارتعد الصبى وتنهد ثم ابتعد عن ابيه بضع خطوات ووقف صامتا خائفا حزينا

ولحظت جيوسيبا طرف سلسلة الساعة ظاهرا من قميص فورتيناتو ، فدنت منه وسألته فى لهجة حادة .

— من أعطاك هذه الساعة ؟

— ابن عمى جامبا

فتناول فالكونى الساعة والقاها بقوة على حجر فتحطمت وتناثرت قطعا صغيرة ، ثم سأل امرأته «أهذا الولد من صلبى»

صعد الدم الى وجه جيوسيبا حتى بدأت اجزاؤه السمراء حمراء كالآجر وقالت

— ماذا تقول ياماتيو ؟ وهل تعرف جيدا الى من توجه كلامك ،

— اذن هذا الولد هو اول شخص من سلالته وجنسه ارتكب الخيانة

وفى تلك اللحظه قويت تنهدات فورتيناتو وتضاعفت آلامه المكبوتة . وكان الوالد يحدق فيه طول الوقت بعين مفترسة ، وفى النهاية ضرب الارض بمؤخرة بندقيته ثم القاها على كتفه وسار فى

طريق الدغل وهو يصيح بابنه ان يتبعه

سار الصبي في أثره ، وجرت الام خلف زوجها وأمسكت بذراعه وقالت له بصوت مرتعش وهي تكاد تلصق عينيها السوداوين بعينيه كأنما تريد ان تقرأ فيهما مضمر نفسه

— انه أبنك !

— دعيني اني ابوه !

تراجعت جيوسيبا وقبلت ابنها، ثم رجعت الى الكوخ باكية ،فركعت أمام صورة للعذراء وصلت في خشوع وحرقه

وسار ماتيو في الطريق مائتي خطوة او تزيد قليلا ، فاشرف على مكان منخفض يشبه الوادي انحدر اليه وجس الارض بمؤخرة بندقيته فوجدها ندية رخوة سهلة الحفر تلائم الغرض الذي جاء من أجله ثم التفت الى ابنه وقال « اذهب الى هذا الحجر الكبير واركع الى جانبه » ولما حقق الولد مشيئة ابيه قال له هذا :

أتل صلواتك

— أبي ! أبي ! لا تقتلني

فكرر ماتيو عبارته بصوت يهول ويرعب « أتل صلواتك »

فاذعن الصبي وغمغم وهو يصعد التنهدات بصلاة « يا أبانا الذي في السماء » ثم بصلاة « الايمان » وكان ابوه يجيب في نهاية كل صلاة بكلمة آمين . ثم سأله

— هل هذه هي كل الصلوات التي تعرفها ؟

— أبي ، اعرف أيضا « سلام عليك يامريم » وصلاة « الربيع » وقد اخذتها عن عمتي

— صلاة الربيع طويلة جدا ، ولكن لا اضن عليك ببعض دقائق

ولما تلا الصبي بصوت ضعيف كانه ينبعث من قبر ، سأله ابوه

— هل انتهيت ؟

— أوه ! أبي ، عفوا ! اصفح عني ! لن اعود الى مثل ما فعلت ! سأضرع الى عمي الكابورال حتى يحصل على العفو عن جيانيتو

وفي أثناء حديثه ، حشا ماتيو بندقيته ووضعها تحت خده الايمن ، ثم قال « ليغفر لك الله » وأدرك الصبي أن اباه سيقتله ، فحاول في جهد اليائس أن ينهض ويقبل ركبتي ابيه ، ولكن الوقت لم يتوافر له ، لان ماتيو اطلق عليه النار . فوقع على الارض جثة هامدة

ولم يلق الرجل نظرة على جثة ابنه ، بل اخذ طريق بيته ليحضر فأسا يحفر به قبرا وما ان سار بضع خطوات حتى رأى امرأته جيوسيبا مقبلة نحوه ، وكانت قد سمعت دوي الرصاصة فهفا قلبها

من الفزع وخفت الى زوجها ركضا . فلما بلغته سألته فى صرخة الرعب والجزع ماذا فعلت !

— اقمت العدل

— اين هو ؟

— فى المنحدر . ساقوم بدفنه الآن . لقد مات مسيحيا ، وسأقيم من اجله قداسا حتى ينعم روحه بسلام الخلود . فلندع صهرى «تيودورو بيانكى» للحضور والاقامة معنا

حسن صادق



الخمر بين الاباحة والتحريم

لسلامة موسى فى مناظرة مع الاستاذ احمد غلوش رئيس
جمعية منع المسكرات

انى فى هذا الموقف مع الاستاذ غلوش لا أريد أن أنكر ان الخمور تبعث أحيانا على الآثام ولكنى أحدد موقفى معه فى شيئين :

الاول : أن الحكومات العصرية ترى نفسها مضطرة الى أن تجيز وتبيح أموراً هى أسوأ من الخمور التى ترى بعض الحكومات أنها سيئة ولكنها تبيحها لأن ظروف الحضارة العصرية تقتضى ذلك

والثانى : ان الخمور ليست فى ذاتها داء وانما هى دواء من داء . فالرجل الذى يطلب الخمر يطلبه لأن فى صدره ضيقا أى فى نفسه كبتا يحتاج الى التفريج والتنفيس

وبعد هذا نقول أن الخمر التى يطلب الاستاذ غلوش تحريمها هى مع ذلك اختراع مصرى قديم وهى من أبدع المخترعات التى جعلت الانسان يطيق الحضارة . فان رباً قديماً من أرباب جدودنا أوزوريس هو الذى اهتدى إلى زراعة القمح وصنع البيرة وكان يطوف فى أنحاء العالم لكى يعلمهما للناس . وأكبر الظن ان الانسان اهتدي الى خميرة الخبز من خميرة البيرة . ومن هنا نعرف أنه حتى خبزنا يحتوى خمراً . وهو ان لم يحتو الخمر — عن طريق الخميرة — كان فطيرا لا تهضم أمعاؤنا منه غير القليل . ومهما حرم الاستاذ غلوش على نفسه الخمور اللذيذة فانه بلا شك يتناول الخمر كل يوم على الرغم منه فى الخبز الذي يأكله لأن هذا الخبز قد خلطت عجينته بخميرة هى فى أغلب الظن خميرة الشعير أي خميرة البيرة

***

ولكن الخمر أرفع من أن نتحدث عنها هذا الحديث المبتذل ونذكرها الى جنب العجين والخبز . وأنى أسأل الأستاذ غلوس عن الحضارات القديمة والحديثة هل واحدة منهن قامت بلا خمر ؟ واين كان يكون شعر الشعراء بلا خمر ؟ وهل كان يمكن ابا نواس أن يمتع عصره بهذه الاشعار الخالدة لوكان قد جهل الخمر ؟ بل هل كان عمر الخيام يستطيع أن يفلسف لولم يشرب الخمور ويعرف منها فترات السعادة التى جعلته ينعى على الدنيا وفرة همومها ؟

لا بل ان الخمر قد أنعشت حتى أولئك الذين لم يشربوها ومنحتهم من ثقافتها ما جعلهم

يرتفعون فوق أنفسهم ويسكرون بخمر التصوف كهذا الشاعر العظيم أبن الفارض الذى استخرج من أسماء الخمور ومعانى السكر اسمى معانى التصوف والتجلى . وهكذا الشأن أيضا فى كثير من الصوفيين الملهمين أوحت اليهم الخمر اسمى المعانى حتى أنهم عند ما اهتدوا الي شجرة البن وعرفوا قيمتها فى تقويتهم على السهر والصلاة أطلقوا عليها اسم القهوة أي الخمر

وهذا هو تاريخ العرب كان حافلا بالأدب الرائع حينما كانت الخمور مباحة حتى كان مجلس الخمر يعنى مجلس الأدب . وحتى ان اعظم كتب الادب فى اللغة العربية وهو الاغانى انما هو محاضر دونها المؤلف عن جلسات كانت تعقد للخمر والغناء . ولا اكاد اتخيل ان مثل هذا الكتاب العظيم كان يمكن أن يؤلف لولا هذه الخمر التى يجحدها الاستاذ غلوش بلا حق

لقد كان للعرب أدب وأدب رائع حين كانوا يترخصون فى شرب الخمور. فلما فشا بينهم أمثال الاستاذ غلوش وشرعوا يسودون الدنيا فى وجوههم ويحضونهم على تركها ونجحوا فى ذلك مات الادب . وهذا هو مارأيناه فى عصرنا. فان أحسن شعرائنا - عليه رحمة الله - كان سهيراً سكيرا لاتتق بمقابلته الا فى منتصف الليل وعند تلك الحانات التى تنتشر عند شوارع السرور . ثم هذا شيخ من شيوخ الادب الاحياء الذين نعجب بنثرهم لايزال يختار فى الادب ويختار فى الخمر ومختاره حسن فى الحالين . وهو يجلو بالخمر ذهنه ويصطبح بها ويغتبق ويعرف ان الله غفور رحيم .

***

لاتكاد أمة على شيء ضئيل من الحضارة تخلو من الخمر . ولكن الامم الشرقية على كل حال لاتعتنق مذهب الخمر كما تعتنقه الامم الاوربية . ولا أظن أن أحداً يثنى على الامم الشرقية لهذا السبب فان الغربيين المخمورين قد تغلبوا على الشرقيين الصاحين . ولم تزعزع الخمور اخلاق الغربيين وان كان الشرقيون لم ينتفعوا بصحوهم

ولكن هل الشرقيون مع ذلك لا يحبون أن يغيبوا عن الدنيا فترة من الوقت وهل هم يديمون الصحو ؟

لو كان الامر كذلك لما عرفنا اسم الافيون والحشيش وسائر المخدرات التى اضطرت الصين هذا الشهر الى فرض عقوبة الاعدام على صانعها ومتناولها كما فعلت اليابان من قبل

وتفشى هذه المخدرات برهان على أن الانسان فى الحضارة محتاج الى أن يغيب عن صوابه وجد انه فترة من الوقت ومادام الامر كذلك فالخمور خير ما يتيح له هذه الفرصة

وقد حاولت الولايات المتحدة أن تلغى الخمور والغتها بالفعل نحو عشر سنوات ثم عادت الى

أباحتها لأنها وجدت أن الحظر قد أفشى عادات سيئة دون أن يؤدى أى نتيجة مفيدة. فان الخمور كانت تصنع أيام الاباحة وهى تحت اشراف الحكومة ورقابتها فكان للحكومة أثر حسن فى منع السىء من الخمر فلما حظرت صارت المصانع تصنعها فى الخفاء ولا تبالى أن تصنع أسوأ الخمور لانها لم تكن تخشى اشراف الحكومة ومراقبتها إذ انها كانت عند ماتضبط يستوى عند القاضى الحسن والسىء من الخمور وهو يعاقب صانعها فى الحالين بعقوبة واحدة . ففشت لهذا السبب خمور سيئة تباع بأغلى الأثمان كما فشت مخدرات أخري هى الموت المجسم

وظنى اننا لو حظرنا بيع الخمور فى مصر لحدث لنا مثل ماحدث فى الولايات المتحدة أى أنه تتفشى بيننا الخمور السيئة والمخدرات الشيطانية الاخرى . ثم بعد ذلك نعود كما عادت الولايات المتحدة الى اباحة الخمور

***

ان الكرمة من الاشجار التى تزكو فى التربة المصرية ولوكنا دائبين فى غراسها ندوس زبيبها ونعصر خمرها كما كان يفعل جدودنا لكان ريفنا أغنى الريف فى العالم . بل لقد كان كانت كذلك مصر أيام الرومان وهذه فرنسا تبيع من خمورها التى تعصرها من كرومها أكثر مما نبيع من قطننا عشرين بل ثلاثين ضعفا . وتربتنا فى جونا الدافىء هذ اليق لنمو الكروم من التربة الفرنسية وكان يمكننا أن نصبح من أغنى الامم لو اننا كنا نغرس الكروم ونعصر زبيبها حتى ولو لم نشرب خمورها

وريفنا بخلوه من الخمور يخلو من السرور . وهو مع ذلك لايخلو من المخدرات الشيطانية ومن الخمور السيئة. ولما كنا فى اعقاب الحرب الكبري وتعالت أثمان الخمور تفشت بيننا المخدرات المهلكة وأظلمت العقول وطغى عليها الجنون . وقد كان هذا ثمرة الغلاء فقط فماذا تكون ثمرة الحظر التام ؟

***

لقد عاشت الامم فى الحضارة مايقرب من سبعة آلاف سنة وكلها قد أباحت الخمر بالقول أو بالفعل . ولايسعنا أن نجحد الاختبارات التى اجمعت عليها جميع الامم ثم نفور فى حماسة وقتية ونقول بالحظر والالغاء .

وقد أشرت فى أول كلمتى الى شيئين أولهما أن الحكومات العصرية ترى نفسها مضطرة الى أن تبيح أشياء كثيرة قد لا نوافق عليها . والثانى أن الرغبة فى الخمر ليست داء بل هى دواء

وهنا احتاج الى بعض الايضاح السيكولوجى فان الحضارة التى نعيش فيها ليست طبيعية وهى

كلما أبتعدت عن الزراعة كانت أبعد عن الطبيعة ولذلك فان الفلاح أقل رغبة فى الخمور من ساكن المدينة الذى يقضى نهاره فى المصنع أو المكتب أو المتجر . فان الاعصاب هنا تتوتر والضيق يأخذ بالصدر والنفس تريد أن تنفجر

وعندئذ يحتاج المرء الى أن يهرب من الحقائق ويغيب عن هذا الواقع القاسى . واقرب السبل وأيسرها هو كأس من الخمر يقول فيها لسان الحال :

واذا سكرت فاننى رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فاننى رب الشويهة والبعير

ففى الصحو يؤلمنا الا نملك غير الشاة والبعير ولكن الخمر تحيلنا ملوكا نتوهم اننا نملك القصور الفخمة والجياد المطهمة

فالخمر وسيلة للتفريج أى أن النفس الضائقة بالعمل المجهد أو الحال التعسة أو العواطف المكبوتة او الغيظ المكظوم تجد فى كأس الخمر سبيلا الى التخفيف من هذا الكظم أو الكبت أو الضيق . فالخمر هنا ليست داء وانما هى دواء لوسط اجتماعى سىء . ولذلك سرعان ما يقل استهلاك الخمر ويترك الناس الشراب اذا وجدت وسائل أخرى للتفريج . فان استهلاك الخمور مثلا قد نقص فى انجلترا لان وسائل التفريج بالاتومبيل والسينماتوغراف والراديوفون قد كثرت فاخذت مكان الخمور . اى ان الشاب الضائق بنفسه لم يعد — كما كان يفعل سلفه — يطير الى الحانة لتفريج كربه وما لقيه من عنت الرئيس أوجهد العمل بل صار يفكر فى الالتجاء إلى أحد هذه الملاهى الاخري

ولكن حتى مع الاعتراف بقيمة هذه الملاهى لاأكاد أتخيل عالما بلا خمر . اذ كيف نأتنس بأصدقائنا ونقضى معهم سويعة من الهناء والصفاء اذا لم نشرب معهم ونضك واياهم بعض الكئوس التى تنسينا نقائصهم الانسانية وتوهمنا أنهم من الملائكة يحبوننا ونحبهم ولايعرفون مناولا نعرف منهم غير النية الحسنه والعاطفة السخية ؟

ان فى الحياة من الاختبارات المرة مايجعلنا نفر منها . بل هناك مايثبت أن بعض النوم هو فرار من سأم الوجدان . وانه كلما ازدياد السأم ازددنا رغبة فى النوم . وأحيانا نهرب من الواقع المر بان نستسلم للخيال والخواطر اللذيذة فنتوهم أن المرتب قد زاد الى ثلاثة أضعافه او اننا قد حصلنا على ثروة ضخمة ونلنا أعظم المراتب . ولا تزال حلقات هذه السلسلة تأخذ الواحدة منها بالاخرى فى خواطر لذيذه يتسلط فيها العقل الباطن حتى نصحو ونعود الى الواقع المؤلم ونفكر بالعقل الظاهر

وهذه اللذة لذة النوم ولذة الخواطر هى نفسها التى ننشدها حين نلجأ الى الخمر التى نتداوي

بها من سأم الحياة والتى تساعدنا على الغيبوبة الجزئية وعلى التذاذ الخواطر التى ترفعنا الى مقام الملوك نملك الخورنق والسدير وننسى اننا لا نملك غير الشاة والبعير

والى أن يأتى اليوم الذى تخلو فيه الحياة من مرارتها سنحتاج الى الخمر لكى ننام بها ولكى تطلق للعقل الباطن عنانه فيها . فان حياتنا ملأى بالغموم حافلة بالهموم نعيش فيها مجهودين مكدودين نمارس من الاعمال مالعلنا تكرهه ولكننا نكره على ممارسته لكى ننال منه الاجر الذى نعيش به . ونرى حولنا من التفاوت الاجتماعى مايوهمنا باننا مظلومون ثم تقع بنا المآسى التى يجلبها علينا التدبير السىء منا أو من غيرنا حتى تعود الحياة وهى مرة نرجو منها الافلات . وطريق الافلات هو الخمر

رحلتى الى حوض الدانوب

للاستاذ فرج جبران

كنت دائما أسمع عن « الدانوب الأزرق » وأقرأ عنه فأمتلىء شوقاً لرؤيته حتى أتبين اذا كان حقا ما يروى الجغرافيون والسائحون عن جماله وجمال شواطئه . . . وأخيرا سنحت لى هذه الفرصة النادرة فقمت برحلتى فى نهر الدانوب . هذه الرحلة التى أصفها الآن

فى الساعة الخامسة من اليوم الثالث من شهر أغسطس الماضى اقلعت بنا الباخرة ، متجهة صوب « بيريه » وبعد ٢٠ ساعة كاملة فى البحر . أى فى الساعة الواحدة من بعد ظهر اليوم التالى كنا نسير بين جزيرتين هما « سكاربتيا » الى اليمين وكريت الى اليسار . وفى صبيحة اليوم الثالث كنا فى ميناء بيريه أو بيروس وهو ثغر أثينا عاصمة اليونان كما تعلمون

ولما كانت الباخرة لا تقف عند ثغر بيريه الا ساعات معدودات لا تزيد على الخمس أو الست فقد أسرعنا بالنزول منها والانتقال بترام أشبه بمترو مصر الجديدة من بيريه الى أثينا لكى نزور معاملها وآثارها .

فى أقل من ١٥ دقيقه كنا فى أثينا بلد المدنية القديمة وأول ما يظهر منها « الاكروبول » وهو بناء أثري كبير أعاد الى ذاكرتى معبد الكرنك فى طيبه ولو أن آثاره قليلة اذا قيست بما يضم الكرنك . وقد كان الاكروبول مقر ملوك اثينا الاوائل ثم تحول الى معابد متعددة للآلهه .

والآثار الباقية ليست فى حالة جيدة اذ تهدم معظمها وقد رأينا منها « البارتنون » وهو معبد آلهة الحكمة وبه نحو ١٠٠ عمود من الرخام الأبيض .

وزرنا متحف أثينا وبه مجموعة لا بأس بها من لاثار ولكنها لا تقاس بما يضمه جناح واحد من المتحف المصرى .

وبعد جولة فى طرقات أثينا أعقبها تناول الغداء عدنا بسرعة الى بيريه لكى نستقل الباخرة . وقد أقلعت بنا فى عصر ذلك اليوم فى طريقها الى تركيا وأخذت تسير بين جزر متعددة .

وفى صباح اليوم الرابع للرحلة استيقظنا مبكرين ولما صعدنا الى ظهر الباخرة وجدنا اننا نسير بين ربوتين هما مدخل بوغاز الدردنيل المشهور منذ أيام الحرب العظمى وتذكرنا ونحن نرى الحصون المشيدة على الجانبين عدد الضحايا الذين غرقوا فى تلك البقعة فى أثناء الحرب . . وقد

قطعت الباخرة بوغاز الدردنيل فى اكثر من خمس ساعات وجدنا انفسنا بعدها فى بحر مرمرة فأخذ ساحله الاسيوى يغيب عنا ثم لحقه الآخر وقد مررنا فى طريقنا بمدينة غاليبولى . وقد اشتهرت هى الأخرى منذ الحرب العظمى .

وفى مساء ذلك اليوم الرابع نفسه ، حوالى الساعة الخامسة بدأت استانبول العظيمة فى الظهور وكان أول ما ظهر منها مآذن مساجدها العظيمة المتعددة وقبابها الكثيرة المميزة . وكانت المساكن كذلك تبدو بسقوفها على مدرجات المرتفعات .

كان المنظر جميلا يأخذ بمجامع القلوب ولا يمكن ان أنساه أبدا حتى لقد اجتمع معظم ركاب السفينة على ظهرها يتمتعون بمنظر عروس البوسفور وعاصمة السلاطين وقد شغلوا بهذا المنظر عن كل شيء آخر . ومما يجدر ذكره اننا كنا كلما اقتربنا من استانبول ازداد منظرها جمالا .

كنا نرى الى يميننا الجانب الأسيوى حيث تقع مدينة اسكدار والى يسارنا استانبول وبجانبها « القرن الذهبي » وعليه قنطرة اسمها قنطرة غلطا تصل بين استانبول القديمة وحيها الاوروبى الحديث الذى يطلقون عليه اسم بيرا

ورست الباخرة عند مدخل القرن الذهبي وغادرناها سراعا لكى نرى تلك المدينة التى أسرنا جمالها عن بعد . . . وقد زرنا بعض الجوامع الشهيرة كالجامع الأزرق أو جامع السلطان احمد وله ست مآذن دقيقة وهو من أجمل جوامع أستانبول ثم انتقلنا بعد ذلك الى أيا صوفيا الذى حول الى متحف فى المدة الاخيرة . ولعلك تعرف من تاريخه أنه كان كنيسة فى مبدأ الامر ثم تحول الى جامع ولكن الصليب لا يزال يظهر على كثير من جدرانه . وقد أمر كمال أتاتورك رئيس الجمهورية التركية فى المدة الاخيرة بأظهار النقوش القديمة الاصلية التى كانت تغطى جدران أيا صوفيا والتى كانت مندثرة تحت طبقات من الطلاء . ولكنك اذا دخلت أيا صوفيا وجدت الآيات القرآنية لا تزال باقية على حالها وقد صيغت من الذهب الخالص .

وبعد أن تجولنا فى المدينة انتقلنا الى الحى الجديد بيرا Péra حيث قضينا السهرة نستمع الى غناء إحدى المطربات التركيات وكنا لا نفهم شيئا مما تقول ولكننا مع ذلك كنا مغتبطين به لأنه كان كثير الشبه بغناء بلادنا المحبوبة . . . كما كانت الموسيقى كثيرة الشبه بموسيقانا .

وعدنا الى الباخرة متأخرين فى ذلك المساء حيث نمنا بقية الليل واستيقظنا مبكرين فخرجنا منها وبدأنا اليوم بزيارة جامع جديد كبير هو جامع السلطان سليمان القانونى . وأتبعنا ذلك بزيارة السوق القومى ويطلقون عليه اسم « البازار » وهو كثير الشبه بخان الخليلى عندنا اذ تجد الازقة فيه ضيقة متعددة والحوانيت صغيرة متلاصقة ، وفيه يمكن أن يأخذ الزائر فكرة صحيحة عن تركيا القديمة .

اما تركيا الحديثة فمظهرها يلمسه الزائر فى الرجال والنساء وهم يسيرون بقبعاتهم وفى انعدام الحروف العربية انعداما باتا . . .

وعدنا قبل الظهر إلى الباخرة . . فما لبثت أن أقلعت بنا ظهرا وأخذت تتهادى فى القرن الذهبي وتستعد لدخول بوغاز البوسفور وكانت المناظر الطبيعية جميلة جدا فغادرنا جميعا مائدة الطعام قبل أن ننتهي منه وصعدنا بسرعة الى ظهر الباخرة فرأينا المرتفعات والمدرجات تكسوها الأشجار الخضراء أشجار الفاكهة والزيتون وقد ظهرت بينها بعض الدساكر (الفيلات) والمآذن العالية واستلفت نظرنا بنوع خاص قصر « ضولمه بغجة » المشهور مقر السلاطين فيما مضى . . . وكان البوسفور يضيق احيانا ويتسع أحيانا أخرى وفى الأماكن التي يضيق فيها توجد بعض القلاع . . .

وحوالى الساعة الثانية بعد الظهر شعرنا جميعا بالأسف العميق ونحن نخرج من البوسفور الجميل لندخل البحر الأسود ولا أحسب ان بيننا من يعتقد أن ماءه أسود اللون حقا . . ولكنه على العموم مضطرب المياه تجتازه العواصف وتظلله السحب القاتمة ومنها اكتسب اسمه ولكننا لحسن الحظ اجتزناه فى هدوء . . . وما لبث المساء أن أرخى سدوله فعدنا الى حجراتنا وآوي كل منا الى فراشه .

كانت الساعة الرابعة صباحا لما استيقظنا فى صباح اليوم التالى فعلمنا أن الباخرة قد رست فى محطتها النهائية : قسطنزا أو قسطنطة كما يسميها أهل رومانيا . قسطنزا ميناء صغير لطيف خفيف الدم وقد رأينا هناك بعض المساجد كما كان بعض الأهالى يلبسون الطرابيش وذلك من آثار الحكم التركى القديم الذى كان يمتد الى تلك الجهات فى وقت ما . وانتقلنا من قسطنزا بالقطار إلي إحدي ضواحيها واسمها إفوريا Eforia وهى أشبه بالرمل من الاسكندرية وهناك زرنا معسكر الـ O.N.E.F. أو (الأونيف) كما يقول الرومانيون . وأحب أن أذكر كلمة قصيرة عن الـ O.N.E.F وهى اختصار لكلمة الادارة الوطنية للتربية البدنية . هذه الادارة النافعة أشبه بوزارة فى رومانيا يرأسها جنرال فى الجيش برتبة وزير وهى تشرف على التربية البدنية والألعاب الرياضية إشرافا تاما كما أنها تقوم بأعداد مدرسى الألعاب ومدربيها فى معسكراتها المختلفة ولها فى الصيف هذا المعسكر الذى زرناه فى ايفوريا ضاحية قسطنزة . . أما فى الشتاء فلديها مراكزها الكبيرة وملاعبها فى العاصمة الرومانية . وفى هذا المعسكر الذي زرناه والذى يقوم على مقربة من البحر الأسود رأينا وسائل التدريب على جميع الألعاب الرياضية حتى الرماية ، كما وجدنا فيه حماما للسباحة أغرانا فى الحال بنقاء مائه وباتساع حجمه على الاشتراك مع المستحمين والمستحمات فى رياضتهم وأراد بعضنا بعد ذلك أن يخلد ذكرى زيارة رومانيا الجميلة بالاستحمام فى البحر الأسود فغادر الحمام إلى البحر نفسه حيث أتم الاستحمام .

غادرنا قسطنزة فى الساعة الثالثة بعد الظهر بوساطة القطار ميممين شطر بوخارست العاصمة

الرومانية فسار بنا فى سهول منبسطة عظيمة الاتساع زرع فى معظمها القمح والذرة وكنا نرى النساء يعملن الى جانب الرجال فى الحقول . ووصلنا الى العاصمة فى المساء وكان التعب قد حل بنا ففضلنا الراحة على كل شىء آخر . . . استعدادا للغد.

بوخارست مدينة عصرية جميلة ويسميها الرومانيون « بوكوريشتى » وهم يفخرون بها ويقولون إنها باريس الصغرى . . والحق أنها أعادت الى مخيلتى وأنا اختال فى طرقاتها لبلا ذكرى باريز العظيمة

وقد جلنا فى طرقاتها وزرنا متحفها وقبر الجندي المجهول فيها ثم خرجنا بعد الظهر الى ضواحيها بالسيارة حيث استمعنا إلى موسيقى الغجر Tsiganes وهى تبعث على التأثير لرقتها وعذوبتها . وفى اليوم التالى وهو الثامن للرحلة ذهبنا فى زيارة لجبال الكربات مع أستاذ فى الجامعة الرومانية يتكلم الانجليزية بطلاقة فمررنا فى طريقنا بآبار البترول المشهورة فى تلك المنطقة واسمها كانبينا بلويشتى ثم بسنايا وهى بقعة مرتفعة تبعد عن بوخارست ساعات قليلة بالسيارة ويقوم عندها القصر الصيفى الملك كارول وقد قامت إلى جانبه بعض الفنادق الفخمه يؤمها الطبقة الغنية فى فصل الصيف . وقد سمح لنا بزيارة قصر الملك من الداخل فوجدناه فى غاية الجمال والفخامة ، ثم صعدنا بعد ذلك مسافة طويلة فى جبال الكربات حتى أخذنا نشعر بالبرد وقضينا ليلتنا فى « تيميشيلديسوس » بمعسكر جمعية الشبان المسيحية وكنا نرتجف بردا ولكنها كانت ليلة ظريفة على كل حال رغم شدة البرد ورغم نومنا على القش إذ أنها أعطتنا فكرة عن حياة الجبال . ولما استيقظنا فى الصباح كنا نرتجف فلم نجد علاجا غير الأشتراك فى الألعاب السويدية المتتابعة حتى ندفأ ، وغادرنا المعسكر حوالى الساعة التاسعة بالسيارات فى طريقنا إلى بوخارست فوصلناها حوالى الساعة الثانية بعد الظهر ، وأخذنا نستعد بعد ذلك للسفر إلى جورجو وهى قرية صغيرة واقعة فى جنوب بخارست ولا تبعد عنها باكثر من ساعتين ونصف ومنها يبدأ السفر بالسفن الكبيرة فى نهر دانوب .

« • »

وأقلعت بنا الباخرة من جورجو حوالى الساعة العاشرة مساء فكان ذلك أول عهدنا بالملاحة فى الدانوب العظيم . اننا نعرف أن الدانوب يفصل دولا عدة بعضها عن بعض فلما استيقظنا فى صباح اليوم التالى كانت الباخرة تختال بنا عرض النهر وكان شاطىء رومانيا يمتد عن يميننا وشاطى بلغاريا يمتد عن يسارنا

كانت المناظر الطبيعية على الشاطئين من أجمل ما رأت العين تبعث الأعصاب على الراحة وتهيب بالانسان أن يتأمل فيما أبدعته يد القدرة الالهية . كانت الأشجار اليانعة الخضراء تملأ الشاطئين على

أراض منحدرة متدرجة مقسمة فى زراعتها وخاصة على الشاطىء البلغاري وكنا نرى بعض المراعى ترتع فيها الماشية والأغنام كما كنا نتقابل فى عرض النهر بالبواخر وقوارب الصيد الكثيرة وكانت البواخر والسفن التجارية تقف عند المحاط لتفرغ البضائع او لتحملها ، وتتصل هذه المحاط النهرية مباشرة بالطرق الحديدية مما يدل على أن القوم عرفوا كيف يستفيدون من النهر فى نقل متاجرهم.

وبعد ظهر اليوم وقفت بنا الباخرة عند قرية بلغارية هى قرية « لوم » وقد أمكننا ان نغادر الباخرة وننزل اليها لنجوب أرجاءها ولكنها فى الواقع لم تكن تستحق عناء النزول فقد كانت طرقها قذرة وأهلها يبدو عليهم الفقر فرجعنا قبل أن نتوغل ولكننا لم نرفض أن نرجع بايد فارغة كما يقولون فاشترينا شيئا من الفاكهة وهى كثيرة رخيصة الثمن هناك .

فى صباح اليوم التالى . وكان الحادى عشر لرحلتنا ، كنا نسير الى جانب شواطىء يوغوسلافيا وقد أخذنا نستعد لرؤية الباب الحديدى المشهور فى ذلك الجزء ، وقد أخذت الباخرة تسير بنا فى أجزاء دقيقة من النهر تنحنى وتضيق بسرعة حتى كاد يخيل الينا أحيانا أن الباخرة قد ضلت طريقها وأنها وصلت إلى جزء مسدود فى النهر وعما قريب تصطدم بتلك الجبال الشاهقة التى كانت تقوم فى وجهنا وقد كست الأشجار سفوحها ... ولكنها سرعان ما كانت تنحنى هى الأخرى مع النهر قبل أن تدرك الجبال أو تلمسها ولتسهيل الملاحة هناك أو بالأحرى لجعلها ممكنة أنشأ القوم جسرا من الصخر القوى عند منتصف النهر وأحلوا الجزء الواقع بين هذا الجسر وبين شاطىء يوغوسلافيا من الصخور والجنادل التى كانت تعترض المجرى حتى صارت الملاحة فيه سهلة — وصار هذا الجسر دليلا يهدي السفن إلى المنطقة التى يجب أن تسلكها فى هذا الجزء من النهر إذ أنه إلى يسار الجسر ظلت الجنادل والموانع قائمة كما كانت .

الملاحة فى هذا الجزء من الدانوب شديدة الخطر إذ المنحنيات فيه كثيرة كما قلت والدوامات قوية والجنادل متعددة ولولا علامات خاصة أقيمت على أخشاب طافية على الماء لارشاد السفن لتعذر عليها اجتياز ذلك الجزء .

ولم تخرج السفينة من هذا الجزء إلا بعد سير ثمانى ساعات كاملة أخذ شاطئا النهر بعدها فى الانفراج وهكذا خلفنا الباب الحديدي بمناظره الساحرة الفاتنة التى لا تنسى ... وخلفنا ورائنا شواطىء رومانيا الجميلة التى أبت إلا أن تودعنا حتى هذا المكان مبالغة منها فى الكرم ... وطلب منا هنا أن نؤخر ساعاتنا ساعة كاملة حتى تتفق مع زمن وسط اوربا .

وفى مساء ذلك اليوم وصلنا إلى بلغراد عاصمة يوغوسلافيا ولكنها كانت أقل كرما من بلاد الدانوب الأخرى فلم يسمح لنا المسئولون بالنزول منها ولو لحظات بحجة أن جوازات سفرنا لا تحمل

تصريحا بذلك . فظللنا فى الباخرة أمامها ننظر إلي أنوارها المتلألئة وإلى أهلها بحسرة حتى قامت بنا الباخرة تشق طريقها فى الماء من جديد .

تمتد بلغراد أو بيوجراد كما يسميها أهلها مسافة طويلة على النهر . وقد وجدنا شيئا من العزاء فى البقاء على ظهر السفينة نتفرج على المدينة من بعد حتى تأخر الليل فأوينا إلى مخادعنا . وفى صباح اليوم التالي كنا لا نزال فى عرض الدانوب ولكننا كنا قد اجتزنا شواطىء يوغوسلافيا وبدأت سهول المجر تمتد على يميننا منبسطة زاهرة . وحوالى الساعة الثالثة بعد الظهر وصلنا إلى قرية مجرية اسمها موهاتشى مشهورة بحدوث إحدي وقائع الحرب العظمى عندها فوقفت السفينة ونزلنا منها نسير فى طرقاتها ونشترى بعض الصور وأخيرا عدنا فوجدنا الباخرة قد ذهبت لاحضار ما يلزمها من الفحم فبقينا فى مشرب قريب وحضر الينا بعض النور أو الغجر فأخذوا يسمعوننا أنغام موسيقاهم الشجية حتى عادت السفينة وحملتنا ثم استأنفت رحلتها .

* * *

فى فجر اليوم التالى ، وكان اليوم الخامس لملاحتنا فى النهر ، وصلنا الى بوادبست ، عروس الدانوب وأجمل المدن التى تقوم على شاطئيه بلا نزاع . ولما كان لا بد لنا من أن نبقى فى بودابست وقتا مناسبا حتى يمكن أن نراها كما يجب لذلك غادرنا الباخرة آسفين على أن نسافر الى فينا بالقطار

اذا دعيت بودابست ملكة الدانوب فهى تستحق هذا اللقب بحق فالدانوب يقسمها قسمين الأول بودا والثانى بست وبودا هى المدينة القديمة التى تضم القصر الملكى الكبير وكنيسة التتويج ودور الوزارات والمتحف الحربى وتتخللها الحدائق الزاهرة والعيون الطبيعية ، وقد كانت فيما مضى وهى تحت الحكم التركى تحوى ٤٠ مسجدا اندثرت اليوم وتحول معظمها إلى كنائس ومتاحف بل قيل لنا إن مسرح بودا كان فى الأصل مسجدا أما المدينة القائمة إلى اليمين فهى بست Pest المدينة العصرية الحديثة وأهم الدور الموجودة بها دار البرلمان المجرى وهى تعد من أفخم دور البرلمانات فى العالم أجمع والظاهر أنها أقيمت على ضفة الدانوب بمدينة Pest فى الجزء المقابل للمكان الذي يقوم فيه القصر الملكى بمدينة بودا ... لكى تكون دليلا على قوة البرلمان يذكر الملك دائما بأن الشعب هو مصدر السلطات .

ولعلنا تتساءل عن بودا وعن بست : إذا فكيف نعتبرها دائما مدينة واحدة ونقول إن عاصمة المجر هى بودابست . الواقع أنهما مدينة واحدة إذ تصل بينهما عدة قناطر جميلة تسير عليها وسائل النقل المختلفة فتحمل الناس بسرعة من بودا إلى بست وبالعكس وأفخم هذه القناطر كلها هى قنطرة اليصابات .

وقد زرنا بعد ظهر اليوم الأول لوجودنا فى بودابست جزيرة جميلة تقع فى شمال المدينة بين ضفتى النهر واسمها جزيرة سانتامرجريتا، وهى تتصل بالمدينة بوساطة قنطرة. وجزيرة سانتامارجريتا من أجمل المتنزهات التى وقع عليها نظرى فى العالم إذ هى عبارة عن مجموعة من الحدائق الملأى بالأزهار الجميلة ذات الألوان المختلفة وقد نسقت كلها فى نظام بديع . . . وقد أنشأوا بها بعض المشارب والحمامات ولكن ذلك لم يفقدها هدوءها وجوها الخيالى الممتع . وإلى هذه الجزيرة يهرع سكان بودابست بأطفالهم وأولادهم طول اليوم وقد فرضوا للدخول إليها رسما بسيطا .

وفى صباح اليوم الثانى زرنا بعض الحمامات المشهورة فى بودابست ثم زرنا القصر الملكى وهو كما قلت يشرف على النهر وفيه نحو ٨٦٠ غرفة تتجلى فى كل واحدة منها عظمة الفن. ثم زرنا كنيسة التتويج وقد دعيت كذلك لأن الامبراطور فرانسو جوزيف توج فيها .

وزرنا كذلك حصنا اسمه حصن صيادى السمك . خرجنا بعد ذلك إلى طرقات المدينة نجوبها فلم يستلفت النظر فيها غير كثرة الميادين والمتنزهات والقناطر المقامة فوق الدانوب لتصل بين المدينتين . وفى كل ميدان من الميادين تتعدد التماثيل الجميلة وقد يمكن أن ترى فى بعض الميادين تمثالا فى كل ركن من الأركان وقد أقيم بعض هذه التماثيل فوق المرتفعات والمدرجات

من حسن الحظ أن المجر كانت تحتفل بعيد وطنى من أعيادها هو عيد القديس اسطفان فى مدة إقامتنا بعاصمتها ولذا فقد لاحظنا أن بودابست قد امتلأت برجال ونساء من الفلاحين والفلاحات وفدوا عليها من الاقاليم للاشتراك فى هذا العيد وقد ارتدوا الملابس المزركشة ذات الالوان المتعددة فكان شكلهم غريبا ظريفا وقد كنا نقابل جموعا منهم ونحن نتفرج على أعلام بودابست يتفرجون مثلنا

وفى المساء ذهبنا إلى مسرح البلدية لنشهد قطعة مسرحية اسمها « باقة الورد » تمثل فى فترة هذا العيد فى كل عام بواسطة هؤلاء الفلاحين وهى أحسن أنموذج لغنائهم ورقصهم القومى وهما أشبه بالغناء والرقص الشرقى . وقد كان سرورنا بمشاهدة هذه القطعة عظيما إذ أنها كانت صورة للحياة المجرية القومية الوطنية وأصلها الشرقى وكان لابد أن نراها ما دمنا قد رأينا المجر الحديثة .

وفى صباح اليوم الثالث لوجودنا فى بودابست زرنا متحف الفن وبه مجموعة قيمة من الصور وأتبعنا ذلك بزيارة المتحف الزراعى ولا أريد الاطالة فى وصفه إذ فيه نحو ٢٥ قسما رئيسياً منها قسم الغلات والتربة وطرق الري والحرث والدواجن ... الخ ويكفى أن أذكر أنه أعظم متحف من نوعه فى العالم ، وأن المغفور له الملك فؤاد الاول زاره فى عام من الأعوام فأبدى إعجابه العظيم به وأمر بأن يكون لمصر ، وهى التى تعتمد على الزراعة اعتماداً كليا ، متحف مثله . فعلى نمط متحف

بودابست أعد متحف فؤاد الزراعى الذى أنفق عليه نحو مليون جنيه وأشرف إخصائيون من المجر أنفسهم على إعداده .

قبل أن أغادر بودابست فى طريقنا إلى فينا أريد أن أذكر كلمة عن بودابست فى الليل فأنت إذا أقبلت عليها من النهر وجدت الانوار تتلألأ فى مدرجاتها المرتفعة كأنها الزينات المضاءة فى حفلة العرس كما ترى القناطر تتلألأ بالأنوار . . هذا المنظر : منظر بودابست بالليل من نهر الدانوب من المناظر الخالدة التى لايمكن أن تمحى من ذهن زائر الدانوب

والآن الى فينا ... وهى المرحلة الأخيرة .

(٥)

المسافة بين بودابست وفينا بالقطار لاتزيد على أربع ساعات ونصف يمر المسافر فى خلالها بالمروج الخضراء والسهول المنبسطة ويرى الوديان والمراعى الملأى بالماشية والأغنام

فينا بلد من أجمل بلدان أوربا . . . وإذا سميت بوخارست باريس الصغرى ، وتميل عن بودابست أنها ملكة الدانوب فان فينا تحمل لقبا لايقل رفعة عن هذين اللقبين وهو : بلد الفن والموسيقى . ولقد مر وقت على فينا كانت فى أثنائه أولى البلدان الأوربية وأجملها فقد كانت حاضرة إمبراطورية عظيمة هى امبراطورية النمسا والمجر ، ولكن النمسا بعد الحرب العظمى أصبحت فى حالة يرثى لها إذ انتزعت منها أملاكها وقامت على أنقاضها دول جديدة ولذلك فهى تعانى اليوم شر أنواع الفقر والبطالة مما جعلها مطمح أنظار الدول القوية ... وعدد سكانها اليوم لايزيد على مليون ينزل أكثر من نصفهم فى فينا فقط . ولكن فينا على الرغم من ذلك لم تفقد من روحها السابقة غير القليل ولولا العمال المتعطلون المتسكعون فى طرقاتها ولولا الذين يمدون أيديهم بالسؤال لقلنا إن فينا الحالية هى فينا قبل الحرب تماما

شارع « الرنج » فى فينا أو الرنج ستراس كما يسمونه من أفسح الطرق أو المتنزهات فى العالم كله ، وقد لايعدله إلا الشانزليزيه فى باريز وهو يحيط بالمدينة القديمة ويضم بينه الحدائق الجميلة والتماثيل البديعة لزعماء الموسيقيين الذين عشقوا فينا وتشرف على هذا الطريق دار البرلمان النمسوى .

زرت فى أثناء وجودى فى فينا القصر الامبراطوري العظيم وهو يقع فى قلب المدينة ، كما أنه ملىء بانواع الذخائر الفنية الثمينة من صور وأثاث وطنافس . وقد كان هذا القصر حتى سنوات قليلة مقر الامبراطور فرانسوا جوزيف الذى توفى اثناء الحرب العظمى وفيه نحو الف غرفة . . بينها الغرف التى كان لا يزال ينزل بها نابليون بونابرت مع زوجه مارى لويز حين يزور حماه فرانسوا الاول

وزرت كذلك قصر شونبرون المشهور وهو بخلاف القصر الامبراطورى يقع فى خارج المدينة ويبعد عنها نحو ساعة بالسيارة وهو يعتبر من اجمل القصور الملكية فى العالم ولا عجب فقد كان مقر ماريا تريزا ، وحدائق هذا القصر لا تزال محتفظة بجمالها وزهورها ونافوراتها وبحيراتها مما يذكر الزائر بقصور فرساى الجميلة .. ولكى تكون لديكم فكرة عن القصر أذكر أن نقوش الحجرات كلها كانت مكسوة بالذهب الخالص حتى تكاد تخطف الأبصار ، وبه فوق هذا غرفة اسمها « غرفة المليون » وقد سميت كذلك لأن نفقات تزيين جدرانها بالذهب — وهى حجرة واحدة بلغت المليون ريال أى نحو ٢٠٠ ألف جنيه . والمطابخ فى قصر شونبرون كانت تشغل وحدها ١٤٠ غرفة .

وبعد زيارة القصرين ذهبت مع بعض الأصدقاء إلى حيث نشهد صورة جديدة لفينا . . . هى فينا الضاحكة المرحة وهذه هى فينا التى تمثل خلق الشعب النمسوى حقا . . . وقد رأينا فيما هذه فى حى براتر Prater . . . والذين زاروا مدينة الملاهى التى أقيمت فى مصر أثناء المعرض الزراعى الصناعى الاخير — وأظن أنكم جميعا قد سارعتم اليها مرات — يكونون فكرة عن Prater ولكن يجب أن نعلم أن Prater أكبر حجما من مدينة الملاهى بعشر مرات على الأقل ولعله أكبر ملهى من نوعه فى العالم . . وقد راقنى ان أشهد فيه بنوع خاص مستعمرة الأقزام فقد كانت فريدة فى بابها حقا . . . كما أننى لا أخفى أننى لم أترك لعبة فى تلك الليلة لم أشترك فيها حتى شعرت أننى قد عدت إلى الوراء ١٥ عاما على الأقل !

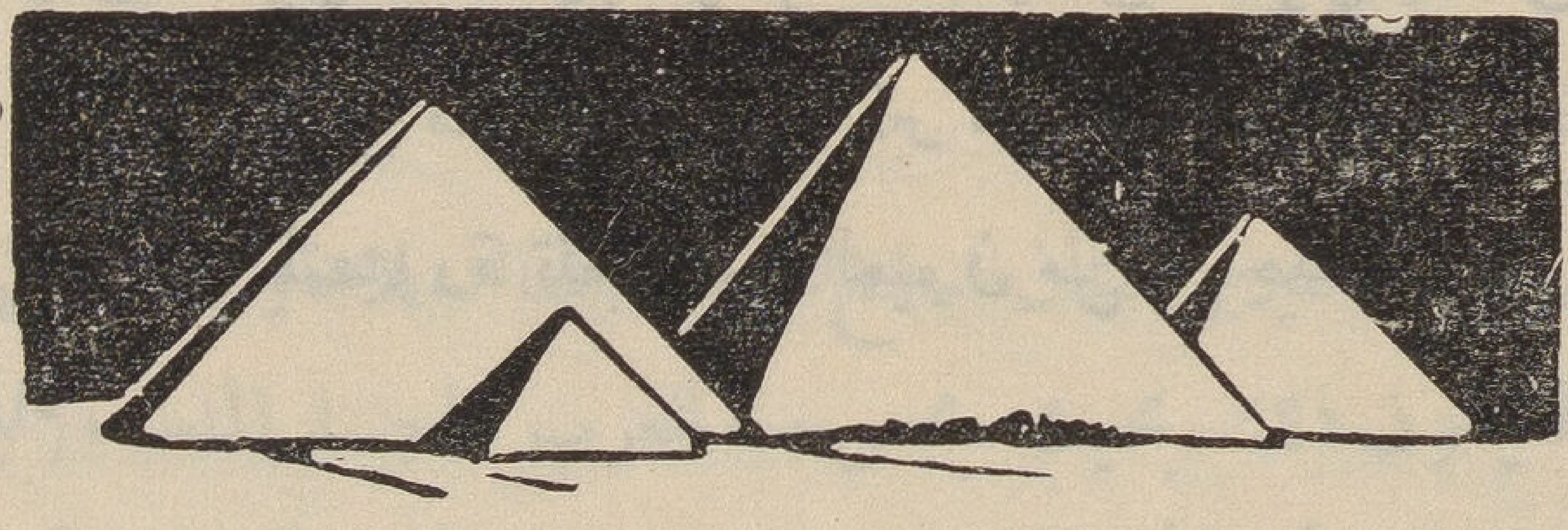
(٢)

من أعجب المشاهد التى رأيتها فى فينا مناظر البحيرات الداخلية فقد زرنا منجما اسمه منجم See Grotte ، وهبطنا إلى المنجم أو المغارة فى طريق صخرى أشبه بمدخل الهرم . وقد انخفضنا فى داخل الأرض نحو ٢٥٠ مترا حتى أخذنا نحس بالبرودة والرطوبة وأخيرا وجدنا أنفسنا أمام بحيرة كبيرة تحت الأرض فكانت مفاجأة غريبة ، ونظرا للظلام فقد وضعت بعض المصابيح الكهربائية لكى تضىء المكان . وقد وجدنا هناك قاربا حملنا مع الدليل نجوب أنحاء البحيرة .

حول فينا بعض الضواحى الجميلة أخص منها بالذكر كوبنزل Kobenzl وهى بقعة أعلى من فينا بنحو ١٢٠٠ قدم وتبعد عنها بنحو ساعة فى السيارة . ومن كوبنزل تظهر فينا الجميلة ممتدة معرضة أمام الأنظار .

وآخر بقعة زرتها فى النمسا سمرنج وهى تبعد عن فينا بساعتين ونصف ساعة فى السيارة وعند ما يبدأ

النفق الذى يؤدى إلى ايطاليا والذى يخترق جبال الألب الشرقية ... وتمتاز بارتفاعها الذى لا يقل عن ١٠٠٠ متر . وطريق السيارات فى الجبل معبد يصعد بالسائح تدريجا دون أن يشعر حتى ينتهى الأمر بأن يجد نفسه على القمة ، وقد أقيمت هناك الفنادق والملاعب وأحواض السباحة الجميلة ويحتاج المرء إلى قلم الشاعر وخياله ووحيه لو شاء أن يصف المنظر الذي يراه من سمرنج فالبصر لا يقع إلا على غابات متصلة والنباتات والازهار تنمو فى وسط الصخور وجداول المياه تنساب إلى الاودية فى خرير ناعم وكأنها تسبح بحمد الله الذي خلق فأبدع !



بلادنا بين بلاد العالم

للاستاذ رمسيس شحاته

بلاد العالم فريقان فريق الشرق القديم المتوغل فى القدم والعريق فى المجد التاريخى التالد وبلاد الغرب الناهض الجديد الذى ينبض بالحياة والنشاط والقوة

ومصر فى مفترق الطرق بين هذه البلاد جميعا . لاشك أن مصر من بلاد الشرق وهى أقدم تلك البلاد قاطبة واكثرها توغلا فى التاريخ وأشدها صلة به ولكنها مع ذلك أقرب بلاد الشرق الحاضر الى الغرب والأخذ بأساليبه واصطناع حضارته

لمصر مركز ممتاز فى الخافقين فهى للغرب تلك المناره التى إستضاء بضوئها وأخذ عن حضارتها ونقل عنها المدنية والعلم والعمران وهى ذلك القطر الذى كافح طويلا وجالد كثيراً حتى أغتصب من براثن الأستعمار حريته وخلص من مخالب المغتصب بلاده وهى على ذلك سلسلة من الكفاح والنضال يتصل تاريخها القديم ومجدها التالد بحاضرها ومستقبلها القوى الزاهر

ولمصر مركز ممتاز فى الشرق أيضا هى مركز الحضارة فى الشرق الأدنى ورأس الأمم المتكلمة باللغة العربية يحتذي بها وينسج على منوالها وهى اكبر هذه الأمم عددا وأغناها وأكثرها علما وتقدما وعمرانا وهى الزعيمة المنصورة تتجه اليها العيون من كل حدب وصوب واضعة فيها الآمال الجسام والامانى العظام

وقد دفع هذا الموقف المفكرين الى التاؤل إلى اى الناحيتين نتجه الى الشرق القريب لنتلقى منه التأييد والعطف والتشجيع أم إلى الغرب نتلقى منه الدروس وننقل عنه المدنية والعمران والصناعة والعلوم . وتضاربت الآراء فنادى رجال التجديد بضرورة الانسلاخ عن الشرق انسلاخا تاما والاقبال نحو الغرب بكل قوانا وتوجيه كل جهودنا إلى إقتفاء أثره والسير على منواله ومثاله ودعا رجال العروبة إلى نبذ الغرب كلية والاقبال على الشرق وإحياء آدابه ومدنيته وبعثها من جديد . ونشأت من تلك الدعوة فكرة الوحدة العربية واثمرت جهودها بما نراه من أقبال الحكومة على أحياء الأدب العربى ثم الفن العربى وخصوصاً موسيقى العربية ونشأ عن ذلك تلك الحمى الحادة التى أصابت مرافقنا العامة . وفشت موجه التعصب للتقاليد العربية والتحزب لكل ما هو عربى شرقى

وقد اغضبت دعوة كل من الفريقين الفريق الآخر فرأينا تلك الحمى تمتد إلى مسألة فرعونيتنا أو عربيتنا وتناحر الكتاب فيما بينهم . فريق يدعى أننا عرب وفريق يؤكد اننا فراعنه وجعل كل يدلى بحججه واسانيده ومهما كان من شأن هذه الزوبعه فى فنجان كما يسمونها فانها تضع ايدينا على مقدار اختمار فكرة العروبة فى الرءوس ولا شك أن بعض الملابسات والظروف ورغبه بعض الجهات الخاصة بالظهور بمظهر المحافظين على التقاليد الشرقية العربية كانت البواعث الأهم فى انتشار تلك الفكرة .

ونحن الآن نعيد التساؤل من جديد . هل نتجه إلى الغرب أم نتجه إلى الشرق ؟ وكيف نتجه إلى أيهما؟ ايدفعنا الاتجاه نحو الغرب إلى كراهية الشرق ومقته وإزدرائه او يدفعنا الاتجاه نحو الشرق إلى التعصب ضد الغرب الاندفاع والاستسلام إلى النعرات العربية الحادة مثلا؟

ولا يخفى علينا ما فى الأمر الأول من خطر وما ينطوى عليه من خطأ فاحش لا يؤدى بنا إلا إلى خلق عداوات لا مبرر لها وخصوم نحن فى أشد الحاجة إلى معونتهم وتعضيدهم . وقد يؤدي بنا إلى فقدان الكرامة الوطنية ولو إلى حد ما كما قد يورطنا فى أمور لا تتفق وطبائعنا ومزاجنا القومى بل وتلويننا الذاتى .

ولا يخفى علينا ما فى الأمر الثانى من شر عظيم وما قد يجلبه علينا التعصب من اثارة الأحقاد والضغائن او دعوة دول الغرب إلى الاتحاد والتكاتف للقضاء علينا فيما نحن فى غنى عنه ومما لا قبل لنا عليه

إذا كان من المستحب لدى الكثيرين منا أن ننسلخ عن شرقيتنا انسلاخا وأن نقبل على الغرب بكل قوانا فانه من المستحب أيضا أن لا يكون ذلك بحيث يحس منا الغرب حاجتنا الماسة اليه لانه ماكر غادر سوف لا يتأخر عن استغلال هذه الحاجة لتحقيق مطامعه وغاياته الشخصية

انه وإن كان من المستحب لدى الكثيرين منا أن نقبل على الشرق نعززه ونكرمه ونبجله فيجب أيضا أن لا يدعونا ذلك إلى نسيان انفسنا وانشغالنا بتلك الخيالات التقليدية الواهية أو تلك الاحلام العربية والامانى الامبراطورية البعيدة عن حاجتنا وأمورنا الحيوية الهامة وهى كثيرة متعددة تحتاج الى عناية دائمة والتفات مستمر . لا يجب أن يدفعنا الاتجاه نحو الشرق الى التورط فى مشاكله الخاصة بحيث تلهينا هذه المشاكل عن مشاكلنا نحن .

ويرى القارىء فيما تقدم أن الاختيار صعب وأن تقرير رأى فيه ليس بالسهولة التى يتصورها الكثيرون خصوصاً واننا عرضة لأن نحاسب أشد الحساب على أقل هفوة أو أقل بادرة تبدر منا فى هذه الناحية . ولذلك جدير بنا أن نتأمل جيداً تلك المشكلة الجديدة وجدير بنا أن نضع نصب

أعيننا أن ليس فى شئون العالم قاطبة مايستحق أن يلهينا عن بلادنا ومشاكلها وحاجاتها كما أنه من الحماقة أن نتعمد الاساءة إلى قوم ليست بيننا وبينهم أي عداوة ما بل على العكس تربطنا بهم روابط جمة لها أهميتها .

إن الشرق متعدد المشاكل ومن هذه المشاكل مايتعلق بنا ومنها مالايتعلق بنا وما لاصلة لنا به ومن الحكمة أن لايدفعنا العطف على الشرق وماله فى قلوبنا من مكانه ومانحبوه به من رعاية إلى التورط فى مشاكله الخاصة . هاهى فلسطين تطارد اليهود وهاهى تقاوم الانجليز وقد تنقلب هذه الثورة الى حرب شديدة لايعلم إلا الله مداها ونتائجها فهل يجوز لنا أن نتدخل فى أمر كهذا بحجة أننا زعماء الشرق حتى ولو تورطنا فيه ؟ إن المصلحة العامة التى يجب أن تكون دستوراً ورائداً لكل أعمالنا تحتم علينا أن لانتدخل فى أمر كهذا إلا عند مايعود علينا ضرر من تغلغل السلطان اليهودى فى هذه البلاد . وذلك لأسباب أولها تجنب الدخول فى منازعات لاتتصل بنا ثم محافظة على شعور الدول الاخرى ذات المصلحة فى تلك البلاد . وقد تنشب الحرب من جديد بين الطليان والحبش فهل يدعونا ذلك إلى مقاطعة الطليان من جديد مع العلم بانهم من عملائنا الكبار فى التجارة ، ان المصلحة العامة تقضى بأن لايكون تدخلنا إلا محافظة على مصلحة البلاد فيجب أن يعلم كل من الحبش والطليان أننا نعنى أولا بحقوقنا وأننا على استعداد للذود عنها أما فيما عدا ذلك فنحن على الحياد . وهكذا فى مختلف الامور الاخرى

ولايخفى على القارىء اننى أقصد بذلك أن يصد كل طلبات البلاد الشرقية فى المساعدة أو ان نعاملهم معاملة تدل على الجفاء وتخلو من العطف وحسن الجيرة وتبادل الشعور الطيب فان ذلك مدعاة لخيبة آمالهم فينا ولكنى ادعو الى الحذر من التورط فى المشاكل الداخلية لتلك البلاد والاستسلام لعواطفنا فى علاقاتنا بهذه الاقطار الشقيقة .

لاشك أن التعاون مع هذه البلاد قد يعود على مصر بأكبر الربح وقد تغتنم منه البلاد غنما كبيرا ولكن لمثل هذا التعاون حدودا يجب أن توضح وأن تبحث من قبل على ضوء المبدأ المتقدم وهو مبدأ تفضيل المصلحة العامة والعمل بدستورها لا الجري وراء النزعات أو الاستسلام إلى العواطف . ولايضيرنا أن تعلم هذه البلاد أن هذه هى سياستنا فان حسن المجاورة والعمل لمصلحة هذه البلاد مادام ذلك لايتعارض ومصلحة بلادنا لابد وأن يقابل منها بالتقدير الكافى .

إن فى استطاعتنا استغلال رابطة اللغة أولا ثم رابطة الدين ثانية فى تقوية مركزنا بالنسبة لهذه البلاد أولا ثم مركزنا العام ثانية .

ليس يضيرنا أن يتكون الحلف العربى ونشترك نحن فيه على ان لايثير ذلك مخاوف وشكوك

البلاد الاخرى فلا شك أن فى الاتحاد قوة ولاشك أن فى كل من سوريا وفلسطين والعراق وتركيا وفارس من ناحية ثم طرابلس والجزائر ومراكش وتونس من ناحية اخرى اسواقا مفتوحة لمنتجاتنا أولا ثم أعوان لنا ثانية

إن هذه الناحية لم تستغل بعد وفى استطاعتنا أن نستفيد من الدعاية فى هذه البلاد اكبر الفائدة فعلينا أن نفكر فى ذلك من الآن على ان نحذر أشد الحذر من أن يثير هذا العمل أحقاد الغرب وشكوكه خصوصا وأن مصالح بلاد الغرب فى بعض تلك البلاد معروفة ومتعددة

كل دول العالم الان تسعى سعياً حقيقا متواصلا فى اكتساب الحلفاء وهى تكاد تتقابل فيما بينها لذلك فلماذا لا نستفيد نحن من المركز الممتاز الذى نتمتع به فى تلك البلاد الواسعة الممتدة؟ أن رعاية حسن الجوار والمحافظة على شعور الوطنيين فى هذه البلاد بالحد الذي تسمح به الكياسة السياسية الدولية ليس كسبا معنويا لنا فحسب بل ربما كان الخطوة الاولى نحو حياة أسعد وعصر ازهى وربما كان الحجر الاول فى بناء مجد الوطن واستعادة سالف عزه وقوته

أما من حيث علاقتنا بالغرب فيجب ان نكون على اشد ما يكون من الحذر ايضا

يجب ان لا ننخدع بمظاهره فقد يدس لنا السم فى الدسم ويجب أن نعلم حق العلم ان بين بلاده اكثر من واحده تود من الصميم لو اتاحت لها الظروف القضاء علينا بل هى تتحفز لذلك فى كل وقت . وقد عودنا ذلك منه وليست موقعة نافارين ببعيدة عنا والعظة التى نستطيع ان نستخلصها منها بالغة . يجب ان لا تكون هناك نافارين ثانية . ونحن نستطيع ان نمنع تكرر مثل هذه المآسى لو اننا اتبعنا سياسة حازمة فى شئوننا ولم نفرط فى حقوقنا لاحد أياكانت قوته

هذا ولا يجب ان يكون اتجاهنا الى الغرب اتجاه السائل المحتاج يستجدى العطاء ولكن اتجاه من يستوفى دينا له على تلك الدول . لقد علمت مصر العالم بأسره الحضارة ولقنته اصول المدنية والعلم فلما دار الزمن دورته أفلتت هذه الكنوز بجملتها من يدها وهى اذ تبحث عنها فى العالم انما تبحث عن متاع لها فقدته بمرور الزمن . أما أن نتجه الى الغرب اتجاه السائل المستجدى فان ذلك فضلا عن كونه معره ومذلة لنا فانه داع لشح الغرب ومنه

يجب ان يعلم الغرب أننا لا نقتفى اثره فى كل شئونه مقلدين له حتى فى اخطائه وزلاته بل يجب ان يعلم أننا نبحث عنده عن حاجيات لنا سبق ان سلمناها له ونحن نتخيرها من بين ما يملكه فليس فى ذلك حط لكرامتنا ورد لعزتنا القومية فحسب بل احتماء لنا من الوقوع فى اخطاء الغرب والزلل فى هفواته ومزلاته

جدير بنا بعد ذلك ان لا نتعمد اثارة احقاده الكامنة والمس بكرامته او الحط من قيمته فان

فى ذلك مدعاة ومجلبة لمشا كل نحن احوج الناس الى تلافيها كما أنه قد يكون سلما الى غرور نابانفسنا مما لا يستقيم ومصلحتنا القومية العامة

هذا هو الشرق وذلك هو الغرب ولو تأملنا مجمل ما يجب ان تكون عليه سياستنا من معاملة أيهما لرأينا انها تتلخص فى الدستور الاتى

الاعتدال هو رأس النجاح وضمان الخير بينما المبالغة والشطط مطية الزلل والخطأ وآفة الرأي التعصب

اما الحذر فوسيلة النجاة مما فى العالم من شرور واحقاد وأضغان بينما التورط والاندفاع مجلبة للهموم والمنازعات والبلايا

واليقظة هى آية النشاط ودليل الحكمة والكياسة وسبيل الانتقال من نصر الى نصر ومن فوز الى فوز ومن مجد الى مجد فوق انها سلاح ماض فى دفع كل شر طارىء عاجل

يجب ان يكون دستور سياستنا على الامم قاطبة مبنيا على الاعتدال واليقظة بعيدا عن التعصب والمبالغة او التورط والانخداع او التفريط والتسليم

يجب ان يحبنا الشرق، وان يهابنا الغرب وان يحترمنا وبذلك، نستطيع ان نعيش فى سلام وأن نهيىء لانفسنا طريق الحياة الجديدة مستعيدين ما فات لنا من مجد وعظمة تالدة

رمسيس شحاته

مسألة اللغة العالمية

للاستاذ نقولا يوسف

تاجور — .. والان هل تعتقد ان هناك ميلا الى ايجاد لغة واحدة للانسانية

ولز — ستفرض هذه اللغة على الانسانية يوما ما ، ان الحاجة الملحة هى التى ستضطرنا الى ايجاد لغة عالية ..

تاجور — اوافق على ما تذهب اليه ..

(*)

وما يذهب اليه الاديبان الكبيران فى النبذة السابقة المقتطفة من حديث دار مرة بينهما يعتقد به ايضا مفكرو هذا العصر الذين يعالجون هموم الانسانية ويستقبلها بروح متحررة من انواع التعصب ، ذلك لان الحاجة اليوم الى لغة يفهمها جميع الامم أمست اشد مما كانت عليه فى العصور السالفة

فان على هذا الكوكب الارضى الصغير شعوبا مشتتة يبلغ عدد أفرادها نحو الفى مليون نسمة تتكلم بلغات ولغيات تزيد على الالفين وقيل تبلغ الثلاثة الاف . اعنى ان لكل مليون نسمة فى المتوسط لغة خاصة بها على وجه التقريب وهذا المليون كما نعرف أقل بكثير من سكان القاهرة .

وفى احصاء ذكرته الصحف مرة أن عدد لغات العالم ٢٧٩٦ لغة منها ٦٩٠ لغة مهمة . وفى اوربا من هذا المهم ٤٨ لغة وباسيا ٢٥٣ وبافريقيا ١١٨ وفى الامريكتين ٤٢٤ وفى أوقيانيا ١١٧ لغة ..

وفى اوربا التى توازى مساحتها مساحة الصين نحو ١٢٠ لغة ولغية ، بل انهم يعدون للهند وحدها ٢٤٠ لسانا و ٣٠٠ عجمة اهمها ثلاثين لغة يشتق منها نحو عشرين لهجة ، وقد يكون الفرق بين بعض هذه اللغات والبعض الاخر كالفرق بين العربية والفرنسية .

وقد مات عدد من اللغات فى مر القرون ولكن الناس على الرغم من هذه الكثرة الهائلة للغات الموجودة اليوم ما زالوا يحاولون احيائها . فاللغتين اللاتينية والاغريقية القديمة ما زالتا

تدرسان فى معاهد العلم باوربا لما تشتملان عليه من مخلفات أدبية هامة وكان الواجب أن يقتصر على دراسة مخلفاتهما مترجمة الى اللغات الحيـة وأن يختص الاثريون وحدهم فى دراستهما كما يحدث فى دراسة الهيرو غليفية والديموطيقية وغيرهما ... ثم ان اليهود يعملون اليوم على احياء اللغة العبرية فى حركتهم الصهيونية مع انها ماتت منـذ ازمان ، وكذلك الاتراك فى هذه السنين الاخيرة بدافع التطرف القومى على احياء الالفاظ التركية الدارسة وحذف الالفاظ العربية وغيرها منها. وكذلك يفعل المنادون بالعروبة على احياء الفاظ الجاهلية الميتة والنبش عنها فى الدواوين المهجورة

يحدث كل هذا كله بينما اللغة الانجليزية ترحب بكل لفظـة أجنبية جديدة شائعة تضيفها الى قاموسها فتزداد بهذه المرونة وبهذه الرحابة قوة واتساعا

وهذه الـكمية الهائلة من ثلاثة الاف لغة يتحدث بها سكان هذا الـكوكب الصغير الذى تطوف اليوم حوله الطائرة فى سبعة أيام ، هى من اكبر العقبات التى تعوق اتحاد الشعوب وتفاهمها والتقرب بينها فى سبيل مصلحتها الخاصة ومصلحة الانسانية العامة . ولو ان العلم وما أتى به من تقدم عظيم فى وسائل النقل قد جعل من العالم قرية كبرى ذات مصالح مشتبكة وسهل امر السياحة والتبادل التجارى والثقافى ، وجعل من ضرورات العصر الحاضر ايجاد لغة عالمية تفهمها كل الشعوب لتسهيل ذلك التفاهم وذلك التقارب . كما أنه أظهر جليا أن هذه الـكثرة الهائلة للغات اثر من اخطاء الماضى وان المتطور ان يقلل من هذه الـكمية بالتدريج حتى يتحقق حلم الانسانية بالاكتفاء بلغة واحدة لـكل كوكب مسكون

ولـكن الاتفاق على لغة عالمية يتعلمها ويتفاهم بها كل الشعوب ، لا يعنى اليوم استغناء تلك الشعوب عن لغاتها القومية لان كل امة على الارض حتى القبائل المتوحشة باستراليا وافريقيا تعتقد بقداسة لغتها وافضليتها على سائر اللغات

ولا سبيل الى اختزال هذا المقدار العظيم من اللغات الا بانقراضها تدريجيا بحكم بقاء الاصلح حتى لا يبقى فى الارض الا ما ينفع الناس

انما المفروض الان فى مسألة اللغة العالمية ان يتعلمها كل شعب الى جانب لغته الاصلية فتـكون حلقة الاتصال بين جميع الامم ..

« ٥ »

ان ما يخفف تعصب كل شعب للغتـه واعتقاده بتفوقها على سائر اللغات هو دراسة أصل اللغات وتطورها

والذى يراه علماء اللغات ان الانسان فى بدأ عهده كان ابكم يتفاهم بالاشارات اى اشارات اليد والرأس والفم وحركات اعضاء الجسم وذلك قبل ان ينطق باللسان .. وما زالت اللغة الاشارية منتشرة الى الآن بين القبائل الهمجية وبعض تلك القبائل يتوسع فيها حسب حاجته باستخدام النار والدخان والنقر على الطبل الصغير .. كما ان اللغة الاشارية ما زالت واسطة التفاهم بين الطير والحيوان

فالاشارة فى رأى علماء اللغات هى اقدم لغات البشر كما ان الرسم أقدم كتاباته

وكان الانسان الاول فى نفس الوقت يستطيع كما يستطيع سائر الحيوان والطير أن يخرج أصواتا مختلفة المعانى كصراخ الالم والفرح وغيره ، فالصوت سبق النطق ، والغناء سبق الكلام .

ويري السير رتشارد باجيت فى شرحه لهذه النظرية ،ن الانسان كان يلجأ الى محاكاة الحيوان والاشياء فى اصواتها وحركاتها للتعبير عنها . فاذا كان فى الظلام أو اذا كانت اليد مشغولة ولم يستطع التعبير بالاشارات لجأ الى اخراج اصوات تتشكل باختلاف حركات الفم واللسان ومن طبيعة الانسان ان يحرك لسانه وشفته اذا عمل شيئاً بيديه كما نشاهد ذلك فى الاطفال حينما يتعلمون الكتابة ولتوضيح ذلك يقول ان الانسان القديم كان يعبر مثلا من الارتفاع برفع اليد فاذا كانت يده مشغولة عبر عن ذلك برفع شفته السفلى فاذا كان فى الظلام رفع شفته السفلى وأخرج صوتا هو الكلمة المعبرة عن معنى الارتفاع .. وهكذا

وعلماء الفيلولوجية ، أي مقارنة اللغات ، يستدلون اليوم على منشأ اللغات بدراسة لغات القبائل الوطنية باستراليا وكذلك بدراسة اصطلاحات القرود وأصوات الأطفال البشريين

وهكذا تكونت الألفاظ الضرورية عند كل قبيلة وشعب ، وكان لاختلاف التعبير عن المعانى لدى كل قبيلة أن اختلفت الألفاظ . ثم أخذت الالفاظ تكثر وتكون لغات على مر العصور ولكثرة الحاجات واتساع مرافق العيش . ثم كانت الهجرة وحدثت الغزوات فامتزجت اللغات واشتق بعضها من البعض الآخر ...

فاللغة السريانية مشتقة من الكلدانية وهذه مشتقة من الارامية أو البابلية ، واللغة العربية كما يقول العالم احمد كمال باشا مشتقة من اللغة المصرية القديمة .. واللغة المصرية كان لها أثر ما زال باقيا فى لغات العالم .. وقد اشتقت الايطالية عن اللاتينية .. أما اللغة الفرنسية فهى اللغة اللاتينية التى نقلتها أمة الغال وحورتها .. واللغة الهندستانية هى مزيج من الفارسية والعربية والهندية القديمة .. وهكذا

أعنى أن اللغات كلها تعود إلى أصل واحد .. وانها ذات قرابة ونسب .. ولا توجد لغة يمكن أن يقال فيها أنها مستقلة بذاتها منذ الابد وعلى ذلك فليس هناك لغة تنفرد بالقداسة والاستقلال ..

وأن كل لغة مازالت إلى اليوم خاضعة لمؤثرات اللغات الاخرى .. وأن هناك لغات عديدة انقرضت وقام على انقاضها لغات جديدة .. وأن اللغات قد ظهرت لتسد حاجة الانسان فى التعبير عن أفكاره والتفاهم مع غيره وكل لغة تسد هذه الحاجة تكفى الانسان فى حياته .. وأهل الارض كلهم سيكفيهم لغة واحدة فى المستقبل الذى لا يعرض متى يكون ..

أما حاجة البشر الى لغة دولية يفهمها الجميع فقد بدت فى رؤوس عدد من المفكرين الراغبين فى الاصلاح ولكنها لم تبد ق قوتها كما بدت منذ القرن الماضى الى الان لازدياد الحاجة اليها بعد أن صغر العالم فى نظر التقدم العلمى ، وبعد ان اشتبكت مصالح الدول وسهل على هذه الارض بسهولة وسرعة .

ففى القرن التاسع عشر ابتكر احد ادباء الروس لغة سهلة اسماها «فولا بوك» لتكون المحاولة الاولى للغة العالمية .. فجاء طبيب روسى اسمه «زامنهوف» فدرس هذه اللغة المبتكرة ولاحظ فيها بعض النقائص فاستبدل بها لغة اخري اقتبس قواعدها من الفولا بوك وأذاعها عام ١٨٨١ باسم الاسبرانتو وجعلها من السهولة وقلة اصول المفردات بحيث يمكن لكل ملم باللغات الاوربية أن يتعلمها فى مدة وجيزة و يتخذها لغة محايدة تغنيه عن تعلم عديد اللغات ..

وكان ظهور الاسبرانتو باعثا لابتكار لغات أخرى على طريقتها تكون اكثر كمالا فظهرت لغة أسماها صاحبها « اديوم نوترال » أى اللغة المحايدة . ثم لغة اخري اخترعها الاستاذ جيسبرسون الدانمركى ودعاها « نوفال » وقد اشتقها من اللاتينية الانجليزية وأدخل فيها ألفاظا كثيرة سهلة من لغات اوربا ...

ولكن لم يعش من هذه اللغات المصطنعة غير الاسبرانتو التى انتشرت فى نصف قرن فقط انتشارا كبيرا وظهر لها أنصار متحمسون ترجموا اليها أهم أدبيات اللغات الاوربية وأنشأوا لها قاموسا كان يتألف فى الاصل من ٢٦٤٢ كلمة ووضعوا لها نحوا سهلا ثم أنشأوا بها بعض الصحف والمجلات وساعدتها بعض الحكومات على الانتشار مثل الحكومة الفرنسية .. ويعقد أنصار الاسبرانتو كل عام مؤتمرا فى بلاد مختلفة كان أحدثها المؤتمر الثامن والعشرين الذى عقد بفينا فى اغسطس ١٩٣٦ تحت رياسة شرف رئيس جمهورية النمسا وقد حضره عدد من عظماء النمسا ورجال حكومتها وكان به اكثر من الف مندوب يمثلون ٣٥ أمة وكان يمثل مصر الاستاذ نصيف محروس رئيس جماعة الاسبرانتين بمصر الذى رفع عند عودته تقريرا الى وزارة المعارف المصرية دعا فيها الى وجوب اشتراك الحكومة المصرية فى مؤتمر الاسبرانتو فى سبيل الدعاية لمصر على الاقل

وقد سبق ان عقد مؤتمر الاسبرنتو فى السنة التى قبلها بروما حيث حضره ١٤٥٠ مندوبا عن ٣٥ أمة وفى ١٩٣٤ عقد باستكهلم وقبلها بكولون وقلبها بباريس حيث حضره ٢٥٠٠٠ مندوبا ومع جمال هذه الفكرة وسموها أي فكرة الاسبرانتو الذي يرمز بها إلى اللغة العالمية المنشودة فان هناك عقبات كثيرة فى سبيل انتشارها وفى سبيل تحقيقها وأهم هذه العقبات هى :

١ — منافسة اللغات الاوربية العظمى لهذه اللغة وفى مقدمتها اللغة الانجليزية التى بدأت تتخذ مكانة اللغة العالمية المطلوبة ولا يمكن أن تقف الاسبرنتو فى وجهها

٢ — لم تلق الاسبرانتو الاقبال المنشود لدى الكثير من الامم ولم يرغب فيها غير أفراد قلائل من الهواة

٣ — فقر الاسبرانتو الادبى بالنظر إلى حداثة عهدها بينما هناك ثروة علمية وأدبية عظيمة فى بعض اللغات الحية

٤ — النعرة الوطنية الحادة فى هذا العصر مما يدفع كل أمة إلى تفضيل لغتها على سائر اللغات ورغبتها فى جعل لغتها القومية لغة عالمية دون غيرها ..

٥ — ان تقرير اللغة الدولية من أختصاص عصبة الامم ولا بد انها ستدرس هذا الموضوع يوماً ما وتضع القرار الذى تتقبله جميع الامم ، ويكون عمل العصبة هذا خطوة كبري فى سبيل السلام العام الذى تعمل اليه

٦ — ان عدد الذين يقبلون على تعلم الاسبرنتو فى نقص مستمر ولذا فهى فى حالة احتضار يضيع به كل أمل فى مستقبلها وتحقيق الغرض من وجودها

* * *

فاذا كانت الحال كذلك فلا بد أن نجيل النظر فى لغات الارض وعددها الذى يقرب من الثلاثة آلاف لنري أيتها أصلح لأن تكون اللغة العالية المنشودة . وهنا لا بد أن ننتقى أوسع لغات الارض انتشاراً لان فى هذه السعة بعض قوتها وصلاحيتها لان تكون اللغة الدولية ، وهنا نجد أمامنا أربع لغات ستفوز منها واحدة

١ — اللغة الصينية التى يتكلم بها أكثر من أربعمائة مليون من البشر هم خمس سكان العالم ، ولكن الواقع أن لغة الكتابة هى اللغة الواحدة عند جميع الصينيين لانها مثل اليابانية تصور الافكار أكثر مما تصور الحروف . أما لغة التخاطب فتختلف لهجاتها فى مختلف بقاع الصين . ويختلف نطق سكان الجبال عن نطق أهالى المدن ثم ان اللغة العامية مختلفة اللهجات إلى درجة يتعذر فهمها فى جهات مختلفة .. وفوق ذلك أن اللغة الصينية مازالت مجهولة لدى بقية الامم ومن الصعب بل

من المستحيل أن تصبح لغة عالمية

٢ — اللغة الانجليزية : وهى أوسع اللغات الاوربية أنتشارا

٣ — اللغة الفرنسية ويتحدث بها سكان فرنسا وجنوب بلجيكا وغرب سويسرا وبعض سكان كندا غير سكان المستعمرات الفرنسية وهم أكثر من ستين مليونا . وبالجملة فان من يتكلمون الفرنسية كلغة أصلية أو اضافية يزيد عددهم على مائتى مليون نفسا ..

٤ — اللغة الاسبانية: ويتحدث بها أهل أسبانيا وهى واسعة الانتشار فى الامريكتين لاسيما بامريكا الجنوبية ولكن لن يتاح لها الفوز لتأخر الاسبانيين فى الحركة العلمية والنشاط الادبى..

* * *

لم يبق أمامنا إلا الانجليزية والفرنسية الواسعتى الانتشار إلا أننا إذا قارنا هاتين اللغتين احداهما بالاخرى من وجوه عديدة فازت الانجليزيه . والذي يحملنا على الظن بأن اللغة الانجليزية هى اللغة الدولية المستقبلة الأسباب الآتية :

١ — هى لغة التفاهم فى الجزر البريطانية وعدد سكانها نحو خمسين مليونا وبامريكا الشمالية وهم نحو ٢٠٠.. مليون نفس ثم استراليا وزيلنده الجديدة . وجنوب افريقيا

٢ — أتساع الأملاك والمستعمرات البريطانية التى تشمل خمس مساحة الأرض وفى هذه المستعمرات يكثر الانجليز وتنتشر لغتهم حولهم . فان عدد أهالى الامبراطورية البريطانية يزيد على ٥٦٠ مليونا يضاف اليهم ٢٠٠ مليونا من سكان أمريكا ومجموع ذلك أكثر من ثلث سكان العالم.

٣ — ان الامريكيين يعملون على نشر هذه اللغة أكثر من الانجليز أنفسهم لاتساع تجارتهم وازدياد سكانهم .

٤ — أنها لغة التجارة أيضا فى الشرق الاقصى والهند ، وهى لغة التفاهم بين الهنود ، وهى اللغة الاوربية التى يدرسونها فى مدارسهم إلى جانب لغاتهم كما هو الحال بمصر والسودان والعراق وفلسطين. وعدد الهنود كما نعرف نحو ثلثمائة وخمسين مليونا يزداد من يعرف الانجليزية منهم سنة عن أخرى ..

٥ — هى اللغة المفضلة عند اليابانيين ، يتعلمونها الزاميا فى مدارسهم ويتحدثون بها فى مجتمعاتهم الى جانب لغتهم وفى بعض بلاد اليابان تصدر جرائد انجليزية مهمة . وهى أيضا لغة الزامية بالمانيا وغيرها من الامم الناهضة

٦ — ازدياد عدد الطلبة الذين ينزحون من جميع الامم إلى انجلترا والولايات المتحدة لطلب العلم فى جامعاتها ومدارسها والتخصص فى معاملها ومعاهدها

٧ — ازدياد عدد الكتب والمجلات والجرائد الانجليزية التى تطبع منها عشرات الملايين فى كل يوم وتوزع فى جميع أنحاء العالم

٨ — السينما الناطق ينطق معظمه بالانجليزية ، وأعظم الشركات السينمائية فى العالم هى الشركات الامريكية ولذا فهو وسيلة عظيمة لنشر هذه اللغة لا سيما بين محبى السينما الذين لن يفهموا الاحاديث أو يتمتعوا بالمناظر حتى يعرفوا الانجليزية..

٩ — انتشار موسيقى الجاز ولاغانى الانجليزية فى جميع أنحاء العالم حتى أنها وصلت الى زنوج افريقيا

١٠ — انتشار الالعاب الرياضية على اختلاف أنواعها . وكل اصطلاحات هذه الالعاب انجليزية تتناقلها الامم ولا تترجم ، كما نرى بمصر فى اصطلاحات كرة القدم والتنس وسائر الالعاب

١١ — انتشار الراديو اليوم بانجلترا وأميركا انتشاراً هائلا وهو يذيع الخطب والاقوال باللغة الانجليزية وتصل كلها إلى جميع انحاء العالم حيث انتشر الراديو فى كل مكان ..

١٢ — مرونة اللغة الانجليزية واقتباسها كل ما يروقها من الالفاظ الاجنبية مما جعلها متجددة الشباب آخذة فى الاتساع لا تعتمد على لغة أخرى فى تفهم الاساليب العلمية ..

١٣ — سهولة قواعدها التى يمكن للاجنبي أن يحذقها فى وقت قصير بالنسبة الى اللغات الاخرى وهم يدعون اليوم الى تبسيط الهجاء الانجليزى حتى يطابق السمع ولا يكون به شذوذ وكذا تبسيط القواعد اكثر مما هو

١٤ — ان اللغة الانجليزية هى اليوم لغة السياسة لاسيما ان الانجليز هم محور السياسة العالمية ولذا نرى جميع الحكام والساسة يتكلمون الانجليزية ونرى أنها اخذت تحل محل الفرنسية

١٥ — حب الاسفار والسياحة عند الانجليز والامريكيين وانتشار تجارهم فى جهات الارض كلها حتى تغلغلت بين القبائل الهمجية ..

هذه الاسباب تجعل اللغة الانجليزية اليوم فى مقدمة اللغات انتشارا وقوة وهى بذلك كما يرجح ستكون اللغة العالمية التى سوف يتعلمها كل انسان الى جانب لغته حتى يأتى اليوم الذي تقتصر فيه الانسانية المتحدة على لغة واحدة

الطالب والمدرسة والوطن

للدكتور وطسن مدير الجامعة الامريكية

تحت هذا العنوان ، وفى هذا الموضوع الفضفاض ، أريد أن ابحث فى ايجاز المرحلة الدقيقة التى تجتازها الامة المصرية اليوم ، ونصيب التربية من هذه المرحلة ، وبخاصة ما قد تستطيع الجامعة الامريكية أن تؤديه من الخدمات الجليلة ، المتشبعة بروح الصداقة والوداد فى هذا السبيل ، وان تلك هذه الخدمات متواضعة فى نوعها ، محصورة فى مداها

ولنستهل البحث أولا بقياس الحياة القومية الجديدة التى تمخضت عنها سيادة البلاد واستقلالها ولنتساءل عن الفروق الناجمة عن هذه الحياة الاستقلالية ، وما أصبح الآن بفضلها مستطاعا مما كان قبلها و بغيرها مستحيلا . و واضح ان هذا السؤال يمكن ان يكون أحد اثنين : أولهما ذلكم الذي لا يعنيه من هذه الحالة سوى اشباع ماربه الذاتية ، وما يجنيه هو فى هذا الموقف من النفع المادى ذلكم الذى لا يجول بخاطره سوى الوظائف التى تفتح ابوابها أمامه ، وما ينجم عنها من زيادة فى المرتب ونقص فى ساعات العمل . هذا هو الأنانى الذى يدور محور تفكيره حول هذا الهدف . ترى ما الذى يعود على انا من هذا الاستقلال ؟ واذا اتخذنا البلدان الاخرى مقياسا ، بما فى ذلك بلادنا — ولايات امريكا المتحدة — فان عدد الذين يقتحمون أبواب الحكومة لغنم ما يستطيعون من الغنائم ليس بالقليل ، وليس ثمة ما يصدهم عن اشباع مطامعهم الاشعبية سوى سخط الرأى العام

بيد أن هناك والحمد لله ذلك النوع الثانى من أبناء الامة ، الغيور على وطنه ، الذى يتجه تفكيره شطر طريق مباين للنوع الاول . ذلكم هو الرجل الذى يسائل نفسه . ما هى المسئوليات الجديدة التى تترتب على هذا الاستقلال ، . فأتحمل نتائجها ؟ وانى لى ان أقوم بنصيبي منها !

وللاجابة عن هذا السؤال بروح الاخلاص المنزه عن الغرض ، خليق بنا ان نحلل الموقف وان نبدى ما عن لنا من الملحوظات الآتية

يلوح لى بادىء ذي بدء أن فوز مصر باستقلالها التام لن يحدث فى نظام حكومتنا تغيرا يذكر وهذا أمر يظهر فى غاية الغرابة ، اذا وازنا بين مصر اليوم وولايات امريكا المتحدة فى بدء عهدها بالاستقلال ، كانت تلك البلاد فى ذلك الحين تتألف من ثلاث عشرة ولاية مستقلة بعضها عن بعض وكان عليها ايجاد حكومة مركزية تضمها جميعا تحت لواء واحد . ولكن عليها ان تضع دستورا

وتنشىء مجلسا نيابيا . وتنتخب رئيسا للجمهورية ، وتشيد قاعدة فى واشنطون ، وتؤلف وزارة وتنظم غير ذلك من المصالح المتشابكة التى تسير دفة الاعمال فى الحكومة الاتحادية الجديدة بيد أن مصر لحسن الحظ أسعد حالا ، وحالتها فى هذه الناحية اقل تعقدا ، ومهمتها أخف عبئا فهى تتمتع بدستور راسخ البنيان ، ولها مليك شاب يبشر عن طالعه بعمر مديد ، ولها مجلس نيابى قائم باعباء وظيفته خير قيام ، ولها وزارات حنكتها الايام وأكسبتها دراية وخبرة منذ عهد بعيد . وليس ثمة مما تحتاجه البلاد من الانظمه الجديدة ما يستحق الذكر ، وليس هناك مايدعو لاعادة التنسيق فى أى مرفق من هذه المرافق . وبلاد بلغت نظمها هذه المنزلة السامية ، تبشر بنجاح اكيد فى حياتها المستقلة الجديدة

ورغم ذلك فليس هناك من يستطيع اغفال الحقيقة الواقعة ، وهى أن هذا الاستقلال حادث تاريخى مشهور ، له اسمى منزله فى حياة الامة المصرية . وتظهر أهمية هذه الصفحة الجديدة فى تاريخ وادى النيل الخالد جلية للعيان ، اذا ما شبهنا مصر بشاب يغادر لاول مرة منزله واسرته وينزل فى ساحه العمل مغامرا طلبا للرزق ، وامامه شبح المسئولية ماثل ، فلا يفتأ مناجيا نفسه ! هل ترى يكون نصيبى الفشل أم النجاح ؟ غير ان ابتهاجه بحياته الجديدة وحماسته المتقدة لا تقلان عن خشيته من اعباء المسئولية ، ذلك لأنه بدأ يشعر حقا بأنه هو المسيطر على نفسه ، المالك لذاته . ولا يبرح هذا الشعور أن يقوى فى نفسه العزيمة الصادقة فيتقبل التضحية بصدر رحب املا فى النجاح مغامرا فى لجة هذه الحياة الجديدة التى أخذ يخوض غمارها

لقد عدت الى مصر منذ شهرين بعد غيبة قصيرة فى أميركا ، فأذهلنى مارأيت من دلائل الروح الجديدة منبثة فى طول البلاد وعرضها ، وعلى الاخص فى الناشئة . وأول ما شاهدته من هذه الروح كان فى طلبة هذا المعهد حيث سمعت جمعهم ينشد فى حماسة وقوة النشيد الوطنى ، وشهدت بعد ذلك فى دور السينما تصفيقاً حادا كلما خفق العلم المصري على ساريات المبانى والقصور . هذه وأمثالها تنبىء بالشعور القومى الذى يمكن تسخيره للعمل والخدمة الى درجة عظيمة المقدار

ولا مندوحة فى أن هذه الروح الجديدة التى تبلغ فيها الحماسة والوطنية مبلغها تفتقر الى التوجيه والارشاد . لقد سبقت الاشارة الى ذلك الشعور الانانى الذي يتخذ الاستقلال سلما يصعد به الى مآربة الذاتية . ولا يفوتنا ان ننوه كذلك بأن الوطنى الملتهب حماسة مع بعده عن الانانية ، وبراءة مقصده ، فى حاجة ملحة الى هذا التوجيه وذاك الارشاد ، والا استحالت وطنيته هتافات وخطبا جوفاء ومظاهرات بغير عمل ، وبدت فى ثوب قومى قشيب يبهر ظاهره الابصار ، وتجلت فيه مظاهر الابهة والعظمة والادعاء ، وقد تتخذ الروح العسكرية لوائح الفخامة لمجرد الزينة لا أداة

للذود عن حياض الوطن

على أن هذه الروح الجديدة يمكن توجيهها الى القيام بأجل الخدمات نحو الامة كمكافحة الامراض الفتاكة التى حدت برجال القرعة العسكرية فى سنة ١٩٣٤ - ٣٥ أن يرفضوا ٨٢ فى المائة من الذين تقدموا للفرز العسكرى ، وكتوافر الماء النقى فى كل قرية مصرية ، وانشاء المدارس القروية الكافية للقضاء على الامية فى المناطق الزراعية ، وتأسيس المصانع أنقاذاً للبلاد من خطر الشبان العاطلين الذين لا يستطيعون الكسب من الزراعة . وتطهير المدن من مهاوى الرذيلة ،وازدحام المنازل الحقيرة بساكنيها ، مع خلوها من الوسائل الصحية ، وانشاء الملاعب الفسيحة للاطفال والناشئين ، حتى يشب رجال الغد أصحاء بدنيا وخلقيا ، واخلاء الشوارع من المتسولين والاحداث الهمل ،وغرس المبادىء التى تعمل على تنمية روح التعاون والتفاهم وحسن النية بين الامم ولا يخفى ما ينبغى أن يكون لمصر فى هذا من النصيب الوافر نظرا لوقوعها جغرافيا على مفترق الطرق العالمية

كل هذا يحتاج الى توجيه وأرشاد وزعامة من الطراز الاول ، فى جميع مرافق الحياة القومية من اجتماعية ، واقتصاديه وقضائيه ، وتعليميه ، وسياسيه . ونظرا لاهمية هذه المرحلة الجديدة التى تقطعها مصر فى تاريخها الحديث ، فانها على استعداد تام أن توجه الهدف الى أسمى الاغراض وأعلى المثل ، طالما كان زعماؤها فى كافة المرافق الحيوية يتصفون بالنزاهة ، والبعد عن الغرض . وهنا تلعب المدرسة دورا خطيرا . وكيف يتسنى لنا أن نبحث عن زعماء الغد خارج دور التعليم أسمحوا لى أولا أن أشدد النبرة على الصفات التى يجب توافرها فى الزعامة ،ومنها تحكمون بأنفسكم على الاغراض التى نحاول بلوغها بما نزاوله من الاعمال فى هذه الجامعة

الصفة الاولى التى يجب توافرها فى الزعامة هى التماسك القومى وامتزاج الزعيم بالكتلة الوطنية لحما ودما . لان الزعيم على النقيض من « الدكتاتور » الذى لا يحتاج التعرف الى هذه الكتلة أو العطف عليها ، اذ انه لا يعير التفاته الى شعورها ، ولان همه منصب على تعلية ارادته على الشعب بغير أشفاق أو رحمة . وليس الزعيم الحق كذلك لانه يستوى مع الشعب ان لم يكن يحكم النسب فبالعاطفة والامانى . أضرب لذلك مثلا بصموئيل كومبرز الذى أصبح من أكبر زعماء العمال فى أميركا . كان ذلك الزعيم فى الاصل شغوفا بالموسيقى ، وكان يمكن أن يكون كوكبا لامعا من كواكب الاوبرا ، ولكنه رأى بعينيه العمال العاطلين يتضورون جوعا بسبب انشاء الآلات وسمع أحد عمال النسيج يهتف صارخا ! « رباه خذ حياتى بيدك ، زوجى وأولادى فى حاجة الى الخبز وأنا عاطل من العمل » فألقى الغناء والموسيقى جانبا ، ووقف نفسه على خدمة العمال والعمل بينهم

وهذا غاندى ، أتم دروسه الجامعية ، وكان من كبار رجال القانون ضليعا فى مهنته ، ولكنا نراه يزج بنفسه بين أفقر طبقات الهنود وبذلك مهد لذاته السبيل الى الزعامة الحقة للملايين من شعبه . ومما يؤسف له أن المدرسة كثيرا ماتعجز عن بث هذا النوع من الزعامة فى نفوس طلبتها وكثيراً ما تجد الطلبة يساورهم الغرور والزهو وغيرهما من الصفات التى تفقدهم شروط الزعامة ، وتعمى أبصارهم عن رؤية حاجات المجتمع ، ومطالب ابناء جلدتهم .

اننا فى هذا المعهد نعنى كل العناية بهذه الناحية ، ونحاول أن نخلق فى نفوس الطلبة روح العطف على الانسانية بفضل الرحلات والزيارات التى يقومون بها الى المستشفيات والملاجىء والقرى أو للاحياء المتواضعة فى المدينة والسجون والمصانع ، ومن أهم اغراض هذه الزيارات العطف على السواد الاعظم من ابناء الأمة ، وهو من اجل صفات الزعامة

ومن الصفات التى لا ريب فى وجوب توافرها فى الزعيم الذكاء . ولسنا نعنى هذه الصفة الالمام بما فى بطون الكتب من المعارف ، انما نعنى بها مجموعة الصفات اللازمه لحل المسائل العامه ، وتحليل المواقف وتقدير عواملها . فاذا ما خلت هذه الصفه من زعيم كان مثله مثل جاهل يقوده جاهل مثله . وهذا النوع من الذكاء يتضمن ضربا من حب الاستطلاع الصحيح

قيل عن المخترع الشهير توماس اديسيون انه ولد وعلامة الاستفهام تختلج على شفتيه . فقد كان منذ نعومة اظفاره يمطر والده وابلا من الاسئلة . وكلما قال والده لا ادرى اجابه الطفل اديسون . ولم لا تدرى ؟ وقد بلغت هذه الصفة فيه انه كان يختلف الى احوض السفن فيتدفق من فمه سيل الاسئلة حتى اقترح اولو الامر هناك ان يعين له موظف خاص للاجابة عن اسئلته انقاذا للموقف ، وتوفيرا لاوقات المهندسين والصناع

وكان العالم الطبيعى — اجسى — فى حب الاستطلاع تضرب به الامثال ، حتى ان حديقته ومنزله وحجرته الخاصة وجيوبه مكدسة بالعينات التى يراد فحصها . وحدث مرة انه كان يتناول العشاء مع عدد من ضيوفه ، فأثيرت مناقشة حادة حول الفرق بين نوعين من الضفادع ، فما كان منه الا أن مد يده الى جيبه وأخرج ضفدعا تعزيزا لرأيه ، فأدهش الحاضرين ولانعد حضرات والدى الطلبة وأولياء امورهم اننا نستطيع ان نبث فى الناشئين فى هذه الجامعة هذه الدرجة من حب الاستطلاع ، انما نعداننا نستطيع ان نوقظ فيهم شديد الرغبة والشغف بالعلم حتى تدفعهم هذه الرغبة الى تجاوز الكتب المدرسية ، وتغريهم بحب البحث والتنقيب فى بطون الاسفار فى

المكتبات العامة ، والتغلغل بعد ذلك فى عالم الحقيقة

والزعامة والطاقة صنوان لايفترقان . ومن الخطأ المشاع ان الناس يفكرون فى القوي الجثمانية كلما ذكروا كلمة طاقة ، فى حين ان هذا التعبير لاقيمة له ، اذا لم يكن منصبا على صفة من صفات العقل . وكانت هذه من ابرز الصفات التى اشتهر بها ابرهام لنكولن ، من رؤساء ولايات اميركا المتحدة . وقد قيل عنه وهو شاب انه توظف مساعدا لمهندس مساحة ، فسار على قدميه عشرين ميلا لدرس ماتتطلبه هذه الوظيفة . ولما ان وجد انه لم يدر شيئا فى عمله الجديد بعد هذا الجهد ، لم يثن ذلك من عزمه ، بل واصل ليله بنهاره ستة أسابيع حتى اشفق عليه جيرانه ، وحذروه من نتيجة هذا الاجهاد ، الذى ينذر حياته بالخطر . غير ان ذلك لم يردعه بل ظل مجاهدا حتى ملك ناصية عمله . وكذلك عندما عقد النية على الاشتغال بالمحاماة ، فانه أخذ ينقب فى اكداس من الاوراق عن نسخة قديمة الأثر ، مبعثرة الاوراق ، كانت تحوى مذكرات قانونية ذات شأن حتى عثر عليها ولم شعثها وانكب على قراءتها واستيعابها حتى ألم بما فيها رغم انه كان فى ذلك الحين يستعين على تكاليف الحياة من متجر يحتاج الى الكثير من وقته الذهبى

على ان السؤال الذي نتطلب جوابه — هل فى استطاعة المدرسة ان تربى هذه الصفة فى نفوس طلبتها ؟ واجابة عن هذا السؤال نعتقد ان هذا من المستطاع ، انلم يكن فى كل الاحوال ففى اكثرها . ولا نعتقد ان ذلك يتأتى بطريق حشو الذهن وكثرة الاستذكار ، وتكديس المعلومات ، ولكنه يأتى بطريق المناقشة ، وبخلق جو مدرسى تسود فيه اليقظة ، ويتوافر فيه النشاط العقلى ، ومصر المستقلة فى حاجة الى هذا النوع من الزعامة الذى يتوافر فيه معين لاينضب من هذه الطاقة ، التى يتطلبها هذا المنهاج من مرافق الاصلاح فى شتى النواحى

ومن اسمى صفات الزعامة سمو الخلق وهنا ننتقل من الكلام عن الصور الذهبية الى الصور الخلقية . فالزعيم يجب أن يكون موضعا لثقة الناس به ، لما جبل عليه من الاستقامة ورصانة الخلق وهذه الصفة تفسر لنا النجاح الذى يصيبه الزعماء المتواضعون فى كفاياتهم ، المتوسطون فى مواهبهم العقلية . فهؤلاء لو لم يتخلقوا بكريم الصفات لما كانوا موضع ثقة الناس فيهم ولما وفقوا الى ذلك النجاح

كان هربرت هوفر من رؤساء الولايات المتحدة بامريكا مؤخرا فى خلال الحرب العظمى . وقبل أن يتقلد الرآسة كان مضطلعا بادارة التموين فكانت تسيل بين انامله ملايين الريالات ، حتى انه كان يكفى ان تكتب التحاويل المالية الى هربرت هوفر وكفى . وقد بلغت هذه التحاويل

زهاء مليونين واربعمائة مليون ريال فى الشهر الواحد ومع ذلك فانه لم يخامر احدا خاجة من الشك فى طهر ذمته . فهل تدهش بعد ذلك اذا فاز برياسة الجمهورية ؟ اليست هذه الصفة المحمودة وهذا الاخلاص الصافى وتلك الامانة النقية هى التى جعلت لغاندى فى الهند هذه السلطة التى لاحد لها بين الملايين من شعبه ؟

هناك بين الاسماء التى يتألق نجمها فى سماء الاحسان . وعمل الخير فى انجلترا — اسم جورج مولر — فقد انشأ خمسة ملاجىء كبيرة للايتام بلغ مجموع داخلها عشرين الف نفس . وقد بلغ من شهرة هذه الملاجىء ان تدفقت سيول التبرعات والهبات والوصايا على خزانتها ومع ذلك فقد كانت تضحيته واستقامته وامانته أبعد من أن يمس درهما منها . وقد بلغت هذه الاموال مليونا ونصف مليون من الجنيهات ومع ذلك اقد مات ووراؤه ثروة ضئيلة لاتتجاوز المائة والسبعين جنيها فهل تدهشون اذا اتسم بين الانجليز بزعيم المحسنين ؟!

ان مصر المستقلة تطمح فى أن تكافح الفقر والمرض والجهل بفضل زعمائها الاجتماعيين وهؤلاء لابد أن تتوافر فيهم صفة استقامة الخلق . وكثيرا مايوجه الناس الى معهدنا بعض الانتقادات بدعوى اننا نفسح فى مناهجنا مجالا واسعا لدرس الاخلاق والاكثار من الاندية والجماعات والرحلات . غير ان لدينا مايحمل على الاعتقاد بان هذه كلها فى مقدمة ماينبغى أن تعنى به معاهد التعليم اذاشاءت مصر المستقلة ان تبلغ أمانيها القومية

وأخيرا اذكر تلك الصفة العظيمة التى تتطلبها الزعامة ألا وهى سعة الاطلاع واتزان الحكم فمن السهل جدا ان يكون المرء متصفا بالتعصب ، أي أنه يركز رأيه فى نقطة ضيقة محدودة غير أن الزعيم الحق هو ذلكم الرجل الذى يحيط بالمسئلة من جميع نواحيها وينظر الى الموقف نظرة فاحصة عامة فى مجموعها. ولو ان موقع مصر الجغرافى فى مكان افغانستان أو فى منطقة بحيرة شاد فى افريقيا بعيدا عن الأمم الأخرى، لما احتاجت الى اتساع الأفق فيما يتعلق باتصالها بالأمم الأخرى . ولكن مصر لايتسنى لها أن تعيش فى منأي عن غيرها من الأمم ولايمكن أن يرضى شعبها لها ان تكون كذلك . واذن فلابد لها من الاتصال بغيرها من الدول وهذه العلاقات الدولية من شأنها ان تزيد الحياة رغدا وغنى ورفاهية اذا حسن وضعها فى الموضع اللائق بها . ولا يتاح لها هذا إلا بسعة الأطلاع ومرانة التفكير العقلى

الثورة والادب

ان الاحداث التى طرأت على البلاد بعد الثورة العرابية وماكانت عليه الحال الى سنة ١٩١٩ قد جعلت الادب حائرا مضطربا حيرة العقل المصرى واضطرابه طول ذلك الحين . بل ان اضطراب العقل المصرى لم يهدأ ولم يستقر حتى حفزته الحرب الكبري الى التطلع نحو المبادىء التى اشتعلت من أجلها نيران هذه الحرب . فلم يكد بشير السلم يحمل لواءه ويغنى أغنية السلام حتى هبت مصر الثائرة تنادى العالم اجمع أن يعترف بحقوقها وسيادتها واستقلالها . وخاضت البلاد مغامرات قاسية زادت العقل المصري تمسكا بمصريته وقوميته وطغت على البلاد حكومات ديكتاتورية حاولت - وبئس ما حاولت - ان تطفىء نور الوطنية من قلوب الناس وان تحكم البلاد بالقهر والعسف ، ولكن الحق على غلاب وروح الامة هو الذى يملى ارادتها فى النهاية ، وهو الذى يقرر دستورها واوضاع حياتها دائما .

وليس شك فى ان الادب تأثر بهذه البيئة السياسية القلقة بين الاضطراب والاستقرار . بين التردد والخوف . والتطلع والامل . والحكم والقهر . والحزبية والقومية . والاثرة والفداء والكبت لروح الامة أحيانا ، والثورة والتحطيم أحيانا أخري . حال مضطربة فى جميع نواحيها يجتازها الادب ويتأثر بجميع الوانها من خير وشر وحرية وعنف . وكانت غاية الاديب التطلع الي حياة مغردة مملوءة بمعانى الحرية والجمال ، فلقد كان الاستقلال انشودة والحرية املا . وكانت الحياة الاجتماعية تجتاز ظرفا مضطربا عصيبا ، وطن مفقود الكرامة مركزه الدولى غير محدود ولا معروف والاجنبي يحتله ويصرف أموره كيفما شاء وامتيازات اجنبية هادمة لجميع معانى الكرامة - والناس احزاب وشيع والصحافة مترددة بين عصا السلطان ومطالب الشعب - حال حيرى . وحكومات تتولى لتزول بعد حين ، وبرلمان تفتح أبوابه فى الصباح باسم دستور البلاد فيغلق فى المساء باسم القوة والاستبداء ، وأحزاب مفتعلة لاتمثل رأى الأمة تتكىء على سلطان المحتل وتقوى بروحه وتشتد بنفوذه . هذه الحال لم تكن لتخرج الا نوعا مضطربا من الادب ولكنه طريف سلك بالنثر طريق الكفاح والجدل والمناقشة والخطابة -- ثم وجدت القضايا السياسية الكبرى التى دبرت لزعماء البلاد . فسلك النثر طريقا نحو البلاغة الكلاميه فى أساليب لبقة باهرة . وقامت خطب فى البرلمان هى مثال يحتذى فى الادب -- ولسنا ننسى ماكان لزعيم البلاد خالد الذكر سعد زغلول من أثر فعال فى وضع القيم الادبيه للخطابة مما أثر فى توجيه الادب نحو القومية المصرية الخالصة

وظهر ادباء عديدون وشعراء من شباب البلاد جعلوا القومية منار الهامهم . ومهبط خيالهم . حتى كادت الاخيلة العربيه القديمة تزول من الشعر المصرى الحديث . فاندثرت ذكر الصحراء والناقة والأطلال والربوع -- وحل محل هذا كله ما يستوقف الشاعر المصري من الهام يجده فى جمال النيل وصفاء الطبيعة وفيما تلهمه اياه حياة الريف المصرى من مناظر وشعور وتفكير وما توحيه اثار مصر القديمة من مجد وفخر . وبدأت القصه المصريه تتكون مصورة البيئة المصرية من حيث الغرض والأسلوب وسياق التفكير

المنجوري

كتب الشهر الجديدة

التعاون الزراعى

تأليف الدكتور ابراهيم رشاد : جزءان الاول — ٣٤٤ صفحة
والثانى ٣٣٣ صفحة من القطع الكبير طبع بالمطبعة الاميرية ببولاق

مؤلف هذا الكتاب هو مدير قسم التعاون فى وزارة الزراعه . وليس التعاون عنده مجرد معارف ومعلومات عن الحركة وانما هو عقيدة يؤمن بها ويسعى لها باعتباره اعظم الوسائل لترقية الريف المصرى . وقد عاش فى ارلندا سنوات درس فيها الحركة التعاونية علما وعملا ورأى فيها الحل للمسائل الريفيه عندنا . والجزء الاول يبحث التعاون بالوانه العديدة فى الامم المختلفة مثل انجلترا وارلندا والمانيا . وبه فصلان ممتعان عن الاقراض التعاونى فى المانيا يجدر بكل من يهتم بانقاذ الفقراء من المرابين ان يدرسهما . كما ان به فصولا عن جمعيات الزبدة وجمعيات البيض والدجاج مما يمس مسائلنا الريفيه اشد مساس

اما الجزء الثانى فيعالج مسائل التعاون وتقدم الحركة التعاونيه فى مصر . وبه فصول مسهبة عن «التعليم والتعاون» و«المشاكل الاجتماعيه للحياة الريفيه» الخ ..

ونحن ازاء ٧٠٠ صفحه من الموضوعات المدروسة نعجز عن الاختيار فان كل صفحة جديرة بالدرس والتأمل . ولكننا ننقل هذه الكلمات التالية لكى يعرف منها قراء هذه المجلة ان المؤلف هو من الطراز الذى يحبونه ويقدرونه . فقد قال عن المرأة

«واظن أنه يحسن الا يغيب عن اذهان قادة الشعب ان مصر تجتاز الآن مرحلة انتقال وأنه ينبغى ان ينظروا وجه الصواب من ان تتاح للمرأة المصرية فرصة لاثبات قيمتها والاهتداء بنفسها الى العمل الذى يجب ان تقوم به فى الحياة العامة . ولا فائدة من جحد حقيقة واقعه هى ان الاصلاح فى مصر قائم على قاعدة اوربية فنظمنا السياسة وطرقنا التعليميه وحكومتنا المحليه وسياستنا الدولية بل ومبادئنا العليا لم تعد ذات صبغة شرقية . وقد قال الخديوي اسماعيل هذا القول منذ أعوام خلت وأيدت الحقائق أقواله . لهذا يجب الا نغمض أعيننا أو نصم آذاننا كلما عرضت مسألة المرأة

وتحريرها على بساط البحث ، بانه لا بد يوما ما أن نواجه هـذه المشكلة فلماذ لا نواجهها من الآن ونجتهد فى حلها من تلقاء انفسنا بعقل واسع وصدر رحب ؟ اليس خيرا ان ندرس هذه المسأله من الآن ونرسم الخطة القومية التى تحرر نساءنا تدريجيا ، وتعلمهن وترفع مستواهن وتعدهن للعمل الذى ينبغى أن يقمن به مع الرجال فى تشييد مصر الكبرى ؟

«ان النساء فى اوربا لسن بمعزل عن أعمال الرجال وامثلتهم العليا واما نيهم . وكلا الفريقين هناك رفيق للاخر يعمل معه فى وفاق ويشاطره عبء البيت والوطن . كلاهما مستعد بطبيعته للقيام بواجبات معينة فى حياته الخاصة والعامة ولكل وجهة فى النظر الفكري ، ولكل موهبة تماها عمله ، فاذا لم ينتفع بهذا كله فى تشييد مصر الكبري فستضيع امتنا بين هذا وذاك . ولنحول وجهنا شطر الغرب وننظر الى العمل الذى تقوم به النساء هناك وبخاصة فى انجلترا وأمريكا ، فانه اذا اقصيت النسوة المتعلمات المثقفات عن ميدان الاصلاح الاجتماعى شلت حركة العمل فيه . ولا مشاحة فى ان عملهن فى الهيئات العامة والمجالس المحلية والانظمة الاقتصادية والاعمال الاجتماعية ذخر عظيم لبلادهن»

الاجرام السياسى

تأليف لوى بروال وترجمة الاستاذ حسن الجداوي

صفحاته ٣٢٧ من القطع المتوسط طبع بمطبعة حجازي بمصر

هذا الكتاب يتناول موضوعا يجب ان نهتم له فى طورنا السياسى الحاضر والمستقبل فانه يعالج الفساد السياسى والألوان التى يتخذها . وقد بدأ بفصل عن المكيافيلية . ثم القتل السياسى . ثم قتل الطغاة . ثم الفوضوية . وهذه كلها فصول ليست فقط منيرة بل هى أيضا تقرأ فى لذة القصص وفى الكتاب اربعة فصول على فساد الساسة فى انجلترا وفرنسا واثينا وروما وفصل على علاقة السياسة بالاخلاق العامة . ولا يمكن غير مؤلف فرنسى ان يؤلف مثل هذا الكتاب فان تاريخ بلاده حافل بالوان الغلو فى الجمود والغلو فى الثورة كما هو حافل بالانقلابات والدعايات . ولكن المؤلف لم يقتصر على ضرب الامثلة من التاريخ الفرنسى . ومن احسن ماقاله المؤلف هذه الكلمات البارة فى خاتمة الكتاب :

«ومن مصلحة الأمم ان لا تفرق بين السياسة والأخلاق فى علاقاتها المتبادلة . ان السياسة السليمة كالاخلاق الطيبة تطلب العدل وحسن المعاملة وهما قوام السلام وما يتبعه من خير اما السياسة التى تعلم الامم الحسد ، والبغضاء ، والسباب ، والاسترشاد بمصلحتها الذاتية فى تصرفاتها ، وحسم

الخلافات التى تنشأ بالقوة وحدها ، لهى سياسة مجرمة وخاطئة . والساسة الذين يشيرون بهذه السياسة النفعية الضيقة ، سياسة الحسد والشر هذه ، قصار النظر يرون مصلحة الساعة ، ويغمضون عيونهم عن المصالح المشتركة بين الشعوب ، وبالاخص عن النتائج الضارة للعداوة والحروب ، وينسون فوائد السلم وفظائع الحرب »

ولغة المترجم واضحة مفهومة . وهى ليست فقط خالية من التقعر والاغراب بل هو يبذل مجهودا موفقا لتقريب المعنى الى القاريء

دائره معارف المنزل الحديث

تأليف الانسة بسيمة زكي ابراهيم — مجلدان — الاول ٣٠٣
صفحات والثانى ٣١٨ صفحة من القطع المتوسط مزين بالصور
قامت بنشره مكتبة النهضة

يعرف القراء مؤلفة هذا الكتاب بمؤلفاتها السابقة فى «المكتبة المنزلية» فان لها كتابا عن المطبخ الحديث . واخر عن الفطائر الحديثة وثالث عن صناعة المربيات اورابع عن المطبخ الشرقى. وهذان الكتابان الاخيران يحتويان كل مايهم السيدات من ناحيتى ترتيب البيت وتربية الطفل مع الصور العديدة لهندسة البيت وأثاثه وحياة الطفل . وهذا هو المجلد الاول . اما الثانى فيحتوى كثيرا من الارشادات الخاصة بعناية الفتاة بصحتها وجمالها من ناحيتى الوقاية والعلاج . وبه فصل مسهب عن الرياضة البدنية للفتاة

والطبع انيق والصور واضحة والشروح وافيه . ولا بد ان هذين المجلدين سيلقيان الرواج الذي لقيته المجلدات السابقة . فان المؤلفة اختصت بدرس المنزل وربة البيت . وهى تكتب لكى تعلم وتفيد. والسيدة او الآنسة التى تعنى بجمالها او بجمال بيتها تنتفع كثيرا بقراءة هذين المجلدين اللذين يرشد انها الى الذوق الحديث

بين العقل والجنون

تأليف الدكتور محمد حسنى ولاية صفحاته ١٤٦
من القطع الكبير . طبع بمطبعة التعاون بالاسكندرية

هذا الكتاب هو مجموعة فصول خفيفة مسلية عن المجانين ومن يقاربونهم من العقلاء. والمؤلف محدث اكثر منه شارح . ولذلك يقرأ الكتاب فى لذة لوفرة الامثلة عن اخلاق المجانين وسلوكهم واليك احدى القصص عن واحد من هؤلاء تحت عنوان

يروج اعمال البوليس

دعانى احد اقسام البوليس للكشف على مجذرب فلبيت . واذا ببضعه اشخاص من صغار التجار مصطفين امام ضابط القسم يجادلون رجلا طويل القامه قوى البنية وهو بطل هذه القصة

قال لى الضابط — لقد ارهقنا هذا الرجل فى كتابة محاضر لهؤلاء الاشخاص طول هذا الصباح وهو يأتينا بين الفينة والفينة بتاجر متهما اياه زورا بتهم شديدة الخطورة كالاتجار بالمخدرات والتعامل بالربا الفاحش وهلم جرا ولم يبد هؤلاء الاشخاص مقاومة فى المجىء معه اتقاء لشره ، والغريب أنه اتقن سبك التهم بمهارة فائقة ولولا تعدد المتهمين وتنوع التهم لما تطرق الشك الى نفسى فى سلامة قواه العقلية

وعندئذ سألت الرجل عن سبب اتهامه لهؤلاء الابرياء بتهم مفلقة ؟ فقال لى أنه يروج أعمال البوليس ويحل النشاط محل الكسل

فقلت له اذن انت تستحق عمولة على ذلك

فقال نعم

فهمست فى اذن الضابط قائلا — ان احسن عمولة له ان ينزل على الرحب والسعة فى زنزانة المجاذيب بالمستشفى الأميرى

اتجاهات العصر الجديد فى مصر

تأليف محمود المنجورى ١٧٤ صفحة من القطع الصغير طبع بمطبعة الشمس . بمصر

هذا الكتاب الصغير يدل على العقلية الحديثة التى تسود كثيرا بعض شبابنا بعد المعاهدة . وهى الاهتمام بشئون مصر كنتيجة للشعور بالمسئولية فى الاصلاح وبعث النشاط والرغبة فى الرقى . وقد عالج المؤلف جملة موضوعات من نواحى الاتجاه الاجتماعى والاخلاقى والمرأة والطفل والتشريع الى الامتيازات والاتجاهات الاقتصادية والفنية . وما احسن قول المؤلف

«ومادامت حالتنا السياسية قد استقرت بعد المعاهدة والمعاهدة المصرية الانجليزية أظهر حدث فى تاريخ مصر بعد الاحتلال الانجليزى — لهذا يجب أن نجعلها حدا فاصلا بين ماض مملوء بالجهاد والأمل ، ومستقبل زاخر بالجهد والعمل — فاذا كان الأديب فى الماضى يفهم الحرية على أنها انشودة عذبة وأمل غال تراق من أجله الدماء ، فتستنشده ما يشاء خياله الخصب من شعر عذب وكلام

بليغ ، فيجب أن يفهم الأديب الآن ان الحرية ليست إلا المسئولية الوطنية التي يجب أن يؤديها بالجهد والعمل . وأن واجب الأديب ليس فى سلوك هذه الاساليب العذبة الرقيقة بل واجبه الآن أن يسلك طريق المجد فيستنشد أدب القوة دائما ليبث فى مواطنيه روح العمل والشعور بالمسؤلية الكبرى التى نشأت عن عهد الحرية والاستقلال .

«أدب القوة وفلسفة القوة هما مظهر حياتنا الأدبية الجديدة — ذلك لأن المستقبل مملوء بالاحداث الجسام الملقاة على عاتق شباب هذا الوطن ، وقد تحولت روح الأمة بعد استقرار حالتها السياسية إلى روح متطلعة نحو المجد . ساهرة على أداء واجبها لصيانة استقلال عزيز عليها. ومادام الادب صورة حية من شعور الامة وحياة الاديب ، فيجب أن يتجه الادب إلى هذا النحو الجديد ، ويجب علينا أن نلغى المبادىء القديمة التى دعونا اليها من قبل ، والتى أخذ الغرب يروجها بين الامم الضعيفة ، إذ كان يدعو إلى السلام العام فى حين نراه يعمل على زيادة التسلح وتقوية جيوشه وأساطيله ، حتى نشأت نظرية متناقضة أقرتها الدول ، وهى نظرية السلام المسلح

«ان مصر تجتاز الآن مرحلة انتقال وعصور الانتقال من أكثر العصور خطورة فى تاريخ الامم ، لأنها تحتاج إلى دقة لتركيز الحياة واختيار النظم والمبادىء الملائمة لمطالب الحياة الجديدة

«والحياة الجديدة تتطلب من مصر مسئولية لصيانة استقلالها من كل معتد أو مغير ، كما تتطلب منها أن تساهم فى المجتمع البشرى مساهمة عملية يحمل تبعاتها ونصيبها فى ترقية المدنية عامة

«فالحياة الجديدة تحتاج الى الادب القوي ، تحتاج الى الاديب الذى يخاطب الحياة من غرائزها ، الى الاديب الذى يهيء بلاده للمستقبل المحفوف بالمخاطر فينتج أدبا ذا شخصية يشترك المستقبل فى تكوينه بتحفزه وتطلعه وآماله »

الحكيم وليلى

قصة تأليف توفيق حسن الشرتوني صفحاتها ١٥٩ من القطع الكبير طبعت بمطبعة صادق فى بيروت

نزع المؤلف فى هذه القصة نزعة اجتماعية تحليلية وتتبع حياة سيدة تقع فى شباك العواطف المتضادة ثم تنتهى بالجنون .وقد عبر عن غايته فى هذه المقدمة التالية بقوله :

ان الهدف الذي يتوخاه الادباء فى منثورهم ومنظومهم هو فائدة المجتمع الانسانى وزيادة رقيه ومعارفه .

فالكتب الادبية التى يقرأها الناس ولا تفيدهم هى بنظرى ليست من الادب بشىء لانها لا تمثل غاية الادب

فكل من يكتب عن اخلاص وعقيدة ودرس واختبار وينبذ التصنع والتقليد. والتعصب للاديان والاوطان والمجاملات الباطلة هو ولاشك يترك للاجيال المقبلة اثرا خالدا مفيدا

ان الصدق فى القول والعمل وفى الاخذ والعطاء ليس فقط هو اساس المعاملات المادية بين الناس بل هو ايضا جوهر الادب الصافى فى هذا الكون

فالادباء الصادقون فى أدبهم المخلصون فى سرد افكارهم وحقيقة شعورهم هم وحدهم الخالدون لان مرور الاجيال يقضى على الاباطيل والترهات ولا يبقى الا على الحقائق

القديس مرقص الانجيلى

تأليف. جيب جرجس وكامل جرجس صفحاته ٧٢
من القطع الكبير طبع بمطبعة الشمس بمصر

مرقص الانجيلى هو مؤسس الكنيسة المصرية. وقد وضع هذا الكتاب فى ترجمته. وقد جمع المؤلفات هذه الترجمة من شواود مشتته فى مجلدات مختلفة. وهما يسلمان بالمعجزات التى تعزوها التقاليد المسيحية الى مرقس الرسول كما انهما يسلمان بنقل رفاته من الاسكندرية الى البندقية. وقد وضعا هذه الترجمة لتلاميذ مدارس الاحد القبطية

وجهة التربية والتعليم فى العالم العربى

للدكتور محمد فاضل الجمالي المفتش بوزارة المعارف العراقية

هى الرسالة الثانية للرسائل التى يصدرها «نادى المثنى بن حارثة» فى بغداد أتى المؤلف فى رسالته على تاريخ موجز لانتقال الثقافة من الشرق الى الغرب. ثم تدرج من ذلك الى المناداة بتوحيد الثقافة والتربية فى العالم العربى لما يربط ممالكه من روابط مختلفة

ثم قسم المؤلف مسالك الثقافة الى. اتجاه غربى، واخر ينسج على المنوال القديم. وثالث يوحد بين الطريقين. فينقد ويمحص. ويستخلص خير الوسائل وآمنها. وهذا ما ارتضاه الدكتور المؤلف ليكون وجهة للناس

ثم عالج المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية واللغوية. والصحية. والثقافية فى جميع البلاد العربية فى ابحاث مختصرة جامعة. واتجه بكل ذلك الى غرضه الاساسى وهو «الوحدة العربية»

ثم ختم المؤلف رسالته ببحث عن التعليم فى العراق من نواح متعددة. والكتاب فكرة فياضة وبحث جدير بالعناية يجب ان يكون نواة لبحث الوحدة العربية التى ينادي بها كثير من المثقفين

في الحياة والعمل

بقلم سلامه موسى

قوميتنا الفرعونية

رجولة الامة فى خطر

السموم فى طعامنا

المتعلمون العاطلون

آلات الحرب

متى نكف عن الابهة الشرقيـة

الغرض من تحديد النسل

مدمر فى عصبة الامم

قوميتنا الفرعونية

لا يمكن أمة بلا تاريخ ان تكون لها وطنية . لان الوطنية تحتاج الى ذكريات تثير فى الذهن الاحترام للاباء والشعور بصلة الرحم بين ابناء الوطن والفخر بمآثر سالفة وتوحد الجهود الماضية مع توحد الغاية الحاضرة . وكل هذا غير ممكن بلا تاريخ . ولهذا السبب كان للتاريخ على الدوام حرمة تشبه القداسة وتقارب الدين . بل لقد يقف الانسان حائرا فى الفصل بين تاريخ اليهود وبين ديانتهم أيهما التاريخ وأيهما الديانة ؟ فان التوراة يمكن أن تقرأها كتاريخ كما يمكن أن تقرأها كديانة : ومن هنا هذا التقديس الذى نراه فى المانيا للتاريخ الالمانى . فان الغلو فى الوطنية ينتهى بالتحمس للتاريخ كما ان فتور الوطنية ينشأ من ضعف الحاسة التاريخية

ومصر لن تشذ عن ذلك . فان تاريخها يجب ان يكون قوام وطنيتها . ولكن مصر تختلف من سائر الاقطار بانها أقدم امة متمدنة على وجه الارض وأن تاريخها يمتد الى ستة الاف سنة . كانت فى أربعة آلاف سنة منها امة مستقلة هى تاريخ الفراعنة . ثم كانت فى الف سنة منها امة يستعمرها الرومان واليونان . كما كانت بعد ذلك عربية ثم تركية . ولكنها لا تزال الى الان فرعونية الدم لا يختلف فلاحوها عما كانو قبل ستة الاف سنة .

وهناك بيننا من يدعو الى العروبة اعتقادا بأننا عرب .

ولكن الحقيقة اننا ما زلنا مصريين فرعونيين فى دمائنا واننا نبعد بعدا كبيرا عن السلالة السامية . ووجه الفلاح الحاضر هو وجه تحتمس ورمسيس وستى وخوفو وخفرع لم يتغير ولم يتأثر بالدم الاجنبي الذى عرف فقط فى المدن وجف فيها

فاذا اردنا ان نجعل من التاريخ اساسا للقومية أو الوطنية المصريه فاننا يجب ان نعود الى هذه الاربعة الاف من السنين لكى نعين للامة شخصيتها التاريخية . بل نحن مضطرون الى ذلك لأن الامم الاجنبية لا تعرفنا الا بتاريخنا الفرعونى الذى تملأ آثاره متاحفهم والذى تؤلف عنه عشرات بل مئات الكتب . وانت حيثما نزلت فى احدى العواصم الاوربية وجدت اثار ابائنا فى قاعات فخمة فى اعظم المتاحف . كما تجد مئات الكتب التى تشرح الحضارة الفرعونية ولا تكاد تجد مع ذلك كتابا واحدا عن مصر أيام الرومان أو أيام العرب أو أيام الاتراك . ولسنا بهذا الكلام ننتقص شأن هؤلاء فى تاريخ بلادنا . بل نريد ان نقول ان الفراعنة يغمرون تاريخنا ومنهم تتكون شخصيتنا

القومية وعليهم نستطيع ان نؤسس وطنيتنا

واذن يجب علينا أن ندرس تاريخ الفراعنة الدرس الوافى وأن تزيد عناية الحكومة بهذا الدرس فاذا كانت الحكومة ستنفق ملايين الجنيهات لايجاد القوات الحربية فانها يجب ان تنفق مئات الالوف على الاقل لكى تعمم الثقافة الفرعونية وذلك بنشر كتب صغيرة وكبيرة يأنس لها التلميذ فى المدرسة والصبى فى البيت والشاب المتعلم والرجل المثقف . لان هذه الثقافة تعبىء عواطفنا لخدمة الوطن وتجند قلوبنا للدفاع عن مصر بما لا تقل فائدته عن قوة المدافع والطائرات . كما يجب ايضا أن توضع التماثيل العظمى فى ميادينا حتى تملا صدورنا بالفخر وتنبىء الاجنبى عن شخصيتنا القومية التى لا يقل عمرها عن ستة الاف سنه . بل يجب ان يأخذ الطراز المصرى حقه فى المبانى العامة على لاقل ان لم يكن فى المبانى الخاصة . ثم هذه اللغة الفرعونية يجب أن نعرف منها شيئا نتعلمه لكى نتذوق تلك الالفاظ التى كانت فى يوم ما الالفاظ الوحيدة للامة المتمدنة الوحيدة فى العالم كله

ان العالم كله يحترمنا اذا عرف حقيقتنا وهو اننا مازلنا أسة الفراعنة لم تتغير . ولكنه يحتقرنا اذا وصفنا انفسنا بوصف اخر . وهو مع ذلك وصف لا يطابق الحقيقة

رجولة الامة فى خطر

يقول أحد الأطباء فى احدى جرائدنا أن التدرن أو ما يعرف عامة باسم السل يتفشى هذه الأيام تفشياً ذريعاً بين السكان وأنه اذا لم تقم الحكومة بمجهود كبير لصده فانه يخشى من أن يطغى يوماً ما على عدد كبير وعندئذ يتعذر العلاج أو على الأقل يصعب .

ولم يكن التدرن من الامراض المعروفة فى مصر قبل نحو ثلاثين أو أربعين سنة . وذلك لأن هذا المرض مدنى ينشأ وينمو فى المدن حيث الوخامة فى الهواء المحتبس والرطوبة والظلام وقلة الأطعمة المغذية والرياضة المنبهة . ولم تكن القاهرة قبل أربعين سنة مدينة كبرى وانما كانت قرية كبيرة خالية من المصانع يعيش سكانها كما يعيش سكان القرى على مبادىء الاستقلال القروى فى الانتاج والاستهلاك . فكانت الاجسام حية سليمة بالطعام الساذج الطبيعى على الرغم من قلة الأجور . ولكنها استحالت بعد ذلك إلى مدينة يأكل سكانها أسوأ الأطعمة المغشوشة ويقطنون

المساكن المظلمة الوخمة ويعملون فى المصانع طول النهار . واذا لم يشبع الجسم من الغذاء السليم فى هذه البيئة فانه سرعان ما يبلى . وهذا هو الذى حدث فى كثير من السكان

وهذا المرض قليل فى الريف . لأن الهواء الطلق والشمس الصاحية حتى مع المسكن الوخم ومع طعام الذرة والبصل يعدان الجسم للمقاومة . ولكن للريف مع ذلك أمراضه التى جلبها علينا جشعنا الأعمى . فاننا لكى نزيد أرباحنا من زراعة القطن أخذنا نسرف فى الرى حتى تشبعت الارض كالاسفنجه بالمياه فامتلأت بالديدان التى تنتقل الى أجسام الفلاحين فتنهكهم . ولسنا نستبعد كثيراً التفسير الذى علل به رسل باشا تفشى المخدرات بين الفلاحين . فانه يقول ان هذه الديدان قد أضعفت أجسامهم فلجأوا الى بعض المخدرات لتقوية الشهوة الجنسية . وقد تنبهت الحكومة أخيراً الى فداحة هذه الأمراض واكثرت من المستشفيات لعلاجها . ولكن العلاج الحاسم هو تجفيف الارض وأعادتها الى ما كانت عليه قبل أن تسرف فى الرى . وهذا التجفيف لا يخدم صحة الفلاح وحده بل يعيد الى الارض خصوبتها

ورجولة الامة كلها فى خطر من هذه الامراض سواء فى المدينة أم الريف . فان قوة النفس ومتانة الاخلاق والقدرة على المثابرة ودوام اليقظة بل الذكاء نفسه يتوقف على صحة الجسم . وحتى من أجل الجشع فى الكسب هذا الجشع الذى أدي بنا الى اتلاف صحة فلاحينا يجب أن نعود فنعنى بصحة الفلاحين خاصة والعمال عامة حتى تعود اليهم قوتهم فيزداد الانتج ويزداد الراغبون فى الربح ربحا . فان الشركات الكبري التى تقوم بالمقاولات العظيمة للحكومة تطرد عمالها من مهاجرى الوجه البحرى لا ن الديدان أنهكت أجسامهم وتستقدم عمالا من تلك الانحاء التى لم تعرف الرى المستديم فى الوجه القبلى حيث لا تعيش الديدان . ومن هذا يتضح أن للصحة ثمنها الاقتصادى الذى يحسب بالقرش والمليم . فاذا كانت قلوبنا قد خلت من البر بأبناء وطننا حتى لا نبالى صحتهم فلنفطن الى هذه العواقب الاقتصادية التى تؤذي جيوبنا من تفشى الأمراض بين العمال

ثم يجب على أولئك الغيورين على كثرة السكان أن يفكروا فى هذه الامراض . فان الوطنى الصادق يجب ألا يطلب كما بل كيفاً . والأمة التى يعد سكانها بمئات الملايين لا تحسب شيئا إذا كانت منهوكة القوي مضعضعة الرجولة بجانب الأمة الصغيرة التى تعنى قبل كل شيء بسلامة الاجسام والعقول فى أبنائها . وعلى كل حال يجب قبل أن ندعو الى زيادة الجيل القادم أن ندعو الى معالجة المرضى من الجيل الحاضر وإلا نبخل بالمال والمجهود لتحقيق هذه الغاية . وخير لنا أن نكون مثل سويسرا او هولندا أمة صغيرة راقية سليمة من ان نكون مثل الهند تبلغ ٣٦٠ مليون آدمى

يعيش أكثر من نصفهم عيش الحيوان بل أقل

وليست حكومتنا فقيرة وخاصة اذا هى عمدت الى بعض مؤسساتها ومصالحها التى لم تنشأ للفائدة المحضة بل لأغراض أخرى فالغتها . مثل هذا المجمع اللغوى الذى نزف الى الآن من خزانة الدولة أكثر من خمسين الف جنيه ما كان احوجنا اليها فى مكافحة التدرن أو البلهارسيا أو الانكلستوما أو الملاريا . ومثل هذه المفوضيات التى يمكن أن تقنع بربعها فى العدد ثم بربع هذا الربع في النفقات . بل مثل بعض هذه المصالح التى يكفينا منها مكتب صغير يحوى موظفاً واحداً أو موظفين اثنين أن صحة الأمة أهم وأخطر من المجمع اللغوي ومن مفوضية فى واشنطون أو كابل أو طهران وما ننفقه على معالجة الامراض وتوقيها نشترى به صحة فى الجسم وذكاء فى العقل ومتانة فى الاخلاق

السموم فى طعامنا

اذا نجحت وزارة الصحة فى مكافحة السموم المتفشية فى أطعمتنا فانها تقوم بأجل عمل وأشرف خدمة يمكن وزارة مصرية أن تقوم بهما للوطن . ويبدو من نشاط الوزارة أنها ماضية فى مكافحة السموم . فانها قبل نحو شهرين أعلنت حكومة استراليا وزيلندا الجديدة انها لن تأذن بدخول الزبدة الأجنبية التى تضاف اليها أية مادة معقمة . وقبل أيام أيضا اعلنت أنها لن تأذن بدخول الجبن الاجنبي الذى تضاف اليه مثل هذه المادة

وكلمة « مادة معقمة » يجب أن تترجم باللفظة التى يفهمها الجمهور لأنها تعنى سما وهو سم بكل معانى هذه اللفظة أى انه اذا أكل منه الانسان مقدارا كافيا مات منه . واذا أكل مقداراً قليلا حدثت له أمراض مختلفة تضعفه اذا كان شابا أو كهلا وتؤخر نموه اذا كان صغيرا

وهذه السموم تخلط بالزبدة والجبن واللحم والمربيات والسردين لمنع التعفن . فان الاحياء التى تحدث التعفن تتأثر بالسم وتموت كما يتأثر الحيوان أو الانسان . بل هى تتأثر اكثر . ولذلك فان مايقتلها لايكاد يؤثر فينا سوى الأثر الدفين المستتر الذي لانحس به . ولكن لو كنا مثلا نأكل السردين كل يوم مدة شهرين لاتضح الاثر ، وقد يؤدى الى الموت . وهكذا الشأن فى جميع الاطعمة المسمومة أى المعقمة . ويصعب جداً أن تقدر الأضرار والأخطار التى تتعرض لها صحة الأمة من هذه الاطعمة مهما كانت قليلة . فقد يكون متناولها طفلا صغيراً تفسد أمعاؤه ويتسمم دمه من قطعة صغيرة من الزبدة أو الجبن أو اللحم المعقم . وقد يكون رجلا مريضا من الأصل

فيتفاقم مرضه من سريان السم فى دمه

ونحن نرجو ألا يقتصر نشاط وزارة الصحة على مطاردة الأطعمة الأجنبيـة . فاننا نحب أن نـكون وطنيين وأن نقول بإيثار الأطعمة المصرية على الأجنبية وهذا بالفعل هو مايجب ليس خدمة للوطنية بل للصحة أيضا . فان الأطعمة الوطنية تمتاز بأنها طازجة ساذجة ولـكن اذا كان هذا هو الأغلب فانه لبس العام . فان صانعى الجبن فى مصر قد تعلموا الحيل الاجراميـة لمنع التعفن وقتل الديدان فى الجبن باضافة السموم أيضا . ولما زار مفتش الصحة مصانع دمياط كتب تقريرا يقول فيه أنه لم يجد مصنعا لايضيف المواد المعقمة أى السامة الى الجبن

وهنا خطر يجب أن تنتبه له وزارة الصحة ويجب أن تطلب من البرلمان سن قانون جديد ينص على غرامة فادحة نحو الف جنيه أو اكثر على كل من يضيف سما الى الجبن أو الزبدة . ومثل هذا القانون يحثنا على شراء الجبن والزبدة المصريين لاننا نظمئن الى خلوهما من المواد المعقمة أى السامة. وهناك من يعتقد أن كثرة وفيات الاطفال فى مصر تعود الى خلط الجبن بهذه السموم التى تضاف أيضا الى الزبدة والقشدة

وهناك سموم أخري يذهب ضحيتها الاطفال دون البالغين هى هذه الحلوى المصبوغة بالاحمر والاصفر والاخضر وغيرها من الالوان التى تجذب نظر الاطفال . فان كل هذه الاصباغ سمـوم لاغش فيها . ويمكن الكيماوي أو الصيدلى البسيط أن يأخذ برطمانا من أحد الدكاكين يحتوى أصناف الباستيليا ويستخرج منها هذه الاصباغ ويقدم منها سما قويا لقتل أى انسان . بل هـذه الحلوي نفسها قد لاتكون محلاة بالسكر وانما بالسكرين وهو أيضا مادة سامة

ان على رأس وزارة الصحة صاحب المقام الرفيع وفى وكالتها البرلمانية رجل من أنشط رجالنا وأذكاهم هو الدكتور حامد محمود ولذلك يجب أن نطمع فى اصلاحات كثيرة على يديهما وفى مقدمة هذه الاصلاحات تأمين الطعام الذى نأكله وخاصة مايأكله أطفالنا . فان من الشرور الفاضحة أن يطلب الانسان الصحة لأهله وأولاده فيري انه يشترى لهم السم من حيث لايدرى ويقتلهم بيديه وهو يريد لهم العافية والبقاء . وكل هذا لـكى يربح تجار أجانب لاضمير لهم أو تجار مصريون لاضمير ولا وطنية لهم

ولم نذكر اللبن لأن معضلته أكبر جدا من سائر الاطعمة فان باعته لايضيفون اليه سما ولـكنهم يعمدونه بالماء كل يوم ولايبالون حتى هذا الماء نظيف هو أم قذر . وعندنا أن قتلى اللبن المغشوش أكبر عدداً من قتلى الخمور والمخدرات والاتومبيلات . والحـكومة التى تعنى بمنع القتل يجب أن تبدأ بمنع القتل من اللبن المغشوش

المتعلمون العاطلون

تسعى وزارة المالية بكل مالديها من قوة لتوظيف الشبان المتعلمين إما فى مكاتب الحكومة وإما فى الأعمال الحرة . وكان آخر ماقامت به هذا الاسبوع أنها أرسلت الي وزارة الاشغال تطلب منها بيانا عن أسماء البيوت التجارية والشركات المختلفة التى تعاقدت معها فى مقاولات بشأن المشروعات التى نصت المعاهدة على القيام بها . وهى أى وزارة المالية تنوى مخاطبة الهيئات وتنبيهها الى استخدام الشبان المتعلمين

وهذا سعى حسن ولكنه فى اعتقادنا قليل الجدوى . فان هذه الشركات لن تحتاج إلا الى عدد صغير من الشبان المتعلمين . وعلى ذلك سيبقى بيننا هذا الجيش الذي أخرجته مدارسنا وسلمته وزارة المعارف شهادات الانتهاء من التحصيل وهو عاطل عن العمل

وأصل العقدة والسبب لهذا العطل أن هؤلاء الشبان تعلموا فى الاكثر دروسا ثقافية لاتهيئهم لان يحترفوا حرفة ما تغل لهم ربحاً . أو هم قد ازدحموا على ثلاث أو اربع حرف مثل المحاماة والطب والتجارة . وهذا الازدحام قد منعهم من التكسب منها

ونحن لم نقرأ بيانا عن الشهادات التى يحملها العاطلون عندنا . ولكننا نؤكد أن ٨٠ فى المائة لاتخرج عن البكالوريا بقسميها . وهذه شهادة ثقافية لاتؤهل أحدا لعمل ما . أما العشرون الباقية فمنها على الاقل ١٥ فى المائة لاتخرج عن شهادات جامعية فى الحقوق والآداب والتجارة . وشهادة الحقوق لاتعنى فى العمل الحر سوى المحاماة . وهذه حرفة مزدحمة . وشهادة الآداب لاتعنى من حيث الحرفة سوى التعليم وهى أيضا مزدحمة وكان يمكن التوسعة على حامليها لو أن تعليم اللغة العربية فى المدارس الابتدائية والثانوية قصر عليهم إذ هم اكفأ من يستطيع ذلك . أما شهادة التجارة فلا تؤهل أحداً لأن يكون تاجراً وهى شهادة ثقافية اكثر منها حرفية

ومن عجب ان يكون لدينا عاطلون فى الوقت الذي تستوعب فيه بلادنا ربع مليون أجنبى ليس بينهم عاطل بل أن كثيرا من نساء هؤلاء الاجانب وأوانسهم عاملات وربما يكون فى هذه الظاهرة مايدلنا على أن العمل والعطل لايتوقفان على التعليم المدرسى وحده بل على الأخلاق أيضا . فان كثيرا من هؤلاء الأجانب لم يحصلوا على تعليم يعادل ماحصل عليه شباننا ومع ذلك هم أقدر على الحصول على العمل واثبت فيه اذا ماحصلوا عليه

فهل يجب أن نلتمس بعض أسباب العطل فى أخلاقنا هذه الاخلاق التى اكتسبناها من الأمم المحجبة المسكينة التى لم تعلمنا الجراءة وهذا البيت الذي لم يكن يعرف النظام وهذه العقائد التى نشأنا عليها فى احتقار عمال هى أشرف الاعمال فى الدنيا ؟ ان مما لاشك فيه أن الشاب الاجنبي أرشق قواما من الشاب المصرى وهو لا يمكنه أن يقرأ فى الانجليزية أو الفرنسية كتابا فى الفلسفة ولكنه يرطن بها بطلاقة لايستطيعها الشاب المصرى . وهو يقدم على فتح دكان لبيع الشربات أو الجوارب أو الاوانى الصينية أو القهوة ولكن الشاب المصرى يخجل فى أحيان كثيرة من ذلك واذا استمر هذا الضعف الاخلاقى بيننا فانه يمكن الاجانب أن يزيدوا عددهم الى نصف مليون وأن يجدوا العمل بيننا فى حين يبقى شباننا عاطلين

ولكن بعد هذا يجب أن نقول أن وزارة المعارف لم تساعد الشباب المصريين على التهيؤ للعمل . وانما هى فى الحقيقة ساعدتهم على أن يكونوا عاطلين . فان التعليم فى جميع أقطار العالم ينقسم قسمين أحدهما التعليم الثقافى الذى ينتهى بالجامعات . والآخر التعليم الحرفى وهو فى العادة لا يرتفع مستواه كثيرا لأن الغاية منه تخريج الشباب لكى يعملوا ويكسبوا فيجب أن يخرجوا قبل سن العشرين وخاصة لانهم من أبناء الطبقات الفقيرة . وفى هذه الدنيا اكثر من أربعة آلاف صناعة يحتاج اليها المتمدنون كثيرا أو قليلا وبعض هذه الصناعات لايحتاج من الوقت للتعليم أكثر من بضعة أشهر وبعضها يحتاج الى بضع سنوات . وكان يمكن الوزارة بطريق المجالس المحلية أن تؤسس مئات من هذه المدارس الليلية والنهارية . ولكنها لاتفعل بل نحن نخشى إن هى فعلت أن تستحيل هذه المدارس الى مشروعات ضخمة تحوى ألوانا من الابهة الشرقية ليس فى البناء فقط بل فى مرتبات المعلمين والمفتشين . مع أن كل ما نطلبه أن يتعلم شبابنا كيف يرطنون بمائتى كلمة فرنسية تساعدهم على أن يتحدثوا مع الزبون فى متجر الملابس أو كيف يذهبون الخشب أو كيف يصنعون البسطرمة أو كيف يديرون مطعما رخيصا لا يزيد رأس ماله على مائة جنيه أو نحو ذلك من الاعمال التى يستطيع حامل البكالوريا أو حتى الكفاءة أن يقوم بها اذا لم تقف أمامه هذه العقبة الاخلاقية التى ورثها من البيئة الاجتماعية الحاضرة وهى التى تجعله يخجل من ممارسة هذه الاعمال الشريفة

آلات الحرب

نشرت جريدة نيويورك تيمس احصاء عن القوات الحربية عند الدول ننقله فيما يلي

الدولة	الجيوش البرية	الطائرات	البوارج بالطن
بريطانيا	٢٠٠،٠٠٠	١،٦٠٠	١،١٩٣،٠٠٠
فرنسا	٧٠٨،٠٠٠	٣،٠٠٠	٥٥٦،٠٠٠
روسيا	١،٣٥٠،٠٠٠	٤،٠٠٠	٢٠٠،٠٠٠
تشيكوسلوفاكيا	١٦٤،٠٠٠	٦٠٠	
رومانيا	٢٢٠،٠٠٠	٧٠٠	
يوغوسلافيا	١٣٢،٠٠٠	٦٠٠	
بولونيا	٣٣٢٠٠٠	٥٠٠	
بلجيكا	٩١،٠٠٠	٢٥٠	
المانيا	٦٥٠،٠٠٠	١،٣٠٠	١٣٢،٠٠٠
ايطاليا	١،٠٠٠،٠٠٠	١،٥٠٠	٤١٢،٠٠٠

وهذه الارقام قد تدل على الكم فقط: ولكنها لا تدل على الكيف. فان الجيوش البرية الآن لا تكاد تعرف المشي على الاقدام أو حتى ركوب الخيل لأن الاتومبيل والاتوسيكل ينقلان الجنود الى ميادين القتال كما تنقل الطائرات المهندسين والضباط الى المراكز المفتاحية في هذه الناحيه او تلك من القطر المحارب

بل هذه الارقام التي نقلناها عن الجريدة الامريكيه لا تدل على ما سوف تكون عليه الحرب القادمة من حيث الكم. فان كل امة تزيد قواتها. وتتهيأ المانيا الآن يكون لها عشرة الاف دبابة و ٧٥٠٠ طائرة كما ان بريطانيا قد خصت ١٥٠٠ مليون جنيه لزيادة الطائرات والبوارج

وقد كان عدد المدافع في الحرب الكبرى أربعة لكل الف جندي: ولكن في الجيوش القائمة الآن ثمانية لكل الف جندي. وقد تمكن الالمان في الحرب الماضية من ضرب باريس بالمدافع وهم على مسافة ٧٠ ميلا منها والان يمكن اصابة الهدف على مسافة لا تقل عن مائة ميل. واستطاع الالمان

ان يخترعوا جهازا لاطلاق المدافع وتسديد الرماية وهم بعيدون عنه مختبئين فى الخنادق : وفى اليوم الذى جربت فيه هذه التجربة ونجحت فى «المانيا» اعلنت روسيا بالمذياع عن نجاح التجربة الالمانية وهنأت المهندس الذى اخترع هذا الجهاز ثم اعلنت أيضا ان لديها اختراعا آخر افضل من هذا الاختراع

ومعنى هذا ان لروسيا جواسيس تنقل اليها حركات الجيش الالمانى وانها تستعد لحرب قادمة استعدادا مخيفا

والطائرات عنصر جديد فى الحروب . وهى تهدد المدنيين اكثر مما تهدد الجيش لأن الطائرة يمكن أن تقطع ٤٠٠ ميل فى الساعة. وكل من روسيا والمانيا تعود الشبان النزول بالباراشوت . ويمكن عشرة الاف طائرة ان تنقل فى اليوم بهذا الاسلوب نحو خمسين الف جندي يستولون على مفاتيح الميادين الحربية أو يخربون السكك الحديدية او الجسور او يحطون خلف الجيش المحارب لمنع تقهقره . وبعض الطائرات الان تحمل اثنى عشر طنا . فاذ فرضنا هذا الوسق مادة بشرية فانها تعنى على الاقل ١٥٠ جندى مجهز باثقل الاسلحة ينزلون من الطائرة فى مكان محصن وفى حماية الظلام ثم يكون منهم البلاء بعد ذلك : وهذا بالطبع غير قنابل جهنمية تلقى على المدن والمخازن للتدمير ولبعث الثورة الاهلية

وللغازات شأن اخر يفوق شأن القنابل. فان فى الغاز صفات تشبه الحياة لأنه يبقى أياما فى المكان وهو يقتل كل من يقترب منه حتى تكتسحه الرياح . وهو لذلك اضر فى المدن التى يحتبس فيها الهواء بين الشوارع والازقة مما هو فى الريف . وقد كتب كثيرا من وسائل الاحتماء من الغازات . وكل ما كتب — فى رأى البعض — هو هذيان لا قيمة له اذ ليس هناك أية وسيلة للاحتماء من الغازات

وقد بلغ عدد الاصابات فى الحرب الماضية

قتلى ٩،٩٩٨،٧٧١

جرحى (بخطر) ٦،٢٩٥،٥١٢

جرحى (بلا خطر) ١٤،٢٠٠،٠٣٩

مفقودين واسرى ومشوهين لا تعرف اصولهم ٥،٩٨٣،٦٠٠ قتلى الانفلونزا سنة ١٩١٨ — ١٠،٠٠٠،٠٠٠

فالمجموع هو ٤٦ مليونا لحرب تعد غير خطيرة اذا قوبلت بالحرب القادمة

متى نكف عن الابهة الشرقية

أقام المجلس البلدي فى الاسكندرية منذ أكثر من سنتين حماماً مجانياً يدخل فيه الرجل الفقير فيجد الصابون والماء الساخن والبشكير «الذي يبحث المجمع اللغوي عن أسم عربى له» وهو عند ما ينزع ملابسه تؤخذ منه لتبخر أى تعقم وتعاد اليه بعد استحمامه . فيخرج من الحمام وهو نظيف جسما وملابس

وهذا الحمام هو لون من ألوان البر التى نرجو أن تنصرف اليه الحكومة والأمة معاً . وهو بر غربى يفهمه الاوربى ويدعو اليه ويؤسس له المؤسسات . ولو كان فى القاهرة نحو عشرة حمامات من هذا الطراز لما عرفنا هذه الحمى القاتلة التى تسمى التيفوس والتى لا تحتاج من الوقاية إلا الى النظافه أى قتل القمل . والرجل الذى يفكر فى انشاء الحمامات وتوفير الصحة للسكان هو رجل متمدن مهما كان الحمام متواضعاً خالياً من الزخارف . ولكن الرجل الذى يطاب الابهة الشرقية بالبناء الفخم والزخارف اللامعة والاعتماد على دوى الاسماء هو رجل غير متمدن

فقد حدث قبل أشهر أن أميرا هنديا دعا اللورد لنلثجو نائب الملك فى الهند الى تناول الشاى ولكى يبدى له أحترامه غلى ماء الشاى على ورق البنكنوت فكلفه فنجان الشاي نحو ١٠٠ جنيه فهذا العمل ابهة شرقية سخيفة . وتزداد سخافتها وضوحاً عندما نعرف أن الهند أفقر أمة فى العالم وأن فنجان الشاى هذا كان يمكن أن ينفق ثمنه على أنقاذ بضعة أطفال هنود من الموت . ولا بد أن اللورد لنلثجو كان آسفا على هذا المال يحرق تحت ابريق الشاى ولكن حياءه منعه من أن يبصق على وجه هذا الامير أو يلطمه على قفاه

ونحن نود أن تكون عقليتنا عقلية المجلس البلدى فى الاسكندرية وليست عقلية هذا الأمير الهندي . أى أننا نود أن نفكر قليلا جـــدا فى مفوضية ننشئها فى الصين أو فى أسم عربى نسمى به الملاريا ولكن يجب أن تفكر كثيرا جدا فى مساكننا القذرة وأطفالنا الذين يموتون كالذباب وفى شبابنا الذين يمرضون ولا يجدون العمل الرابح ، أجل يجب أن نفكر فى التعليم الصحيح لابناء الريف وفى مكافحة الامراض وفى ايجاد الروح الديمقراطى العملى بحيث يشعر الفلاح أنه من أبناء الامة لا يختلف من الافندي فى الحقوق والواجبات . وخير من انشاء مفوضية فى طهران أو بكين أن ننشىء حماما للفقراء فى السيدة زينب . وخير من أن نسمى الملاريا باسم عربى

أن نعالجها

اننا أمة فقيرة بل غاية فى الفقر المدقع وليس فى طاقتنا أن نتحمل عادات الابهة التى دعانا اليها المستبدون فى الماضى . وحسبنا من هذا الفقر المدقع أننا أصبحنا كلنا مرضى لا يكاد يبلغ الاصحاء بيننا عشرة فى المائة بل لعلهم أقل من ذلك اذا حسبنا أمراض العيون . وهذا الفقر (الذى يجعل طعامنا الوطنى الذى يأكله منا نحو اثنى عشر مليون مصرى هو البصل والذرة) يتضح على أشنعه حين نقابل بين ثروتنا وبين ثروة أمة أخرى مثل استراليا . ففى هذه القارة نجد ستة ملايين ونصف من السكان يزرعون ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٢٢ فدان أي أربعة اضعاف ما نزرع . وعندهم ٠٠٠ ر ٢٣ مصنع و ٠٠٠ ر ٢٧ ميل من السكك الحديدية . وقد استطاعوا أن ينفقوا فى الحرب الكبرى ٨٣١ مليون جنيه مع أن مائة مليون جنيه جعلتنا نفلس فى أيام اسماعيل . وهم يحصلون من الغنم وحدها على ما تبلغ قيمته ٤٣ مليون جنيه من الصوف . ويمونون العالم بالقمح . ويبيعون من الزبدة ما تبلغ قيمته ٢٠ مليون جنيه . وهذا غير مشتقات اللبن الاخرى وغير اللحوم وغير المصنوعات . ومع هذه الثروة الضخمة لا تفكر استراليا فى منشئات الابهة التى شاعت عندنا ولكنها تفكر فى التأمين الاجتماعى لعمالها حتى لا يجوع عاطل وهى تنشىء الهيئات التى لا تسمح لأحد العمال بأن يربح أقل من ١٥ جنيهاً فى الشهر . وقد استطاعت استراليا بهذا التفكير الديمقراطى العملى ان تنزل بالوفيات عندها الى أصغر رقم

ان خيالنا عن المجد الوطنى فاسد . لاننا لن نكون أمة عظيمة بالابهة بل نكونها بالخدمة . فلتكن لنا برامج لتحقيق المجد الوطنى . منها برنامج لتعميم النظافة بانشاء الحمامات المجانية . وبرنامج لترقية الطعام من الذرة والبصل الى القمح واللحم . وبرنامج لهدم المنازل القديمة وانشاء المنازل الجديدة وبرنامج لتعميم الاحذية بين الحفاة . وبرنامج لاطعام اللبن بالمجان لتلاميذ المدارس الخ

ولو فعلنا ذلك لما بقى شىء ننفقه على الابهة الشرقية التى لم يبعثها بيننا غير الخيال الفاسد الذى لم تخصبه ثقافة ولم تغذه المبادىء السخية للروح البشرى

الغرض من تحديد النسل

لكى نكافح الموت فى مصر يجب أن نحدد النسل وندعو الامهات من الاقلال من الحمل فان الموت لا ينتصر فى العالم كله كما ينتصر فى مصر أى أنه ليس فى العالم كله أمة - حتى ولا الهند - يموت فيها الناس بمقدار ما يموتون فى مصر . والسبب لذلك اننا نلد كثيرا فيموت اطفالنا كثيرا

فدعاة التحديد للنسل لا يقولون بهذه الدعوة للنزق أو لقلة الوطنية اولمخالفة الدين بل لضدهذه الاشياء بالذات . فانهم يطلبون هذا التحديد لانهم ينظرون الى النسل نظرة جدية بعيدة عن المجانة ولأن الروح الوطنى بل الروح الدينى قوى فيهم بحيث لا يطيقون رؤية الموت منتصرا بين بين أبناء وطنهم .

وهم لا يبنون هذه الدعوة على الكلام الفصيح والعبارات البليغة بل على الاحصاءات الدقيقة فان بلادنا أكثر اقطار العالم مواليد وهى أيضا أكثرهن وفيات . واليك هذه الارقام التالية التى تدل على متوسط المواليد فى كل الف من السكان بين ١٩٢٦ و ١٩٣٠

مصر	٤٤ر٤
الهند البريطانية	٣٥ر٧
اليابان	٣٣ر٤
ايطاليا	٢٦ر٨
الولايات المتحدة	١٩ر٧
فرنسا	١٨ر٢
أسوج	١٥ر٩

فمن هذه الارقام يتضح أننا نلد أكثر مما يلد الاسوجيون ثلاث مرات تقريباأى أن الام فى مصر تلد ثلاث ولادات لكل ولادة واحدة تلدها الام الاسوجية

ثم ماذا يكون بعد ذلك ؟ لو كان هؤلاء المولودون يعيشون وينالون من التربية - تربية الجسم والنفس والعقل — مثلما يناله المولودون فى أسوج أو غيرها لكان لنا أن نغتبط وأن نقول أن جهد الامهات فى مصر يثمر الثمرة الصالحة . ولكن الحال عكس ذلك . ويكفيك أن تنظر فى الأرقام التالية عن الوفيات فى كل الف من السكان

مصر	٢٦ر٢
الهند	٢٦
اليابان	١٩ر٥
ايطاليا	١٦
الولايات المتحدة	١٢
فرنسا	١٦ر٧
اسوج	١٢ر١

فنحن أكثر أقطار العالم وفيات لان كثرة النسل تجعل عناية الام تقل بابنائها وجهدها فضلا عن مالها — ينصرف الى الكثير من الاولاد فيتبعثر بدلا من أن ينحصر فى عدد صغير فيؤدى الى النتيجة المحمودة . ثم تنحط بعد ذلك صحة الام التى يعجز جسمها فى كثير من الحالات عن تحمل مشاق الحمل المتوالى . بل هى قد يذهب جمالها لهذا السبب نفسه فتتراخى العلاقة الزوجية . واذا لم يمت الطفل فانه ينشأ فى بيئة يحوطها الضيق الاقتصادى الذى كان يكون رخاء لو كان عدد الاولاد قليلا . وهذا الضيق الاقتصادى يجعل الآباء عاجزين عن تربية أبنائهم سواء فى المدرسة أم فى البيت وسواء تربية الجسم أم تربية العقل والنفس

والمتأمل لهذه الارقام يجد تقابلا . فانه حينما تزيد المواليد تزيد أيضا الوفيات وحينما تقل تلك تقل هذه . ولا سبب لذلك الا أن الجهود تتوافر فى العناية بالقليل وتتبعثر فى العناية بالكثير . وخير لمصر ان تتشبه بفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة وأسوج من ان تتشبه بالهند والصين وسائر الامم التى يجتاحها القحط

فيجب ان نعلم النـاس الطرق السليمة لمنع التناسل . وقد قامت حكومتنا بشىء من هذا المنع أو التحديد عندما عينت سنا للزواج لا يمكن ان يتم العقد الشرعى دونها . فان تأخير الزواج يقلل النسل ويزيد العناية به معا

ولكن تعميم الثقافة الجنسية التى تعرف الشبان طرق المنع تجرئهم على الزواج الذى يخافونه الآن خشية كثرة العيال . فتحديد النسل هو من هذه الناحية دعوة الى الزواج كما هو دعوة الى صحة الامهات والى مكافحة الموت — هذا الموت الذى لا يجد ارضا فى العالم ينتصر فيها كما ينتصر فى مصر

مصر فى عصبة الامم

كان يوم فوز للعصبة ويوم فوز لمصر . . فاما العصبة فقد وجدت بعد مأساة الحبشة بل على الرغم من هذه المأساة انها لا تزال معدودة امام العالم أملا مجسما للتضامن البشرى والسلام العام وأما مصر فلأنها قد اكتسبت بالعضوية مكانة جديدة ليس فى اعتبار الدول فقط بل فى اعتبار نفسها كدولة مستقلة تحترم نفسها ولا ترضى سوى المنزلة العليا بين اقطار العالم

ومركزنا الجديد فى سويسرا هو خطوة بل خطوات الى الامام . فان سويسرا قد اختيرت دون سائر اقطار أوربا لكى تكون وطنا لعصبة الامم التى تدعو الى تغليب العالمية على الوطنية . وانما اختيرت لذلك لانها أمة عالمية تمتاز بثلاث لغات وطنية وبانها كانت ولا تزال وطنا للحرية عاش فيها

فولتير هاربا احيانا من وطنه كما عاش فيهـا احرار الروسيين الذين كانت تطاردهم القيصرية . بل لقد عاش ومات فيها محمد فريد بك لاجئا اليها من طغيان الاستعمار . وقد كانت ولا تزال رمزا للتضامن الاجتماعى بين الدول اذ لم تعتمد قط على قوة جيشها لحماية ارضها مع أنه تحيط بها ثلاث دول قوية هن ايطاليا وفرنسا والمانيـا . وكل واحدة منهن قادرة على اكتساحها فى اقل من اربع وعشرين ساعة . وانما تحتفظ سويسرا باستقلالها بما يشبه هذا التضامن البشري الذى تدعو اليه العصبة القائمة فى جنيف والذى كانت سويسرا تقوم على مبادئه قبل انشاء العصبة

وانضمامنا الى العصبة سينتقل بنـا من النظر القروي للسياسة الى النظر العالمى . بل اننا سوف ننظر الى مشـاكلنا الداخلية فى ضوء الاصلاحات الاجتماعية الحديثه وعلى مبادىء الروح العصرى واسوأ ما ننظر به امة الى نفسها هـذا النظر القروى الذى يملأها زهوا كاذبا ورضا عن حالها مهما كانت شقية . فانها بهذا النظر تنعزل عن العـالم وتعيش فى انفراد ذهنى فلا تشترك فى حركة الرقى العام بل هى تنظر الى هذه الحركة كأنها بعض البدع الـكريهة التى نجب ان تنفر منها . وقد كنا الى حد ما فى هذا الموقف لا نشارك الامم المتمدنة فى نهضاتها

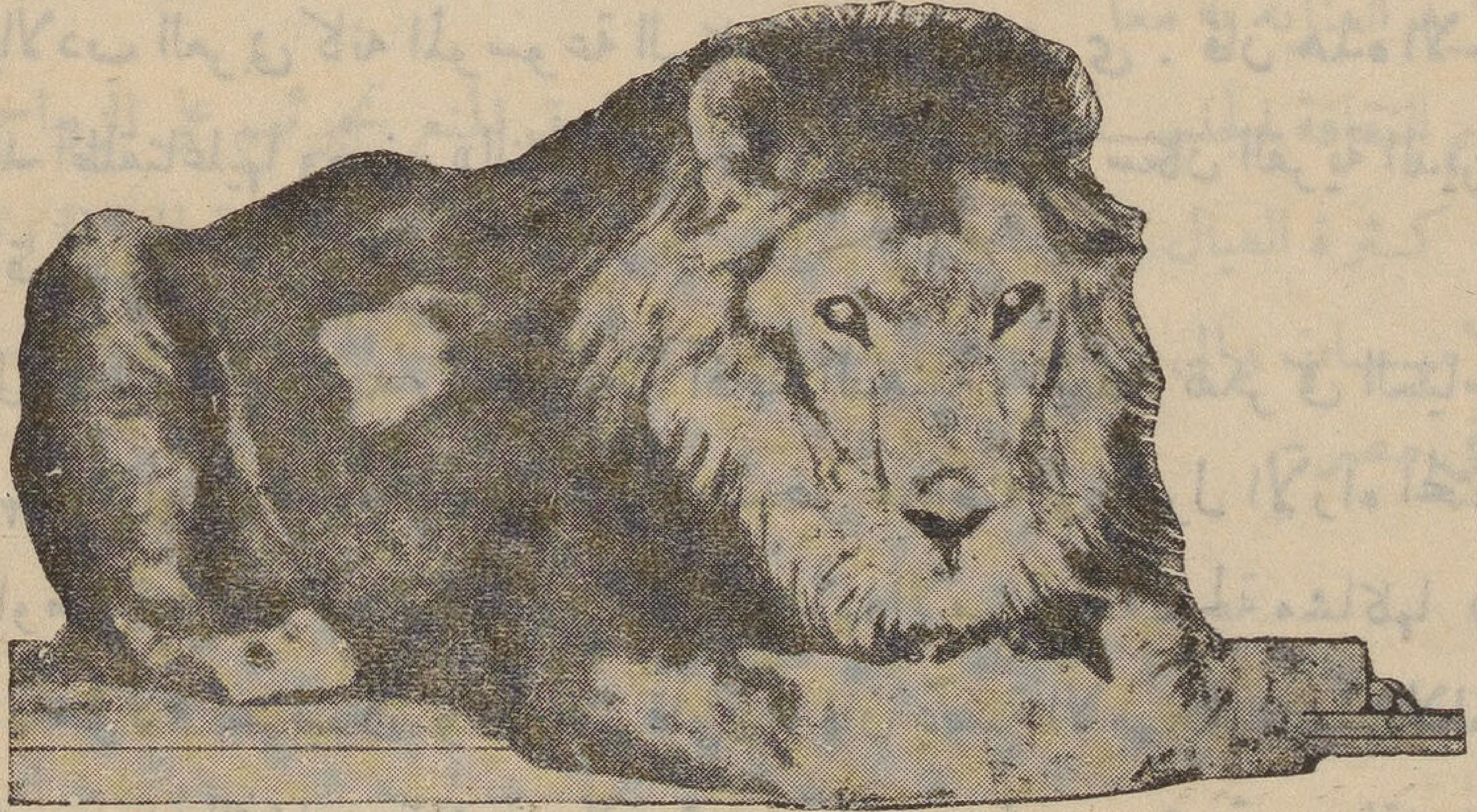
واقرب مثال على ذلك هذا النفور العنيف من الحرية الفكرية وهذا الخوف من اتخاذ القبعة بل هذه القناعة بالادب العربى كانه الموسوعة الـكاملة للذهن البشرى . فان هذه الاخلاق انما تنشأ من الانعزال وقد أطلقنا عليها وصف «النظر القروي» لانها اخلاق سكان القرية الذين ينحصر نظرهم للدنيا فى حدود قريتهم

وانضمامنا الى عصبة الامم جدير بان يوسع آفاقنا الذهنيه ويجعلنا نفكر فى السياسة والاجتماع والآداب ونقيسها بالمقاييس العالميه المتمدنه وان تسخو عواطفنا الى قبول الآراء المختلفة مهما كانت غريبة عن عاداتنا ومألوفنا وان نتخذ الطرق التى اتخذتها الامم فى معـالجة مشاكلها دون ان نسمع لقول المعترضين . هؤلاء غربيون ونحن شرقيون . فان عصبة الامم قد انشئت لالغاء مثل هذا الاعتراض ولتعميم مبدأ التضامن البشرى لافرق فى ذلك بين غربى وشرقى . واقل نتائج الانضمام للعصبة أننا حين نطلب اصلاح المساكن أو العناية بالغذاء لعمالنا فاننا لن نواجه بالاعتراض القائل بان البيئة الاوربية غير البيئة المصريه . فاننـا قد اصبحنا مرتبطين بمكتب العمل — الذى هو فرع من فروع العصبة فى جنيف — ومن الحسن ان نأخذ حذرنا ونصلح الاحوال التى يعيش فيها عمالنا قبل ان ينشر هذا المـكتب عنا تقريرا واضحا يطالبنا فيه بالاصلاح

وبعد هذا سنجد من عصبة الامم ضمانا لنا يمنع الدولة المجرمة من الاعتداء علينا . ولسنا نجهل أن هذا الضمان تعوزه القوة المادية كما حدث فى الحبشة ولـكن له قيمته مع ذلك . كما ان الاعتداء

على الحبشة قد كان بمثابة التجربة الاولى التى ينتفع بها للمستقبل والتى تستفاد منها الدروس للعبرة كما ان انضمامنا للعصبة قد فرض علينا واجبا للعالم هو صيانة السلم العام . وفى طور العام الحاضر وفى ظروفنا المحيطة نعتقد اننا نخدم هذا السلم أحسن الخدمه اذا نحن عنينا بتقوية الدفاع عن وطننا فان هذه التقوية تقلل من مطامع السياسيين الذين جنوا بالمذاهب الامبراطوريه

وهناك شيء أخر يستحق الالتفات فان عصبة الامم يناقض وجودها للسياسة الدبلوماتيه التى تقوم بها المفوضيات. ذلك أن العصبة للصراحة والعلنية والسلم. والمفوضيات كانت ولا تزال وسيلة السياسة المظلمة السرية . وما دمنا قد انضممنا الى العصبة فاننا يجب أن نقلل من شأن الاهتمام بالمفوضيات



المقتطف

المقتطف مجلة تقرأها اليوم وترجع اليها فى المستقبل - ولا أدل على ذلك من مطالعة مجلداتها السابقة كل مجلد تاريخ واف للسنة التي صدر فيها . فيه وصف المستنبطات التى استنبطت والمكتشفات التى اكتشفت وأشهر حوادث التاريخ وأهم مشكلات العالم السياسية والاقتصادية والاجتماعيه وسير أعظم الرجال وآراء أكبر العلماء - وكل ما يهم المرأة معرفته من ادارة مملكتها البيتية - وكل ذلك بكلام بليغ قريب التناول وصور كثيرة وتحقيق وتمحيص اشتهر بهما المقتطف مع مقالات كثيرة فى مواضيع شتى علمية وأدبية وفلسفية فاذا كنت ممن يعنون بالنهضة الشرقيه الحديثه - اذا أردت أن تطلع على ارتقاء الحضارة الغربيه فى الستين سنه الماضيه - اذا أردت تاريخا وافيا لسير العمران منذ أكثر من نصف قرن إلى الآن . فيجب ألا تخلو مكتبتك من مجلدات المقتطف وهى تباع مفردة أو مجموعه وقيمه الاشتراك السنوى فى القطر المصرى جنيه مصرى واحد ، وفى الخارج بمبلغ مائه وعشرين قرشا مصريا أى ما يساوي ٦ دولارات امريكيه

ويخصم ٢٠ ٪ لحضرات الاساتذة والطلبة الذين يرفقون طلبهم بقيمه الاشتراك وبشهادة من مدير المدرسة . العنوان : إدارة المقتطف بمصر .

التامين ضمان المستقبل

امنوا على اموالكم وارواحكم

عنـــد

شركة مصر

لعموم التأمينـــات

تسلموا من شر الزمان والحدثان

وتحافظوا على مقتنياتكم ضد كوارث الحريق والنقل بأنواعه

واخطار السيارات

المجلة الجديدة

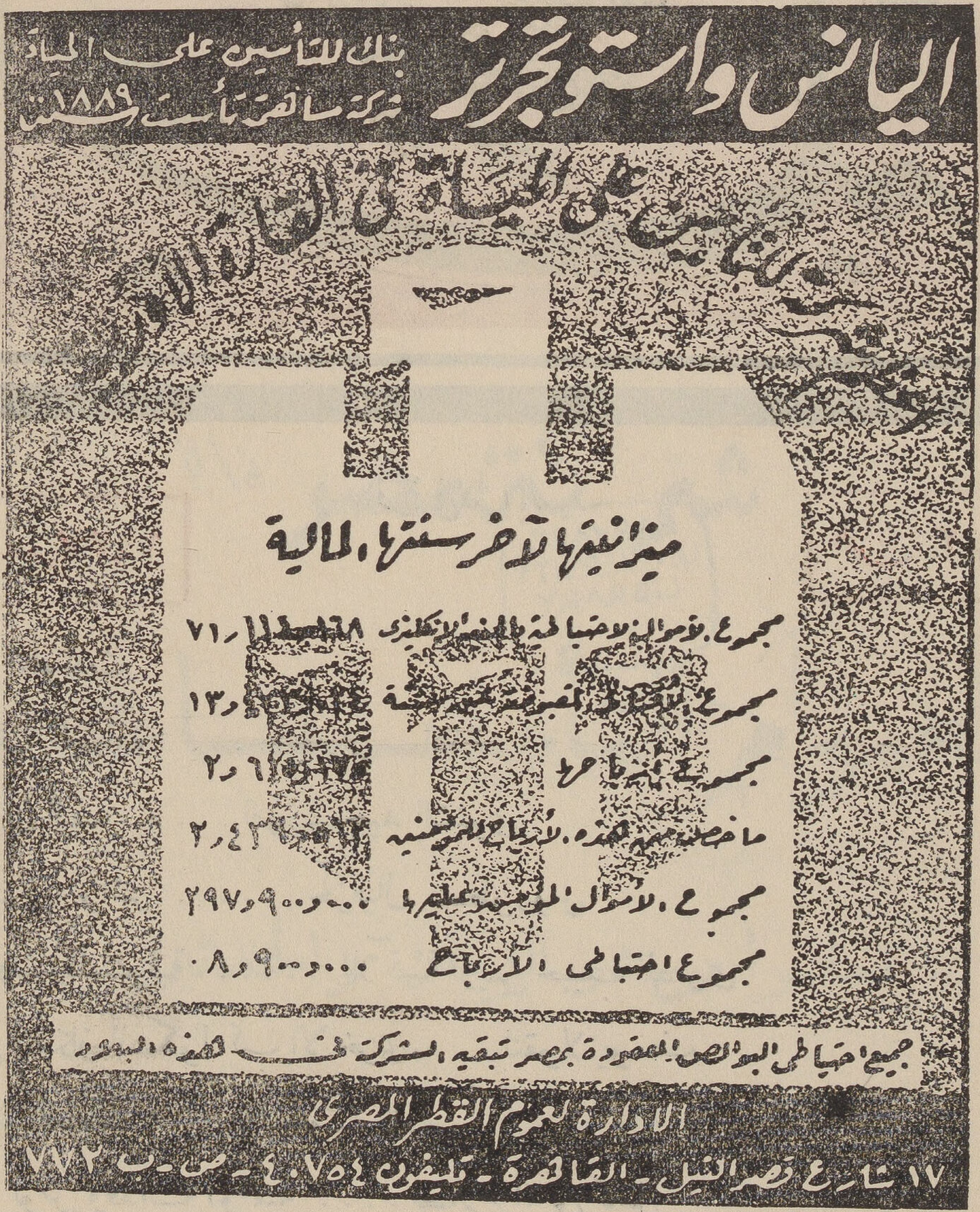
اغسطس ١٩٣٧

الثمن ٣ قروش

HARVARD
UNIVERSITY
LIBRARY

اقرأ فى هذا العدد

مطبعة المجلة الجديدة


اليانس واستوتجرتر
بنك للتأمين على الحياة
شركة مساهمة تأسست سنة ١٨٨٩
على الحياة في القارة
ميزانيتها لآخر سنتها المالية
مجموع الأموال الاحتياطية بالجنيه الإنكليزي
مجموع
مجموع
مجموع الأموال المؤمن عليها ٢٩٧و٩٠٠و٠٠٠
مجموع احتياطي الأرباح ٨و٩٠٠و٠٠٠
جميع احتياطي البوالص المعقودة بمصر تبقيه الشركة في هذه البلاد
الادارة لعموم القطر المصري
١٧ شارع قصر النيل - القاهرة - تليفون ٤٠٧٥٤ - ص - ب ٧٧٢

فهرست

اغسطس سنة ١٩٣٧

الاشتراك فى هذه المجلة

فى مصر والسودان سنة كاملة ٤٠ قرشاً وسنتين ٦٥ قرشاً و ٣ سنوات ٩٠ قرشاً وخارج القطر (داخل الاتحاد البريدى) ١١ شلناً للسنة و ٢٠ شلناً لسنتين و ٣٠ شلناً لثلاث سنوات.

ويجب إضافة ١٠ قروش (شلنين) فى السنة لكل مشترك خارج الاتحاد البريدى

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين) مصر



صاحب الجلالة الملك فاروق

وقد احتفلت البلاد بتوليته يوم ٢٩ من الشهر الماضى

OL25065.750

صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد الثامن

المجلة الجديدة

العدد الثامن
من
السنة السادسة

أغسطس ١٩٣٧

HARVARD
UNIVERSITY
LIBRARY

سير الحوادث

الملك فاروق

فى التاسع والعشرين من الشهر الماضى احتفلت البلاد بتولية الملك فاروق عرش مصر وقد كان الملك فاروق منذ طفولته معبود الامة التى كانت تنظر الى صورته وتترقب نموه وتتلهف على أخباره وتنتظر مروره فى الشوارع وقد حبا إلى الصبا ثم إلى الشباب بين ذراعيها فكان إبنا لكل أب وأم . وهو اليوم يتولى فيتخذ لهؤلاء الآباء والامهات مهمة الأب يرعاهم ويتوخى مصالحهم . وهو يرعى فيهم أمة تحبه وتدعو له بالسعادة . وهذا اليوم الذى تولى فيه الملك فاروق هو لهذا السبب من أسعد أيامنا

وفى البلاد الآن حزب قد نال ثقة الامه وحاز الاكثرية الساحقة . فعلى هذا الحزب أن يتولى شئون السراى بحيث يمنع وجود رجل مثل زكى الابراشى باشا . فاننا نربأ بهذا الحب الذى تنظر به الامة الى ملكها الشاب أن يفسده مثل هذا الاحتمال أو الامكان

ونحن نطمع فى أن يتولي ملكنا الشاب عرش البلاد على الاقل خمسين سنة ومن حقنا كما هو من واجبنا أن نحرص الحرص كله على أن تكون هذه السنين سنى هدوء وسير مطمئن فى طريق الرقى العام واتجاه نحو المستقبل وتعميم الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية

والحكمة التي بدت من الملكة الوالدة والروح الديمقراطي الذي يتسم به الملك فاروق كلاهما يبعثنا على الطمأنينة التامة بأننا سنعيش في ظل ملك كريم ينظر الى أمته باعتبارها أمة متمدنة تطلب الرقي والنور كما ينظر الى مثل زكي الابراشي باعتباره رجلا متوحشاً لايجوز أن تؤويه سراي ملوكية . والامة التي استقبلت الملكين بالفرح بل المرح تؤمل الامال الكبار في شخص مليكها المحبوب وهي تفرح وتمرح لهذا السبب

وقد مرت بالسراي سنوات من الحق والشرف معاً أن نقول أن هذه العلاقة بين الأمة والعرش لم تكن فيها على أحسن مايتمناه المصريون . وكان ذلك بفضل شياطين من أمثال زكي الابراشي باشا أفسدوا وأغروا بالشر وعملوا على التدمير

أما الآن فاننا جميعاً نحب مليكنا ونرجو أن يدوم هـذا الحب والا يفسد مابين الامة وبين العرش . وجميع الامارات التي بدت من الملكين الكريمين تدل على الرغبة الصادقة في النزول على حكم الدستور والرضى بالحياة البرلمانية . ومادام الملك دستوريا يؤيد النظام الديمقراطي ومادامت السراي لايدير شئونها رجل من طراز الابراشي باشا ومادام الحزب الذي نال الاكثرية هو الذي يتولى الحكم فان البلاد تسير مطمئنة في طريق الرقي يشملها السلام والرخاء

هجوم ايطاليا على مصر

لا تظن أن قارئا لهذه المجلة يستطيع أن يلومنا على التقصير في تنبيه الرأي العام عن النيات السيئة التي ينطوي عليها الفاشيون الايطاليون نحونا . فاننا دأبنا منذ أكثر من عام في هذا التنبيه . ولكن الصحف المصرية أهملت الى حد ما هذا الموضوع وهي الآن — أو القليل منها — يوالي قراءه باستعدادات ايطاليا الحربية على حدودنا الغربية . فان ايطاليا تحفر الخنادق وتخزن البنزين في الصحراء وتخفي الطائرات . ولعلها أيضا تخزن الغازات الخانقة . وقد سبق أن نبهنا عن الطرق العظيمة التي شقتها بين حدودنا الغربية وبين تونس وقلنا أن الغرض منها ليس تجاريا كما يدعي الايطاليون وانما هو حربي يقصد عنه نقل الجنود والذخائر . والحاكم العام في طرابلس هو الطيار العظيم بالبو . ويحتاج الانسان الى أن يلغي عقله لكي يصدق أن هذا الطيار قد عين لترقية الزرعة والصناعة في طرابلس . فان مماشك فيه أنه معين لتدبير الهجوم على مصر . فاذا أضفنا الى ذلك أن المهندسين الايطاليين يعملون الان في الحبشة لاستخدام مياه

بحيرة تانا لارواء صحراء الشرق وقطع المياه عنا عرفنا الخطر العظيم الذى نستهدف له ولكننا مع ذلك نثق بحكومتنا وبحليفتنا و نعتقد أنهما غير غافلتين عن جنون الفاشيين

غاندى ونهرو

قبل اسبوعين أذاعت التلغرافات أن غاندى قد نجح فى اقناع «المؤتمر» بان يكف عن مقاطعته للدستور الجديد ويقبل تعيين الوزراء فى الولايات الست التى نجح فيها فى الانتخابات الاخيرة فقد كان نهرو رئيس المؤتمر يقول بأن بقاء حق المنع فى يد الحاكم (وهو انجليزى) يجعل البرلمانات الهندية لا قيمة لها اذ يمكن الحكومة البريطانية فى كل وقت أن تمنع سن القوانين التى تريدها هذه البرلمانات .وحق امنع هذا محفوظ فى الدستور الانجليزي للملك ولكن التقاليد قضت ألا يمارسه الملك الا برأى رئيس الوزراة . وقد قال الانجليز أن أدخال هذا الحق فى الدستور الهندي لا يزيد على حدوده المفروضة فى الدستور البريطانى . وانعقدت بذلك مشكلة . فان المؤتمر جارى رئيسه نهرو فى رفض تأليف الوزارات فى الولايات الست حتى اضطر الحكام الانجليز الى تأليفها من الاقليات ولكن غاندى الذي يكسو يديه بالقطيفة الملساء ما زال بنائب الملك حتى جعله يصرح بأن هذا المنع لن يستعمل للاضرار بالمصالح الهندية أو لمعاندة المجالس النيابية الهنديه . وبعد ذلك دعا غاندي المؤتمر الى قبول هذا التصريح والى تاليف الوزارات فى الولايات الست المذكورة من أحزاب الأكثرية أى من أحزاب المؤتمر. وقبل المؤتمر ذلك

ومما تجب الاشاره اليه أن نهروشيوعى وهو يتجه فى الرأي العام الهندى نحو الاشتراكيه أوسن القوانين التى تنقص من امتيازات الأغنياء وتزيد رفاه الفقراء

واخته الان وزيرة فى احدى الولايات الهندية

اليابان تبتلع الصين

كلما احست اليابان بان اوربا مشغولة بقلاقلها ومخاوفها عمدت هى الى اقتطاع قسم من الصين . فقبل خمس أو ست سنوات اقتطعت منشوريا . والان تحاول ان تقتطع قسما اخر حول بكين العاصمة الصينية القديمة . والصينيون الذين يقودهم شيانج كاى شيك يشعرون بضعفهم أمام اليابان ولا يحبون أن يصطدموا معها قبل ان ليتم استعدادهم. ولذلك فانهم سيسلمون فى الاغلب بجميع مطالب

هذه الدولة الجائعة الطامعة

واليابانيون لا يزيدون على ٩٠ مليونا والصينيون يزيدون على ٤٥٠ مليونا . ولكن اليابان تفرنجت قبل الصينيين واخذت بمبادىء الحضارة الحديثة وبقيت الصين منكوبة النكبة الكبرى بالبيت الامبراطوري الذى كان يحمى تقاليدها ويضع العقبات أمامها حتى لا تأخذ باسباب الرقى العصري واخيرا فى سنة ١٩١١ حين وثقت انه لا خلاص لها الا بنقض التقاليد طردت الامبراطور واسست الجمهورية . ولكنها فى هذا الانقلاب كانت متأخرة عن اليابان بنحو خمسين سنة وهى المدة التى تقرر لليابانيين النصر الآن

فهل يفهم مغزى ذلك سائر الدعاة للتقاليد فى الشرق ؟ وهل هم يدرون ان مايدعون اليه من السخف والهذر عما يسمون « الرابطة الشرقية » تنفيه اليابان بمحاولتها قتل الصين وابتلاعها اوهل هم يدرون ان هذه اليابان تجيز تسميم الصينيين بالافيون الذى يهرب اليها من منشوريا لتفتك برجولتها وقتل عزتها ؟

اسبانيا بين الاشتراكية والفاشية

مضى الى الآن اكثر من عام على الثورة الاسبانية التى قام بها الجنرال فرانكو . وهو الى الآن لم يستول على مدريد . ولا يقل القتلى والجرحى عن مليون من الجانبين . ومن مصلحة اسبانيا ان ينتهى القتال باى حال أى باستيلاء احد الجانبين . والمتأمل لطوالع القتال لا يمكنه ان يقول اى الجانبين سيكون له الفوز . فان كلا منهما يزداد مع الايام مددا فى الرجال والذخيرة ذلك ان فرانكو يعتمد على المراكشيين ويجندهم . والاشتراكيون يجندون الشباب ويدربونهم على القتـال

وتميل الدول الاوربية الى الاعتراف بفرانكو . فاذا تم له ذلك كانت له منه قوة . كما ان الفاشية الايطالية تزداد شراسة فى البحر الابيض المتوسط ويزداد خطرها علينا لان موسوليني يشعر عندئذ انه مؤيد من ناحية الغرب أو على الاقل مطمئن اليه فيمكنه ان يوجه جميع قواته لشرق البحر الابيض المتوسط . أما اذا تغلب الاشتراكيون (اى الحكومة) فان الخطر علينا من الايطاليين يقل لان ايطاليا تجد فى اسبانيا عدوا يحذر

مأساة فلسطين

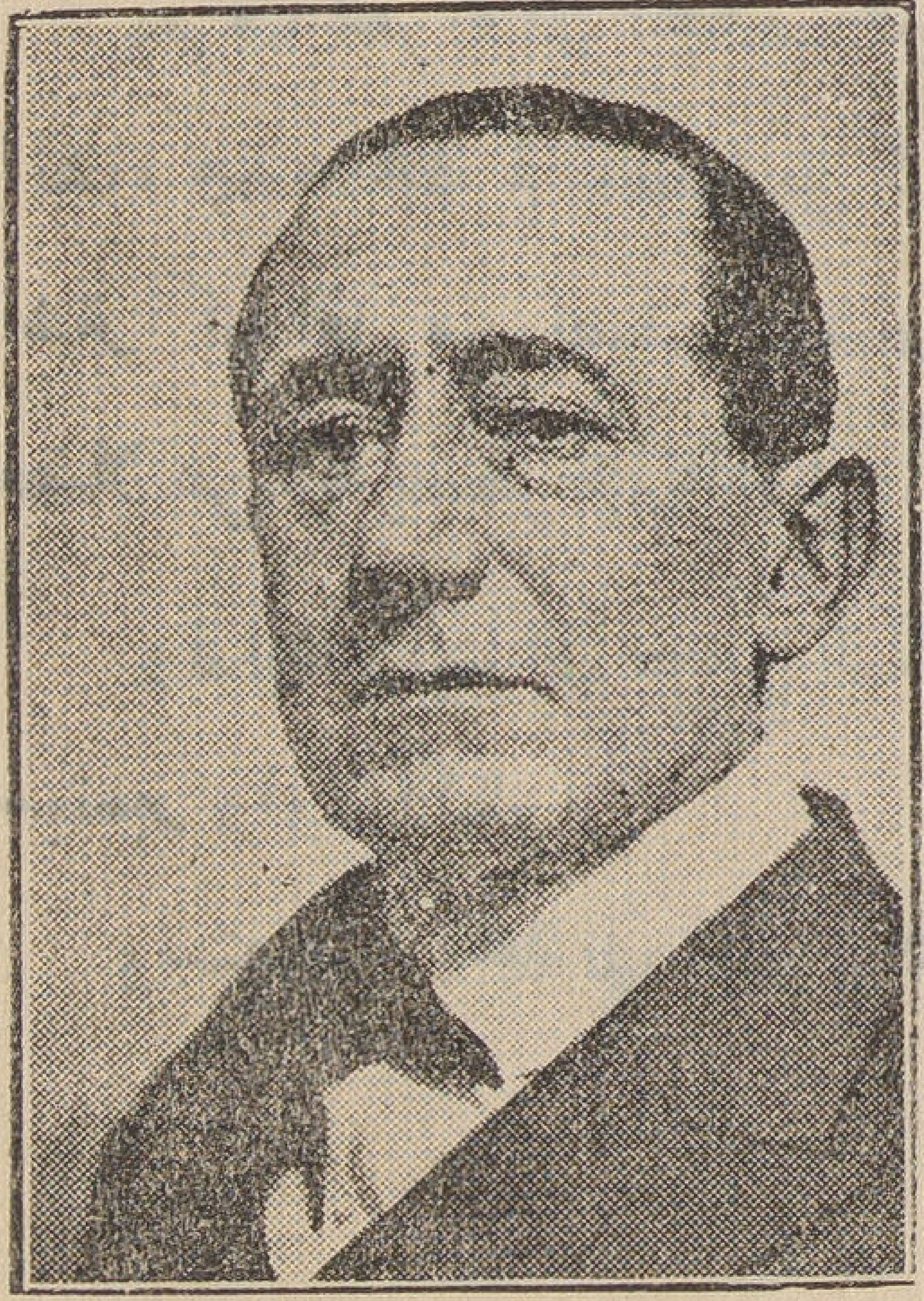
فى الشهر الماضى اعلن تقرير اللجنة البريطانية الملوكيه التى عينت لبحث شكاوي العرب واليهود فى فلسطين . وقد رأت اللجنة ان تعين وطنا لليهود وهو الاقاليم الغربية لفلسطين بما فى ذلك اكبر جزء من الساحل . وعينت وطنا للعرب هو الاقاليم الشرقية : وترى ان يكون لكل من العرب واليهود دولة مستقلة فتتخلى بريطانيا عن الانتداب فيهما وتحتفظ بقسم آخر للانتداب يحتوى على ممر بين القدس والساحل وعلى المدن التى يكثر الاختلاف والشعب فيها بين العرب واليهود

والتقرير معروض الان للدرس امام عصبة الامم . والاغلب ان العصبة ستصدق عليه. ولكن كلا من اليهود والعرب يكره هذا الحل . لان اليهود يطمعون فى الاستيلاء على فلسطين جميعها وطرد العرب منها الى الصحارى . والعرب يعتقدون ان لهم الحق فى منع اليهود من انشاء وطن قومى

وكان لا بد لهذه المأساة من ان تقع وقد تنبأنا عنها ونصحنا للعرب بان يؤسسوا البنوك ويشتروا الارض كما يفعل اليهود : والان نقول ان الشيخ الحسينى قد اثبت عجزه عن قيادة الحركة الوطنية . ولعل هذه الحركة كانت تكون اصح واقوي لو كانت فى يد راغب النشاشيبي . فان الحسينى رجل دين ولا يمكن منه ان يقود حركة وطنية بها المسيحي والمسلم . ولم نستغرب رضى الامير عبدالله بهذا الحل للمسأله الفلسطينيه الذى سيجعله ملكا على فلسطين

ونحن فى مصر نعطف على العرب فى محنتهم ونخشى ايضا قيام دولة يهود فنية تريد أن تتوسع ولها مطالع خيالية جنونية . ومن الان نسمع عن اقتراحات بشأن استعمار هؤلاء الصهيونيين لجزيرة سينا

ماركوني



ماركونى

توفى فى الشهر الماضى السنيور ماركونى الذى يقرن اسمه الى الراديوفون . وهو لم يكن عالما عظيما ولكنه كان شبيها بفورد واديسون يتناول الاختراع ويعرف قيمته التجارية وهو ليس اول من اهتدى الى نقل الاصوات عبر الفضاء ولكنه اول من جعل هذا الاكتشاف ذا فائدة عملية

وقد اساء الى نفسه كثيرا فى اواخر حياته حين انضم الى الحركة الفاشية وامتدحها حتى الحرب الحبشية التى كانت انذل واخس عمل انسانى قد وجد فيها مجالا لمدح الدولة الايطالية

برتراند رسل

يرى القراء في هذا العدد مقالا مسهبا للدكتو صبري جرجس هو تلخيص لكتاب الفيلسوف الانجليزى برتراندرسل (روسل) وفى هذا الكتاب يحاول المؤلف ان يضع اخلاقا جديدة عن الزواج والعلاقات الجنسية تبعد بعدا عظيما عما ألفناه . ويجب ان نقرر هنا ان المؤلف يعد من المتطرفين فى آرائه عن الاخلاق وانه لا يجد من المؤيدين لرأيه فى انجلترا غير القليل : وقد رأينا مثل هذه الآراء فى كتاب اخر وضعه رئيس الوزاره الفرنسية السابقة المسيو بلوم يدعى «الزواج»

ونحن نعرض هذه الاراء لقرائنا ليس باعتبار انها المثل الاعلى للاخلاق فى العلاقات التناسلية وانما باعتبار انها النتيجة للحضارة الصناعيه التى عمت الوسط الاوربى عامة والانجليزى خاصة. وهذا الوسط مازلنا بعيدين عنه كثيرا فى مصر فلا محل للقول بان مايدعو اليه برتراندرسل يمكن ان يدعى اليه فى مصر

وبهذا العدد ايضا مقال قصير اخر للاستاذ يعقوب فقام عن برتراندرسل ينتفع به القاريء فى زيادة معلوماته عن هذا المؤلف

هذه المجلة

يعرف القراء ان المجلات العربية التى من نوع هذه المجلة تعطل فى هذين الشهرين . اما نحن فمنذ انشاء هذه المجلة لم نعطلها بل كنا نصدرها على طول السنه اثنى عشر عددا . وهذا مع العلم بان اشتراكها اقل من نصف الاشتراك الذى يطلب لسائر المجلات . وقد وجدنا هذا المجهود مرهقا لنا فضلا عن انه يضطرنا الى ادراج مواد كنا لا نرضاها فى ظرف اخر تتوافر فيه الراحة

ولذلك رأينا ان نجعل الكتابين اللذين نهديهما للقراء بدلا من العددين اللذين يصدران اول سبتمبر واول اكتوبر

وستصدر المجلة فى اول نوفمبر فى رونق اخر وتقاسيم جديدة

نسمات السعادة

ضحك الصباح فهاتها كالصبح فى ضحكاتها
إغرودة مرح الهوى والفن فى نفساتها
للوحى فى آهاتها شغف وفى آياتها

النفس عطشى للجمال
من وحى آلهة الخيال

بار الطيور بشدوها وارقص على سجعاتها
فالغصن كالسكران من صهباء أغروداتها
والروض يضحك للغزالة غاص فى ضحكاتها

عم السرور الكائنات
فانعم بآلاء الحياة

حتى الغزالة شادياً واشكر لها قبلاتها
شكراً كنفحات الزهور يفوح مع نفحاتها
ماقبلة الأم الحنون أحر من لفحاتها

ياحبذا قطع البيان
فواحه ملء الزمان

البحر نام فهبت النسمات من غفواتها
والسحب حول سريره قامت بوطفاواتها
كالتبر فى جنباتها والماس فى هاماتها

تغرى الفؤاد بضمها
وبلثمها وبشمها

تلك الحمائم ليتها والسكر فى هتفاتها
لما جرت بين الغيوم تشق منتشراتها
اخذت بصحبتها فتي صبا بمنتدياتها

أحمائم الأفق الجميل
نعم الخليل انا الخليل

ياحبذا عيش الحمائم فى نعيم فلاتها
أهوى مسارحها وأهوى النوم فى وكناتها
انا لا أحب المدن مهما زينت لذاتها

وأحب من سرر الحرير
مهد من العشب النضير

(باهيا) جبران سعاده

في الادب الياباني

حيوان أليف

قصة يابانية لشيمازاكي توسون

الأدب جزء من المدنية والاقصوصة فرع من مروع الأدب وهذه الاقصوصة ترينا شيئا من آداب ذلك الشعب الناهض وليس مؤلفها نكرة فقد عاصر النهضة اليابانية مدة طويلة واشتغل في بدء حياته الادبية بنظم القريض ولكنه تحول بعد الحرب اليابانية الروسية للكتابة في القصص

وتمتاز اقاصيصه القصيرة بطابعها القومي كما تميل الى وصف الطبيعة وتحليل الحياة الانسانية وهذه القصة من خير ما كتب

« . »

ولدت فاذا الدنيا عابسة ، وقابلت الحياة فاذا هي كريهة مكروهة ، فلم يكن وصفها أو صفاتها يبعثان على الرضى ، فشعرها سنجابي قصير ، واذنها بارزة قبيحة ، وعيونها ماكرة كعيون الثعلب وللحيوانات المنزلية دلال أو فوائد تجذب للحيوان صداقة الانسان فيدلله ويكرمه اما هي فقد جردتها الطبيعة من تلك الميزات فاذا هي شريدة مطاردة. فقدت عطف الناس فطردوها واقصوها من ديارهم

وهي كلبة عاش اسلافها في الغابات حياة بدائية بعيدة عن الانسان ومدنيته ، ولكنها بعد ان ورثت فيما ورثت تلك الطباع المدنية صعب عليها ان تعود للحياة الأولى لأنها تعودت ان تعيش بين الناس فتسكن بين ظهرانيهم وتأكل من طعامهم سواء كان هذا الطعام فجا أو ناضجا يعطى بالرضا أو يؤخذ قسرا .

بحثت هذه المخلوقة الضالة عن مأوى تلتجأ اليه فلم تجد الا وكرا ضيقا مظلما في احد الاركان

المهجورة من حديقة منزل آل كش سان المزارع . وفى مكان حصين بين المنزل ومجاوره . وقد اختارت هذا المكان الامين لتأمن شر الناس وليسهل عليها الاختفاء فاذا عضها الجوع واحست بالحاجة الملحة الى الطعام وجدته فيما حولها بيوت اربعة متقابلة لا يفصلها الا اغصان الشجر ودلها الانف الحساس فى بادىء الامر عن مكان المطبخ فعرفته . وكانت تسترشد بتلك الميزة فى تفتيش اماكن طعامها فتنقض عليه قبل ان يهاجمها انسان فكانت تأكل لتملأ فراغ معدتها فى لهفة وسرعة لا تسمحان باختيار لون معين او التفاضل بين طعام وطعام فربما أكلت قشور فا كهة او حساء فاسدا او بقايا مأكولات نتنة

فاذا قصرت تلك البقايا عن سد حاجتها حركت حياشيمها مستطلعة ما حولها وتسقطت ما يمكن العثور عليه وربما كان جوربا قذرا منقوعا فى ماء برميل الغسيل بجوار البئر . فاذا اكلت تلك الغنيمة تحولت لماء البرميل فشربت منه مسرورة راضية

وطاب لها ظل شجرة كبيرة قديمة متشابكة الاغصان فاتخذت منه مكانا تستريح فيه فتستلقى على ظهرها وتمد اقدامها الاربعة على الارض الساخنة من فعل اشعة الشمس النافذة من بين الاوراق والاغصان . ثم تتنهد طويلا او تحك الاجزاء التى يقلقها ما فيها من حشرات مهيجة فاذا أقبل المساء لجأت الى مخبأ المنزل تحت ارض الطابق الاول ونامت فوق اكياس الفحم . فاذا اعوزهـــا الدفء زحفت الى اقصى حد ممكن حتى تصل الى تحت المطبخ فتنـــام فى صندوق الفحم الدافىء .

« • »

ولاسرة كش سان كلب ارقط ذى لون احمر وابيض يدعونه « بوتشى » وهذا حيوان رشيق محبوب وكان هو المخلوق الوحيد الذى كان يقابلها بالترحيب ، فيقترب منها بأدب ويضرب الارض بقدميه . فتقابل التحية بمثلها وتهز ذيلها القذر . اما كش سان وباقى سكان المنطقة فكانوا ينظرون اليها باشمئزاز وكره

وكانو يتعجبون لقبح صورتها فقال احدهم مرة

— اليس من الخسارة الكبيرة ان يكون قبح الصورة قائما حتى فى الحيوان؟

فاجاب الآخر

— لو خلقت هذه الكلبة باى مظهر جميل لاحتفظنا بها

ولكنها لم تدرك من كل هذه الاحاديث اى معنى وكل ماكانت تعرفه انهم اطلقوا عليها اسم

« بب » فكانت العمات (ربات المنازل) الاربع واطفالهن يضحكن عليها ويعيرنها بالنداء المتكرر « بب . بب . بب » . اما الرجال فكانوا مخيفين فأن اقل غفوة منها كانت تعرضها للاذى والمطاردة وكم من مرة قذفوها بالاشياء الثقيلة من احجار ، الى كتل من الطين ، الى عصى حديدية وقذفوها مرة بكتلة الخشب التي يدعم بها الباب فجرحت فى رجلها الخلفية

وبمرور الزمن والتجربة ادركت طبيعة العقل البشرى ففهمت ماوراء تقلصات الشفاه من اوامر شريرة وما يتبع ابسط حركات الجسم لتناول شىء من اذي ، وما يعقب هز الاكتاف وضم الشفاه من عزم وتصميم ، ادركت من الشعور السائد حولها مدى العداوة العميقة القائمة بينها وبين الناس.

واستدرجت مرة الى شرك نصبه لها كش سان فى مطبخ بيته ولكنها فرت رغم كل حيطة ولا يعرف احد كيف امكنها الخلاص فقد كان الناس يصيحون « احضروا حبلا احضروا حبلا » بينما كانت هى فى اشد حالات الذعر تجرى هنا وهناك حتى وصلت الى الحديقة حيث تكثر الاشجار القصيرة ، واتجهت الى البيت الزجاجي ودارت حول مخزن الحبوب ، ثم انطلقت فى الحقول المخصصة لبيع ازهار العيد

فقال الرجال آسفين « هربت اخيرا »

فاجابهم العم كن سان ضاحكا

— انها لحيوان مقلق

ولم يكن هذا اول عهدها بتلك التجارب القاسية فقد كان اضطهادها متواصلا فى بحثها على طعامها بكل هدوء وسكون وكأنها تقول فى نفسها « هذه املاكي الخاصة » فكم دخلت المطبخ وكم صعدت الى الشرفة فلوثتها بارجاها القذرة . فاذا ارادت ان تلعب عمدت الى اربطة الاخفاف الموضوعة فى الحديقة فقطعتها او لعبت بملابس العمات المغسولة المنشورة فلطختها بالطين والتراب . واستهترت بالاطفال فسخرت من كوشان الصغيرة التي كانت تحب اللعب فى الفناء الخارجى للمنزل وهى تلبس قبقابها العظم

وكانت كوشان تحضر فى بعض الاوقات كعكا لذيذ الرائحة جميل المنظر وتدنو من بب وتقول

— انظرى يابب ! انظري يابب

فتقفز الكلبة عليها فى الحال فتصيح كوشان

— ادركيني ياماه فان بب شريرة

فتقبل العمة على عجل وتحثها على الفرار

— اهربي يا كوشان ! اسرعي ! ولماذا تلبسين هذه القباقيب الكبيرة ؟

وتفقد الصغيرة حلواها بين اسنان بب التي كان يسرها ان تأكل من حلوى الانسان ، فاذا فرغت من التهامها لحست انفها بلسانها الاحمر

ولم تهتم بب بما في حركاتها من خير اوشر رغم انتقادات الرجال والسيدات فلم تدر شيئا من المعاني التي يقصدونها فهي تجهل معنى اداب السلوك واستعمال الاساليب المدنية وغيرها من القيود التي اخترعها الانسان . وهي كلبة لا يهمها سواء كانت حركاتها مؤدبة او غير مؤدبة . وكل ما في الأمر انها حيوان مسكين يعيش تبعا لطبيعته

« * »

انقضى الشتاء ببرده وشظف عيشه دون ان تموت من الجوع الذي شكاه كل الناس . وها هو الشحاذ الذي يطرق ابواب بلدة « اكوبر » يشكو مر الشكوى من قلة الموارد وهاهي المرأة التي تصحب طفلها تذهب كل صباح لتبحث عن عمل فتعود وتقول « لا عمل اليوم » فقد كان الناس في الشتاء في حالة بائسة لا يستطيعون الاستغناء عن اى مقدار من الارز البارد ليشبعوا نهمهم مثل تلك الكلبة العديمة الفائده

لقد قضت الشتاء هائمة فوق الثلوج وكانت تأكل كل ما يصادفها حتى قشر البرتقال

« * »

واقبل الربيع وذاب الجليد فاذا بها قد نمت وكبرت فزاد تودد بوتش اللطيف اليها ، وتبعها «كورو» كلب المنزل المجاور ، وتحبب اليها « اكا » كلب بائع الخشب ، ويقترب منها كلب الجيران الكبير الجسم المخيف المنظر فكان يقترب منها في دلال . وصار لها حاشية مستديمة لا تفارقها اينما ذهبت . وكان مكانها تحت الشجرة الكبيرة يفيض باصوات الحنان والاغراء لان كل الكلاب تتزلف لها وحدها

ورأت احدى العمات هذا بينما كانت تملأ دلوها من البئر فقالت متعجبة

يا الهي ان بب أنثى ! ولم ألاحظ هذا من قبل ! فاجابتها الاخري

— ولا أنا أيضا !

وتضاحكت العمتان في لذة كبيرة

وسرى النبا في العائلات الاربع فاوجدوا جوا جديدا متناقضا بين العطف والحنان على بب كالنساء يقارنها بانفسهم فيرين انها حامل تستحق الشفقة والرحمة والرجال يرون أنها ستلد بعد

فترة ويصرون على التخلص منها ومن حالها وتضاربت الآراء وأصبح مستقبل بب يثير اهتمام الجميع ويشغل بالهم

وفى احدى الايام أقبلت عربة تحمل شيئا يشبه صندوقا لاغطاء له وتستره حصيرة قذرة . فلما اقتربت من منزل كش سان وقفت ببابه وتقدم شرطى بملابسه الرسمية يتبعه رجل غريب الصورة والثياب وأدركت بب الخطر المحدق بها فانكمشت فى مكانها بينما أطلق بوتشى وكوزوباقى الكلاب لاصواتهم العنان فتجمعت الرجال والنساء وكل أهل القرية . وفزعت كوشان الى أمها واختبات وراءها صاوخة

— صيا دو الكلاب يا أماه

تجمع الناس حول الحديقة وخلفوا عملهم فتركت ابنة كش شان عملها اليومى من سقى الزرع وتعهده وهرعت بمعزفتها الى الشارع • وكان أحد طلبة المدارس يرسم منظرا بالالوان المائية فطرح أدواته وتبع الناس

وقد ساد الارتباك بين الناس . فبينما هذا يصرخ «مرت هناك» يصيح الآخر « ها هى هنا » فكان موقف بب فى هذه المرة خطيرا حقا حتى قالت كوشان وهى ترتعش

—قتلت بب ولا شك ياأماه

وبعد محاورات تمكنت من الفرار . فنظر أحد الرجال وكان يحمل هراوة ضخمة من السنديان الى زميله وهز رأسه بيأس . فقال الشرطى وهو يفارق باب الحديقة « لافائدة لا فائدة » وعاد الاثنان يجران عربتهما الفارغة ونجت هى بعمرها فاخذ جوفها يكبر تدريجيا ولكنها فى هذه المرة لم تشعر بالاستهتار السابق ففى جوفها حمل ثمين . فلم تأو الي مقرها السابق تحت ظل الشجرة الكبيرة اذهو الان موطن غير آمن : واصبحت شديدة الحذر لا تستقر عيناها على حال فاذا ادركها التعب واستلقت على الارض ثم احست بخيال رجل قفزت على قدميها فى الحال فقد صار الانسان فى نظرها المثل الاعلى للتوحش والقسوة

وبرغم هذا الخوف الشديد لم تفارق البيت الانسانى وقد يرى البعض انه من خيرها ان تهرع الى الغابة فتعيش فيها كباقى الحيوانات وتبنى وكرها بين الحشائش الخضراء حيث تضع اجراءها بعيدة عن اذى الناس . الا ان شيئا من هذا لم يدر بخلدها فلم تعد قادرة على التخلص من طبيعتها المكتسبة الموروثة

وفى اوائل يونيه وضعت اربعة جراء فى بيت كش‌سان الزجاجى فكان اثنان منهما فى لون بوتشى الارقط مختلطا باللونين الاحمر والابيض وكان الثالث اسودا بينما كان الاخير سنجابيا كلونها هي

وفى صباح يوم امومتها تغير كل شيء قبلها فعلت البسمة الانسانيه وللمرة الاولى فى حياتها ذاقت الطعام المغذى اذ اتتها العمة كش‌سان وهى تقول

— تعالى يابب ! تعالي !

ثم بسطت امامها ورقة من المطبخ

ومن ذلك اليوم بدأت العمة كش سان تلاطفها وتحسن معاملتها

عن الانجليزية

فوزي جيد الشتوى

ليليان تراشر

آنسة امريكية تربي الايتام المصريين

هى آنسة عذراء ولكنها ام لمئات من البنين والبنات اليتامى . وعائلة لعشرات الارامل، ومدبرة لشئون كثيرين ممن اضناهم الفقر وحرموا من عطف الوالدين


الانسة ليليان تراشر

والجميع يدعونها «ماما» فالاطفال اذا عضهم الجوع هرعوا اليها صائحين «جوعانين ياماما» واذا هزهم قارس البرد لجأوا اليها فيجدون فيها نعم المعين ويلقون منها كل عطف الوالدين

هذه الانسة هى ليليان تراشر التى انشأت ملجأ الايتام الخيرى باسيوط ، واصبح اسمها مقرونا به

. . .

قبل نحو خمسين سنه فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٨٧ ولد لعائلة تراشر مولودة دعوها ليليان وكانت العائلة تقيم فى جاكسون قل التابعة لولاية فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية ونشأت ليليان كاية امريكية عادية

كان الأب مفتشا فى شركة لرصف الطرق ولم يكن كثير الاهتمام بالدين . اما الام فكانت

مسيحية متدينة . وكان الجدان من «الـكويكرز» وكانا يقطعان مسافة ٨ اميال حتى يصلا الى الـكنيسة التى فيها يصليان

ولما اصبحت ليليان شابة كانت تشعر بميل شديد الى خدمة الدين واتفق انها قرأت كتبا لمؤلف اسمه «هوراشيا الجر» تدور كلها حول الاطفال المهملين فتسرد قصصا مؤثرة عن حوادث الصغار ومتاعبهم مما اثر فيها وجعلها تعزم أن يكون ميدان خدمتها الدينى هو خدمة الاطفال اليتامى، ولذلك ساعدت الانسة ماتى بيرى التى كانت تدير ملجأ فى ماريون — كارولينا — وكان عمر ليليان وقتئذ ثلاثة وعشرين عاما وقد خطبت لشاب . وكان موعد الزواج قريبا ، حينما حضرت اجتماعا تـكلمت فيه احدى المرسلات الامريـكيات عن الهند وعندئذ شعرت بان قلبها يحدثها ان تذهب الى افريقيا ولم تـكن تعرف عنها شيئاً واعترضتها صعاب كثيرة اولها ترك خطيبها بعد ما اتفقا على الزواج وهذا يعنى انها ستضحى بسعادتها وسعادة حبيبها فى سبيل الخدمة التى شعرت انها مدعوة لها . وثانيها معارضة اهلها فى خدمتها للدين فى اي مـكان وخوفهم عليها من الذهاب الي القارة المجهولة ، وليست هناك جمعية تعضدها وترسم لها خطتها وتمدها بالمعونة ، انها مخاطرة غير سليمة العاقبة ولا مضمونة النتيجة

أما العقبة الثالثة فهى خلو يديها من المال فقد انفقت كل ماتملك استعدادا للزواج ولم يبق لديها غير جنيه واحد ، وماذا يقدر الجنيه الواحد ان يفعل؟ وقد ارادت ان تخفف صدمة الهجران على خطيبها ، فعرضت عليه ان يرافقها الى افريقيا ولـكنه رفض. فتم عزمها على الرحيل

واعدت عدة السفر وهى واثقة ان الله سيهديها الى البقعة التى ستعمل فيها وفى تلك الاثناء سمعت عن مؤتمر للمرسـلات منعقد فى مـدينة واشنجتون وقصدت الذهـاب اليه لتسترشد به عن اية جهة فى افريقيا يمـكن ان تذهب اليها ولم تـكن اجرة السفر كاملة بل كانت تـكفى فقط للوصول الى واشنجتون فذهبت اليها وهناك التقت بمرسل فى اسيوط اسمه القسيس برلسفورد وقصت عليه قصتها ورغبتها فى الذهاب الى افريقيا، فايقن القسيس ان الفتاة لم تتدبر الامر جديا بل ربما كانت تحاول الهروب من والديها، فنصحها « يابنتى يحسن بك ان تعودي الى امك »

ولـكنها لم تيأس ولم يهن عزمها وبعد يومين احسن المرسل ان هـذه الانسه مخلصه فى السعى وراء الخدمة وانها تصلح ان تـكون معينة له فى عمله فى اسيوط ، فسألها هل تقبل معاونته ، اما هى فلم تـكن تعرف الجهة التى عينها لها الله فقالت فى نفسها « لم لا تـكون اسيوط المـكان المناسب

لخدمتها ولم لا يكون سؤال القسيس صوتا من الله. فقبلت الذهاب الى اسيوط وبعد مشقة حصلت على أجرة السفر الى مصر وفى الباخرة صلت وفتحت كتابها المقدس واذا بها تقرأ « أنى لقد رايت مشقة شعبي فى مصر وسمعت أنينهم ونزلت لانقذهم فهلم الان ارسلك الى مصر »

• • •

وفى ٢٦ اكتوبر ١٩١٠ وصلت الى مدينة اسيوط ومن حسن حظ اسيوط أن نزل بها ملاك الرحمة وأخذت تستعد للعمل العظيم الذى وهبت نفسها له . فبدأت تتعلم اللغة العربية لتحسن التفاهم مع عامة المصريين ، ولتقوم بخدمتها على الوجه الاكمل .وبعد ثلاثة شهور من وصولها سمعت عن أمرأة مريضة تشرف على الموت فزارتها ، وبعد أيام ماتت المرأة وتركت رضيعا عمره ثلاثة شهور فاخذته وهو فى حالة بائسة تصفها بالقول

« يظهر أن جسم الطفل لم يصل اليه الماء منذ ولادته وقد حشر فى ثياب ضيقة كانها خيطت عليه ويصعب على أحد ان يشم الروائح الكريهة المنبعثة من ذلك الطفل المسكين . وكان اللبن الذى يشرب منه فى كوب قذر مكشوف تعلوه الاوساخ »

فنظفته والبسته ثيابا جديدة وسقته لبنا نظيفا ولكنه كان مقلقا فلم يكف عن الصياح مما اضجر المرسلات فطلبن منها أن ترجع ذلك المخلوق الى حيث أتت به .ولكنها لم تقبل بل استأجرت بيتا بعيدا وسكنت فيه مع طفلها وكان ذلك نواة الملجأ العظيم الذي تديره الان .

على أن الصعاب لم تتركها فقد كان يعاودها حنين الوطن وكانت تحاول التغلب عليه حتى أصبحت تحب اسيوط وابناء الملجأ حبا يماثل حب الوطن وابناء الوطن

وفى بدء عملها لم يكن من السهل أن تعثر على الايتام فكثيرا ما ركبت حمارا وذهبت الى القرى المجاورة تعرض خدمتها لليتامى ، ومع ذلك لم يكن الاقبال على ذلك مشجعا فقد كانت فكرة تربية الاطفال وايوائهم واطعامهم والباسهم دون مقابل ، غريبة على اذهان الناس فلم يعتادوا مثل هذه الخدمه وقد ظنوا بها السوء وساورتهم الشكوك من جهتها وتساءلوا « لماذا تطعم الايتام مجانا ؟ » انها تريد ان تخطفهم وترسلهم الى امريكا . ولم يطل الوقت حتى تبين الناس حسن نيتها وشريف غايتها وسامى مبادئها فاقبل الايتام عليها ، مما جعلها تضاعف جهودها لتضمن لهم الطعام والكساء

ولما كثر عدد الايتام كبرت الخدمة ، واحتاجت الى المال . لا سيما وهى لا تعتمد على جمعيات

البر فى أمريكا أو مصر بل تعتمد على احسان الافراد أو الجماعات يقدمونه متى شعروا به ، . فماذا تفعل ؟ لم يكن بد من التجوال فى قرى ومدن مصر من القاهرة شمالا الى جرجا جنوبا . وكان من العسير وصول القرى النائية الا على ظهر الحمير . وكانت تركبها ساعات فى طرق ملتوية متعبة وكثيرا ما سافرت نهارا وليلا فاذا احتاجت الى المبيت ففى نقط البوليس . كل ذلك لتجمع مالا تعول به ايتام ملجأ اسيوط

ليتأمل القارىء فتاة امريكية لم تبلغ الثلاثين من العمر تطوف بقرى الصعيد معرضة لاخطار اللصوص ومتاعب السفر . وليحكم على قدر الخدمة التى قامت بها الآنسة ليليان وقد ذكرت لى انها اوشكت مرة على الغرق فى وقت الفيضان بين كوم اسفحت والدوير « مركز ابو تيج » . اذ نزلت فى قارب ومعها عسكرى وفى منتصف المسافة فتح ثقب فى القارب فضغط النوتى بجسمه على الثقب ليمنع تدفق الماء الى داخل القارب ، وبعد عناء أمكن اللجوء الى كومة عالية من الحطب بالقرب من « آلة رى بخارية » فخرجوا من القارب وجلسوا على كومة الحطب فى انتظار قارب آخر وبعد وقت طويل مر قارب فنزلوا فيه وذهبوا الى الدوير

***

وفى فترة الثورة المصرية كان الاجانب فى خطر وقد شهدت بعينها مئات الاعراب مدججين بكل أنواع السلاح يهجمون من الشرق على مدينة أسيوط فجاء بعض الأجانب ينصحونها أن تذهب معهم وترسل الأولاد لأقاربهم ولكنها رفضت أن تترك الأيتام المساكين لتنجو بنفسها بل اهتمت بهم وأخفتهم فى حفرة فى طاحون قديمة

وقد هم الاعراب باقتحام الملجأ ولكن الحارس أقنعهم ان هذا بيت الفقراء والأيتام المصريين فليس من المروءة أن يهجموا عليه . ولكن واحدا سولت له نفسه أن ينفرد بطعام الأيتام فما كاد يتسلق جدار الملجأ حتى أصابته رصاصة طائشة من غرب النيل اردته قتيلا

وكانت فى كل ساعة تخشى الموت وتتلقى الأهوال التى تثبط الهمم ، وعندما بلغت الثورة أشدها اضطرتها السلطة العسكرية أن تترك أسيوط فبكت بكاء مرا ولم يغمض لها جفن فى تلك الليلة ثم اودعت الأطفال فى كلية أسيوط وذهبت الى أمريكا تجمع الأقوات وترسلها لهم

وقد برزت تضحيتها مرة ثانية عندما عرض عليها الزواج فرفضته وأبت أن تترك الأيتام الذين بلت أن تكون أما لهم

فى الملجأ الذى تديره الان ٦٨٠ نفسا من أطفال حرموا عطف الوالدين لوفاتهم ، وآخرين قسا عليهم والدوهم وشردوهم ، وعميان وعمياوات . لا نصير لهم . وزوجات ترملن وأخريات خانهن أزواجهن ، وغيرهن لا يجدن الكفاف فى بيوتهن ، كل هؤلاء يسعهم قلب الآنسة ليليان المحب ، وتخصهم بعطفها ، وتجعل لهم من الملجأ بيتا سعيدا

فالنساء يشتغلن فى الشئون المنزلية ، كغسل الملابس وطهى الطعام والعناية بالصغار . والأولاد يتعلمون فى مدرسة الملجأ مقرر المدارس الابتدائية والمجتهدون منهم يرسلون إلى مدارس أسيوط الثانوية ، وكثيرون منهم يتعلمون صناعة فى الملجأ ففيه (ورشة) صناعية يديرها أبناء الملجأ ، ويشتغل البعض بالزراعة فى المزرعة الصغيرة التى تحيط بالملجأ ،

وتحاول أن توفر وسائل الراحة لجميع اللاجئين فالمبانى صحية فسيحة ويجد الصغار مجالا للعب والرياضة ،

البنات يتعلمن فى مدرسة الملجأ ومنهن من يلحقن بكلية البنات الامريكية ثم يلتحقن بمدرسة الممرضات التابعة لمستشفى الأمريكان

والمعلمون والمعلمات من أبناء الملجأ تدفع لهم مرتباتهم بانتظام ويعيشون فى الملجأ عيشة مستقلة مع عائلاتهم ، وقد زوجت الانسة ليليان — منذ افتتاح الملجأ — نحو مائة فتاة من بناتها وتكون سعيدة جدا إذا كان العريس والعروس كلاهما من أبناء الملجأ ، وهى تمدهم بالمساعدة الممكنة وقد حضرت حفلة زفاف فى شهر يونيو الماضى فى الملجأ ، كانت العروس قد دخلت الملجأ وعمرها ستة شهور ، وكم كان فرح أبناء الملجأ بعروسهم وكم كان جميلا منظر العروس وهى تدخل الكنيسة متكأة على ذراع «ماما» التى جلست بجانبها فى اثناء الأكليل

مما تقدم تتبين لنا مبادؤها السامية وهى محبة عظيمة تشمل الجميع ، وخدمة مضحية تعمل للجميع وايمان قوي يغلب جميع الصعاب

أليس ايمانا انها تذهب الى بلاد مجهولة وهى واثقة أن الله الذى دعاها للخدمة سيكللها بالنجاح أليس ايمانا أنها تتكفل باعالة ٦٨٠ نفسا ينفقون فى العام. ٤٠٠ جنيه ، فى الوقت الذى يعسر على بعض الاباء اعالة أطفالهم .

وقد دونت فى مذكراتها كيف كان الله يعتنى بها وبابنائها ، ففى الوقت الذي تاتى الفتاة المسئوله عن مخزن المؤنة تنبيء بان المخزن خال من الطعام ، ترتفع الصلوات وتعجب أن الله يجيبها فى الميعاد ، فلم يحرم الاولاد يوما من الطعام

وربما يقال ان هذا يحدث بطريق المصادفة ولكنها تقول أنه لا يمكن أن يحدث الاتفاق لمدة

٢٧ سنة ، انها تشعر أن يد العناية الالهية تدبر شئونها

وهاهي بعض الحوادث التى شهدت فيها تدبير الله :—

فى أحد الايام كانت مدينة بمبلغ ٦٠٠ ريال تستحق الدفع فورا ، وكان بائع الخبز يطلب ١٥٠ ريالا ويلح فى الطلب لأنه اذا لم يسترد ماله يتعطل عمله ، ولم يكن لديها مال ولم تعرف كيف سيدبر ذلك المال ، ولكنها كانت مؤمنة أن الله لن يتركها وانه سيساعدها — وفى صباح اليوم التالى جاءها البريد وبه رسالة بعنوان أسيوط — الهند ، ففتحتها فاذا بها ١٠٠٠ ريال من محسن فى كنساس بأمريكا ظن أن أسيوط فى الهند فكتب العنوان كذلك ، ولكن موظف البريد الأمريكى وضع هذه الرسالة ضمن الرسائل التى أرسلت الى مصر . فوصلت الرسالة فى الوقت المناسب ، وسددت الديون وبقى معها رصيد . ألم يكن من المنتظر أن تضيع الرسالة ؟

فى يوم احتاجت الى قطن لفراش الأطفال وكان البرد شديدا وجاءت الفتاة المسئولة عن الفراش تخبر «ماما» أن ليس لديهم قطن والايتام الجدد يطلبون مراتب ، فضلا عن أن المراتب القديمة تمزقت ، فطلبت الآنسة ليليان أن يصلى الجميع لله ليبسر حاجتهم ، وفى الصباح رأت سيارة تحمل أكياسا من القطن تعبر الكوبرى المؤدى الى الملجأ فقالت فى نفسها يا ليت لنا جزء من هذا القطن . وأخذت السيارة تقترب الى الملجأ حتى وقفت أمامه فاذا بكل القطن هدية للملجأ . فبينما كانوا يفكرون فى حاجتهم الى الفراش كان محسن كريم يشغله نفس التفكير

وفى مرة أرسل للملجأ مقدار كبير من اللحم ولكنه لم يكف لعمل (حساء) لجميع اللاجئين . فاضطر الباقون أن يا كلوا أرزا مع أنهم كانوا يرغبون فى الحساء كاخوانهم ، ولم ينته اليوم حتى أرسل للملجأ مقدار اخر من اللحم كان يكفى لعمل حساء للباقين . فنالوا نصيبهم كاخوانهم

« . »

أما أثر هذه الفاضلة المضحية فقوى جدا فانت لا تكاد تطأ أرض الملجأ حتى تثور فيك عاطفة الاحسان والكرم ، وتشعر بأن خدمتك ضئيلة أمام هذه الخدمات الجليلة التى تقوم بها آنسة وتنوء بها جماعات وستعرف انها قد تمر على بيوت المحسنين فى أسيوط لغاية الساعة الحادية عشرة مساء لتجمع دقيقا ليخبز فى الصباح ، وكثيرا ما تسهر الى منتصف الليل تكتب رسائل تشكر المحسنين الذين قدموا للملجأ مساعدات أو ترجو احسانا من اخرين ، وتشغل معظم اليوم بالمقابلات الكثيرة ، والضيوف العديدين والذين يزورون الملجأ وكثيرا ما تضطر للتجوال معهم فى أرجائه مرارا وتجيب على أسئلة متشابهة وهى تفصل وتخيط ملابس الاولاد والبنات تساعدها

الفتيات والنساء اللاجئات حقاً أن عملها شاق ولكنها نقوم به بكل سرور

ومنذ أعوام اشتغل مدرس فى مدرسة الملجأ ، فتشبع من روحها ، وشعر بانه يجب أن يقوم بخدمة الأطفال ، فاستقال من عمله وانشأ ملجأ فى سوهاج . وأكاد اعتقد أن ملجأ الانسة ليليان كان باعثا لمجلس مديرية أسيوط أن ينشىء ملجاى البنين والبنات وقدعمت هذه المؤسسات الاجتماعية أكثر مديريات القطر

واثرها داخل الملجأ واضح لا يحتاج الى بيان ، فقد انتشلت اليتامى والفقراء واللقطاء ، من الجهل والفقر والشقـاء الى العلم والتهذيب والسعادة والحق ان المتعلمين من أبناء الملجأ مثل طيب للاخلاق الفاضلة

واما البنات فقد صانتهن وقدمت لهن فرصة يقمن بخدم شريفة ، ورفعت مستواهن . وهى لا تسمح مطلقا لأى فتاة ان تشتغل خادمة فى المنازل لأنها تعلم ان كثيرا من الخادمات ينحدرن الى سبل الغواية حيث لا يستطعن مقاومة التجارب وتعامل البنين كذلك لتحتفظ لهم بمستوى اخلاقى سام . لأنها تعلم انها مسئولة عنهم . وطالما حرمت من النوم لتعنى بمريض منهم وقد ذكر احد أبناء الملجأ أنه اوشك مرة على الغرق فرأته « ماما » والقت بنفسها فى الماء بملابسها وانقـذته

هذه خلاصة وجيزة لعمل هذه المرأة الفاضلة التي لا تزال تعمل بروح طيبة . وهمة عالية. ومبادىء سامية واذا اتيح لأحد السفر الى الصعيد فى النيل فسيرى على الشاطىء الشرقي عند مدينة اسيوط ذلك الملجأ العظيم الذى قدم خدمات انسانية جليلة لمئات المصريين منذ ٢٧ سنه وسوف يذكر الآنسة « ليليان تراشر »

حزقيال بسطوروس

السلوك والمسئولية بزوغ نظام ادبى معنوى

عن كتاب فجر الضمير

للمصرلوجى الاميركى الكبير برستد

بقلم الآنسة اريس حبيب المصرى

لقد كان الدين عند قدماء المصريين فى فجره يتلخص فى عبادة قوى الطبيعة كما كانت الحال لدى سائر الشعوب — فكانوا يعبدون الشمس باسم الاله رع — وكانوا يعبدون المياه المخصبة المنبثة التى تفيض عليهم بالخير باسم الاله اوزوريس . وظل رع واوزوريس محلا للاكرام والاجلال من البداية الى النهاية حتى بعد ما حدث من تطورات . فكان رع هو السيد الاعلى طورا وتارة كان اوزوريس . واستمرت هذه المنافسة قائمة ردحا من الزمن — الى أن وضحت سلطته كل منهما فى قلوب عبادهما . وصار اوزوريس اله الموتى فحصبت وظيفته فى حياة الناس وظيفة سلبية بعكس رع الذى كان اله الاحياء ظلت سلطته تمتد وتنمو الى ان تقلد زمام الملك فى عالم اسمى من عالم الماديات هو عالم المعنويات

والواقع أن المادة كانت صاحبة المقام الاول فى العصور السحيقة . فكانت الوسائل الضرورية حتى للخلود بعد الموت وسائل مادية محضة . لذلك شيد الفراعنة الاهرام الشامخة أملا فى أن تتغلب صلابتها على عوامل الفناء فيكون بقاؤها هو الوسيلة لحصول فرعون على الخلود

ولكن المصريين حتى فى عهد المادة كانوا قوما مفكرين وكانوا فى عهد الدولة القديمة (بعد سنة ٣٠٠٠ ق . م) يقرون بما للسلوك من قيمة فى حياة المرء الحاضرة وبما سيكون له من اثر فى حياته بعد الموت . فقد كان سلوك المرء موضوع التأمل والحكم وعرضة لان يكون «محبوبا» او «بغيضا» اى عرضة لرضى المجتمع او لسخطه . الا أن الوثائق المتعلقة بارائهم وبمعتقداتهم فى هذه الناحية

قليلة جدا حتى سنة ٣٠٠٠ ق .م. ولكنها تزداد بعد هذا التاريخ ويمكن للباحث استخلاص بعض معلومات قيمة من الزخارف والنقوش المنحوتة على جدران المدافن بسقارة وغيرها

وأول ما يبدو من هذه النقوش هو طبعا التقدم فى المظاهر الخارجية — فلم يوجد شعب قبل ذلك استطاع ان يتحكم فى قوي الطبيعة المحيطة به ولم يضارعهم شعب فى المقدرة على التعبير عن تحكمهم هذا بوسائل مادية عظيمة لا تزال تدهش العالم الحديث . فبنوا شاهق الابنية التى يخيل لمن يراها الآن ان الزمن عاجز عن التأثير فيها

ولكن السلوك هو تغلب المؤثرات العديدة غير الملموسة الناشئة عن الحياة وعن عواملها المتشابكة من عادات وتقاليد وصفات شخصية خاصة هي نتيجة للقوى الأجتماعية والأقتصادية والسياسية تلك الأشياء التى تخلق وجهة النظر عند الفرد وتدفع به الى الأختيار والحكم فتؤلف جوا يسمو على جو المادة ولكنه جو لا يمكن تحديده بالحواس الظاهرة وليس ثمة من سبيل سوى تلمسه



الآنسة اريس حبيب المصرى

خلال الآثار المادية

والمصرى فى عهد الأهرام كان قد بلغ ادراكه لوجود قوى معنوية تسيطر على حياته وتتحكم فيها مبلغا واضحا حتى ان الملفات التى وجدت بالأهرام تثبت بوضوح انه كان منذ ذلك العهد البعيد يرتد ببصره الى الوراء — الى عصر لم يكن فيه شر ولا تنازع — الى « ذلك الجسم » والى «جماعة العدل» قبل ان يوجد « التنازع » و «الصوت » و «التجديف » و« والعراك» — أو ذلك التهشيم المريع الذى اصاب كلا من هورس وست على يدي خصمه . والى ذلك الأعتقاد بعصر أمثل من الطهر أو عصر البر والسلام يرجع ذلك التعبير العجيب فى ملفات الأهرام وهو « قبل ان يأتي الموت »

وفى ذلك العصر البعيد حيث تبدو أول هيئة اجتماعية كان المعترف به أن حق الأنسان فى تقدير شخصيته يرتكز على روحه وعلى سلوكه فى معاملة اسرته « ابيه وامه واخوته واخواته »

وهذه حقيقة شائعة جدا كما ان لها اهمية اساسية فى بحثنا هذا . ففى القرن السابع والعشرين قبل الميلاد ! كد شريف من اشراف الصعيد ما فى شخصيته من خير بما خطه على قبره فبعد أن امتدح اعماله قال . « لم أقل الكذب ، كنت محبوبا من أبى ، مشكورا من أمى ، لطيفا جدا مع اخوتى م محبا لاخواتى» وبعدذلك بقليل. اعترف واحد من المقربين للملك بقوله «الملك امتدحنى واوصى ابى بى خيرا . وكتب وصيته لصالحى . وكنت محبوبا من ابى ، مشكورا من امى، كما احبنى جميع اخوتى »وطالما كرر اشراف عـــهد الاهرام هـــذه الاقوال مثبتين أن اهم الصفات التى تخولهم الحق فى تقدير الغير اياهم هى تلك الـكلمات . كنت محبوبا من ابى ممدوحا من أمي كما احبنى جميع اخوتى واخواتى »

واهم فضيلة تبدو لنا الان من ملفات عصر الاهرام هى بر الابناء بآبائهم .ومرارا وتكرارا يقيم الابن قبرا لوالده الراحل ويهىء له ابهى المراسم الجنائزية وأعظمها. بل ان واحدا منهم ذهب الى ابعد من ذلك فـكتب على قبره العبارة الاتية « طلبت ان ادفن فى القبر عينه الذي دفن فيه ابى لـكى اكون معه فى المـكان نفسه — ليس لانه لم يكن فى مقدوري ان اعمل قبرا ثانيا ولـكن لكى ارى ابى كل يوم ولـكى اكون معه فى مكان واحد»

وثمة مثل آخر ادعى الى الدهشة وادل على بر الابناء وهو قبر سنى قائد الحامية المرابطة على الحدود الجنوبية عند الشلال الاول

فقد قام ميكو والد سبنى برحلة استكشاف فى اواسط افريقيا لغرض التجارة ٠ وهنا اسره

الاهلون وقتلوه . فلما سمع سبنى بموت ابيه سافر دون تردد الى المنطقة التى لقى ابوه فيها حتفه مخاطرا بحياته فاستطاع ان ينقذ جثة ابيه وعاد بها الى مصر لتحنيطها ولا يزال قبره للان شاهدعلى مغامرته هذه اذ نقشت حوادثها وأخبارها على جدرانه

والشهادة التى تركها اول مجتمع من الاشراف عرفه التاريخ هى شهاده تؤيدها الزخارف والنقوش التى اعتاد اولئك النبلاء ان يزينوا بها جدران المعابد الخاصة بمقابرهم — وهذا واضح خصوصا فى مقابر سقارة : وتلك المقابر تؤلف صورة رائعة تسترعى انظار الجميع للان . ولكن من من الزائرين الاجانب او المصريين حين يذهبون الى تلك البقعة يخطر على بالهم ان ما يشاهدونه من النقوش والصور البديعة ان هى الا استعلان لاقدم حياة عائلية عرفها التاريخ ! وحين يجتاز الزائر الان الحقول الخضراء ويمر تحت ظلال النخيل ويرمى ببصره الى الامام حيث تمتد الصحراء عن بعد أمامه وتقع قبل الصحراء اطلال المدينة القديمة — اطلال قليلة مبعثرة ولكنها ناطقة تحدث عن حضارة مجيدة زالت

هناك عاش اولئك الاشراف وبنوا منذ آلاف الاجيال مدينتهم العظيمة . وحين كانت تنتهى حياة الواحد منهم كان يحمل الى الصحراء على المرتفع حيث بنيت المقابر والمعابد الملحقة بها وقد خربت تلك القبور الان واصبح يسودها صمت رهيب ولكن ابوابها مفتوحة لكل من يريد الدخول والانتقال فى غرفها واحدة تلو الاخرى . وهذه الغرف تكسو جدرانها نقوش بارزة ومناظر ملونة للحياة القديمة

ومن تلك الزخارف المنحوتة يبدو شريف من اولئك الاشراف العظماء ورئيس اقطاع كان يملك الاراضى الواسعة — يبدو هذا الشريف كبير القامة عليه سيماء الوقار وهو يراقب عماله حين يبذرون الحبوب او يحصدون الثمار — وحين يرعون قطعانهم فى مراعيها او يخوضون القنوات العديدة التى كانوا يحفرونها للرى — كذلك نراه واقفا وأمامه الصناع . فالنجار والحداد وصانع الخزف وكثيرون وغيرهم يعملون بجد ونشاط . وهذه الصور المتتابعة تظهر الافاق المختلفة لحياتهم الزراعية والصناعية — تلك الحياة التى قامت عليها حضارتهم . وفى كل العصور نرى الشريف واقفا الى جانب زوجه : وحين يدخل بوابة القصر المنيف المؤدية الى حديقته الغناء يسير الى جانبها كذلك — فهى تشاركه فى حياته وفى عمله وهى رفيقته النهار كله . واولادهما معهما كثير من الاحيان ومن اظرف ما بين تلك الصور المدهشة صورة للنبيل ممسكا بيد ابنه الصغير الذى يحمل فى اليد الاخرى عصفورا : وحين يذهب الشريف الى الصيد فى البرك تبدو زوجه الى جانبه ومعهما اولادهما فى الزورق الصغير الذى يقوده بدقة وسط نباتات البردى النامية وقد مال احد الاولاد

متكئا على حافة الزورق ليقتطف زهرة من ازهار اللوتس . كما انه حين يستريح الشريف تحت ظل شجرة من اشجاره الوارفة فى حديقته تتكىء معه زوجه بينما يلعب الاولاد امامهما بالكرة أو يصطادون السمك من البركه المحفورة فى وسط الحديقة

وتلك النقوس المنحوتة على مقابر ممفيس تعطينا صورة عن الحياة الاجتماعيه فى حقبة من تاريخ مصر تمتد نحو خمسمائة سنة من حوالى ٣٠٠٠ ق . م الى حوالى ٢٥٠٠ ق . م وهى تؤلف اول رسم بيانى وصفى للحياة العائلية خلفها العالم القديم . ولقد كانت قيمة تلك الصور حتى عهد قريب فيما يمكن استخلاصه منها عن الزراعة والصناعة ورعى الماشية فى تلك العصور السحيقة . ولكنه واضح ان صلات الالفة العائلية البادية من خلالها تطلعنا على معلومات اساسية قيمة عن التطور الادبى والاجتماعي . اذ نقف بواسطتها على وثيقة تاريخية بارزة تدلنا على ان الادراك الادبى كان اساسه فى الحياة العائلية

هنا اذن فى المنبع المصري وقبل التاريخ المسيحى بثلاثة الاف عام مجموعة نفيسة من الوثائق التى تثبت لاول مرة تاريخيا ما توصل اليه علماء النفس فى هذا العصر من نتائج مبنية على الملاحظة لحياة الناس كما يعيشون الان . فالدوافع الادبية انما كان نموها بفضل المؤثرات الموجودة فى الحياة العائلية .

ويقول مكدوجل (من اكبر علماء النفس فى هذا العصر) ما يأتى

« من هذه العاطفة « عاطفة الامومة او الابوة » وما تدفع اليه من ميل الى الاعزاز والرفق والعناية ينبع الكرم والسخاء والاعتراف بالجميل والمحبة والشفقة والجود وكل ايثار ! ففيها تنبت الجذور الاصلية لهذه الفضائل جميعا وبغيرها لا يمكن ان يكون لها وجود » وبعد ان يبحث مكدوجل فى النمو الذى يطرأ على المرأ كأثر لهذه العاطفة مبينا كيف ان ما يصيب الطفل من اذى يدفع حتما الى الغضب والتحامل يقول « هذا الترابط الوثيق بين هذه العاطفة الرقيقة وبين الغضب له أهمية عظمى لحياة الانسان الاجتماعية . وتفهم ان هذا الترابط ضروري لتفهم العواطف الادبية المعنوية لان الغضب المثار بهذه الطريقة هو البذرة لكل ثورة معنوية ، وهى الثورة المعنوية تقوم العدالة ومعظم القوانين القائمة : وهكذا على الرغم مما يبدو ومن تضارب تكون الجذور الاساسية وخير والعقاب متأصلة فى غريزة الامومة — أو الابوة » والخلاصة التى ينتهى اليها وسترماوك تؤيد قول مكدوجل تاريخيا اذ يقول .. « يمكن الاستشهاد بحقائق لا عدد لها على أن عاطفته الامومة أو الابوة لست ثمرة متأخرة طارئة على الانسان كنتيجة لارتقاء الحضارة — بل هى ظاهرة واضحة عند الانسان المستوحش الذى لم يبلغ من الحضارة طورا

يذكر تبدو فيه كما تبدو فى الانسان المتمدين . فمنذ اجيال عديدة حين اضطر سكان المرتفعات فى أواسط أفريقيا بسبب الجفاف أن يهبطوا وادى النيل كانت هذه العاطفة قد ظهرت فيهم منذ ذلك وكانت نتيجة للنمو والتطور خلال أجيال ما قبل التاريخ الذى أدى الى المملكة الاولى حوالى ٤٠٠٠ ق . م . وبعد ذلك بخمسمائة عام كتبوا تلك القطعة الادبيه الرائعة المعروفة باسم قصة ممفيس وهى تحتوى على حكم وأمثال بديعة فى شكل روائى . وبعد خمسمائة سنة أخرى أى حوالى ٣٠٠٠ سنة ق . م . شيدت مقابر سقارة . وهذان الدليلان مع ما كتبه بتاهوتب من حكم يكشف لنا عن طور سامى فى تقدم الانسان وازدهار حياته المعنوية . »

وفى هذه الينابيع التى للمملكة القديمة توجد أقدم مجموعة عن الأدلة التى تبين أن اتجاهات الانسان الادبية المعنوية هى نتيجه لاحواله الاجتماعية وأثر من آثار التفاعل الاجتماعى . وهذه النتيجة أيدها علماء النفس كما أيدوا ما للحياة العائلية من أثر . فيقول جرين : « لا يستطيع فرد أن يكون ضميرا لنفسه بل أنه يحتاج دوما الى مجتمع ليكونه له .

ففى هذه الفترة اذن نرقب مظهرا ساميا لتطور لا يوجد نظيره فى أية أمة من الامم المعاصرة ونحن اذ نرقب هذه الفترة نرى بزوغ الشعور بالمسئولية — أن صح هذا التعبير — ونرى هذا الشعور يزداد ويشتد ويقوي سلطانه فيأخذ فى التحكم فى السلوك البشرى وفى تكوين الضمير وجعله عاملا اجتماعيا قويا فعالا .

وتتضح هذه الحقيقة من أنه بينما كانت الاسرة هى الدائرة التى ينحصر فيها السلوك الجيد فى بادىء الامر اذا بهذه الدائرة تتسع وتمتد منذ عهد الاهرام — فصار للسلوك أثر على المجتمع بأسره لذلك نحت على أسفل تمثال فى أحد القبور تلك الكلمات التى فاه بها صاحب القبر وهى : « لقد طلبت من المثال أن يعمل لى هذه التماثيل وقد رضى بما دفعت له من أجر » وفى قبر آخر يرجع عهده الى الاسرة الرابعة — حوالى ٢٩٠٠ — ٢٧٥٠ ق . م — وجدت ملفات قيمة لا تزال للان محفوظه بمتحف بمدينة ميونخ يقول فيها رجل اسمه امنى كان ناظرا على احدى (العزب) « أما فيما يتعلق بكل رجل اشتغل فى مقبرتى فانهم جميعا كانوا راضين سواء أكانوا من الصناع أو من النحاتين لاننى أرضيتهم جميعا » . ومن الظاهر أن كلا من هذين الرجلين أراد بعمله هذا أن يثبت للآتين من بعده أنه تصرف بالعدل ولم يظلم الصناع الذين أنموا مقبرته . كذلك وضع أحد الاشراف التقرير الاتى عن حياته ضمن ما تركه فى مقبرته : « أعطيت الخبز لكل جائع وجد فى جبال سيرا سيتس — وهو اسم مقاطعته — وكسوت العريان فيها . وملأت أنحاءها بالماشية والغنم فاستبعت حتى ذئاب الفلاة وطيور السماء . ولم أحاول قط الاستيلاء على أرض غيرى حتى

لا أعطى انسانا فرصة للتضجر منى الى اله مدينتى بل تكلمت دوما بالخير ولم يوجد فى مقاطعتى رجل خائف بسبب من هو أقوي منه فكنت محسنا للناس وللبهائم وللوحوش وللطيور «...وأننى أقول الصدق ولا أ كذب لانني كنت رجلا محبوبا من أبيه مشكورا من أمه بلا لوم مع اخوته حلو المعشر مع اخوانه .»

ومرارا وتكرارا أ كد هؤلاء الرجال الذين عاشوا منذ أربعة أو خمسة الاف سنة براءتهم من عمل الشر : «ما عملت شرا لانسان» يقول كبير أطباء الملك ساهور من أواسط القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد — بينما يقول كاهن ممن عاشوا بعد ذلك بقليل كلمات تؤدي نفس المعنى وهى : لم أستعمل العنف مع انسان. وبعد قرن من ذلك يوجه رجل من العامة — لا من الاشراف ولا من الكهنة — كلماته الي الاحياء بكتابتها على واجهة قبره وهي : أيها الاحياء العائشون على الارض ، المارون أمام هذا القبر .. اسمحوا لى بتقدمة ووزعوا صدقة من أجلى ، لانني كنت رجلا محبوبا من الشعب . فلم أضرب علنا قط ، ولم استول عنوة على مال غيرى ، بل كنت دوما أصنع ما يرضى الناس .»

كذلك وجدت العبارة التالية على قبر اخر « لقد فعلت ما يحبه الناس وما يرضى الالهة حتى يجعلوا مسكنى الابدى (يعنى قبره) دائما ويذيع صيتى بين الناس » والواضح من هذه الكلمات التى كان يواجهها رجال عصر سحيق الى الاحياء الاتين من بعدهم ان الغاية من تأكيداتهم لقيمتهم الادبيه فى مجتمعهم كانت الامل فى ان يحوزوا رضى الجيران الاحياء فيقدموا تقدمات من الاكل والشرب على قبورهم

وكان من معتقداتهم ان أى أنسان ارتكب فى حياته الدنيا خطأ أو ظلما كان يستدعى بواسطة المظلوم فى العالم الاتي لكى يؤدي حسابه عن ذنوبه أمام الاله الشمس وهو القاضى الاعلى لمحكمة العدل التى كانت المحاكم الأرضية تقام على نمطها . والناظر امنى الذى كان دقيقا فى تأدية الواجب بدفع اجور عادلة للعمال الذين اشتغلوا فى مقبرته كتب العبارة التالية على بابها « سيكون التمساح خصمه فى الماء ! وسيكون الثعبان خصمه على اليابسة ! سيكونان خصوما لذلك الذى يسىء الى مقبرتى . وسيكون الاله العظيم قاضيا له » وكل هذه الاقوال تثبت أن هده القيمة الادبية المعنوية للانسان كان تقديرها موكولا الى الالهة وكان من الممكن أن تؤثر ماديا على السعادة فيما بعد الموت . فالغرضان .غرض ابتغاء مرضاة الاحياء وحيازة تقدماتهم وغرض ابتغاء السعادة الابدية التى يقررها الاله الشمس القاضى الأعلى — هذان الغرضان اتحدا بوضوح فى الكلمة التى تنبهنا على واجهة قبرها هاركوف اعظم المستكشفين

المغامرين داخل المجاهل الافريقية الذى استطاع ان يجتاز السودان فى القرن السادس والعشرين قبل الميلاد . أما قبره فمنحوت فى الصخور الغربية القريبة من اسوان الحديثة حيث يستطيع أى سائح ذو ارادة وقوة بدنية أن يتسلقها ويري المقبرة بنفسه . وقد نحت على واجهتها قصص مغامراته

وكتب ضمن قصصه هذه العبارة . « لقد كنت رجلا محبوبا من ابيه مشكورا من امه محبوبا من اخوته كلهم . وقد اطعمت الجائع و كسوت العريان وقدمت مراكبي لنقل من لم يكن له مركب .

«ايها الاحياء الذين على الارض مارون امام هذه المقبرة سواء اكنتم متجهين جنوبا ام شمالا الذين سيقدمون الف رغيف والف قدح من البيرة لصاحب هذا القبر ، سأشفع من أجلكم لأننى عالى القدر — وقد صرت مجدا مع الالهة . وانا كاهن ممن يعرفون الطقوس . اما ان دخل هذا القبر رجل ليستولى عليه ويجعله قبرا له فسأقتنصه كما تقتنص الطيور وسيحاكم امام الاله العظيم ولقد كنت رجلا يقول مايحبه الناس ويكرر مايرضيهم . فلم اتفوه بكلمة تسوء احدا امام من له سلطة عليه لاننى كنت ابغى ان انال رضى الاله العظيم حين اقف فى حضرته . ولم اقصد مرة بين اخوة بطريقة يحرم معها احدهم من ميراث والديه »وفى هذه الكلمة لا يستعمل التهديد بقضاء الله كوسيلة لدفع الاعتداء عن قبر الميت فحسب بل ان فكرة المسئولية الادبية فيما بعد الموت مؤكدة ومقدمة كالغاية التى كان يسعى نحوها ذلك المغامر الجرىء من حياة البر التى عاشها

وهذه الغاية واضحة فى حياته اليومية واعماله العادية تبدو بجلاء من الكلمات القائلة .« كنت أبغي أن انال رضى الاله العظيم حين اقف فى حضرته فهو اذن طيلة حياته كان ينظر ابدا الى الامام والى امكان استدعائه ليقف فى الحضرة الرهيبة ليؤدى حسابا عما يكون قد اقترفه فى حياته من اثم وكأقدم دليل على المسئولية الادبية المعنوية بعد الموت تؤدى شهادة مدهشة فى ذلك العصر السحيق — حوالى ٢٥٠٠ ق . م . لانه بعد ذلك بأكثر من الفى سنة كانوا فى البلاد الاخرى لا يميزون بين نصيب البار ونصيب الشرير ويجعلونهما فى مستوي واحد دون أى تفريق بالمرة بينهما . فهذا المستوى الادبى الرفيع الذي بلغت اليه الروحانية المصرية هو مستوى منقطع النظير فى مداه — بل هو الشعاع اللامع الوحيد الذى كان يخترق الظلمات المتراكمة فى تلك العهود المظلمة السحيقة .

والحكم الادبى لم يكن ذا أثر فى علاقة الانسانية باقاربه وجيرانه او مجتمعه القريب فحسب بل أنه ذو أثر فعال فى الطبقات العليا وفى واجبات الحكومة نحو الشعب كوحدة حتى لو تضاربت هذه الواجبات مع مطالب الاسرة . سبق ان حدث فى عهد الأهرام ان الوزير كتى صار مثلا ذائعا على الالسنة بسبب حكم قضى به حين حكم فى

قضية كان بعض من اقاربه فريقا من المتخاصمين فيها . فحكم ضد مصلحة اقاربه دون النظر فى تفاصيل القضية خوفا من ان يقال انه متحيز لهم وتصف الملفات التى تسرد قصته بعد حدوثها بقليل انه « لما استأنف احد اقاربه واشتكى ظل مصرا على حكمه . » وبعد حدوث هذه القصة بالف وخمسمائة سنة كان اسم كتى هذا لايزال مضرب الامثال كقاض حاد عن الحق حتى لايباريه احد . واوصى فرعون وزراءه بعد الف وخمسمائه سنه ألا يقتفوا عمل كتى هذا لانه كان « اكثر من العدالة »

وتتضمن ملفات الاهرام شواهد لاشك فيها على ان مطالب العدل والبر فيها كانا فوق الملك نفسه . فلم يعف الملك من الالتزامات التى كانت مفروضة على اشرافه . وكان الاله الذى يجب على فرعون ارضاؤه هو رع كما كان الحال مع رعاياه . « لا يوجد شر اتاه الملك ييى . وما اعظم حكمه فى نظرك ايها الاله رع » وفى الكلمة التاليه تتلخص الفكرة الادبية التى كانت تسود عصر الاهرام : « ايها (المعداوي) الذي ينقل الابرار الذين لازورق لهم ، يامن تحملهم الى حقول البردى ، ان الملك مرير — ييى الاول — هو امام الجو وامام الارض . » او : « هذا الملك ييى مبرر — هذا الملك ييى مشكور . « وبنفس الكيفية كان كوكب الصبح — من الآلهة الشمسيه — يرقب القيمة الادبية التى لفرعون ويثبتها عنده : « انت يا كوكب الصبح هو الذى تجعل ييى مجلس بسبب بره ويقوم بسبب حرمته

والقيمه الادبية التى للميت كما يجب طبقا للادراك القضائى عند المصريين ان يبث فيها بطريقة قانونية . فنحن نرى ان الاشراف كانوا دوما يشيرون فى قبورهم الى تبريرهم امام محكمة الاله القاضى الاعلى . وهذا الحكم كان يسرى حتى على الآلهة الذين كان لابد لكل منهم ان يتبرر امام الاله جب(الاله — الارض)

والفرعون المنتقل المعلن عنه انه بار يستمر فى اظهار صفاته عينها وفى استعمال سلطته العلوية التى تمنح له . « فيحكم بالعدل امام رع فى يوم العيد المسمر بيوم اول السنة — والسماء راضية عنه والارض فى فرح اذ هما يسمعان ان الملك نفركير — ييى الثانى — قد اقام العدل حيث كان الظلم . وجميع من يجلسون مع الملك نفركير يرضون فى محكمته التى للعدل ويستمعون لالفاظ العدل التى يتفوه بها » ومما لاشك فيه أن قيمة هذه الاقوال عظيمة اذ يبدونها ان الملك يقيم العدل فى حضرة الاله الشمس . كذلك توجد كلمات اخرى شبيهة بهذه ومن نفس هذا العصر — عصر الاهرام تثبت « ان الملك يوناس قد اقام العدل مكان الظلم »

وفى القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد كان احد اسماء الملك يوسركاف الرسمية هو

« العامل البر — ماآت » لهذا كانت اقامته العدل بعد انتقاله من هذه الحياة انما هى حلقة متممة لسلسلة حياته الادبية على هذه الارض —لانه انما كان بعمله هذا يثبت البر (ماآت) . وقد وردت فى ملفات الاهرام هذه الكلمات : « ان الملك يخرج البر ماآت ليتخذه معه » وايضا : « ان الملك يوناس يخرج اليوم حتى ياتى بالبرمات معه »

وحين نتأمل اسم الملك يوسركاف نجد انه من الشائق جدا ان شيخا كان يشغل منصب كبير الوزراء يختم مجموعة حكمه بقوله : « لقد بلغت من العمر مئة سنة وعشر سنوات وقد منحنى الملك الهبات والعطايا اكثر مما منح آبائى لاننى صنعت البر للملك حتى القبر . » وهذا الشيخ العظيم الذى فاه بتلك الكلمات كان بتاحوتب الذى اعتزل الخدمة من منصب كبير الوزراء فى عهد الفرعون ايسيس من الاسرة الخامسة فى القرن السابع والعشرين قبل الميلاد . ومن الظاهر انه كان رجلا مسنا فى عصر الملك يوسركاف ولهذا كان من الممكن ان يوجد هناك اتصال بين تأكيد الوزير انه « عمل البر » وبين الاسم الرسمى الذى للملك وهو « العامل البر »

اريس حبيب المصرى

نحن وسكان الكواكب الاخرى

للاستاذ نقولا يوسف

النظرية القائلة بوجود كواكب غير الارض مسكونة بالمخلوقات الحية تعتمد فى هذا الاستنتاج على فرضين

الاول — انه ليس من المعقول أن تكون كرتنا الارضية الصغيرة هى المختصه وحدها بسكن الاحياء وسط هذا الكون الهائل الذى لا يمكن تصور حدوده ان كان له حدود . اذ ان ارضنا أو قريتنا الكبرى التى تتم الطيارة اليوم رحلتها حولها فى اسبوع واحد ما هى الا واحدة من السيارات التسع التى تدور حول شمسها وتكون المجموعة الشمسيه ان هى الا جزء من مجموعة نجمية كبرى تدعى بالمجرة وتتكون من عشرات الملايين من النجوم والشموس المختلفة الاحجام . ووراء هذه المجرة مجرات اخرى تسبح فى الفضاء يبعد عنا اقربها الينا نحو ثمانمائة الف سنة ضوئية وأبعدها نحو خمسمائة مليون سنة ضوئيه

فليس من العقول ان تكون ارضنا وهى تلك الذرة التائهة على شاطىء المحيط الكونى ! هى المتفردة وحدها بوجود احياء نباتية وحيوانية ، وبوجود مخلوقات ذوات نفوس وعقول تحاول فى تطورها وارتقائها كشف اسرار هذا الكون العجيب ، واذن فلا بد ان تكون هناك عوالم اخرى مأهولة بالسكان ، اى أن جرثومة الحياة كانت كامنة فيها كما كانت كامنة على الارض ثم سرى عليها ناموس التطور

بل انه من الغرور والكبرياء أن يظن الارضيون أنهم وحدهم المتميزون بالوجود والمتشرفون بالخلق دون سائر العوالم وان سائر الكواكب والنجوم وعددها اكثر من رمال المحيطات خالية خاوية لم تخلق الا لتنير لهم السبيل او لتخلب الباب الشعراء

ولقد مرت قرون طويلة كان الناس يذهبون فيها مذهب بطليموس بأن الارض مركز الكون

الذى تدور حوله الشمس والسيارات وكل نجوم السماء . وكان رجال الدين يعاقبون أو يحرقون من يرى غير هذا الرأى . وكان فى الناس قبل بطليموس من يرى ان السماء هى سقف الارض تسنده الجبال أو الاعمدة وقد تدلت النجوم من هذا السقف كالمصابيح ..

ولكننا مع ما وصلنا اليه من الاجهزة الفلكية الحديثة لا نستطيع ان نميز غير أقرب الكواكب الينا وهذا التمييز لايتعدى رؤية التضاريس البارزة التى تبدو لنا كالاشباح ، الا ان التقدم العلمى مازال مطردا وهذا التقدم لا بد ان يساعدنا يوما على التقرب من السيارات والكواكب السماوية الاخرى فنكتشفها ولعلنا نستطيع فى المستقبل الاتصال باهلها بل يمكننا أن نحلم بالسفر اليهم . . .

أما الفرض الثانى فهو توافر الشروط التى تعين على وجود المخلوقات الحية فى بعض الكواكب كما تتوافر على الارض . وقد ثبت توافر هذه الشروط برصد العلماء ودراستهم لسيارات مجموعتنا الشمسية واعانتهم على تلك الدراسة تقدم صناعة المراقب (التلسكوب) والاجهزة الفلكية الحديثة كالمصورات الضوئية واجهزة الحل الطيفى ومقاييس الحرارة وغيرها

وقد ثبت مثلا ان المريخ هو احدى الكواكب التى تتوفر بها شروط الحياة فهو تحيط به طبقة من الهواء كالطبقة التى تحيط بارضنا . وحالته الجوية والطبيعية تجعل الحياة عليه مستطاعة وتزيد الاعتقاد بانه آهل بالسكان

وقد ظهر للراصدين بالمريخ من بحار وجزر وجبال وأودية بل وانهار وترع فرسمت له الخرائط ووضعت عليها الاسماء ..

ودراسة العلماء للمريخ جعلت من المعروف لنا أنه اقدم من الارض عهدا واصغر منها حجما وانه يبعد عن الشمس أكثر مما تبعد عنها الارض وانه عندما يقترب من الارض يكون على بعد ٥٦ مليونا من الكيلومترات منها ثم يبتعد عنها الى مسافة اربعمائة مليون من الكيلومترات . وان سنته تزيد على سنة الارض ٣٢١ يوما فقط . وأنه اشد برودة من الارض

واذا رجح الظن بان المريخ اهل بالاحياء تشعبت الآراء وتمادى التصور بالقصصين فتخيلوا وافترضوا ماشاء لهم الخيال عن أهل هذا الكوكب السيار : —

(١) فتخيل فلامريون العالم الفلكى الشهير « أن أهل المريخ يقرأون الافكار قبل التعبير عنها بالكلام ، وان اجسامهم تشبه اجسامنا ولكنها مكونة من مادة ارق وادق وأقل قوة وصلابة من المادة التى تتكون منها اجسادنا ، وانهم أرقى عقلا من الانسان الذى يعيش على الارض ويسكنو-

بيوتا كالتى نسكن فيها نحن ويقضون حياتهم متنقلين من جهة الى اخرى ، ولهم اجنحة كالطيور يرتفعون بها عن سطح الارض ، وهم لا يشتغلون الا فى الاشغال الفكرية والعقلية لانهم ليسوا فى حاجة الى التعب الجسدي لتوافر اسباب الراحة لديهم »

(٢) تخيل العالم ليسون ان سكان المريخ فئتان . فئة من جبابرة هائلين ، وفئة من اقزام صغيرة وان اولئك السكان يتسلقون المرتفعات ويهبطون الاودية بسهولة كالطيور

(٣) زعم ولز أن اجسام أهل المريخ هائلة وانهم اشد فتكا وتوحشا من الحيوانات المفترسة عندنا

(٤) رأى عالم اخر انهم كالاقزام الوديعة ..

(٥) لما كان المريخ اقدم بكثير من الارض فقد ذهب البعض ان اهله لا بد ان يكونوا قد قطعوا شوطا بعيدا فى الرقى والحضارة ومن المحتمل ان يكون لديهم من الوسائل ما يجعلهم قادرين على مخاطبتنا والاتصال بنا لو تيسرت لنا مثل تلك الوسائل للرد عليهم ..

(٦) لما كانت قوة الجاذبية على المريخ ضعيفه جدا فالكيلو جرام مثلا عندنا لا يزن هناك اكثر من ٣٧٦ جراما فان رجل المريخ لا يستطيع ان يحمل شيئا على ظهره لانه لا يقوى الا على حمل نفسة فقط ....

(٧) لما كان البرد قارسا فى المريخ فانه يحول فى نظر البعض دون وجود أناس ولكن الدكتور موزلى العالم الانجليزي الذى عاد اخيرا من رحلته العلمية الى سيبريا يقول أنه عثر فيها على نوع من البزاق يعيش فى جو تبلغ درجة حرارته اربعين تحت الصفر بالمقياس المئوى وقال اذا وجد الاحياء بالمريخ فانهم يكونون من نوع هذا البزاق ولا يبقى الا ان نعرف حقيقة ذهنية البزاق المريخى ......

(٨) وما دمنا فى سياق الفروض والتصورات بشأن أولئك السكان فانا فى حل من ايراد رأى اخر لا يخلو من غرابة ننقله عن احدى مؤلفات المرحوم الان كاروك العالم النفسانى ورئيس جمعية المباحث النفسانية بباريس فانه يذكر فى هذا الكتاب الفلسفى الضخم أنه وجمعيته قد استحضروا أحد الارواح العليا وألقوا عليه مئات الاسئلة فى معضلات الكون فاجاب عنها بلسان الوسيطة اجابات منطقية مقنعة مذكورة كلها فى هذا الكتاب المسمى «كتاب الارواح» ومنها ما يختص بسكنى الكواكب اذ سألوه :

هل هناك عوالم أخرى تدور فى الفضاء آهلة بالسكان ؟

نعم ، وليس الانسان الارضى ، كما يعتقد هو ، المنفرد بالذكاء والطبيعة والكمال فى هذا الكون : ان هناك اناسا كثيرين يعتقدون أو يزعمون أن هذه الكرة الصغيرة تختص

وحدها بميزة المخلوقات العاقلة وأن الله خلق الكون لهم وحدهم . وهذا غرور وكبرياء .

هل تتشابه الكواكب المختلفة فى تركيبها الطبيعى ؟

لا . لا تتشابه كلها فى تركيبها .

اذن، أيتبع ذلك نسق مختلف للمخلوقات التى تسكنها ؟

بلا شك . كما أن عندكم خلقت الاسماك لتعيش فى الماء والطيور فى الهواء .

هل الكواكب الشاسعة البعد عن الشمس محرومة من النور والحرارة ما دامت الشمس لا تبدو لهم الا كنجم صغير ؟

اذا هل تعتقدون أنه ليس ثمت مصادر للنور والحرارة غير الشمس ولا تحسبون مثلا حساب الكهرباء التى تمثل دورا مجهولا لديكم فى بعض العوالم هو اكثر أهمية مما هو على الارض . ومن جهة اخرى لا يقال أنه لكل المخلوقات ذات المادة التى لكم وأن أعضاءها مثل أعضائكم

وقد علق الان كروك على ما سبق بقوله :—

« ان الله أسكن الكواكب بمخلوقات حية . أما الاعتقاد بأن الأحياء محصورون فى مكان واحد من الكون فانه يشير شكا فى حكمة الاله الذى لم يصنع شيئاً عبثاً . انه هيأ هذه العوالم لغرض أخطر مما تتصور وليس ثمت ما يحملنا على الظن ، سواء أكان من ناحية المركز أو الحجم او التركيب الطبيعى للارض أن أرضنا هى المأهولة وحدها دون سائر الكواكب المشابهة لها .

« من شروط البقاء للمخلوقات التى تسكن العوالم المختلفة أن تلائم البيئة التى تعيش فيها . ونحن اذا كنا لم نر السمك فلن نفهم كيف أن بعض المخلوقات الحية تستطيع العيش تحت الماء . وكذا الحال مع أحياء العوالم الاخري فانها ولا شك تحوز كثيرا من العناصر المجهولة لدينا . ألا نرى كيف تضاء الليالى القطبية الطويلة على الأرض بالشفق القطبى لا بقرص الشمس؟ وهل من المستحيل أن تكون الكهرباء فى بعض الكواكب أغزر مما هي على الارض وأنها تمثل دورا عظيما لا نستطيع أن ندرك اثاره ؟ ومن المحتمل أن يكون بهذه العوالم منابع للحرارة وللضوء ينتفع بها سكانها »

« . »

والعلماء معذورون فى مثل هذا التناقض اذ هم يصفون أشياء لا يمكن لنا اليوم رؤيتها ، وما لا يدرك كله لا يترك كله ، ولكننا نلاحظ من وراء هذه التصورات المتباينة أن الانسان كعادته

يقيس كل شيء بالنسبة لما يقع تحت حواسه البشرية المحدودة . فهو يتخيل المخلوقات الحية فى الكواكب الأخرى ويتصور حياتها وعاداتها وعلومها وفنونها كما لو كانت تعيش على أرضنا أعنى أنه يقيسها بالمقاييس الأرضية حتى أن الكثير من الناس يتخيلون الله تعالى ، وهو القوة المعنوية الخارجة عن دائرة التخيل ، ذا صورة بشرية كأن يكون على شكل شيخ وقور ذي حواس بشرية جالس على عرش فى السماء تحيط به الجنود والحاشية وملائكة لهم وجوه الحسان وأجنحة الطيور . بل لقد كان القدماء يصورون آلهتهم بأشكال الحيوانات والطيور والبشر وينسبون اليهم كل ما للانسان من غرائز حتى الجنسية منها ..

فاذا كان فى الفضاء عوالم مأهولة بالاحياء فمن الجائز أن تكون تلك الاحياء خارجة عن دائرة تصوراتنا بل من المحتمل أن تكون هناك أجسام حيوانية لا لحم لها ولا دم . بل من المحتمل أيضا أن تكون بينها مخلوقات اثيرية عاقلة لا يمكن لعيوننا المائية أن تراها ..

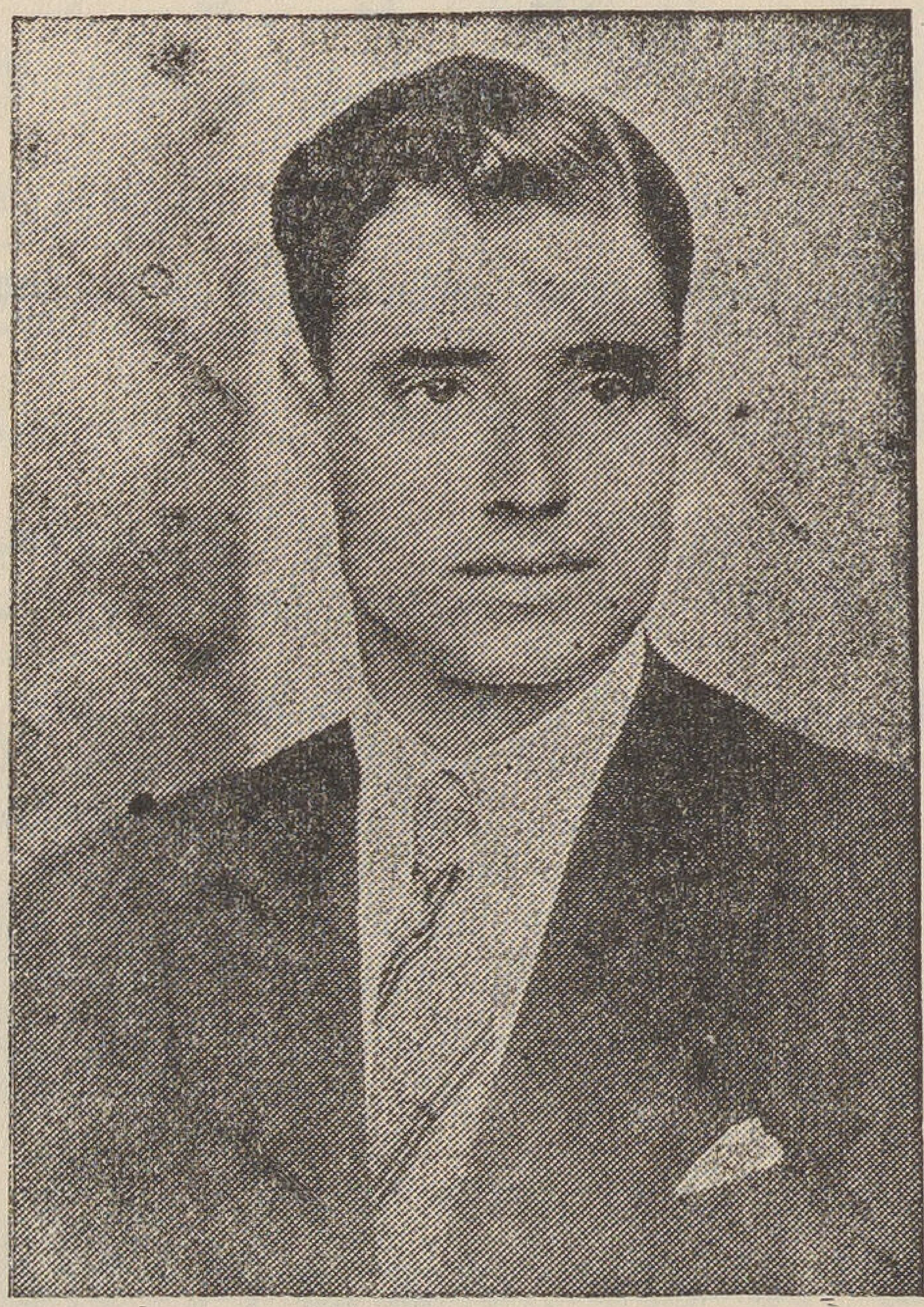
ومن الجائز أيضا أن يكون بين تلك العوالم ما يفوق الأرض عظمة وعمرانا وأن يكون أهلها قد سبقونا فى الحضارة والمدنية والتقدم العلمى فاكتشفوا واخترعوا من المكتشفات والمخترعات ما لم نصل اليه بعد . وقد يكون بينها كوكب يستطيع أهله أن يرونا بمراقبهم ويسمعون جلبتنا بميكروفوناتهم ويعرفون عنا وعن حياتنا وأخلاقنا شيئا كثيرا ، أننا ولا شك نكون فى نظرهم مسرحا كوميديا يتلهون برؤياه فى أوقات فراغهم ! انهم سيرون فى قريتنا الكبرى مجموعة من المتناقضات اذا اجتمعت لناظر واحد خالها « كرنفالا » !

فهنا أسرة بشرية واحدة تتحدث بثلاثة آلاف لغة وتدين بالف دين وتبدو بعشرة الوان وترتدى بكل ما يستطيع الخيال تصوره من الازياء وتتشعب الى عشرات الاجناس ومئات الاجناس وهنا على أرضنا تتمسك كل جماعة من الناس بقطعة خاصة من الطين والماء تدعوها وطنا قوميا ثم تحوط هذه البقية بأسوار من القلاع والمدافع والجيوش والاستحكامات والحواجز الجمركية أنهم سيتفرجون بمشاهد التعصب القومى والدينى واللغوى والجنسى ، سيرون كيف ننفق العمر فى ابتداع معدات جديدة للفتك والخراب والتأهب لغزو الجار واستعمار بيت الضعيف . سيعجبون من مرأى البؤس والفقر والمجاعات وعطلة ملايين العمال والارض مليئة بخيرات الله !

سيدهشون من أمر التفاوت فى الدرجات والتمايز بين الطبقات والتفريق بين الغنى والفقير وسيرون كيف يسود الجهل هذا الكوكب الصغير وليس عليه من المتعلمين غير

نفر قليل ! لقد قطعت البشرية عشرة آلاف سنة فى التطور ولم تبلغ بعد سن الرشد !

الحق ان من مصلحتنا معشر الارضيين أن نكون قبيلة مجهولة على كوكب مجهول وسط هذه العوالم التى تنتشر فى السموات ، أو أن نكون وحدنا الاحياء فى هذا الكون الهائل !



الاستاذ نقولا يوسف

تحقيق السعادة

كما يراها برتراند رسل

للاستاذ يعقوب فام

برتراند رسل رجل فى سن السبعين او مايقرب من ذلك ، له شوارب بيضاء ، نحيف الجسم متوسط القامة ، جهورى الصوت نوعا ما ، منصب العود خفيف الحركة كأن السبعين لم تغلبه على امره ، بدأ حياته بالاشتغال بالرياضيات واللعب بالارقام ، ونبغ فى هذا حتى انه ليعد من ائمة هذا العلم ، له بيز اربابه رأى معدود ، ويقال انه واحد من ستة رجال على ظهر هذه الارض يفهمون نظرية اينشتين التى يفهمها جميع الكتاب عندنا على الاطلاق ماعدا قادة الفكر فى هذا البلد

لبرتراند رسل من المؤلفات حوالى العشرين ، وضعها فى الرياضيات ، والعلوم الطبيعية ، وفى التربية ، والتعليم والعلوم الاجتماعية وفى الفلسفة بنوعيها ، ما كان منها مستمداً من الحقائق الرياضية وما كان مستمدا من الفكر البحت او المنطق ، من نظرياته فى التربية والاجتماع والاقتصاد نستطيع ان نحكم ان الرجل اشتراكي متطرف ولكن ليس الى حدود التهور

وانى اجد ان اسلوبه سهل المنال يستطيع كل من له المام ببعض هذه الحركات الفكرية ان يتتبعه من غير كبير عناء ، واما فى هذا الكتاب الذى نحن بصدده فقد ابدع فى الحق واجاد ، وساعدنى كثيرا فى حياتى الداخلية ، حياة العواطف والبيئة السيكلوجية التي اعيش فيها ، لقد نلت بعض السعادة من قراءة هذا الكتاب ، واظن انى سوف اكون سعيدا وسابقى سعيدا لانى قرأته ، وعلى اى حال يجب ان اترك هذه النقطة موقتا لاعود اليها بعد قليل ، واما الآن فيحسن بى ان اتم ماشرعت فيه حتى ارسم صورة قريبة من الصواب عن هذا الرجل

ناحية اخرى مهمة من حياة هذا الرجل يجب ان لا نغفلها حتى تتكون عندنا صورة ذهنية صحيحة عنه ، وهذه الناحية هي فلسفته ، برتراند رسل رجل كافر ملحد ، لايرى لله وجودا ولا اثرا فى هذا الكون ، انه ينال نظام الكون بلواذع النقد والتقريع ، ويلومه على الشرور والمصائب التى تعج بها الحياة الراهنة ، وبالطبع لا يستطيع انسان له مسكة من العقل او الذوق السليم ان ينكر وجود المصائب والنوازل الفردية والاجتماعية ، كالامراض والحوادث وكوارث البراكين والفاقة والجوع والتعاسة التي تملأ هذه الارض ، والتى تسحق الافراد والجماعات ، لاينكر انسان له عقل هذه الامور . ولكن برتراند رسل يحمل على نظام الكون ويلومه لكل هذه ، بينما غيره يرى كل هذه الامور ويحار فى تعليلها وردها إلى اسبابها العقلية ، فيعجز

وعلى اى حال سواء أكان موقفه صوابا ام خطأ فأن برتراند رسل رجل ملحد فى فلسفته ، شديد الالحاد ، يجاهر به لانه يعيش فى بلاد تقدس حرية الرأى الى آخر حدود التقديس

* * *

« تحقيق السعادة » كتاب فى حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط ، اسلوبه سهل المأخذ لذيذة افكاره مرتبه معنى بها بحيث تتلو بعضها بعضا وتتمم بعضها بعضاً ، لايشعر القارىء فيه بأنه فى جو غريب عنه ، او بأن ما يتناوله الكتاب بالبحث يخرج عن دائرة اختبارات الفرد اليومية لا بل لا يسفك وأنت تدرسه الا بأن تشعر أن ما يرد فيه قد ورد عليك ومر بك فى حياتك اليومية ، تشعر أن ما يقوله قد مر بك فى حياتك اليومية ، ولكنك تعجب من نفسك كيف أنك لم تتنبه له من قبل ، ومن أنك تحتاج الى واحد مثل برتراند رسل لينبهك اليه ، ويردد لك صدى نفسك وما تختلج به مشاعرك

قسم المؤلف كتابه الى بابين أولهما موضوعه (أسباب الشقاء وبه تسعة فصول يدور البحث فيها حول هذه المواضيع وأمثالها (ماذا يشقى الناس) ، (التعاسة البيرونية) — (نسبته الى بيرون الشاعر الانجليزى - (التعب) و (الحسد) الى اخره ، وفى الباب الثانى وموضوعه (أسباب السعادة) بامثال هذه الفصول « الحب » الرجل السعيد « الحماسة » و« العائلة » (والعمل) الى اخره وفى هذا الباب ثمانية فصول ، وفى هذا الكتاب لم يعرف المؤلف السعادة ، أى أنه لم يضع لها حدودا نعرفها بها ، لم يقل لنا ما هى ، وانما كل ما يقوله ويؤكده هو أنها ممكنة لمعظم الناس أن لم يكن لجميعهم ، ومن رأيه أنها تتوقف على شيئين - أحدهما داخلى نفسى والآخر خارجى موضوعى ، بعضها خاص بالنظم الاجتماعية وبعضها نفسى سيكلوجى وهو من الذين يعتقدون

أن النفسى أو السيكلوجى هو فى الواقع كنتيجة مباشرة للعوامل والنظم الاجتماعية ، ولكن الفرد بالطبع يستطيع أن يسعد برغم ما يحيط به ، وانى أرى هنا تناقضا بينا صريحا ، ذلك لأن برتراند رسل يقول فى كتابه بان السعادة متوقفة على الانسان نفسه ، فالانسان يستطيع أن يحصل على السعادة متى راض نفسه وقومها وأخذ بيدها فى الطريق المستقيم الذى يقود الى السعادة ، من هنا كان التناقض نوعا ما ، ولكنى التمس له عذرا لان المقام لم يكن مقام تحديد العوامل وفصلها بعضها عن بعض وتبين كل منهـا على حده ، وانما مقام بحثه فى امكانية السعـادة للفرد برغم ما يعترضه فى سبيله ، وبرغم ما يحيط به من عوامل تنزلق بالانسان الى اليأس والتعاسة والشقاء

«*»

لا ينكر احد ان من اسباب الشقاء بعض العوامل التى تخرج عن طوق الانسان وعن مجهوده . بعض الشقـاء ينطوى فى ثنايا البيئة التى نعيش فيها ، وبصفته عنصرا من عناصر البيئة لا بد وان يؤثر فينا ويكوينا بناره . لا بد وان نخضع لبعض المؤثرات التى تقع علينا منه ، ونستجيب لها ببعض المشاعر المكروهة البغيضة التى ندعوها شقاء ، لا بد وان ينالها هذا الشقاء الذى يغمرنا من جميع الجهات ، لا ننكر هذا ولا نمارى فيه ، ويحسن بنا ان لا ننكر أو نمارى لان تجاهل الشيء لا يفنى وجوده واثره

ولكن هناك بعض العوامل النفسية التى تسبب شقاءنا وعذابنا ، هذه العوامل هى فى الواقع من صنع النفس البشرية ومن عملها. تخلق النفس هذه العوامل وتشوى الانسان بها وتذيقة التعاسة أشكالا والوانا ، أو قد لا تخلقها اصلا وانما تجدها فى الحقيقة والواقع ، ولكنها تأخذها وتحتضنها وتغذيها حتى تكبر فتكوى الانسان وتذيقة العلقم ، تنتقى النفس بعض عوامل الشقاء من البيئة وتتعهدها وترعاها الى أن تشب نارا قوية فتصب عليها الزيت وتقدم لها الوقود وتصطنع فيها لهيبا حاميا تتقلب عليه وتشوي اجنابها وتكوى اضلاعها ثم تصرخ وتستغيث فكأنما كان الشقـاء فى البيئة فالتقطته النفس ونفخت فيه لتزيده أوارا . واذا لم يكن فى البيئة اصطنعته النفس اصطناعا وبنته من الخيال والاوهام

من هذا يتبين ان المسئولية فى الواقع تنصب على رأس الانسان نفسه ، وهذا فى الواقع هو ماذهب اليه برتراند رسل فى كـتابه الذى نحن بصدده ، فلو نظرت الى اسباب الشقاء كما اوردها لما تسرب اليك الشك مطلقا فى أن ان معظمها يرجع الى الانسان نفسه دون سواه ، ومع ذلك لا يسعك الا ان تسلم بوجهة نظر المؤلف بدون تردد ، تتبع الاسباب سببا سببا فلاتري مندوحة من ان توافق على كل منها بمفردها وعليها فى مجموعها ثم لا تري مناصا ايضا من ان تزعم ان جميع هذه

الاسباب ترجع فى اخر الامر الى عوامل نفسيه قريبة أو بعيدة

يقول برتراندرسل « انى اعتقد ان الشقاء انما يرجع فى الغالب الى بعض النظرات المغلوطة للحياة ، أو الى بعض القضايا الاخلاقية المنكوسة . والى بعض العادات الخاطئـة التى تهدم الشهـوة والقابلية الى بعض الامور التى تتوقف عليها سادة الانسان والحيوان وبمعنى آخر أن فينا ميولا وشهوة للحياة ومظاهرها ، للحب والجمال والصداقة ، وفينا شهوة وحماسة لبعض ما تقدمه لنا الحياة كالاخبار والمطالعة والاستطلاع والمغامرة بمظاهرها المختلفة ، فينا حب فطرى للـكشف عن المجهـول ، لدينا الدوافع الطبيعية التى تحفزنا على التغلب على الصعاب والتى تستغزنا للنضال والانتصار ، فينا كل هذه الميول والشهوات ، ولـكن نظرتنا الخاطئة للحياة فى مجموعها، والعادات والعرف والفضائـل والاخلاق تستلب منا هذه الميول وتخنقها فى المهد وتتركنا زاهدين فى كل ما تقـدمه لنا الحياة أو فى الحياة ذاتها ، ومتـى ذهب هذا الشوق وتلك القابلية ماذا يتبقى لنا من السعادة ؟

كنت مرة أسير فى شارع فؤاد فى صحبة صديق لى ، واذا بنا نرى أمامنا شابين يسيران جنبا الى جنب ، والظاهر انهما صديقان يريدان أن يستمتعا بسهرة لذيذة ، واذا باحدهما يقول للاخر عجبا ! ماذا تريدان تفعل يا أخى ؟ لقد عرضت عليك أن نجلس فى المقهى ، أو نسـير فى الشارع ، أو نذهب الى احدى دور السينما أو التمثيل ، لقد عرضت عليك أن نشرب ، أو نلعب الورق فلم يعجبك شىء من هذا ، ومع ذلك لا تستطيع أن تقترح شيئا غير هذه الامور ، فماذا أستطيع أن افعل لك ؟

لا يستطيع هذا الشاب أن يسعـد صديقه لحظات قليلة لانه شاب ، زاهد فى مظاهر الحياة (نفســه مسدودة ـ زهقان) ، وأحسن تعبير وجدته لهذه الحالة هو كلمة ennui الفرنسيه ، فماذا تستطيع ان تفعل لشاب ماتت فيه القابليه لما تحويه الـدنيا حواليه ، اللهم لا شىء ، سوى أن تخلق له دنيا أخرى غير هـذه ، وهذا بالطبع سخيف ، لان السعادة اذا لم تكن موجودة فى هذه الدنيا فليس لها وجود على الاطلاق ، اما أنها موجودة معنا أو معدومة بالمرة

يذكر المؤلف أنواعا كثيرة من أسباب الشقاء ولست أرغب فى التكلم عنها جميعا لان المجال لا يسمح بذلك ، وانما أعدد بعضها فقط ، وأشرح واحدا أو اثنين منها على سبيل التمثيل

من ضمن أنواع الشقاء ما يسميه (١) الاعتقاد الخطأ بأن الشقاء من نصيب كبار المفكرين قبل غيرهم (٢) محبة الناس بقصد احتكار مشاعرهم (٣) ان لا يهتم الانسان لشىء ما لم يكن له فائدة عملية فى حياته (٤) عدم القدرة على ترك بعض المسائل معلقة الى ظرف مناسب (٥)

عدم مقدرة الانسان على التحكم فى عوامل الشقاء النفسية والموضوعية (٦) شدة الاكتراث للامور التى تفسد بفعل الانسان أو بفعل الظروف (٧) تركيز وعي الانسان فيما بنفسه وليس فيما يحيط به (٨) الحسد (٩) الشعور بالذنب (١٠) الاضطهاد المزعوم القلق

ولنضرب مثلا بالقلق : — القلق هو حالة نفسية وليست موضوعيه ، بمعنى أنه من صنع النفس وليس موجودا فيما يحيط بنا من العناصر الطبيعية ، حقاً أن سببه موجود فى البيئة التى نعيش فيها ، فالانسان ياتى أمرا من الامور ويقصده منتظر النتيجة عمله ، ولأنه يجهل النتيجة ، ولا يضمن أن تأتى كما يشتهى ويروم يضرب اخماسا لا سداس ، ويظل يركز كل مشاعره على نوع معين من النتائج ، وترتعب منه الفرائص لدي تخيله بأن الأمور لا تسير على ما يرام فيأكل .. صابعه ، وينتف شعره ، ويتملكه نوع من الهستريا » قد يحدث له ، فينقطع عن الأكل والنوم فتضعف أعصابه وتصير أكثر قابلية للاضطراب والانفعال ، وتزداد فيه عوامل القلق من جديد ، وهكذا يدور فى حلقه لعينة ، من قلق الى ضعف فى الاعصاب ، ومن ضعف فى الاعصاب الى قلق أشد وهكذا الى مالانهاية ، والواقع أن هذا الانسان اسلم قيادته الى عواطفه ومشاعره والغى عقله وأقصاه عن الاضطلاع بمسئولياته ، بينما كان يستطيع هذا الانسان أن يترك الامور تجرى فى مجراها بعد أن يكون قد أفرغ جهده فى تغليب العناصر التى تعينه على أغراضه . وبعد أن يفعل هذا يصرف الموضوع من نفسه ولا يعود له الا ان يستمتع بالنتائج الحسنة أو ليدرأ عن نفسه بعض النتائج السيئة ، وهذا عين ما يفعله كبار الرجال ، فانهم يولون المسألة كل التفاتهم ويصرفون فيها كل جهودهم ، ثم يتركونها لشأنها ، لتنتج ما تريد أن تنتج ، أما الاستسلام للقلق وتمليكه من نفس الانسان فهو من شيمة الضعاف

يحكي عن ولنجتون — القائد الانجليزى الذى قهر نابوليون ـ أنه وضع خطته للموقعة الفاصلة فى التاريخ ، وقدر لكل العوامل المفاجئة كل حساب ، وعنى بكل دقيقة من دقائق الاستعداد للموقعه ، وبعد أن أفرغ ما فى جعبته ، وبذل كل قطرة من مجهوده فى الاستعداد للقتال ، نسى كل شيء ومحا القلق والاضطراب من نفسه ، ثم ذهب الى قصر الدوقة فى بلجيكا وظل يرقص الى اخر لحظة كأن لم يكن حظه وحظ بلاده يضطرب فى ميزان القدر ، ولما أزف الوقت تأبط سيفه وخرج من قاعة الرقص ليشرف على الموقعة التى غيرت مجرى التاريخ

من العادات السخيفة فى بلادنا عادة الطلعة أو زيارة الميتين فى مقابرهم ، فليس لهذه الزيارات من غرض سوى تجديد الحزن ، والسعى وراء الشقاء والغرام به ، كأن لذة الدنيا عندنا فى هذه

التعاسة تجرى وراءها اذا ما غادرتنا . الحق ان الانسان يصطنع الشقاء لنفسه ، ويضعه أمامه ثم يبكي ويشكو من زمانه ومن تباريحه ، وما الزمان وتباريحه ، الاهراء فى هراء ، لست أنكر ان يحزن الانسان لموت أعزائه ، ولكنى أنكر عليه أن يلحف فى الحزن ، وفى اصطناع الشقاء والتعاسة

الحق أن برتراند رسل كان موفقا فى الكتابة عن هذا الموضوع ويقينى أنه سيكون عونا لكثير من الناس فى مجابهة الصعاب التى تلم بهم فى حياتهم اليومية ، وأنى انصح كل شاب أن يقتنيه ليدرسه دراسة منظمة عميقة حتى يستطيع أن ينال حظه من السعادة التى تعج بها هذه الارض رغم أنف المتطيرين

اطبع مؤلفاتك في مطبعة

المجلة الجديدة

مصر ١٢ — شارع نوبار باشا

التي تختار لك اجود الورق

وانظف الطبع

الطربوش وقداسته الوهمية

بقلم صلاح الدين كامل

الطربوش من الاصل لباس للرأس عند اليونان اخذه عنهم السلطان محمود الثانى . ولقد ثار الجنود الاتراك والشعب التركى فى اول الامر عندما ارغمهم السلطان محمود على لبس الطربوش زاعمين انه مظهر من مظاهر النصرانية. ونحن المصريين قد اخذنا الطربوش عن الاتراك بحكم التبعية — — والتبعية الذليله — كما اخذه غيرنا من البلاد المتأخرة التى كانت تابعة للاتراك

ومن ذلك يتضح ان الطربوش لا يمت الى الاسلام بصلة كما انه لا يمت الى المصرية بسبب. فأى نوع من القداسة تلك التى يريد الرجعيون ان يسبغوها عليه حتى قال بعضهم فى حماسة سخينة ان من يخلع الطربوش فقد خرج على الدين والوطن

والطربوش مع هذا شيء جديد فى مصر لم يمض عليه بعد قرن واحد، وقرن فى عمر بلد من البلاد او تقليد من تقاليدها لا شك زمن يسير . كما انه لم يلبس الطربوش من السكان الا القليل ، اذ المطربشون من المصريين لا يبلغ عددهم العشر وهى نسبة ولا شك ضئيلة : فلا محل مطلقا والحالة هذه لأن نعتبر الطربوش شعاراً من شعائرنا القومية يجب المحافظة عليه

ولا ادرى علة هذه الحماسة فى التمسك بالطربوش ومقاومة القبعة ولماذا لم تظهر مثل هذه الحماسة فى مقاومة البذلة والجزمة مثلا ! لماذا لم يجد «المركوب» او «البلغة» من يدافع عنهما ضد غارة الجزمة دفاع سادتنا الرجعيين ضد الطربوش مع ان المركوب والبلغه اقدم منه عهدا وارسخ قدما

الواقع أن التمسك بالطربوش يدل اما على جهل وغباوة لا يصح ان تقف حجر عثرة فى سبيل الاصلاح واما على روح رجعية خبيثة لا تخشى القبعـــة فى ذاتها بل تخشى الروح الاوربية او المدنية الاوربية او (عقلية القبعة) كما عبرت عن ذلك فى مقال سابق ٠ وهذا هو السبب الذي من اجله يتحتم على المجددين ان يضعوا القبعة — كما فعـل الزعيم كمال اتاتورك — على رأس قائمة الاصلاحات الواجبة التنفيذ



مذهب الفاشيين الايطاليين فى الحضارة



جوهر لال نهرو

جوهر لال نهرهو رئيس المؤتمر الهندي الذى انتهى اخيرا بنفوذ غاندي الى قبول تأليف الوزارات من اعضائه فى الولايات الست الهندية التى حاز المؤتمر فيها الاكثرية . وكان الى الشهر الماضي يرفض تأليفها بدعوي ان الدستور الهندى ناقص ويجب ان يقاطع من الهنود

الزواج والاداب

كتاب ملخص

تأليف برتراند رسل

وتلخيص

الدكتور صبري جرجس



الدكتور صبري جرجس

الزواج والاداب

كتاب ملخص تأليف برتراند رسل

وتلخيص الدكتور صبرى جرجس

١ — مقدمة

يتأثر كل مجتمع من عاملين على قدر كبير من الاهميـة هما العامل الاقتصادى وعامل الاسرة ، وتوجد الان مدرستان فكريتان احداهما وهى المدرسة الماركسية تستمد كل شىء من اساس اقتصادى والاخرى وهى المدرسة الفرويدية تستمد كل شىء من اساس جنسى ، ومن الصعب التفرقة بين العامل الاقتصادى والعامل الجنسى من حيث اثرهما على المجتمع

والاداب التناسلية لأى جماعة من الناس تتكون من تفاعل واختلاط أمور كثيره نذكر منها

١ — النظم التى يفرضها التشريع مثل نوع الزواج «الوحدانية او التعدد» واباحة الطلاق او منعه الخ .

٢ — النظم التى يفرضها الرأى العام دون تدخل التشريع

٣ — النظم التى تتوقف على الاختيار والادراك الفردى

وقد كان العرف الادبى التناسلى وما يتبعه من النظم التناسلية . ولا يزال خاضعا فى كل زمان ومكان للخرافات والتقاليد مما اضر به اشد الضرر . و نتائجه متنوعة . اى انها تتناول الافراد ذواتهم والزوجين والاسرة والوطن والعالم باسره . وهـذا ما سنحاول ان نفصله فى هذه الدراسة

٣ — المجتمعات التى تسود فيها الام

الاساس الذى يقوم عليه المجتمع المتمدين الحديث هو سيادة الاب فى الاسرة . وقد تكيف فهم المجتمع لفضيلة المرأة وفقا لهذا ، فما هى الدوافع الطبيعية فى ايجاد هذه الحالة ؟

قد يقال ان الدافع هو اعتقاد الرجل بفضيلة المرأة — وهذا دافع ذهنى اكثر منه غريزى ولكن ينقضه ان بعض الاقوام (مثل اهالى ميلينيسيا) لا يعرف رجالها ان الطفل له أب ومع ذلك يغرمون بأبنائهم كما لوكانوا يعرفون انهم اباؤهم . وقد ذكر مالينوسكى ان الرجل اذا غاب عن زوجته او اكثر ثم عاد ووجد لها طفلا جديدا فانه يسر ولا يستطيع ان يدرك تلميحات الاوربيين الى خيانة الزوجة . وادل من ذلك ان الرجل الذى يملك قطيعا كبيرا من الخنازير يخصى ذكورها دون ان يدرى ان هذا معناه فناء القطيع .

وهم يعتقدون ان الارواح هى التى تأتى بالاطفال وتضعهم فى الام ويعلمون ان العذارى لا يحملن ولكن هذا راجع فى نظرهم الى ان غشاء البكارة يعوق عمل الارواح . وهم يعيشون فى حرية مطلقة قبل الزواج ، والعجيب ان الفتيات فى هذا الدور لا يحملن الا نادرا ، واذا حملن عد هذا من اكبر العار على الرغم من اعتقادهم بانه لا توجد علاقة بين الحمل وسلوكهن . وتنتسب الفتاة بعد الزواج هى وابناؤها الى اسرتها ولا يكون للاب عليهم اى سلطان بل يأخذ الخال نفوذه . وعلى الرغم من اعتقادهم بعدم وجود اى رابطة دم بين الابناء وزوج الام فانهم يعتقدون ان الشبه بينهم وبينه يفوق الشبه بينهم وبين الام أو بين بعضهم بعضا . ويرى مالينوسكي ان حب الاباء لأبنائهم راجع الى اعتقادهم فى وجود هذه المشابهة . وكان من المستحيل ان يقنعهم بمعنى الابوة لانهم استمعوا اليها كقصة سخيفة من اختراع المبشرين فلما حاول ان يفهمهم اولا بعض الحقائق الفسيولوجية عن الحياة راي ان جهوده فى ذلك ايضا ذهبت ادراج الرياح

وقد لاحظ ان الرجل اذا بقى مع زوجته اثناء الحمل والولادة فانه يشعر بميل غريزي الى الطفل وهذا هو الاساس فى عاطفة الابوة ، او كما يقول « قد تبدو الابوة فى الانسان لاول وهلة كأن الاسس البيولوجية تعوزها ولكنها فى الواقع عميقة التأصل فى الكيان الطبيعى والحاجات العضوية ويضيف الى ذلك ان الرجل الذى غاب عن زوجته اثناء الحمل لن يشعر بميل غريزي الى الطفل فى بادىء الامر وان كان التعود والعرف الادبى القبيلة اللذان يقضيان عليه بمعاشرة الام والطفل

ينميان فيه هذا الميل فيما بعد

وقد مرت الانسانية كلها بهذا الدور الذي يعيش فيه هؤلاء الناس حتى الان ، والاسرة الحيوانية لا بد ان يكون لها اساس شبيه بهذا . اما عاطفة الابوة كما يعرفها الانسان الان فلم تنشأ فيه الابعد ان ان ادرك حقيقة الابوة وفهم مدلولها ومعناها

٣ — سيادة الاب

بعد ان عرفت الحقائق الفسيولوجية الخاصة بالابوة دخل عامل جديد على الشعور الابوى ذلك هو حب القوة والرغبة فى مجاوزة الموت ، فان الانسان ادرك ان حياة ابنائه هى تتمة لحياته وان مطالعه بذلك لا تنتهى بموته بل يمكن ان تحيا الا ما لا نهاية طالما ان له ذرية تخلفه . ولسنا حاجة الى خيال بعيد لنرى ان اكتشاف الابوة قد جعل المجتمع الانسانى اكثر تنافسا ونشاطا مما كان عليه ايام سيادة الام

هذا الاحساس بالابوة سبب من اقوى الاسباب فى فرض الفضيله على المرأة وهو ايضا الاساس فى شعور الرجل بالغيرة . والدليل على ذلك ان الرجل الذى يمل زوجته ويهجرها الى خليلة يحبها شد الحب يظل اكثر احساسا بالغيرة فى كل يمس زوجته عنه فيما يمس خليلته ، لأن الابن الشرعى هو امتداد «لذات» الرجل وحبه له هو نوع من حب «الذات» اما الابن غير الشرعى فلا تربطه به اى علاقة بيولوجية . ومن هنا كان اكتشاف الابوة السبب فى السيادة على المرأة باعتبار أن هذه السيادة هى الوسيله الوحيدة للاحتفاظ بعفافها ففقدت المجتمعات المتمدينة روح المصاحبة التى ينبغى ان تربط الزوجين واستبدلت بها علاقة تقوم على السيادة من ناحية الزوج والواجب من ناحية الزوجة

وقد افسدت رغبة الرجل فى الوثوق من شرعية ابنائه الحب كعلاقة بينه وبين المرأة ، بل وافسدت معها ايضا كل النواحى التى كانت المرأة تستطيع المساهمة فيها فى بناء الحضارة ، لانه خشى ان يشركها معه فى الوان النشاط الذهنى التى كان يمارسها لئلا يقودها التفكير القوى الي خيانته . وليست هذه الظاهرة قاصرة على مجتمع دون اخر بل اننا نستطيع ان نشاهدها فى جميع المجتمعات المتمدينة . فى الاغريق القديمة وفى الصين وفى بلاد الفرس وفى غيرها

وقد استغل الرجل معنى الابوة الى ابعد الحدود فجعل لنفسه سلطانا مطلقا على أبنائه

فى كل ما يختص بشئون حياتهم ، بل لقد امتد هذا السلطان — كما حدث فى روما احياناً — الى القضاء عليهم بالموت . ولم يكن احد منهم يستطيع الزواج دون موافقة أبيه ، بل أن الأب جعل لنفسه الحق فى اختيار الزوج أو الزوجة ، وفقدت المرأة فى كل أدوار حياتها الكيان المستقل فهي حتى الزواج تبقى خاضعة لسلطان ابيها وهى بعده تحيا خاضعة لسلطان زوجها وحماتها . ثم جاء الدين فيما بعد فعزز هذا النفوذ الذي اصطنعه الرجل لنفسه قوة وأقتدارا .

ولكن ارتقاء الحضارة وتغيير الاحوال الاقتصادية أضعفا اثر العرف الدينى . ويتجلى ذلك فى القرون الاخيرة من عظمة روما حين أصبح الطلاق سهلا وشائعاً ووصلت المرأة فى الطبقات العليا الى المساواة مع الرجل . وهذا التقدم يشبه إلى حد كثير الحالة التى نحن فيها الان مع الفرق أنه كان فى القديم قاصراً على فئة محدودة من الناس . والمجتمع الحديث لا يزال خاضعاً لنظام سيادة الاب فى الأسرة ولكن أثر الاسرة ضعف كثيرا عما كان عليه فى المجتمعات القديمة ، ولعل هذا راجع الى ان أمال الرجل ومطامعه قد أتجهت الان الى بلوغ العظمة عن طريق رفعة المقام فى الدولة لا عن طريق الثراء الواسع ، ولعله ايضا السبب فى ان الاداب التقليدية لم يبق لها الان الاثر الذى كان لها من قبل .

وسنعرض فيما يأتى للطريقة التى أثر فيها الدين على الاراء الخاصة بالزواج والاسرة

٤ — الزهد والخطيئة

منذ ان أكتشفت الابوة أصبح الدين يعنى بالحياة التناسلية شأنه فى اى امر آخر على شيء من الاهمية أو الغموض . فالاخصاب سواء ا كان فى النبات أم فى الحيوان أم فى الانسان كان ينال المكان الاول من اهتمام الانسان فى بدء الحضارة الزراعية ، ومن هنا دخل الدين والسحر لمعالجة العقم فى الانتاج الانسانى . وفى العهود الاولى لحضارة مصر القديمة كان الرمز التناسلى فى الدين يشبه الاعضاء التناسلية للمرأة ولكنه أصبح بعد ذلك — كما فى كل الحضارات القديمة ايضاً — يتمثل فى عبادة عضو الذكورة « فاليس » ، وظلت آثار من هذه الحالة باقية حتى القرون الوسطى ولم تستأصل تماما الا بعد ظهور البروستانتية .

وكذلك كان البغاء المقدس (الدينى) من النظم الشائعة فى الحضارات القديمة . ففى بعض الحالات كان نساء الطبقات المحترمة يذهبن الى المعابد ويتصلن اتصالا جنسياً بالكهنة أو بأى عابر سبيل ، وفى البعض الاخر كانت كاهنات المعبد انفسهن بغايا مقدسات .وأغلب الظن ان هذه العادات

نشات من الرغبة فى اخصاب المرأة عن طريق ارضاء الالهة .

ولكننا على العكس من ذلك نرى العنصر المضاد للجنس يسود فى بعض الجهات من مختلف انحاء العالم . فقد ذكر وسترمارك امثلة متعددة « لذلك الرأى الغريب الذى يقرر بان هناك شيئا من الدنس فى الخطيئة والعلاقات الجنسية عموما » . وليست هذه النزعة الى الزهد قاصرة على المسيحية أو البوذية . ولكنها كانت موجودة ايضا فى كثير من الحضارات القديمة كالحضارة الرومانية والفارسية . فما عسى ان يكون السبب فيها ؟ السبب فيما أرى ينحصر فى امرين : الغيرة والتعب الجنسى. فالرجل الذى يري ان زوجته تخونه تملؤه الغيرة بالحنق عليها وعلى عشيقها ولا يرى فى الجنس الا انه نزعة حيوانية (وتزداد هذه النظرة تشبثا اذا كان عنينا لاى سبب من الاسباب) .
أما التعب الجنسى فظاهرة ادخلتها الحضارة على الحياة التناسلية فى الانسان ، وهى غير معروفة أطلاقا فى الحيوان ونادرة الحدوث جدا فى الانسان غير المتمدين . وحدوثها فى الزواج القائم على اساس الوحدانية غير منتظر الا فى دائرة محدودة جدا ، لان هذا الزواج ينقصه حافز الجدة الذى يدفع الرجل الى الافراط . وهى ايضا عنة خليقة ان تحدث اذا كان للمرأة الحرية فى أن ترفض الرجل لانها فى هذه الحالة ستكون كاناث الحيوان تحتم المغازلة والمداعبة قبل كل أتصال ولن تستسلم للرجل الا اذا شعرت بان عواطفه نحوها قد أثيرت الي درجة كافية . ولكن هذا الشعور أو السلوك الغريزى قد أصبح نادرا بفعل الحضارة او بفعل العامل الاقتصادى فيها فاصبحت المرأة المتزوجة والبغى سيان الان فى كسب عيشهن عن طريق عرض محاسنهن الجنسية ، وهن لذلك لا يقصرن استسلامهن على الاوقات التى يشعرن فيها بالرغبة . وهذا بدوره قد انقص كثيرا من قيمة الدور الذى تقوم به المداعبة والمغازلة وهى حارس الطبيعة ضد التعب الجنسى . وقد نتج عن هذا أن الرجل مالم يكبح نفسه بعرف ادبى قاس يميل الى الافراط الذى يؤدي الى التعب والاشمئزاز ومن ثم الى الزهد . ولعل هذا هو السبب الاهم فى ان الزهد كثيرا ما ينشأ فى المجتمعات الاباحية .

أما العزوبة كظاهرة تاريخية فلها اسباب أخرى . فان الكهنة والكاهنات الذين كرسوا انفسهم لخدمة الالهة كانوا يعدون متزوجين من هؤلاء الالهة . ومن ثم كان يفرض عليهم الامتناع عن اى اتصال مع الانسان . وقد كانوا يحاطون بطبيعة الحال بكثير من التقديس
ومن هنا العلاقة بين العزوبة والقداسة . ولا تزال الكنيسة الكاثوليكية حتى الان تعتبر راهباتها عرائس المسيح . وهذا بلا ريب احد الاسباب التى جعلتهم يعدون من الخطيئة اتصالهن بالبشر

وهناك عوامل أخري اقل وضوحا وتحديدا من هذه كان لها اثر فى نشوء الزهد . فقد مرت بالانسانيه عصور كانت الحياة تبدو سارة بهيجة بحيث تملأ نفوس الناس بالرضى والسعادة، وهناك عصور أخرى كان الناس يشعرون فيها بالملل ويرون فى الدنيا ومسراتها نوعا من الزهو الباطل فكانوا يحاولون الهرب من هذه الحالة بالتماس العزاء الروحى . وايا كان السبب الذى يؤدى الى هذه الحالة فلاجدال فى انها كانت تنطوى على التفور من الجنس . ومن سوء الحظان الاداب المسيحية ظهرت فى عصر من تلك العصور فاخضعت فريقا كبيرا من الناس المتدفقين بالحيوية والنشاط — الذين جاءوا فى عصور لاحقة — لتقاليدها واضطرتهم ان ينظروا الى الحياة هذه النظرة المريضة الخاليه من اى احساس بالقيم البيولوجية للحياة الانسانية

٥ — الاداب المسيحية

يرى وستر مارك أن تكوين الاسرة هو ألاصل فى الزواج وليس الزواج هو الاصل فى تكوين الاسرة، ولكن المسيحية وبالاخص الرسول بولس يرى رأيا مخالفا لهذا . وخلاصة رأيه أن السبب الاول فى الزواج ليس الانسال ولكن منع الوقوع فى خطيئة الزنا، اى انه يتجاهل الغرض البيولوجى من الزواج تجاهلا تاما . وهو لايشير قط الى ان الزواج يمكن أن ينطوي على شيء من الخير الايجابى ولا ان المودة بين الزوج وروجته هى فى ذاتها شيء جميل كما أنه لايبدى اى اهتمام بالاسرة بل يجعل الزنا محور آرائه ويرجع اليه فى كل مباديء الاداب التناسلية التى يضعها . وهو فى هذا يشبه الذى يقول بان السبب الوحيد لعمل الخبز هو منع الناس من سرقة الكعك ولكنه لم يشأ أن يتنازل فيذكر لنا لم يرى كل هذا الشر . ولعله لم يحب ان يجعل مباديه الادبية اقل فى شدتها من الشريعة الموسوية .

والحملة على الزنا بدعة فى الدين المسيحى . نعم ان العهد القديم ككل قوانين الحضارات القديمة يحرم الزنا، ولكنه يقصد فى هذه الكلمة الاتصال بامرأة متزوجة . ولعل وجهة النظر المسيحية التى تقتضى بان كل اتصال جنسى خارج الزواج عمل مخالف للاداب انها نشأت من اعتبار الاختلاط الجنسى حتى فى الزواج عملا غير نقى . ولاريب فى أن العقلاء من الناس يعدون هذا هذا الرأى المخالف للحقائق البيولوجيه فى الحياة ليس الا انحرافا مرضيا ضارا، وقد اثر وجوده فى هذا الدين وتأصله فى تعاليمه تأثيرا سيئا عليه حتى جعل منه قوة تنحو الى نشر الاضطرابات العقلية والاراء الخاطئة عن الحياة

ثم جاء عهد الكنيسة الاولى فعززت اراء الرسول بولس وبالغت فيها حتى انها اعتبرت العزوبة نوعا من القداسة ، وكان ايضا ان هاجمت عادت الاستحمام بدعوى ان كل مايعمل على تجميل الجسم ينزع الى الخطيئة . ولهذا امتدحت القذارة وقال الرسول بولس « ان نظافة الجسم والملابس تعنى دنس الروح » بل لقد قيل عن القمل انه جواهر الله وكان وجوده من الدلائل التى لاغنى للقداسة عنها

اما الكنيسة الكاثوليكية فقد اختلف رأيها بخصوص الزواج عن رأي الرسول بولس ، فهو كان يري ان الزواج ليس الا منفذا شرعيا للشهوة ، اما هى فقد اضافت الى هذا الغرض غرضا آخر هو الانسال ، ومن ثم كانت ادابها التناسلية اكثر عسرا من ادابه لانها جعلت الاتصال الجنسى حتى بين الزوج وزوجته خطيئة مالم يؤد بغرض الانسال . بالانسال لديها هو الدافع الوحيد الذى يمكن ان يبرر الاتصال الجنسى ، بل انه الدافع الذى يبرره فى جميع الاحوال وتحت اى الظروف مهما بلغ من قسوتها ، فليس يعنيها مثلا ان تكره الزوجه الاتصال الجنسى ولا ان تتعرض صحتها لخطر الموت من الحمل ولا أن يولد الطفل مريضا أو مجنونا ولا ان تكون الحالة المادية للابوين من العسر بحيث تصل الى درجة الفاقة البالغة . لاشىء من كل هذا يصح فى نظرها ان يمنع الرجل من الالحاح فى المطالبة بحقوقه الزوجية طالما انه يطمع فى طفل جديد

غير ان هذه النظرة الكاثوليكية تحوى تناقضا عجيبا او على الرغم من انها تعد الاتصال الجنسى خطيئة مالم يؤ لغرض الانسال فانها لم تفكر قط فى أن يكون العقم سببا لفصم عرى الزواج . وهذا يعنى انه مهما كانت رغبة الرجل فى الاطفال فان العرف الادبى فى المسيحية لا يستطيع أن يجد علاجا لرغبته هذه اذا كانت زوجته عقيما . هنا يبرز الرأي الذى يجعله الرسول بولس المحور لكل التعاليم الادبية التى ينادى بها وهو أن الغرض الاول والاهم فى الزواج هو منع الانسان من الوقوع فى الخطيئة ، أو أنه اختيار لا هون الشرين .

وقد حاولت الكنيسة الكاثوليكية أن تعدل هذه النظرة المنحطة الى الزواج فاسبغت عليه مسحة القداسة . والاهمية العملية لذلك انها جعلته غير قابل للانفصام مهما يكن من أمر أحد الزوجين أو كليهما . فهو يظل فى نظرها علاقة مقدسة حتى اذا أصيب أحد الزوجين بالزهرى أو بالجنون أو ادمن على تعاطى الخمور . أو أقام فى علاقة تناسلية مع شخص آخر علانية . صحيح إنها تبيح الانفصال فى بعض الظروف ولكن حق الزواج مرة أخرى لا يمنح قط . وهذا بسبب بطبيعة الحال الوانا مختلفة من التعاسة والشقاء ، ولكن الذين يقعون فيها مضطرون الى احتمالها ما دامت هذه هى إرادة الله !

وعلى الرغم من تشدد الكنيسة الكاثوليكيه فيما تعده خطيئة فانها أدركت أن الطبيعة الانسانية لا يمكن أن تعيش فى نطاق هذه القيود ، ولذلك فانها أبدت استعدادها لمنح الغفران لمن يقعون فى خطيئة الزنا بشرط أن يعترفوا بها ويظهروا الندم عليها والتوبة منها . وهذه بطبيعه الحال طريقة لزيادة نفوذ رجال الدين ، لأنهم وحدهم الذين يستطيعون منح الغفران ، ولولاه لبقيت الخطيئة أبدية .

أما البروستانتية فقد تبدو أشد رحابة من الناحية النظرية ولكنها فى الواقع أشد صلابة فى بعض النواحى العملية . وقد تكيفت تعاليمها بظروف مبتدعها لوثر ، فانه كان متأثرا من عبارة « الزواج خير من التحرق » وكان فى الوقت ذاته يحب راهبة فرأى — على الرغم من عهد العزوبة أن من حقه وحق الراهبة أن يتزوجا لان بقاءهما بغير زواج قد يدفع بهما الى الخطيئة ، ومن ثم اهملت البروستانتية اطراء العزوبة — الأمر الذى كان مميزا للكنيسة الكاثوليكية ، كما لم توافق على صبغ الزواج بمسحة القداسة وبذلك أباحت الطلاق فى بعض الظروف . غير انها من ناحية أخرى كانت أكثر تشددا فى نظرتها الى الزنا ، فبينما مهدت الكنيسة الكاثوليكية العلاج للذين يقعون فى الخطيئة عن طريق الاعتراف ومنح الغفران أنكرت البروستانتية هذا الأمر وتركت الخاطئين فى موقف لا أمل لهم معه فى المغفرة . ولعل نتيجة هذا تشاهد باشد جلاء فى أمريكا فبينما نرى الطلاق يباح فيها بغاية السهولة إذ نرى الزنا يعاقب بقسوة لا تعرفها أغلب الممالك الكاثوليكية .

من الواضح أن العرف الأدبى المسيحى يحتاج إلى تنقيح كبير ، وهذا التنقيح يجب أن يعمل على غير لزوم التعاليم والمبادىء المسيحية التى تقتحم طريقها إلى العقل الباطن من أثر التأكيد والتكرار أثناء الطفولة وتطبع صاحبها على غير وعى منه بطباعها . يجب أن نسأل أنفسنا بكل صراحة وحرية . لم تدين الكنيسة كل أعمال الزنا ؟ وهل تدينها استنادا إلى أسس صحيحة ؟ وهل هناك أسس أخرى لم تلتفت الكنيسة اليها ولكنها تؤدي إلى نفس النتيجة ؟ لقد كان رأى الكنيسة القديمة فى الاتصال الجنسى أنه فى ذاته عمل دنس ولكنه يمكن أن يباح إذا تأدى بعد اتمام بعض المراسم أولا . وقد ساد هذا الرأي طويلا وحاز الموافقة الاجماعية من الناس اعتقادا وممارسة ولكن هذا لا يمنع أنه سخافة ، بل أنه نظرا لسخافة الغالبية العظمى من الناس فان اجماعهم على رأى حليق أن يجعله أقرب الى السخافة منه الى السداد . ان أهالى جزيرة بيلو يعتقدون أن ثقب الانف شرط لازم للحصول على النعيم الخالد ، والأوربيون يظنون أنهم يستطيعون الوصول إلى هذه الغاية ببل رؤوسهم والرطانة ببضع كلمات خاصة . فلم يكون اعتقاد الأولين خرافة ويكون

اعتقاد الآخرين حقيقة من حقائق الدين المقدسة؟

ولكننا لن نستطيع أن نصل الى التنقيح المطلوب إلا إذا غيرنا طريقة استعمالنا لبعض الالفاظ والكلمات الذائعة أولا ، فان للالفاظ تأثيرا على تفكير القارىء لا يمكن أن يتحرر منه . فالذى يقرأ كلمة «الزنا» مثلا لا يستطيع أن يفصلها عن فكرة الخطيئة والدنس بكل مايتبعهما من تحامل العرف الأدبى والدينى طوال الأجيال والسنين . ولذلك فينبغى أولا أن نستعمل بدلا منها عبارة محايدة وإن كانت تبدو ثقيلة على السمع فى أول الأمر مثل « العلاقات التناسلية خارج الزواج »

٦ — الحب الرومانتيكى

بانتصار المسيحية هبطت العلاقات بين الرجل والمرأة الى درجة من القسوة والخشونة لم تكن معروفة من قبل ، فان المرأة فى الزواج كانت محرومة من أي حق ، وفى خارج الزواج كانت تصطدم بوحشية الرجل وعنفه .

وقد انتشرت الأباحية فى القرون الوسطى إلى درجة تشمئز منها النفس ، وكان رجال الدين يعيشون فى الخطيئة علنا مع بناتهم ، وحاول البابا جريجوري السابع أن يحول بين القساوسة وخليلاتهم ولكنه يفلح ، ولم تفرض العزوبة على رجال الدين الأحوالى نهاية القرن الثالث عشر ولكنها كانت عزوبة صورية واستمرت علاقاتهم غير الشرعية فى الخفاء وإن كانوا لم يستطيعو إطراءها وتمجيدها لأعتقادهم بدنسها فعلا .

وفى خلال القرون الوسطى ظهر هذا التفريق الواضح بين التقاليد الأغريقية الرومانية للكنيسة والتقاليد التيتونية للطبقة الأرستقراطية . وقد ساهمت كلتاهما فى بناء الحضارة ولكن عن طريق يخالف الأخر كل المخالفة . فقد كان سبيل الأول العلم والفلسفة والقوانين الدينية وهى تراث حضارات البحر الأبيض المتوسط ، وكان سبيل الثانية القانون العام ونظام الحكومة وروح الفروسية والشعر والحب الرومانتيكى ، وهذا الأخير هو الذى يعنينا الآن

الحب الرومانتيكى يتميز بأنه يري المحبوب شخصا ثمينا ويعتبر الحصول عليه من المستحيلات . ولعل الأعتقاد بأهمية المحبوب هو نتيجة سيكولوجية لصعوبة الحصول عليه . وهنا يتجلى أثر الدنس الذي طبعت الكنيسة به كل ما يتعلق بالحياة الجنسية فى الانسان ، فان هذا النوع من العاطفة الشعرية لم يكن يوجه اطلاقا إلى إمرأة يشعر الرجل إن هناك أقل أمل فى الحصول عليها أو الأتصال بها . ومن ثم نشأ الحب الشعرى الذى يتغنى بالوفاء دون الرغبة فى الأتصال . وهذه حالة غريبة

على الرجل الحديث ، لا يكاد يؤمن بوجودها ولا يكاد يعدها الا نوعا من الاساليب أو التقاليد الادبية التى ابتدعها خيال الكتاب والشعراء يومذاك . ولكن قليلا من التأمل يثبت أن هذه الحالة يمكن أن تكون قد وجدت فعلا ، فان الرجل الذى يحب امرأة ويحترمها يجد من المستحيل عليه أن يقرن معها فكرة الاتصال الجنسى اذا كان يعتقد بدنس هذا العمل . وهو لذلك يتحول بحبه من الناحية المادية أو الجدية إلى ناحية الشعر والخيال والرمز . ولا ريب أن الادب كسب كثيرا من هذه الحالة

ونظرا للنزعة التى بدت نحو الوثنية فى عصر النهضة فقد الحب عذريته ، وان لم يفقد شاعريته ، وساعد على الوصول الى هذه الحالة ان الحصول على المرأة فى ذلك العهد كان لا يزال صعبا وأن لم يكن مستحيلا .

ويعد شيلى خير داعيه للحب الرومانتيكى ، فقد الهبت العوائق الاجتماعية التى حالت دونه ودون الاتصال بمن يحب شاعريته وانطقته بهذه الروائع الخالدة . والواقع أن شعر الحب يتوقف دائما على وجود هذه الحالة الدقيقة من الموازنة بين العوائق التقليدية التى تنتهى الى الحرمان وبين الحرية التى تؤدى الى الاتصال ' وهو لا يمكن ان يوجد فى خير صوره اذا فقدت هذه الموازنة برجحان احدي الكتفين .

وبغض النظر عن الناحية الفنية للحب الرومانتيكى فانه الملهم لاقوى لحظات السعادة فى حياة الانسان . ومن سوء حظ المرء أن تخلو حياته فى فترة ما من الاحساس بما يبعثه الى النفس من مختلف المشاعر واللذاذات

ومنذ عهد قريب — أى منذ عهد الثورة الفرنسية — أخذت الدعوة تشتد وتقوى لكى يكون الحب الرومانتيكى هو الاساس فى الزواج بدلا من المصلحة المادية أو من ارادة الاباء . وأنا أرى أن هذه دعاية خاطئة لا تنتهى الى التوفيق فى أغلب الاحيان . فالخطيبان اللذان يتزوجان على أساس هذا النوع من الحب دون أن يعرف أحدهما شيئا عن طبيعة الاحساس التناسلى فى الآخر يقدمان على الزواج وكل منهما يتوقع أن يكون رفيقه خير من الملائكة ويطمع أن يجد الزواج حلما متصلا من السعادة والنعيم ، ولكن النتيجة هى ما نعرفه ونشاهده كل يوم : ندرة التوفيق فى الحياة الزوجية وانتشار الطلاق انتشارا كبيرا . ان الزواج أكثر خطورة وجدا من أن يكون ملهاة شخصين يجدان السرور والمتعة فى مصاحبة احدهما للآخر . أنه نظام يدخل فى صميم تركيب المجتمع ، وهو لعلاقته بالابناء ينبغى أن يكون أكثر رحابة من ان يتوقف على مجرد الاحساس الشخصى للزوجين . وقد يكون الحب الرومانتيكي من دوافع الزواج ولكن الزواج

الموفق السعيد الذى يعرف مهامه الاجتماعية ويؤديها على أكمل الوجوه لا يمكن أن يقوم على هذا الاساس لانه يعرف ان المودة والعطف والادراك الواقعي للحياة هي خير ما يربط الزوجين واقوى ما يزيد من احساسهما بالمسئولية والعطف نحو ابنائهما .

٧ — تحرير المرأة

يرجع دور الانتقال الذى تمر فيه الاداب التناسلية الان الى تأثير عاملين قويين ، الاول تحرير المرأة ، والثاني اختراع موانع الحمل . وسنعنى هنا ببحث الاول من هذين العاملين فقط .

فقد بدأ ظهور حركة تحرير المرأة منذ عهد الثورة الفرنسية اى منذ عهد ظهور الحركة الديموقراطية فى العالم ، وكان اول ما بدأت به منحها شيئا من حقوقها الاقتصادية التى كان الرجل يطغى عليها ثم امتدت دعوى المساواة حتى شملت جميع النواحى الاجتماعية والسياسية الاخرى .

ويعزي هذا التغيير فيما ارى الى سببين . الأول انه مع انتشار النظرية الديمقراطية لم يستطع الرجل ان يجد عتراضاً منطقياً على مطالب المرأة ، والثاني ان المرأة مع الزمن أخذت تنزل الى ميدان الحياة العملية وتساهم فى كثير من الاعمال التى كانت من قبل وقفاً على الرجل ، اى أنها أخذت تتحرر اقتصاديا من سيادة الاباء والازواج . وقد بلغت هذه الحالة أوجها أثناء الحرب لقصور عدد الرجال فى كثير من ميادين العمل فاستطاعت المرأه أن تقوم بما وكل اليها خير قيام .

وليس يعنينا هنا تحرر المرأة السياسى بقد ما يعنينا تحررها الاجتماعي .ففي الأزمنة الماضيه وفى الشرق حتى الان كانت الطريقة الوحيدة المتبعة لحفظ فضيلة المراة هى حجزها عن الرجل . ولم يحاول احد قط ان يقوم بعمل ايجابي لانماء روح الفضيلة فيها وذلك بزرع الثقة بنفسها واكتفى بالعمل السلبي وهو استبعاد الفرصة للخطيئة . أما الغرب فانه لم يعرف هذا الاسلوب فى حث المرأة على الفضيلة ، وانما أكتفى بان يوحى اليها ان المرأة المحترمة يجب ان تعد الاتصال الجنسى خارج الزواج أمرا مرعبا . وكلما قويت هذه التعاليم وزاد تأصلها لم تعد هناك حاجه لبقاء العوائق الخارجية امام المرأة اكتفاء باثر الوازع النفسى الداخلي فى تقرير سلوكها وحماية تصرفاتها .

ولكن هذه الحالة مع الاسف لم تقف عند الحد المعقول بل وصلت المغالاة فيها ان يزعم عدد كبير من النساء ان الاتصال الجنسي امركريه بالنسبة لهن وانه لا يحتمل فى الزواج الا من قبيل اداء الواجب. وهذه حالة يصح ان توصف، بانها قيد عقلى ولكنه قيد غير ظاهر للوعي لانه يتألف من موانع غير واعية. وبزوال هذه الموانع امام الجيل الحديث ظهرت امام الوعى الرغبات الغريزية التى حجبتها الحشمة السابقة: ومن هنا هذه الثورة الجائحة على الاداب التناسليه التى لا تقتصر على قطر واحدا وطبقة خاصة وانما عمت جميع الطبقات فى جميع انحاء العالم المتمدين.

وقد كانت حركة تحرير المرأة ترمى فى أول الامر — من ناحية الاداب التناسلية — الى فرض نفس القيود الادبية على الرجل كما على المرأة. ولكنها منذ الحرب الكبرى اخذت أتجاها آخر. فقد كان الدافع القويم للمرأة على الفضلة هو خوفها فى عذاب النار وخشيتها من الحمل، اما الاول فقد زال لضعف الوازع الدينى، واما الثانى فقد بطل بعد اختراع موانع الحمل، وذيوع استعمالها. ومن ثم تبدلت الحال واصبحت الدعوة متجهة الى اباحة المرأة نفس الحرية التى يتمتع الرجل بها. وبعبارة اخرى كانت الدعوة القديمة. المساواة بين الجنسين فى قيود العرف الادبى فاصبحت الدعوة الحديثة المساواة بينهما فى حريات ذلك العرف.

فلندرس الان الفروض المنطقية التى تحتمل من دعوى المساواة:

اننا نعلم انه مباح للرجل منذ اقدم العصور ان يمارس مايشاء من انواع العلاقات التناسلية غير الشرعية، لاقبل الزواج فقط ولكن بعده أيضاً. وكانت هذه الحالة ميسورة بالنسبه له لوجود البغاء. ولكن ايجاد نظام مشابه له عند المرأة مستحيل. اذ ليس من المعقول ان نوجد فريقاً من الرجال تكون مهمتهم اشباع الرغبات الجنسية للمرأة التى تريد أن تبدو عفيفة وهى ليست كذلك فاذا طبقنا دعوى المساواة هنا فمعنى ذلك ان المرأة ستطالب بنفس الحرية التى يبيحها الرجل لنفسه وهذا بطبيعة الحال امر يأسف له دعاة الاخلاق اشد الاسف، لان معارضتهم لمبدأ المساواة تتضمن: اولا اعتقادهم ان الفضيلة التناسلية اهم للمرأة منها للرجل، وثانيا انه خير للشاب ان يتصل بالمومسات من ان يتصل بفتيات من طبقته على الرغم من ان اتصاله بالاوليات ليس الا علاقة مادية بحتة فى حين ان اتصاله بالاخريات ينطوي على شيء من المودة واللذة. ودعاة الاخلاق ولاشك لايعنيهم ماذا يكون من امر عرف ادبى هم اول من يعلم انه لن يطاع، فما داموا لا ينصحون بالبقاء جهاراً فانهم لن يعدوا انفسهم مسئولين عنه على

الرغم من انه النتيجة المحتمة لتعاليمهم . وهذا دليل جديد على انهم لاينظرون للمشاكل الاجتماعية بالذكاء اللازم

والنتيجة التى تؤدى اليها دراسة العوامل السالفة هى انه مادامت الاحوال الاقتصادية تمنع الرجل عن الزواج فى سن مبكرة وتحرم عددا غير قليل من النساء من الزواج اطلاقا فان المقاييس التقليدية لفضيلة المرأة ينبغى ان تتبسط قليلا . فاذا كان يباح للرجل شىء من الحرية الجنسية قبل الزواج — كما هو الواقع فعلا — فيجب ان تباح هذه الحرية للمرأة ايضا . وفى البلاد التى يزيد فيها عدد النساء على عدد الرجال سيكون من الضرورات الحسابية ان يبقى عدد منهن دون زواج ، فهل من الانصاف ان يقضين حياتهن فى عزلة من اى ممارسة جنسية ؟

غير ان لهذه الحالة اذا وقفنا عليها مضاعفات ينبغى ان نواجهها ، فاذا كانت الحاجة الى عفة الفتيات وولاء الزوجات ستبطل فمن الضرورى ان نبحث عن طرق اخري لحماية الاسرة والا فلنرقب تهدمها . وحماية الاسرة يمكن ان تتحقق اذا سادت القاعدة بان الانسال يجب ان يكون قاصرا على الزواج ، وان اي علاقة جنسية خارج الزواج يجب ان تبقى عقيمة باستعمال موانع الحمل . واذا كانت موانع الحمل لاتستطيع ان تعطينا الضمان الكافى الان فلا شك انها ستستطيع ذلك فى المستقبل .

اما الفرض الثانى — تهدم الاسرة — الذى يتبع العرف الادبى الجديد فانه يقتضى ان تتلاشى الابوة كنظام اجتماعى وان تقوم الدولة بكل واجبات الاباء . ولا بأس يومئذ ان يباح للرجل فى ظروف خاصة — كأن يكون واثقا من ابوته ومتعلقا بابنه — ان يتطوع بما هو من واجب الاباء اليوم على شرط الايكون للقانون الحق فى ارغامه على ذلك . وسوف يكون الاطفال تحت ذلك النظام فى نفس المركز الذى نضع فيه الابن غير الشرعى اليوم ، مع استثناء أن الدولة وهى تعدهم الحالة الطبيعية ستوليهم قسطا من العنايه اكثر مما تمنحهم الآن

اما اذا كان لابد لنا ان نتبع العرف الادبى القديم فهناك امور هامة ينبغي ان نقوم بها قبلئذ . فاولا يجب أن يتجه نظام تعليم الفتيات بحيث ينشئهن على الغبارة والجهل والاستعداد لتصديق الخرافات ، وهذا أمر نجحت فيه المدارس التى تشرف الكنيسة عليها حتى الآن أكبر نجاح . وثانيا يجب ان تفرض رقابة شديدة جدا على كل الكتب التى تتحدث عن الامور الجنسية . وثالثا يجب أن تحرم الفتاة من كل فرصة للاختلاء مع الرجل أى يجب أن تحرم من العمل خارج المنزل ومن ارتياد أى محل من محال اللهو الا فى صحبة سيدة كبيرة من

سيدات الاسرة . ولا بأس أيضا من ان يوقع الكشف الطبى على كل النساء غير المتزوجات وان ترسل الى السجن كل من يثبت انها ليست عذراء . اما استعمال موانع الحمل فيجب ان يستأصل بتاتا . فاذا طبقت هذه الوسائل بكل دقة لمدة مائه عام فمن المحتمل أن تأتى بشيء من النتيجة فى مقاومة هذه النزعة الى الانطلاق من قيود العرف الادبى . ولعلى أكون مغاليا اذا اقترحت على دعاة الاخلاق ان ينادوا « بخصى » جميع الرجال ماعدا رجال الدين

من هذا يتبين ان لكل من الطريقين صعوباته وعقباته . فلسنا نقول أن الطريق الجديد ازهار كله ولكننا نقول أن الحياة تسير الى الامام دائما ، فمن الخير لنا بدلا من العناء الذى نبذله فى محاولة صدها عن التقدم ان نبذل هذه الجهود فى تنظيم الحقوق والواجبات التى يتطلبها العهد الجديد . ولست أظن ان النظام الجديد سيكون اكثر انطلاقا وراء الغرائز أو أكثر خضوعا لها مما كان فى النظم القديمة ولكنى أظن ان الخلاف سينحصر فى ظروف ضبط الغريزة و فى دوافع الخضوع لها

٨ – المحرمات فى المعارف الجنسية

أول سؤال يخطر لنا ونحن نحاول رسم قواعد الاداب التناسلية الجديدة هو : هل يجوز ان يبقى الرجال والنساء والاطفال فى جهل متصنع للحقائق المتعلقة بالامور التناسلية ؟ والسبب فى القاء هذا السؤال هو اعتقادى بان الجهل بهذه الامور ضار أبلغ الضرر وان الخلق القويم لا يمكن ان يؤدى اليه الجهل ولا يمكن أن تمنعه المعرفة .

والداعون الى سياسة الجهل هم الاباء والمربون ودعاة الآداب ورجال الدين والقانون.

ولكل فريق منهم اراؤه ونظرياته التى يدعم بها دعوته ولكنها كلها تتفق عند غاية واحدة هى نشر التكتم المطلق فى كل الامور التناسلية والضرب على كل محاولة تبذل لنشر المعارف الجنسية .

والصغار بطبيعتهم فضوليون فهم يسألون عن كل ما يقع تحت متناول حسهم من مختلف الظواهر والموضوعات ، ولكنهم دائما لا يقابلون بغير الزجر والانتهار أو الاجابة الكاذبة اذا تناولت اسئلتهم شيئا من الأمور الجنسية . وهذه الطريقة فضلا عن ضررها فى كثير من النواحى فان أثرها السيء فى كل من الناحية الذهنية والخلقية يدعو الى شيء من التأمل والنظر

(١) فالصغير كما قلنا يسأل عن كل شيء يراه ... عن القطار والسيارة والطيارة : كيف تصنع وكيف تسير ، كما يسأل عن الأطفال : كيف يصنعون وكيف يجيئون الى الدنيا . يسأل عن هذه الأمور بنفس الروح الساذجة وبنفس دافع الفضول المميز للطفولة ، فاذا ادرك من أجابة والديه ان بعض النواحى فى اسئلته خاطئة لا يجوز الحديث عنها فان هذا لا يؤثر على نزعته الى الفضول العلمي كلها . لأنه فى مثل سنه لا يستطيع التفريق بين ماهو صحيح وما هو خاطيء فى نظر والديه حتى يمكنه أن يسأل عن هذا ويتجنب ذاك ومن ثم تتعطل رغبته فى اقتناص المعرفة ويتأثر ذكاؤه ، وهذه خسارة ذهنية لا ريب فيها .

(٢) اما اذا حاول الوالدان التخلص من اسئلة الطفل باصطناع الاجابات الكاذبة عليه فانه سيكتشف ذلك بعد حين ويسأل نفسه : اذا كانا يكذبان عليه فى هذا الأمر فلم لا يكذبان عليه فى غيره ؟ ومن ثم يتجه الى غيره من الصبيان حيث يجد مجالا متسعا للحديث وللممارسات الجنسية الخفية . وهذه خساره خلقية متعددة النواحى لا تقل فى أهميتها عن الخسارة الذهنية

ولحسن الحظ يدرك هذه الحقائق كثيرون من القائمين على العناية بشئون الصغار الآن ، وان كان التشريع لا يزال منها حتى كما فى الماضي جهلا وتحاملا . ومن التناقض بين هذين الموقفين الواجب والتشريع — يجد المصلح نفسه مضطرا اما الى كسر القانون او الى افساد الصغار الذين يوكل اليه امرهم فسادا لا سبيل الى اصلاحه فيما بعد .

وفضلا عن ذلك فان هذه السرية التى تحاط بها المسائل الجنسية من شأنها أن تزيد الفضول الطبيعى للطفل بخصوصها ، ولو عنى الكبار بمعالجة هذه الأمور بنفس الروح التى يعالجون بها غيرها وأجابوا على أسئلة الطفل مشبعين رغبته الى المعرفة فى حدود قدرته لما خطرت له فكرة الدنس من هذه الأمور ، لان هذه الفكرة لا ترد الا حيث يشعر الطفل بان هناك اموراً لا يصح الحديث عنها . فالفضول الجنسى ككل انواع الفضول الاخري يموت إذا أشبع ، ومن ثم فان خير الطرق لمنع الحاح الفضول الجنسى على الصغار هو أجابتهم على ما يسألون عنه بخصوصه .

والان ننتقل الى موضوع آخر لا نتوقع فيه سهولة الاقتناع هو موضوع ما يسمى الادب الدنس أو الادب المكشوف

ويتلخص موقف القانون من مثل هذا الادب فى مصادرة ما يظهر منه وفى أعدامه مع معاقبة كل من المؤلف والطابع والناشر . ولكن القانون لا يضع تعريفاً محددا لكلمة « الدنس » ويترك تقديرها للقاضى الذى يرفض فى أغلب الاحيان سماع آراء الاخصائيين فى هذا الموضوع ، وقد

يكون فى حكمهم ما ينفى فكرة الدنس ويثبت النفع من بعض الوجوه . وليس أدل على مدى التخبط الذى يقع فيه التشريع فى هذا الامر من ان الجزء الاول من كتاب هافلوك اليس « دراسات فى سيكولوجية الجنس » صودر فى انجلترا وحوكم صاحبه بتهمة ترويج الادب الدنس مما اضطره الى نشر بقية اجزاء كتابه فى أمريكا . ولسنا نظن ان هناك من يستطيع الزعم بان هذه الدراسة العميقة تنطوى على شىء من الدنس سواء فى روحها أو فى أسلوب كتابتها .

ثم أن القانون يعاقب بعض الكتب والنشرات التى توضع للعامة خصوصاً باسلوب سهل مع تجنب الالفاظ والمصطلحات العلمية . مع أن العامة — وخصوصا الطبقات العاملة — أمس من غيرهم حاجة الى التثقيف فى بعض نواحى الحياة التناسلية وخصوصاً ما يتصل منها بالصحة الاجتماعية كتنظيم الحمل مثلا . الا يكون فى مثل هذا العمل خروج على روح التشريع وتطبيق سىء لمواد القانون ؟

وقد يظن بعض الناس انه مهما يكن من ضرر هذا القانون فان وجوده ضرورى لحماية الآداب العامة ، ولكنى اعتقد انه غير لازم على الاطلاق ، واستند فى رأيى هذا الى سببين : الاول أن القانون الذى يمنع الفاسد سيمنع الطيب ايضا ، بل ان الامثلة موافرة على أن كتاب الادب الدنس حقا يستطيعون التحايل على تهريب بضاعتهم من عيون المراقبين فى حين أن الاعمال الفنية السامية هى التى تعانى الشدة من جور هذا القانون . والثانى انه مهما يكن من خش النشرات الداعرة فانها لن تترك الا آثارا تافهة اذا جرت التربية الجنسية على أسس قويمة . وفى هذا المقام يجب أن نذكر أن كل انسان يتعرض فى فترات مختلفة من حياته لامور تثير شهوته ولكن هذا لا ينبغى أن يتضمن معنى الخطر على الشخص ذاته أو على الادب . وشهوة الانسان تخضع لعوامل متعددة منها حالته الجسدية وظروف البيئة الاجتماعية التى يحيا فيها . فان الرجل منذ خمسين عاما كان يهيج من رؤية اقدم المرأة . اما الان فانه يستطيع أن يراها عارية حتى فخذيها دون أن يتأثر وهكذا . واعتقادي ن تسعين فى المائة من الضرر الذي يعزى الى النشرات الداعرة يرجع فى الواقع الى شعور الدنس الذى يرتبط بكل ما يتعلق بالامور الجنسية ، اما العشرة فى المائة الباقية ، وهى التى تؤلف ضررها المباشر ، فيمكن ان تنتج من أى عامل آخر من عوامل الحياة العادية .

والتحامل على العرى عقبة أخري من العقبات القائمة فى سبيل الثقافه الجنسية الصحيحة . ونظن أن الأمر اصبح مفروغا منه الان فيما يتعلق بعرى الصغار بعضهم من بعض ونود لو أنه صار كذلك فيما يتعلق بهم مع والديهم . فقد دلت التجربة على أن الطفل فى سن الثالثة سيلتفت

قليلا الى الفروق الجسدية بين أبيه وأمه ويقارنها بالفروق بينه وبين اخوته واخواته . ولكن هذه الفترة لن تلبث ان تزول فلا يلتفت الى العرى أكثر مما يلتفت الى الملابس . أما حالة الاخفاء التى يصر عليها الولدان فانها توحى الى الطفل بان هناك سرا ما ، وهذه السرية هى التى تولد الدنس .

والعرى من جهة أخرى يفيد الانسان من الناحية الصحية ، لان انطلاق الجسم العارى بين الهواء والشمس والماء يفيده كثيرا ويضفى عليه من الرشاقة والجمال ما نحن فى مسيس الحاجة اليه .

٩ ــ الزواج

الزواج نظام شرعى وفى أغلب الجماعات نظام دينى ايضا . وهو معروف عند كثير من انواع الحيوان وخصوصا عند القردة العليا ويميز عندها بواحدنيته الصحيحة اى ان الذكر متى تزوج لاينظر الى غير انثاه والانثى لاتنظر الى غير ذكرها . وهذا يدل على ان هذه الحيوانات رغم قصور المساعدات التى يقدمها الدين لاتعرف الخطيئة لان الغريزة عندها تكفى لتحديد الفضيلة وهذا هو الحال ايضا فى كثير من الاقوام البدائية ، وبعضها قد انقرض الان .

والراجح ان اول ماعمل على كسر هذه الوحدانية الفطرية هو دخول العامل الاقتصادى فان هذا العامل لم يدخل على العلاقات التناسليه قط الا افسدها فهو قد استبدل بالعلاقات القائمة على الغريزة غيرها مما يقوم على المال كالرق والشراء . وكان الرجل فى العصر الزراعى يعد الزوجة والابناء من الممتلكات الاقتصادية لانهم كانوا يقومون بقسطهم فى العمل فى الحقل ورعاية البهائم ومن ثم كان أقوى الرجال هو أوفرهم زوجات . ولكن تعدد الزوجات لا يمكن ان يكون القاعدة فى أى جماعة من الناس . أولا لأن الممتازين فى الجماعة هم الاقلية دائما وثانيا لأن عدد النساء لا يكفى حاجة الجميع الى التعدد . وبذلك نرى أن الوظيفة الاولى للزوجة كانت قيامها بدور الحيوان الأليف النافع ، أما وظيفتها التناسلية فكانت فى المقام الثانى من الاهمية وفى هذا الدور من الحضارة كان يباح للرجل حق طلاق زوجته وان كان من المستحيل على المرأة ان تطلق الرجل

أما الزنا فحكمه يختلف ، فهو فى الادوار المنحطة للحضارة كان يباح فى بعض الاحيان ، ولكنه فى الادوار الارقى قليلا كان يعاقب عليه بموت المرأة أو بتوقيع اقسى الجزاء عليها

ثم جاءت المسيحية فتغيرت هذه النظـرية وتضاعف أثر الناس على الزواج واصبح كسر قانون الزواج معاقبا عليه باعتبار أنه كسر للتقاليد والحرمات أكثر من اعتباره اعتداء على الملكية نعم ان الاتصال بامرأة متزوجة بقى يحمل معنى الاعتداء على الزوج ولكن أى علاقة جنسية خارج الزواج اصبحت تعد بمثابة اعتداء على الله ومن ثم كانت فى نظر الكنيسة عملا بالغ الخطورة . أى أن الزواج اصبح علاقة مقدسة تدوم مدى الحياة ولا يمكن فصمها بأى حال من الأحوال

أنعد هذا فى جانب الترجيح لسعادة البشريه أم فى جانب الخسارة لها ؟ من العسير الاجابة على هذا السؤال . فان حياة المرأة فى العصور القديمة كانت حياة نصب وشقاء لانها لم تـكن فى نظر الرجل تزيد على حيوان اليف فلما جاءت المسيحية وساوت بينها وبين الرجل من الوجهة الدينيه ورفضت ان تعـدها متـاعا مطلقا له وان كانت قد أنحطت بمسـتواها فى بعض النواحى الاخرى .

ولو أننا ساءلنا انفسنا اى العوامل تهيىء للسعادة فى الزواج الان وايها يمهد للشقاء لانتهينا الى هذه النتيجة العجيبة : انه كلما زاد نصيب جماعة من الناس من الحضارة قل استعدادهم للحياة السعيدة . والزواج يبدو أكثر توفيقا ويسرا كلما قل التفاوت بين الناس لأنهم حين يتطلعون حولهم لن يجدو الفارق كبيرا بينهم وبين غيرهم ومن ثم لن يأسفوا على الحالة التى هم فيها . أما حيث يوجد التفاوت وتتسع المطامع فان التجانس ينعدم والآمال تخيب ولا يحقق الزواج ما كان يرجى منه فينتهى الامر الى التعاسة والشقاء . والكنيسة مع الأسف لا تنظر الى الزواج الا من ناحية واحدة فقط هي أنه علاقة جنسية ، ومن ثم فانها لا تستطيع ان ترى ما يمكن ان يدعو الى الخلاف بين الزوجين مما دى الى جمودها ازاء الطلاق

ومن عوامل السعادة فى الزواج قلة الفرص التى يستطيع فيها الرجل المتزوج الأتصال بامرأة محترمة ، فالرجل الذى لا يجد فرصة لاقامة علاقات جنسية مع نساء اخريات غير زوجته سيحاول ان يستخرج أفضل ما يستطيع فى الحياة الزوجية ، وكذلك المرأة

والحضارة الراهنة — لاسباب كثيرة مع الاسف — لاتمهد لبقاء السعادة فى الزواج طويلا ، واهم هذه الاسباب هى الطريقة المتبعة فى التربية الجنسية ، فان الطبقات الاقل تمدينا وهم طبقات الفلاحين يعرفون منذ سن مبكرة كثيرا من حقائق الحياة اما ابناء الطبقات الراقية فيبقون فى جهل تام بكل مايتعلق بالناحية الجنسية ، حتى انه يعد من النصر للمبادىء المسيحية ان يرتبط الرجل والمرأة فى علاقة زوجية دون ان تكون لهما اي خبرة جنسية سابقة . ولكن التجارب العملية تثبت فساد هذا الاتجاه ، لان السلوك التناسلى فى الانسان ليس غريزيا ، ومن ثم فان عدم الخبرة فيه يسبب الخجل والارتباك . ولايتحسن هـذا الموقف الا قليلا

اذا كانت المرأة فى حالة جهل أو براءة تامة وكانت خبرة الرجل قاصرة على ما اكتسبه من اتصاله بالمومسات .

وأغلب الرجال لا يدركون ان المداعبة عملية لازمة بعد الزواج كما ان أغلب النساء لا يعلمن أي ضرر يلحقنه بالحياة الزوجية من اصرارهن على اظهار التحفظ والبرود . وكل هذه امور يمكن ان تصلحها التربية الجنسية الصحيحة . وليس العهد بعيدا ، بل لعله لا يزال موجودا حتى الان ، حين كانت المرأة تعتبر نفسها فى مستوي اخلاقى أرفع من الرجل لانها لا تشعر فى العملية الجنسية بنفس اللذة التى يشعر بها ، وهذا بطبيعة الحال موقف يجعل المصاحبة الصريحة بين الزوجين امرا مستحيلا فضلا عن انه بعيد عن الانصاف كل البعد ، لان عدم الشعور باللذة لا يتصل بالفضيلة والاخلاق فى كثير أو قليل ولكنه نقص فسيولوجي يشبه الى حد كبير عدم الشعور باللذة من الطعام . وهو امر كان منذ مائة عام من علامات المرأة الانيقة

وهناك اسباب اخرى لشقاء الحياة الزوجية فى الحضارة منها أن غرائز الرجل والمرأة أصبحت اكثر ميلا الى التعدد ، فليس نادرا الان أن يقع اثنان فى الحب الى درجه الاستغراق ، ثم بعد فترة طويلة او قصيرة تهدأ ثورة عواطفهما ويذهب كل منهما الى حال سبيله باحثا عن حب جديد . ولا ريب فى ان حرية المرأة قد ساعدت الى حد كبير على الاكثار من فرص عدم الوفاء الزوجى ، والفرصة تولد الفكرة ، والفكرة توجد الرغبة ، والرغبة فى غياب الوازع الدينى تؤدى الى الفعل

وقد جعل تحرير المرأة الزواج صعبا من وجوه كثيرة ، ففى العهد السالف كان على الزوجة أن تكيف نفسها وفقا للرجل ، ولكن الزوجة فى هذه الايام اخذت تشعر بشخصيتها ومن ثم رفضت ان تكيف نفسها وفقا للرجل الا بمقدار . وتبدو هذه الظاهرة بصفة خاصة فيما يتعلق بعدم الولاء الزوجى ، فقد كان الزوج قديما يقوم على خيانة زوجته فى بعض الاحيان دون أن تدري ، واذا علمت لم يكن الامر يتعدى اعترافه بالخطأ واظهاره الندم واعتزامه على التوبة . وكانت الزوجة فى الغالب تحفظ عهد الزوجية فاذا نقضته واتصل الامر بزوجها انفصم عقد الزواج . .

•••

وهناك عقبة اخرى فى سبيل تحقيق الزواج العصرى للسعادة يحسها اولئك الذين يدركون قيمة الحب ويعلمون أنه لا يبقى اذا مارسه الانسان كواجب فحسب

لكل هذه العوامل اصبح الزواج من صعوبات العصر الحديث ، وقد اقترح بعضهم كعلاج له

تسهيل الطلاق . وأنا مع اعتقادى بوجوب اباحة الطلاق لا أرى فى تيسيره علاجا لمصاعب الزواج فقد يكون فى الطلاق العلاج الكافى اذا كان الزواج عقيما ، أما حيث يوجد الاطفال فالامر يستدعى التريث والحذر . وأنا أعتقد ان الزواج الذى يبدأ بالحب ويؤدى الى الأطفال يجب أن تكون الرابطة فيه من القوة بحيث يشعر الزوجان بقيمة العلاقة بينهما حتى بعد ان تخبو الرغبات التناسلية منهما وحتى اذا كان أحدهما أو كلاهما يشعر برغبة جنسية نحو شخص اخر . ولا ريب ان المصاحبة التى تدوم سنوات من الود المتصل وتزخر بأجمل الذكريات لا يمكن أن تنسى وتهمل جانبا من أجل حب طارىء جديد

من الممكن ، اذن للانسان المتمدين أن يسعد فى الزواج على شرط ان يشعر الطرفان بالمساواة والحرية التامة وأن تتوثق العلاقة الجسديه والعقلية والروحية بينهما وان يتفقا الى حد ما على مقاييس القيم الأنسانيه للحياة. فاذا توافرت هذه الشروط فان الزواج يكون اهم وأجمل علاقة يمكن ان تنشأ بين اثنين من الناس

١٠ ـ البغاء

البغاء هو نظام ملحق بالزواج ، او هو فى الواقع جزء منه . وقد قيل عنه انه الحافظ لقداسة البيت وبراءة فتيات الأسرة. وفى هذا القول شىء كثير من الحقيقه

وقد نجمت الحاجة الى البغاء من أن عددا كبيرا من الرجال — لأسباب مختلفة — لا يستطيعون ضبط عواطفهم الجنسيه ، فيضطر المجتمع الى تقديم فريق من النساء لاشباع هذه العواطف التى يخجل من الاعتراف بها جهرا ويخشى من تركها دون إرواء . وللبغى ميزة خاصة تلك هي أن الرجل يستطيع الوصول اليها فى أى لحظة يشاء . ولما كانت حياتها تنحصر فى مهنتها فانها تستطيع أن تبقى مختبئة بغير مشقة بينما يستطيع الرجل أن يعود الى زوجته وأسرته وكنيسته كامل الهيبة محفوظ الكرامة . والبغى — تلك المرأة المسكينة — على الرغم من الخدمات المؤكدة التى تقوم بها وعلى الرغم من أنها تحفظ فضيلة الزوجات والفتيات وتحافظ على الفضيلة الظاهرة للرجال تعد امرأة محتقرة ينبذها المجتمع ولا يكاد يتصل بها أحد الا عن طريق العمل . وقد بدأ هذا الجور الصارخ منذ انتصار المسيحية ولا يزال قائما حتى الآن . أما الغلطة الحقيقية للبغى فهي ان وجودها فى ذاته دليل على أن ادعاءاتنا الادبية والخلقية كلام أجوف

على أن البغـاء لم يكن فى مثل هذا المقـام المهين على الدوام . والاصل أن البغي كاهنة وهبت نفسها لخدمة اله أو الهة ، وهى فى تقديم نفسها للغريب العابر انما كانت تقوم بعمل من أعمال العبادة، ثم جاء آباء المسيحية فحملوا على هذا النظام اقسى الحملات واغلقوا المعابد ومن ثم تحول البغاء الى نظام تجارى للاستغلال والربح

ويخـال لي أن البغـاء فى طور الاضمحلال الان . والسبب فى ذلك وفرة الوسائل الأخرى أمام المـرأة لـكسب القوت وسهولة اتصالها بالرجل فى علاقات جنسية خارج الزواج عن رغبة لا عن دوافع مادية . ولـكنى لا أعتقد مع ذلك ان البغاء يمكن ان يزول تماما .

ووجود البغاء ضار من ثلاثة نواحي . من ناحية علاقته بالصحة العامة . ومن ناحية افساد سيكلوجية المرأة . ومن ناحية افساده لسيكلوجية الرجل .

أما خطره على الصحة العامة فان هذه اخطر النواحى جميعا . وقد كان يظن فى بادىء الأمر ان مراقبة البغـايا واخضاعهن للكشف الطبى المنتظم تقي لوقاية الصحة العـامة ولـكن التجـارب الطويلة أثبتت أن هذا وهم باطل. ويرجع ذلك الى سببين . الأول أن نظـام مراقبة البغايا يضعهن دائما تحت سلطة رجال البوليس وتحت رحمتهم وهذه السلطة يساء استغلالها دائما . والثانى تسلط الفكرة الزائفة بان الامراض الزهرية عقوبة عادلة على خطيئه الزنا مما أدى الى اهمـال الدعاية للوقاية منها . وهذه الدعاية محققة الفائدة ولـكنها فى نظر البعض تشجع المترددين على أرتكاب الخطيئة . ثم أن المصاب باحد هذه الامراض لا يسرع الى العلاج لأنه يقع تحت تأثير الخجل الناشى من فكرة العار التى تصاحب هذه الامراض

والبغاء كما هو موجود الان لون غير مرغوب فى الحياة . وهو لعلاقته بالامراض الزهرية تجـارة خطرة . كما أنه يقتضى الخمول والافراط فى تناول الخمر . ومما يزيد فى سوئه ان البغى أمرأة يحتقرها الجميع حتى زبائنها . وهو بالنسبة للمرأة لون من الحياة يضاد الغريزة كحياة الراهبة سواء

اما فى اليابان فالامر يختلف عن ذلك كل الأختلاف لأن البغاء هناك مهنة محترمة . وقد يشير بها الأباء على فتياتهم لجمع « دوطة » الزواج . ولذلك فان حياة البغى فى اليابان تخلو من تلك الضعة التى تلحقها قسوة العرف الابدى بحياة البغايا فى أوربا . وبدهى انه أذا كان لا بد للبغاء ان يبقى فمن الخير أن يكون على الطريقه الياباتية

ولا ريب أن مصاحبة الرجل للبغايا اذا طالت لها تأثير سيكولوجى سىء عليه . فانها تعوده أن

رغبته فى اداء الفعل الجنسى لا تستلزم ارضاء المرأة كما أنها تجعله يميل الى احتقار كل أمرأة يتصل بها اتصالا جنسيا. وهذه حالة تنال الحياة الزوجية بابلغ الأضرار بل انها عند بعض الرجال تعطل رغبتهم فى الاتصال الجنسى مع المرأة التى يحبونها ويحترمونها وعند البعض الآخر تجعلهم يعاملون زوجاتهم اما باحترام مبالغ فيه مما يترك المرأة محرومة من الاحساس باى لذة جنسية أو باهمال شديد وهو نتيجة طبيعية لنظرتهم الى الفعل الجنسى كعلاقة ذاتية. لا عملية لاينبغى أن تؤدى الا مع وجود الرغبة المتبادلة فيها. ومن ثم فانهم يعاملون زوجاتهم بخشونة وقسوة ويغرسون فيهن اشمئزازا من الصعب أن يزول فيما بعد.

وقد اضر اقحام العامل المادى على المسألة الجنسية أبلغ الضرر بها. فان العلاقات التناسلية ينبغى أن تكون لذة متبادلة لا دافع اليها غير ما يشعره الفريقان من تلقاء ذاتهما من الرغبة فى قيامها اما اذا كان وجودها مرهونا بعوامل مادية أخري فان ذلك يفسد الاحترام وهو اساس الآداب التناسلية الصحيحة. لأن الرجل الذى يحترم المرأة لن يرضى أن يجعل منها مجرد اداة لأشباع عواطفه دون مراعاة لشعورها ورغبتها. ولعل خروج البغاء على هذه القاعدة الأساسية هو من أهم الأسباب التى تجعله عملا غير مرغوب فيه — حتى مع الفرض جدلا بامكان استئصال الأمراض الزهرية ورفع المكانة الأدبية للبغايا.

وكلما تحررت الحياة التناسلية للمرأة قلت الحاجة إلى البغاء لان الرجل يومئذ يستطيع أن يجد — بدلا من زيارته للبغايا بين الحين والحين — فتيات من طبقته تقوم علاقته معهن على الروابط النفسية فضلا عن الاتصال الجسدى ولا ريب فى أن هذه الخطوة تعد تقدما كبيرا من وجهة نظر لاداب الصحيحة ولكن دعاة الاداب التقليدية يأسفون لها لانها اكثر تكتما واخفاء من الحالة القديمة.

١١ — زواج التجربة

ينبغى أن نذكر أن الاطفال هم الذين يعطون العلاقات التناسلية أهميتها من ناحية المجتمع والقانون، ولولا هم لكانت هذه العلاقات روابط شخصية لا تعنى أحدا غير أصحابها وينتفى منها أى داع لتنظيم المجتمع أو تدخل القانون. ولكن الكنيسة لا تأخذ بهذا الرأى لانها — متاثرة من تعاليم الرسول بولس — لا تزال تنظر الى الزواج كبديل للزنا أكثر منه كوسيلة للانسان. غير أن الناس فى العهد الاخير — حتى رجال الدين منهم — يعلمون أن الكثيرين من الرجال والنساء على السواء لا ينتظرون الزواج للبدء فى ممارساتهم الجنسية.

وكثيرات من بنات الاسر المحترمة في أمريكا وانجلترا وألمانيا وأوربا الشمالية لا يجدن الان أى داع للاحتفاظ بما يسمى «الفضيلة» ويبحن لا نفسهن حرية مطلقة فى مصاحبة من يشأن من الشبان ، وقد تنتهى هذه العلاقة الى الزواج اذا سمحت الظروف المادية للصديقين . وتبدو هذه الحالة على اجـلاها فى أمريكا لتوافر الظروف الـتى تهىء لها . وقد وفق القـاضى لندسى الى وصفها فى كتابيه «ثورة الشباب الحديث» و «زواج المرافقة» وصفا دقيقا .

وليست هـذه الحالة خيرا كلها فان موقف دعاة الاداب التقليدية منها قد جعـل الشباب يمارسون هذه العـلاقات بينهم فى الخفاء كأنها من المهربات فاصبحت بذلك جزءا مستقلا عن الحياة قائما بذاته منفصلا عن المصاحبة اليومية وعن العمل المشترك وعن الالفة النفسية ه وهى شروط لازمة فى كل علاقة محترمة صحيحة

كما أن تحاملهم على سلوك الشباب الحديث يزيد من اتساع الهـوة بـين الفريقـين ، وهـذا بدوره يؤثر على شعور المودة والصداقة الذى ينبغى أن يصل الاباء بالابناء فيحرم الاخرون من نصيحة الاولين ولا يجدون من يمد لهم يد المساعـدة والعون اذا وقعـوا فى مشكلـه من تلك المشاكل التى تواجه الشباب كل يوم .

ولـكن على الرغم من هذه العيوب فان الحياة التناسليه للشباب اليوم — وخاصة فى أمريكا — تفضل حياة ابائهم . ولعلهم حين يصلون الى الكهولة يذكرون تجارب شبابهم فيبيحون لابنائهم جهارا ذلك القدر من الحرية الجنسية الذى اختلسوه هم فى الخفاء

وقد شغل القاضى لندسى وظيفة قاضى محكمة الاحداث فى دنفر سنوات طويـلة فاتاح له عمله فرصة منقطعة النظير لملاحظة كثير من الشواهد والحقائق عن كثب وانتهى به الامر أخيرا الى اقتراح ما يسمى «زواج المرافقة» كعلاج لما يعرض للشباب من المشاكل فى حياتهم التناسلية بدلا من تركهم يتخبطون فى هذه الفوضى الراهنة . وهذا الاقـتراح يقوم فى أساسه على ازالة العقبة المادية — المال — التى تعوق عددا كبيرا من الشبان عن الزواج . وزواج المرافقة يختلف عن الزواج العادي من ثلاث نواح . الاولى أن هـذه العلاقة لا يقصد منها الى الانسال ثم فيجب أن تستعمل فيها موانع الحمل على الدوام ، والثانية أنه طالما بقى هذا الزواج عقيما فينبغى أن يباح الطلاق بمجرد اتفاق الطرفين فى طلبه ، والثالثة أنه فى حالة الطلاق لا يكون للزوجة الحق فى المطالبة بتعويض . ويري صاحب الاقتراح أن هذا النظام اذا حظى بتأييد المشرع - يبيح لعدد كبير من الشبان كطلبة الجامعة مثلا الركون الى حياة تناسلية مستقره الى حدما ، فضلا عن أنه لن يعوق قدرتهم على التحصيل اطلاقا . أما أنا فلا أستطيع أن أري حجة واحدة يمكن أن تقام

ضد هذا الاقتراح فى أى ناحية من النواحى الاقتصادية أو الادبية أو الخلقية

وعلى الرغم فى ذلك قوبلت مقترحات القاضى لندسى بعاصفة من الهول والارتياع فى طول أمريكا وعرضها . فقال البعض انه يهاجم قداسة البيت وقال آخرون أنه باقتراحه زواجا لا يرمى الى الانسال مباشرة انما يفتح الباب للدعارة فى صورة قانونية ، وقال غيرهم أنه يبالغ كثير فى تقدير العلاقات التناسلية خارج الزواج وأنه يطعن بذلك فى عفة المرأة الامريكية . غير ان من خلال هذه الاعتراضات كلها لم أسمع واحدا منها يزعم بأن أراء القاضى لندسى تناقض او تقلل من السعادة الانسانية . كان هذا الاعتبار ينبغى أن يكون له أو هى قسط من عناية دعاة الاداب التقليدية .

أما رأيى فهو أن زواج المرافقة خطوة لا بأس بها نحو تنظيم العلاقات الجنسية بين الشباب ولكنه ليس كل شىء . وانا أعتقد أن كل علاقة تناسلية لا تنتهى الى الانسال هى أمر شخصى بحت لا يجوز أن تكون موضعا لتدخل الغير : كما أنى اعتقد انه ليس من الخير أن يدخل الرجل والمرأة فى علاقة زوجية ترمى إلى الانسال دون ان تكون لهما خبرة تناسلية سابقة . فان الفعل الجنسى فى الانسان ليس غريزيا كما يظن . ومن السخف أن نطلب من الناس ان يدخلوا فى علاقة ينتظر لها الدوام مدى الحياة دون أن يدركوا شيئاً عن مدى التوافق المحتمل بينهم ، لاننا بذلك نكون كمن يمنع رجلا يريد اى يبتاع منزلا من رؤيته حتى تتم الصفقة . والمهمة البيولوجية للزواج تقرر لنا أن هذه العلاقة لا يصح أن تربط الطرفين رباطا قانونيا حتى يحدث الحمل الاول ، لان الاطفال هم الغاية الحقيقية منها . ونحن حتى الان نعرف ثلاث درجات فى العلاقات التناسلية : الاولى البغاء وهى علاقة تناسلية بحتة ، والثانية زواج المرافقة وهى علاقة مصاحبة يتخللها عامل تناسلى ، والثالثة الزواج وهى علاقة دائمة ترمى الى تكوين الاسرة . ولن نستطيع أن نقيم العرف الأدبى التناسلى على قواعد صحيحة الا اذا استطعنا التفريق بين كل من هذه الدرجات الثلاث .

١٢ ــ الاسرة الان

نبحث الان الاسرة كسبب فى دوام الزواج ، وهذا الموضوع يتضمن بحثا فرعيا لامور متعددة منها : هل من المستطاع ان يربى الاطفال تحت نظم اخرى افضل فى مجموعها من نظام الاسرة فى المتوسط ؟ وهل يقوم الاب بدور أساسى فى حياة الاسرة (لان هذا هو الاعتبار الاول الذي كان يعتبر فضيلة المرأة من الامور الجوهرية للاسرة) ؟ وهل تؤثر حياة الاسرة على السيكولوجية

الفرديه للطفل ؟ وهل تؤثر النظم الاقتصادية على أهمية الاب فى الاسرة ومكانته منها : أى هل تزيدها أو تنقص منها؟ وهل من الخيران تحل الدولة محل الاب أو محل الأب والام معا اذا أمكن ذلك ؟ ثم ما هى الاحوال التى تجعل احد الابوين غير كفء لتحمل مسئولية الابوة ، وما هى الاحوال التى ينعدم فيها التوافق والانسجام بين الابوين بحيث يكون انفصالهما فى مصلحة الطفل .

والاسرة نظام سابق للانسان غرضه البيولوجى أن يمد الاب صغاره اثناء الحمل والرضاعة بما يكفل حياتهم . ولكن فهم الانسان البدائي لمعنى الاسرة يختلف عن فهم الانسان المتمدين . لان الاول لا يدرك العلاقة البيولوجية بين الاب والطفل ، وهو فى هذا الدور لا يري اهمية بيولوجية للاحتفاظ بعفة امرأته وان كان يشعر بغيرة غريزية اذا اتصلت به اخبار عدم ولائها . كما انه لا يحس بشعور الملكية ازاء الطفل لانه يعده ملكا لزوجته وأسرتها ، وكل ما بينهما من علاقة لا يتجاوز المودة والعطف .

فلما أدرك الرجل العلاقة البيولوجية التى تربطه بالطفل بدأ يهتم بعفة امرأته وصارت هى والطفل من ممتلكاته . ثم سخر الدين ليفرض عليها احساسا بالواجب نحوه ، ولكنه كان أكثر عناية فى هذا الامر بالابناء لانهم سيحصلون يوماً ما الى الرجولة اى الى الطور الذي لا يستطيع أن يخضعهم فيه بالقوة ، ومن ثم كانت هذه الوصية الطريفة « اكرم اباك وامك حتى تطول ايامهما على الارض »

غير ان معنى الاسرة لم يكمل تماما حتى احترف الرجل الزراعة ، لانه فى هذه الحالة أصبح محتاجا الى الايدي العاملة . ولكى يستطيع الرجل استغلال ابنائه الى اقصى حد كان من الضرورى أن يستعين بالعرف الدينى والادبى لتقديس الاسرة .

ولكن الاسرة بعد ذلك اخذت فى الهبوط حتى صارت فى الدنيا الغربية ظلا لما كانت عليه من قبل . والعوامل التى أدت الى انحلال الاسرة اقتصادية وثقافية . ولعل الثورة الاقتصادية هى اقوى العوامل التى أدت الي تدهور الاسرة فى العصر الحديث . فقد كان الابناء فى الزمن القديم يقيمون فى منزل واحد مع كبير الاسرة ، وكان هو الذى يختار لهم زوجاتهم ويرغمهم على الحياة وحتى بعد الزواج . فلما عرف المصنع تبدل الحال واصبح الابناء عبئا اقتصاديا لا يحتمله الا الموسرون ، فصار من مصلحة الاب أن يتخلص من أبنائه فى أول فرصة يستطيعون فيها التكسب

ثم جاءت الدولة فاضعفت ما تبقى من معنى الاسرة . فقد كانت الأسرة فى الزمن القديم تتكون من رئيسها وهو الاب ومن الام ومن عدد من الابناء مع زوجاتهم وأبنائهم وأبناء ابنائهم

— كلهم يعيشون معا فى بيت واحد ويتعاونون فى وحده اقتصادية مستقلية . أما الآن فقد اصبحت الأسرة قاصرة على الأب والأم وصغار الابناء — بل حتى هؤلاء يقضون معظم الوقت بأمر الدولة فى المدارس حيث يتعلمون ما تريد ان تعلمهم لا ما يريد والدوهم . وبدلا من أن يكون للاب حق القضاء على أبنه بالموت كما كان الحال فى الدولة الرومانيه اصبح الوالد يحاسب بل يقاضى اذا عامل أبناءه اليوم كما كان الأباء يعاملون ابناءهم منذ مائة عام بزعم انشائهم نشأة خلقية صالحة ومن ثم هبطت وظيعة الاب الى أدنى حد . وهذا أمر لا بد منه فى الحضارة لان وظيفة الأب كما كان الأنسان البدائى يعرفها وكما تعرفها القردة العليا هى تحصيل الطعام لاسرته وحمايتها من عدوان الغير عليها . وقد تكفلت الدولة بالامر الثانى منذ عهد طويل أما الأمر الأول وهو أهمية الأب من الناحية الأقتصادية — فلا يزال قائما ويتجلى باوضح صورة فى الطبقات المتوسطة حيث يكون لحياة ألاب أولموته أثر كبير على الحالة ألاقتصادية والأجتماعية للابناء

ومن ناحية أخرى فان انصراف الاب الى عمله قد أضعف من أثره فى تربيه أبنائه حتى أصبح معدوما أو كاد . وكثيرون من الأبناء لا يرون أباءهم الا لحظات معدودات كل يوم أو كل بضعة أيام . ولا شك فى أن هذه الحالة لا تؤثر على حب الاب لابنائه ، ولكن الصغار ينظرون الى هذه العلاقه بينهم وبين أبائهم باعتبارها لا تكاد تنطوى على أى أهمية جدية .

أما الطبقات الموسرة فلا يختلف الحال فيها عن ذلك كثيرا اذ يوكل أمر الاطفال فى الصغر إلى المربيات ويرسلون فى الكبر إلى المدارس الداخلية .

ثم يتجلى النزاع بين الاباء والابناء عند بلوغهم المراهقة . لان الأب يريد أن يحتفظ بسلطانه على الابناء ويود أن يملى ارادته عليهم بينما يرون فى ناحيتهم أنهم قادرون على تصريف شئونهم

هذه هى نواحى الضعف فى الاسرة الحديثة ، أما نواحى القوة فتتلخص فيما يأتى :

لا ريب فى أن الأسرة الحديثة غنية بعواطفها نحو أعضائها ، فليس نادرا أن ينكر الوالدان ذاتهما من أجل أبنائهما وأن يعدلا من حياتهما بحيث يوفر ان أكبر قسط مستطاع من الراحة لهم . وكثيرون من الاباء يشقون ويكدون لكى يقتصدوا على أبنائهم حياة من النصب والجهاد مثل التى بدأوا بها . وهذه عاطفة لم تكن معروفة فى الاسرة القديمة

وللاسرة اثر لا ينكر فى الأحتفاظ بناحية خاصة من نواحى البروز مما يمكن قد ميز بعض افرادها فى الماضى . وقد لا يكون المؤثر فى هذا هو عامل الوراثة فقط كما كان جالتون يعتقد . وأظن أن عامل الأحتفاظ بتقاليد الأسرة له نصيب كبير من الأثر فى هذه الناحية الى جانب عامل

الوراثة . .

وفى الختام لعل أكبر نواحى الاهمية للاسرة فى هذه الايام التى انتشرت فيها موانع الحمل هى أنها تحافظ على عادة الانسان . وقد نستطيع اذا ضاعت من الرجل حوافز الابدة — بقليل من التحوير فى نظمنا الاقتصادية — أن نكون أسرا تتألف من الامهات فقط . ولكن ليس هذا النوع من الاسرة هو ما أرمي الى بحثه هنا . ومن الجائز بل من المحتمل أن يستبعد الأب من الأسرة بعد زمن غير طويل . فى هذه الحالة ستقتسم الأم أبناءها مع الدولة لا مع شخص أب بعينه وسيكون لها العدد الذي تشاء من الأطفال دون أن يتحمل أباؤهم مسئولية ما ، بل قد لا يمكن تحديد شخص الأب فى بعض هذه الأحوال . وإذا وقع هذا التحول فانه سيسبب تغييرا كبيرا فى سيكولوجيه الرجال وفى مدى نشاطهم . ولسنا نعلم ماذا سيكون من نتيجة ذلك ولكننا نستطيع أن نقرر أن هذه الحالة ستمحو من حياتهم العاطفة الوحيدة التى توازى فى أهميتها الحب التناسلى ، وستجعل هذا الحب أكثر تفاهة وستزيل من نفوسهم الاهتمام بما بعد الموت وستجعلهم أضعف نشاطا وأقل اهتماما بالماضى ، كما أنها ستلاشى هذه العاطفة الهائجة المتوحشة وهى الثورة ضد الاعتداء على الزوجة والابناء . وخلاصة القول أنه من الصعب أن نقيم موزانة بين النتائج المحتملة لهذه الحالة . الحسن منها والقبيح ، ولكنها على أي حال ستكون عميقة فى آثارها . وفى رائى أن الأسرة الحالية — أى الأسرة التى يسود فيها الأب — لا تزال محتفظة بمكانتها ، ولكننا لا نستطيع أن نقرر إلى متى ستبقى كذلك .

١٣ ـ الاسرة وتأثيرها على السيكولوجية الفردية

نتناول هنا البحث فى تأثير الأسرة على سيكولوجية أعضائها من ثلاث نواح : تأثيرها على الطفل ، وتأثيرها على الأم ، وتأثيرها على الأب .

١ تأثير الاسرة على الطفل : إذا كان ما يقوله فرويد صحيحا فان الانفعالات التى تجيش بها نفس الطفل نحو افراد اسرته لا تسر كثيرا . لان الصبى يكره أباه اذ يعده منافسا تناسليا له ويشعر نحو أمه بعواطف يشمئز منها دعاة الاداب التقليدية كل الاشمئزاز وينفر من أخوته لانهم ياخذون نصيبا من عناية أبويه وهو يودها كلها خالصة له .

وقد اثارت هذه النظرية عاصفة هو جاء من السخط اطاحت بعمل الكثيرين من الناس لانهم آمنو بها . وهذا ولا ريب راجع الى أثر العرف الادبى المسيحى على الاذهان مما يجعل الناس عاجزين عن بحث ما يعرض لهم من الآراء والنظريات بعين محررة من اهواء

التقـاليد .

ونبدأ أولا بمناقشة مركب أوديب : فالاحساس التناسلي فى الطفولة قوى بل لعله اقوى ممـا يفهم من كتابة فرويد . وليس من العسير على الام غير العاقلة أن تركز الاحساس التناسلى لابنهـا الصغير عليها دون أن تدرى وخصوصا اذا كانت غير موفقة فى حياتها التناسلية لانها فى هذه الحالة ستحاول عند طفلها لونا من الارتواء العاطفى لا يجوز أن يطلب الامن الكبار . والعاطفة الوالدة تنطوي فى جوهرها على العناية بالصغار لاعلى طلب الحب والحنان منهم . ولذلك فان المرأة السعيدة فى حياتها الجنسية ستمتنع من تلقاء ذاتها عن أى طلب عاطفى من طفلها . أى أنها تفضل كأم المرأة غير السعيدة .

وما يقال عن الام فى هذا الشأن يصح أن ينطبق ايضا على الخادمات والمربيات والمعلمات ، بل لعلهن اكبر خطرا من الام ، لانهن فى أغلب الاحيان يكن فى حالة جوع جنسى شديد . وهذه نقطة يجب أن تراعى عند اختيار الذين سيقومون بالعناية على شئون الاطفال .

والغريزة بين الاخوة والاخوات أمر كثير الحدوث فى الاسرة ولكنها ليست عسيرة المنع اذا راعى الوالدان وغيرهما شيئا من ضبط النفس وعاملا أبناءهما بالمساواة التامة فى كل حين.

وخلاصة القول انه أذا أريد أن يكون للاسرة تأثير سيكولوجى حسن على الاطفال فيجب ان تراعى الشروط الاتية (١) الا يكون الوالدان — وخصوصا الأم — غير سعيدين فى حياتهما التناسلية (٢) أن يحذرا أى علاقة عاطفية مع الأطفال تتجاوز العطف العادى (٣) ان يحذرا تفضيل أى طفل عن اخوته وأخوته وأن يعاملا الجميع بالمساواة التامة وبغير محاباة (٤) أن يشجعا أطفالهما على الأختلاط مع غيرهم عند بلوغهم الثالثة أو الرابعة .

لكن هذا لا يعنى أن يحرم الأطفال من العطف المعقول لأن العطف لازم لنمو الطفل العقلى فهو فى هذه السن يشعر بضعفه وحاجته الى الحماية ، وليس مثل العطف الوالدى ما يستطيع أن يشعره بالسعادة والطمأنينة ويزرع فيه روح الجراة والأقدام ،

وهناك ناحية أخرى يستطيع الوالدان أن يقوما فيها لأطفالهما باجل الخدمات تلك هى ناحية التربية الجنسية ، فلو أن الصغار استطاعوا أن يدركو الجنس على أنه تلك العلاقة بين والديهم التى يرجع الفضل اليها فى وجودهم لتعلموا الجنس فى أفضل صورة وفى علاقته بغرضه البيولوجى ولكنهم مع الأسف لا يتعلمون الجنس الا أنه موضوع لأحاديث بذيئة غبية . وهذا الطابع — بكل اثاره — يلازمهم على الدوام فيما يستقبل من الايام .

(٢) تأثير الأسرة على الآم : ليس من السهل تقدير مدى هذا التأثير . ولكن الاغلب ان

المرأة أثناء الحمل والأرضاع حين تشعر بميل غريزي الى حماية الرجل ، ولعل هذا ينحدر اليها بالوراثة من القردة العليا . غير أن هذا الشعور يضعف كثيرا وقد يزول اذا تولت الدولة العناية بالمرأة أثناء هذين الدورين وبالأطفال بعد ذلك .

ولا ريب أن وجود الآب فى الأسرة لازم للتعارف فى مهمة تربية الابناء لان المرأة التى تحيا فى وسط نسائى محض أو تكون قليلة الاختلاط بالرجل تستطيع القيام بهذا العمل على الوجه الاكمل وخصوصا من ناحية التربيه العاطفية . هذا مع أفتراض أن المرأة سعيدة فى حياتها الزوجية . أما اذا لم تكن سعيده فان هذا يؤثر تأثيرا ضارا على أبنائها كما ذكرنا من قبل .

(٣) تأثير الاسرة على الاب . رأينا فيما سبق التطورات التى مر الاحساس بالابوة عليها وكيف أنه فى الجماعات المتحضرة قد انحدر عن اوجه . غير أنه لا يزال الدافع للرجال على الزواج والرأى الذائع أن الرغبة فى الانسان فى أقوى المراة منها فى الرجل ولكنى أظن ان العكس هو الاصح لان المرأة تتعرض فى عملية الانسال لكثير من الأخطار التى قد تصيب حياتها ويشوه جمالها بينما لا يتعرض الرجل الرجل لشىء من هذا وغاية ما يحفزه الى القصد فى الانسان هو العامل الاقتصادى وهو أمر تشاركه المرأة فيه علاوة على ظروفها الخاصة

وهنا يجوز ان نسأل . ايستمر الرجال فى الانسال اذا كانوا فى المستقبل سيحرمون من الحقوق التى تضفيها الأبوة عليهم اليوم ، قد يجيب المنطق انهم يستمرون اذا كانوا سيعفون من كل مسئوليات الأبوة أيضا ، ولكنى اظن أن الرجل الذي يرغب فى الابوة يود أيضا كل المسئوليات التى تقتضيها . وفى هذه الايام التى ذاعت فيها موانع الحمل لن ينسل الرجل غالبا الا اذا اراد ذلك

وفى اعتقادى ان حرمان الرجل من الابوة — اذا كانت الدولة التى ستتولى تلك المهمة — سيجعل العلاقات بينه وبين المرأة نوعا من اللهو العابث وسيحرمها من هذه الصلة الوثيقة التى ينبغى أن تكون فى الزواج بين القلب والعقل والجسم ، كما أنه سيؤدي الى ضمور الحياة العاطفية فى الرجل وهذا بدوره سيؤثر على الانسان اسوا تأثير

١٤ ـ الاسرة والدولة

الاصل فى تكوين الاسرة هو العلاقة البيولوجية بين مختلف افرادها . اما الاسرة من حيث علاقتها بالمجتمع فينظمها القانون . وقد تناول القانون من قديم الزمن العلاقة بين الآباء والأبناء فكان

يقضى للاولين الحق فى قتل الاخرين دون حساب ولكنه اخذ يتطور حتى صار الآباء الان مسئولين عن اى اهمال ضار أو معاملة سيئة يوقعونها بابنائهم

وأول خطوة جدية نحو انصاف الابناء كانت فى قانون العمل الذى قضى بمنع صغار الاطفال من العمل فى المصانع ، وطبيعى ان يقابل بالمعارضة الشديدة من الاباء واصحاب رؤوس الاموال ولكن الشعور الادبى فى المجتمع كان من القوة بحيث اجازه : ثم كانت الخطوة الثانية فى فرض التعليم الاجبارى وهذه ضربة خطرة وجهت الى حقوق الآباء لانها تعنى ان الاطفال — بصرف النظر عن رغبات ابائهم — عليهم ان يقضوا ساعات طويلة من كل يوم فى المدرسة يتناولون من العلوم والمعارف ما تشاء الدولة لا ما يشاءون هم . ثم امتد تداخل الدولة فتناول مراقبة الصغار فى اجسادهم ومدهم بما يلزمهم من بعض انواع الغذاء والكساء الضروري اذا عجز اباؤهم عن ذلك

ومن هنا نرى ان الدولة فى الطبقات الفقيره والعاملة قد حلت محل الاب الى حد كبير اما فى الطبقات المتوسطة والغنية فلا تزال للاب مكانته ولا تزال الاسرة اكثر تماسكا . وتعد هذه الحالة فى مصلحة الطبقات الفقيره . وان كانت نتائجها لا تزال بعيده عن الكمال بعد، لان مئات الألوف من أبناء الفقراء الذين يصابون بالكساح وتنتابهم مختلف العلل والاسقام التى تعطل نموهم وتفسد صحتهم وتغتال حياتهم فى سن مبكرة يجب أن يكونوا موضعا لقسط أكبر من عناية الدولة ما دام أباؤهم عاجزين عن مد يد المعونة لهم . ولما كان الغرض البيولوجى من الاب هو القيام باود أسرته وكفل الحماية اللازمة لها فان هذه الحالة ستقسم الأسر فى المجتمعات الرأسمالية الى نوعين مختلفين . الأسرة القديمة بين الطبقات الموسرة ، والأسرة الحديثة أو الاسرة التى تقوم الدولة فيها بالوظائف الاقتصادية التقليدية التى كانت للاب فى الطبقات العاملة والفقيرة .

وهناك عامل اخر يعمل على استبعاد الاب ذلك هو نزوع المرأة الى الاستقلال الاقتصادى، وقد حاول الرجل أن يحارب هذه النزعة فى بادىء الامر فقرر عدم استخدام النساء المتزوجات ومن ثم حرم على طوائف كثيرة من النساء كالمعلمات والطبيبات وغيرهن الجمع بين العمل والزواج والغرض الواضح من ذلك أن يحتفظ الرجل بنفوذه الاقتصادى عليهن . وهذا جور لا تظن أن المرأة سترضى به طويلا . فاذا تحقق للمرأة استقلالها الاقتصادى فسيكون لهذه الحالة تأثير عميق على الاسرة . وتحقيق الاستقلال الاقتصادى للمرأة المتزوجة يكون عن أحد طريقين : أن تبقى فى العمل الذى كانت فيه قبل الزواج وهذا يقتضى أن تكل أمر العناية بأطفالها إلى الغير ، أى استبعاد أثرها كام فى سيكولوجية الطفل . أو أن تتناول أجرا من الدولة فى نظير انقطاعها لتربية

أبنائها وهذه طريقة لا بأس بها على شرط أن تعطي المرأة الضمان الكافي لرجوعها الى العمل بعد أن يكبر أبناؤها

فاذا فرضنا أن القانون اعترف بهذه الحالة فان تأثيرها على اداب الاسرة يختلف بحسب روح الشارع أى أنه يختلف بحسب ما اذا كان الاجر يدفع للابن الشرعي فقط أو للابن غير الشرعي أيضا . فاذا تقرر حق اعانة الام عموما لا نتهى النفوذ الاقتصادي للاب فى الطبقات العاملة تماما ولما كان له من الاهمية أكثر مما له بين القطط والكلاب .

وقد تبدو ثورة المرأة على سيادة الرجل كاملة الان ، ولكنها فى الواقع لا تزال فى دور الطفوله لان الانفعالات التى تشعر بها المرأة لا تزال صدى او انعكاسا لعواطف الرجل : ولن تتحرر المرأة من سيادة الرجل عليها الا حين تستطيع ان تكيف عواطفها واحساسها وفقا لمصالحها العامة .

ويعد حلول الدولة محل الاب فى الدول الغربية خطـوة كبيرة نحو التقدم لانه حسن صحة المجتمع ورفع مستوى التعليم وقلل القسوة نحو الاطفال غير ان لهذه الحالة مساوىء لا يصح اغفالها . فان الدولة لا يمكن أن يكون لها نحو الاطفال نفس التعلق العاطفى الذى يشعر به الوالدان اذ انها تنظر اليهم لا كغاية فى ذواتهم ولكن كوسيلة الي غاية تتوخاها منهم كما أن الدولة فى قيامها بمهمة تربية الابناء تودان يكون الجميع متشابهين، فينتج عن ذلك ان يضطهد الشواذ . وفضلا عن ذلك فان الدولة تعمل على تمنية الروح القومية . والروح القومية هى اخطر ما يواجه الحضارة وهى لا تقل فى خطرها عن الطواعين والمجاعات . ولذلك فطالما ان فكرة العالمية لم تحل فان فكرة قيام الدولة بتعليم الاطفال لها من الاضرار مايعادل فوائدها

اما اذا قامت حكومة عالمية تستعيض عن القوة بالقانون فى كل نزاع ينجم بين الدول وتستأصل الفكرة القومية فى كل النظم التعليمية وتزرع فكرة الولاء للدولة العالمية فلا بأس فى ان تحل الدولة محل الاب فى رعاية الاطفال لان هذا يعد كسبا كبيرا للحضارة . ولكن الحالة الراهنة تدل على ان الاسرة تنحل بسرعة بينما لا تتقدم فكرة العالمية الا ببطء والامل مع ذلك لا يزال مرهونا بالمستقبل وان تتقدم فكرة العالمية بخطوات واسعة نحو التحقيق

١٥ ـ الطلاق

ابيح نظام الطلاق لاسباب خاصة منذ اقدم العصور ولكنه كان يختلف من حيث سهولة اسبابه

او صعوبتها باختلاف الزمان والمكان : ويمكن ان يقال انه يختلف بين التحريم المطلق كما فى الكاثوليكية وبين الاباحة بمجرد طلب احد الزوجين له كما فى روسيا السوفيتيه

ومن الامور الغريبة فى الطلاق ذلك التباين الذي يشاهد بين القانون والعادة ، فليست اسهل الامم اباحة للطلاق هى اكثرها طلاقا على الدوام . وبينما بلغت نسبة الطلاق سنة ١٩١٢ فى الولايات المتحدة — التى لا تعرف نين اسبابه مجرد طلب الزوجين له — ١٣٦ فى كل مائة الف من السكان لم تزد فى السويد ـ وهى تبيحه اذا طلبه الزوجان ـ عن ٢٤ ، واعتقد ان هذا امر هام اذ يستطيع القانون ان يكون مرنا الى حد ما فى اباحة الطلاق ولكن العرف ينبغي ان يتشدد فيه طالما ان الاسرة يراد لها البقاء كما هى الان ـ اى ثنائية الوالدين : وهذا يتفق والرأى الذى ذكرته مرارا قبل الان من ان الزواج ليس علاقة تناسليه فى اساسه ولكنه مسئولية يتعاون فيها الزوجان على انجاب الاطفال وتربيتهم

وقد نظرت المسيحية الى الطلاق لا من ناحية الغرض البيولوجى للاسرة ولكن من ناحية التقدير الدينى للخطيئة . فاما الكاثوليكيه فقد حرمته تحريما باتا لانها تعد الزواج رباطا مقدسا واما البروتستانتيه فقد اباحته بمقدار لانها رأت فى تحريمه البات تشجيعا على الزنا ، ومن ثم نشأت هذه الحالة الطريفه وهى ان الدول التى تتشدد فى تحريمه تتغاضى عن الزنا الي حد ما حين ان الدول التى تتشدد فى اباحته تقسو فى الحكم على الزنا . وكلا هذين الموقفين كما سنرى خاطىء

فلنفرض ان احد الزوجين اصيب بالجنون بعد الزواج فهل من مصلحة المجتمع ان ينسل ، وهل من مصلحة الابناء أن ينشأوا فى مثل هذه البيئة ؟ قد يقال ان الحل الصحيح هو انفصال الزوجين انفصالا تاما ، ولكنها تكون قسوة بالغة ان تفرض على الطرف السليم ان يقضى حياته محروما من اى علاقة جنسية شرعيه ، لانه بذلك سيكون عليه ان يختار احد هذه الفروض الثلاثة أما الامتناع المطلق وهو الغرض الذى يؤيده القانون وتدعو اليه الاداب العامه ، واما علاقات خاطفه فى الخفاء لايدرى بها احد ، وأما الحياة فى خطيئة سافرة : ولكل واحد فى هذه الفروض اعتراضات قوية

(٢) فالامتناع المطلق عن اى علاقة جنسية خصوصا بعد الممارسه الزوجيه قسوة بالغه ، وقد يؤدي الى الشيخوخة المبكرة او الى كثير من الاضطرابات العصبيه (٢) والعلاقات الخاطفه فى الخفاء لا تعطى للاتصال الجنسى تلك الجديه التى ينبغى ان تكون له كما انها تحرم الطرف السليم من فرصة الانسال (٣) والحياة فى «خطيئة سافرة» هى اقل هذه الفروض ضررا للفرد وللمجتمع معا

ولكنها فى اغلب الاحيان لا تكون ميسورة لاعتبارات اقتصادية كثيرة وخصوصا اذا كان عمل الشخص يتصل بالجمهور كالطبيب أو المحامي، أو لاعتبارات اجتماعيه لا تقل فى اهميتها عن الاعتبارات المادية

ونعود الآن الى موضوع بحثنا فنقول ان الدول التى ترفض الطلاق حتى مع الجنون تضع الطرف السليم فى موقف لا يطاق ولا يمكن أن تقال عنه كلمة دفاع الا ان تكون من قبيل الخرافات الدينيه ومثل الجنون الاصابة بالامراض الزهريه أو تعود الاجرام أو ادمان الخمر فانها كلها امور تجعل المصاحبه الزوجيه مستحيلة والانسال عملا غير مرغوب فيه . ولا اعتراض على الطلاق فى مثل هذه الاحوال الا أن يقال ان الزواج مصيدة يصاد فيها غير الحذر الى حياة كلها تعاسه وشقاء .

كما أن هجرة احد الزوجين للآخر ينبغى أن تكون سببا فى طلب الطلاق لانها فى الواقع تعنى أن الحياة الزوجية قد أنتهت فعلا . ولكن لهذه الحالة عيبا . ذلك أنه اذا نص عليها فسيلجأ اليها الزوجان اذا رغبا فى الطلاق لاى سبب من الاسباب . غير أنه مهما يكن السبب الذي يبيحه القانون للطلاق صحيحا ومعقولا فانه يمكن أن يكون محلا للتلاعب اذا أراد الزوجان استغلاله فى طلب الطلاق ، وقد ذكر القانون الانجليزى القسوة من اسباب الطلاق فكان الزوجان اللذان يريدان الانفصال يرتبان أن يضرب الزوج زوجته أمام بعض الخدم للاستشهاد بهم على حدوث القسوة عند طلب الطلاق . فلا مناص لنا اذن من وضع ما نراه اسبابا معقولة للطلاق بغض النظر عن امكان استغلالها فى غير الغرض المقصود منها لاننا لن نستطيع ان نمنع ذلك الاستغلال

أما الزنا فى ذاته فلا أرى أن يكون سببا للطلاق لان الذين لم يرتكبوا الزنا قط هم اقلية ضئيلة جدا بين الازواج ، ولأن مجرد ارتكابه لا يعنى حتى أن الزواج قد بطل عن تحقيق الغاية منه والرجل الذى يضطره طبيعة عمله الى التغيب بضعة شهور عن منزله قد يجد من المستحيل عليه ان يبقى ممتنعا طوال هذه المدة مهما يكن من حبه لزوجته . وكذلك الحال مع الزوجة أيضا الا اذا كانت متشبعة بالاداب التقليدية كل التشبع . فكل هذه الهفوات وامثالها لا يجوز ان تؤثر على السعادة الزوجية مادامت العاطفة الاصلية سليمة . ولا ينبغى أن يقع الطلاق بسبب الزنا الا اذا كان ينطوى على تفضيل محقق وثابت للشخص الثالث سواء كان رجلا أم امرأة .

وأنا فى هذا الرأى افترض بطبيعة الحال ان علاقة الزنا لم تنته الى الانسال ، أما اذا انتهت الى ذلك فالامر يتعقد كثيرا وخصوصا اذا كان الاطفال أبناء الزوجة لان الرجل « اذا أراد أن

يتحاشى الفضيحة » سيجد نفسه مضطرا الى تربية أبناء رجل اخر مع أبنائه . وهذا يناقض الاساس البيولوجي للزواج كما أنه يقتضيه جهدا قد لا يستطيع ان يحتمله . ولذلك فان اختراع موانع الحمل يعد من توفيقات الزمن الحالى لانها منعت هذه المضاعفات وافقدت الزنا كثيرا من الاهمية التى كانت الآداب التقليدية تعلقها عليه .

وتتلخص الاسباب التى تدعو الى الطلاق فى «١» تلك التى تتضمن نقصا فى أحد الزوجين كالجنون والجريمة وادمان الخمر «٢» وتلك التى تتعلق بالصلة بين الزوجين كعدم التوافق او اختلاف طبيعة العمل مما يجعل الحياة فى بلد واحد مستحيلة وغير ذلك . فى مثل هذه الحالات تكفى موافقة الطرفين لتبرير الطلاق ، أما فيما عدا ذلك فلا ينبغى أن يباح الطلاق الا اذا فشل الزواج لنقص خطير وثابت فى أحد الزوجين .

اما الزواج العقيم فالامر يختلف فيه عن ذلك كل الاختلاف لان الطلاق هنا ينبغى أن يباح لمجرد طلب الزوجين له .

وقد رأينا أن القانون قد يبيح الطلاق بينما تحرمه العادة ، واعتقد أن العرف يجب ان يقضى بدوام الزواج حتى يجاوز الابناء فترة الشباب فلا يباح الطلاق فى هذه الاثناء الا تحت القيود الشديدة التى ذكرناها . والا فلو خطر للناس ان يجعلوا الزواج نوعا من المتعة واللهو وراق لهم ان يدخلوا فى هذه العلاقه مرة كل سنتين لما استطاع الأبناء أن يعرفوا لهم ابا ولكانت مرادفة للزنا كما قال الرسول بولس .

ثم نعود فنكرر هنا ان المحور الذى ينبغي ان تدور عليه تصرفات الزوجين جميعا يجب أن يكون مصلحة الابناء ، فهما من أجل هذه المصلحة يجب ان يحتملا شيئا من التضحية وضبط النفس وهما حتى بعد ضمور الحب يستطيعان التعاون على تربية الابناء لا كواجب محتم وحسب بل كعمل يحفزهما الى ادائه الآحساس الا بودي الذى يبقى حتى بعد زوال الحب بينهما . فالطلاق السهل هو خطوة نحو زوال الاسرة الثنائية الوالدين تتضمن كثيرا من المتاعب للابناء ومادام هذا النوع من الاسرة هو السائد الان فالطلاق لغير دواع قاهرة اخلال بالواجب الوالدى .

وخلاصة القول أن تسهيل الطلاق ليس حلا لمشكلة الزواج ، واذا اريد للزواج البقاء والاستقرار فيجب أن نفرق بينه وبين العلاقة التناسلية فى ذاتها وذلك بتأكيد الناحية البيولوجية لا العاطفية منه . وفى هذا النظام الذي اقترحه ستحرر الرجال من واجب الولاء الجنسى الزوجى ولكنهم سيتحملون فى الوقت ذاته واجب ضبط الغريزة . وخير لنا أن نضبط عاطفة ضيقة كريهة مثل الغيرة من ان نضبط عاطفة رحبة كريمة مثل الحب . فالآداب التقليدية قد أخطأت لا فى دعوتها الى ضبط النفس ولكن فى دعوتها الى هذا الضبط فى غير الموضع المناسب .

١٦ - اليوجنية

اليوجنية هى محاولة تحسين الصفات البيولوجية لأي نوع حى بوسائل صناعية . وهى تقوم على أساس النظرية الداروينية ولكن المخترع المباشر لفكرتها هو جالتون الذى نادى بالعامل الوراثى فى الكفاية الانسانية .

واليوجينية على نوعين . الايجابية والسلبية . فالايجابية تعنى بتشجيع الانواع الحسنة على التوالد والسلبية تعنى بمنع الانواع الرديئة . واليوجينيه السلبية هى السائدة الآن ، والتقسيم هو أقوي مظاهرها . ولا نظن أن هناك اعتراضا جديا واحدا يمكن أن يقدم ضد التقسيم إذا أحيط بالضمانات الكافية .

وفى رأيي أن التعقيم يجب أن يكون قاصرا على ناقصى القوى العقلية ، أما الاسباب الاخرى كالانحطاط الخلقى والشذوذ التناسلى فلا يجوز أن تبرره الآن لان هذه أمور تتأثر باعتبارات الزمان والمكان . وكذا الاجرام المزمن لان التحليل النفسى قد يثبت أن المجرم مريض باختلال عصبى وظيفى يمكن أن يشفى منه اذا أعطى فرصة مناسبة للعلاج . وهنا يظهر خطر التشريع فى أمر ما قبل أن يصل العلم فيه إلى نتائج محققة وثابتة .

وانتقل الآن إلى اليوجينية الايجابية التى لا تزال احتمالاتها فى طي الغيب ، وهى تتضمن كل ما يعمل على تشجيع التوالد بين الطبقات الممتازة . ولكن الذى يحدث الآن فعلا هو بعكس ذلك اذ ان الطبقات الممتازة فى الناحية الذهنية لايتاح لها الزواج قبل سن الخامسة والثلاثين أوالاربعين فى حين أن الطبقات العادية تتزوج فى سن الخامسة والعشرين ومن ثم تكون أكثر توالدا . وهذه حالة تدعو الى الأسف وتقتضى التفكير فى علاجها وان كان هذا العلاج ليس ميسورا الآن لانتشار الفكرة الديموقراطية التى تنادى بالتساوى بين الناس . ولسنا ننتظر بطبيعه الحال أن نحظى بموافقة الاغلبية على الرأى القائل بأن هناك أقلية ممتازة هى التى ينبغى أن يباح لها فقط أن تكثر وتتناسل .

وثمة صعوبة أخرى ليس من السهل تذليلها : تلك هى تحديد «الامتياز» فى النوع الانسانى فلو اتجهت العناية كلها الى التفوق الجسدى لكان من المحتمل أن تضعف الطاقة العقلية والعكس جائز أيضا . ولذلك فليس من الحكمة أن نعلق كثيرا من الاهمية على اليوجينية الايجابية الآن . وستكون هذه بلا شك مهمة المستقبل حين تتقدم علوم الوراثة والكيمياء العضوية فتجعل توالد

نوع أفضل من النوع الحالى أمرا محققا .

وهناك نوع آخر من اليوجينية — اليوجينية الجنسية — يدعو اليه الساسة ويبررون به اعتداء بعض الدول على البعض الاخر بحجة التفوق الجنسى معتمدين على نظرية داروين التى تقول ببقاء الاصلح . وأنا أوافق على أن جنسنا أعلى فى المتوسط من الجنس الاسود ولكن التفريق بين الاجناس الاوربية على هذا النحو لغو لا يستند الى أساس . كما أن اعتبار الشعوب الصفراء فى مستوى أحط من مستوانا خطأ لا يدعو اليه الا الغلو والتعصب فى الوطنية .

وفى هذه الناحية أيضا نستطيع أن نرى الاخطار التى تتعرض الانسانية لها إذا تقدم العلم بينما بقيت هذه الفوضى فى العلاقات الدولية على حالها . فان الدنيا ملاي بالعداوة والبغضاء وكلما تقدم العلم فيها استفحل الخطر المحتمل منها . فالكسر من حدة هذه العواطف هو اذن من الضرورات التى لا غنى عنها ، ولما كانت الاداب التقليدية مسئولة الى حد كبير عن هذه الحالة فان اصلاحها يجب أن يعد من الحاجات الحيوية لمستقبل حضارتنا .

ولا ريب فى ان مبادىء الاداب التناسلية — اذا خلت من الخرافات وخضعت للقواعد العلمية تستطيع أن تؤثر على السلوك الادبى للافراد تأثيرا حسنا . وتوضيحا لذلك أقول أنه مهما يكن فى رخاوة القيود على الاتصال الجنسى فى المستقبل فسيكون عند الناس من الوازع الذاتى ما يجعلهم يحجمون عن الانسال الا بعد التحقق من القيمة المحتملة للنسل . وقد أصبح الانسال — بفضل موانع الحمل — عملا اختياريا لاحادثا عارضا فى طريق الاتصال الجنسى ، ولذلك فلن ترى المرأة لزاما عليها أن يكون أب أطفالها هو نفس الرجل الذى تفضله وتختاره كعشيق أو صديق . والارجح بل المحقق انها ستجعل للاعتبارات اليوجينية المقام الاول عند اختيار الاب لابنائها بينما ستجعل لعواطفها الشخصية كل الحرية فى المصاحبة الجنسية العادية فعلى أولئك الذين يؤمنون بان السلوك التناسلى لا يجب أن يعنى المجتمع الا من حيث علاقته بالاطفال أن يستخلصوا فى هذه الحالة قاعدة مزدوجة فيما ينبغى أن تكون عليه آداب المستقبل : الاولى أن الحب يجب أن يكون حرا طالما أنه بعيد عن الانسال ، والثانية أن الانسال يجب ان يكون أكثر خضوعا للاعتبارات الادبية منه الان . وهذه الاعتبارات الادبية التى نراها لازمة تختلف كل الاختلاف عن الاعتبارات الحالية ، فلا نظن ان بضع كلمات يقولها قس فى حفل أو بضع كلمات يكتبها مسجل فى عقد يستطيعة أن تؤثر على صحة النسل اوذكائه وانما الذى يؤثر على قيمه النسل هو الصفات الوراثيه التى يمكن ان ينقلها كل من الاب والام اليه . فاذا استطاع العلم فى المستقبل تحديد هذه الصفات تحديدا دقيقا فان الاحساس

الادبى سيكون اكثر انطباقا على وجهة النظر اليوجنيه لان الابوة يومئذ لن تباح الا للرجال الذين يستطيعون ان ينقلوا افضل الصفات الوراثية للنسل بينما سيباح للآخرين ممارسة مايشاءون من العلاقات الجنسية بشرط الاتنتهى الى الانسال . وبذلك نرى انه اذا خضعت الاداب التناسليه فى المستقبل للمبادىء العلمية فستنقل الاهمية الاجتماعيه التى كان دعاة الاداب يعطونها للزواج فى الماضى الى الانسال .

ولاريب فى ان تداخل العلم فى أوثق العواطف الشخصية للانسان امر لا يقابل بالترحيب ولكنه على اى حال سيكون اقل من التداخل الذى احتمله الانسان من الدين . ومهما يكن من امر العلم فانه حديث علينا وليست له قوة التقاليد التى يخضع بها الدين الغالبية منا . غير انه اذا كان لابد للنفس الانسانية من الخضوع لسلطان شىء ما فلا شك انه خير لها ان تخضع لسلطان العلم .

١٧ ـ الجنس ومصلحة الفرد

تؤثر الاداب التناسلية على الانسان فى كل أدوار حياته من الطفولة حتى الشيخوخة

١ ففى الطفولة تفرض الاداب التقليدية على الطفل الايمس بعض اجزاء جسمه فى حضرة الكبار والا يذكر رغبته فى التبول او البراز الاهمسا والا يؤدى هذا العمل الا منعزلا . وهى تفرض عليه ايضا ان يصدق كل مايسمعه من كباره بخصوص بعض المشاكل الذهنيه التى تعرض له — مثل من اين يأتى الاطفال ؟ — حتى مع شعوره بمراوغه اجابتهم وعدم صحتها . والنتيجة المحتمه لمثل هذه الحالة ان الطفل يكبر ومعه فكرة الخطأ والخوف من كل ما يتصل بالمسائل الجنسية وقد تنحدر هذه الفكرة الى عقله الباطن وتؤثر على كل ارائه وتصرفاته فيما بعد .

وتمتاز عهود الطفوله والشباب بالحرية التى يجب ان تباح فيها وبعدم الخضوع للنظام السائد الا اذا وصل الخروج عليه الى حدود المغالاة ، وتكاد تكون هذه الحريه امرا مسلما به الا فيما يتعلق بالامور التناسليه ، فمثلا اذا ضبط الطفل وهو يسرق شيئا ما فلن يظن احد انه ارتكب مخالفة خطيرة بالنسبة للعرف الادبى ، اما اذا ضبط وهو يعمل الاستمناء فلن ينسى قط اللهجة التى تستعمل فى انتهاره . وهذه اللهجة تسبب له رعبا قويا يضاعفه انه لن يستطيع الاقلاع عن هذا العمل . ومن ثم تنشأ فى نفسه الفكرة بانه يخطىء اذا ارتكب هذا العمل القبيح ، ولما كان

الاقلاع عنه فى غير المستطاع فانه يجد شيئا من العزاء فى ممارسته سرا وفى الخفاء. وعلى مر الايام تصبح هذه الحالة عنده «مركبا نفسيا» يدفعه الى الانتقام من الدنيا بالتحامل على أولئك الذين كانوا اقل توفيقا منه فى التستر على اخطائهم

٢ وفى الدور التالى اى فى المراهقة يتجلى الشقاء الناتج من النظرة التقليدية للجنس بصورة اشد وضوحاً. فكثيرن من الصبيان لايدركون شيئا من ظواهر الدور الذى يكونون على وشك ولوجه ويرون انفسهم مغمورين بنزعات واحاسيس درجوا على ان يعتبروها فاسدة. وقد تكون هذه النزعات من القوة بحيث تستحيل الى نوع من الالحاح الذى يلازمهم آناء الليل وأطراف النهار

المراهقة فترة من الحياة تمتاز بوفرة الاضطرابات العصبية فيها. والفريق الذى يبقى عفيفا يعانى من نتائج ضبط النفس مايجعله مترددا وجلا ينال حياته الزوجية بابلغ الاضرار، اما الفريق الذى يتردد على البغايا فانه لن يلبث ان يكتشف التنافر بين الناحية الجسدية والناحية المثاليه فى الحب وهذا يؤثر على تقديره للمرأة تأثيرا سيئا. والفريق الذي يتاح له الاتصال بفتيات من طبقته يضطر الى التكتم وهذا ضار ويتعارض مع دوام العلاقة.

والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية تجعل الزواج المبكر فى حكم المستحيل الان فلو كانت نظرتنا الى المسألة الجنسيه سليمة لا بحنا للشباب أن يدخلوا فى علاقة زوجيه مؤقتة وعقيمة، لأن هذا يحررهم من الحاح النداء الجنسى ويكسبهم خبرة بالحياة الجنسيه لا غنى لهم عنها قبل الدخول فى المسئولية الجدية الخطيره التى تنتظرهم فى الزواج الدائم

هذا من ناحية الرجل اما من ناحية المرأة فان الاداب التقليديه تضع ذلك الفريق الكبير من النساء اللواتى يبقين بغير زواج فى أقسى المواقف لانها تثير فيهن تفاعلا سلبيا يؤدى الى الخوف والوجل والاحساس بالغيرة وبالرغبة فى الانتقام من اولئك اللواتى يتمتعن بما حرمن منه. ومهما يكن من الامر فلست بمستطيع ان اجد سببا وجيها واحدا للحكم على هذا الفريق الكبير من النساء بالتعاسه والشقاء فى حياة العزوبة الطويلة التى يقضينها

وحتى الزواج — وهو المتنفس الوحيد الذى تبيحه التقاليد للعواطف الجنسيه — يعانى كثيرا من صلابة العرف الادبى. وذلك راجع فى أغلب الاحيان الى المركبات الضارة التى يقتبسها الشبان منذ الطفولة وفى طول مصاحبتهم للبغايا وفى موقف الكراهة والنفور من الجنس الذى يلقن للفتيات بقصد الاحتفاظ بعفافهن. فان الفتاة لا تكاد تدرى حتى اليوم ما اذا كان شعورها نحو رجل بعينه هو شعور الرغبة الناتجة عن الجوع الجنسى والذي يزول باشباعه او شعور الحب الحقيقى

فكل تعاليمنا قد تحالفت حتى الان على ان تجعل المرأة هائبه والرجل خشنا فى العلاقة الجنسية وكلها قد فرضت على المرأة الا تذكر المسائل الجنسية فى احاديثها قط وفرضت على الرجل الا يذكرها الا مع زملائه من الرجال او مع البغايا . والنتيجة المحتمة لهذا الجهل ان يقوم الرجل بالعملية الجنسية من ناحيته فقط دون ان يدرى ان لزوجته نصيبا فيها يجب ان يؤدى . وبينما ترقد هى فى توتر عصبي شديد من الرغبة التى لم تلق ما يشبعها يذهب هو ويفكر فى استياء شديد من برودها الذى لا يريد أن يستجيب

وهكذا نرى ان ادابنا القديمة تعمل فى كل ادوار الحياة — منذ الطفولة واثناء المراهقة والشباب وبعد الزواج — على تسميم الحب وعلى فصل الناحية الجسدية منه عن الناحية الروحية . ولكن الاداب الصحيحة تدرك أن هاتين الناحيتين لا يمكن أن تنفصلا لان كلا منهما تكمل الاخرى وتعينها على بلوغ أوجها . والحب لا ينمو ولا يزدهر من خلال القيود والخرافات التى تفيض بها الاداب التقليدية . فالذى يخشى الحب يخشى الحياة ، واولئك الذين يخافون الحياة هم فى الواقع من الاموات

١٨ - الخلاصة

والخلاصة التى نخرج بها من هـذه الدراسة ان الاداب التناسلية كما فى الجماعات المتحضرة اشتقت من مصدرين مختلفين كل الاختلاف : الاول الرغبة فى التحقق من الابوة ، والثانى الاعتقاد بدنس الجنس الا ان يكون وسيلة للانسال

فلما جاءت المسيحية ادخلت عـاملا جديدا على الدعوة الى اجتنـاب الخطيئة ووضعت عرفا أدبيا يتساوى فيه كل من الرجل والمرأة نظريا وان كان فى تطبيقه العملى أكثر تسامحا لسقطات الرجل

أما فى العصر الحالى فقد بدأت النظرة القديمة الى الآداب التناسلية تضعف لضمور الاحساس بالعقيدة الدينية ، وقد يبقى الرجل أو المرأة متأثرا دون وعى منه بالموقف القديم ولكنه فى وعيه لا يعطى الزنا ما كان يعطاه سابقا ثم دخلت عوامل جديدة فساعدت للوصول الى هذه الحالة منها اكتشاف موانع الحمل مما اباح الاتصال الجنسى دون الامومه للمرأة غير المتزوجة ودونها من غير الزوج للمرأة المتزوجة وبالوصول بموانع الحمل الى درجة الاتقان كما نأمل قريبا سيكون فى مقدور المرأة التحقق من آبوة أبنائها دون الامتنـاع عن العلاقات الجنسية خارج الزواج . وقد

يقال أن هذه الحالة ستساعد النساء على خيانة ازواجهن فنجيب بان دوافع الخيانة موجودة منذ اقدم العصور وليس اقواها على أى حال الحيرة فيمن سيكون الأب للوليد المحتمل ، ومنها ايضا الأطوار فى القسط الذى ستقوم الدولة به نحو رعاية الاطفال وتعليمهم ، ولهذا العامل أثره الآن فى الطبقة العاملة التى تؤلف الغالبية من السكان لانه يضعف من أهمية الأب شيئا فشيئا . أما مكانة الأم فى الاسرة فتسير الى الضعف ايضا ولكن بخطوات بطيئة . وهذه النتيجة — انحلال الاسرة — مما يدعو الى اشد الاسف والقلق لأنها تحرم الأبناء من العطف الذى لا يمكن أن يلقوه من غير الوالدين . ومهما قيل فى مزايا المعاهد العامه فانها تنشىء الأطفال على نسق واحد تضيع منه الاثار الحسنة لاختلاف البيئات فى مختلف الاسرات وتزرع فى نفوسهم روحا قوية فى التعصب القومى . وهو أمر من الخطورة بمكان ما لم نسرع الى تداركه بانشاء حكومة عالمية تنزع فوارق الاوطان من النفوس

فاذا انتقلنا الى الناحية الشخصية للآداب التناسلية وجدنا أن فكرة الدنس المتعلقة بالمسائل الجنسية قد الحقت بالخلق أبلغ الاضرار . واذا كان جائزا أن يبتدع هذه الاداب أناس من الجهال لمجتمع يختلف عن مجتمعنا كل الاختلاف فليس من الجائز ان نقبلها نحن وعندنا الأدلة العلمية والعملية متوفرة على زيفها وفسادها .

ونحن نعترف بان دور الانتقال من الاداب التقليدية القديمة الى الاداب الصحيحة الحديثة يحمل فى أطوائه بعض الصعوبات ولكنها صعوبات لا تعصى على التذليل . أما الاداب الجديدة فيجب أن تكون القاعدة العامة فيها أن الغريزة ينبغى أن تهذب لا أن تقمع ، ويجب أن تطبق هذه القاعدة بكل ما تنطوي عليه منذ الطفولة المبكرة دون الانتظار الى المراهقة أو ما بعدها . ونرجو الله الا يخطىء أحد منهم هذه القاعدة فيحسب اننا ننادى الناس قائلين « اتبعوا غرائزكم وافعلوا ما تشاءون » لاننا فى الواقع نؤمن بضرورة ضبط النفس ولكن بمقدار ، فانه شر لا بد منه لأنه يصرف قوي صاحبه فى الكفاح الداخلى بدلا من أن يوجهها إلى النشاط فى الحياة الخارجية .

أما مقدار ما يحتاجه المرء من ضبط النفس فى الحياة فيتوقف على مدى ما يلقاه من التوفيق فى تهذيب غرائزه . لأن الغرائز كما توجد فى الطفولة يمكن أن توجه الى النفع أو الى الضر . ومهمة التعليم أن يهدى الغريزة الى أنواع النشاط النافع لا الضار . فاذا وفق التعليم فى هذه المهمة استطاع الناس أن يحيوا حياة نافعة دون الحاجة الى ضبط النفس الا قليلا . وهذا ما ينبغى أن يكون الغاية من التعليم .

ولعل الغرائز الجنسية هي أكثر الغرائز حاجة الى تطبيق هذه القواعد لأنها قوية بطبيعتها ولأن الآداب التقليدية قد أفسدتها طول هذه السنين . وقد كان فى نتائج هذا الفساد أن انقسمت الشخصية على نفسها وضاع الانسجام اللازم بين العقل والغريزة . ومن ثم رأينا من الناس من يثورون بعقولهم الواعية على ما تعلموه أثناء الصغر ولكن عقولهم غير الواعية تقبله على علاته وتكيف تصرفاتهم على مقتضاه . هؤلاء قد يخرجون فى بعض الأحيان على الآداب التقليدية ولكنهم لا يفعلون ذلك بالجرأة اللازمة ومن ثم يفقدون اعمالهم بعض قيمتها . ولذلك لن يكون العرف الأدبى تاما وكامل النفع الا إذا قبلته الشخصية كلها لا تلك القشرة الخارجية منها التى تؤلف العقل الواعى فقط ، ولن تقبله الشخصية كلها إلا اذا طبق منذ الصغر فى النظم التعليمية .

ويجب أن تشتق الآداب التناسلية الجديدة من بضع قواعد عامة أولها أن يكون بين الرجل والمرأة ذلك الحب الجسدى العميق الذى يؤثر على شخصية كل منهما فيغذيها ويقويها وثانيها أن يوجه القدر الكافى من العناية الى الأطفال من النواحى الجسدية والسيكولوجية . وقد تبدو هذه القواعد بديهية ، وهى ينبغى أن تكون كذلك ولكنها ليست مع الاسف ، فالغالبية العظمى من الرجال والنساء لا يستطيعون تذوق ذلك اللون من الحب الذي ندعو اليه لانهم يجهلونه ولان تعاليم الطفولة تمنعه . ولو استطاعوا ان يمارسوه عن رغبة وطواعية لكان ذلك خيرا ولكنهم فى اغلب الاحيان لا يستطيعون . فماذا يمنع لو تسامح كل منهما فى بعض علاقات خارجية للاخر ؟ ان هذا خير على اية حال من ولاء يقوم على الخوف والتحريم والتداخل فى الحرية

اما واجبات الاباء نحو الابناء فتتلخص فى ان يحاول الزوجان المحافظة على انسجام العلاقات بينهما مهما كلفهما ذلك من التضحية وضبط النفس . ولا يصح ان يكون ضبط النفس قاصرا على الولاء الزوجى وحسب بل يجب ان يتناول الغيرة وحدة الطباع والرغبة فى السيادة ايضا ، والا فخير أن ينفصل الزوجان وان تنفصل عرى الحياة الزوجية

ولسنا ننتظر ان ينتفع المراهقون من هذه التعاليم لأن الاداب التقليديه قد افسدتهم بما لا يرجى معه صلاح وانما ينتفع بها من يلقنون مبادئها منذ الطفولة المبكرة

وقصارى ما نرجوه ان يقدر الجيل الناشىء مسئوليته ازاء الجيل القادم فيحاول أن يجنبه الاخطار والمضار التى اوقعته فيها الاداب التقليدية

ولا يظنن احد ان الدعاية التى ابشر بها هى دعاية الاباحية ، فانما أدعو اليه يقتضي من ضبط

النفس مثلما تقتضيه دعاية الاداب التقليدية . ولـكن ضبط النفس عندي موجه الى الامتناع عن التدخل فى حريات الغير لا الى الحد من الحرية الشخصية . فلعلنا ان نأمل ان نصل بوساطة التربية الصحيحة منذ الصغر الى احترام الشخصية وتقدير حريات الاخرين . ولنذكر اخيرا ان اهم الروابط فى الزواج ينبغى ان تكون الاحترام المتبادل لشخصية كل من الزوجين مع الاندماج فى تلك العلاقة الوثيقة جسما وعقلا وروحا التى تؤلف اجمل ما فى الحياة من تجارب: الحب . ولنعلم أن الحب — ككل ما هو عظيم وثمين — يتطلب تضحية القليـل من اجل الـكثير ، فلنقدم على هذه التضحية راضين .

دكتور صبرى جرجس

كتب الشهر الجديدة

المال فى الاسلام

تأليف الدكتور زكى ابو شادى صفحات ٢٦ من القطع الكبير

طبع بمطبعة التعاون رقم ٣ شارع فرنسا بالاسكندرية

يمتاز زكي ابو شادى بتفكير سليم ولكنه مع ذلك معتدل لايغلو . وان كان احياننا فيغضب واي مصرى لايغضب امام الوحوش — ومعظمها ثعالب التى تتناول الاقلام ؟ وهذه الرسالة هي مثال حسن للايجاز الوافى فى الاقتصاديات الحديثة وفى النظر الراقى للاسلام . واليك مايقوله عن « المجاعة وسط الرخاء » !

كان أكبر هم للانسانية فى الماضى اتقاء المجاعة والبؤس إنتاج الكفاية من الغذاء واللباس وتوفير الماء الصالح للشرب . فلما تقدم العلم والصناعة وانتظمت الحضارة زاد الانتاج زيادة كبيرة وأصبحت مشكلة الانتاج إجمالا فى خبر كان ، ويكفى أن نذكر أن زيادة الانتاج أخيراً فى مدى ربع قرن تتجاوز بنسبة ٢٠ ٪ المحصول العالمي فى كل شيء تقريباً ، وفى الولايات المتحدة خاصة بلغت الزيادة ٥٠ ٪ ، فلا معنى للشكوى الآن من ناحية الانتاج ، وانما يجوز أن تنصب الشكوي على سوء توزيع المواد الخامة للصناعات وسوء توزيع المصنوعات والمنتوجات عامة على المستهلكين .

إن الاختراع العلمي يسعف الزراعة والصناعة وكل حرفة ومهنة بالمخترعات المتواصلة التى تضاعف الانتاج وتحسنه باستمرار . مثال ذلك فى سنة ١٧١٢م . لما اخترعت أول آلة بخارية غنمت الصناعة مايؤدى عمل سبعين رجلا ، فما جاءت سنة ١٧٧٢م . الا وكانت الآلة البخارية حينئذ تؤدى عمل خمسة وستين وسبعمائة رجل ، ثم ماجاءت سنة ١٨٧٦ م . الا وبلغت الآلة البخارية قوة مائتين وأربعة وثلاثين ألف رجل (٢٣٤٠٠٠) ، والان وقد نشأت آلة الطربين turbine التى تستطيع

أن تعمل بدون انقطاع اليوم كله وتنتج عمل ثمانية ملايين وسبعمائة ستة وستين ألف رجل فى ثمانى ساعات فقط ! ويقدر الاستاذ سودى أن الانسان الحديث زادت قوته بفضل الآلات أربعين مرة عما كانت عليه قبل العصر الآلى . وعلى سبيل التمثيل لمزايا العصر الآلى فى سعر الانتاج ومقداره نذكر أن الرجل فى سنة ١٧٧٥ م . كان يحتاج الى أكثر من يوم جاهداً لكى يعزق وحده فدانا والان بفضل الالة الحديثة يمكن إنجاز ذلك فى خمس دقائق ! وتوجد اليوم الات الحصاد تستطيع أن تحصد القمح وتهزه وتحمله وتشده وتكدسه وتدرسه ، كل ذلك فى يوم واحد ! كذلك توجد خلايا للنحل مؤثثة بأقراص من الباغة والألومنيوم توفر على النحل مجهود بناء الأقراص الشمعية وتزيد الانتاج بنسبة هائلة بالمقارنة بالكوائر الطينية التى لم يكن غيرها ومثيلاتها شائعاً فى مصر بل فى العالم فى القرن الماضى . وتوجد محاضن كهربائية تستطيع الواحدة منها أن تفرخ خمسين ألف بيضة مرة واحدة بحيث تنتج سنوياً نحو ثلاثة ملايين من الكتاكيت ! وتوجد حالبات كهربائية يبلغ عددها الان فى أمريكا وحدها زهاء ربع مليون حالبة تستطيع أن تحلب من خمس الى ست بقرات فى ان واحد . وهكذا فى جميع الصناعات والحرف غنمت الانسانية الات عديدة موفرة للوقت ومريحة للانسان ومضاعفة للانتاج ، حتى قدر الاستاذ سودى أن أربعة الاف من الرجال فقط يستطيعون بفضل الالات الحديثة أن ينتجوا جميع محصول القمح فى أمريكا ! وحتى فى انجلترا الصناعية يقدرون أنه فى الوسع بفضل الالات الحديثة انتاج مايكفى من المحصولات الزراعية لتغذية تسعين مليوناً من السكان ودرء المجاعة عنهم . وقد اتفق أكثر من عشرين دولة من منتجات الحنطة على تخفيض بذرها ، ومع ذلك زاد إنتاج الحنطة العالمى زيادة محسوسة . والان بدل أن يواجه العالم مشكلة قلة الانتاج نجده يتلف بيديه الفائض من انتاجه حينما فى الوقت ذاته ترتفع الصيحات من جهات شتى مطالبة بزيادة الانتاج كعلاج للبطالة وللازمات المالية !

القوى الخفيـــــة

تأليف وليم سرجيوس صفحات ٩٦ من القطع الكبير

طبع بالمطبعة التجارية : بمصر

لمؤلف هذا الكتاب اربع كتب اخرى غير هذا الكتاب تبحث الوجوه الغامضة للمسائل النفسية . وهو يكتب باسلوب شعبى خال من التعقيد

وهذا الكتاب خلاصة واضحة عن العقل الباطن وما يتصل به من القوى الخفية النسائية ونرى ان أحسن وصف لهذا الكتاب ان ننقل منه الفصل التالى عن النبوغ قال :

النبوغ هاجع فى العقل الباطن فكل منا نابغة أن عرف كيف يوقظ عبقريته ويوجه عقله الباطن الى طريق عظمته فيسيطر على حظه ويتسلط على مصيره !!

الا تعلم ان المتبربر الجالس تحت ظل الغابة قد لا يترك الجزء الاعظم من قواه العقلية خاملا غير مستعمل ؟ نعم له عقل يفوق حاجيات بيئته ويزيد على ضرورات معيشته ، فيبقى عقله هذا راكدا نائما ان لم تستدعه الظروف للعمل وتستحثه الحياة للظهور .!!

الا تدرى أن الهمجى الذى قصر جهوده على أمور المعيشة الساذجة من مأكل ومشرب ، يحمل فى رأسه عبقرية سقراط وافلاطون وارسطوطاليس ونبوغ شكسبير ونيوتن واديسون ؟! فلقد كان قدماء الجرمان والبريطان لا يفرقون شيئا من الوجهة العقليه عن قدماء المصريين فى مدنيتهم وعظمتهم ، على ان أولئك الآريين المتبربرين قد تركوا مواهبهم العقلية هاجعه حتى جاءهم اليوم الذي استيقظت فيه عقولهم فاقامت مدنيات عظيمة قوية !!

ظلت قوة العقل الباطن محيطة بالغموض والابهام الى عهد قريب حتى جاء العلماء وكشفوا عن أمرارها ، فاستخدمها أصحاب الفلسفة كما اتخذتها المدارس السيكولوجية لابحاثها التى ظهرت فى تعاليم «الفكر الحديث» و «العلم الالهى» و «علم النفس العملى» الخ ..

« . »

ما من طفل ولد ناقصا او شاذا انما هى صدمة اصابت عقله الباطن عند الولادة أو بعدها، وقد تكون هذه الصدمة فزعا او ايحاء ضارا اواصابة لحقته عن الات الجراحة عند التوليد . فلي الجنون وضعف العقل والاجرام فى غالب الاحوال بصفات موروثة وانما هى احوال مكتسبة أما بالتقليد واما بالايحاء او بكليهما معا . ولذا يستطيع الأطباء السيكولوجيون «النفسيون» معالجة كثير من الاحوال المرضية عن طريق التحليل النفسى . ويقول الدكتور كمف انه يمكن معالجة ٨٠ ٪ من المصابين بامراض عقلية ونفسية اذا اتبع الطريق العلاجى المناسب طالما كانت انسجة المريض العصبية لم تتلف . فالعقل الباطن فى الاطفال قابل للتكبير بالايحاءات التى تفد عليه من العالم الخارجى عند الولادة وبعدها ، فقد يصبح الطفل السليم شاذا او مجنونا بفعل البيئة والاحوال الغير الملائمة التى تحيط به والايحاءات التى تصل الى باطن نفسه

ولقد ادرك المصريون قديما للايحاءات من تأثير فى الطفل فترى من عاداتهم الباقية الى هذا اليوم ان القابلة عندما تقوم فى اليوم السابع لولادة الطفل بنمل «زفة الاسبوع» تطرق الهاوى بجانب الطفل وتقول له «اسمع من امك ، اسمع ابيك ، اسمع من ..

وكذا فقه الاباء اليسوعيون (الجزويت) ومن ينهجون نهجهم فى التربية الى ما لا عهد الطفولة من اهمية فى حياة الانسان ، فهم يعملون جهدهم على انتزاع الاطفال من احضان والديهم والقيام على تربيتهم وغرس المبادىء فى نفوسهم ، حتى اذا ما انطبعت عقائدهم فى عقول الاطفال الباطنة شبوا وشابوا على التماسك بها مهما بذل الغير من جهود لارجاعهم عنها ، ولذا قال أحد الاباء اليسوعيين . اعطنى الطفل من سن الثانية عشرة ثم افعل به بعد ذلك ماشئت

الا تعلم أن ما يصادفه بعض الرجال والنساء من فشل فى حياتهم ، قد يكون مرجعه ايحاءات خاطئة القاها اليهم وذووهم الى عقولهم الباطنة فى طفولتهم فانطبعت فيها وفعلت فعلها فى عقليتهم واجسامهم وحياتهم . فجعلت منهم فى سنى الرشد تعساء بائسين ، فاذا ما جىء بهؤلاء الى علماء النفس عمدوا الى تحليل حالتهم النفسية وازالة أثر الايحاءات الضارة بايحاءات اخري شافية

اطبع مؤلفاتك في مطبعة

المجلة الجديدة

التي تختار لك اجود الورق

وانظف الطبع

المقتطف

المقتطف مجلة تقرأها اليوم وترجع اليها في المستقبل — ولا أدل على ذلك من مطالعة مجلداتها السابقة كل مجلد تاريخ واف للسنة التى صدر فيها . فيه وصف المستنبطات التى استنبطت والمكتشفات التى اكتشفت وأشهر حوادث التاريخ وأهم مشكلات العالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وسير اعظم الرجال وآراء أكبر العلماء وكل مايهم المرأة معرفته من ادارة مملكتها البيتية — وكل ذلك بكلام بليغ قريب التناول وصور كثيرة وتحقيق وتمحيص اشتهر بهما المقتطف مع مقالات كثيرة في مواضيع شتى علمية وأدبية وفلسفية فاذا كنت ممن يعنون بالنهضة الشرقية الحديثة — اذا اردت ان تطلع على ارتقاء الحضارة الغربية فى الستين سنة الماضية — اذا أردت تاريخا وافيا لسير العمران منذ أكثر من نصف قرن الى الآن . فيجب ألا تخلو مكتبتك من مجلدات المقتطف وهى تباع مفردة أو مجموعة وقيمة الاشتراك السنوي فى القطر المصرى جنيه مصرى واحد ، وفى الخارج بمبلغ مائة وعشرين قرشا مصريا أى مايساوى ٦ دولارات أمريكية

ويخصم ٢٠ ٪ لحضرات الاساتذة والطلبة الذين يرفقون طلبهم بقيمة الاشتراك وبشهادة من مدير المدرسة . والعنوان : إدارة المقتطف بمصر

الفلاح المصري يزرع القطن

والعامل المصري يغزله وينسجه

فالقطن ثروتكم وهو فخركم

اعدته لكم

منسوجات لاتقارن فى جودتها

شركة مصر للغزل والنسج

اشتروا مايلزمكم من

شركة بيع المصنوعات المصرية

وفروعها بالقطر المصرى وتجار المانيفاتورة

المجلة الجديدة

OL 15065.750
HARVARD UNIVERSITY LIBRARY
10/6

« اكتوبر ١٩٣٧ »

الثورة العرابية

بقلم ...

مطبعة المجلة الجديدة

أنور زقلمة
المحامي

الثورة العرابية

مطبعة المجلة الجديدة

الى زعماء النهضة الاستقلالية فى مصر الحديثة ــ الى قواد ثورتها نحو الحرية ــ وباعثى وثبتها، ومحيي آمالها ونافخى روح الجهاد فى ابنائها

الى المعلم يعقوب

الى السيد عمر مكرم

الى احمد عرابى

الى مصطفى كامل

الى سعد زغلول

اتشرف بان ارفع هذه الصفحات

انور زقلمه

مقدمة المؤلف

يقول العرب ان لكل شاعر شيطانا يلهمه الشعر ، وقد صدقت هذا القول فى المدة الاخيرة اذ ركب راسى شيطان الثورة العرابية اينما سرت ولم يكن لى فسحة من الوقت للقيام بهذا العمل العظيم على وجه مرض الى ان هيأت لى الظروف فرصة مرضى فقضيت دور النقاهة اقرأ كل ما كتب عن الثورة العرابية ومقدماتها بمختلف اللغات حتى بلغ ما قرأت نيفا وثلاثين كتابا مؤلفة بعدة لغات واقلها باللغة العربية . واكثر من اربعين نشرة وجريدة — ومما حدا بى لى الكتابة فى هذا الموضوع غموض تاريخ هذه الحقبة من تاريخ مصر ، والابهام الذى لابس كل ما كتب عنها ، ثم اخيرا الاغراض التى ضيعت معالم الحقيقة من جهة اخرى .

ان هذا الكتاب هو اول كتاب كتب بصراحة تامة عن حقيقة حوادث الثورة العرابية مقدماتها ونتائجها وقد كان واجبا علينا نحن المصريين من مدة طويلة ان نظهر حقيقة اغراض الثورة العرابية والمعانى الوطنية الشريفة التى انطوت عليها تلك الحركة العظيمة وان نظهرها للملأ نقيه طاهرة بعد ان نبعد عنها — الوشايات والاغراض الاحتلالية التى حاولت ان تبعد هذه الامة عن ابطالها وذكراهم المجيدة .

ان التاريخ المصرى الحديث مملوء بالابطال المصريين فيجب علينا ان ندرس تاريخهم وندل على عظمتهم لنقدم للامة مثلا حماسيا يحتذى وان عرابى باشا هو احد هؤلاء الزعماء وسيجد القارىء فى سياق هذا المجلد كثيرا من الصفات والاعمال التى اهلت هذا البطل الى مركز الزعامة والقيادة من هذه الامة . ان عرابى وان كان قد خاب فى مساعيه الا اننا يجب ان نذكر ان خيبته لا تقلل من قيمة عمله بل اننا يجب علينا ان نكثر من درس سيرته لنعلم اسباب الفشل فنتجنبها واسباب الرقى فنأخذ بها .

***

وان اهم الادوات التى اتخذها الانجليز بعد الاحتلال للخضد من شوكة هذه الامة ان يجعلونا

نقلل من قيمة تاريخنا وذكرى ابطالنا فكتب التاريخ خالية من ذكرى الاعمال العظيمة التى اتاها الجيش المصرى فى محاربة الاتراك والفرنسيين والانجليز فى المائتى سنة الاخيرتين ثم الادهى من ذلك ان كتب المطالعة التى وضعت للنشء والاطفال محشوة بذكرى ابطال قدماء من العرب أو غيرهم ومملوءة باحاديث عن هؤلاء لا يمكن ان توحى الى هؤلاء الاطفال الا ايحاء العجز والتواكل وتنشئهم على ان يعيشوا عيشة بدأية عاجزة ونحن نريد لابنائنا حياة مجاهدة ومغامرة ترشحهم ليكونوا رجالا فى هذه الحياة لا فى حياة اخرى ونطلب اليهم ان يحيوا او يقتحموا ويموتوا فى سبيل الوطن ولكن حياة هؤلاء الابطال المملوءة بها كتب النشء تميت فى نفوسهم بذور الحياة المغامرة المجاهدة وتوجه تفكيرهم الى حياة اخرى لا تهمنا وتتطلب اليهم ان يعيشوا عجزة متواكلين لا يقتحمون ولا يجرؤن . وهؤلاء ايضا ابطال من غير جنسنا ومن غير عصرنا ونحن نريد ابطالا مصريين قبل كل شيء تتحدث عن بلائهم فى سبيل مصر لا فى سبيل الدين ، ويوحون للجيل القادم والى القراء ايحاء الحياة الجديدة للقرن العشرين لا للقرون الماضية

***

عند الانكليز كلمة مشهورة عن شكسبير قالها فيه كارليل وهى « ان شكسبير خير لنا من الهند » وهذا اكبر مدح يمكن ان يقوله انكليزى عن آخر ، ولست تجد شابا من اى جنسية اخرى لا يستطيع ان يحدثك — ويفاخرك بعظماء وطنه وامجادهم ولذا نحن لا نستطيع ان نعدلانفسنا عظماء كثيرين وذلك لا لانه ليس لنا عظماء بل لاننا لا نحب عظمائنا ولا نقدسهم لاننا لانفهمهم ولاندرسهم بل من ينظر للظواهر يظن اننا فقراء فى العظمة ...... والذنب فى ذلك يرجع الى الفكرة الدنلوبية التى حولت مناهج التعليم الى ذلك والى الاغراض التى طمست معالم التاريخ الحديث لذا كان واجبا علينا نحن ان نعيد كتابة تاريخ بلادنا على وجهه الصحيح .

واليك مثالا من البطوله المهضومة ذلكم هو « المعلم يعقوب » ١٧٤٥ — ١٨٠١ م أحد ابطالنا المجهولين الذين خدموا مصر وماتوا فى سبيلها فهذا عظيم مصرى كان يجب على كل مصرى ان يعرف تاريخه ويحترمه وكان يجب على مدارسنا المصرية ان تدرس حياته وجهاده لتلهم الشاب المصرى مثل اخلاصه وجهاده وكان يجب على مؤلفينا ان يبحثوا وينقبوا عن حياته وامثاله من ابطالنا

ويقدموا لنا عنهم الكتب التى تشعرنا باحترامهم وتوحى اليناالعمل على خدمة مصر كما خدموها ولكنك لا تجد تلميذا مصريا او مدرسة مصرية تعرف اسم المعلم يعقوب واذا اردت ان تقرأ عن حياته كتابا فانك تقرأه بالانجليزية ولم يكتب عن المعلم يعقوب بالعربية الا ترجمةمفاوضاته ومذكراته ترجمها توفيق بك اسكاروس ونشرتها مجلة مصر الحديثة سنة ١٩٢٨ م

وايضا السيد عمر مكرم قائد الشعب وبطل الحركه الاستقلالية فى عهد محمد على وقت نشر عنه كتاب من اشهر قليلة باللغة العربية .

ونحن امه نريد ان يكون وطننا عظيما وان يكون شبابنا وبناتنا عظماء ولكننا لا نحدثهم عن عظمائنا ولا نعرفهم بهم حتى نطلب اليهم ان يكونوا عظماء مثلهم وكيف يستطيع انسان ان يشعر بعظمة الوطن ويرى من واجبه الاول ان يزيده عظمة وهو لا يعرف عن عظمته شيئا بل ولا يعرف ان له عظماء ..

فهذا الكتاب يحتوى على ذكرى احد عظمائنا وهو المرحوم احمد عرابى باشا فهو احد الابطال الذين يجب ان يكتب تاريخهم وان يدرس باتم عناية خصوصا ان لهذا البطل ظروفا خاصة تجعل من الصعب تدوين تاريخ حياته وهى :

١ ـــ قرب عهد الحوادث ووجود كثيرين من اقارب الذين لابستهم الحوادث لا يرغبون فى اعادة هذه الذكرى

٢ ـــ الاحتلال الذى هبط علينا كالكابوس وغير من عقائد الافراد الوطنية وساعد ضعاف النفوس على التزلف للمحتلين باختلاق الاكاذيب على تلك الحركة الوطنية الشريفة

٣ ـــ الاوهام التى لابست الانخذال والنتيجة المرة التى انتهى اليها امر الحركة

ولذلك كان من اهم ما حدا بى للكتابة فى هذا الموضوع ان ازيل ما علق بالاذهان من افكار السوء عن هذا البطل الوطنى العظيم ، يجب ان اذكر هنا ان عرابى كان رجل الوطنيةالمصرية ويكفيه فخرا انه كان اول من تكلم عن القومية المصرية فى التاريخ الحديث وان سعد زغلول كان احدالشبان الذين اعتنقوا مبادئه وسجنوا من جراء مشايعتهم له

وليس يعيب عرابى انه التجأ لتحقيق اغراض الامة وأمانيها الى الثورة فان اعظم دولة على الارض الان (الولايات المتحدة) انما ولدت فى عهد الثورة وانه لولا هذه الثورة لمانشأت الولايات

المتحدة بل كانت تكون عندئذ امة مستعمرة مثل الهند واستراليا ــ وهذا واشنطون زعيم هذه الثورة كان خصما للانجليز فاصبح الآن حتى عندهم بطلا يحترمونه ويعرفون له مكانته العليا من التاريخ وهذه ايطاليا امة حديثة ناهضة يرجع تاريخها الى ثورة ويبتدىء منها فقط . اما قبل ذلك فقد كانت ايطاليا تحمل عبئا ثقيلا يرهقها من الاستعمار النمسوى . وكانت امة متأخرة يتسلط عليها الاجنبى فلما ولدت ميلادها من الثورة شرعت تدخل فى عداد الامم الراقية

وكذلك الحال فى فرنسا واليونان والصين وعشرات من الامم ارهقها ظلم الاستبداد أو الاستعمار فهبت للمقاومة ترتكز على ركن ركين من الشعب تنطق باسمه وتتكلم بلغته وتنادى بأمانيه . وكان لكل من هذه الامم ثورات تشترك جميعها فى مبادىء وتقاليد كأنها القواعد وهى : الحرية للشعب فى عمله وتفكيره ، ومحو الاستبداد ، او الاستعمار والغاء الامتيازات التى تتمع بها احدى الطبقات تمتعا يضر بافراد الشعب وينقص حقوقهم ، وهى الدعوة الى النور بافشاء التعلم وكفالة حرية الاعتقاد واطلاق الاقلام للناس جميعا

وثورتنا فى سنة ١٨٨٢ م هى احدى الثورات الشريفه التى تكتب فى تاريخ البشر لمجد الانسانية وفخر الامة المصريه وهى تجرى على نسق الثورات العظمى التى خطت بالامم المتمدنة خطوات نحو الرقى ولها تقاليدها ومبادئها وقواعدها النبيله

نشأت ثورتنا لاستبداد طبقة من الاجانب الذين كانوا يحتكرون وظائف الضبط والقيادة دون المصريين فى الجيش . فارتكزت من الشعب على ركن ركين . ومن ثم صارت ترتقى حتى أصبحت حركة شعبية تكافح استبداد المستبدين من الملتفين حول الخديوى توفيق وتلح فى طلب الدستور وقد كان زعيمها فلاحا يتكلم باسم الشعب ويعرب عن أمانيه لم يجمع لنفسه ثروة ولا سكن قصرا ولا عرف لذة الاستئثار بتلك الامتيازات التى تروى عن عظماء الشرق مع قدرته عليها لانه كان فلاحا فى مزاجه وسذاجة ايمانه . وهو من حيث الامانة والولاء للأمة التى نصب نفسه لخدمتها لا يختلف عن واشنطون أو مازينى .

لقد كان عرابى يدعو الى الدستور والى أن يكون لنواب الشعب الرقابة على ميزانية الدولة . وكانت الحكومة تنكر عليه وعلى الأمة هذا الحق . ومن ورائها دولة الاستعمار بريطانيا تدفعها الى

هذا الانكار لـكى يتفتح لها باب التدخل فى شؤوننا والاشتباك معنا فى حرب يعقبه احتلالها البلادنا وقد كان ان انخدعت حكومة الخديو وانساقت فى الطريق الذى رسمه لها الاستعمار البريطانى فكان ضرب الاسطول الانكليزى للاسكندرية سنة ١٨٨٢ بداية عهد الظلام

ولو اننا نجحنا فى ثورتنا سنة ١٨٨٢ ولو أن الدستور الذى الفنا به مجلس النواب بقى الى الان ولو ان المبادىء التى تضمنها هذا الدستور من نشر التعليم العام الى ضمان الحرية الشخصية . قد عمل بها لـكان لنا أن نقول إن الثورة العرابية كانت اكبر خطوة خطتها البلاد نحو الرقى .ولـكن الضعف والاستبداد ومطامع الاستعمار الأنجليزى كل أولئك تحالفوا معا على قمع هذه الثورة الشريفة .

وهى مع ذلك فى مبادئها وقواعدها وتقاليدها وشرف زعيمها لاتقل عن أية ثورة أخرى وان اختلفت عنها فى النتيجة التى يجب علينا ان نعمل على تغيرها باجلاء العدو الغاصب عن البـلاد وتحقيق الحرية والعدل لابناء الشعب . ولـكن علينا قبل ذلك أن نزكى الثورة وزعيمها عرابى . هذا الزعيم الذى أخلص للشعب وجاهد فى سبيل حريته ثم قضى الاستعمار على أمانيه ونفاه عن بلاده .

« * »

وأما مصادر هذا الـكتاب فهى عدة سأذكرها فيما يلى انما يجب أن ألاحظ هنـا أن القارىء سيجد فى هذه المصادر اراء مختلفة اختلافا بينا وذلك تبعـا للروح التى بعثت الكاتب على الـكتابة.ففريق ممن كتبوا عن الحركة العرابيه غمطوها حقها تماما وأخرون مدحوها اكثر مما تستحق انما يوجد الى جانب هذا كتب حررت باراء محايدة واكثرها باللغة الأنجليزية . ومما يؤسف له أن اكثر هذه الـكتب لم يترجم ولم ينشر فى مصر الا القليل منهـا واننى لارجو أن يقوم يوما ما أحد الـكتاب بترجمة بعض أو كل هذه الـكتب لاهميتهـا بالنسبة لمصر خصوصا فى العصر الحالى. ومما يؤسف له أيضا أمران :—

١ — أنا اكثر مذكرات وكتب رجـال الحركة العرابية لايزال منسوخات محفوظة فى اطمار كاتبيها لم تر الشمس شيئا منها بعد للانتفاع بها أو أجزاء من مذكرات نشرت لظروف خاصة ومنها الجزء الأول من مذكرات عرابى ثم كتابات أنجاله فى الصحف والمجلات .

٢ — جهلى باللغة التركية اذ بقيت لدى مصادر عديدة عجزت عن تفهمهـا ولم يسعفنى الحظ

بمواطن يحسن لغة الاتراك فبقيت لدى دون أن أستعين بها .

ومصادر الكتاب بدون تعليق عليها هى ما يأتى :

١ — الجزء الأول من مذكرات عرابى .

٢ — المسألة المصرية لصموائيل بيكر سنة ١٨٨٤ لندن

٣ — تاريخ العصر الحديث لمحمد صبرى

٤ — مصر فى عهد الاحتلال الانجليزى والمسألة المصرية (هنس رونز)

٥ — بريطانيا فى مصر (ميجر نيومان) تعريب الاهرام ١٩٣٠ مصر

٦ — مصر الحديثة (اللورد كرومر)

٧ — المسألة المصرية (مصطفى كامل)

٨ — مصر فى للمصريين (سليم نقاش)

٩ — مفاوضات الانجليز بشأن المسألة المصرية (أمين الرافعى)

١٠ — رسائل مصريه لسياسى انكليزى كبير

١١ — مصر القرن التاسع عشر (الصالح جودت)

١٢ — فى سبيل الاستقلال (مصر وانجلترا) من عهد محمد على الى الملك فؤاد بقلم روجيه لابلان (تعريب ميخائيل بشاره داوود)

١٣ — الاثر فى تاريخ الخديوى توفيق (جرجس ميخائيل نحاس)

١٤ — مذكرات ادوارد بالمراستاذ اللغات الشرقية فى جامعة كمبردج وقد طبع بعضها .

١٥ — مذكرات كبتن جل وقد نشر بعضها ضمن كتاب مستر بلنت .

١٦ — حوليات مصر السياسية بقلم (شفيق باشا)

١٧ — خراب مصر (مسيو تيودوررودنستين) ونشر به فى مصر سنة ١٩٢٣ لجنة التأليف والترجمة والنشر تعريب) عبد الحميد العبادى ومحمد بدران

١٨ — انكلترا فى مصر (لورد ملز)

١٩ — الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث (ميخائيل شاريم)

٢٠ — عرابى باشا بقلم جون نينيه نشر فى لندن سنة ١٨٨٤

٢١ — مصر كما هى مسيو ماك كون .

٢٢ — كيف دافعنا عن عرابى واخوانه (برودلى) لندن سنة ١٨٨٣

٢٣ — تقرير بعثة كيف

٢٤ — مسيو فريسينيه (المسألة المصرية)

La Question Egyptienne

٢٥ — الأنجليز والفرنسيين فى مصر (اشيل بيوفنس)

Francais et Anglais en Egypte Par Acbille Biovés

٢٦ — المركز الدولى لمصر والسودان **La Situation Internationnale**

De I Egypte et du Sudan Par-Iules Cecharis

٢٧ — مجموعة المؤتمر المصرى **Congrés Netional Egypteienne**

٢٨ — مصر فى عهد الخديوى اسماعيل (بقلم الياس الايوبى)

٢٩ — **Gorguis Egyptonnes Par V de Kbonsky**

٣٠ — مصر — الحكام الوطنيين والتدخل الاوربى (للبارون دى فلورسى)

٣١ — **Imqressions de Voyage Par le Chilne**

٣٢ — **The Secrt History of the English Occbupatiou**

Par W,S, Blunt

وقد ترجم هذا الكتاب الاخير وكان له اكبر اهمية وأعظم مصدر انتفعت به خصوصا مقدمته البليغه التى كتبها الاستاذ عبد القادر حمزة محرر البلاغ القراء

وفى ذيل الترجمة مذكرات لعرابى نفسه والشيخ محمد عبده وغيرهم (نشر فى مصر عن مطبعة البلاغ سنة ١٩٢٨) .

وليست كل مصادرى من الكتب التى ذكرتها فقط فان كثيرا من المذكرات الخاصه ومقتطفات الجرائد كانت ذات اهمية عظمى لدى وايضا مثل كتابات انجال عرابى مقال نشر فى جريدة كوكب الشرق عدد ٢٤ سبتمبر سنة ٩٢٨ م بقلم الاديب ابراهيم فؤاد حمدى ومجموعة من مذكرات ورسائل كتبت فى ذلك الحين عثرت عليها فى مكتبة قديمة واكثرها كما ذكرت باللغة التركيه

واود ان الفت النظر الى اننى بعد ان فرغت من هذا الكتاب اخذت جريدة البلاغ الغراء تنشر تباعا فى الذكرى السنوية لضرب الاسكندريه ملاحق خاصة قيمة جدا عن الثورة وحوادثها وتابعها فى ذلك بعض الزميلات الغراوات مثل كوكب الشرق والجهاد وعلى ضوء هذه الملاحق وخصوصا اعداد البلاغ اعدت كتابة فصول كامله من هذا الكتاب

واثناء طبع هذه الرسالة صدر كتاب قيم عن الثورة العرابية بقلم الزميل الاستاذ عبد الرحيم بك الرافعى المحامى

واننى ارجو ان يحوز كتابى هذا رضاء القراء
وأن اكون قد اديت به خدمة نحو بلادى وابناء وطنى
وأن يكون فيه نفع لمصر والمصريين

المؤلف

انور زقلمه

الفصل الاول

من محمد على الى اسماعيل

ان الحوادث التى ادت الى وصول محمد على الى الاريكة المصرية معروفة عند القراء . فقد تمكن بتحالفه مع عثمان البرديسى زعيم المماليك من عزل الوالى سنة ١٨٠٣ م ثم صدر فرمان توليته فى ٩ يوليه سنة ١٨٠٥ وبهذا تمكن محمد على من تذليل جميع الصعوبات والوصول الى ولاية الحكم فى مصر وفى أواخر ايام حكمه مرض فتولى العرش ابنه ابراهيم ثم تلاه عباس الاول سنة ١٨٤٨ — ١٨٥٤ وقد ختمت حياته بقتله فى قصره بينها فطويت بموته صحيفة سوداء فى تاريخ مصر .

واتفقت كلمة اتباع عباس على استدعاء ابنه الهامى من اوروبا لتوليته عرش مصر ومنع سعيد اكبر اولاد محمد على عن الولاية ولو بالقوة فعلم سعيد وهو بالاسكندرية بما عزموا عليه فذهب الى رأس التين واعلن نفسه اميرا على البلاد وعاد الى القاهرة ودخل القلعة واتم رسوم التولية .

وكانت ولاية العهد من بعد سعيد الى الامير احمد رأفت ولكن المقادير كانت تهىء العرش لاسماعيل فمات الامير احمد غرقا عند كفر الزيات فاصبح اسماعيل بعد وفاته وليا للعرش ولم يلبث ان اعتلاه فى ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ .

عصر اسماعيل الذهبى (١)

اسماعيل هو أول من لقب من عائلة محمد على بلقب « خديوى » وهو الذى نقل مصر من طور التحضير الى مصاف الدول العظمى والمنشىء الحقيقى لمجد مصر وحضارتها ويمتاز اسماعيل عمن سبقوه من الولاه بأنه كان مصرى النزعة عمل لرفعة شأن مصر وكان جريئا فانتشلها من ظلمات العصور الماضية الى النور

وقد عمل اسماعيل على تغيير عقلية الاهلين بما ادخله فى حياتهم البيتية من عادات معيشية غربية

---

١ — راجع مصر فى عهد الخديوى اسماعيل « بقلم الايوبى »

وبما ادخله على الطرق المعمارية القديمة من تجديد فابطل المنازل القديمة ذات الاسوار العالية والمشرفيات المظلمة التى لا تدخلها الشمس وحلت محلها دور نخمة بسيطة وصحيه هذا فضلا عما شقه من شوارع وما فتحه من ميادين .

وهاجم اسماعيل العقلية الاجتماعية التى كانت تعتبر حتى ذلك الحين جزءا لا ينفصل عن العقيدة الدينية فهاجم الملابس والازياء واقدم مصمما على ادخال البذلة الغربية واغرى المصريات ايضا على تغيير ملابسهن القديمة وارتداء الملابس الاوروبية مقلدين رجال السراى وحريمها « الناس على دين ملوكها » وبذا دخل الحياة الاجتماعية عصر جديد للرقى اقدم عليه المصريون بحماسة وانشأ اسماعيل اتماما لعمله الاجتماعى مجتمعات القاهرة الليلية ببنائه دارى الاوبرا وتياترو الكوميديا فبدأ الناس يغشون السهرات الليلية غادين رائحين فى العربات التى كان قد بدأ لاول مرة عهد استعمالها فى ذلك الحين . وهكذا غزا اسماعيل الافكار الاجتماعية المصرية وادخل فيها روحا جديدة .

***

ومن الوجهة السياسية سمت الفكرة المصرية ونمت الروح القومية وانفصلت عن القوميه التركية والاسلامية التى كانت شائعة فيها حتى عهد اسماعيل وبارتقاء المعارف والعلوم تمكن عدد كبير من المصريين من تهذيب افكارهم بالاطلاع على المؤلفات الغربية فظهر فى هذا العصر اكبر عدد من اعلام السياسيين المصريين المحترفين الذين كانوا محور سياسة القرن الماضى ومركز دائرة السياسة المصرية فى نهاية القرن التاسع عشر .

ويمكن حصر عوامل ارتقاء مصر سياسيا فى عدة اسباب نجملها فيما يأتى :

١ — شعور المصريين بالعزة القومية وبحياة الكرامة نتيجة للترف والحضارة اللذين اعتادوهما ايام اسماعيل .

٢ — احتكاك المصريين بالحياة الغربية لاول عهدها بكثرة ورود — العائلات الاوروبية التى قدمت للعيشة فى مصر .

٣ — مجهودات اسماعيل السياسية فى سبيل الحصول على الاستقلال وتكوين امبراطورية شاسعة الارجاء وتوسعه فى فتوحاته فى افريقية .

٤ — نوايا اسماعيل الدستورية والديمقراطية بتنازله عن جزء من سلطته الواسعة فى ميدان التشريع وربط الضرائب بانشائه اول مجلس نيابى

٦ — تأثير عدد كبير من الادباء والكتاب الشرقيين الذين وفدوا الى مصر فى ذلك العصر هاربين من وجه الظلم ملتجئين الى مصر بلاد الحرية الفكريه فى ذلك العهد امثال جمال الدين الافغانى واديب اسحق السورى .

بعد أن وثق اسماعيل من قدرة المصريين على الحياة الجديدة التى اعدها لهم اقدم على اهم حادث قام به وهو تخلص مصر نهائيا من سيادة تركيا فقطع كل علاقة معها الاعلاقة الجزيه .فنظم الجيش المصرى وزاد وحداته وقوى اسطوله وجعل كلمات النظام العسكرى كلها عربيه وطردت التركيه نهائيا من جميع مصالح الحكومة واصبح كل شىء فى الواقع يدل على عزم الخديوى على قطع علاقاته بالباب العالى وفصم عرى كل صلة تربط مصر بالسلطة العثمانية وكانت الظواهر كلها تنذر بقرب حدوث ذلك « ١ »

‹ • ›

كانت الجرائد والصحف الفرنسية تهتم جدا بحوادث مصر فكانت تخص جزءا من وقتها لبحث أخبار هذا النزاع بين مصر وتركيا وكان المصريون يهتمون جدا ويتوقون لمعرفة هذه الاخبار والتعليق عليها كما ذكرت جريدة « البروجرية اجبسين «٢» وقد استنتجت هذه الجريدة (٣) من ذلك أن الرأى العام المصرى قد بدأ يتكون

وانشأ اسماعيل مجلس النواب المصرى فى أوائل سنة ١٨٦٦م وأجتمع لأول مرة فى ١٩ نوفمبر. وفى عهده صدرت اول جريدة مصرية عربية سياسية.فقد كانت الوقائع الرسمية التى انشأها

١— راجع تاريخ مصر المالى

٢ — يوجد فى دار الكتب الملكية مجموعه من هذه الجريدة « ١١ يوليه سنة ١٨٦٨ — الى ١٤ مايو سنة ١٨٧١ م

٣— راجع عدد ١٥ سبتمبر سنة ١٨٦٩ م

محمد على سنة ١٨٢٨ لا تزال تظهر وكانت الحكومة ايضا تقوم بطبع مجلتين غيرها احداهما طبيه هى « يعسوب الطب » (١) والاخرى ادبيه (روضة المدارس) وظهرت وادى النيل (سنة ١٨٦٦ م) فكانت كما ذكرنا اول جريدة سياسيه اصدرها مصرى (عبد الله ابو السعود) بدون مساعدة الحكومه له واقفلت سنة ١٨٧٨م بموت صاحبها

وانشأ الكاتبان الشهيران (ابراهيم المويلحى) و(عثمان جلال) بعد ذلك صحيفة سياسية ثانيه (نزهة الافكار) سنة ١٨٦٩ م لكن عمرها قصر فلم تعش طويلا (٢)

ومن ذلك الحين كثر صدور الصحف السياسيه والهزليه ونشأ التخصص فى الصحافه فكانت تصدر صحف خاصه باغراض خاصة كالتجارة والطب وغيرها . وتنازل اسماعيل مختارا عن جانب من سلطته الى الامة ليشد من روحها القوميه فامر بتشكيل وزارة مسئولة بخطاب الى نوبار باشا مؤرخ فى ٢٨ اغسطس سنة ٨٧٨ م ثم كانت شدة اسماعيل السياسيه فى اواخر حكمه فقام داخل مجلس النواب المصرى أول حزب سياسى منظم وجد فى الشرق فى التاريخ الحديث «الحزب الوطنى» (٣) يعارض فى التدخل الاجنبى وذكرت جريده التيمس «٤» انه لم يعد مجلس النواب موضع سخرية واحتقار فان اعضاءه قد اثبتوا مرارا أنهم على جانب عظيم من الجاه والاستقلال فقد ذهب رياض وزير الداخلية الى المجلس ليختم دور انعقاده رسميا ولكنه لم ينجح فى تمثيل دور (اوليفار كروموبل) لأن المجلس رفض اقتراحه وقام أحد النواب « عبد السلام المويلحى زعيم المعارضة فى المجلس » وصرح باسم البرلمان بان أعضاءه لم يعملوا شيئا وان مهمة الاشراف على أعمال الوزارة لاتزال امامهم وهذا يدعوهم الى البقاء وايده زملاؤه بالاجماع والتفوا حوله التفاف النواب الفرنسيين حول ميرابو فى فرساى «ولم يكتف المجلس بذلك بل أرسل للوزير خطابا يطلب فيه اطلاق حرية المطبوعات وفرض الضرائب

---

١ — كان يحررها الجراح الشهير على البقلى سنة ١٨٦٥

٢ — راجع تاريخ الصحافه العربيه الفيكونت طرازى طبع بيروت سنة ٩١٤

٣ — وهو غير الحزب الوطنى الحالى

٤ — راجع عدد ١٦ ابريل سنة ١٨٧٩ وراجع ايضا تاريخ العصر الحديث ص ١٦٦ ، ١٦٧

على الاجانب كغيرهم من الاهالى «١» وختم اسماعيل باشا أعماله فى مصر باصدار لائحة مجلس شورى النواب مشتملة على أرقى القواعد الدستورية التى تناسب العصر الحاضر وأهمها الحصانة النيابية وسلطة المجلس فى اقرار القوانين وعضوية نواب السودان ! ! والمسئولية الوزارية ومحاكم الوزراء امام المجلس ! «٢»

« * »

اذن يمكن تلخيص أعمال اسمـــاعيل المجيدة التى قام بها لينقل بلاده فعلا الى أعلى درجات المجد والحضارة فيما يأتى :

١ — هدم نظام المعيشة القديم لينشىء على انقاضة نظاما جديدا راقيا

٢ — أثر فى عقلية المصريين الاجتماعية ورقى أفكارهم ووحدها

٣ — أوجد باعماله الرأى العام المصرى .

٤ — أوجد حركة فكرية واسعة فى البلاد بتغييره مجارى الوراثة من الارشـد . فالارشد فى أسرة محمد على الى الابن البكر فالابن البكر من ذريته

٥ — وبعد أن أزال صفة الوالى الوضيعة وبدلها بصفة الخديوية الرفيعة أزال جزءا كبيرا من السلطة التجاوزية التشريعية والتنفيذية التى أوجبها فى البلاد نظام الامتيازات

٦ — ونقل الحدود المصرية نحو الجنوب الى مايقرب ١٥ درجـة ونحو الغرب والشرق الى مايقرب من درجة ونصف .

٧ — استخلص القومية المصرية من شيوعها فى القومية التركية والعربية .

٨ — أوجد النظام البرلمانى والدستورى فى البلاد .

٩ — أوجد عند المصريين التسامح وكرامة نفسية بتعويدهم معيشة الترف والكماليات

١٠ — اوجد عند المصريين التسامح فسهل عليهم قبول الافكار الغربية حتى التى كانت كما

---

٢ — راجع جريده الوطن عدد ٥ ابريل سنة ١٨٧٩ م

٣ — راجع جريدة الوطن عدد ٤ يونيه سنة ١٨٧٩ م

يظن تتعارض مع عواطفهم الدينية .

١١ — نظم التعليم ووضع بذرة الثقافة فى البلاد ونظم القرى وحسن القاهرة وشيد قصوره فيها فكانت مثلا حسنا ينقل عنه الناس واقام دور الاثار وجمع فيها شتات نفائس تراث الاجداد .

١٢ — آخر وأهم أعمال اسماعيل المجيدة أمره فى أول يناير سنة ١٨٧٦ م باستبدال التاريخ القبطى الذى كن معمولا به فى دوائر الحكومة الرسمية بالتاريخ الغريغورى المعمول به فى جميع الدول الاوروبية .

وبهذه الأعمال وغيرها جعل اسماعيل بلاده جزءا من أوروبا حقيقة لا مجازا كما كان يحلو له أن يقول دائما

الفصل الثانى

التدخل الاوروبى

اصبع الشيطان (١)

يجب أن نرجع قليلا الى الوراء أى الى عهد الحملة الفرنسية على مصر فنذكر أن كل تدخل أوروبى فى شئون مصر منذ ذلك العهد كان بزعامة انكلترا وذلك للقضاء على كل قوة تقوم لتنظيم الديار المصرية. فانه من يوم ان قال نابليون « ان من أراد أن يضرب انكلترا فى الهند فطريقه من مصر » والسياسة الانجليزية لم تفتر لحظة عن مطاردة كل اصلاح فى هذه الديار.

تخلصت انكلترا من الاحتلال الفرنسى ولكنها لم تلبث أن وجدت حكم محمد على ينمو فى البلاد وعلم ذلك الرجل العظيم أن البلاد لن تتخلص من شرورهم الا بالتغلب عليهم حربيا فهزمهم عند رشيد سنة ١٨٠٧ م — وبذا أمن جانبهم جنبا من الدهر. ولكن عينا انكلترا لم تناما عنه فلم يكد يقع الشقاق بينه وبين الباب العالى حتى تدخلت انكلترا عام ١٨٣٣ (وكانت تخشى من امتداد نفوذه الى طريق الهند من السويس الى الفرات» لمساعدة تركيا والتغلب عليه. وفى سنة ١٨٣٨ كانت قوة مصر قد عظمت فاراد محمد على ان يعلن استقلاله وينتهى من مشاكله مع الباب العالى فقامت انكلترا ضده وعملت جهدها وبثت عيونها تخلق الفتن والدسائس والثورات ضد حكمه فى لبنان والشام. وفى ذلك الوقت كتب اللورد بلمرستون وزير خارجية انكلترا يقول : « ان مصلحتنا فى ان يسترد السلطان سوريا بل مصر. ! .. » وكتب ايضا سفير انكلترا فى الاستانه اذ ذاك يقول : « اذا كان النصر فى الحرب حليف محمد على ضد السلطان فان تسمح له انجلترا باجتناء ثمرة واحدة لانتصاره ... » وكانت نهاية اعمال انكلترا عقدها مع الاول معاهدة لندن « ١٥ يوليو

---

١ — راجع مقالات للمؤلف نشرت فى جريدة النظام بالعنوان السابق فى الاعداد من تاريخ ١٥ يونية سنة ١٩٢٥ والاعداد التالية

سنة ١٨٤٠ م » واهم نصوصها . ! — الزام محمد على بارجاع مافتحه من بلاد الدولة العليه لها . وله ان يحتفظ لنفسه بالجزء الجنوبى من الشام الشامل لولاية عكا .

٢ — ان يكون لانجلترا الحق فى محاصرة فرض الشام ....

وفى مادة خاصة اشترطت الدول بانه اذا خضع محمد على لرأيها فى مدة عشرة ايام اعطته ولاية عكا مدة حياته ،واذا لم يخضع فى مدة عشرة ايام اخرى عادت الدول الى النظر فى الامر من جديد

ودارت الحرب بين محمد على الذى لم يخضع لهذه المعاهدة وتركيا والدول المتحدة ضده واحجمت فرنسا عن مساعدة محمد على بعد سقوط وزارة تييرس ،وتلاشى جيش ابراهيم فى سوريا وسقطت عكا فى ايدى الانجليز وبعد سقوطها ابحر الاسطول الانجليزى الى الاسكندرية لتهديد محمد على فعلم انه لن يقوى على مجابهة اعدائه فخضع وبذا اصبحت بل عادت مصر ولاية تركية ضعيفة مرة اخرى

وكانت الاحوال بعد ذلك لاتستدعى تدخل الدول فقد كان عباس ضعيفا — والبلاد خاملة وكان الانجلز راضين عنه ، وتلاه سعيد ولم تكن سياسيته تهول اوربا الا انه لما ولى اسماعيل العرش وسطع نوره فى الافاق وقامت مصر لتشغل مكانها بين الدول العظمى وسارت جحافلها تحتل شواطىء البحر الاحمر وتتوغل فى السودان والحبشة وفتحت فى عهده قناة السويس تنبهت انكلترا من غفلتها واستعدت من جديد لتمثل مع الحفيد ما مثلته مع الجد ولتكيل له بنفس الكيل ففازت بامانيها وحرمت مصر من مصدر قوتها بعزلها للخديو اسماعيل سنة ١٨٧٩ م وتداخلها فى شئون البلاد المصريه من ذلك التاريخ الى قبيل يومنا هذا

التدخل فى عهد اسماعيل

بدأ التدخل فى الشئون المصريه بعجز مصر عن سداد ديونها فتذرعت الدول الاوربيه بذلك وعلى رأسها انجلترا «١» وأخذت تضع العراقيل فى وجه اسماعيل ونازعته الطريق شبرا بشبر حتى

---

١ — لما وطدت انكلترا العزم على الجرى فى الشئون المصرية دخلت فى مزاد شراء أسهم الحكومة المصريه فى قناة السويس وارسلت لوزارة المالية المصرية تقول انها مستعدة لتزيد على اكبر مزاد يرسو على هذه الاوراق وفعلا تمت لها الصفقة بربع قيمتها الحقيقيه

اجبرته على ترك الميدان ولما كان كل غرضها ان تتخلص من اسماعيل نفسه فبعد ان سلم لها بأكثر طلباتها وقبل ادخال وزيرين اوروبيين فى الوزارة المصريه اوعز اللورد سلسبورى الى الحكومة الالمانية فارسلت الى الخديوى نصيحة على شكل مذكرة وقدم السر فرنك لاسلس مذكرة اخرى قال فيها « ان الحكومة الفرنسية والحكومة الانكليزية اتفقتا على ان تنصحا لسموكم بالتنازل عن منصب الخديويه ومبارحة مصر »

وبذا ابتدأ تدخل الدول لا بل انـكلترا فى الشئون المصرية فى عهد اسماعيل كما قالت التيمس فى اوائل اغسطس سنة ١٨٧٨ وأخذ تدخلها شكلا حاسما فى مايو سنة ١٨٧٨ وبلغ حده الاقصى بخلع اسماعيل و نفيه عن بلاده.

الفصل الثالث

عصر الخديوى توفيق

جلوس توفيق على العرش .

كتب المستر لابرلى يقول (١) فى اليوم السادس والعشرين من شهر يونيو سنة ١٧٨٩ حوالى الساعة العاشرة صباحا كانت تمثل رواية غريبة فى سراى عابدين : ففى الطبقة العليا كان الخديوى اسماعيل يحتج بشدة على احد مكاتبى الصحف الذى كان يحاول اقناعه بالتنازل عن العرش لكى يتخلص من الخلع الذى كان يعلم المكاتب ان الخديوى مشرف عليه وبينما كان هذا الفصل يمثل فى الطبقة العليا كان هناك اضطراب وارتباك فى الطبقة السفلى حيث كان الوزراء ورجال المعية يفحصون تلغرافا فى غلاف مختوم وقد كتب عليه « الى اسماعيل باشا خديوى مصر سابقا » فكان كل من يتناوله منهم ينفضه من يده كأنه عقرب او جمرة نار مضطرمة ويعتذر بان عليه مهمة يقضيها فى مكان آخر . واخيرا قال رئيس التشريفات مخاطبا خيرى باشا امين الاختام « ان من اختصاص مهمتك أن تقدم هذا التلغراف الى سموه » فاجاب هذا قائلا انا ؟ كلا . انها مهمة الوزراء ، وقال ذلك وانسل خارجا واخيرا جاء شريف باشا فاخذ التلغراف ودخل به على الخديوى بعد انصراف المكاتب من لدنه وقد تغيرت ملامح اسماعيل قليلا عند ما قرأ التلغراف واغمض عينيه هنيهة ثم فتحها وكرر قراءة التلغراف بصوت مسموع كما يلى :

« عليكم بالامتثال لامر صاحب الجلالة السلطان وتنازلوا عن الخديوية لصاحب السمو توفيق باشا خديوى مصر » ثم طوى الرسالة باعتناء وقال : استدعوا صاحب السمو توفيق باشا حالا وهذا كان كل ما فاه به وظل ينتظر هادئا .

وفى نفس الوقت وصلت برقية اخرى الى سراى الاسماعيلية حيث كان توفيق باشا يعيش

---

١ ـــ راجع بريطانيا فى مصر بقلم الميجر نيومان تعريب الاهرام .

مستكنا فى عزلة وقد كتب العنوان على الغلاف « الى صاحب السمو محمد توفيق باشا خديوى مصر »
ومما لاريب فيه ان هذه البرقية لم تحدث الارتباك الذى حدث فى سراى عابدين ولم يتردد احد فى أمر
توصيلها بل كانوا جميعا يتبارون فى الحصول على ذلك الامتياز العظيم .

وعند ما وصل شريف باشا كانت المركبة واقفة عند باب السراى وركب فيها الاثنان وسارت
بهما الى عابدين ــــ وكان اسماعيل منتظراً فى القاعة الشمالية المستطيلة جالسا مفكرا على متكأ فى
طرف الغرفة المقابل للباب ــــ ، فحالما فتح الباب نهض واقفا وتقدم نحو توفيق ورفع يديه وقبلهما
وقال : انى اقدم واجب التحية لافندينا ....

ثم وضع يديه على كتفه وقبل وجنتيه وهو يقول « انى اؤمل ان تكون اسعد حظا من ابيك »
وبغير ان يضيف الى ذلك كلمة واحدة برح الغرفة ودخل دائرة الحريم وظل توفيق باشا الاول خديوى
مصر واقفا وحده .... وكان اسماعيل أول من كتب اسمه فى سجل تشريفات الخديوى الجديد .
وفى مساء ذلك اليوم اطلقت المدافع من القلعة ايذانا بجلوس الخديوى توفيق .

وفى اليوم الاخير من شهر يونيو من تلك السنة ابحر اسماعيل على يخته المحروسة مغادرا مصر
وكان ملك ايطاليا قد اعد له قصرا فى نابولى ليقيم به وعندما اقلعت المحروسة وبرحت ميناء الاسكندرية
انزل الستار على الفصل الاول من الرواية المصرية فى القرن التاسع عشر .

***

توفيق فى حداثته :

ومحمد توفيق باشا الخديوى هو أكبر انجال الخديوى اسماعيل ولد فى مصر سنة ١٨٥٢ وادخله
والده مدرسة المنيل وسنه تسع سنوات فبقى فيها مدة طويلة نال خلالها قسطا وافرا من العلوم والمعارف
وهو كما يقرر الايوبى بك فى كتابه عن عصر اسماعيل اقل اخوته ذكاء . وكان والده لا يميل كثيرا
الى ان يخلفه توفيق على العرش بل كان يفضل عليه اخوته ولكن لكونه حصر حق الولاية فى
الاكبر من نسله فقد وصل توفيق الى العرش . وفى سن التاسعة عشر تولى توفيق فى حياة والده
رياسة المجلس الخصوصى وتقلد نظارة الداخلية والاشغال ورياسة الوزارة . ولما بلغ الحادية والعشرين

من عمره تزوج بكريمة المرحوم الهامى باشا بن عباس باشا الاول ومازال توفيق يتولى المناصب فى عهد والده حتى ارتقى عرش الخديوية المصرية فى ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ م كما تقدم.

والواقع ان خلع اسماعيل الذى اشارت به انجلترا وفرنسا على تركيا قد مكن نفوذها فى هذه البلاد.

وكانت سياسة اوروبا فى ذلك الحين بعد عزل اسماعيل مساعدة تركيا على استرداد امتيازاتها فى مصر التى كانت قد اصبحت من الدول المهمة فى سياسة البحر الابيض المتوسط فلما صدر فرمان تولية توفيق انقصت كل الامتيازات الممنوحه لوالده فى فرمان سنة ١٨٧٣ وقيدت حقوق مصر وربطت بمصلحة الدول الاجنبية حتى قال « مسيو وارنجتين » وزير خارجية فرنسا الى سفيره فى الاستانه فى ذلك الحين فى احد رسائله « من ذلك الوقت وضعت امتيازات مصر تحت حماية فرنسا وانجلترا» (راجع فرمان الولاية ص ٢٣٣ جزء ٢ من تاريخ مصر لزيدان)

سياسة الخديوى توفيق.

فى الواقع ان الخديوى الجديد مدين بارتقائه العرش قبل الاوان لسياسة انجلترا وفرنسا ولذا كانت سياسته دائما وفاق ما يأمر به ممثلو تينك الدولتين (راجع كتاب مصر للمصريين لمؤلف مجهول صدر فى لندن سنة ١٨٨٠) وبينما كان والده يميل الى وضع سلطة الحكم فى ايدى الاكفاء من المصريين كان الخديوى الجديد يميل بكليته الى العنصر الاجنبى وخاصة الشركسى فلم يمض طويلا على ارتقائه العرش حتى خرج جميع المصريين من اهم الوظائف وحل محلهم جماعة من الاجانب.

وكان شريف رئيس الوزراء قد استقال كالعادة عند تغيير الجالس على العرش فثبته عليه توفيق..

وكان شريف معارضا فى قبول الوزارة (٣ يولية سنة ١٨٧٩) الا اذا قبل الخديوى ان يمنح البلاد دستورا ومجلسا للنواب تتقرر امامه المسئولية الوزارية فقبل الخديوى المبدأ الدستورى فوضع شريف اللائحة ـــ الا أن الدولتين (انجلترا وفرنسا) رأتا فى ذلك تنمية لروح يريدان قتلها فاوعزتا

للخديوى ليرفض اللائحة .

استقال شريف فى ٨ اغسطس سنة ١٨٧٩ لانه كما قرر القنصل البريطانى فى مصر „ فرنك لاسيل „ انه كمصرى يأسف للعودة الى الحكومة الشخصية التى يعتبر حكمها نكبة حقيقية على البلاد (١) ....

***

الف الخديوى وزارة جديدة تحت رياسته (٢٦ اغسطس) اخذت فى حكم البلاد حكما شخصيا حتى يعود رياض باشا من اوروبا ليتولى الرياسة ومن ثم سارت وزارة رياض (٢١ سبتمبر) وفقا لرغائب انجلترا و فرنسا وطبقا لاشارة قنصليهما .

حزب مصرى وطنى .

كانت هذه المظالم داعية لالتفاف النفوس المتألمة لتكون جبهة وطنية متحده فكان من اجتماعها الحزب الوطنى (وهو بعينه الحزب الذى تكون فى اواخر عهد اسماعيل وهو غير الحزب الوطنى الحالى) ويقص علينا „ جون نينت „ السويسرى وهو من شهود الثورة العرابية ومؤرخيها فى كتابه « عرابى باشا » انه من ذلك الحين كثرت الاجتماعات المصرية فى بيت سلطان باشا فى غفلة من عيون رياض وجواسيسه وقد حدث بين سلطان وعرابى وعبد العال وعلى فهمى ومحمود سامى وسليمان اباظه مدير الشرقيه وحسن الشريعى مدير المنيا ومحمود فهمى وطائفة من الوطنيين تحالف على تنظيم الخطة المشروعة للحزب الوطنى الذى كانوا يمثلونه وكان المقصود بانضمام المديرين جعل الرياسة العليا على اتصال تام بالمناطق الزراعية وكان من الضرورى الاستعداد عاجلا لاستقالة رياض المحتمله .

كانت اجتماعات الحزب الوطنى تعقد باستمرار وبطريقة سريه فى حلوان ولما كان ظاهراً لديهم أن قوة الحكومة مستمده من الدول الاوروبية اخذوا يحاربونها فى ميدانها اى فى اوروبا فاوفدوا الى باريس „ اديب اسحق „ لينشر الدعوة للحركة القومية المصرية باصدار جريدة فرنسية « مصر القاهرة » على نفقتهم وكانت توزع فى مصر سرا (راجع تاريخ العصر الحديث لمحمد صبرى — ص ١٨٢ ـ ١٨٣ — ١٨٤) واقترح الحزب لحل المسألة المالية توحيد جميع الديون بفائدة ٤ فى المائة وان

١ — راجع مصر الحديثة — لكرومر .

تكون الامة هى الضامنة ، وايجاد رقابة دولية خاصة موقته للاشراف على مصلحة فوائد الدين بدون اى تدخل او اختصاص ادارى آخر .

التصفية والمراقبة المالية .

لم يكن اعتلاء الخديوى العرش كافيا لتسوية المسألة الماليه التى تحولت من ذلك الوقت الى مسألة سياسية بعد ان كانت مالية بحته كما يقرر ذلك اللورد كرومر فى كتابه « مصر الحديثه »

ولذلك اعادت انكلترا وفرنسا المراقبة الثنائية فى ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٩ — واصدر الخديوى مرسوما فى ١٥ نوفمبر يقرر فيه مهمة المراقبين ويضمن لهم مراكزهم بعدم قابليتهم للعزل . وكانت اول اعمال هذه المراقبة ان صفت الديون المصريه ووحدتها كلها وانقصت فائده الدين الموحد من ٧ الى ٤ فى المائة وقد كان هذا القانون فى مصلحة الدائنين الاجانب ولكنه يهضم حقوق الوطنيين لالغائه دين المقابلة الذى دفعه كله المصريون وقد احتج الدائنون المصريون الذين لم تكن لهم دولة تحميهم!! من الحكومة المصرية التى كانت فى يد المراقبه الاجنبية على الغاء المقابلة . ونفى بهذه المناسبه حسن موسى العقاد الى النيل الابيض .

الثورة العرابيه

كانت هذه العوامل المختلفه قد اجتمعت كلها لتنصب على رأس المصريين الذين « بدأت الحياه الاجتماعيه تدب فى جسم أمة مزقها الظلم وانبعثت النفوس تطلب ما شعرت به من حاجتها (١) وكان سوء الحكومة وخصوصا فساد الوزراء وكراهية الامة لهم عوامل عدة قد تهيأت لتحدث مشاكل غير منتظرة وتؤدى الى نتائج خطرة

ان وزارة رياض التى تولاها رجل غشوم جاهل كان سببا مباشرا جديدا من اسباب شبوب الثوره وتوحيد جهود الامة جيشا وشعبا لتنفس عن روحها المكتومه

لا يمكن ان ننسب كل هذه المظالم الى عهد توفيق فنقول انها ظهرت بغته بل فى الواقع انها كانت موجوده من قبل الا أن عهد اسماعيل كان ملقيا عليها ستارا من الهدوء . الواقع أن الثورة كانت تنتظر رجلها الذى يقودها حتى اظهرته المناسبات الملحئة وبظهور عرابى انبعثت العاصفه التى كانت كامنة من زمن طويل تنتظر الفرصة السانحة للشبوب

---

(١) — عن مذكرات الشيخ محمد عبده

الفصل الرابع

أسباب الثورة

أسباب الثورة ترجع الى عهد اسماعيل

لكى نتعرف أسباب الثورة العرابية الحقيقية يجب أن نعود القهقرى لنلقى نظرة ثانية على أواخر عصر اسماعيل كما قدمنا لان الثورة المصرية التى قادها البطل الفلاح (عرابى) كانت ترجع بأسبابها الى مؤثرات كثيرة وأهمها غليان الافكار المصرية على تدخل انجلترا المستمر فى الشئون القومية . ويجب ألا ننسى أن الانجليز والفرنسيين «كما سيظهر ذلك فيما بعد جليا» قد دفعوا هذه الحركة بأعمالهم تارة وبغلطاتهم تارة أخرى لكى تنمو وتكبر ليكون لهم بعدئذ الفرصة السانحة للتدخل وتوطيد أقدامهم فى البلاد التى كان قد قر قرارهم قبل ذلك بزمن طويل على ابتلاعها « ان الانجليزى المجاهد فى بقاء هذه البلاد المحبوبة بين يديه سيعزز قدمه فى وادى النيل ويقعد فى مقعد المؤمنين (١) وكما يقول اللورد كرومر « أضاف الانجليز الى أحمالهم الكائنة فى كل أقطار المسكونة حمل الحكومة المصرية »

ففى سنة ١٨٧٥ هبطت لجنة « كيف» الانجليزية البحتة مع أن المفهوم انها كانت دولية — أرض مصر لفحص حالتها المالية وأسباب الازمة وعمل تقرير عنها وقد اتبعت هذه اللجنة بأخرى ثم بغيرها من النوع نفسه وكما يقول المستر بلنت فى كتابه التاريخ السرى للاحتلال البريطانى « ان لجنة كيف التى شهدت أصولها بنفسى اتبعت بلجان أخرى دونها نزاهة وأكثر منها تحيزا وكانت نتيجتها جميعا تسمى باتفاقية (جوش وجوبير) التى اثقلت بموجبها الخزانة المصرية وذلك لانها قررت دفع قسط سنوى كبير قدره ٧ ملايين جنيه تقريبا مع علمها بأن مثل هذا المبلغ الضخم لايمكن الحصول عليه الا بانتزاع آخر درهم يقتات به الفلاح البائس وايضا باجباره بواسطة

---

١ — راجع مصر الحديثة للورد كرومر .

الكرباج على رهن أراضيه للمرابين الذين يرافقون محصلى الضرائب فى سائر الجهات وعندطوافهم فى القرى. وقد كان منسوب النيل فى العامين الماضيين واطيا وبقيت أراضى كثيرة بدون زراعة فعمت المجاعة البلاد من البحر المتوسط الى أسوان وفتكت فى ذلك الشتاء بآلاف القرويين رجالا ونساء واطفالا ولقد كانت تلك سابقة لانظير لها منذ مئات السنين »

وبعد ذلك عينت لجنة رسمية أخرى للذهاب الى مصر ومع أنها كانت دولية اسما فقد سعت وزارة الخارجية البريطانية فى جعلها انجليزية فعلا فلما وصلت هذه اللجنة الى مصر جاوزت حدودها وواجباتها القانونية وعرقلت تقدم البلاد لانها أرادت أن تلعب دورها وتنفذ برنامجها الموضوع من قبل لتحقيق فكرة الضم. فانها قسمت الخراج الى قسمين متساويين فخصصت القسم الاول لسداد الديون والآخر لادارة شئون البلاد . ومع ان ذلك كان فى الواقع فان المراقبين وهما أعضاء فى اللجنة لم يسمحا بحال من الاحوال أن يصرف الجزء الخاص بادارة شئون البلاد فى تحسين الحالة الفكرية فيها .

فأثار هذا التصرف ثائرة الاهالى وخصوصا أعضاء مجلس الاعيان الذين رأوا أنفسهم مكتوفى الايدى والضباط المصريين الذين حرموا بمقتضى أمر عال خديوى من الوظائف الرئيسية فى الجيش .

ولا ننس أن نذكر أن من الأسباب المهمة لثوران الشعب الوزارة المختلطة التى كان من أعضائها وزيران أجنبيان أحدهما انجليزى والآخر فرنسى وكان رئيسها نوبار أجنبيا أيضا (٢٨ أغسطس سنة ١٨٨٧ م — مارس سنة ١٨٨٩) . الى هنا ينتهى كلامنا عن عهد اسماعيل .

عهد توفيق .

فلما تبوأ توفيق عرش مصر سرعان ماغير أرائه الدستورية وفى ذلك يقول المستر بلنت «فلما رأى توفيق عند اعتلائه العرش نفسه بين قوتين متناقضتين قوة أصدقائه المصلحين الذين ألحوا عليه فى تنفيذ وعودة الدستورية وقوة القنصليات الاجنبية التى حظرت عليه التنازل عن قيد

شعرة من سلطته وهى السلطة التى كانت نيتهم متجهة الى استخدامها باسمه لمصلحتهم ومع أنه وافق على اقتراح وزارة شريف باشا باصدار أمر عال بمنح الدستور رفض التوقيع عليه بايعاز من القناصل»

وقدلعب الانجليز دورا كبيرا فى تهيئة البلاد للاحتلال فبدأوا يمهدون السبيل باستيلائهم على قبرص وشرائهم أسهم قناة السويس وكان الموظفون الانجليز طبقا للتعليمات المرسلة اليهم يواصلون العمل لاحداث ثورة فى البلاد رغم ارادة الاهالى ورغم الحرية الواسعة التى منحها لهم الخديوى فالمراقب العام الانجليزى ولو أنه كان من موظفى الحكومة المصرية الا أنه لم يحجم عن أن يشترك فى تلك المساعى الشقية بل ان المعتمد البريطانى بذل أقصى مجهوده لخلق المشاكل بين الخديوى ووزرائه ، وقد تحاشى المراقب العام فى أثناء حضوره جلسات مجلس الوزراء بصفته مستشارهم الرسمى ابداء مشورته لتصريف الاعمال بالطريقة المثلى بل بالعكس ساعد على أن تأخذه صبغة سيئة — أما مراسلو الصحف الانجليزية الذين قيدتهم الوكالة الى الآن فقد ترك لهم الحبل على الغارب فى نشر الاخبار الكاذبة المؤذية للوزارة ، والامثلة على الاراجيف التى أذيعت وقتئذ وسرت فى طول أوروبا وعرضها كثيرة منها اشاعة انتشار عصابات اللصوص فى الوجه البحرى وثورة البدو والنفقات العسكرية الكبيرة وامتناع الشعب عن دفع الضرائب واستقالة المديرين واهمال أعمال الرى والخطر على قناة السويس ، واشاعة ان عرابى باشا بدوره أصبح آلة فى يد الخديوى اسماعيل وحليم والسلطان .

***

ويجب أن نحمل كل انسان قسطه من المسئولية فى انبعاث هذه الثورة فتظهر نصيب وزارة رياض التى أعقبت وزارة شريف ، والتى أرادت أن تنقض على الروح الدستورية فى البلاد فقد كان رياض هذا كما يقرر الشيخ محمد عبده فى مذكراته « لايخالج فكره ريبة فى سكون المصريين الى اطاعة كل مايؤمرون به حملا لهم على سوابقهم وسالف عهدهم فلم ير من اللازم أن يحتاط فى شأنهم »

وكان المصريون يومئذ يحاولون تحسين حالهم بحركة لها صبغة وطنية ولا يمكن تحقيقها الا

بقيام الجنود « راجع مصر الحديثة لكرومر تعريب صفحة ١٣٧ »

ولا بد من أن نذكر أن حركة عرابى هذه لم تكن أبدا حركة عسكرية كما أريد اظهارها بل كانت فى الواقع قيام الامة المصرية باجمعها للمطالبة بحقوقها المهضومة . حقيقة انه كان للجيش مطالب حاول بواسطة هذه الثورة تحقيقها . الا أن ذلك لايذهب برونق الثورة ولا بمبادئها .

« . »

أما أسباب شكوى الجيش فترجع الى أن معظم الترقى بين ضباط الجيش المصرى كان قاصرا على الاتراك منهم والشراكسة وقلما وجد وطنى متقلدا احدى الرتب والالقاب السامية . وكان الضباط المصريون يتوقون الى أن ينال الجيش شيئا من الاصلاح العام الذى دخل البلاد فلم يحظوا بامنيتهم فحقدوا على الحكومة . وازداد سخطهم جميعا حينما أصدر عثمان رفقى باشا الشركسى الأصل وناظر الحربية فى وزارة رياض قانون القرعة القاضى بمنع الترقى من تحت السلاح قاصدا منه منع ترقى الجنود المصريين الى مرتبة القيادة . ازاء هذا تألفت جمعية سرية برياسة على الروبى للدفاع عن مصالح العنصر الوطنى فى الجيش ثم ازدادت نشاطا بانضمام عرابى اليها بعد عودته من حرب الحبشة (اذ كان مأمورا للحملة فى مصوع)

« . »

والآن يمكننا أن نلخص أسباب الثورة العرابية فنحصرها فى اهم اسبابها الآتية : —

١ — التدخل الاجنبى المستمر فى الشؤون المصرية الذى اصبح سياسيا اكثر منه ماليا والذى كان يراه الاهالى مهينا لكرامتهم القومية .

٢ — الضغط المستمر على الاهالى ليدفعوا ضرائب متتاليه غير قانونية حتى يمكن سد جشع اصحاب الدين الاجانب .

٣ — وزارة نوبار المختلطة فى عهد اسماعيل .

٤ — حكومة توفيق التعسفية وضغطها على الحرية الدستورية للأمة .

٥ — وزارة رياض ومطاردتها لاحرار البلاد .

٦ — عمل الانجليز ومراسلى صحفهم على اثارة عواطف الجماهير بالتحدى المستمر

للروح القومية .

٧ — ظهور الروح القومية للشعب المصرى الذى ينشد المثل الاعلى للحكومة والحكم .

٨ — تحكم طائفة من المماليك الشراكسة فى الوظائف الحربية وقصرها عليهم دون المصريين اصحاب البلاد .

٩ — ما كان معلوما وشائعا انه من المحال ان يتفق الانجليز والفرنسيون على عمل حربى مشترك .

١٠ — مساعدة الاستانه للحركة فاذا انجحت كان لها نصيب من الفوز واذا فشلت تدخلت لصالحها . وقد قال يوما السلطان عبد المجيد « قد يكون ذلك الضابط المصرى قائدا للجامعة الاسلامية »

١١ — كان السودان وافريقيا الوسطى « اى نصف القطر المصرى » يحكمه ضابطا نكليزى بينما كان النصف الآخر تحت اشراف طائفة من الموظفين الانجليز .

١٢ — بدأت مصر تتنبه للخطر الذى يهددها فى قبرص شمالا وفى بحر القلزم الذى كان فى قبضة انجلترا شرقا وفى تونس التى بدأت تحتلها فرنسا غربا بينما كانت الحكومة الاجنبيه قائمة فى البلاد . هذه هى الاسباب الحقيقيه التى كانت تجيش بها افكار الشعب المصرى والتى كانت حجر الزاوية فى النهضة القومية التى قامت اذ ذاك أو ماسمى اصطلاحا بالثورة العرابية .

الفصل الخامس

العاصفة تثور

ظهور عرابى وقيادته للحركة الوطنية :

بينا فى الفصل السابق ان الثورة العرابية لاترجع فقط الى تعسف رياض وعثمان رفقى مع رجال الجيش فان الاستياء لم يكن قاصرا على هؤلاء فقط بل كان عاما فى جميع طبقات الامة المصرية ايضا ، وكانت الامة كلها تترقب ذلك الرجل الذى يقودها للحرية فلماظهر عرابى أولته ثقتها وسلمته زمام امورها .

أنما كان عثمان رفقى فقط معجلا لقيام الثورة وذلك لان هذا الرجل الشركسى المتعصب قصر الترقية بين صفوف الجيش على ابناء جلدته واهمل الوطنيين اهمالا تاما وكان القانون الجديد الذى سنه للترقية ضربة قاضية على آمال الوطنين المجندين، اذ جعلت فيه مدة الخدمة العسكرية فى الجيش اربع سنوات .!! والقصد من ذلك تقليل مدة الخدمة حتى لا يصل الجندى الى الترقى من تحت السلاح.

وعند ذلك تذمر بعض الضباط برياسة على فهمى واحمد عرابى وعبد العال حلمى من امراء الآلايات وقرروا الاحتجاج على ذلك بارسال عريضة الى رياض رئيس النظار يطلبون فيها :

١ — عزل رفقى باشا من وزارة الحربيه

٢ — اجراء تحقيق فى كفاءة من فازوا بالترقى حديثا بدون استحقاق . وقد رفع هذه العريضـة كل من عرابى وعلى فهمى وقدماها الى رياض الذى حاول ان يقنع القائدين باسترداد العريضة والعدول عن تقديمها واعداً باجراء التحقيق فيما شكا منه الضباط ولـكن سعيه لم يصادف قبولا ، ثم مر اسبوعان والمساعى تبذل فى هذا السبيل ايضا وقد عرف الضباط مدة الاسبوعين أن الوزاره والمحيطين بها من الاتراك لم يرضـوا عن عريضتهم بل قابلوها بالاستهجان حتى ان رياض جاءته اشارة من القصر معناها ان التساهل والتردد اللذين اظهرهما فى هذه المسألة ربما اوجبا ريبا

فى ولائه ولذلك عزم الوزير على الفصل فى هذه المسأله بلا امهال فطرحها على مجلس النظار فى تلك الجلسة قائلا انه يأبى كل اتفاق او تراض مع الضباط وانه يأمر بالقاء القبض على القائدين ومحاكمتهما امام مجلس حربى وان يجرى التحقيق فى شكواهما بعد هذه المحاكمه . وعلى ذلك كتب بطلب القائدين الى نظارة الحربية يوم اول فبراير . وفى اليوم التالى وصل الى مسامع الضباط سرا قرار مجلس نظار فدبر القواد كل مايلزم للعمل القادم واتفقوا مع بقية الضباط على انه اذا لم يعد الضابطان بعد ساعتين سارت الآلايات بكل ضباطها وجنودها الى قصر النيل حيث نظارة الحربية افرجوا عن الضابطين بقوة السلاح .

وكانت الحكومة تخشى تدبيرا مثل هذا لذلك لم تبين فى الدعوة السبب الذى من اجله دعى القائدان ومعهما عبد العال بل كان المسموع ان ذلك لاجل تنظيم موكب احتفال زواج اخت الخديوى .

ولم يكد يصل عرابى وزميله الى قصر النيل حتى قبض عليهما وبدأت محاكمتهما فى الحال واودعا السجن ولم يكد الضابطان يستقران فى سجنهما حتى هجم ضباط الآلايين مع رجالهما واخرجوهما من حجرة اجتماع المجلس بعد ان عبثوا باثاثها وفر عثمان رفقى ناظر الحربية ومعه القواد الجراكسة الى سراى عابدين يحتمون بها وتمكن الجند بذلك من فك اسرهما .

وعندما يتأمل المرء الاحوال التى اعتقل فيها عرابى وزملاؤه ويفكر فى عقم تلك المحاكمة لعدم وجود وسائل فعالة لتنفيذ الحكم الذى يصدره المجلس لا يسعه الا أن يلوم حكومة رياض على ذلك الموقف الشائن الذى وقفته . وكتب السراد ادوارد مالت قنصل بريطانيا الجنرال فى ذلك الحين يقول: ان معاملة الضباط المصريين فى الجيش المصرى سائرة على نمط كأن المقصود منه زعزعة كل ثقة بالخديوى .

عرابى على رأس الحركة الوطنيه

بعد ان خرج عرابى من سجنه سار على رأس الجيش الذى اصبح متعلقا به الى سراى عابدين حيث نزلوا ضيوفا على الحرس الخديوى ! وحيث كانت محاكمة عرابى وزميله لاتزال مستمرة وكان ستين باشا الامريكى الجنسيه وأحد قواد الجيش المصرى يرى أن عمل الحرس يعتبر

تمردا عسكريا ومن الواجب حصر الحرس الطوبجيه والبيادة وأمر ضباطه بالتسليم فان أبوا أطلقت عليهم المدافع حتى يضطروا الى التسليم . فاستحسن الجميع ذلك الرأى ولكنهم لم يجدوا من ينفذه لانه لم يبق ولا فرقة واحدة من الجيش المصرى الا وقد انضمت الى الحركة وكانت آخر الفرق المنضمة الفرقة البيادة المعسكرة فى طرة.وفى تلك الليلة بات الجيش المصرى فى قشلاق الحرس ومعه عرابى الذى كتب الى وكيل فرنسا السياسى « دى ريج » بصفته اقدم اعضاء الهيئة السياسية الاجنبية فى مصر راجيا منه ان يخابر جميع وكلاء الدول الاجنبية بانه قد حصل خلاف بين الجيش والحكومة الا أنه يؤمل ان يحسم النزاع قريبا .

وفى قشلاق الحرس القى عرابى اولى خطبه القومية على ضباط وجنود الآلايات المجتمعة هناك ، اظهر فيها مطالب الامة ومطالب الجيش قال فيها « نريد الا يكون المصرى محتقرا فى نظر الاجناس الاخرى ونريد كذلك مجلسا نيابيا لحفظ حقوق آبائنا واخواننا وابنائنا من ظلم المستبدين الظالمين . . وان تنقح القوانين العسكرية لمصلحة الوطنيين » وفى اليوم التالى اجتمع ممثلوا الدول ونصحوا للخديوى بقبول مطالب الجيش التى كان منها اسقاط الوزارة وانشاء مجلس نيابى للامة وعزل عثمان رفقى واستبداله بسامى باشا البارودى الذى كان يعتبر احد اركان الحركة القومية والذى شارك عرابى مهمته من ذلك اليوم . وقد قبل الخديوى اكثر هذه الطلبات وقد فرح الجيش بذلك وطلب على فهمى وعرابى العفو من الخديوى فنالاه وكان نصرهم هذا مقويا لآمالهم ليحققوا مطالبهم كلها ، وعلموا أن الفوز فى ثباتهم واتحادهم .

وبعد أن عزل الخديوى ناظر الحربية امر بتشكيل لجنة للنظر فى مظلمة رجال الجيش ورفع الحيف عنهم وبذا هدأت الأحوال حينا .

عرابى رمز الأمانى القومية

بعد هذا النصر اصبح عرابى فى اسابيع قليلة ذلك الفلاح ابن شيخ البلد رمز الامانى القومية ولسان الوطنيين ووكيلهم فاصبح يجاهر بظلامه الفلاح فى الجيش ويدافع عن حقوق الفلاحين فى الاقاليم وقد أفلح فى مساعيه وبدأ المصريون يدركون أن الحالة فى الجيش هى الحالة ذاتها التى تسود البلاد من الصحراء حتى سواحل البحر الاحمر ومن الاسكندرية الى خط الاستواء . فصار عرابى

معبودهم ومع انه احد أبناء جلدتهم تسنى له أن يحرز منصبا خطيرا فى وادى النيل فمن البديهى ان تشخص عيون المصريين الى هذا الرسول الجديد الذى يحيى فيهم الآمال ويبشرهم بالنجاة من المظالم التى عانو آلامها عدة اجيال ويشجعهم على المقاومة.

واعقب ذلك حين من الزمن ساد فيه الهدوء وشملته السكينة

السكون يتقدم العاصفة :

كان زعماء الثورة لا يزالون فى خوف من نجاحهم السريع واعتبروا ذلك مكيدة من الحكومة لتسكين جأشهم ثم تحتال لاغتيالهم فاكثروا من التحفظ والاحتياط ، وكان الضباط فى اثناء الفترة التى انقضت بين فبراير وسبتمبر سنة ١٨٨١ يستهدفون فى كل لحظة للدسائس ، وكانت حياتهم فى خطر وقد كتب السير مالت الى اللورد غرانفيل فى ٢٣ سبتمبر يقول ..

« كان الجواسيس يطوفون ليل نهار حول منازل الضباط . وكان رياض يؤكد قبل .... ٩سبتمبر أن خطر قيام حركة عسكرية قد زال وان الحكومة قوية » ازاء كل هذه العوامل رأى زعماء الثورة أن السبيل الوحيد الى الطمأنينة والراحة قلب النظام التركى الشركسى وتوطيد حكومة دستورية فى البلاد وكانت الامة تحوط عرابى الذى كانت تعتبره رمز أمانيها القومية بعين رعايتها فرأت فى تلك الظروف الصعبة أن تقوى مركزه فأنابته عنها رسميا وزودته بتوكيل شامل أمضاه جميع أعيان البلاد سرا وفوضت اليه الامر باسقاط وزارة رياض باشا واحلال حكومة دستورية برلمانية محلها .

وحدث فى ٢٥ يوليو أن كان الخديوى فى مصيفه فى الاسكندرية فاتفق أن عربة أحد تجار الاسكندرية صدمت جنديا من الطوبجية صدمة قضت عليه فحمله رفقاؤه الى سراى رأس التين وطلبوا الى الخديوى النظر فى أمره فوعدهم بما سكن جأشهم . وبعد بضعة أيام تشكل مجلس حربى أصدر حكمه على النفر الذى حمل رفقاءه على المسير الى رأس التين بالاشغال الشاقة طول حياته . أما رفقاؤه وهم ثمانية فحكم عليهم بثلاث سنوات فى السجن يرسلون بعدها الى السودان انفارا فى الجيش ، فبعث عبد العال بك أميرالاى الفرقة السودانية الى ناظر الحربية سامى باشا البارودى يشكو قسوة ذلك الحكم فرفع الناظر تلك الشكوى الى الخديوى فاستدعى فى الحال

الوزراء تلغرافيا الى الاسكندرية فأتوها فى ٢ اغسطس وعقدوا برياسته مجلسا قدم فيه ناظر الجهادية استقالته فقبلت وعين بدلا منه داوود باشا يكن وعاد البارودى الى القاهرة (١)

وكانت اقالة البارودى من الوزارة اهانة شديدة وضربة موجهة الى الوطنيين الذين كانوا يعتبرون وجود البارودى فى الوزارة ضمانة كافية لحفظ حقوقهم وكان خروجه تحديا ظاهرا لعرابى ومؤيديه ، وعاد البارودى الى القاهرة وزار عرابى فى منزله وتعاهد معه على الميثاق القومى عهد الابد .

ومن ذلك الحين كثر اجتماع العرابيين ليلا وكان عرابى متصلا بالعلماء والاعيان فتضامنوا فى العمل . واستوثق من معاضدة البارودى وتعضيد شريف وسلطان باشا ووجوه القوم فى القطر ونواب البلاد وشيوخها .

وحدث فى دائرة الوزارة (راجع اللورد كرومر ص١٦٤) شقاق كبير فان رياض باشا فترت علائقه مع المسيو دى بلنير وسار بينهما الجفاء وقلت ثقة الخديوى برياض باشا فظهر من هذا أن الازمة قادمة بعد قليل

ونقول بمناسبة ماذكرناه عن دى بيانيير هذا الذى كان يتولى مهمة المراقبة انه كان فرنسيا ، الا أنه كان يميل بشدة الى توطيد نفوذ الأنجليز فى مصر ، فقد أراد مرة أن يعطى احتكار السكك الحديدية المصرية والملاحة فى النيل الى شركة انكليزية يرأسها الدوق سذرلاند لاستغلالها مدة خمسين عاما ولولا معارضة القنصل الفرنسى دى رنج لنفذ هذا المشروع الخطير لمصلحة انكلترا ضد مصلحة البلاد

وكانت مطالب الضباط (أول فبراير) ان تستقيل وزارة رياض ليحل محلها وزراء لم يرتكبوا الغلطات التى أدت الى المظاهرة العسكرية ولكن الحكومة المصرية التى لم تنظر الا الى مصلحة الانكليز تخلصت من هذا القنصل الفرنسى وكانت اقالة دى رنج سببا فى قيام عاصفة من الاحتجاجات فى صحف باريس ضد خطة دى بلينير الذى كان اللورد بيكونسفيلد سببا فى تعيينه

***

١ ــ راجع تاريخ مصر الحديثة لزيدان صفحة ٢٤٤

« وعاد العرابيون الى الخوف على اثر اشاعة تقول بان الحكومه نالت من شيخ الاسلام فتوى باعدامهم بتهمة التمرد والعصيان ولا يمكننا ان نجزم بصحة هذه الاشاعة اذ لا دليل يؤيدها او ينفيها. وكان الجواسيس ابدا يراقبون القواد فى منازلهم حتى ان رجلا طلب مقابلة عرابى فى منزله فلم يؤذن له بالدخول وعاد من فوره الى ديوان الحكمدارية فثبت لعرابى انهم كانوا ينوون قتله ولذا هجر منزله وذهب الى منزل رفاقه وهم ايضا جرى لهم مثل الذى جرى عليه ولذا أرى ان الضباط لم يتفقوا على العمل المشترك وتنفيذه فى الحال الا تلك الليلة لانهم نفذوا الامر فى الصباح التالى»

«عبارة اللورد كرومر بنصها راجع صفحة ١٦٥ مصر الحديثة»

فاذا اضفنا هذا الى ما ذكره عرابى فى مذكراته صفحة ٢٣١ من عدم التصديق على القوانين العسكريه التى تم تنظيمها، وعدم الشروع فى تشكيل مجلس النواب الذى وعد به الخديوى، عرفت أنهم ايقنوا ان الحكومة تماطلهم فى تنفيذ الطلبات الوطنيه فصمموا على تجديدها فى صوره مظاهره وطنية شامله للامة التى انابت عنها الجيش فى المجادلة عن حقوقهم وعند ذلك قام عرابى بمخاطبة جميع الالايات البياده والسوارى والطوبجيه الموجوده فى القاهره بالاشارات العسكريه للاستعداد للحضور الى ميدان عابدين فى يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ لعرض طلبات الامة على الخديوى

الفصل السادس

العصيان القومى

٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ م «١»

فى اليوم التاسع من شهر سبتمبر سنة ١٨٨١ م . كما بينا فى الفصل السابق عقدت الامه ونوابها والجند النية على نيل مطالبهم ولو بقوة السلاح . وكان عرابى الذى يقود جيشها قد انتهى من تنظيم مظاهرة كبرى تنويها بمطالب الامة والجيش ، واذ كان الخديوى هو ملاذ البلاد الاعلى فقد كان طبيعيا أن تقع المظاهرة عند بابه وتحت استار قصره .

ولكن رجال الحكومة المطلقة وقناصل الدول وخصوصا الانكليز الذين روعهم اشتداد النهضة وتركزها فى الجيش لم يرتاحوا لهذه المظاهرة ونصحوا للخديو بان يحول دون حدوثها بالتقدم الى الجيش فى مراكزه وحضه على العدول عن متابعة قواده لعل فيهم من تلين قناته فيمتنع ويفسد التدبير فقبل الخديوى هذا الرأى، وبكر بالذهاب الى الاى القلعة محاولا التأثير فيه عبثا اذ كانوا قد وطدوا العزم على السير الى عابدين لعرض مطالب الامة. وتحت تأثير الحاحهم عرج على الالاى المرابط فى العباسية تحت قيادة عرابى نفسه لعله يبلغ منه وطرا ، فالفاه قد تحرك فعلا وبلغ منتصف الطريق الى سراى عابدين ولم ير فى هذه المرة اسلم من مجابهة الامر الواقع بالرجوع الى القصر . اما ساحة عابدين والطرق المؤدية اليها والمنازل المشرفة عليها فقد عجت بالجيش والأهالى وكنت لا تسمع منهم غير الهتافات للوطن وللحرية .

وفى الساعة المعينة تساءل عرابى عن تكامل الوحدات وانتظامها فى اما كنها فعلم بتخلف الحرس الخديوى واعتصامه داخل السراى للدفاع عنها عند الحاجة . . فارسل فى طلب قائد الحرس على فهمى المشهور بعلى الديب ولما وفد عليه سأله عن سبب تخلفه فالقى التحية العسكرية

١ـ راجع هلال مارس سنة ٩٢٥ صفحة ٥٣٣ — بقية المراجع هى نفسها المنوه عنها فى الفصلين السابقين .

وأمر جنده بأن يأخذوا مكانهم فى الساحة بجوار عرابى !

عاد الخديوى من رحلته ودخل السراى من الباب الخلفى المسمى باب باريز ثم ظهر بعد فترة من البـاب الكبـير ومعه السير اوكلند كلفين المراقب البريطانى الذى كان قد طلب للحضور على جناح السرعـة . وقد وصـف شـاهد عيـان ماحـدث فى ذلك اليوم كما يلى « كانت سـاحـة عابدين يومئذ منظرا يستوقف الأبصار فقد اصطفت جنـود عرابى فى جوانبهـا الثـلاثة وكانوا كأنهم غير مبالين بتـاتـا بما يحدث او غير عالمين بشىء فقد كانوا يتجاذبون أطراف الحديث ضاحكين هازلين . . . وقد سمعت ضابطا بريطانيا بالقرب منى يقول لرفيقه ان هؤلاء الجنود لا يلوح عليهم انهم متمردون فقد شهدت الفتنة العسكرية فى الهند وكان الجنود الهنود على غير هذه الحال .... وكان الجانب الرابع من الساحة المحاذى لسراى عابدين غاصا بالحرس الخديوى وكـان فى وسط الساحة طائفتان احداهما فى الجنوب والأخرى فى الشمال وتتألف اولاهما من بضعة ضباط على صهوات الخيل وفى مقدمتها عرابى شاهر سيفه والثانية تشمل الخديو والسير اوكلند كلفن والسير تشرلس كوكسون (نائب قنصل بريطانيا الجنرال) وقنصل النمسا والسر فريدرك جولد سميث مراقب الدائرة وغيرهم من الجالية الاوربية الذين كـانوا بطانة الخديوى.وبينما كنت واقفا اتعجب وانتظر ماذاسيحدث وكيف سيكون افتتاح الفصل الاول من هذه الرواية لأن ما ذكرته لم يـكن سوى المقدمة . ولم يسعنى الا ان اتصور كم كـان يتردد اثنان من اسلاف توفيق لو كـانا مكانه نجد والده لم يقف هذا الموقف مرة واحدة فقط . لا بل عشرين مرة فلو كـان محمد على محل حفيده لاستدعى عـرابى بسرعة وقبلما يقترب منه كـثيرا كـنت تسمع طلقا ناريا من غـدارة فى يده وترى عرابى مجندلا عن صهوة جواده يـتخبط بدمه وكـان يعقب ذلك اطـلاق البنادق مـن جـانب الحـرس فـيروع ذلك النـاس والجنـد وتنتهـى الحادثة . وماذا كـان يصنع اسماعيل باشا الخديوى لو كـان محل ابنه توفيق ؟ يمكننى أن أتصور

---

(١) راجع بريطانيا فى مصر ترجمة الاهرام

ابتسامته الحلوة والجفاوة الفتانة التى كان يستقبل بها المتمرد . كيف كان ينصت باصغاء الى اقواله وشكواه وبعد أن ينصفه ويسوى ظلامته ويصرف الجند يتأبط ذراعه ويدخل به السراى من حيث لايرجع حيا ؟ ! ! . »

« ولم يلبث الخديو أن سأل السر اوكلند ماذا افعل ؟ وكان عرابى فى اثناء ذلك يتقدم ببطء على صهوة جواده فقال السر اوكلند قل له بأن يترجل عن جواده فصاح توفيق بعرابى انزل وكان فى لهجته اثر من الامر والنهى . . . وبغير أن ينبس عرابى ببنت شفة وثب عن جواده ولكن سيفه ظل مسلولا فى يده فاشار الخديوى الى السيف اشارة مفهومة فوقف عرابى ورد السيف الى غمده » انتهى وصف شاهد عيان . . .

وفى هذه اللحظة اسر المراقب الانكليزى فى اذن توفيق ان يطلق غدارته على عرابى فقال الخديو « افلا تنظر الى من حولنا من العساكر ! » ثم صاح الخديو بالجند الذين كانوا يتقدمون مع عرابى على هيئة حرس خاص مكون من ثلاثين فارسا ان يعودوا الى صفوفهم فلم يفعلوا وظلوا وقوفا خلفه . . . واذ تقدم اليه عرابى باشا فى ثباته واتزانه خشعت الافئدة واشرأبت اليه الرقاب ودار بينه وبين الخديوى ما نترك له روايته بنفسه حيث يقول فى مذكراته صفحة ٢٣٥ ج ١ —

« ولما وقفت بين يديه مشيرا بالسلام خاطبنى بقوله ما هى اسباب حضورك بالجيش الى هنا . فأجبته بقولى « جئنا يامولاى لنعرض عليك طلبات الجيش والامه وكلها طلبات عادلة : فقال وماهى هذه الطلبات فقلت « هى اسقاط الوزارة المستبدة « وزارة رياض » وتشكيل مجلس نواب على النسق الاوروبى وابلاغ الجيش الى العدد المعين فى الفرمانات (١٨٠٠٠ جندى) والتصديق على القوانين العسكريه التى امرتم بوضعها » فقال :— كل هذه الطلبات لاحق لكم فيها أنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى وأجدادى وما أنتم الا عبيد احساناتنا — فقلت :

« لقد خلقنا الله احرارا ولم يخلقنا تراثا ومتاعا — فوالله الذى لا اله الا هو اننا سوف لانورث ولا نستعبد بعد اليوم »

« وكنت ارى الجنرال جولد سميث كلما سمع جملة من كلامى رجع القهقرى خطوات ثم يعود الى محله فى الدائرة المحاطة بالضباط والجاويشيه . فاشار المستر كوكسن على الخديوى بالرجوع الى السراى زاعما أنه يخشى عليه سوءا اذ زادت المخاطبة عن ذلك الحد »

وبعد رجوع الخديوى الى داخل السراى عاد المستر كوكسن ومعه المستر كلفن المراقب المالى الانجليزى وخاطبنى بالنيابة عن الخديوى كرسول من طرفه — قال .

« ان طلب اسقاط الوزارة وطلب تشكيل مجلس النواب من حقوق الأمة لا من حقوق الجيش لأن المالية لا تساعد على ذلك فقلت :

« اعلم ياحضرة القنصل ان طلباتى المتعلقة بالاهالى لم اعمد اليها الا لأنهم أقامونى نائبا عنهم فى تنفيذها بواسطة هؤلاء العساكر الذين هم عبارة عن اخوانهم واولادهم . فهم القوة التى ينفذ بها كل ما يعود على الوطن بالخير والمنفعه . وانظر الى هؤلاء المحتشدين خلف العساكر فهم الاهالى الذين انا بونا عنهم فى طلب حقوقهم . واعلم علم اليقين اننا لا نتنازل عن طلباتنا ولا نبرح هذا المكان ما لم تنفذ . »

فقال القنصل « علمت من كلامك انك ترغب فى تنفيذ اقتراحاتك بالقوة وهذا أمر ينشأ عنه ضياع بلادكم وتلاشيها » فقلت :

« كيف يكون ذلك ومن ذا الذى يعارضنا فى احوال داخليتنا . فاعلم اننا سنقاوم من يتصدى لمعارضتنا اشد المقاومة الى أن نفنى عن آخرنا »

فقال القنصل :—

« وأين هى قوتكم التى ستدافع بها فقلت : —

« عند الاقتضاء يمكن أن يحشد مليون من العساكر يدافعون عن بلادهم يسمعون قولى ويلبون اشارتى » فقال القنصل وماذا تفعل اذا لم تجب الى ما تطلب . ؟ فقلت :

« اقول كلمة أخرى . فقال وما هى : فقلت لا اقولها الا عند اليأس والقنوط ثم انقطعت المخابرات ساعة تقرر فى غضونها اجابة مطالبنا وتنفيذها بالتدريج . ثم اسقطت الوزارة وطلب الى الخديو قبول تعيين حيدر يكن باشا للوزارة الجديدة فلم اوافق على ذلك لانه من اقربائه وعرضت تعيين محمد شريف باشا وبناء على ذلك استدعى شريف باشا من الاسكندرية بالتلغراف .

وبعد صدور امر الخديوى باجابة مطالبنا توجهت اليه وشكرته على ارضاء ضمير الامه فاقسم بانه مرتاح لما فعل . وانه وافق على تلك الطلبات بنية صافية . فكررت له الشكر والدعاء . ثم امرت

فانصرفت الالايات الى مراكزها .»

فانت ترى ان عرابى لم يبرح حتى نفذ مشيئة البلاد وحتى اجيب الى مطالبه الخاصة بها فى مدى ساعة واحدة وبدون اراقة شيء من الدماء وأنت تلمس موضع العظة فى هذا كله حين تذكر ان انتصار الشعوب كامن وراء همها ووحدة كامتها فلولاها لما فازت مصر فى ذلك اليوم التاريخى ولما جرؤ عرابى باشا على ان يفوه بهذه الـكلمة الخالدة « لقد خلقنا الله احرارا ولم يخلقنا تراثا وعقارا فوالله الذى لا اله الا هو اننا سوف لا نباع ولا نستعبد بعد اليوم « على علمه بما وراءها من خطر شديد قد يودى بعنقه ولـكن لعلها صدى صوت الامه وهو من صوت الله .

الفصل السابع

وزارة شريف باشا

أو الحركة الدستورية والدول

قبل الخديوى كما رأينا رغبة الامة ممثلة فى عرابى وجيشه فقبل اقالة النظار فاستقالت وزارة رياض فى ليلة السبت ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨١ م واجل اجابة الطلبين « تشكيل مجلس النواب وزيادة الجيش » الى مابعد عرضها على الباب العالى واخذ رأيه فيهما فانصرف الجيش راضيا .

وكانت هذه المظاهرة الاخيرة موضوعا تضاربت فيه الاراء فذهب بعض الكتاب الى ان الخديوى هو الذى وضع خطتها ونظم ادوارها للتخلص من رياض الذى اصبح العوبة فى ايدى القناصل ، ومن مراقبتهم لحكومته . وزعم آخرون بان سلطان تركيا كان متفقا عليها مع عرابى تنفيذا لبعض مآربه — ولكن مهما تكن البواعث التى ادت الى تلك الحادثة فانها لا تخرج عن الحدس والتخمين على ان مما لا ريب فيه ان عرابى طلب من الخديوى منح مصر الحرية والاستقلال ومع ان المظاهرة كانت ذات صبغة عسكرية فهى بالحقيقة وواقع الامر حركة شعبية وكان عرابى ينطق فيها بلسان الامة المصرية باسرها ويطلب من الخديوى توفيق حرية مصر وكان مثلهفى مطالبه هذا مثل مطالب بارونات انكلترا من الملك جون فى اينميد وكانت اجابة مطالب العرابيين مقابلة للعهد الاعظم الذى منحه الملك جون للانجليز .

وكانت هذه هى المرة الثالثة التى اصر فيها الجيش على مطالبه ثم منحت له وبذا اصبح اسمه على كل لسان فى مصر وصارت الناس تهتف له وتلقبه بالبطل الوطنى وكان الأهالى يعترفون بان جهاده لم يكن من اجل مطالب الجيش فحسب بل خدمة لمصلحة الامة المصرية جميعها .

وقد هال الانجليز طلب العرابيين زيادة الجيش المصرى فارسل اللورد غرانفيل برقية ضافية الى السر ادوارد مالت مقترحا عليه فيها ان يضع خطة تامة تقضى بتخفيض عدد ضباط الجيش النظامى وتتيح لبعض الضباط الحصول على مناصب ذات مرتبات طيبة فى قوة البوليس ولبعضهم الذين

يكونون اهلا للخدمة الملكية وظائف فى مصالح الحكومة المختلفة وتضمن للبقية الذين يتقاعدون معاشا وافرا ....

ومن هذه البرقية يستدل القارىء على اغراض الانجليز فى القضاء على الجيش وتشريد ضباطه وتسريح الجنود باعادتهم الى قراهم حتى اذا ما قضى على الجيش اصبح من السهل القضاء على كل حركة فى البلاد .

وزارة شريف

استقالت وزارة رياض كما اسلفنا وطلب الخديوى من شريف باشا ان تشكل وزارة جديدة فرفض اولا ثم رضى بعد ذلك بشرط أن يتعهد له الضباط والنواب بان يمتثل العرابيون للاوامر . ففى اليوم التالى تقدم لشريف باشا كل من سلطان باشا رئيس مجلس شورى النواب وسليمان اباظه وشريعى باشا ومنشاوى باشا والشمسى بك وعبد السلام المويلحى بك والوكيل بك وغيرهم من النواب ومعهم تقريران احدهما وقعه فريق من العلماء والعمد والاعيان ضمانا لرؤساء الحزب العسكرى والثانى وقعه ١٦٠٠ من الكبراء والعلماء والعمد بطلب تشكيل المجلس النيابى .

وشكلت الوزارة فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١ (— ٢٠ شوال سنة ١٢٩٨هـ —) وقد طربت البلاد لهذا الانتصار وعدته فاتحة عصر جديد من الحرية والعدل والمساواة . وكان من اعضاء الوزارة البارودى باشا

وبينما كانت الامور سائرة بانتظام . وردت فى ٣ اكتوبر رسالة برقية من الاستانه تنبىء بارسال وفد عثمانى برياسة نظامى باشا لاجراء تحقيق فى التمرد العسكرى فى مصر ..

. رأى البارودى وزير الحربية أن يسافر عرابى بالايه الى رأس الوادى فاطاع واجتمع خلق عظيم لتوديعه فى محطة العاصمة ساعة سفره وخطب بعضهم فرد عليهم عرابى بخطبة قيمة شكر فيها مودعيه وذكر انه لم ينجح الا لانه يستند على قوه الشعب وتمنى ان يعود قريبا فيرى الحياة النيابية قائمة لتنظر الامة فى شئونها وتعرف حقوقها كباقى الامم المتمدينة فى العالم ..... وكان عرابى قد اشترط ان يسبق سفره صدور الامر العالى بانتخاب النواب.

الحياة النيابية

فى ٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ م رأى شريف تمهيدا لاقرار الدستور الذى اعده ان يعاد مجلس

شورى النواب ليكون هو الذى يقرر مشروع الدستور ولكن الحزب الوطنى او العرابيين رأوا ان ينتخب مجلس جديد على مقتضى قانون الانتخاب الذى كان قد قدمه شريف سنة ١٨٧٩م. ولكن شريف الذى خيب الآمال التى عقدت عليه والذى قبل نصيحة كالفن دعا المجلس الى الانعقاد بمقتضى لائحة اسماعيل القديمة (١٨٦٦) ثم صدر امر بان يكون افتتاح المجلس فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٨١، وفى ١٨ ديسمبر صدر امر بتعيين سلطان باشا رئيسا للمجلس وسليمان باشا اباظه وكيلا ولم يتيسر ان يفتح المجلس فى الميعاد المحدد ففتح فى ٢٦ ديسمبر «٢» والقى خطاب العرش متكلما عن الاصلاحات المزمع ادخالها على الحكومة ورغم أن الجلسات كانت سرية فان الحراس لم يستطيعوا منع الجمهور من الدخول فكانت الجلسة علنية فى الواقع .

وعين المجلس بعد ذلك عشرة من اعضائه للرد على خطاب العرش فقدموا الرد فى ٢٩ ديسمبر وفيه قال المجلس انه يشكر الخديوى على اعادته الحياة النيابية « اجابة لرغبة الامة ونظرا للمصلحة العامة » .

وأقام الناس حفلات عدة فرحا بعودة المجلس نخص بالذكر منها حفلة أقيمت بأمر بطريرك الاقباط من رجال الاكليروس فى الكنيسة البطريكية الكبرى

انكلترا وفرنسا تتحرشان بمجلس النواب :

اصبحت انكلترا وفرنسا لا تنظران بعين الرضى الى تقدم مصر واستتباب الحياة النيابية فيها فقد راع كالفن المراقب الانجليزى ان يرى ارادة الامة ممثلة فى المجلس فاقترح فى مذكرة الى حكومته فى ٢٠ ديسمبر « ان المجلس يجب عليه ان لا ينظر كل ماله علاقة بالشئون المالية أو الادارة الاوروبية » .

أما فى فرنسا ففى ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨١ سقطت وزارة جول تيرى وخلفتها وزارة غامبتا

---

١ — قال الشيخ محمد عبده فى مذكراته عن شريف « انه كان يقنع جلساءه بأنه اذا امتلك قيادة السلطة اوقف الاجانب عند حدودهم وسار بالوطن الى المجد » ...

٢ — راجع مقدمة تاريخ الاحتلال السرى صفحة ٧٨ .

الذى كان يرى « ان المجلس يجب عليه أن لايشتغل الا بتوضيح المسائل الادارية التى تعرض عليه » ولذا أقدم غامبتا فى ١٤ ديسمبر على أن يسأل الحكومة الانكليزية اذا كانت ترى أن الوقت قد حان لان تتفاهم الدولتان فى عمل تعملانه فى مصر . وهل توافق على أن تكون الخطوة لاولى من هذا أن تعلن الدولتان انهما تؤيدان الخديوى وأن توحيا اليه بأن يثق بهما ثقة مطلقة وأن يعتمد على معونتهما دون غيرهما[١] وكانت سياسة انكلترا أن تنفرد وحدها بالعمل دون فرنسا فأخذت تسوف الامر وأرادت أن تمنع فرنسا من العمل فلما رأت أنها مصممة على المضى فى خطتها خافت أن تضيع منها الفرصة فرضى غرانفيل بعد أن وصلته رسالة من غامبتا صريحة فى اسلوبها تبين الرغبة فى القضاء على مجلس شورى النواب اذ قال « ان من الخطر أن تسكت الدولتان حتى تفاجئهما الحوادث وان من المصلحة شل عناصر الاضطراب المتولدة من عقد المجلس »(٢).

وأرسل غرانفيل أخيرا الى غامبتا يطلب منه وضع مشروع مذكرة بما تقدم لارسالها للخديوى فوافقت الحكومة الانجليزية على هذا المشروع وارسلت الى مصر فى ٧ يناير سنة ١٨٨٢ .

المذكرة المشتركة الاولى :

وهذا نصها :

حضرة القنصل العام

« لقد صدرت اليكم تعليمات مرارا بأن تبلغوا سمو الخديوى وحكومته بأن حكومتى انكلترا وفرنسا قد عزمتا على بذل تأييدهم ومناصرتهم فى تذليل الصعاب المختلفة الانواع التى تعرقل

١ — راجع اشيل بوفننس ص ٤٨ ودى فريسنيه ص ٢٠٧ و ٢٠٨ ومقدمة التاريخ السرى للاحتلال ص ٢٨

٢ — راجع اشيل بيوفنس ص ٤٩ — ومجموعة التلغرافات التى تبودلت بين فرنسا وانكلترا سنة ١٨٨١ بشأن مصر

سير النظام العام فى مصر فان الدولتين على وفاق وطيد فيما يتعلق بمصر لاسيما بعد الحوادث الاخيرة وأخصها جمع مجلس شورى النواب مما أوجب المخابرة بين الدولتين وبناء عليه أكلفكم بأن تصرحوا للخديوى أن حكومتى انكلترا وفرنسا تريان وجوب تأييد الخديوى على عرش مصر وفقا للاحكام المقررة فى الفرمانات السلطانية التى قبلتها الدولتان .. وقد عزمت الدولتان أن تقاوما بسعيهما المشترك أى شىء يؤدى الى الارتباك الداخلى أو الخارجى ويهدد نظام الشئون المصرية الاساسية ، ولا ريب عندهما أن هذا التصريح العلنى يمنع حدوث ماعساه قد يطرأ من الاخطار على الحكومة والخديوى — كما اننا مقتنعون الان أن سمو الخديوى سيستمد من هذا التأكيد الرسمى الثقة بنفسه والسلطة اللازمة لادارة شئون مصر »

ولما كان لتقديم هذه المذكرة تأثير بعيد المدى فى مصر أرى انه من المستحسن أن الخص الحالة التى كانت فيها عند اتخاذ هذه الخطوة العملية من الدول الاوروبية لاظهار مطامعها فى مصر .

كانت مصر هادئة مغتبطة بوزارة شريف وباجتماع مجلس النواب ثم بالامل فى تحويل هذا المجلس الى مجلس نواب ذى سلطة وكان الامن شاملا والحالة هادئة فلما وصلت مذكرة الدولتين وقعت فى القاهرة كما يقول السير مورلى ، كالقنبلة القيت فجأة فى جو هادىء بقصد تعكيره ، ورأى فيها كل انسان تحرشا بالمجلس لم يكن هناك من سبب يقتضيه وقد أيد هذا الرأى أشد أعداء المصريين مستر كولفن فى تلغراف أرسله الى وزارة الخارجية البريطانية قبيل تقديم المذكرة قائلا « ان الحركة الوطنية يجب الا تثبط ولا تقاوم » .

وكان عرابى كما أسلفنا قد غادر القاهرة الى رأس الوادى فلم يعد الى القاهرة مرة ثانية الا بعد تعيينه وكيلا للجهادية . وكانت النظارة (أى الوزارة) فى ذلك الوقت قد عرضت عليه رتبة الباشوية ومنصب وكالة الجهادية وهى ترجو بذلك ان تقطع كل علاقة بينه وبين الجند ولكنه رفض الرتبة حتى لايقال انه كان يجاهد من أجل نفسه وطمعا فى الحصول على تلك الرتبة . ولكنه قبل منصب وكالة الجهادية لعلمه بأن مكانته من الجيش كلة لايمكن أن يصيبها أى فتور من جراء هذا التعيين.

وكانت النتيجة أن الحزب الوطنى والحزب العسكرى ومجلس النواب صاروا كلهم كتلة واحدة ضد فرنسا وانجلترا وقد قوى نفوذهم بتعيين عرابى فى يناير سنة ١٨٨٢م وكيلا لنظارة الجهادية واحتجت تركيا على ارسال هذه المذكرة بمذكرة أرسلتها الى الدولتين فى ١٤ يناير سنة ١٨٨٢م .

وقد أعد شريف باشا ردا شديد اللهجة على لسان الخديوى ضد هذه المذكرة قال فيه « ان اليوم الذى تؤيدنى فيه الدولتان ضد ارادة بلادى هو اليوم الذى تحين فيه الساعة الأخيرة ومتى فصل الرأس من الجسم لم يبق سبيل الا الى الموت ، فانا اما ان أكون خديوى مصر أو لا أكون شيئا »(١)

غير أن الحكومة الفرنسية علمت بهذا الرد قبل نشره فسعت عند توفيق وشريف كى يعدلا عن عزمهما ولكن شريف احتج بعد ذلك على هذه المذكرة .

وكانت الحكومة الفرنسية تعد فعلا جيشا فى جنوب فرنسا ترسله الى مصر (٢) وكانت تأمل أن تساعدها انكلترا ببحريتها بحرا بينما هى تتقدم فى البلاد برا ولكن الحكومة الانكليزية بعد المذكرة فتحت عينها لمطامع فرنسا وقررت ان تحد من مطامعها وتجعل الفوز لها وحدها بالتفرد بالعمل .

« . »

سبق أن ذكرنا تأثير هذه المذكرة فى جو القاهرة وانا نترك الآن لشاهد عيان كان حاضرا فى مصر وقت نشر المذكرة وصف الحالة :—

قال مستر بلنت ص ١٣٩ تعريب :

ذهبت الى ثكنة قصر النيل فى ظهر يوم ٩ فوجدت عرابى (كان قد عين فى ذلك الوقت

١ — نشر هذا الرد فى عدد أول مارس سنة ١٨٨١ بجريده الطان الباريسية وان كان بعض المؤرخين ينفون خبر هذا الرد ويستبعدونه ولكننى أرجح صحته

٢ — راجع اشيل بيوفس صفحة ٥٢٤٥١ وكذا التيمس فى ٣ فبراير سنة ١٨٨٢ وكذا هامش مقدمة التاريخ السرى للاحتلال صفحة ٨٤ .

وكيلا للحربية ، وحده فى مكتبه وهذه هى المرة الاولى والاخيرة التى وجدته فية غاضبا . وكان وجهه كسحابة الرعد وكان فى عينيه بريق خاص فقال ، — لاشك ان السير مالت يحسبنا اطفالا لانفهم معنى الكلمات . هذه لغة تحد وتهديد وليس فى هذه الادارة كاتب يستخدم مثل هذه الالفاظ لغير هذا المعنى — ثم اشار للفقرة الاولى التى ذكر فيها الاعيان وقال : هذا تحد لحرياتنا وليس لاعلان اتحاد فرنسا وانجلترا معنى الا ان انجلترا ستغزو مصر كما غزت فرنسا تونس ثم قال : دعهم يأتون فكل رجل وطفل فى مصر سيقاتلهم ليس من مبادئنا ان نضرب الضربة الاولى ولكننا سنعرف كيف نردها ....

« وانضم حتى المعتدلون الى الحركة العرابية وقووها ومضت عدة ايام لم اسمع خلالها من المصريين الا ان هذه سياسة روستانية نسبه الى روستان الذى اعد مشروع الهجوم على تونس » .

الحركة الدستورية :

اخذ شريف على نفسه فى برنامجه الوزارى عهدا باستصدار الدستور لانشاء مجلس نواب ذى سلطة . ففى ٢ يناير توجه الى مجلس الشورى وقدم له اللائحه التى وعد بها وليس هنا مجال نشر اللائحه لطولها وانما المهم فيها المادة ٣٣ التى كانت السبب فى مشاكل جمه بعد ذلك اذ ان ميزانية الحكومة المصرية فى ذلك الوقت كانت مقسمة الى جزأين جزء للايرادات المخصصه لدفع الديون والاخر للايرادات الاخرى الموضوعة تحت تصرف الحكومة وقد نصت المادة المذكورة على ان لمجلس النواب الحق فى نظر واقرار الجزء الثانى من الميزانية .

واما انكلترا وفرنسا فانهما اتباعا للمذكرة المشتركة نصحا لشريف والخديوى بتعديل المادة المذكورة بحجه ان ذلك لايمكن المراقبين من النظر فى مالية البلاد على الوجه الاكمل .

وكان مجلس النواب قد الف لجنة مكونه من ١٦ عضوا من اعضائه برياسة سلطان باشا لدرس مشروع اللائحة وتقديم تقرير عنه وبعد ايام قدمت لشريف يوم ١٥ يناير التعديلات التى رأت ان تدخلها على المشروع ومنها بقاء المادتين ٣٣ و ٣٤ على اصلهما وهما الخاصتان بالميزانية فلم يقبل شريف وقدم عدة صور مشروعات رفضت كلها .

وأخيرا رأى النواب حسما للنزاع أن يقترحوا على شريف باشا ان يعين المجلس عددا من اعضائه مماثلا لعدد النظار فيكون هؤلاء واولئك هم الذين يقررون الميزانية ويكون لرئيس النظار صوت مرجح عند الاختلاف وتساوى الاصوات بين الفريقين. ورفض القنصلان ايضا هذا الرأى وابلغا ذلك لشريف ومضى بعد ذلك اسبوع وضع شريف باشا فى اثنائه مشروع لائحة جديدة حذف منه المواد الخاصة بالميزانية وادخل على بعض مواده شيئا من التعديل وأرسله للمجلس فى ٣١ يناير مع رسالة خاصة يذكر فيها ان هذا التعديل يرضى القنصلين.

فما كادت تصل الرسالة له «الى المجلس» حتى ثار على شريف لانه فرض للقنصلين صفة فى المسائل الداخليه وفى الحال اجتمع المجلس وقرر انتخاب ١٥ عضوا من اعضائه للتوجه للخديوى وشريف ومجاهرتهما بالمواد التى قررها المجلس وفيها يقرر حق نظره للميزانيه وحق المسئولية الوزارية أمام المجلس وبدأ الوفد بزيارة شريف فى دار الرياسة فلما رفض التعديل الذى ارتاؤه قال جماعة منهم «انا نأسف جدا ان يصادق لنا على اللائحة غيرك» يريدون بذلك انهم سيطلبون من الخديوى اسقاط الوزارة «١» وخرج النواب من مجلس الوزراء الى قصر عابدين وطلبوا مقابلة الخديوى قائلين «تطلب ان تعزل الوزارة وتشكل غيرها لا نأبى التصديق والعمل معنا»

فسألهم «وبأى حق تطلبون هذا؟

فأجابوا «تلك هى ارادة الامة» (٢)

وبذا اجاب الخديوى مطالب المجلس فاستقالت الوزاره التى اغتر فيها العرابيون وكانت تجربة لهم علمتهم ان لا يعهدوا بالحكم لغيرهم فلما سألهم الخديوى عمن يلى شريف فى الوزارة اجمع الكل على اختيار محمود باشا سامى البارودى احد زعماء الحركة العرابيه.

وكانت استقالة وزارة شريف فى ٢ فبراير.

---

١ — انظر الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث لميخائيل شاروبيم جزء ٤ صفحة ٢٧٣ و ٢٧٤ وكذا انظر مقدمة تاريخ الاحتلال السرى صفحة ٩٧

٢ — راجع اشيل بيوفس ص ٦٥ وايضا فى كل هذا الباب مقدمة تاريخ الاحتلال السرى للاستاذ عبد القادر حمزة

الفصل الثامن

وزارة البارودى

أو الوزارة الشعبيـــة

استقالت وزارة شريف كما ذكرنا فى ختام الفصل السابق فخلفه محمود باشا سامى البارودى الذى اختاره النواب ودخلها عرابى وزيرا للجهادية والبحرية فكانت الوزارة مزيجا وطنيا ابتهجت به البلاد .

وبينما القطر المصرى فى فرح لانتصار النواب والامة ولاجابة مطالب الاهلين كان الانجليز وانصارهم يبيتون الشر للوزارة الوطنية ولمجلس الشورى اذ أن انتصار مجلس النواب لم يكن يقصد به الا حل عاجل للمشكلة ريثما يتم الاتفاق على من يوكل اليه أمر قمع العرابين لانه كان من المستحيل على انصار الانكليز والقناصل ان يهضموا وجود وزارة على رأسها احد كبار المنتمين للحزب الوطنى ووزير الحربية فيها عرابى نفسه

الحركة الدستورية ايضا :

كان أول عمل باشرته الوزارة الوطنية ان نظرت يوم ٦ فبراير فى مشروع الدستور فوضعته فى الصيغة التى ترضى الامة والنواب وفى ٧ فبراير عقد المجلس وقدم اليـه مشروع الدستور فى صيغته الجديدة فصادق عليه النواب بالاجماع وفيه قرر حق المجلس فى نظر الميزانيـة بالكيفية التى انتهت اليها لجنة المجلس والتى سبق ذكرها. ونص الدستور باكمله منشور فى ملحق فى ذيل هذا الكتاب فليرجع اليه .

وفى اليوم التالى أى فى ٨ فبراير ذهب البارودى الى مجلس النواب ليقدم له المشروع بعد أن صادق عليه النواب والخديوى . وفى نفس اليوم صدر أمر عال بان نيابة اعضاء مجلس النواب المجتمع اذ ذاك تمتد الى خمس سنوات ابتداء من يوم عقده وبذلك صـار مجلس شورى النواب هو نفسه

مجلس النواب الذى نص عليه فى الدستور الجديد .

وعقد المجلس بعد ذلك اكثر من عشرين جلسة مابين ٦ فبراير و ٢٦ مارس فنظر فى عدة مشروعات نافعة جدا للبلاد فى شئون زراعية وتعليمية وأمور تختص بالرى والصحة وغيرها وقدمت له الوزارة مشروعا لقانون الانتخاب الذى ينتخب على أساسه مجلس النواب فاقره المجلس فى ٢٥ مارس .

خطة العرابيين :

كان الوطنيون وقد آلت اليهم مقاليد الحكم يعجلون لتجديد الاداة الحكومية وانتشال البلاد ولكن داخل الحدود المشروعة وفى نطاق الاعتدال وكان يعين الوزارة بقلمه الشيخ محمد عبده تلميذ الافغانى والذى كان يشغل وظيفة مدير المطبوعات فى ذلك الحين وكذا اعانه بلسانه خطيب العرابيين عبد الله نديم .

وكانت الصحافة تدعو الى الحكمة والاعتدال (حتى يصل الساعون الى الغاية القاصية تدريجا) «١» وكان النواب يعملون على علاج كل اختلال فى الادارة والشئون العامة فعينوا لجانا مختلفة لتحقيق اسباب عجز ميزانية الجمارك واختلال مصلحة المساحة فى عهد الموظفين الاجانب . وعجز مصلحة الدومين التى كان قد استولى عليها روتشيلد ضمانا لدينه ـ وبالجملة كانت فكرة العرابيين العامة متجهة الى الاصلاحات وكانوا يفكرون فى نشر التعليم الاجبارى واصلاح المحاكم الاهلية وكانت الوزارة الوطنية تشتغل بتأسيس مجلس اعلى للادارة والتشريع ومنح مصر دستورا يحدد اختصاصات الخديوى والوزارة والمجلس .

وبينما كانت البلاد فى طمأنينة والمجلس سائرا فى طريق اصلاحه بخطى ثابتة كان القنصلان غاضبين على هذا النظام الجديد لان خضوع النظار للمسئولية الوزارية امام مجلس النواب واعطاء هذا المجلس حق تقرير الميزانية ينتشلان الحكومة من سيطرة المراقبين ويمهدان لها سبيل الاستقلال ففى ٢٠ فبراير كتب (السيرمليث) الى حكومته يخبرها ان المراقبة الثنائية اصبحت اسمية فقط

---

١ ـــ راجع جريدة مصر فى ٣١ ديسمبر سنه ١٨٨١ تحت عنوان (امانى وطنيه)

ولهذا ما كاد المراقبان يعلمان ان الدستور صدر حتى احتجا عليه فى خطاب طويـل رفعاه الى الخديوى (١) ولـكن الحكومة الوطنية لم تعبأ لهذا الاحتجاج باكثر من انها ردت عليه ردا يحفظ حقوق البلاد انما باسلوب رقيق .

وفى ٢٦ مارس تقدم البارودى الى مجلس النواب ومعه الامر العالى بانتهاء دورة المجلس ومع أن دور المجلس كان قصيرا جدا الا أن اصلاحاته التى قام بها أو هيأها واعد اصولها لاتعد ولاتحصى (٢)

المؤامرة الشركسية او مؤامرة ٢٥ ابريل :

اكثرت الـكتب فى رواية قصة هذه المؤامرة بصور متباينة ومن الروايات الجديرة بالاعتبار عن هذه القصة ما رواه مستر بلنت نقلا عن سكرتير الخديوى اسماعيل الذى يرى بلنت انه هو الذى اوعز بهذه المؤامرة لـكى يصل منها الى العودة الى العرش الذى كان يحن اليـه خصوصا ان السير ريفرز ولسن كان يفكر فى اعادة اسماعيل ليحمى المراقبة الثنائية وليتمكن بنفوذه من انقاذ البلاد من ضعف الحكومه وترددها .

وملخص القصة كما رواها بلنت ان اسماعيل اوعز الى احد انصـاره راتب باشا بان يجمع الى صفه بعض الضباط الجراكسة وان يبدأوا بقتـل عرابى والبارودى وباقى زملائهما وحدث أن راتب دعا ضابطا شركسيا يدعى راشد انور افندى لـكى ينضم اليهم فأبى ان تـكون له بهم اية علاقة . فلما ترك المتآمرين قام توا الى عرابى وكشف له عن المؤامرة فالقى القبض على المتآمرين وقدموا للمحاكمة العسكرية (٣)

وهكذا فشلت هذه المؤامرة ولم تـكن لتستتبع أى ارتباكات اخرى ولا تدخل القنصل البريطانى

---

١ — راجع الـكافى لميخائيل بك شاريم ص ٢٧٧ و ٢٧٨ .

٢ — راجع المسألة المصرية مسيو تيودور روتنستين ١٩٢٣ الترجمة صفحة ١٥٦ وكـذلك راجع ايضا ص ٢٤٩ من المسألة المصرية لمسيو دى فريسينيه .

٣ — والذى اراه انه لم يقم الدليل القاطع على نسبة هذه الواقعة الى الخديوى اسماعيل ولـكن يمكن ان يقال اجمالا ان السبب المباشر فيها كان رغبة الضباط الاتراك فى الانتقام من عرابى .

ولكن بدلا من القضاء على عوامل الفوضى وتقوية الحكومة التى كانت هدف هذه المؤامرة مال الخديوى بكل عواطفه نحو المتآمرين فقد حوكم هؤلاء المتآمرون أمام محكمة عسكرية وحكم عليهم بالنفى الى البحر الابيض ومع ان هذه العقوبة بسيطة ولا دخل لها فى سلطة المراقبين ولا مساس بأى حال بديون الدول فان مالت تدخل فيها واوعز الى الخديوى برفض التصديق على الحكم .

هذه الرواية يقول بها بعض المصادر ولكن عرابى نفسه ينفيها ويقول ان الخديوى صادق على الحكم فعلا وأنه هو التمس من جنابه تعديله بحيث يرسل المنفيون الى بلادهم (أى تركيا) بدلا من الاقاليم السودانية التى لا يألفون جوها (عبد السميع)

المذكرة المشتركة الثانية :

فى ٢٤ مايو ارسلت فرنسا وانكلترا تعليمات الى قنصليهما بان يتخذا كل الطرق الممكنة للقضاء على سلطة العرابيين ففى ٢٥ مايو قدم القنصلان مذكرة رسمية مشتركة جديدة تتضمن المطالب الآتية : —

١ — انسحاب عرابى من مصر مع حفظ حقه فى مرتبه والقابه .

٢ — ابعاد على باشا فهمى وعبد العال باشا الى داخلية مصر مع حفظ حقوقهم .

٣ — اقالة وزارة البارودى .

ومما يجب ذكره ان القنصلين قررا ان هذه المذكرة وضعت بناء على مشورة سلطان باشا رئيس مجلس النواب ...

فلم يسع البارودى الا ان قدم استقالته فى ٢٦ مايو محتجا فى نفس الوقت على الدول الاجنبية على تدخلها فى شئون مصر . وفى ٢٧ مايو قبلت استقالته الوزارة .

« * »

ومما يجدر ذكره ان الوزارة قبل أن تقدم استقالتها اخذت فى الاحتجاج على هذه المذكرة المشتركة كما احتج عليها الباب العالى .

«وقد كتب البارودى رسالة الى أعضاء البرلمان يستدعيهم للحضور لانعقاد المجلس فى دور غير عادى . ولما لم يكن من اختصاص الوزارة دعوة المجلس الى الاجتماع اذ كان ذلك من اختصاص الخديوى اجتمع النواب فى منزل سلطان باشا وقرروا مؤازرة الوزارة وقرروا أيضا باكثرية ٤٥

ضد ٣٠ صوتا انه اذا استمر الخديوى على دسائسه مع القنصلين فلا مناص من محاكمته وخلعه (١) وبذا دخلت الصورة السلمية فى طريق العنف والاضطراب والارتباك التى كانت ترمى اليها المذكرة المشتركة واندفعت فى منحدر متطرف من الناحيتين.

وقد كتب فريسينيه الى قنصل فرنسا فى مصر بتاريخ ٧ مايو يقول « انه فى حالة حدوث خلاف بين الخديوى ووزرائه يجب عليك ان تتضامن مع ماليت فى تأييد الخديوى الذى هو السلطة الشرعية الوحيدة »

وتحت هذا التأثير اغرى القنصلان بعض المواطنين للانضمام اليهم فما كانت تذاع فى مصر انباء قرب وصول الاساطيل الانجليزية والفرنسية حتى ظهر المنشقون بحركتهم ولكنهم انقسموا عند الاقتراع على خلع الخديوى وكانت الوعود قد فعلت تأثيرها السحرى فى نفوس هؤلاء المنشقين وعلى رأسهم رئيس مجلس النواب نفسه.

١ ـــ راجع التاريخ السرى للاحتلال ترجمة ص ١٩٨.

الفصل التاسع

عرابى يكفل السلطة

تأليف وزارة راغب باشا

استقالت وزاره البارودى فى يوم ٢٦ مايو سنة ١٨٨٢ محتجة على اللائحه المشتركة وقبل الخديو استقالتها ثم بعث الى المحافظين والمديرين يحيطهم علما بذلك ويطلب اليهم ان يبعثوا الى المعية بالامور الهامة الى ان تشكل هيئة النظارة الجديدة .

وفى يوم ٢٧ مايو أقام الخديوى حفلة كبيرة دعا اليها النواب والاعيان والعلماء وشيخ الاسلام الشيخ عليش وغيرهم من وجوه الامة ورؤساء الجيش ثم خاطبهم بقوله « ان السياسة اقتضت استعفاء الوزارة وقبول مذكرة الدولتين وانى حفظت لنفسى رياسة الجهادية وادارة المصالح الادارية لحين تشكيل وزارة جديدة »

وهنا وقف طلبه باشا عصمت وقال : —

« نحن مطيعون جميعا للجناب السلطانى وللجناب الخديوى ولكن هذه المذكرة المؤذنة بضياع استقلالنا يستحيل علينا قبولها وتنفيذها ولا حق للدولتين فى طلب تنفيذها — ويستحيل قبول رئيس للجهادية خلاف رئيسنا احمد عرابى

بهذه العبارة الجريئة عبر عصمت باشا عن ارادة الامة وقد أمن الشيخ عليش (١) والعلماء عليها ثم خرج طلبه باشا وتبعه الحاضرون

وبعد انصرافهم ورد على المعية تلغراف من ضباط جميع الآيات الاسكندرية فحواه انهم لا يرضون

---

١ — فى رواية المستر بلنت (ترجمة ص ٢٤٢ التاريخ السرى للاحتلال البريطانى) ان الشيخ عليش اصدر الفتوى الآتيه « ان الخديوى حاول بيع البلاد للاجانب واطاع قناصل اوروبا فانه لم يعد يصلح لان يكون واليا على المسلمين المصريين ويجب لذلك خلعه »

البته غير عرابى ناظرا للجهادية — فاذا أنقضت ١٢ ساعه ولم يرجع الى منصبه كانوا غير مسئولين عما عساه ان يحدث مما لا يستحب وقوعه .

ولم يكد نبأ استقالة الوزارة على تلك الصورة يصل الى اهل البلاد كافة حتى هاجوا وبلغ الاضطراب فى بعض الجهات مبلغا جسيما — ومن ثم وفد على القاهرة جميع اعيان البلاد وكبار الموظفين وقدموا لعرابى مئات من العرائض بواسطة مديريهم يحتجون فيها على ما تم متطلبين أحد أمرين .

١ — أما رفض المذكرة المشتركة

٢ — اما عزل الخديوى الذى رضى عليها .

فلما أحس الخديو خطورة الموقف بعث الى السلطان ببرقية يحيطه فيها علما بالحوادث فورد عليه الرد من الباب العالى بان السلطان امر بتشكيل لجنة عثمانية تصل الى مصر بعد ٣ أيام للنظر فى حل المشكلة ولدقة الموقف وتسرب الخوف الى النفوس جميعا زار قناصل الدول ماعدا قنصل انجلترا عرابى فى منزله وطلبوا اليه ان يؤمنهم على رعاياهم فاجابهم بانه قد استعفى من هيئة النظار ولم تعد له صله تخوله تحمل مثل تلك المسئولية العظيمة فقالوا ان الجيش لا يخالف له امرا وأنه هو رئيس الحركة الوطنية فى البلاد فهم لذلك لا يأمنون على رعاياهم وعلى انفسهم ايضا الا اذا اعطاهم كلمة الشرف بانه يكفل لهم جميعا ارواحهم واموالهم ومصالحهم بحيث لا يمسها سوء . فرغبة منه فى تهدئة الخواطر الهائجة وتسكين النفوس القلقة المضطربة اعطاهم كلمة الشرف التى طلبوها ، وأمنهم من كل خوف . ثم بعث بتلغراف الى جميع مراكز العسكرية يطلب اليهم فيه بصفته رئيسا للحزب الوطنى أن يركنوا الى الهدوء والسكينة وان يحافظوا على راحة الجميع لاسيما رعايا الدول الاجنبية ويعاملوهم باحسن ما تقضى به المحافظة صيانة للسلم الذى لا بد منه لمصلحة البلاد .

وفى ليلة السبت ٢٧ مايو دعى عرابى الى منزل محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب فذهب معه على باشا فهمى وعبد العال باشا حلمى ومحمد بك عبدة وغيره من الضباط . ولما وصلوا اليه وجدوه غاصا باعضاء مجلس النواب وكان معهم قاضى قضاة مصر الشيخ عبد الرحمن نافذ ، والشيخ عبد الهادى الابيارى امام المعية وغيرهم من ذوى الرأى فى البلاد . وقد تم الاتفاق فى تلك

الليلة على ملازمة الراحة والسكون ، وان يطلب الى الخديو ان يرفض اللائحة الثنائية التى اغضبت البلاد واستثارت النفوس الوادعة غضبا لكرامتها ، وان يطلب اليه كذلك ان يأمر بارجاع عرابى الى نظارتى الجهادية والحربية فاذا أبى ذلك الطلب عزل من الخديوية المصرية عزلا .

وبينما هم على تلك الحال أقبل على منزل سلطان باشا جمهور كبير من الضباط وغيرهم من رجال المملكه وتجمهروا فى الحديقة واخذوا يتصايحون بقولهم — «اعزلوا الخديوى الذى دعا الاجانب للتدخل وتهديدنا باساطيلهم »

ثم خرج عرابى ومن معه من كبار الضباط وتوجهوا الى منزل محمود سامى باشا فوجدوه غاصا أيضا بكثير من الذوات الذين كانوا ينتظرون انباء تلك الحالة الحرجة ويتداولون فيما عسى ان يأتى به الغد من الحوادث . ويقول عرابى ان عبد الله باشا فكرى الذى كان استاذا ومربيا للخديوى فى صغره التقى به هناك وقاله له أيه! قتلتموه فقال له من تعنى ؟؟ فقال : ؟؟ اعنى الخديو الم يقتل فاجابه بقوله : — « اننا لا نقتل احدا بغير حكم شرعى فلا يليق بك ان تتكلم هذا الكلام » وبعدمناقشةقصيرة انصرف كل منهم الى منزله .

وفى صباح تلك الليلة اى فى يوم السبت ٢٧ مايو اقبل على منزل عرابى محمدسلطان باشارئيس مجلس النواب وحسن الشريعى باشا وسليمان اباظه باشا وسلموه امر الخديو القاضى برجوعه الى نظارتى الجهادية والبحرية واخبروه بانهم عند ما وفدوا على الخديوى فى ذلك اليوم وجدوا عنده قناصل الدول جميعا ما عدا قنصلى انجلترا وفرنسا وانهم التمسوا من الخديوى ان يصدر امره برجوعه (اى عرابى) الى منصبه حتى تدخل الطمأنينة على نفوس الجميع . وهكذا ترى ان القناصل والنواب جميعا كانوا على رأى واحد فى هذا الصدد. ولم يكد ينتشر هذا النبأ العظيم حتى فرح الضباط والجنود وعم السرور جميع اهالى البلاد . وفيما يلى صورة الأمر الخديوى الذى صدر برجوع عرابى الى نظارتى الجهادية والبحرية قال :

ولو انكم استعفيتم ضمن هيئة النظار التى استعفت لكن مراعاة لحفظ الامن والراحة استصوبنا

١ — نقلا عن جريدة كوكب الشرق عدد ابريل سنة ١٩٣٢ .

بقاءكم فى نظارة الجهادية والبحرية ، واصدرنا امرنا هذا لكم لتعلموه وتبادروا باجراء ما فيه انتظام احوال العسكرية بالطريقة الكافلة لحفظ الامن العمومى على الوجه المرغوب كما هو مقتضى ارادتنا .

دعى عرابى بموجب الامر السالف الذكر فى ٥ يونية الى ان يتكفل بالسلطة بشرط ان يقدم تعهدا للقناصل بان هو وحده المسئول عن الامن والنظام فى البلاد وقد قبل عرابى وكتب التعهد .

ولما وصلت هذه الاخبار الى مستر بلنت وكان فى انجلترا ارسل لعرابى يهنئه تلغرافيا وقد وزعت منشورات فى جميع انحاء البلاد بخصوص سلامة الاجانب

وفى ذلك الحين وصل الاسطولان الانجليزى والفرنسى الى الاسكندرية حسب الاتفاق وكان قائد الاسطول الانجليزى السير بوسب سيمور .

أما تركيا فارادت الظهور بمظهر صاحبة السيادة فى البلاد المصرية فارسلت وفدا من لدنها لفحص المسألة وخاطبت الدولتين بانه لا داعى لبقاء اساطيلهما فى الاسكندرية فلم توافق الدولتان على استرجاع اساطيلهما ورأت ان فى مجرد بقائها فى مصر ضمانا لتحقيق اغراضهما الاستعمارية عندما تحين الفرصة .

بعثة درويش :

كان الوفد التركى الذى اوفده الباب العالى الى مصر مكونا من درويش باشا وهو احد القواد الاتراك ومن اسعد افندى وهو احد رجال الدين فى سراى السلطان وكان هذا الوفد فى الواقع مهزله فقد كان لكل مندوب منهما كاتم سره الخاص وكانا على خلاف اساسى فقد كان لدى درويش باشا اوامر بان يلقى القبض على عرابى وانصاره من الزعماء وأن يرسلهم الى الاستانه وأن يلغى البرلمان وأن يخفض من سلطة الخديوى ويعزز سلطة السلطان واذا لم يستطع تنفيذ ذلك فعليه ان يلجأ اخيرا الى طلب جيش تركى .

اما التعليمات التى كانت لدى اسعد افندى فهى ان يشكر اعيان مصر على ولائهم وان يؤكد لهم أن السلطان لاينوى أن يخفض من سلطة الخديوى الممنوحه بموجب الفرمانات السلطانية .

وكان غرض السلطان من ذلك ان يتقوى على حساب الجميع وان يقف متفرجا حتى تنجلى الازمة فينضم الى الجانب المنتصر وقد عمل كل من السفيرين بحسب التعليمات المعطاة له وقد بدأ درويش باستعمال غطرسته مع المشايخ والاعيان الذين زاروه فاستاء الاهلون لذلك وماجوا وبدأت التلغرافات تصل من الاقاليم الى العاصمة مملوءة بالاحتجاجات على الاهانات التى لحقت صفوة الامة وصرح عرابى قائلا « فليرسلوا لنا جيوشا اوروبية أو هندية او تركية فانى مادمت وبى رمق فانى سأدافع عن بلادى وعندما نموت جميعا ايمكنهم ان يمتلكوا البلاد وهى خراب وحسبنا فخر الدفاع عن الوطن » وعندئذ خضع درويش الى الامر الواقع وارسل يستدعى عرابى اليه وهو الذى كان يرفض مقابلته حتى ذلك الوقت ٠ قابل درويش عرابى بكل لطف وأخذ فى مداهنته على الطريقة التركية وفى النهاية عرض عليه حل الازمة وهو ان ينزل عرابى له عن سلطته ويسافر الى الاستانه وبذلك يرضى السلطان وينفى عن نفسه اشاعة التمرد

فاجاب عرابى بانه مستعد لان يستقيل ولكن بما ان الحالة خطيرة والمسئولية عظيمة فانه لا يستقيل الا اذا تسلم اقالة تخليه من كل مسؤولية ٠ ثم انه يؤجل سفره للاستانه الى وقت تكون قد هدأت فيه الحالة وعندئذ يذهب باعتباره احد افراد المسلمين ليقدم فروض الطاعة للخليفة . وعندئذ قال درويش

« اذن قد اتفقنا فارسل الان الى الجيش رسالة تخبرهم فيها بانك تنازلت عن السلطة وفى يوم الاحد القادم يجتمع القناصل مع الخديوى وسنكتب لكم الأقالة التى تطلبها »

فرفض عرابى ان يفعل ذلك قائلا « انه لن يستقيل حتى يتسلم خطاب الاقالة . وعندئذ كانت جميع اغراض درويش قد ظهرت جلية لعرابى فتركه وانصرف . وقد فهم عرابى كل هذه المحاولات التى كانت ترمى الى ابعاده الى تركيا وهناك يقتل بلا رحمة وقد ايدت الحوادث بعد ذلك كل ظنون عرابى واغراض درويش ولاثبات ذلك ننقل هنا جزءا من التقرير الذى ارسله درويش الى السلطان :

ان جميع الوسائل والحيل والتدابير التى عملتها لاقناع عرابى بوجوب السفر الى الاستانة لم تأت بأية فائدة. حتى عندما اهدى اليه النيشان قلت له انه من الواجب عليه ان يقصد الاستانة ليشكر السلطان

على تعطفه ولكنه اعتذر عن ذلك قائلا انه نظرا للازمة الواقعة فيها مصر ولما تظهره انكلترا لبلاده من عين الغدر لا يمكنه ان يبرح مصر لاى مكان آخر لكنه سيقوم بتقديم واجبات الشكر ويعتذر عن الذهاب بلسان البرق.

وبعد حادث الاسكندرية بمدة اتفقت مع قبطان الباخرة (عز الدين) سرا على ان يكون متأهبا لان يرفع مرساه سفينته وتقلع الى الاستانة حالما يضع عرابى قدمه فيها. وفى اليوم التالى زرت عرابى واظهرت له الود والصداقة وبعد ما تجاذبنا الحديث لفت نظرة الى الباخرة عز الدين واقترحت عليه ان نزور البواخر المصرية فى الميناء وكذلك الباخرة عز الدين فكان جوابه لى من قبيل التهكم المراد قال انا جندى وليس لى شأن بالصعود الى السفن والبواخر وانه اولى بنا ان نشغل أوقاتنا باعمالنا وقضاء واجباتنا من ان نضيع الوقت سدى بزيارة البواخر »

مذبحة الاسكندرية .

كانت مقابلة عرابى لدرويش السالفه الذكر فى ١٠ يونيه سنة ١٨٨٢ فلما فشلت المحاولة نشطت الرجعية لتحقيق مذبحة الاسكندرية بمساعدة القنصلين وتم لهم الامر فى اليوم التالى اى فى ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ م وتجد تفصيلا لحوادثها فى الفصل التالى. وكانت نتائج مذبحة الاسكندرية ان خذل الخديوى ودرويش والقنصلان وهم الذين دبروا حوادثها اذ اصبح عرابى امام الدول هو الوحيد القادر على حفظ النظام واصبحت الدول تعطف على الحركة الوطنية وخصوصا فى ايطاليا وقدرأت فرنسا نهائيا عدولها عن العمل المسلح ولذا قررت انكلترا بعد ان فشلت كل دسائسها وسياستها وتنفيذا لخطتها المرسومة ان الساعة قد حانت وان مدافع الاسطول هى وحدها القادرة على التغلب على تصميم الشعب على الحرية والاستقلال

وزارة راغب باشا

ظلت البلاد اكثر من ثلاثة اسابيع بدون نظارة ولما كان ذلك معطلا لشئون القطر الح قنصلا المانيا والنمسا على الخديوى ليعين نظارة معتدلة من الوطنيين المعتدلين منعا لما يوجب تدخل انجلترا وفرنسا فعهد الخديوى الى اسماعيل راغب باشا بتأليف نظارة جديدة فالفها فى ١٩ يونيه وظل

فيها عرابى ناظرا للحربيه والبحريه.

ثم انتقل الخديوى والنظار الى الاسكندرية وبقى عرابى فى مصر ومن غريب الامور أن النظارة الجديدة لم تتول السلطة ابدا اذ أن الحوادث تفاقمت بعد ذلك كما سيأتى التفصيل وقامت الحرب وانضمت الحكومة والوزراء ما عدا عرابى الى الانجليز فبقيت الدواوين فى القاهرة يديرها مديروها وتولى وكلاء الوزارات العمل بدلا من الوزراء طول مدة الحرب

ملحق للفصل التاسع

الوثائق الرسمية الخاصة بنظارة راغب باشا

١ — من توفيق الى عرابى

فى ١٦ يونيو عزم الخديو توفيق باشا على تأليف الوزارة برياسة اسماعيل راغب باشا فكتب فى الاسكندرية الى عرابى فى القاهرة الكتاب الآتى :

حيث ان الحالة تستدعى وجود هيئة يعتمد عليها فى مباشرة اشغال ومصالح الحكومة انتخبنا وعينا سعادة اسماعيل باشا راغب رئيسا لمجلس النظار وأمرناه بتشكيل وانتخاب هيئة يعتمد عليها والعرض عنها لطرفنا الصدور أمرنا باعتمادها فليكن فى علمكم احالة مقام الرياسة لعهدة الباشا المشار اليه وكونوا جميعا يدا واحدة فى المساعدة والمعاونة وصرف الاقتدار والامكان لما فيه انتظام الادارة وحسن السير فى الاعمال واستتباب الامن والراحة بأطراف واكناف البلاد نسأل الله التوفيق والاصلاح .

١ — من عرابى الى توفيق

وفى ١٧ يونيه اجاب عرابى بالكتاب الآتى :

تشرفت بالارادة السنية الواردة الى من سموكم ناطقة بتفويض رئاسة نظار حكومتكم الى سعادة اسماعيل راغب باشا نظرا لما تقضى به الاحوال الحاضرة من احتياج الحكومة الى هيئة نظار يعتمد عليها فى مباشرة اشغال الحكومة فى تلك الاحوال . وقد توجه الينا الامر من سموكم فى تلك الارادة بأن نكون يدا واحدة فى المساعدة والمعاونة على تحسين الاحوال بقدر ما فى الامكان وبالاستطاعة واننى بالاصالة عن نفسى وبالنيابة عن جميع الضباط العسكرية نبدى لعظمتكم ارتياحنا لهذا التعيين رجاء ان يؤدى الى الغاية المقصودة منه فقد اشتهر سعادة الباشا المشار اليه بالدراية والدربة فى اعمال الحكومة لما انه تقلب فى الوظائف المهمة زمنا طويلا واشتهر طويلا بالامانة والاستقامة

وحيث ان اوامر الحكومة انما تصدر لصالح البلاد ورفاهيتها وتمتعها بالراحة الكافة فنحن مستعدون

لتنفيذ تلك الاوامر ونؤدى واجباتنا فى ذلك بكل ما فى الوسع والطاقة ونسال الله حسن التوفيق.

ويرى من ذلك ان الخديوى توفيق لم يؤلف وزارة راغب باشا الا بعد ان استشار فى تأليفها عرابى او قل بعد ان استأذنه. وكان عرابى هو الناظر الوحيد الباقى من وزارة محمود سامى فى منصبه.

وبناء على هذا شكلت الوزارة فى ٢٠ يونيه من تلك السنة. وفى ٢١ اجتمعت ورفعت الى الخديوى كتابا يتضمن بروجرامها فى العمل هذا نصه.

٣ — من الوزارة الى توفيق..

مولاى..

توجهت الى عناية عظمتكم فعهدتم الى بتشكيل هيئة نظارة جديده فاول واجب على هو ان اعرض على مسامعكم الشريفة الاصول التى تعتبرها الهيئة المشكلة تحت رياستنا اساسا لجميع اجراءاتها فاعرض ان حالة القطر المصرى قد اخذت اشكالا متنوعه فى ازمنة متقاربة بالنسبة للامور المالية والادارية غير ان الحكومة قد تقررت فيها اصول واجبة الرعاية فى المستقبل على قواعد راسخة ايضا اما الاصول المقررة الواجبة الرعاية فهى الفرمانات السلطانية العليه الشأن والاوامر الصادرة فى تنظيم المالية والكفالات المأخوذة لتسهيل سداد الديون المنتظمة والطرق التى اتخذت لتسديد الديون السائرة ووجود قلم المراقبة على حدوده المذكورة فى الامر الكريم الصادر بتجديدها وجميع ماحواه قانون التصفية وتأسيس مجلس النواب بلائحته الاساسية والانتخابية الصادر عليهما الامر العالى باعتمادها وجميع العهود والمواثيق الدولية. فجميع هذه الاصول الثابتة التى روعيت قبل الآن بكمال الضبط ستراعى فى هيئة النظارة الجديدة بغاية الدقة بل ان هذه الهيئة ستأخذ بجميع الاسباب الموجبة لتثبيت هذه الاصول وتقوية جانبها فانها ترى فى ذلك توفيقا بين المصالح يعود على البلاد بأجل المنافع. وأما الاصول التى يجب بذل الجهد فى ترتيبها على قواعد اساسية هو اتقة للاصول الثابتة توضع باشتراك هيئة النظارة مع مجلس النواب وتصديق عظمتكم فهى الاصول الاساسية التى تعين حقوق الحكام والمحكومين من كل صنف والقوانين الادارية والقضائية وتنظيم حالة الادارة والقضاء

على وجه يلائم مصالح البلاد ويحفظ لها صورتها المدنية فهذه الاصول ستأتى بما فى الوسع لاصلاحها ومنها ماتخصه بالذكر لضروره الحوادث التى طرأت على البلاد اخيرا ويبتدأ العمل به من أول يوم يستلم فيه النظار وظائفهم وهو..

اولا . — ان يصدر عفو عمومى ويعلن فى الجرائد الرسمية باللغتين العربية والفرنسية عن كل من عليه مسئولية او له اشتراك فى الحوادث الاخيرة. وهذه عدا المشتركين والمسئولين فى حادثة الاسكندرية وفى المواد الحقوقية فلا يشملها العفو .

ثانيا . . — لايعامل احـــد بجزاء ما الا بعد محاكمته فى مجلس بمقتضى القانون وصدور الحكم عليه .

ثالثا .. — لاتجرى مخابرات فى المصالح السياسية من مأمورى الحكومة مع احد وكلاء الدول بالقطر المصرى الا من طرف ناظر خارجية حكومتكم فقط وعليه ان يستشيروا مجلس النظار فى الامور المهمة وان حصلت مخابرة مع احد المأمورين فلا تعتبر ولا يعتد بها .

رابعا. — الاوامر التى تصدر بالاجراء والعمل يكون اصدارها على موجب الديكريتو العالى المؤرخ فى ٢٨ اغسطس سنة ٧٨ .

ومما نرى الاهتمام به واجبا علينا ايجاد الوسائل لتوسيع دائرة المعارف والصنائع وتحسين احوال الزراعة والتجارة وكل مايعود على البلاد بالثروة فهذه يامولاى هى المبادىء التى يكون عليها العمل فى هيئة نظارتكم الجديدة .

ولاريب فى انها تكون كافلة لاهالى الديار المصرية بأتم الفوائد . وان لى وثوقا تاما بان الدول العظيمة ستعد هذه الاصول ضامنة للراحة والهدوء الابويين وان جميعها ستساعدنا كل المساعدة على القيام برعايتها خصوصا دولتنا العلية العثمانية التى لايسرها الا ان ترى اهالى اوطاننا فى ارغد عيش ورفاهية بال . فان حسن لدى مولاى ما اوضحته فى هذا البيان فليحسن بالتصديق على التقرير وانى لعظمتكم الخاضع والخادم المتواضع .

٤ — من الخديوى الى راغب باشا.

فاجاب الخديوى على هذا الكتاب بكتاب هذ نصه . .

انه لوثوقى التام فى فطنتكم واعتمادا على حسن درايتكم قد كلفتكم فى هذا الوقت المهم بتشكيل هيئة نظارة جديدة تحت رياستكم يحصل بها الثقة فى هذه الاحوال الحاضرة فاجبتم لذلك ورفعتم الينا بيان مبادىء هذه الهيئة وهى اقرار الاصول المقررة الواجبة الرعاية بمقتضى الفرمانات السلطانية العلية الشأن والاوامر المتعلقة بانتظام المالية والكفالات المأخوذة لتسهيل سداد الدين المنظم والطرق التى اتخذت لتسديد الديون السائرة ووجود قلم المراقبة على حدوده المقررة وجميع ماحواه قانون التصفية وجميع العهود والمواثيق الدولية مع اشتراك هيئة النظار مع مجلس النواب ولوائح تأسيس وانتخاب مجلس النواب فى ترتيب اصول على قواعد اساسية موافقة للاصول الثابتة وبتصديقنا عليها تكون اصولا اساسية تعين حقوق الحكام والمحكومين من كل صنف والقوانين الادارية القضائية وتنظيم حالة الادارة والقضاء على وجه يلائم مصالح البلاد ويحفظ لها صورتها المدنية . ثم ومن تلك المبادىء ما يبتدأ العمل به من اول يوم يلائم فيه النظار وظائفهم وهو :

اولا — اصدار عفو عمومى ليعلن فى الجرائد الرسمية باللغتين العربية والفرنسية عن كل من عليه مسؤلية او له اشتراك فى الحوادث الأخيرة عدا الاسكندرية وفى المداد الحقيقية فلا يشملها العفو .

ثانيا — لايعامل احد بجزاء الا بعد محاكمته فى مجلس بمقتضى القانون وصدور الحكم عليه

ثالثا — لا تجرى مخابرات فى المصالح السياسية من مأمورى الحكومة مع احد وكلاء الدول بالقطر المصرى الا من طرف ناظر الخارجية فقط وعليه ان يستشير النظار فى الامور المهمة وان حصلت مخابرة من احد المأمورين فلا تعتبر ولا يعتد بها

رابعا — الاوامر التى تصدر بالاجراء والعمل يكون اصدارها على موجب الديكريتو المؤرخ ٢٨ اغسطس سنة ٧٨ لآخر ما اوضحتموه عن وجوب الاهتمام فى وسائل اتساع المعارف والصنائع وتحسين احوال الزراعة والتجارة وكل ما يعود على البلاد بالثروة

وحيث ان هذه المبادىء التى ينتموها هى اساس افكارنا لما فى ذلك من الوسائل والوسائط الموصلة لاسباب العمران وسعادة البلاد فأملى بالعناية الالهيــة وحسن مساعى الهيئة الجديدة اجراء كل ما يعود بالفائدة وانتظام الاحوال نسأله التوفيق والنجاح .

٥ — من الخديوى الى الوزارة . .

وفى ٢١ يونيه بعث الخديوى الى راغب باشا بالكتاب الآتى عن مذبحة الاسكندرية . قال .

فى علمكم الحادثة الفظيعة التى وقعت فى ثغر الاسكندرية فى يوم الاحد الموافق ٢٥ رجب سنة ٩٩ (١١ يونيو سنة ٨٢) وما ترتب عليها من اعدام وجرح جملة نفوس اجانب ووطنيين ونهب امتعة جملة من الدكاكين وامتداد الحادثة زمنا ترتب عليه انتشار الفتنة وسريانها الى مواقع متعددة فى البلد وكانت النتيجة بعد نهاية الواقعة سلب الامنية العمومية للاجانب ولم تقتصر هذه على ثغر الاسكندرية بل سرى فقد الامنية بباقى الثغور والبنادر وخاصة مدينة مصر وهرع التجار والرعايا الأوروبيون الى القيام والسفر من القطر المصرى ومع ما صار من النشر والاعلان والتفهيم بوجود الامنيه والتزامنا بها ومسئوليتنا عنها ما زالت التجار تترك محلات متاجرها واعمالها وتسافر الى الخارج وقد تعطلت الاسباب وتوقفت التجارة وتعذر وجود النقدية بالكلية لعدم وجود تجار للاخذ والعطاء وكل ذلك من نتائج تلك الواقعة السيئة التى تسبب عنها هذا الضرر العظيم مما يتأسف منه للغاية لعدم سبوق نوادر مثل هذه بالاقطار المصرية يترتب عليها مايؤول منه التأخير الكلى للبلاد والضرر العام سواء كان لاهالى البلاد خاصة او للاجانب الذين تركوا اموالهم واملاكهم وقاموا بغتة خشية مما وقع .

وحيث ان هذه الحادثة من اهم الامور ومن المعلوم ان حدوثها وحصولها بالكيفية التى وصلت اليها لا بد لها من اسباب ومسببات تعلم عند البحث والفحص الدقيق فينبغى المبادرة والالتفات بهذا الامر المهم والوقوف على السبب المنتج لهذه الحادثة والاسباب التى اوجبت اتساعها واستمرارها زمنا بدون تدارك امرها فى دفعة والمسئول فيها وفى وقوعها والمهمل فى عدم تلافى امرها واظهار الفاعلين والمسئولين والمشبوهين والعرض لطرفنا عن ذلك فى اقرب وقت لترتيب الجزاء المقتضى على من يستحق بحسب درجات الجنايات والجنح التى تتضح من التحقيق . كما انه من حيث هذه الحالة اورثت للاجانب تخوفا نشأ عن هذا تنفر بينهم وبين الوطنيين وانقطعت بين الفريقين صلات المحبة والمسالمه ولايليق ترك هذه الثغرة على حالها بدون تدارك امرها واجراء مافيه لقاء واستمرار معاملات الالفة وحسن الامتزاج بينها ومن المهم ايضا استعمال الوسائط والمناسبات الفعالة لاعادة ما كان بين الاجانب والاهالى من التحاب وحسن المعاملة وارجاع مافقد من الامنية واستدراك تمشية احوال التجارة العموميه بالاقطار المصرية حسب ما كانت عليه الحالة قبل حصول هذه الحادثة

بحيث أن هذه الاجراءات تكون بغاية السرعة لان هذا الامر لايقاس بسائر الامور ولا بأى حادثة من الحوادث ومن الضرورى الاهتمام به وانجازه بوقت مستقرب كما هو لازم .

٦ — قرار النظارة ..

وعلى اثر ذلك انعقد مجلس النظارة فى سراى رأس التين برياسة راغب باشا وأصدر القرار الآتى نصه ..

بالتذاكر فى هذه المسألة المهمة نرى ان هذه الحادثة (حادثة ١١ يونيه) فى الواقع امرها مهم جدا ووقوعها بالصفة التى حصلت بها داخل ثغر الاسكندرية مما يبعث على الاسف الزائد خصوصا وكونها مع اجانب مستأمنين وبيننا وبينهم صلات المعاملة ومناسبات التجارة التى هى من أعظم اركان الثروة العمرانية وما كان يخطر بالفكر وقوع حالة مثل هذه فى هذا الثغر بل ولا فى أى جهة من جهات القطر المصرى كما هو سابق وثابت من شهرة هذه البلاد بالامن خصوصا واحترام الاجانب القاطنين بها والمترددين عليها مما هو مترتب على وجودهم من الانتفاع المتبادل بيننا وبينهم فما اشارت به الحضرة الخديوية من المبادرة باجراء التحقيقات الدقيقة المترتب عليها معرفة السبب والمسبب والمسئول والمهمل فى هذا الامر لترتيب الجزاء المقتضى على من يستحق بحسب درجات الجنايات والجنح التى تتضح من التحقيق هو من اهم مايلزم له الرعاية والالتفات فى هيئتنا هذه الحاضرة التى جعلت هذا الامر المهم باكورة اعمالنا وبادىء بدء فى افكارها وحيث انه وان كان قبل تشكيل هذه الهيئة كان يعين قومسيون لتحقيق القضية المحكى عنها تحت رياسة سعادة عمر لطفى باشا محافظ الأسكندرية فالاوفق والحالة هذه ان يشكل قومسيون للفحص والتحقيق تحت رياسة سعادة عبد الرحمن بك رشدى ناظر المالية ويكون مركبا من ثمانية عشر عضوا نصفهم من مأمورى الحكومة الخديوية والنصف من مندوبى قناصل الدول المتحابة فمأمورى الحكومة هم سعادة قدرى باشا من مأمورى الحقانيه وسعادة يعقوب باشا سامى وكيل الجهادية وسعادة بطرس باشا غالى وكيل الحقانيه وحضرة حماد بك من أعضاء المحكمة المختلطة باسكندرية وحضرة حسن بك محمود رئيس مجلس الصحة البحرية والكورنتينات وحضرة ابراهيم بك الالفى رئيس مجلس ابتدائى الاسكندرية وحضرة حسين بك واصف من مأمورى الحقانية وحضرة ابراهيم بك فؤاد رئيس مجلس

الجيزه والقليوبيه وحضرة يوسف بك برتو مأمور الدائرة البلدية باسكندرية . أما مندوبو القناصل فيكتب عنهم من نظارة الخارجية لجناب مسيو دومارتيني قنصل جنرال دولة ايطاليا الفخيمة بصفة انه أقدم حضرات القناصل أمثاله كما أنه بمخابرة جنابه مع باقى القناصل يجرى انتخابهم وتعيينهم مع تفهيم جناب القنصل المومأ اليه عن الغرض المقصود من هذا التحقيق والنتيجة المأمول الحصول عليها من اجرائه ليكون مندوبو القناصل مرخصين فى الاشتراك مع مندوبى الحكومة فى مباشرة اتمام التحقيقات والاجراءات المنصوص عنها بالارادة السنية المشار اليها آنفا . وبانضمام هذا القومسيون واجتماعه بالاسكندرية يباشر فى اجراء ماهيئة القومسيون ويتمم له مايلزم من الاجراءات العمومية وبعد نهاية التحقيق بسائر أطرافه تعمل النتيجة المستوفاة عن ذلك وتعرض للاعتاب السنية للنظر فيما يلزم لتوقيع الاحكام القانونية المقتضية فى ذلك . هذا وحيث ان الجزء المهم فى هذا المقام انما هو مسألة التأمين العام واجراء مافيه منع الجفوة والنفور الذى حصل بين الاهالى والاجانب واعادة حالة التجارة كما كانت عليه من الرواج من كل معلوم ان جميع ذلك مسببات ونتائج هذه الحالة الفظيعه فمن جهة التأمين هذا بحمد لله تعالى ونفوذ الحضرة الخديوية حاصل بسائر اطراف واكناف الاقاليم والثغور والمدن والبنادر وعموم البلاد على مايرام مع دوام الرعاية لذلك منا جميعا حتى لايأتى بعناية الله تعالى امر مغاير وما عدا هذا مع باقى المسببات المتقدم ذكراها يزول بعون الله تعالى السبب الذى يتراءى له موافقا لسهولة التحقيق بواسطة تشكيل لجنات خصوصية من اعضائه يتفرع فيها النظر والبحث الدقيق الذى اشار عنه الخديو الاعظم فى مشتملات ومتفرعات هذه المسألة المهمة لما فى ذلك من الفائدة فى سهولة الحصول على انجاز التحقيق فى وقت مستقرب وكل مايتم نظره وتحقيقه فى اللجان المذكورة ينظر فيه الذى يتوقف على معرفة نتائج التحقيقات التى يجريها القومسيون المشار اليه . هذا الذى تراءى ومن طرف مقام رياسة المجلس يجرى تنفيذه

رئيس مجلس النظار

الفصل العاشر

مذبحة الاسكندرية

ذكرنا فى فصل سابق كيف أن عرابى تعهد بصيانة الامن وارواح الاجانب لقناصل الدول وانه أرسل الى السفراء مذكرة بذلك ـ وعندئذ أصبحت الفرصة سانحة لدى كل من الانجليز وغيرهم من اعداء الحرية المصرية للاضرار بالحركة الوطنية والتخلص نهائيا من عرابى ونفوذه .

وكان من المفهوم بداهة انه بعد ان تعهد عرابى بالامن ان وقوع اى اختلال فى القطر يكون المسئول عنه امام العالم أجمع هو عرابى نفسه لذا صحت نية الانجليز والمستشارين الاوروبيين وغيرهم على انه اذا لم يقع ذلك الحادث المطلوب من تلقاء نفسه فلا بد من التعجيل به ببعض التدابير الماهرة ورأوا ان القاهرة لاتصلح لهذه المكايد لان عرابى ورفاقه واقفون بالمرصاد فضلا عن وجود الجيش الذى يمكنه قمع الفتنة فى لمح البصر .

أما فى الاسكندرية فالامر بالعكس اذ يروى مستر بلنت ان الخديو ارسل الى عمر لطفى تلغرافا سريا فى ٥ يونية قال فيه . (١)

,, لقد تعهد عرابى بحفظ النظام وأعلن ذلك فى الجرائد وقبل على نفسه المسئوليه أمام القناصل فاذا نجح فى هذا التعهد فان الدول تثق به وعندئذ يضيع اعتبارنا ثم ان اساطيل الدول موجوده فى مياه الاسكندرية فعقول الناس متهيجة والمشاجرات ليست بعيدة الوقوع بين الاوروبيين وغيرهم فالآن اختر لنفسك هل انت تنوى خدمة عرابى فتساعده على تعهده أم تنوى خدمتنا ؟

وهنا يقول بلنت : ـــ

« كان فى هذا التلميح ما يجعل عمر لطفى يتخذ اجراءاته . وكان باعتباره محافظا له حق الامر على

---

١ ـــ راجع جريدة كوكب الشرق عدد ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٢٨ . ولكن امر هذا التلغراف لم تتحقق نسبته الى الخديو

المستحفظين وهم يؤلفون بوليس الاسكندرية الشبيه بالحربى وبواسطة هؤلاء أمر ان تجمع النبابيت فى الاقسام لكى توزع فى الوقت المعين ثم اعد المعدات الاخرى اللازمة لاحداث الاضطراب المقصود ...

وقد أنكر الخديوى انه أرسل هذا التلغراف الذى يعزوه اليه عرابى وبلنت كما انه لم يسأل الخديو ولا عمر لطفى عن المذبحة حتى يفكر احد منهم فى اشتراكه فيها . مع أن المعقول هو أن عمر لطفى محافظ الثغر كان يجب ان يكون أول من يسأل عن الحدث

ولكن عرابى وأنصاره أكدوا فى كل وقت انه هو المسئول عن المذبحة وأن عمر لطفى كانت له يد فيها وان الانجليز كانوا من ورائها . (١)

وقد كوفىء على جريمته هذه بتعيينه وزيرا للحربية والبحرية بعد انتهاء الحرب ودخول الانجليز ...

كوفىء على أنه اذا حدثت قلاقل فى الاسكندرية فعليه ان يمنع الحامية من التعرض للمشاغبين وان لا يكلفهم قمع الفتنة . كما ان عليه ان يمنع رجال البوليس من التدخل لمنع الاضطراب بل بالعسكس ...

وبينما عمر لطفى يعمل على ذلك تناثرت الاشاعات على لسان الصحف الانجليزية كالتيمس والديلى نيوز — والستندار والديلى تلغراف بحرج موقف الاجانب امام الوطنيين وتهديد المصريين اياهم !!! ...

وأخذ السيرمالت قنصل انكلترا الجنرال ينصح الانجليز المقيمين فى مصر بالسفر الى بلادهم نجاة من خطر محق ....

كما اخذ المستر كوكسون قنصل انجلترا بالاسكندرية يوزع الاسلحة والذخائر على مواطنيه وقد صرح بذلك مسيو دى فريسينيه رئيس وزراء فرنسا فى مجلس الشيوخ الفرنسى فى جلسة ١٣ يونيه سنة ١٨٨٢ « ان عدة اسلحة اعطيت للماطليين قبل مذبحة ١١ يونية بعدة أيام وأن نسبة المذبحة للتعصب خطأ محض »

١ — راجع جريدة البلاغ العدد الصادر فى ١٠ يوليو سنة ١٩٣٢ (٢٧٩٩)

وأخذ المستر كوكسون فى وضع خطة حربية لدفاع الاوروبيين عن حياتهم ضد المصريين بالاشتراك مع الضباط الانجليز وتقتضى هذه الخطة تسليح ٤٠٠٠ اوروبى بالاسكندرية وقد عرضت هذه الخطة على وكلاء الدول فى القاهرة « فصرحوا جميعا بان الطريقة التى اشار بها التصميم الدفاعى خطرة وقالوا انها ربما كانت داعية لخلق الشقاق وايجاد الصعوبات والاضطرابات »

وبالرغم من ذلك لم يرضخ كوكسون لقرار وكلاء الدول بالقاهرة وسلح كل المالطيين والايطاليين واليونانيين وسائر سفلة الاجانب ورعاعهم مما يثبت ان الرأس المدبرة لمذبحة الاسكندرية هو انجلترا بالاتفاق مع انصارها فى مصر .

وفى ١١ يونية وقعت مذبحة الاسكندرية التى أطال الانجليز التدبير لها والتى بذلوا فى سبيل وقوعها كل ما يملكون من قوة واغراء بعد أن مهدوا لها بمقدمات طويلة وبعيدة الاثر

والذى يدل على سبق تدبير هذه المذبحة ان الشرارة التى تطايرت منها الحوادث وقعت من شقيق الخادم لكوكسون القنصل الانجليزى الذى سلح اوباش الاجانب

فهل يعقل ان يكون ذلك مجرد اتفاق ؟

ابتدأت الحادثة بان ركب خادم كوكسون المالطى حماراً لوطنى وظل طول نهاره يمضى من قهوة الى أخرى واخيرا انتهى من نزهته الى قهوة لاحد أبناء جلدته وهى مليئة بالاوباش من الاجانب الذين سبق أن فرق عليهم السلاح من قبل كما صرح بذلك فى مجلس الشيوخ الفرنسى المسيو دى فريسينيه

وقد تبع المكارى المالطى الى داخل القهوة يطالبه بالاجر فجاد سخاؤه بقرش صاغ واحد اجرة لسير طول النهار فلما أبى المكارى اخذ القرش وطالبه بالباقى ما كان من المالطى الا ان استل مديته وطعن بها الحوذى طعنة القته صريعا على الارض فخف الى الحادث بعض من المصريين لضبط الجانى فقوبلوا من المالطيين الذين كانوا بحسب الترتيب الموضوع قد جاء دورهم للعمل برصاص المسدسات وعمت المعركة المدينة كلها بسبب اطلاق رعاع الافرنج الرصاص من النوافذ ولبثت المذبحة عدة ساعات ومع ذلك فان محافظ الاسكندرية عمر لطفى أوقف التلغراف عن المخابرة ولم يطلب الجيش لاخماد الفتنة. ولما سئل عن ذلك فيما بعد أجاب بانه كان يخشى انضمام الجند الى

المشاغبين ولكن الحقيقة الثابته أن عمر لطفي كاف قومندان الحامية سليمان بك سامى باحضار الايه مجردا من السلاح فابى ان يسخر منه وحضر بالايه ومعهم السلاح الكامل وأخمد الفتنة فى الحال .

وقد صرح المسيو فريسينيه قائلا : « ان حوادث الاسكندرية السيئة الطالع حصلت اثر نزاع بين وطني ومالطى ولكن المعتدى بالضرب هو الاخير اذ قتل المصرى بيده فكانت الغوغاء داعية لجلب الجموع العديدة التى كانت على الطريق حيث اطلق عليهم الاجانب النار وهم متحصنون فى شبابيك دورهم فى شارع الفرير حيث اعطيت لهم الاسلحة من قبل ... فاصابوا بكل سهولة المصريين وقتلوا منهم عددا كبيرا ولكن العساكر المصرية لم تتأخر عن تأدية واجباتها بمنتهى الدقة حينما حضرت وأن كان وصولها جاء متأخرا اذ لم تظهر الا بعد صدور امر عرابى اليها وعرابى لم يصله خبر الحادثة فى حينه من الاسكندرية اذ كان بالقاهرة وكيف يصل خبر الحادثة الى عرابى وبيد عمو لطفى تلغراف الاسكندرية .؟

وقد بلغ عدد القتلى من المصريين ١٥٧ نفسا بينما قتل من الاجانب اربعون نفسا .

واراد العرابيون دفعا للتهمة عن البلاد واظهارا لحقيقة الحادث اجراء تحقيق بواسطة لجنة مختلطة ولكن قبل أن تعين هيئتها ويعلم اعضاؤها بمهمتهم ارسل اللورد غرانفيل برقية الى مسيو كارت ريت وكيل قنصل انجلترا بالاسكندرية « يأمره بأن يكون على الحياد (١) والايتداخل فى اى عمل يحصل من شأنه البحث عن حوادث المذبحة فمنع قنصل انجلترا كل تحقيق يظهر الجناة رغما عن الحاح الحكومة المصرية والباب العالى »

وقد زعم اكثر الكتاب الانجليز وجاراهم بعض المصريين الذين كتبوا عن ذلك فى أن مذبحة الاسكندرية كانت بتدبير العرابيين والتاريخ والواقع يثبتان كما شرحنا فى هذاالفصل ان اليد التى حركت مذبحة الاسكندرية هى اتى استغلت هذا الظرف بعد ذلك واستفادت منه كما سيظهر وان هذه الضربة كانت موجهة ضد العرابيين فلا يعقل ان تصدر منهم ضد انفسهم

١ ــ لعله مثل الحياد البريطانى الحديث المشهور امره

الفصل الحادى عشر

مؤتمر الآستانة «١»

كانت الدول فى قلق من الحالة الطارئة فى مصر فارادت الانتهاء منها بأى شكل وكان الرأى المتفق عليه بين الدول الاوربية تفويض تركيا للعمل على اعادة حالة السكينة الى البلاد

وكانت فرنسا متحمسة لهذه الفكرة فقدم احد اعضاء مجلس النواب الفرنسى «مسيو دلافوس» استجوابا للوزارة الفرنسية عن الحالة فى مصر فخاف رئيس الوزارة مسيو (دى فريسنيه) على مصير وزارته وطلب تأجيل الاستجواب ثم رأى ان عليه ان يقدم للمجلس عملا يبرر به مسلكه فهداه التفكير الى عقد مؤتمر دولى يقرر حل الازمة المصرية فأيده المجلس وقبلت انجلترا الفكرة الا أن السلطان عبد الحميد عارض فى عقده

ولما وقعت مذبحة الاسكندرية عاد ممثلو الدول فى الآستانة يلحون على السلطان فى عقده وأرسلت الحكومتان تتهددانه بان الدول قد تعقد المؤتمر فى غير الاستانة اذا لم يوافق على عقده فيها وكانت انجلترا تقترح ان تتدخل تركيا فى مصر تدخلا حربيا مقيدا بشروط لانها كانت تعرف ان فرنسا لا تطيق هذا الاقتراح ولا بد من ان تعطله فعرض وزير خارجية انجلترا اللورد جرنفيل أن تصرح فرنسا وانجلترا بالشروط التى تريان ان يكون عليها تدخل تركيا . ثم وضعتا هذه الشروط واشتدتا فيها واملت فرنسا ان يرفضها عبد الحميد . ثم صرحتا بها وهى اولا ان تكون القوى التركية التى ترسل الى مصر تحت قيادة توفيق، وثانيا ان تعطى تركيا تأكيدا بان لا تحاول المساس بمركز مصر السياسى وبان تحترم الحقوق المعطاة فى الفرمانات وتحترم الاتفاقات الدولية القائمة، وثالثا ان لا تزيد مدة احتلال القوات التركيه لمصر على شهر الا اذا طلب توفيق زيادتها ووافقت الدول العظمى على هذه الزيادة، ورابعا أن تدفع مصر نفقات القوات التركية التى تستخدم لهذا الغرض

---

١ — راجع عدد البلاغ ٣١٦٤ «١١ يوليه سنة ١٩٣٣»

ولقيت هذه الشروط معارضة من المانيا وايطاليا . المانيا لانها رأت فيها تقييدا قاسيا لحقوق السلطان ، وايطاليا لانها كانت تغار من المركز الذى لانجلترا وفرنسا فى المسألة المصرية . وأدت هذه المعارضة الى ترك الشروط للمؤتمر يضعها بعد أن يجتمع

ولكن كانت معارضة الباب العالى لا تزال حجر عثرة فى سبيل عقد المؤتمر . ففى ١٦ يونيو ذللت هذه العقبة فجأة لان موزروس باشا سفير تركيا فى لندن ابلغ اللورد جرانفيل ان الباب العالى لا يرى مانعا من أن يجتمع المؤتمر فى الآستانة ولكن بغير ان تشترك تركيا فيه . فقبلت انجلترا هذا الحل وقبلته فرنسا وتم الاتفاق على أن يعقد المؤتمر اول جلسة له فى ٢٢ يونية

ولكن لم يمض على هذا ثلاثة ايام حتى تلقى الباب العالى اخبارا من مصر بان وزارة راغب باشا الفت وان عرابى يؤيدها باخلاص وأن الامن يستتب وان الخلاف بين توفيق والحزب العسكرى يزول فعاد الباب العالى يعارض فى عقد المؤتمر ، وانكر أنه فوض لموزوروس باشا أن يبلغ انجلترا موافقته على عقده ، وتسلح بالاخبار التى جاءتهمن مصر ليقول أن درويش باشا ناجح فى مهمته وان الازمة دخلت فى دور الحل

واجابت انجلترا على هذا النكوص من جانب الباب العالى فابلغته فى ١٩ يونية انها حينئذ تحتفظ بحقها فى المحافظة على مصالحها . فكان هذا الجواب انذارا بانها تنوى ان تتدخل تدخلا حربيا أو بعبارة اخرى كان انذارا بما كانت قد عزمت عليه ضرب الاسكندرية .وجاء يوم ٢٢ يونيه المحدد لعقد المؤتمر فتلقى كل سفراء الدول الا سفير النمسا اوامر بالاجتماع . فلم يجتمع السفراء وظن عبد الحميد ان فى ذلك فوزه وفشل المؤتمر ؛ فأهدى الى امبراطور النمسا فرنسوا جوزيف وسام الامتياز ؛ ولكن لم يأت اليوم التالى حتى كانت الاوامر قد وصلت الى سفير النمسا بمثل ما وصلت الى السفراء الآخرين واجتمع المؤتمر فى ترابية عند سفير ايطاليا لانه كان أكبر السفراء سنا

وفى هذه الجلسة الاولى وجه المؤتمر دعوة الى الباب العالى طلب منه فيها ان يعين ممثلا له فيه . وفى الجلسة الثانية التى عقدت يوم ٢٥ يونيه وقع السفراء الميثاق المعروف باسم « ميثاق النزاهة » أو « ميثاق التجرد من الغرض » وبه تعهدت الدول « أن لاتسعى واحدة منها الى امتلاك شىء من اراضى مصر ولا الى الحصول على امتياز خاص ولا على فائدة تجارية لرعاياها غير ما كان عاما يمكن

ان تناله اية امة اخرى » وكانت فرنسا هى التى اقترحت هذا الميثاق لخشيتها من انجلترا . وقد وقعه اللورد دوفرين نيابة عن الحكومة البريطانية مع أنه سيأتى ان هذه الحكومة كانت منذ ٢٩ مايو قد أخذت تتأهب لضرب الاسكندرية .

ومع ان هذا الميثاق صريح وقاطع رأت ايطاليا أن تعود فى جلسة ٢٧ يونيه فتؤكده وتحدد معناه باتفاق جديد فاقترحت ان تتعهد الدول بان لاتنفرد واحدة منها بعمل فى مصر مادام المؤتمر معقودا . ولا ريب فى أن ايطاليا كانت تقصد به انجلترا ولهذا لم يكد اللورد دوفرين يعلم بان ايطاليا عازمة على تقديمه حتى اجتمع بسفير فرنسا قبل الجلسة واتفق معه على طلب تعديله باستثناء حالة القوة القاهرة . ونجح اللورد دوفرين فى حمل المؤتمر على ادخال هذا التعديل فكتب فى الحال الى اللورد جرنفيل يقول :

« بعد ان عدل اقتراح السفير الايطالى بهذا التحفظ لم يبق له فى نظرنا شأن كبير » .

وكانت غاية اللورد دوفرين بادخال هذا التعديل واضحه على أن حكومته تنوى ان تعمل منفردة فى مصر بالرغم من « ميثاق البراءة من الغرض » بالرغم من وجود المسألة المصرية مطروحة على بساط البحث امام المؤتمر . ومع ذلك كأنما رأى اللورد دوفرين ان التعديل محتاج الى تفسير تسجله اعمال المؤتمر فانتهز فرصة فى جلسة ٣٠ يونيه وقال « ان حالة القوة القاهرة التى استثنيت من الاقتراح الايطالى تكون فيما اذا ارسل السلطان جنودا الى مصر من غير ان يقبل شروط الدول ، وفيما اذا استهدف قنال السويس لخطر ، واخيرا فيما اذا استهدفت مصالح انجلترا الخصوصية لاى تهديد » .

ولا حاجة الى أن نقول ان هذا الغرض الاخير كان يرمى الى النية المبيته على العمل الحربى أى على ضرب الاسكندرية .

ومضى المؤتمر بعد ذلك يتناقش فى الشروط التى يكون عليها ارسال حملة تركية الى مصر فطالت المناقشات الى يوم ٦ يوليه وفيه تم الاتفاق على النص الاتى ، « ان الدول العظمى مقتنعة كل الاقتناع بانه فى مدة وجود الجند العثمانى بمصر سيحتفظ بحال البلاد المعتادة ، ولا يتعرض للتكاليف التى اعفيت منها مصر ، ولا لما خصت به من الامتيازات بمقتضى الفرمانات السابقة ، ولا لعمل الادارة ولا للنظم والاتفاقات الداخلية المبنية عليه . وأن تكون مدة بقاء الجنود الشاهانية التى سيعمل ضباطها بالاتفاق مع الخديو ثلاثة اشهر مالم يطالب مد هذا الاجل . فاذا فعل جدد الاجل الجديد بالاتفاق

مع تركيا والدول العظمى . وأن تتحمل مصر نفقات الاحتلال)

ووقع السفراء هذا الاتفاق وبعث به كل منهم الى حكومته لتعتمده . وكانت انجلترا فى اثناء ذلك قد استعدت لضرب الاسكندرية وكانت تخشى ان ينتهى السلطان عبد الحميد بقبول هذه الدعوة الموجهة اليه بالتدخل فى مصر فعزمت على ان تعجل بما تريده وتكشف القناع دفعة واحدة عن نيتها المبيتة .

ومن الصعب أن يستطيع انسان الدفاع عن سياسة السلطان عبد الحميد فى ذلك الحين . فقد كانت الاخبار بتأهب انجلترا للعمل شائعة ، وقد وصلت هذه الاخبار اليه وتكلم فيها موزوروس باشا مع اللورد جرنفيل فى ٢٨ يونيه فلم يكذبها اللورد بل قال ان بلاده تأسف اذا هى رأت نفسها مكرهة على استخدام وسيلة غير التدخل التركى لاستتباب الامن فى مصر ، وصلت الاخبار اذن الى عبد الحميد وتحدث فيها سفيره الى وزير خارجية انجلترا ، وكانت الدول فى ذلك الوقت ومن قبل ذلك الوقت تدعو عبد الحميد الى أن يرسل حملة عسكرية ، ومع هذا بقى عبد الحميد لايلبى هذه الدعوة ولايرى أن المسارعة اليها تمنع خطر التدخل الانجليزى . بل استمر مكتفيا بقوله أن درويش باشا نجح فى مهمته وأن الامن استتب فى مصر وان الحاجة لم تعد تدعو الى تدخل حربى ..

الفصل الثانى عشر

بداءة العدوان (١)

المقدمات لضرب الاسكندرية :

كان ضرب الاسكندرية وسيلة تعمل السياسة البريطانية لتجعل منها فاتحة احتلالها مصر . وكانت هذه السياسة قد علمت من تصريحات عدة لرئيس وزارة فرنسا ان الحكومة الفرنسية لا تريد ان تنجر الى التدخل الحربى فى مصر فأيقنت ان الجو صار خاليا امامها ولم يبق عليها الا أن تعمل لتظفر وحدها بالغنيمة : ففى ٢٩ مايو (أى حتى قبل مذبحة الاسكندرية) بدأ الاميرال المرابط فى مياه الاسكندرية يهىء الاسباب للعمل فكتب الى حكومته يقول ان المصريين يحصنون الطوابى وان هذا التحصين يجعل بوارج اسطوله فى خطر . فكتب اللورد جرنفيل دوفرين وطلب منه أن يوجه اليه نظر السلطان عبد الحميد . فارسل السلطان الى توفيق فجاءه الجواب بان الطوابى لم تزل على حالها وان كل ما جد عليها هو ترميم عادى لا يسمى تحصينا . فأمر السلطان بوقف هذا الترميم وكتب الى الحكومة البريطانية يقول لها ان الطوابى لم تحصن ولكن المصريين كانوا قد شرعوا فى ترميمها وقد أمرهم مع هذا بالامتناع عن هذا الترميم حتى لا يثيروا مخاوف الاسطول البريطانى .

ومضى على ذلك شهر حدثت فيه مذبحة الاسكندرية ثم اخذت وزارة راغب تعمل لاستتباب الامن كما تقدم ولكن قنصل انجلترا السير ماليت اوعز الى الرعايا البريطانيين بأن ينتقلوا الى الاسطول الانجليزى وشرع هؤلاء الرعايا ينتقلون الى الاسطول فعلا . وانتقل معهم السير ماليت نفسه ومستر كوكسون ، فكان هذا دليلا جليا على ان الاسطول سيضرب المدينة . وسرى الفزع الى الجاليات

١ — هذا الفصل عن جريدة البلاغ العدد ٣١٦٤

الاخرى فشرع اهلها ينتقلون هم أيضا الى السفن الراسية فى الميناء . أما أهل المدينة من المصريين فانهم شرعوا يهجرون الى داخلية البلاد .

وفى ٣ يوليه تحرك الاميرال سيمور من جديد فزعم ان المصريين يحاولون ان يسدوا البوغاز ليحاصروه فى الميناء . ولم يكن شىء من هذا صحيحا ولكنها كانت دعوى اتكأت عليها وزارة البحرية البريطانية لكى ترسل اليه أوامر بان يقاوم كل محاولة يريد المصريون بها سد البوغاز وبان ينذرهم اذا هم لم يكفوا عن أعمال التحصين بانه سيدحر طوابيهم . ثم أوصته الاميرالية بان يدعو الاميرال كونراد قائد الاسطول الفرنسى للاشتراك معه فى العمل . ثم كأنها كانت تتوقع ان يرفض الاميرال كونراد هذا الاشتراك فرسمت للاميرال سيمور ان لايمنعه هذا الرفض عن المضى فى تنفيذ الاوامر المرسلة اليه بلا تردد ولا امهال . واوصته الاميرالية بان ينذر سكان المدينة والسفن الراسية فى الميناء قبل الشروع فى الضرب وهنا يقول مسيو دى فريسنية فى الصفحة ٢٨١ من كتابه « المسألة المصرية » ان المقاومة الضعيفة التى ابدتها الطوابى ضد مدافع الاسطول الانجليزى يوم ١١ يوليه تدل على أن أعمال التحصين التى شكا منها الاميرال سيمور لم تكن جدية . ثم يقول : « أما سد البوغاز فلم يشرع فيه فى وقت من الاوقات » . ثم يمضى مسيو دى فريسينيه فيقول : « ان الاخبار التى جاءتنا اذ ذاك لم تكن مزعجة الى الحد الذى تصوره الاميرال سيمور بحيث أن ضرب المدينة كان عملا هجوميا لاعملا دفاعيا » .

فهذه الشهادة من رئيس حكومة فرنسا فى ذلك الوقت تكفى فى الدلالة على حقيقتين بارزتين الاولى أن دعوى الاميرال سيمور على المصريين انهم يحاولون سد البوغاز لم تكن صحيحة . والثانية ان دعواه تحصين الطوابى لم تكن تزيد فى حقيقتها على ترميم قليل الخطر . وقد أوقف هذا الترميم مع ذلك منذ أول يونيه بناء على امر السلطان .

وقبل أن نمضى فى سرد الحوادث الى أبعد من هذا الحد نقف قليلا لنقول ان الاسطول الانجليزى هو الذى جاء من بلاده الى المياه المصرية فكان وجوده فيها مهددا للطوابى المصرية ولم تكن الطوابى هى التى تهدده لانها لم تنتقل اليه فى بلاده . وقد جاء هذا الاسطول ليطلب ابعاد وزير مصرى هو عرابى واستقالة وزارة مصرية هى وزارة محمود سامى فهو فى ذلك معتد على حقوق مصر ولم تكن مصر هى التى اعتدت عليه ولكن الاميرال سيمور عكس القضية كلها فزعم أن الطوابى المصرية هى التى هددته واعتدت عليه لانه كان ذئبا يريد ان يأكل الحمل .

ولو أن المصريين حصنوا طوابيهم وسلحوها بكل انواع المدافع لما تعدوا فى ذلك حقهم ولما فعلوا غير ما يفعله كل من يدافع عن نفسه ضد معتد مجرد من الضمير . ولكن هى القوة تسطو على الضعيف ثم لا يكفيها ان تأكله بل تريد فوق ذلك ان تسلبه حتى حقه فى الشعور بأنها ظالمة وأنه مظلوم .

مسلك فرنسا ..

والان نعود الى سلسلة الحوادث فنقول أن الحكومة البريطانية أرسلت اوامرها تلك الى الاميرال سيمور فى مساء ٣ يوليه وفى الوقت نفسه أرسلت صورة منها الى سفيرها فى باريس وكلفته بأن يبلغها الحكومة الفرنسية — ويسألها أن كانت تريد ان ترسل مثلها الى الاميرال كونراد قائد اسطولها فى مياه الاسكندرية .

ففى يوم ٤ يولية ادى سفير انجلترا رسالة حكومته ثم عاد فى يوم ٥ يوليه فابلغه دى فريسينيه أن فرنسا لا تشترك فى ضرب الاسكندرية . فاذا رأى الاميرال سيمور أن يضربها فالاسطول الفرنسى يترك مياهها ولكنه يبقى فى مياه مصر . وبذلك صح ما كانت انجلترا تتوقعة من وزارة دى فريسينيه .

ويعلل دى فريسينيه هذ المسلك بسببين الاول أنه لم يكن لدى فرنسا فى ذلك الوقت جنود مستعدون للنزول الى الاسكندرية بعد ضربها والثانى أن ضرب الاسكندرية كان مخالفا للعهود التى قطعتها الدول على نفسها فى مؤتمر الاستانه . ولكن المناقشات التى دارت فى المسألة المصرية فى مجلس نواب فرنسا فى ذلك العهد دلت على أنه كان يوجد فى هذا المجلس فريق كبير من اعضائه (كان منهم كليمنصو) يرون ان فرنسا ما زالت قريبة العهد بحرب السبعين وانها لذلك يجب أن توجه كل التفاتها الى المانيا وان تدخلها الحربى فى مصر ينا فى هذه السياسة ويجرها الى الخلاف مع انجلترا فى حين أنها محتاجة الى صداقتها .

وكانت وزارة دى فريسينيه على هذا الرأى ، وكانت تخالف فيه الوزارة التى سبقتها وهى وزارة جامبتا

وكانت انجلترا تعرف ذلك وتبني عليه سياستها . ولهذا لما دعاها جامبتا الى العمل المسلح فى

مصر رفضت ولـكن لما استقال جامبتا وخلفه دى فريسينيه واتضح مذهبه فى سياسة بلاده كانت انجلترا هى التى تدعوه الى العمل الحربى فتتلقى منه الجواب بالنكوص والانكماش

وأغلب الظن ، بل يكاد يكون من اليقين ، أنه لو أجاب دى فريسنيه بقبول الدعوة التى وجهتها اليه انجلترا لكانت انجلترا هى التى تنكص حينئذ على عقبها ولكانت تتمحل الاسباب للعدول عن ضرب الاسكندرية بعد أن عزمت عليه ودعت اليه .

انذارات الاميرال سيمور

بعد أن تلقى الاميرال سيمور اوامر حكومته التى مر ذكرها قابل قنصلا انجلترا وفرنسا راغب باشا فى صباح ٣ يوليه وابلغاه ان الاميرال يقول أن المصريين يحصنون طوابيهم وانه يعتبر هـذا التحصين مهددا له وأنه لذلك يطلب الـكف عن هذا التحصين من غير ابطاء والا أضطر الى اطلاق مدافعه عليها حتى يدكها .

وكان قومندان موقع الاسكندرية فى ذلك الوقت طلبه باشا عصمت فاجاب بان دعوى التحصين غير صحيحة وكتب بذلك جوابا الى سيمور

وشاع خبر هذا الانذار فى المدينة فايقن أهلها بقرب القتال . ونبه كل من قنصلى فرنسا وانجلترا على الباقين فى المدينة من رعايا دوليتهما بان يتركوها على عجل . وفـكر الخديو توفيق فى حماية نفسه فاقترح عليه مستر كارترايت الذى كان يؤدى أعمال قنصل انجلترا أن ينتقل الى أحدى سفن الاسطول ولـكنه لم يكن مطمئنا على مصير السفن فلم يقبل وفضل ان ينتقل الى قصره فى المحمودية بعيدا عن قنابل المدافع وقد انتقل بعد ذلك فعلا ولـكن الى قصره فى الرمل لا إلى قصره فى المحمودية لان الاول لا تصل اليه القنابل اما الثانى فقد يصل أليه شىء منها .

وأرسل مستر كارترايت الى حكومته يقول : « اظن أن لا خوف على حياة الخديو ولا سيما اذا لم تطل مدة القتال . وأرى أن أنذر درويش باشا بان الحـكومة البريطانية تعتبره مسئولا عن حياة الخديو وأن التبعة تعود عليه اذا أصيب الخديو بسوء . ويـكون الانذار يوم أطلاق المدافع وقبل نزولى الى البحر »

ووصل خبر الانذار الى الباب العالى فارسل تلغرافا شديد اللهجة الى الخديو توفيق يلقى عليه فيه

المسئولية اذا كانت اعمال التحصين فى الطوابى مستمرة .

وبينما الجو يوشك ان يلتهب نارا اذا بالانجليز يقولون ان اعمال التحصين انقطعت ٠ وكان غرضهم من ذلك أن يفسحوا الوقت أمام أنفسهم لـكى يحملوا على الرحيل بقية قليلة من رعاياهم كانت لا تزال باقية فى الاسكندرية ٠ وفى يوم ٦ يوليه اعلن مستر كارترايت أنه لم يبق من الرعايا البريطانيين غير ثلاثة من الانجليز و٦٠ من المالطيين ٠ فارسل الاميرال سيمور فى اليوم نفسه انذارا ثانيا الى طلبة عصمت قال فيه أن بطاريتين جديدتين نصبتا فى احدى الطوابى فاذا لم يقف هـذا التحصين فسيطلق مدافعه فرد عليه طلبة بان خبر نصب البطاريتين غير صحيح .

وحينئذ رأى قناصل الدول ان يتوسطوا بين الاميرال وطلبه فاجتمعوا فى ٧ يوليه وطلبوا من كارترايت أن يحضر اجتماعهم فرفض قائلا أن الاميرال لا يريد وساطته وأستمروا هم فى اجتماعهم وكتبوا الى الاميرال الـكتاب الآتى :

من قائد قناصل الدول الى الاميرال سيمور

أن لرعايانا مصالح مهمة فى الاسكندرية ولهم فيها املاك واسعة وعقارات كثيرة ٠ والمتخلفون منهم عن المهاجرة كثيرون ٠ وهذا ما دعانا الى ان نتقدم اليكم نسألكم هل اقتنعتم بجواب الحكومة المصرية على سؤالكم الخاص بتحصين القلاع ام لا فان كنتم لم تقتنعوا فانا نستطيع ان نطلب تعديل ذلك الجواب بحيث يرضيكم ويقنعكم . واذا كنتم لا ترضون بذلك ولا تريدون ان تقتنعوا بامر ما فنرجوكم ان تنبئونا بالمهلة التى تتركونها لرعايانا قبل الشروع فى القتال ليتمكنوا من الرحيل .

ونحن نخطركم بان اطلاق المدافع سينشأ عنه كيفما كانت الحال ضرر يلحق بسكان المدينة من نصارى ومسلمين ولا بد من أن تتهدم بسببه ابنية عدة للاوروبيين وبودنا لو أنـكم ترفعون الى حكومتكم ملاحظاتنا هذه قبل أن تنفذوا اوامرها .

التوقيعات.. بارون كوسجك	دى لكس	دى مارتينو	بارون ساروما	دى فورج
النمسا	روسيا	ايطاليا	المانيا	فرنسا

رد سيمور على كتاب القناصل ..

فرد الأميرال سيمور على هذا الـكتاب بالكتاب الآتى ..

تلقيت فى هذا اليوم الكتاب الذى اتفقتم على ارساله وتفضلتم فيه بالاستفهام منى عما اذا كنت قد رضيت بجواب طلبه باشا على كتابى الذى ارسلته اليه امس ثم تكرمتم وعرضتم ان تتوسطوا فى الأمر بحيث احصل بواسطتكم على جواب يرضيني .

فاشكر لكم كثيرا هذه العناية واجيب على خطابكم بقولى انى انفذ ارادتكم اذا كان لكم عند طلبه باشا من النفوذ والسلطة ما تستطيعون به ان تجعلوه صادقا فى اجراءاته وان يبطل عاجلا اشغال التحصين وتعزيز الاستحكامات التى شرع فيها .

ولست ارى جواب طلبه باشا بالكتابة كافيا فى حملى على الاقتناع بما يقول ، ولا كافيا لكى اثق بما أكده لى فى جوابه من انه يجيب طلبي . ومهما تكن عبارة هذه الكتابة فانها لا تكفيني بالنظر الى المصالح المهمة التى عهد بها الى .

واخبركم بعد ذلك بأني ما اعلنت قط عزمى على رمى الاسكندرية بنار المدافع . واذا اقتضت الحاجة ذلك فانى اوجه قوتى للقلاع والاستحكامات فقط لذلك لا ارى موجبا لخوفكم من هدم منازل الاوروبيين وغيرهم .

وسأرفع الى حكومتى الملاحظة التى ابديتموها فى العبارة الاخيرة من كتابكم ونبهتمونى اليها . واذا استمرت الجهادية على اشغال تحصين القلاع والاستحكامات فانى انفذ فى الحال ما كتبته اليهم محافظا على كل حرف من حروفه . وعلى كل حال فانى قبل الشروع فى العمل اعلن عنه ولا إطلق المدافع الا بعد اربع وعشرين ساعة من تاريخ هذا الاعلان

بوشان سيمور

كتب بالسفينة « لنفنسيبل » بميناء الاسكندرية فى ٧ يوليو سنة ١٨٨٢ .

ويرى من هذا الرد ان الاميرال سيمور يجتهد فى ان يكون رقيق العبارة مع القناصل ولكنه يقول انه لا يقتنع باى تأكيد يعطيه له قومندان المدينة طلبه باشا فما الذى يريده اذن .. كان يريد بطبيعة الحال ان يسلمه طلبه باشا الحصون .. وسيأتى انه طلب هذا التسليم .

التبليغ الاخير ..

والى هنا انتهى دور الانذارات التى كان المقصود منها ان يخلق الذئب لنفسه معاذير يأكل

بها الحمل وجاء دور العمل اى دور الضرب والتقتيل والتدمير .

بدأ هذا الدور بان ادعى الاميرال سيمور ان المصريين ركبوا مدفعين جديدين فى طابية السلسلة وانه لم يعد يطيق صبرا على هذا الاعتداء الموجه الى اسطوله ولذلك عزم على اطلاق قنابله فى صباح يوم الثلاثاء ١١ يولية .

وحينئذ ارسل مستر كارترايت الى اللورد جرنفيل التلغراف الآتى :

« سيدى اللورد . ارفع اليكم ان الاميرال سيمور علم انه قد وضع مدفعان فى القلعة المعروفة بقلعة السلسلة الواقعة تجاه الميناء الجديده علاوة على المدافع الموجودة فيها فلم يعد فى امكانه ان يتحمل هذه الامور ويصبر عليها ولذلك عزم على اطلاق المدافع فى فجر الثلاثاء (١١ يوليو) وسأخبر بهذا العزم قناصل الجنرالية والخديو ودرويش باشا فى مساء هذا اليوم ثم اجرى من التدابير مايلزم لكى يتمكن الباقون فى الاسكندرية من النزول الى السفن والالتجاء اليها »

كتب فى السفينة هليكون بميناء الاسكندرية فى ٩ يوليو سنة ١٨٨٢ : كارترايت

واعلن مستر كارترايت هذا العزم لجميع القناصل فامروا الباقين فى المدينة من رعاياهم بالمهاجرة وكان الخديوى توفيق لايزال فى قصر رأس التين فتوجه اليه كارترايت واخبره بالعزم على ضرب المدينة فى يوم ١١ يوليه ونصح له بان يترك قصر التين فاطاع توفيق وانتقل الى قصره بالرمل .

وطلب كارترايت درويش باشا فلم يجده فكتب اليه يطلب منه ان يحافظ على حياة الخديوى ويلقى عليه المسئولية فيما اذا اصابه سوء .

وفى صباح ١٠ يوليو كتب الاميرال سيمور الى طلبة يذكر له نبأ ذينك المدفعين اللذين وضعا فى زعمه على طابية السلسلة ثم يقول :

« وبناء على ذلك سأنفذ ما كتبته اليكم فى كتابى المؤرخ ٦ الجارى . وسيكون هذا التنفيذ غدا (١١ يوليه الجارى) عند شروق الشمس الا اذا سلمتمونى قبل ذلك مؤقتا الطوابى الواقعة على خليج رأس التين وعلى الساحل الجنوبى لميناء الاسكندرية كى اجردها من اسلحتها »

وكتب كارترايت الى راغب باشا رئيس الوزارة والى درويش باشا يبلغهما خروج الوكالة

البريطانية من مصر .

واجتمع اعضاء الوزارة عند الخديوى توفيق ليتداولوا فى الامر ، وحضر معهم درويش ، وحضر كثير من عظماء البلاد وهنا تروى جريدة الفاردى لـكسندرى فى عددها الصادر فى ١٤ اغسطس سنة ١٨٨٢ ماحدث فى الجلسة فتقول « ان الخديوى توفيق اظهر الميل الى التسليم للاميرال فيما يطلبه ولـكن بطريقة يبقى الشرف معها محفوظا ، فلما سمع منه درويش باشا ذلك غضب وضرب المنضدة بيده وقال « لا تنسوا انكم لستم هنا سوى خدام السلطان القائم فى الاستانة فلا مساومة ، فان تسليم الحصون يكون خزيا للاسلام »

واخيرا تقرر اولا رفض طلب الاميرال ولو ادى ذلك الى الحرب ، وثانيا زيادة الجيش ٢٥ الف عسكرى، وثالثا ان لاتطلق الطوابى مدافعها على الاسطول الا بعد اطلاق خمسة مدافع من السفن الانجليزية ،

فى الآستانة . .

وفى هذا اليوم (اى ١٠ يوليه) ارسل اللورد جرنفيل الى سفراء انجلترا لدى الدول يكلفهم ان يبلغوا حكومات هذه الدول عزم الاميرال سيمور على ضرب الاسكندرية ، ونذكر هنا نص هذه الرسالة . وهو :

« بناء على رسالتى التلغرافية المرسلة اليكم مساء امس اخبروا الحكومة التى انتم نائبون لديها عن حكومتنا ان ما سيفعله اميرالنا سيمور فى الاسكندريه لايكون الا من قبيل الدفاع والمحاماة عن الاسطول واننا لسوء الحظ لانرى بدا من ذلك غير اننا مع هذا نصرح بانه ليس لنامأرب خفى او نية مبيتة

« وقد اتضح لنا فى تقرير اميرالنا ان حكام الاسكندرية استمروا على تحصين القلاع والاستحكامات مظهرين لنا العدوان والبغضاء بالرغم من نواهى الحضرة الشاهانية واوامرها الصادرة إليهم بالكف عن التظاهر بالعدوان وخلافا لارداة الخديوى ولما ابدوه لنا مرارا من انهم مسالمون مصافون »

وفى الرسالة المرسلة الى اللورد دوفرين سفير الاستانه زيدت الجملة الاتية

«وهذا حرصا منا على مصلحة الجناب الشاهانى الذى خالف الثائرون او امره ونبذوا مشوراته ووصاياه» . فانظر الى قول انجلترا فى هذا المنشوران الاميرال سيمور لايضرب الاسكندرية لمهاجمتها بل ليدافع باسطوله ليتقى ماسماه عدوانا عليه «ثم انظر الى قولها انها تفعل ماتفعله حرصا على مصلحة السلطان عبد الحميد كأنما السلطان هو الذى طلب منها ضرب الاسكندرية بل كأنما هو لم يكن فى ذلك الوقت يرجو منها بالحاح ان تكف عن التدخل فى شؤون مصر ...

واخيرا انظر الى قولها انها تضرب الاسكندرية وليس لها من ذلك مأرب خفى ولانيه غير بينة ، انظر الى قولها هذا وضع بجانبه انها بعد ضرب الاسكندرية احتلت مصر ، وانها كانت تعلن خلاف ماتبطن .

ونعود بعد ذلك الى سياق الحوادث . كان الباب العالى قد علم بالانذارات الاولى التى ارسلها الاميرال سيمور الى طلبة وكان الصدر الاعظم سعيد باشا قد قابل اللورد دوفرين فى يوم ٨ يوليه ورجا منه باسم الانسانية !! ان لاتتعجل حكومته الحوادث .. فرد عليه اللورد دوفرين بأن رجاءه هذا يمكن أن يكون محلا للنظر اذا هو أقنع الباب العالى باجابة الدول الى ما تطلبه منه اى الى الاعتراف بمؤتمر الاستانة واطاعة قراراته . فقال سعيد باشا ان مجلس الوكلاء سينظر فى ذلك مع السلطان عبد الحميد ووعد بان يعطيه جوابا صريحا يوم ١٠ يوليه .

وفى يوم ١٠ يوليو لم يعط سعيد باشا الجواب الموعود بل جاء يرجو مرة أخرى تأجيل ضرب الاسكندرية وبعد ساعة كانت رسالة اللورد جرنفيل التى مر ذكرها قد وصلت الى اللورد دوفرين فذهب بها الى سعيد باشا فعلم منه بان هناك ازمة وزارية ، وان السلطان غاضب عليه ، وانه لذلك يجب امهاله ولو بضع سلعات حتى يعطى جواب الحكومة التركية . واخيرا وعد بان يعطى هذا الجواب فى الليل والح فى ان يؤجل الاميرال سيمور ضرب الاسكندرية فقال دوفرين انه سيبذل جهده فى ذلك عند حكومته وان كان يرجح ان التأجيل غير مستطاع

وأرسل دوفرين الى حكومته رجاء الحكومة التركية فى التأجيل ولـكن الحكومة البريطانيـة زعمت بعد ذلك ان هذا الرجاء تأخر فى الطريق فلم يصل اليها فى الوقت المناسب !.

وفى الليل لم يرسل سعيد باشا الجواب كما لم يرسله من قبل ومضى الليل وجاء الصباح فعاد سعيد باشا يلح على دوفرين فى التأجيل لأنه ارسل الى الخديوى توفيق والى درويش باشـا يطلب منهما بعض بيانات وفى هذا الصباح نفسه كانت قنابل سيمور تدمر الاسكندرية .

الفصل الثالث عشر

ضرب الاسكندرية

كما قدمنا فوض مجلس الوزراء فى الاجتماع الذى عقد بحضور الخديوى ودرويش باشا والنظار الى عرابى حرية الدفاع عن البلاد اذا هاجمها الانجليز •

وبينما تجرى الحوادث السياسية كان الاميرال كونراد قائد الاسطول الفرنسى يغادر مياه الاسكندرية الى بور سعيد عملا بامر حكومته وكانت السفن الاخرى حربية وغير حربية تنسحب الى مناطق لا تستهدف فيها لقنابل المدافع • وترك عرابى الاميرال سيمور يخرج من الميناء الى حيث يقف موقف التأهب للقتال •

وكان الواجب على عرابى أن يمنع خروج الاسطول من الميناء الى خارجها الا أنه رغبة منه فى عدم بداية العدوان انتظر حتى يكون مدافعا لا مهاجما •

وجاء يوم ١١ يوليو الموعود فاطلق الاسطول الانجليزى مدافعه • وهنا نظن ان أفضل من يحدثنا عن ضرب الاسكندرية هو محمود فهمى (باشا) المهندس لانه كان فى ذلك الوقت وزيرا للاشغال ثم رئيسا لاركان حرب الجيش فكان هو الذى يتولى اعمال الدفاع الهندسية • قال محمود فهمى

« الساعة ٧ من صباح يوم الثلاثاء ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٩ هجرية أو ١١ يولية سنة ١٨٨٢ م أطلق الاسطول الانجليزى نيران « البومباردية » — (هى كلمة فرنسية معناها الضرب بالمدافع) على مدينة الاسكندرية وأحاط بها من كل جهة • ومن قبل ذلك كان ضباط الاسطول وقواده اخذوا جميع مقاسات أعماق مياه الاسكندرية وجهات ابو قير ورشيد ودمياط وعرفوا جيدا الجهات الخطرة من ساحل البحر التى يمكن المراكب السير فيها والضرب منها على نواحى الساحل • وعرفوا جيدا من ابتداء قلاع العجمى التى تجاه رأس اتين الى حد سراى الرمل النقط الصالحة لسير المراكب والسفن وشحنوا مراكب الاسطول ودوارعه بالذخائر والمهمات الحربية • ولا لزوم

لوصف مدرعات الاسطول الانجليزى وما عليه هذه الدولة الكبيرة من الاستعداد الحربى فى البر والبحر . ولما شرع الاسطول فى ضرب المدينة توجهت أنا مسرعا وكنت وقتها فى الاسكندرية الى قلاع رأس التين وشرعت أيضا طوابى باب العرب وطوابى أم كبية والابراج والطوابى الداخلة فى البحر من مدينة الاسكندرية فى الضرب على الاسطول وأن كانت هذه الطوابى على غاية من الخراب والدمار وبها مدافع من العيارات القديمة ولم يحصل فيها أدنى تعمير ولا ترميم من عهد أن انشأها محمد على باشا لغاية الان . الا انها ابتدأت فى الضرب على الاسطول الانجليزى وأستمرت فيه حينا

« وكان موجودا فى الاسكندرية من الايات المشاة اربع الايات منها اثنان فى رأس التين تحت قيادة مصطفى عبدالرحيم وسليمان سامى وواحد فى القبارى تحت رياسة خليل كامل ورابع فى نواحى باب شرقى تحت قيادة عبده محمد . فأما الايا المشاه اللذان كانا موجودين فى رأس التين فاصطفا خلف نيران الاستحكامات بجهة رأس التين . وأما الاى القبارى فانه لبث فى القبارى ولم يخرج مع قائده الى قلاع أم كبيه . اما الاى باب شرقى فانه لبث أيضا فى باب شرقى ولم يحصل منه ادنى حركة »

الى أن قال : «واستمرت نيران الاسطول الانجليزى متساقطة على الحديقة الى الساعة الوحدة والنصف افرنكى بعد الظهر» ثم قال «أنه بحث عن عرابى فوجده فى قاعة كوم الديماس ومعه طلبة عصمت والشيخ محمد عبده وعمر رحمى »

« * »

أنتهى اليوم الاول بفوز الاسطول وتدمير أكثر الحصون . وعقد النظار مجلسا برياسة راغب باشا فتقرر فيه رفع الراية البيضاء حينما يشرع الاسطول فى الضرب فى اليوم التالى

وفى الساعة ال ١٠ والدقيقة ال ٥٠ من اليوم التالى شرعت البوارج تطلق قنابلها على الطابيتين اللتين استمرتا فى اليوم السابق تقاوم الى الساعة الاخيرة وهما طابية القضاء وطابية قادوس فلم تمض دقائق حتى رفعت عليها الرايات البيضاء فاوقف الجنرال سيمور اطلاق القنابل وأرسل أحد

ضباطه فقابل طلبة فى يخت المحروسة وقال له أن الاميرال يطلب تسليم الحصون المشرفة على البوغاز والأمر بالعودة الى اطلاق النيران بعد ساعة ونصف . فاجاب طلبه بانه سيذهب فى الحال ليبلغ ذلك الى الخديو والنظار فى قصر الرمل ثم يعود اليه بقرارهم.

وذهب طلبه الى قصر الرمل وهناك كان النظار مجتمعين فنظروا فى طلب الاميرال وقرروا أنهم ليس فى استطاعتهم أن يسلموا ارضا مصرية مهما كان ثم كتبوا تلغرافا الى الاستانه . وعاد طلبه ومعه وزير المالية ووكيل وزارة الخارجية ليطلبوا من الاميرال هدنة حتى تأتى أوامر السلطان فلما وصلوا الى المحروسة كان الوقت قد مضى وكان الضابط الانجليزى قد تركها وعاد . ثم كان الاميرال سيمور قد أخذ يستعد للقتال من جديد . وفى الساعة الرابعة بعد الظهر اطلقت المدرعة لنفسيل قنابلها على حصون المكس فلم ترد عليها الحصون وبقيت الاعلام البيضاء مرفوعة وفى الساعة السادسة دخلت بارجة فى الميناء ثم خرجت واخبرت الاميرال بان الظواهر تدل على أن الجيش المصرى شرع يخلى المدينة . وفى الواقع كان عرابى امر باخلائها وبالانسحاب الى كفر الدوار .

وقبل هذا بقليل اى فى الساعة الثانية بعد الظهر كانت النيران قد اخذت فى السريان فيما بقى سليما من المدينة حتى لا يجد الانجليز فيها حين يحتلونها غير الخراب والدمار .

الخديو توفيق ..

كان الخديو توفيق فى قصر الرمل كما قلنا . وكان معه فيه درويش باشا وبعض المخاصين له . وكانت الاخبار تأتيهم كل ساعة تقريبا باطوار القتال ولكنها كانت تأتى متضاربة كما هو الشأن فى أمثال هذه الاحوال .

وكان عرابى يحذر توفيق فكان يرسل الى قصره جواسيس يأتونه باخباره وكان توفيق من جهة يحذر عرابى ويخشى أن يغدر به

وفى يوم الاربعاء ١٢ يوليو أرسل عرابى نصف أورطة بيادة تحت قيادة الصاغقول اغاسى أبو هشيمه فحاصر قصر الرمل وأرسل معه لهذا الغرض أيضا أورطة خيالة بقيادة البكباشى محمد منيب وذلك لان سليمان باشا اباظه حذر عرابى من بقاء الخديو حرا .

وحل الخوف فى اهل قصر الرمل وتوقعوا أن يهجم الجنود عليهم فعقدوا مجلسا برياسة الخديو وأصدر درويش باشا امره لليخت العثمانى عز الدين وهو اليخت الذى كان قد جاء عليه بالدنو من الشاطىء قريبا من القصر كى ينزل اليه هو والخديو اذا حاول الجنود ان يهجموا على القصر .ولكن الخديو ورجال القصر رأوا بعد ذلك انه اذا دنا اليخت من القصر فسيكون ذلك منبها لعرابى وحينئذ قد يقطع عليهم طريق الفرار وقد يغرقون اليخت فعدلوا عن هذا الرأى

وهنا يقول صاحب كتاب « مصر للمصريين » «أن عرابى علم بتفكير الخديو ودرويش باشا فى النزول الى اليخت فجاء بنفسه الى الرمل ووزع على العربان نحو ٥٠ الف فرنك وأمرهم ان لا يدعو أحدا يخرج من القصر حيا .

فخاف من فى القصر وهرب بعضهم خفية واستدعى الخديو البكباشى منيب وسأله عما يريده فاجابه بانه غير مسئول الا أمام ناظر الجهادية ولا يعرف غيره رئيسا له . وخرج البكباشى منيب واخذ يتهيأ للهجوم فاعد المشاة حول القصر ومن خلفهم الفرسان وشرع فى الحصار . وقابل أهل القصر ذلك بالتأهب للدفاع فاقفلوا الابواب وتسلحوا . وكان عددهم حوالى ٥٠ نفسا» (هذه الرواية غير صحيحة اصلا)

«ورأى الخديو أن يرسل الى عرابى فارسل وفدا يسأله ماذا يريد الجنود الذين يحاصرون القصر وكان هذا الوفد مؤلفا من حسن باشا الشريعى ولبراهيم بك رشدى وتيجران باشا فقابلوا عرابى وكلموه فتبرأ مما عزى اليه وارسل معهم طلبه الى الخديو ليخبره بان قائد الفرقة غير مأمور بمهاجمة القصر بل هو مأمور بالمحافظه عليه حرصا على حياة الخديو وحياة سكان القصر .فالح حينئذ درويش باشا فى أن ينسحب الجنود فأمرهم طلبة بالانسحاب فانسحبوا »

وفى تلك الاثناء كاف الاميرال سيمور ثلاث دراعات من اسطوله ان ترسو ازاء القصر بالقرب من الشاطىء ففعلت .

ولم يطمئن الخديو مع ذلك فقرر ان يرحل وامر زكى باشا احد مديرى السكك الحديدية اذ ذاك بان يعد القطار فى الليل ويبقيه على اهبة السفر الى الساعة الرابعة بعد منتصف الليل وان يكون فى محطة سيدى جابر فى ذلك الوقت . وأخذ اهل القصر فى التأهب للرحيل ليلا ، ولكن جاءتهم

الاخبار بان الجيش اخلى المدينة وانسحب الى كفر الدوار فعدلوا عن الرحيل . وفى الصباح ارسل الخديو الى البكباشى منيب — وكان قد بقى قريبا من القصر ومعه نحو مائتى جندى — وتلطف له فى القول ووعده وعودا كثيرة فخضع منيب واقسم للخديو ان يفتديه بروحه . فانعم الخديو عليه فى الحال برفع رتبته الى رتبة اميرالاى ومنح كل جندى من جنوده راتب شهرين .

وارسل الخديو زهراب باشا الى الاميرال سيمور . وفى الساعة الثانية بعد الظهر عاد زهراب باشا فاخبر الخديو بانه قابل الاميرال واخبره بجلاء الجيش عن المدينة . وقال زهراب باشا ان الاميرال عزم على انزال جنود الى رأس التين وانه يدعو الخديو الى سفينته . فتداول الخديو مع درويش باشا واتفقا على أن يذهبا الى قصر رأس التين .

وفى الساعة الرابعة ونصف بعد الظهر ركبا وركب معهما كل من كان فى قصر الرمل فلما وصلا الى قصر رأس التين وجدا فى انتظارهما على بابه مستر كارترايت والسير كولفن وبعض ضباط الانجليز ووجدا فى ساحة القصر الاميرال سيمور وفرقة من جنوده !

وفى المساء نزل بعض وكلاء الدول الى البر وهنأوا الخديو بسلامته وكان عدد حامية قصر التين من الجنود الانجليزية نحو ٣٠٠ وهو عدد كان غير كاف للدفاع اذا عاد العرابيون وهاجموا القصر ليلا فلم يطمئن الخديو وبقى خائفا يترقب الى ان بزغ نور الصباح وحينئذ انزل الاميرال سيمور فرقة اخرى من جنوده ثم فرقة ثالثة اخذت تطوف فى المدينة !!.

فعل مدافع

المصريين فى السفن الانجليزيه .

تثبت هنا بيانا بالاصابات التى اوقعتها مدافع المصريين بالسفن الانجليزية على الرغم من انها كانت مدافع قديمه وان ذخائرها لم تكن كافية .

اصيبت المدرعة الانفسيل بعدة قنابل منها ست عطلت الاجزاء غير المدرعة من السفينة وانفجرت واحدة فجرحت ٦ رجال من رجال المدرعة .

واصيبت المدرعة سلطان بثلاث وعشرين اصابة تلفت سواريها ومدختها وخرقت قنبلتان الجدران غير المدرعة منها وتعطلت زوارق السفينة انلكسيبل بقنابل الحصون . وكانت السفينة سوبرب اكثر سفن الاسطول تلفا لان قنبلتين اخترقتا درعها ومدختها

وتعطل احد مدافع بنبلوب . اما المدرعة الكسندرة فلم يلحق بها سوى ضرر خفيف في جدرانها وفى مدفعين من مدافعها احدهما من ١٠ ابهامات وزنه ١٨٨ طنا والآخر عيار ١١ ابهاما وزنه ٢٥ طنا. وهذه هى خسارة النفوس (سلطان) قتيلان وسبعة جرحى . (سوبرب) قتيل واحد وجريح واحد. (الكسندرة) قتيل واحد وثلاثة جرحى (انلكسيبل) قتيل واحد وجريحان. « وانفسيل » ستة جرحى . ونقول هنا أن بيان هذه الخسائر مأخوذ من التقارير الانجليزية لا من تقارير مصرية . وهو ناطق بان المصريين دافعوا عن المدينة احسن دفاع على الرغم من ان مدافعهم كانت من عهد محمد على باشا وان طوابيهم كانت كالمهدمة وان قنابلهم من النوع الردىء الذى لا يخترق دروع المدرعات

احراق الاسكندرية :

حاول الكتاب الانجليز الصاق تهمة احراق الاسكندرية بعرابى باشا ولكن الواقع وشهادة الشهود الذين يوثق بكلامهم تؤكد ان حرق الاسكندرية يرجع الى عدة أسباب .

١ — من الثابت ان عمر لطفى محافظ الاسكندرية . فرق عشرين الف جنيه على عربان اولاد على القاطنين بضواحى الاسكندرية ليحدثوا بها هرجا يوم ١١ يونيه اى يوم المذبحة ولما فشل التدبير فى ذلك اليوم ادخل من القبارى وباب عمود السوارى فنهبوا المدينة وأوقدوا فيها النيران ولم يحاول ذو الفقار باشا المحافظ الجديد منعهم من النهب بعد ان جلا عنها جيش عرابى

٢ — يرى جون نينيه ان الحريق حدث من القنابل التى أطلقت على المدينة ولا يستبعد ذلك بل هو أقرب الى العقل فان انفجار القنبلة واتصالها بأى مادة قابلة للالتهاب كاف جدا لاحراق مدينة مملوءة باللصوص من العربان وفى حالة حرب وهرج لامزيد عليه

٣ — يرى بعض الكتاب ان الحريق حدث عقب اخلاء المدينة من جنود الرديف الذين تركوا بها لحمايتها وقد اقدموا على ذلك طمعا فى الاسلاب ومساعدة للعربان ولكن هذا الرأى ضعيف وغير مقبول وحتى مع صحته فلم يكن ذلك بعلم عرابى اوقواد جيشه لأن كان قد غادر المدينة وكان ذلك

مخالفا لأوامره تماما .

٤ — الواقع ان حريق الاسكندرية كان كما قرر جون نينيه حدث بواسطة اطلاق القنابل ومما زاد لهيب النيران استعارا مساعدة الاعراب فى حرق المدينة ونهبها واما عرابى فبراءته مؤكدة من هذه الفعلة بدليل حزنه الشديد عندما علم باحتراق المدينة وهو فى معسكر كفر الدوار .

ملحق للفصل الثالث عشر

مكاتبات رسمية حول ضرب الاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢

١ — من رغاب باشا الى الاميرال سيمور

حضرة الاميرال

لى حظ الشرف ان اعلن لحضرتكم ان عرابى باشا يشتغل الان باعداد وسائل للدفاع وذلك مخالفة لاوامر الجناب الخديوى وقد صدر له الامر بالكف عن هذه التجهيزات . فكونوا اذاً على علم بأن الجناب الخديوى عزم على عزله من وظيفته فهو لذلك وحده المسئول عما يحدث فارجوكم ان تعلنوا مآل هذه الرسالة لحكومة جلالة الملك . الامضاء . راغب

صدر بسراى رأس التين فى ١٧ يوليو

٢ — من الخديوى توفيق الى عرابى

اعلموا ان ما حصل من ضرب المدافع من الدونتمة الانجليزية على طوابى الاسكندرية وتخريبها انما كان السبب فيه استمرار الاعمال التى كانت جارية بالطوابى وتركيب المدافع التى كان كلما يصير الاستفهام عنها كان يصير اخفاؤها وانكارها،

والان وقد حصلت المكالمة مع الاميرال فافاد بأنه ليس للدولة الانجليزية مع الحكومة الخديوية ادنى خصومه ولا عداوة وان ما حصل انما فى مقابل ما كان من التهديد والتحقير للدونتمة وانه اذا كان بيد الحكومة الخديوية جيش منظم وممتثل ومؤتمن فهو مستعد لتسليم مدينة الاسكندرية اليها . ولذلك اذا حضرت عساكر شاهانية فالحكومه الانجليزية تحترمهم وتسلم اليهم المدينة .

فقد تحقق من هذا ان الدولة الانجليزية ليست محاربة مع الحكومة الخديوية وانه تقرر من جميع

الدول المعظمة فى المؤتمر (١) بأنه لا يحد من امتيازات الحكومه وحريتها ولا من حقوق الدولة العليه بل هى تبقى ثابتة لها كما كانت وان يصير ارسال عساكر شاهانية لاجل استتباب الراحة بمصر . فلمذلك يلزم ان تصرفوا النظر عن جميع العساكر وعن كافة التجهيزات الحربيه التى تجرونها بوصول أمرنا هذا وتحضروا حالا الى رأس التين لأجل اعطاء التنبيهات المقتضية الشفهية على حسب امرنا هذا وما استقر عليه رأى مجلس النظار .

٣ — من عرابى الى الخديوى توفيق

فرد عرابى على هذه الرسالة بالرسالة الاتية التى ننشرها بحروفها . قال :

مولاى ..

فى شريف علم مولاى المعظم ان المحاربة التى وقعت بيننا وبين الانجليز انما تسببت عن طلبات من الاميرال الانجليزى وبلغت مسامع عظمتكم وعرضت على مجلس نظاركم المنعقد تحت رياسة سموكم وبحضور كثير من ذوات البلاد المنتخبين ودولة درويش باشا نائب الحضرة السلطانية . ولما تحقق عندهم جميعهم ان هذه الطلبات مضرة بالحكومة الخديوية ومخلة بشأن البلاد قر رأيهم على معارضة طلب الاميرال ولو ادى ذلك الى الحرب .

وبناء على ذلك قرر المجلس المذكور لزوم زيادة خمسة وعشرين الف عسكرى وصدرت الاوامر الى المديريات بطلبهم وقرر المجلس ايضا انه لا تطلق المدافع من جهتنا الا بعد اطلاق خمسة مدافع من السفن الانجليزية .

ولما ابتدأت السفن باطلاق النيران على مدينة الاسكندرية لم تقابلها الا بعد عشرين طلقة ولم يكن عندنا قبل وقت الضرب ادنى استعداد لاستمرار الاوامر بعدم الاستعداد . ثم بعد ذلك أعلن حضرة رئيس مجلس النظار وناظر خارجية حكومتكم الى جميع جهات الادارة بان البلاد فى حرب مع الانجليز وانها صارت تحت الاحكام العسكرية كما هو حكم القانون زمن الحرب. فبهذه الاسباب يامولاى تكون حكومتكم الخديوية المصريه محاربة لدولة الانجليز بوجه الحق والشرع . ولم يحصل من الحكومة ولا من عساكرها ادنى تحقير ولا ازدراء بالدونانمه كما هو معلوم لدى عظمتكم وانما

١ — يريد مؤتمر ترابيا الذى كان معقودا فى ذلك الوقت فى الاستانة

كانت الحرب عدوانا من الانجليز على الحكومة التى لم يبد منها ادنى شيء يستوجب الحرب . فان كان الاميرال فى مخابرته مع سموكم اظهر أنه عدل عن المحاربة الى المسالمة فذلك بعد الحرب يعد طلبا للصلح وسعيا فى تجديد العلاقات . ولا يجوز أن يكون انكارا للحرب بالمرة وتبروءا من العدوان بعد وقوعها . ولا شك فى انني اوافق على افكار سموكم فى العمل الى الصلح مع حفظ شرف البلاد والحكومة . وان كان الاميرال يريد تسليم المدينة لجيش حكومتكم المنظم بعد ان تخربت بمدافع السفن الانجليزية هدما وحرقا فهاهو جيشها المنظم الذى لم يقع منه ادنى امر يخل بنظامه مستعد لان يتسلمها بعد مبارحة المراكب عن مياه الاسكندرية . وللمحافظة على شرف حكومتكم الوطنية ينبغى الاستمرار على الاستعداد العسكرى كما وافق على ذلك رأى سموكم اولا حتى تفارق المراكب السواحل المصريه وخوفا مما عسى ان يحدث من قبيل ما سبق . فقد صارت الحادثة الماضية برهانا جليا على ان الوعد بالمسالمة من الانجليز لا يمكن كمال الثقة به وانما هو لاجل شغلنا عن الاستعداد واقتراح مطالب مضرة بمصالح البلاد

واننى كنت اتمني ان اتمثل بين يدى عظمتكم لابداء هذه الملحوظات لكن من الأسف انه تحقق عندى من الاكتشافات الحقيقية ان مدينة الاسكندرية مشغولة الآن بعساكر الانجليز فمن المعلوم عند مولاى انه لا يمكننى الحضور لتلك المدينة لهذا السبب . فاذا حسن لدى مولاى فليصدر امره السامى بحضور حضرات النظار او سعادة رئيس مجلس النظار الى مركز الجيش للمداولة فى هذا الأمر لنكون على بينة من الحقيقة حتى يمكننا بعد ذلك صرف العساكر وترك التجهيزات الحربية والحضور الى المدينة والامر لمن له الامر .. افندم .

* * *

وكتب عرابى بعد ذلك الى يعقوب سامى وكيل الجهادية (أى نظارة الحربية) فى القاهرة يطلب منه عقد مجلس من اعيان البلاد لتقرير ما يرونه فعقد يعقوب سامى هذا المجلس وتقرر فيه ان ضرب الاسكندرية هو عدوان حربى وان مصر بذلك فى حالة حرب مع الانجليز وان على الجيش ان يستمر فى الاستعداد خلافا لما يأمر به الخديو توفيق .

٤ — وسننشر فيما يلى نص القرار :

القـــرار

فى بداية الحرب بيننا وبين الانجليز كتب حضرة عطوفتلو رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية الى جميع جهات الادارة بأن الحرب انتشبت بيننا وبين الانجليز وصارت البلاد تحت الاحكام العسكرية ومن اللازم الاستعداد للمقاومة .

ثم وردت منه افادة تلغرافية بعد ذلك بأيام مقتضاها حصول الصلح والتنبيه على المصالح بأن تسير سيرا مدنيا وانها خرجت من الاحكام العسكرية .

وبعد ذلك صدرت افادة من ناظر الجهادية الى جهات الحكومة يصرح ببقاء البلاد تحت الاحكام العسكرية وبأن الحرب لم تزل قائمة بيننا وبين الانجليز وبوجوب الاستمرار على التجهيزات والاستعدادت ما دامت عساكر الانجليز فى مدينة الاسكندرية ومراكبهم فى مياهها .

وصدرت ارادة سنية من الجانب الخديوى لناظر الجهادية مقتضاها ان لا حرب بيننا وبين الانجليز وأن السبب فى الحرب هو المداومة على الاستعداد فى الطوابى الذى يعد تحقيرا لمراكب الانجليز . فضرب المراكب لاستحكاماتنا ولمدينة الاسكندرية ليس حربا للحكومة وانما هو من قبيل رد الشرف . وليس هناك حرب حقيقية الى آخر ما ذكر بالافادة .

فاجاب ناظر الجهادية بان الحرب مع الحكومة والانجليز كانت بقرار من مجلس عام منعقد تحت رياسة الحضرة الفخيمة الخديوية وايد ذلك اعلان مجلس النظار الى آخر ما ذكر فى الجواب .

ثم قدم عرض حال من مخزنجى مخبز القبارى باسكندرية لسعادة ناظر الجهادية يشكو من بعض امور تضاد الصلح وورد للناظر المومأ اليه معلومات عن اعمال عساكر الانجليز فى الاسكندرية تدل على معاداتهم لرعية الحكومة الخديوية وانهم محاربون لها كما يعلم من افاداته .

ثم ان ناظر الجهادية المشار اليه طلب فى احدى افاداته من وكيل الجهادية ان يشكل مجلسا من علماء البلاد واعيانها للنظر فى هذه الامور المهمة .

فبناء على ذلك انعقد فى نظارة الجهادية ليلة غرة رمضان سنة ١٢٩٩ مجلس مؤلف من سعادة وكيل الداخلية وسعادات كل من وكيل الجهادية وعلى باشا فهمى ووكيل الحقانية وناظر الدائرة

السنية ودانش باشا ومحمود سامى باشا لواء سوارى وحضرات باشكاتب المالية واحمد بك رفعت مدير المطبوعات ومأمور ضبطية مصر وعلى بك يوسف واحمد بك فرج وحسن بك جاد .

وبعد المداولة قرر المجلس لزوم انعقاد مجلس عام من مشاهير العلماء والرؤساء الروحانيين من الطوائف المختلفة ومأمورى الحكومة الحائزين للرتبة الثانية فما فوق واكابر الذوات المتقاعدين واعيان التجار . وان يكون انعقاده فى نظارة الداخلية يوم الاثنين غرة رمضان سنة ١٢٩٩

وفى الميعاد المذكور انعقد المجلس تحت رياسة وكيل الداخلية فى عدد كثير من كل طبقة من الطبقات المذكورة وتليت على مسامع الحاضرين جميعاالاوراق المتعلقة بهذه المسائل المتقدمة . وطلب منهم النظر فيها بصفة كونهم اعيان البلاد واصحاب المصالح المهمة فيها . فاتفق رأى الجميع بعد المداولة

اولا — على لزوم الاستمرار فى الاستعدادات الحربية ما دامت عساكر الانجليز فى مدينة الاسكندرية ومراكبهم فى مياهها

ثانيا — على انه يلزم طلب حضرات النظار الى العاصمة للاستعلام منهم عن حقيقة ما حصل قبل الحرب وبعده ليتمكن المجلس من اعطاء قراره فيما بعد .

ثالثا — على ان تعين لجنة مكونةمن ستة مندوبين عن طرف المجلس ليتوجهوا الى الاسكندريه ويبلغوا حضرات النظار قرار المجلس ثم يدعوهم للحضور الى العاصمة للسبب المتقدم .

وقدانتخب المجلس سعادة على باشا مبارك وسعادة رؤوف باشا من الذوات وحضرات احمد بك السيوفى والشيخ سعيد بك الشماخى من اعيان التجار والشيخ على نايل والشيخ احمد كيوه من العلماء عمل الوفد

وسافر الوفد المعين فى هذا القرار الى معسكر كفر الدوار فجرت فيه مباحثات بينه وبين عرابى ورؤساء الجند ثم انتخب على باشا مبارك واحمد بك السيوفى للذهاب الى الاسكندرية فوصلا اليها فى مساء الاحد ٢٣ يوليه وفى صباح الاثنين ٢٤ يوليه اجتمعا بالخديوى توفيق باشا وبالنظارو بسطا لهم الحالة وقد حجزهما عنده فلم يقوما بأداء المهمة التى انتدبا من أجلها.

٥- من الخديوى الى عرابى ..

الى احمد عرابى باشا فى ٤ رمضان سنة ١٢٩٩ و ٢٠ يوليه سنة ١٨٨٢ .

« انسفرك الى كفر الدوار مصحوبا بالجند وخروجك من الاسكندرية بعد القتال البحرى بدون أن تؤمر بالخروج منها وتعطيلك للخطوط الحديدية والبريد واسلاك التلغراف ومنعك لمهاجرى الاسكندرية من العودة الى اوطانهم واستمرارك على اعداد التجهيزات الحربية وعدم قدومك الى الاسكندرية يوم استقدمتك اليها . كل ذلك الجأنى الى عزلك من وظيفتك وانت بمقتضى هذا الامر المرسل اليك منذ الآن من نظارة الجهادية والبحرية » .

وفيما يلى من الفصول سير الحوادث التى تتابعت بعد ذلك .

الفصل الرابع عشر

الحرب . . !

موقعة كفر الدوار — او الحرب فى الميدان الغربى

الخديوى والمصريون :

اصبحت مصر بعد اطلاق المدافع فى صبيحة ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ م فى حالة حرب وكان الخديوى بعد أن تقهقر عرابى تاركا الاسكندرية قد بقى فيها وبذا اصبحت البلاد بدون حاكم شرعى فاجتمع مجلس مكون من الاعيان والنواب والضباط ورجال الدين فى القاهرة « ولم يحضر هذا الاجتماع عرابى لانه كان غائبا فى كفر الدوار ولم يزر القاهرة مدة الحرب او يتدخل فى ادارة الشئون هناك » ، وكان المجلس جامعا لعدد كبير من الاعضاء وكان فيه العلماء ورئيس القضاء التركى والمفتى وشيخ الاسلام ورؤساء المذاهب الاربعة — والبطريرك والحاخام وأربعة من امراء الاسرة الخديوية والمديرين منضمين الى نواب المجلس وقد قرر هذا المجلس بالاجماع أن الخديو لم يعد فى مركز يسمح له بقيادة الامة وان أوامره مادام منضما الى الانجليز فلا قيمة شرعية لها ، وكان أول ما اقدم عليه توفيق بعد ذلك ان فصل عرابى من وظيفته فقرر المجلس ابقاء عرابى فى الوزارة وامره ان يستمر فى الدفاع عن البلاد حتى يجلو عنها الاعداء . وعند ما أخذ عرابى الامر من أمته اخذ فى تهيئة اسباب الدفاع فأمر بتأليف مجلس دائم لكى يعاونه فى اتخاذ سبل الدفاع وكان هذا المجلس برياسة يعقوب باشا سامى وهو رجل قدير كان وكيلا لوزارة الحربية فاخذ فى اعداد العدة للتجنيد مدة الحرب ومد الجيش بالمؤن والذخائر . أما من جهة ادارة البلاد فانه بالنسبة لغياب راغب باشا فى الاسكندرية ومعه بقية الوزراء الذين حجزهم الخديو والانجليز تقرر ان تسير الوزارات على ما الفته من الاعمال وأن ينوب وكيل الوزارة فى العمل عن الوزير . ويمكن أن نقرر بكل اخلاص للتاريخ ان مصر لم تر حكومه اصلح من الحكومة التى ادارت شئونها مدة الحرب .

تحصين كفر الدوار.

كانت الخطوط الدفاعية التي انشأها عرابى ممتدة من ابى قير الى ترعة المحمودية ومنها الى الملاحة وأقام خط المقدمة فى جهة عزبة خورشيد وبلغ ما انشأه من مواقع الدفاع وخطوط الاستحكامات نحو الخمسمائة موقع وجعل مركز الجيش فى كنج عثمان بالقرب من كفر الدوار وكانت قوته الحربية هناك مركبة من أربعة الايات من المشاه والاى من السوارى والاى من الطوبجية وبطارية من مدافع المتراليوز وذلك عدا اورطة مستحفظى الاسكندرية وبعض عساكر البوليس.

ولم يكن هناك افضل من هذه البقعة لكى تكون معسكرا جديدا للجنود فقد كانت بعيدة عن مدافع الاسطول ولم يكن فى وسع جيش معاد ان يقترب منها الا على طريق السكة الحديدية الضيقة فكانت بذا حصينة من جهة البحر بينما هى مفتحة السبل من جهة الدلتا وكانت الطريق الحديدية واصلة بينها وبين العاصمة.

موقعتى كفر الدوار.

غادر الجيش المصرى الاسكندرية يوم ١٢ يولية فاحتلها الجيش الانجليزى يوم ١٣ منه بواسطة بحارة الاسطول ومن ثم وفدت الى الاسكندرية العساكر الانجليزية والهندية بقيادة الجنرال «جرانت ولسلى» وكمل الجيش المهاجم فى أوائل اغسطس فهجم ولسلى بقوته يوم ٥ أغسطس على كفر الدوار وكان المصريون على اتم استعداد لملاقاتهم فلم تدم المعركة الاولى طويلا حتى انجلت عن فوز العرابيين وتقهقر الانجليز الى ابواب الاسكندرية مما دعا الانجليز الى طلب النجدات من انكلترا فامدتهم حكومتهم بجميع الحاميات التى كانت فى مالطة وقبرص وجبل طارق وارسلت لهم قوة عظيمة عن طريق السويس من الجنود الهندية والانجليزية.

وقد استمرت المناوشات بين الانجليز والمصريين حتى يوم ٢٠ اغسطس وكانت كلها نصرا لجانب المصريين وفى يوم ٢٠ منه حدثت موقعة كفر الدوار الثانية واستمرت مدة طويلة اصيب فيها بكباشى اورطة المستحفظين «محروس افندى» بعد ان اظهر هو واورطته شجاعة عظيمة وثباتا غريبا ورد المصريون الانجليز مرة ثانية الى البحر فكان ذلك فوزا عظيما للجيش المصرى الباسل وكان الشهر الذى تلى هذه الحوادث حافلا بالامال فى نظر جميع المصريين.

وكان الاهالى يمدون الجيش بالأموال والرجال بسخاء عظيم حتى يمكن ان يقال ان الحرب المصرية التى قادها عرابى والتى استمرت شهرين لم تكلف الخزينة المصرية قرشا واحدا بل دفع نفقاتها الاهلون مما يدل على ان حركة المصريين فى ذلك الحين لم تكن مصطنعة بل كانت صادرة من اعماق قلوب مملوءة وطنية .

وفى ذلك الحين بدأ الاهالى يتحدثون عن عزل الخديوى جديا .

الفصل الخامس عشر

دسائس الانجليز والخديوى

أو

حملتى بالمر وجل فى الصحراء

ذهب المعز .

بعد أن هزم الانجليز مرتين فى كفر الدوار علم الجنرال ولسلى أنه من المستحيل غزو مصر من الغرب فقرر غزوها من ناحية قناة السويس . وكان الانجليز قد مهدوا الى مثل هذا الظرف من منتصف يونيو أى منذ مذبحة الاسكندرية بتوزيع الرشوة بين بدو سينا . فتقرر فى انكلترا البحث عن رجل يقوم بهذه المهمة ولم يكن فى انجلترا فى ذلك الوقت من يعرف العربية وكان من الصعب وجود من يمكن ارساله للقيام بهذه المهمة فاستدعى استاذ اللغات الشرقية فى جامعة كامبردج وهو « أدوارد بالمر » وكان يجيد اللغة العربية وممتازا فيها وكان يعرف البقعة التى يعيش فيها اولئك البدو لانه كان فيما مضى عضوا فى بعثة استكشاف صحراء سينا وفلسطين ففى يوم ٢٤ يونيه جاءته دعوة من المكتب السرى فى وزارة الحربية والبحرية وهناك عرض عليه أن يقوم بمهمة أرشاد هؤلاء البدو فقبل فورا ووعد بمكافأة عظيمة فى حالة النجاح .

وكان البرنامج الذى وضعته وزارة الحربية لبالمر هو أن يذهب أولا الى الاسكندرية لكى يتفاوض مع الاميرال سيمور ثم يذهب من هناك توا الى يافا فيتخذ اللباس الشرقى ويذهب الى الصحراء الواقعة فى الجنوب الغربى من غزة ثم يتعرف بالاعراب النازلين هناك ثم يدخل ارض سيناء ويتعرف ببقية القبائل وبواسطة الذهب يتمكن من استمالتهم الى جانب الحكومة الانجليزية .

وقد كتب بالمر مذكراته ونشر بعضها فى لندن (١) وهى كبيرة الفائدة من حيث انها تشتمل

---

١ — راجع ترجمة التاريخ السرى للاحتلال ص ٢٨٩

على الوسائل التى عمد اليها فى تحقيق اغراضه وهو يصف فيها كل اعماله وعليها نعتمد فى نقل هذه المعلومات .

وصل بالمر الى الاسكندرية ونزل فى يخت الاميرال سيمور وبعد مفاوضته مع الاميرال سافر الى الصحراء لكى يشرع فى عمله وقد أعطاه الاميرال مسدسا وبندقية وبعض الخرطوش ثم يقول فى مذكراته :

« أن الاميرال هناك ينتظر الحرب فى أقرب فرصة وقد تقع غدا » (١)

ثم يقول أيضا :

« وصلت الى يافا ونزلت عند القنصل البريطانى وارسل القنصل ابنه معى الى غزه لكى يهىء لى رحلتى فى الصحراء ، وهناك قابلت قافلة مسافرة الى الصحراء فسافرت معها بعد أن ارتديت لباسا عربيا »

« فى الخامس عشر من يوليه سمعت سرا بضرب الاسكندرية فقررت الذهاب الى السويس »

« فى ١٦ يوليه سنة ١٨٨٢ م التقيت ببعض افراد قبيلة الترابين واتفقت معهم وانا الآن أعرف مشايخ الصحراء وأماكنهم وقد تعاقدت مع الطباحة وهم أكثر البدو شجاعة واقواهم على اداء كل ما أطلبه منهم . وعند ما أعود سيكون فى استطاعتى ان اضم الى منهم ٤٠ الف مقاتل .

« ١٨ منه . التقيت بكبير شيوخ العرب . ولكنى جعلته يقبل ارائى »

« ١٩ منه : انى اعجب من نجاحى فقد ضممت الى رجالا حاول عرابى عبثا أن يستميلهم الى صفه وعندما تتطلب الحاجه سينضم الى لوائى جميع البدو من غزة حتى السويس »

« ٢٠ منه: التقيت بشيخ عظيم وهو الذى يضمن سلامة الحج من مصر الى مكه وقد أقسم لى قسما عربيا رهيبا على انى اذا ضمنت له تخليص ٣ من مشايخ العرب من السجن فهو يضمن انضمام جميع

---

١ — لاحظ ان ذلك كان أوائل يوليو ولم تقع الحرب الا فى منتصفه ..... ومن هذا يظهر الغدر المبيت فى انجلترا لضرب الاسكندرية تمهيدا لاحتلال القطر المصرى .

العرب لنا وانا اؤمل أن اخلص هؤلاء الثلاثة بواسطة سفيرنا فى الاستانه »

« ٢١ منه : ان البدو سيبقون فى سكينة ولن ينضموا الى عرابى ولكنهم ينتظرون كلمتى لكى يبدأوا العمل وهم يعتبرون عبد الله أفندى كما يسموننى رجلا عظيما »

« فى ٢٦ منه : أكلت اليوم الخبز واللحم مع البدو كعهد بيننا على أن يحمى كل منا الآخر الى الموت »

« فى ٢٨ منه : انضم الى مشايخ الحويطات . وقد نجحت نجاحا باهرا وقد جلست فى القمر أنشد الشعر العربى لهؤلاء البدو حتى تعلقوا بى »

« أول أغسطس . وصلت الى السويس وأنا الآن على ظهر احدى سفن شركات الملاحة الانجليزيه »

« ٢ أغسطس : ذهبت الى الصحراء ثانيا وسأبقى فيها يومين اذ كلفت قطع اسلاك التلغراف وحرق الاعمدة حتى تنقطع المواصلات بين عرابى وتركيا — وصل أمس الى بور سعيد الكابتن (جل) وسيصل الينا هذا الصباح »

« ٤ أغسطس . صدر أمر بتعيينى رئيسا للتراجمة فى جيوش جلالة الملك فى مصر ثم بعد ذلك نرى أن هذه الجملة العجيبة وهى لب هذه المذكرات وضع الكابتن (جل) فى يدى عشرين الف جنيه لاوزعها على العرب . وهذا آخر ما كتبه (بالمر) فى هذه المذكرات : فقد خرج فى ٧ أغسطس بصحبة جل و تشارنجتون الى النخل فى صحراء سيناء وكان الغرض من خروجهم قطع التلغراف وقد أخذوا معهم لهذا الغرض صندوقا مملوءا ديناميتا

وكانت مهمة بالمر الظاهرة شراء الجمال وكان الجميع مرتدين ملابس عربية وكان معهم مبلغ ٨٠٠٠ جنيه من ضمن العشرين الفا لتوزيعها على البدو فى تلك الجهات

وكان الفشل مقدرا لهم اذ ان الحرس المؤلف من البدو الذين ساروا معهم عرفوا وجود المال وكان هؤلاء البدو من قبيلتى الحوايات والحويطات وكان المال مخصصا للطباحة فرغب الحرس فى المال فهاجموا بالمر ورفيقيه واوثقوهم وسلبوا ما معهم وضربوهم بالرصاص فى وادى صدر »

وكانت فضيحة طرحت بشأنها اسئلة فى البرلمان الانجليزى ولكن الحكومة الانجليزية انكرت هذه المهمة السرية التى كانت موكوله الى بالمر ورفقائه ..

وليست مذكرات بالمر بالبينة الوحيدة . فأن الكابتن جل قد ترك ايضا مذكراته وهى تثبت هذه الحقائق فان مهمته فى غربى القناة كانت لا تختلف عن مهمة بالمر فى شرقيهما وهو يقول أنه بدأ مذكراته فى الاسكندرية • حيث قابل هناك القائد الانجليزى سير فردريك ومن ثم اخذ قائمة عن اشهر المشايخ بين القناة والارض المنزرعة ويذكر منهم اثنين هما سعود الطحاوى فى الصالحية ومحمد البقلى فى وادى طومبلات

ثم يقول فى المذكرات ايضا انه وصل بور سعيد وقابل المحافظ الخائن الذى عزله العرابيون وقد اخبره هذا بانه يمكن شراء الواحد من البدو بجنيهين أو ثلاثة جنيهات • وفى ٥ أغسطس يصل جل الى القناة ويصل الى السويس ومعه ضابط آخر يحملان عشرين الف جنيه ذهبا لكى يعطياها لبالمر •••

وفى ٦ منه يقول « اننى مسرور لتخلصى من العشرين الف جنيه اذ سلمت المبلغ لبالمر ليقوم بتوزيعه على هؤلاء البدو »

فهاتان الوثيقتان اى مذكرات بالمروجل تثبتان كل الاثبات استعمال الرشوة قبيل معركة التل الكبير •

***

لا ننس ان نعطى كل فرد نصيبه فان كثيرا من المترددين من المصريين خانوا عرابى وتركوا الميدان وقت الحاجة اليهم

فلا ننس ان نذكر قسط محافظ الاسكندرية من المسئوليه وهو الذى اغرى قبائل اولاد على سكان مديرية البحيرة على القيام بالشغب فى الاسكندرية

الا أن اعظم ما أضر بالحرب خيانة عرب الشرقية فقد أخذ كما يذكر مستر بلنت (راجع الترجمة ص٢٩٦) سعود الطحاوى مبلغ ٥٠٠٠ كرون نمسوى بينما كان هو الذى يتولى أمر استطلاع

طلائع الجيش العرابى .

***

والسلطان أيضا .

وقد كان للسلطان ايضا نصيبه من هذه الدسائس التى كانت أهم أسباب هزيمة عرابى . اذ بينما كان الجيش المصرى يرد الانجليز فى كفر الدوار وصلت « البيانامه » وهى عبارة عن منشور من السلطان يذكر فيه أن عرابى خائن للدين وأنه ثائر على الخليفة وأنه يجب على جميع المسلمين العمل على هزيمته فلما وصل هذا المنشور الى معسكر المصريين أمر عرابى بجمعه وحرقه وكتمان خبره حتى لا يذاع ولكن عبد الله نديم كان يرى أن ينشر هذا البيان فى جريدته « الطائف » وأن يرد عليه بتسفيهه غير ان عرابى رفض ذلك (١)

وعلى ذلك يمكننا أن نقول أن ذهب المعز الذى فرق بواسطة بالمر وجل على ضفتى القناة والذى فرق بواسطة عمر لطفى على سكان غرب وادى النيل فضلا عن خطط الخديوى والسلطان « هذه العوامل كلها قد مهدت طريق النصر لولسلى فى التل الكبير »

---

١ — كان صدور هذا المنشور السلطانى بايعاز من انجلترا فقد عمد سفيرها الى تضييق الخناق على السلطان حتى يصدر هذا المنشور الذى كان يعارض فى أصداره الا بعد أن يتم الاتفاق معه على الميثاق الحربى الذى كانت ستشترك بمقتضاه جنود وضباط من الاتراك مع الجيش البريطانى فى العمل فى مصر .

ولما طال الاخذ والرد فى بنود هذا الميثاق تململ السفير البريطانى وتغير على ذوى الشأن فى تركيا فاصدر السلطان ذلك المنشور ولكن انجلترا صرفت النظر بعد ذلك عن الميثاق وابرامه لانها كانت قد حصلت من السلطان على ما أرادت و لم تعد بها من حاجة الى اشتراك تركيا معها فى العمل فى مصر .

وهكذا ضحكت انجلترا من ذقن السلطان واستخدمته آله لانجاح اغراضها فى مصر .

الفصل السادس عشر

القتال فى الميدان الشرقى

أو القصاصين — التل الكبير

لما عاد ولسلى عن خطوط كفر الدوار لحصانتها ولا مكان المدافعة عنها باقل عدد من الجنود وجد المصريون انه يجب عليهم تحصين مصر الشرقية من ناحية قنال السويس ، فعبأ على باشا فهمى جيشا من القاهرة وسار به حتى احتل القناة ورسمت خطوط الدفاع فى التل الكبير .

ردم قناة السويس :

قرر المجلس الحربى ضرورة ردم قناة السويس لان وجود القناة مفتوحة وخصوصا من جهة الشمال خطر كبير على البلاد وذلك خوفا من ان يسارع الانجليز الى ادخال بوارجهم الى القناة فينزلوا فى الاسماعيلية وبذا يسهل غزو القطر ، وكان الرأى المتفق عليه بالاجماع وجوب ردم القناة ولو كان بالرغم من شركة القناة ولكن دى ليسبس لما علم بما يدبر خفيه للقناة جعل يناشد عرابى بشرفه ان يمنع ذلك وهو من جهته يدافع عن حياد القناة ويمنع مرور السفن الحربية الانجليزية فيها .

وقد تبادل عرابى ودى ليسبس المكاتبات بهذا الشأن ، ففى ٤ أغسطس سنة ١٨٨٢ م ارسل عرابى الى دى ليسبس خطابا نقتطف منه « اننى احترم حيدة القناه بغاية الدقة خصوصا وانها اظهر عمل يسجل اسم سعادتكم فى التاريخ وعلى ذلك اتشرف بابلاغ سعادتك ان الحكومة المصرية لن تخرق حيدة القناة الا عند الضرورة القصوى وفى حالة قيام الانجليز بعمل عدائى ضد الاسماعيلية او بور سعيد أو نقطة اخرى واقعة على القناة وستضطر السلطات المحلية الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع كل عمل عدائى ولكنها لن تكون مسئولة عن النتائج التى تنجم فيما بعد كما تدركه سعادتك وانا واثق أن سعادتك ستتخذ احسن الوسائل لهذه الغاية من قبل أن يلجأ القوم الى شىء من ذلك .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام   « وزير الحربية والبحرية بكفر الدوار »

وها خطاب آخر :

الاسماعيلية الساعه ٤ والدقيقه ١٥ مساء « بدون تاريخ »

الى المسيو دى ليسبس بالاسماعيلية

ارسل اليك صورة من التلغراف الذى استلمناه من رئيس اركان حرب الجناح الشرقى بالتل الكبير والذى يبرهن لسعادتك على ان الانجليز لا يحترمون حيدة القناه :

« الى يعقوب باشا سامى ياور «وزير الحربية بقصر النيل .

« من رئيس اركان الحرب الجناح الشرقى الى سعادة الياور بالقاهرة .

نخبر سعادتكم انة فى يوم الاربعاء الموافق اول شوال سنة ١٢٩٩ غادرنا التل لنفتش النقط التى توجد بها اعمال عدائية ولما وصلنا الى جناح الشالوفة علمنا اخبارا جاء بها المستكشفون وقد تأكدنا من صدق هذه الاخبار اذ وجدنا أن فرقة الاستطلاع كانت تمر على الشاطىء الشرقى لقناة لمياه الحلوة فابصرت بالقوة من جهة القشرة بعضا من جنود الاعداء ولما اقتربت جنودنا اطلق العدو النار ولكنهم قابلوه بشجاعة ففرت فرقة الاعداء الى بركة القارب وقد اسرها رجالنا وقادوها الى جناح الشادوف ووجدوا بها ١٣٣ من دواب الحمل وقد حصل ذلك فى اليوم المذكور ومن ذلك لم يظهر العدو واخبار المعسكر الشرقى حسنة ولم يعرف عدد الجرحى من الاعداء . أما من جهتنا فلم يمس أحد

« ووجدنا من اللازم ان نخبركم بهذه الواقعة التى استمرت نحو ١٠ دقائق .

وكان رد دى ليسبس على ذلك ان ارسل الى عرابى هذا الخطاب :

« لاتحاول اى محاولة فى ردم قناتى ، فانى هنا ، فلا تخش شيئا من هذه الناحية فانهم لن يستطيعوا انزال جندى انجليزى حتى يكون الى جانبه جندى فرنسى اخر . وأنا مسئول عن كل شىء

وفى هذا الوقت الذى كان دى ليسبس يرسل هذه الرسالة المملوءة زهوا وغرورا كان الاسطول الانجليزى يدخل قناة السويس ويحتل بجنده الاسماعيلية فى ٢١ أغسطس سنة ١٨٨٢ م

موقف عرابى فى مسألة ردم القناة

فقد ذهب الكتاب فى موقف عرابى فى مسألة ردم القناة مذاهب تدل على خطأ تقديرهم لموقف

عرابى فيها فقد قالوا ان المجلس الحربى قرر ضرورة ردم القناة ولكن عرابى رفض ذلك اغترارا منه بوعود دى ليسبس وتباطأ حتى سبقه الانجليز الى تدنيس حرمة حيادها وبذلك رجحت كفتهم على كفة الجيش المصرى وقربت نهاية الحرب .

والواقع أن عدم ردم القناة فى الوقت المناسب قد فوت على مصر فرصة عظيمة كانت تساعدها على اطالة مدة القتال مدة اخرى ولكن الرجل المنصف الذى يريد أن يحكم على هذه الحادثة حكما نزيها يجب عليه قبل كل شىء أن يقدر مواقف عرابى والمسؤوليات الجسام التى كانت على عاتقه ثم يجب عليه بعد ذلك ان ينظر الى تلك الحادثة من خلال الملابسات التى كانت موجوده منذ نصف قرن لا بعين الزمن الحاضر فقد كان عرابى يمثل الامة المصرية فى تلك الحرب الظالمة فسار فى جميع تصرفاته واجراءاته سيرة لا شية عليها ولا عدوان فيها مما جلب عليه وعلى المصريين المجاهدين عطف الدول الاوروبية جميعا . وكان غرض عرابى من ملاحظة الدقة التامه والحذر الكامل بشأن القتال ان لا يأتى من جانبه بما يستفز الدول الاجنبية ويجعلها تتألب عليه مع الانجليز والا فقد كان من ايسر الامور عنده ان يأمر بردمه . فمصلحة المصريين اذن هى التى كانت ملحوظه من جانب عرابى يوم أبى الموافقة على ردم القنال واذا فرضنا من جهة اخرى انه استخف بالمعاهدات الدولية وتحدى الدول جميعا بردم القنال فعلا فماذا كانت تكون النتيجة ؟ من الذى كان يأمن ان يهيج هائج الدول الاوروبية صاحبة المصالح فى القنال وتقوم فرادى أو مجتمعة للاقتصاص من المصريين الذين اضروا بمصالحها فى القنال ؟ ثم ماذا كان يكون موقف عرابى أمام تلك الدول وامام ابناء بلاده . أكان المصريون — يغتفرون له انه جلب عليهم بفعلته عداوة الدول العظمى جميعا بعد أن كانت العداوة محصورة بينهم وبين الانجليز ؟ وهل كان مثل هذا العمل مما يضمن سلامة البلاد ويحفظها من طمع العادين ؟

أننا نحن نقول اليوم فقط وبعد التجارب التى مرت بنا فى غضون الحرب العظمى ان المعاهدات الدولية ليست سوى قصاصات ورق وأنه متى جد الجد وتجاوبت اصداء المدافع كانت الامم فى حل من عمل كل ماتريد .

هذا ما نقوله اليوم وهو صحيح يؤيدة الواقع الملموس والسوابق التى شهدناها من الدول

الاوروبية . ولكن هذا الكلام لم يكن معروفا منذ نصف قرن ولم تكن هناك يومئذ سوابق من هذا القبيل بل الذى كان معروفا ان الحرب لا يمكن ان تكون مبررا لتمزيق المعاهدات وتجاوز الحدود المتواضع عليها عند الامم المتمدنة

ورب قائل يقول ان انجلترا قد خرقت حيدة القنال ومع ذلك لم تقم دولة من ذوات المصالح فى هذا القنال بعمل عدائى ضد هؤلاء الانجليز وهذا دليل على ان الحجة السابقة لا وزن لها . ونحن نقول أن الدول لم تفعل شيئا بعد انجلترا لانها كانت تخشى بأسها وترهب قوتها ولو لم يكن الامر كذلك لحاسبتها حسابا عسيرا على استخفافها بقرار مؤتمر ترابيا الذى وقعه مندوبها ايضا مع مندوبى الدول الاخرى وانفرادها بالاعتداء على المصريين فى انعقاد ذلك المؤتمر . فالمسألة هنا مسألة قوة مرهوبه ولكن لو ان مصر هى التى بدا منها مثل هذا الاستخفاف . وهى الضعيفة المكسورة الجناح أكانت تلك الدول تكف عنها ؟ كلا وايم الحق . بل ان انجلترا نفسها كانت تقوم يومئذ باستفزاز تلك الدول وحملها على العدوان على المصريين بعد ان تصفهم بابشع النعوت ...

أن عرابى كان يحسب حساب كل هذه الظروف رعاية منه لمصلحة بلاده كما تراءت له ثم انه كان يبعث الى الباب العالى بانباء كل هذه الخطوات حتى انه قال فى آخر رسالة له انه سيضطر لردم القنال بسبب اقتراب الانجليز منه واعمالهم التى يقومون بها على ضفافه . وذلك لكى يلم الباب العالى بتطورات الحوادث اولا فأولا .

فمسألة ردم القنال لم تغب من عرابى بل كانت الاستعدادات تامه لردمه عند الضرورة على أنه عند ما دخلت السفن الانجليزية فى مياهه وصدر الامر بالردم لم يستطع العمال القيام بهذه العملية لان مدافع الاسطول كانت تصيبهم بقذائفها من بعيد فيركنون الى الفرار . نعم أن ردم القنال كان يساعد المصريين على اطالة مدة القتال ولكن عدم ردمه لم يكن السبب المباشر للهزيمة فلو نجحت التدبيرات التى أعدت فى واقعة القصاصين الثانية لانتصر الجيش المصرى أعظم انتصار ولكن الخيانة التى دخلت فى الجيش بمساعى الخونه افسدت كل شىء حتى أن الخريطة الحربية لهذه الموقعة — وكانت من صنع عرابى نفسه — سرقت من مركز القيادة وسلمت للانجليز . وقد عرضها أحد

القواد الأنجليز على عرابى وهو فى سجنه وقال له لو أن هذه الخطة نفذت بدقة لا نتصرتم علينا بلا جدال !!

خطوط الدفاع .

أصبح الدفاع عن مصر بعد وصول الانجليز الى الاسماعيلية أمرا صعبا بعد أن كان سهلا على المصريين طرد الانجليز مرات الى البحر وقد اعترف بذلك الجنرال ولسلى نفسه « لو أن عرابى سد القناة كما كان ينوى ذلك لكنا الان لا نزال فى البحر نحاصر مصر فان تردد عرابى وتأخره قد نجانا »

وكان الجيش الانجليزى يربى على ٣٠ ألفا وكان جيش عرابى يقل عن هذا العدد ثم أن اكثر أنفار الجيش كانوا قد جمعوا من الرديف او بالتطوع ولم يكن لهم سابقة معرفة الحروب فسخروا فى الاعمال اليدوية ولم ينتفع بهم الجيش فى القتال .

وكان الجيش المصرى قد أرسل محمود فهمى المهندس القدير الفذ منذ اوائل شهر اغسطس الى القناة كما ذكرنا لتدبير أمر خطوط الدفاع ولكن لسوء الحظ وقع فى الاسر وذلك أنه عندما كان يشتغل فى تخطيط الارض خرج معه ياوره لكى يستطلع الصحراء الواقعة بينه وبين الاسماعيلية فانقضت عليه جماعة من الانجليز وأسرته فى الجانب الاخر من وادى الطميلات . وكان أسره هذا نكبة لا تقدر على الجيش المصرى فى التل الكبير لانه كان الوحيد الذى يمكنه أن يتولى مهمة رياسة اركان حرب الجيش عند الهجوم .

موقعة القصاصين.

بدأت اولى المواقع فى ٢٣ أغسطس سنة ١٨٨٢ م اذ استولى الأنجليز على بلدة المحسمة فاراد العرابيون استردادها وكان الجيش المصرى معسكرا فى القصاصين وقد وضع التدبير على أن يزحف محمود باشا سامى البارودى بالفى جندى فى الصباح ويهاجم الانجليز ، فقابله فى الليل رجال سعود الطحاوى (الذى كان قد رشاه الكابتن جل) وأضلوه عن الطريق فلم يصل الى الميدان فى الميعاد .

ثم أن على بك يوسف الذى كان يقود الحمله على ميسرة الانجليز قد خان الجيش المصرى ولم يتقدم الى المعركة بفرقته .

وأما القلب فقد كان يقوده بطلان عظيمان اصيبا فى الميدان وهما على باشا فهمى وراشد باشاحتى انهما تقدما بفرقتهما بكل شجاعة وقاتلا بالسلاح الابيض ولـكن الموقعة انتهت على غير جدوى اذ انفصل الجيشان فعـاد الانجليز الى المحسمة والعرابيون الى التل الـكبير . وكان يقود الجيش الانجليزى فى هذه الموقعة الدوق اف كنت فلو ان تدبير عرابى نجح وقبض على الدوق كنت لـكان قد تغير التاريخ وكسب العرابيون الموقعة والحرب .

واقعة التل الـكبير .

تربص عرابى للانجليز ورسم الخطة الاتية :

« عند ورود الانباء بمسير الجيش الانجليزى من المحسمه يصدر الامر الى محمود باشا سامى البارودى قومندان جيش الصالحية بالزحف من مركزه لقطع خط الرجعة على الجيش الانجليزى ومنع المدد عنه وحصره بين قوتين عظيمتين فيضطر الى التسليم .

وقد روى عرابى فى حديث له فى المقطم فى ٤ أكتوبر عام ١٩٠١ ان ضباطه خانوه وارسلوا الخرائط التى رسموها لمقاتلة الانجليز فى القصاصين الى القائد الانجليزى وقد قال «زارنى السير ولسن من كبار الضباط الانجليز بعد الحرب وأطلعنى على بعض الخرائط وسألنى عن الذى رسمها وقال لو تيسر لـكم العمل بها لسببتم لجيشنا خسارة كبيرة »

كـتب الاميرالاى على بك يوسف الذى كان قد انضم الى اعداء عرابى اليه يقول بانه قدوردت اليه انباء تفيدان الانجليز لن يخرجوا هذا اليوم وبناء على ذلك أصدر عرابى امره بان يستريح الجيش ارتـكانا على ماورد من أخبار المقدمة .

أما الجنود الانجليزية فقد زحفت من أول الليل خلافا لما قرره الخائن على يوسف وفى مقدمتها نفر من بروجية المصريين ..

وكان بين الصالحية والتل الكبير فرجة صغيرة خالية من الاستحكامات وبها فرقتان من السوارى المصرى — يتسلمانها بالمناوبة بصفة خفر ومعهما فرقة من عرب الهنارى للمساعدة .

وكانت مهمة هؤلاء الخفراء هى اخبار المقدمة بما يرونه من حركات الجيش الانجليزى فلما اقترب الجنود الانجليز من تلك النقطة أمروا من معهم من البروجية المصريين بضربة نوبة رجوع على الاصطلاع المصرى فسمعتها الفرقة التى عليها الدور فى خفر النقطة المذكورة وظنت انها آتية من مركز الجيش المصرى اذ لا يخطر ببالها وجود خونة مارقين من المصريين فى الجيش الانجليزى فتركت النقطة خالية وكرت راجعة على أعقابها وتبعها الجنود الانجليز وامامهم عرب الهنادى حتى وصلوا الى المقدمة فاخلى لهم على يوسف الخائن الطريق ومروا بين الجنود بلا ممانع ولا مدافع ثم اطلقوا نيران مدافعهم و بنادقهم على الاستحكامات المصرية فكانت مذبحة تشيب من هولها الولدان .

استيقظ المصريون من نومهم مذعورين على صوت المدافع ولم يكادوا يستعدون للقتال حتى كانت مدفعية الانجليز حصدتهم حصدا ففر الباقون ورأى عرابى ان الاستحكامات قد اخذت والجند منهزمة فاخذ يناديهم ويحرضهم على الثبات والدفاع عن الوطن فصمدوا حينا للقتال وخصوصا المدفعية التى استشهد قائدها محمود بك عبيد ولكن الوقت كان قد فات — ثم رأى عرابى خيمته طائرة فى الهواء بقذيفة مدفع فعلم ان فى بقائه خطرا على حياته ثم انه اراد ان يحجز العساكر الهاربة عند بلبيس فركب جواده وتبعه السيد عبد الله نديم وحاول بعض فرسان الانجليز ادراكهما فما استطاعوا .

وكان سقوط التل الكبير فى يوم الاربعاء ١٣ سبتمبر عام ١٨٨٢ .

ولا يمكن أن يقال ان عرابى ترك الميدان خوفا من الموت مع ان واجبه كان ان يموت فى ميدان القتال بدلا من النهاية السيئة التى تعقب الهزيمة ولكن عرابى كان يطمع فى الوصول الى العاصمة قبل ان تصله اخبار الهزيمة ليهىء وسائل الدفاع عنها .

الفصل السابع عشر

خاتمة الحرب

توجه عرابى كما اسلفنا على جواده الى محطة التل الكبير فوجد ان القطار قد فاته فسار حتى بلبيس وهناك تقابل مع على باشا الروبى وعبروا القناة الى محطة بلبيس حتى لحقوا القطار قبيل تحركه ومن ثم ذهبوا الى القاهرة .

ويظهر انه عند وصوله الى القاهرة كانت لا تزال برأسه آمال عن الاستمرار فى الدفاع عن المدينة . فذهب توا الى قصر النيل وانضم الى لجنة الحرب التى عقدت اجتماعا وكن القرار الذى انتهت اليه اللجنة عبارة عن تسوية تقتضى الخضوع للخديو من جهة والدفاع عن القاهرة من جهة اخرى ولم يفعلوا اكثر من ذلك الى اليوم التالى عندما وصلت الجنود الهندية بقيادة درورى لو الى العباسية

ومع أنه كان فى المدينة حامية صغيرة يمكن ان تدافع عنها حينا ولكن الزعماء رأوا وهم على حق ان حربا مثل هذه كن معناها تدمير القاهرة بقنابل الهواء ولذا انتهى المجلس اخيرا الى قرار انقله عن عرابى نفسه « وبعد المداولة والتيقن بأن دولة الانجليز لا تريد الاستيلاء على مصر تقرر أنه حيث ان الامر كما ذكر فلا يلزم مدافعة بعد ذلك اعتمادا على ان دولة الانجليز موصوفة بحب الانسانية والاعتدال فى كل أمر وانها متى تحققت الامر ووقفت على افكار اهل البلاد لا شك انها تسعى فيما يوجب تحريرهم وراحتهم وحفظهم وبناء على ذلك كتبت تلغرافا من طرفى لحكمدار فرقة العباسية المؤلفة من ٣٥ الف جندى وهو سعادة رضا باشا فى يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م بانه اذا حضرت عساكر الانجليز يرفع لها الراية البيضاء وان يتقابل مع رئيس العساكر الانجليزية ويخبره بانتهاء الحرب اعتمادا على شرف دولة الانجليز وحرصا على حفظ البلاد من الدماء وعند الغروب اتت عساكر السوارى الانجليزية والهندية فرفعت لهم الرايات البيضاء وتوجه رضا باشا لمقابلة الجنرال لو .

«وكذلك ارسلت الضابط ابراهيم بك فوزى لمقابلة الجنرال ايضا وتوجه وقد قبل المجلس لمقابلة الجنرال ولسلى فى بنها وبعد الغروب بساعة ونصف حضر ابراهيم بك فوزى المذكور وأخبرنى ان الجنرال لو يريد مقابلتى فى العباسية وكذلك قومندان فرقة عساكر كفر الدوار (طلبه باشا) كان حضر فى هذا اليوم الى الديوان فجاءه تلغراف من قومندان فرقة العباسية ان الجنرال المذكور يريد مقابلته فى هذه الساعة — فتوجهنا جميعا الى الجنرال لو بالعباسية وكذلك على حسب طلب جنابه ارسلت له الاميرالاى الذى كان فى القلعة على بك يوسف .

«ولما تقابلنا انا وطلبه باشا مع الجنرال قال الجنرال هل تقبلون جميعكم ان تسلمو انفسكم اسرى للدولة الانجليزية؟ فقلنا نعم على شرط ان يكون فى ذمة دولة الانجليز وشرفها ثم خلعنا سيوفنا وسلمناها ليد الجنرال لو نيابة عن القائد العام الجنرال ولسلى، وقلنا له قد سلمنا انفسنا وسيوفنا الى شرف انكلترا مع انه يوجد بالعباسية ٣٥ الف عسكرى ومثلهم فى كفرالدوار ورشيد ودمياط وغيرها ولكن حرصا على مصلحة البلاد المصرية قد ابطلنا المدافعة وسلمنا انفسنا لشرفكم فقبل ذلك منا» انتهى كلام عرابى .

وفى ١٥ سبتمبر عام ١٨٨٢ م دخل الجيش الانجليزى بقيادة الجنرال ولسلى مدينة القاهرة ومن ذلك اليوم بدأ الاحتلال البريطانى المشئوم .

ونزل الجنرال ولسلى والدوق اوف كنت نجل الملكة فكتوريا فى سراى عابدين .

وفى ١٦ سبتمبر وصل السير افلن وود كفر الدوار واستولى عليها ونسف الطوابى التى اقامها العرابيون امام قرية اصلان . وابى عبد العال محافظ دمياط وقومندان فرقتها ان يسلم الى الانجليز ولكنه اذعن اخيرا الى حكم القدر وسلم فى ٢١ سبتمبر عام ١٨٨٢ م .

الفصل الثامن عشر

أسباب الهزيمه ونتائجها

تتلخص أسباب الهزيمة :

١ — فى ان عرابى وان كان خطيبا ومخلصا فى حركته وحربيا الا أنه لم يكن ذلك السياسى الذى كانت تحتاج اليه تلك الحركة ، ففضلا عن جهله المطبق بالسياسة الاوربية اذ ذاك كان يجهل من اين تهب الريح فى مصر والى اين تتجه انظار المحيطين به .

٢ — رغم جرأته المدهشه كان سليم النية جدا ، فمثلا فى بداءة الحرب كان الواجب عليه ان لا يترك مندوب السلطان والحاشية التى التفت حوله فى الاسكندرية بل كان عليه أن يحضرهم معه ولو بالقوة الى القاهرة . ولم يكن حازما بل كان متهاونا فى معاقبة الخائنين فلو انه بعد مذبحة الاسكندرية قبض على عمر لطفى وانزل به صارم العقاب لامتثل به غيره او لو كان فعل كما ذكر البرنس كامل فاعدم فى بداية الحرب خمسة عشرة من الخونة لكان استراح بعد ذلك .

ففضلا عن خيانة على يوسف الفاضحة فى موقعة القصاصين لم يعدمه بل ابقاه فى مقدمة الجيش المحارب فى موقعة التل الكبير فكان بذلك الساعى الى حتفه بيده .

٣ — انتشار الخيانة فى الجيش بفضل الاموال التى فرقت وكذا ظهور طبقة من المترددين الذين حاولوا تثبيط الهزائم

٤ — اعتماد عرابى على عربان الشرقية الذين باعوه وباعوا اسراره بما قبضوه من الكابتن جل .

٥ — الغيرة التى شعر بها كثيرون نحو عرابى عند مارأوه يتخطاهم الى الرياسة وكان من قبل ذلك اقلهم مركزا فقد انضوى سلطان الى الخديوى وعمل شريف باشا على الايقاع به بما كان ينشره من الاخبار المختلفة عن قيام ثورات فى الارياف والتى كان ينشرها فى جريدة المحروسة لسان حاله والتى كان يحررها سليم نقاش السورى .. وكان نوبار هو الذى املى على جبنا المذكرة المشتركة الاولى التى ارسلت فى ٧ يناير وغيرهم .

٦ — الحزب الجركسى او بقايا الاتراك وقد كانوا يتوقون الى هزيمة عرابى ليعود لهم النفوذ وسلطان الحكم .

٧ — اغترار عرابى بوعود دليسبس المتكررة بضمان حيدة القناة ، فقد كان واجبا أن يحصنها وقد صرح بذلك القائد ولسلى نفسه فى مجلس اللوردات فى انجلترا عند المناقشة فى مشروع انشاء

قناة بين انكلترا وفرنسا «لو أن عرابى سد القناه حقيقة كما كان ينوى لكان الاسطول للآن فى البحر يحاصر مصر»

٨ – نكث السلطان عهوده وطعن الثورة فى ظهرها بعد أن عضدها اذ قال يوما (من يعلم فربما يكون هذا الفلاح قائد الجامعة الاسلامية نحو النصر)

٩ – السبب الاخير والمهم ان عرابى لم يكن قائدا حربيا بالمعنى الصحيح ولم يكن قد حضر معركة حربية فى حياته فلو أنه كان قد تدرب على الحكم والحرب مع ما اتصف به من الاخلاص والوطنية لكان حقيقا خليقا بتحقيق ما اضطلع به من مهمات .

نتائج الهزيمة .

لا يمكن ونحن نكتب لوجه التاريخ فقط ان نرتب على الهزيمة ما بناه غيرنا من الكتاب فرغم ان الاحتلال كان نتيجة للهزيمة الا انه يجب أن نذكر انه منذ ايام اسماعيل كانت انجلترا تمهد لهذه النتيجة فلو انها لم تتذرع بهزيمة عرابى للوصول الى غرضها لكانت تذرعت بغيرها من الاسباب

ولم تكن الثورة شرا مستطيرا على مصر كما يراه البعض فيكفى انها نبهت الاذهان الى ان فى مصر «شعبا حيا مهما قيل عن تعوده الخضوع منذ اجيال» كما قال فريسينيه وانها نبهت المصريين الى القومية المصرية والفرق بينها وبين القومية الاسلامية ، التى كانت ممثلة فى تركيا فى ذلك الحين ويجب ويهمنا ان نذكر ايضا ان عرابى كان اول من فصل الدين عن السياسة فى تاريخ مصر الحديث .

والى هذه الثورة يرجع الفضل فى الروح الاستقلالية وفكرة الحرية التى وجدت فى أذهان المصريين والتى لم يذهب بها احتلال شديد الوطأة دام نصف قرن .

وقد اخرجت لنا الثورة جميع زعماء النهضة الحديثة فى مصر ويكفى أن الزعيم سعد زغلول كان أحد الشبان الذين تخرجوا منها .

كان شبح الثورة لايزال ماثلا لاذهان المحتلين ولذا كرروا اعترافاتهم المتوالية عن عدم شرعية الاحتلال . ويكفى الثورة فخرا انها قضت على الحزب الجركسى وعلى روح الرجعية البالية فى الحكم والتقاليد وانها اخرجت جيلا جديدا من المصريين اضطلعوا بالمهمات الجسام فاستفادوا منها متانة فى الاخلاق والوطنية ويجب ان نذكر أن المدة التى قضاها المصريون تحت رعاية الحكومة الوطنية علمتهم ان لايخنعوا فيما بعد للظلم والاستبداد والا يقبلوا عن الحرية بديلا .

الفصل التاسع عشر

خاتمة عرابى

محاكمته ونفيه وعودته الى مصر

محاكمة عرابى ..

لم يكن الانجليز اقل رغبة من الخديوى فى اعدام عرابى ولذا أسلموه الى الحكومة المصرية راغبين بذلك الى شنق عرابى من جهة والى عدم تلوث أيديهم بهذه الجريمة من جهة اخرى لانه كان كما جاء فى خطاب أرسله دى ليسبس الى مستر بلنت « يبدو لى من الصعب ان قائدا لاحد الجيوش يمكن ان يعرض لعقوبة الاعدام بعد أن سلم سيفه لقائد انجليزى منتصر » ولما قر الرأى على المحاكمة قدم العرابيون الى محكمة عسكرية كانت كل اجراءاتها باطلة وكانت المحاكمة نفسها بادية انها صورية ووجهت الى العرابيين نيف واثنى عشر تهمة باطلة اخصها الثورة وحريق الاسكندرية ومذبحتها ومحاولة خلع الخديو .

وكانت المحكمة التى صدر المرسوم بتأليفها فى (٢٨ سبتمبر سنة ١٨٨٧) برياسة محمد رؤوف باشا وبدأت المحاكمة فى قاعة مجلس شورى الدولة وجلس قومندان الحامية الانجليزية فى كرسى النائب العمومى .

واستمرت المحاكمة حينا وسننشر فى ما يلى بعض نص المحضر الرسمى لجلسة المحاكمة والمهم فى الموضوع انه رؤى بعد السير فى المحاكمة ان يعترف عرابى وزملاؤه (طلبه عصمت وعبد العال حلمى ومحمود سامى وعلى فهمى ومحمود فهمى ويعقوب سامى) بتهمة واحدة من التهم الموجهة اليهم هى تهمة العصيان فيحكم عليهم بالاعدام ويعفى عنهم فى جلسة واحدة ويحول الحكم الى النفى المؤبد مع تعيين معاش لهم واخذ العهد عليهم الا يغيروا محل نفيهم فان فعلوا عاد حكم الاعدام وان تصادر أملاكهم دون املاك زوجاتهم ...

فلما تم الترتيب على هذا وقبل عرابى ورفاقه هذا الحل عين الانجليز الساعة ٩ من يوم ٣ ديسمبر لتمثيل الرواية بعد ترتيب فصولها .

بدأت المحاكمة فى الموعد المحدد لها ولم يعان موعدها فلم يذهب اليها الجمهور ولم يزد عدد الذين دخلوا الجلسة عن اربعين شخصا بينهم ٢٠ صحفيا .

وأمر الرئيس باحضار عرابى وكان قد وقع وهو فى سجنه الوثيقتين المتفق عليهما وكتبهما نيابة عنه محاميه برودلى الاولى اعترافه بانه مذنب والثانية تتضمن القسم شرفه العسكرى بانه لا يغادر المكان الذى تعينه الحكومة الانجليزيه لاقامته .

أدخل عرابى قاعة المحكمة بين صفين من الجنود ببنادقهم والحراب فيها فتحولت اليه الانظار فسار الى المكان المعد لجلوسه وهو ثابت الجأش لا يبدو أى شىء على وجهه وكان يلف عنقه بشال أبيض وهو يلبس بنطلونا عسكريا فلما جلس مكانه وقف المحاميان الى جانبه وبعد ان أخذ كل واحد مكانه بسط رئيس المحكمة ورقة فى يده وقال :

« أحمد عرابى باشا أنت متهم امام هذه المحكمة العسكرية بناء على تقرير لجنة التحقيق بجريمة العصيان على صاحب السمو الخديو فانت بعصيانك قد ارتكبت الجريمة المنصوص عليها فى المادة ٩٦ من القانون العسكرى العثمانى والمادة ٥٩ من قانون الجزاء العثمانى .

« فقل يا أحمد عرابى باشا : هل انت مجرم أو غير مجرم ! »

فاخذ المحامى برود لى بيد عرابى واسر اليه ان يقف ويتكلم فوقف عرابى وقال ان المحامين عنى سيتكلمون باسمى .

ثم اخذ برود لى فى تلاوة الوثيقة التى وقعها عرابى فى الصباح وفيها يعترف باقترافه الذنب المتهم به. وكانت بالفرنسية وبعد تلاوتها ترجمها سكرتير المحكمة الى العربية وبعد تلاوتها أعلن رؤوف باشا اختلاء المحكمة للمداولة وتأجيل الجلسة الى الساعة الثالثة

وقبل ان تحل الساعة الثالثة مساء غصت القاعة بالناس لان الخبر كان قد ذاع فما انعقدت الجلسة حتى أمر الرئيس الكاتب بتلاوة الحكم وهو يقضى بقتل احمد عرابى وبعد تلاوته ناوله الرئيس ورقة اخرى فتلاها واذا هى الامر العالى الصادر بالعفو واستبدال الحكم وهذا نصها :

« بناء على ما رأت الحضرة الخديوية من استعمال ما لها من حق العفو عن احمد عرابى امرت بما هو آت :

« اولا — الحكم الصادر على احمد عرابى المقتضى جزاؤه القصاص وقع تبديله بالنفى المؤبد من الاقطار المصرية وملحقاتها

ثانيا — هذا العفو مبطل ويقع اجراء الحكم على احمد عرابى بالقتل اذا رجع الى الاقطار المصرية وملحقاتها ..

وبعد تلاوة الحكم الذى لم يستغرق سوى ثلاثة دقائق ازدحم الانكليز حول عرابى يصافحونه ويهنئونه وتقدمت امراة المحامى نابيه وهى باثواب السهرة وبيدها طاقة من الورود الجميلة الى عرابى فتقبلها شاكرا

حوكم عرابى فى ٢ ديسمبر وحوكم طلبة عصمت وعبد العال حلمى ومحمود سامى وعلى فهمى فى ٧ ديسمبر وحوكم محمود فهمى ويعقوب سامى فى ١٠ منه وكانت محاكمتهم كمحاكمة عرابى حرفا حرفا وبعد ذلك قرر مجلس النظار ضبط املاكهم وهذه صورة الامر الصادر بذلك

المادة الاولى — املاك وموجودات احمد عرابى وطلبه عصمت وعبد العال حلمى ومحمود سامى وعلى فهمى ويعقوب سامى منقولة او غير منقولة واملاكهم وموجوداتهم التى اشتروها أو وضعوا ايديهم عليها ومقيدة باسماء غير اسمائهم وكذلك الاملاك والموجودات التى تصرفوا فيها بالهبة او بالبيع او بطريقة مصطنعة صارت ملكا للحكومة ولا يجوز لهم من الان فصاعدا ان يمتلكوا اى ملك من اى نوع كان فى الاقطار المصرية بطريق الارث او الهبة او البيع او بأية طريقة كانت وسيرتب لهم سنويا راتب نقدى بقدر الضرورة لمعيشتهم ويصير بيع املاكهم منقولة كانت او غير منقولة وما ينتج من هذا البيع بعد التصفية يخصص لسداد التعويضات التى ستعطى لمن اصيبوا بالحوادث الثورية .

وعينت لجنة مخصوصة فى مركز ضبطيه مصر لتنفيذ هذا الامر وكان رئيسها عثمان باشا فهمى والعضوان بها احمد حشمت (باشا) وجبران مسكات (بك)

وفى ٢١ ديسمبر صدر امر عال بتجريدهم من جميع الرتب والالقاب وعلامات الشرف ومحو اسمائهم من سجلات الجيش محوا مؤبدا

واغرب من المحاكمة والحكم كان التجريد فبعد صدور الامر بتجريدهم فى ٢١ ديسمبر جىء بهم فى الساعة الثانية بعد ظهر ٢٦ منه الى قشلاق قصر النيل وكان قد اصطف هناك صفان من الجنود المصرية وكان المحكوم عليهم يلبسون الملابس العادية وكل واحد منهم يلف عنقه بشال فتلى عليهم الامر العالى وبعد تلاوته سأله احد الضباط عن سيوفهم وازيائهم فاجابوا انهم لم يروا لزوما لها معهم فقامت ضجة شديدة وارفض الحفل على هذه المهزلة او الفصل الهزلى من الرواية ، ولكن ضجة برودلى ونابيه علت بحجة انه كان يكفى للتجريد كتابه الامر العالى ونشره برودلى الرأى العام صدى هذا القول .

نص المحضر الرسمى لمحاكمة عرابى (١)

« محضر استجوابى فى لجنة التحقيق فى يوم الاربع ٢٧ ذى العقدة سنة ١٢٩٩ »

نفى عرابى :

انتهى الرأى على أن تكون سيلان هى منفى عرابى وزملائه فى الثورة الذين بقوا احياء ففى اوائل شهر ديسمبر من سنة ٨٢ غادر المنفيون بلادهم الى تلك الجزيرة النائية .

وقد بقى المنفيون هناك لايفكرون فى العودة الى الوطن حتى زار الجزيرة ولى عهد انكلترا فى ١٢ ما يو مايو سنة ١٩٠١ م وبعد ذلك بيومين طلب عرابى مقابلته وطلب من سموه التوسط لدى الحكومة الانجليزية للسماح لهم بالعودة الى أوطانهم فوعدهم بالتوسط لدى الخديوى عند عودته .

وفى ٢٤ منه جاءهم تلغراف من حاكم الجزيرة يقول فيه أنه قادم اليهم ليبشرهم شخصيا بصدور العفو عنهم وعودتهم الى وطنهم وقد ودع عرابى اصدقاءه من أهالى الجزيرة وهبط السفينة التى اقلعت بهم الى السويس ونترك عرابى نفسه فى مذكراته « الجزء الثالث » يروى ماتم بعد ذلك .

« وهناك نزلنا فى بيت الشيخ البخارى وخصصت لنا السكة الحديدية صالونا لنزولنا من السويس الى القاهرة على حساب الحكومة ..

« وفى السويس وصلنى تلغراف من الحكومة الانجليزية تخبرنى بين ان اواصل السير الى انكلترا حيث اهبط بها ضيفا عزيزا وبين أن اقيم فى وطنى »

ووصل عرابى اخيرا الى القاهرة بعد ان حيته الجماهير فى الزقازيق وبنها .

وكانت جماهير الشعب تزدخر ازدخارا لرؤية هذا الذى نقش فى صفحة الابد صفحة مجيدة لنهضة الفلاح المصرى

وكانت اصوات تصيح هاتفة لعرابى بالخير وكانت اخرى تهمس ساخطة ثم نزل عرابى من القطار ومشى بين هذا الجمع بلحيته البيضاء وثباته العجيب يتصفح الوجوه بقلب يفيض حنانا وأسى ومن ثم ركب عرابى وعائلته وقصدوا الى داره بشارع خيرت

والواقع ان كرومر لم يستقبل عرابى فى المحطة ولارحب به فيها بخلاف مايعتقد الجهلاء

وقضى عرابى حقبة من الدهر فى وطنه مات فى نهايتها حزينا على هذا الوطن المصرى العزيز .

وكانت نهايته فى سنة ١٩١١ م

---

١ — راجع جريدة كوكب الشرق عدد ١٤ سبتمبر سنة ١٩٣٢ (نقل نص المحضر عنها)

ملحق قانونى

دستور سنة ١٨٨٢

أو اللائحة الصادرة من سمو خديوى مصر بتأليف مجلس النواب بناء على مطالبة مجلس شورى النواب وهذا نص الامر الكريم الذى صدر فى فبراير سنة١٨٨٢ وهو بعد الديباجة :—

المادة الاولى — تعيين أعضاء مجلس النواب يكون بالانتخاب والشروط اللازمة لمن له الحق فى الانتخاب ولمن يجوز انتخابه يتبين فيما بعد فى لائحة مخصوصة تشتمل أيضا على كيفية الانتخاب

المادة الثانية — يكون انتخاب اعضاء المجلس لمدة خمس سنوات ويعطى لكل منهم مائة جنيه مصرى فى السنة مقابل مصاريفه

المادة الثالثة — النواب مطلقو الحرية فى اجراء وظائفهم وليسوا مرتبطين بأوامر وتعليمات تصدر لهم تخل باستقلال آرائهم ولا بوعد أو وعيد يحصل اليهم .

المادة الرابعة — لا يجوز التعرض للنواب بوجه ما واذا وقعت من أحدهم جناية أو جنحة مدة اجتماع المجلس فلا يجوز القبض عليه إلا بمقتضى اذن من المجلس .

المادة الخامسة — للمجلس حال انعقاده أن يطلب الافراج أو توقيف الدعوى مؤقتا لغاية انقضاء مدة الاجتماع عمن يدعى عليه جنائيا من أعضائه أو يكون مسجونا فى غير مدة انعقاد المجلس لدعوى لم يصدر فيها حكم .

المادة السادسة — كل نائب يعتبر وكيلا عن عموم أهالى القطر المصرى لا عن الجهة التى انتخبته فقط .

المادة السابعة — مجلس النواب يكون مركزه بمحروسة مصر ويعقد بأمر يصدر من الحضرة الخديوية بموافقة رأى مجلس النظار ويكون اجتماعه سنويا .

المادة الثامنة — تعقد الجلسات الاعتيادية السنوية بمجلس النواب مدة ثلاثة أشهر من أول نوفمبر لغاية يناير واذا لم تكف هذه المدة لاتمام الاشغال الموجودة وطلب المجلس أن تزاد مدته من ١٥ يوما الى ٣٠ يوما فيجاب الى ذلك بأمر يصدر من الحضرة الخديوية .

المادة التاسعة — اذا مست الحاجة الى تكرار اجتماع المجلس فى غير مدته المعتادة فيكون ذلك بمقتضى أمر يصدر به من الحضرة الخديوية تقرر فيه مدة ذلك الاجتماع .

المادة العاشرة — تفتتح الحضرة الخديوية أو رئيس مجلس النظار بالنيابة عنها مجلس النواب بحضور باقى النظار .

المادة الحادية عشرة — تفتتح أول جلسة فى كل سنة بتلاوة مقالة يقرأها الخديو أو رئيس مجلس النظار بالنيابة عنه وتشتمل على بيان المسائل المهمة التى تعرض على المجلس فى أثناء انعقاد جلساته وتنفض الجلسة بعد تلاوة المقالة المذكورة .

المادة الثانية عشرة — ينتخب المجلس فى أثناء الثلاثة أيام التالية لتلاوة المقالة لجنة لتحضير جوابها وبعد التصديق عليه من المجلس يصير تقديمه للحضرة الخديوية من ينتدبهم المجلس لهذا الغرض من أعضائه بمعرفته .

المادة الثالثة عشرة — لا يشتمل الجواب المذكور على التكلم فى أى مسألة بوجه قطعى ولا على أى رأى حصلت المداولة فيه .

المادة الرابعة عشرة — ينتخب المجلس ثلاثة من أعضائه تعرض أسماؤهم على الجناب الخديوى فيعين أحدهم ليتولى رياسة المجلس مدة الانتخاب أى خمسه أعوام بمقتضى أمر يصدر من سموه .

المادة الخامسة عشرة — ينتخب المجلس وكيلين لرئيسه ويعين للقلم كاتبا بشرط أن يكون الوكيلان من أعضائه

المادة السادسه عشرة — تحرر محاضر الجلسات بملاحظة قلم كتاب المجلس الذى يؤلف من الرئيس ومن الوكيلين ومن الكتاب

المادة السابعة عشرة — اللغة الرسمية التى تستعمل فى المجلس هى اللغة العربية وتحرير المحاضر والملخصات يكون بتلك اللغة .

المادة الثامنة عشرة — للنظار حق الحضور فى المجلس وابداء مايرومون ابداءه فيه ولهم أيضا أن ينيبوا عنهم وكلاء من كبار الموظفين .

المادة التاسعة عشرة — اذا قرر قرار النواب على أن يستدعى للحضور بمجلسهم أحد النظار للاستيضاح منه عن مادة معينة فعلى الناظر أن يذهب الى المجلس بنفسه أو ينيب عنه أحد كبار الموظفين ليجيب عما يسأل عنه .

المادة العشرون — للنواب حق الملاحظة على موظفى الحكومة جميعا ولهم فى أثناء اجتماع

المجلس أن يشعروا بواسطة رئيسه كلا من النظار بما يرون لزوم الاختبار عنه من تعد أو خلل أوقصور يقع فى أثناء تأدية الوظيفة من أحد موظفى الحكومة التابعين لنظاته

المادة الحادية ولعشرون — النظار متكافلون فى المسئولية أمام مجلس النواب عن كل أمر يتقرر بمجلس النظار ويترتب عليه اخلال بالقوانين واللوائح المرعية الاجراء .

المادة الثانية والعشرون — كل من النظار مسئول على الوجه المذكور بالمادة السابقة عن اجراءاته المتعلقه بوظيفته .

المادة الثالثة والعشرون — اذا حصل خلاف بين مجلس النواب ومجلس النظار وأصر كل على رأيه بعد تكرار المخابرة وبيان الاسباب ولم تستعف النظارة للحضرة الخديوية أن تأمر بفض مجلس النواب وتجديد الانتخاب على شرط أن لاتتجاوز الفترة ثلاثة أشهر من تاريخ يوم الانفضاض الى يوم الاجتماع ويجوز لارباب الانتخاب أن ينتخبوا نفس النواب السابقين أو بعضهم .

المادة الرابعة والعشرون — اذاصدق المجلس الثانى على رأى المجلس الاول الذى ترتب الخلاف عليه ينفذ الرأى المذكور قطعيا .

المادة الخامسة والعشرون — مشروعات اللوائح والقوانين تعمل بمعرفة الحكومة ويقدمها النظار لمجلس النواب لنظرها والبحث فيها واعطاء القرار اللازم عنها ولايكون المشروع قانونا معتبرا دستورا للعمل مالم يتل فى مجلس النواب مادة فمادة ويقرر حكما فحكما ثم يجرى التصديق عليه من طرف الحضرة الخديوية وكل قانون يتلى ثلاث مرات بين كل مرة واخرى خمسة عشر يوما واذا كان القانون مستعجلا فيكفى تلاوته مرة واحدة ويستثنى عن المرتين الثانيتين بمقتضى قرار مخصوص يصدر من المجلس واذا تراءى لمجلس النواب سن قانون فيطلب ذلك بواسطة رئيسه من مجلس النظار ومتى وافقت عليه الحكومة فتعمل مشروعه وتقدمه لمجلس النواب على الوجه المبين بهذا .

المادة السادسة والعشرون — مشروع كل لائحة او قانون يعرض على المجلس ينظر فيه بمعرفة لجنة من اعضائه تنتخب لذلك ويجوز للجنة المذكورة ان تطلب من الحكومه اجراء بعض تغييرات فى المشروع الذى تكلفت بنظره وفى هذه الحالة يرسل رئيس مجلس النواب الى رئيس مجلس النظار المشروع والتغييرات المطلوب أجراؤها فيه قبل المذكرة العمومية بمجلس النواب .

المادة السابعة والعشرون — ان لم تطلب اللجنة اجراء تغييرات فى المشروع المحال عليها او

طلبت ولم توافقها الحكومة على ذلك فيقدم النص الاصلى فى مشروع القانون بمجلس النواب للمداولة فيه اما اذا صدقت الحكومة على تلك التغييرات فيقدم للمجلس النص الاصلى مع التغييرات التى حصلت فيه للمناقشة وفى حالة ما اذا كانت التغييرات صار قبولها من الحكومة فللجنة ان تبين رأيها للمجلس وتقدم له ملحوظاتها .

المادة الثامنة والعشرون — عند تقديم المشروع للمجلس من طرف اللجنة يجوز للمجلس قبوله او رفضه ويسوغ له أيضا احالته ثانيا على اللجنه للنظر فيه .

المادة التاسعة والعشرون — على رئيس مجلس النواب ان يرسل الى رئيس مجلس النظار اللوائح والقوانين التى صدق المجلس عليها .

المادة الثلاثون — لايجوز ربط اموال جديدة او رسوم او عوائد على منقولات او عقارات او ويركو فى الحكومة المصرية الا بمقتضى قانون يصدق عليه من مجلس النواب وعلى ذلك لايجوز بأى وجه كان وباى صفة كانت بتحصيل شيء من ذلك وكل مستخدم حرر كشوفات وتعريفات عنها وكل شخص باشر تحصيلها بدون قانون مصدق علية من مجلس النواب يحاكم كمختلس وترد الحقوق لاربابها .

المادة الحادية والثلاثون — ميزانية مصروفات وايرادات الحكومة السنوية تقدم لمجلس النواب سنويا لغاية الخامس من شهر نوفمبر بالاكثر .

المادة الثانية والثلاثون — تقدم للمجلس ميزانية عموم الايرادات مع كشوفات عن كل نوع من أنواعها .

المادة الثالثة والثلاثون — تنقسم ميزانية المصروفات الى اقسام متعددة يختص كل قسم منها بنظارة ثم يشتمل كل قسم على أبواب وفصول بقدر عدد جهات الادارة العمومية بتلك النظارة .

المادة الرابعة والثلاثون - لايجوز للمجلس ان ينظر فى دفعيات الويركو المقرر للاستانة او الدين العمومى او فيما التزمت به الحكومة فى امر الدين بناء على لائحة التصفية او المعاهدات التى حصلت بينها وبين الحكومة الاجنبيه

المادة الخامسة والثلاثون - ترسل الميزانية الى مجلس النواب فينظرها ويبحث فيها (بمراعاة

المادة السابقة) ويعين لها لجنة من اعضائه مساوية بالعدد والرأى لاعضاء مجلس النظارة ورئيسه لينظروا جميعا فى الميزانية ويقرروها بالاتفاق او بالاكثرية .

المادة السادسة والثلاثون — اذا وقع الخلاف بين لجنة النواب ومجلس النظار وتساوى العدد فيه فالميزانية تعود الى مجلس النواب فان ايد رأى مجلس النظار وجب تنفيذه وان اثبت رأى لجنته فيكون العمل بمقتضى المادة ٢٣ و ٢٤ من هذه اللائحة واما ماحصل فيه الخلاف من الميزانية فاذا كان مقررا فى ميزانية السنة السابقة ولم يكن مخصصا لاعمال جديدة مثل اشغال عمومية وغيرها فينفذ مؤقتا الى ان يعقد المجلس الثانى بمقتضى المادة (٢٣) .

المادة السابعة والثلاثون — اذا أيد المجلس الثانى رأى المجلس الاول فى امر الميزانية وجب تنفيذ الرأى المذكور قطعيا كما فى المادة (٢٣)

المادة الثامنة والثلاثون — كل عهد او شرط او التزام يراد عقده بين الحكومة وغيرها لايكون نهائيا الا بعد الاقرار عليه من مجلس النواب مالم يكن على امر مبلغه وارد فى الميزانية العامة المقررة بهذا المجلس واية مقاولة من اشغال عمومية خارجة عن الميزانية او مبيع شىء من املاك الحكومة او اعطاء ارض بدون مقابل او امتياز لاحد لاتكون نهائية الا بعد الاقرار عليها من مجلس النواب ايضا

المادة التاسعة والثلاثون — يجوز لكل مصرى ان يقدم للمجلس عريضة ويحال النظر فى هذه العريضة على لجنة ينتخبها المجلس وبناء على ما يجاب منها يحكم المجلس بقبول رفض العريضة وما يحكم بقبوله يحال على الناظر المختص به ذلك .

المادة الاربعون — كل عرض يختص بحقوق او صوالح شخصية يرفض متى كان من خصائص المحاكم المدنية او الادارية اوكان لم يسبق تقديمه لجهة الادارة المختصة به .

المادة الحادية والاربعون — اذا طرأت طوارىء مهمة تستلزم المبادرة الى الاخذ باسباب الاحتياط لوقاية الحكومة من خطر او للمحافظة على الامن العمومى وكان مجلس النواب غير منعقد وكانت الاحتياطات المرغوب فى اتخاذها داخلة بخصائصه ولم يسع الوقت اجتماعه جاز لمجلس النظار اجراء مايلزم اجراؤه على مسؤليته مع التصديق على ذلك من الحضرة الخديوية ولدى انعقاد مجلس

النواب يقدم الامر اليه ليرى رأية فيه .

المادة الثانية والاربعون —لايجوز لاى شخص ان يعرض لمجلس النواب مسألة ما او يتناقش فيها او يشترك فى المداولة الا ان كن من اعضائه او من النظار اوممن كن حاضرا معهم او نائباعنهم

المادة الثالثة والاربعون — يكون اعطاء الاراء فى المجلس بواسطة رفع اليد او النداء بالاسم او وضع الاراء فى صندوق .

المادة الرابعة والاربعون — لايجوز اعطاء الاراء بالنداء بالاسم الا اذا طلب ذلك عشرة من اعضاء المجلس بالاقل وعلى كل حال فالرأى فيما نص عليه بالمادة السابعة والاربعين يكون دائما النداء بالاسم .

المادة الخامسة والاربعون — انتخاب الثلاثة اعضاء الذين تعين منهم رئيس المجلس وكذا انتخاب الوكيلين والكاتب الاول والثانى ويكون دائما بوضع الاراء فى صندوق .

المادة السادسةوالاربعون— لا تكون المداولة بالمجلس صحيحة الا اذا كان حاضرا فيه ثلثا أعضائه بالاقل والا كانت المداولة لاغية . ويكون صدور القرارات بالاغلبية المطلقة .

المادة السابعة والاربعون — كل قرار يترتب عليه مسئولية النظار لا يجوز صدوره الا بالاغلبية المتوفرة فيها ثلاثة ارباع النواب الحاضرين بالجلسة .

المادة الثامنة والاربعون— لايسوغ لاحد من النواب ان ينيب عنه غيره لابداء رأيه .

الماده التاسعة والاربعون — على مجلس النواب ان يحرر لأئحة اجراءاته الداخلية وتكون تلك اللائحة نافذة الحكم وبمقتضى أمر يصدر من الحضرة الخديوية .

المادة الخامسون — للمجلس الحق ان يعدل هذه اللائحة الاساسية بالاتفاق مع مجلس النظار .

الحادية والخمسون— اذا غمض معنيى مادة اوعبارة من هذه اللائحة فيكون تفسيره باتحاد مجلس النواب مع مجلس النظار

المادة الثانية والخمسون— كل احكام القوانين والاوامر واللوائح والعادات المخالفةلهذهاللأئحة لا يعمل بها بل تكون لاغية .

المادة الثالثة والخمسون —على نظارنا تنفيذ هذه اللأئحة كل فيما يخصه .

فهرست

نحن فى عصر السرعة . . . .

فلا تضيع وقتك . . . . .

اذا كنت فى القاهرة وأردت السفر . . . . .

فأدر قرص التليفون رقم ٦١٧٣١ . . . . .

يجبك قسم الحركة فى

شركة مصر للطيران

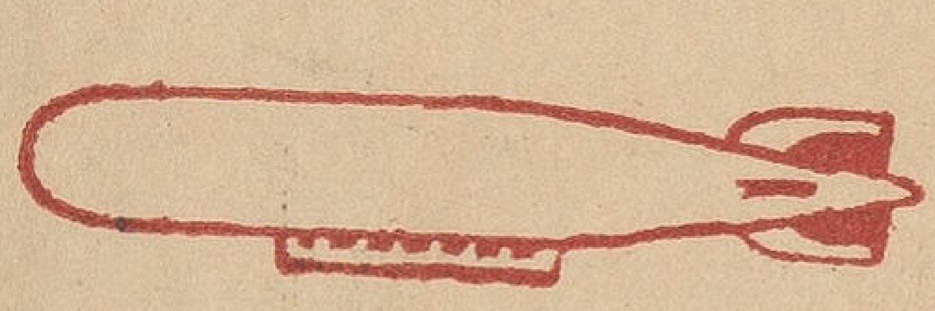
واذا كنت فى	الاسكندرية	بيروت
	بور سعيد	دمشق
	اسيوط	بغداد
	الاقصر	القدس
(شتاء)		(شتاء)
	اسوان	تل أبيب
		يافا
		حيفا
		قبرص (صيفا)

اتصل بأى مكتب سياحة سرعة .. نظافة .. سهولة .. راحة

فى السفر بطائرات

شركة مصر للطيران

إنها إحدى مؤسسات بنك مصر



المجلة الجديدة

ديسمبر ١٩٣٧

HARVARD UNIVERSITY LIBRARY

الثمن ٣ قروش



كتابان مفيدان

أذا أردت ان تعرف ان اكتشاف دواء يشفى السل يكون كارثة على مستقبل الانسانية اطلب كتاب (الطبيعة كطبيب) من مؤلفه الاستاذ وهبه موسى

وأذا أردت ان تعرف اننا خالدون — وأنه رغما عن آلاف السنين من الموت وافسادها نحن جميعاً مجتمعون فاطلب كتاب (عن الموت) من مؤلفه المذكور

عن الأول ٥ قروش صاغ — والثانى ٨ قروش صاغ ترسل له بعنوانه بشارع الطيران نمرة ٢ بهليوبوليس يصلانك خالصين أجرة البريد

ايصالات الاشتراك

جميع ايصالات الاشتراك يجب أن تكون موقعة بامضاء صاحب المجلة الجديدة

الى قراء المجلة الجديدة

تطبع الآن بمطبعة المجلة الجديدة قصة مصرية كبيرة باسم « الهـام » للكاتب المعروف نقولا يوسف . ولما كان العدد المطبوع منها محدودا جدا فبادر بحجز نسختك من الآن بارسال خمسة قروش فقط بعنوان المؤلف ١٠٥ شارع روض الفرج بحدائق شبرا . وهذا الامتياز خاص بقراء المجلة الجديدة لمدة شهر واحد .

فهرست

الاشتراك فى المجله الجديدة

١ — الاشتراك فى المجلة الجديدة الشهرية فى مصر والسودان لمدة عام هو ٤٠ قرشا . و٢٠ قرشا لستة أشهر . وفى الخارج ٥٥ قرشا فى العام

٢ — الاشتراك فى المجلة الجديدة الاسبوعية فى مصر والسودان هو ٢٥ قرشا فى العام .و ٢٥ قرشا لستة اشهر . وفى الخارج ٥٠ قرشا فى العام و ٢٥ قرشا لستة اشهر

— الاشتراك فى المجلة الجديدة (الشهرية والاسبوعية) فى مصر والسودان هو ٦٠ قرشا فى العام و٣٠ قرشا لستة اشهر . وفى الخارج مائة قرش فى العام و٥٠ قرشا لستة اشهر .

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين بمصر)



لا يعرف اليابانيون الرحمة فى حربهم القائمة مع الصين . فانهم يحرقون المدن ويقتلون السكان وموقف الصينيين معهم لا يختلف كثيرا من موقف الاحباش مع الايطاليين . ومع ان الحرب لم يمض عليها اشهر فان قتلى الصينيين لا يقلون عن نصف مليون من الجنود . واكثر من هذا العدد من الاهلين الذين هلكوا اما بسلاح العدو واما بالاجاعة والتعرية والمطاردة

ويرى القارىء هنا صورة اسرة صينيـة خرجت من شنغهاى وقد حمل الاب ابنه فى ناحية وامتعته فى ناحية أخرى . وخلفه زوجته التى ينطق وجهها بالشقاء

OL25065.750

صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد السابع

المجلة الجديدة

العدد الثاني عشر
من
السنة السادسة

ديسمبر ١٩٣٧

HARVARD UNIVERSITY LIBRARY

سير الحوادث

ملحقان

يرى القراء مع هذا العدد ملحقين احدهما هو خطبة رئيس الوزارة فى يوم عيد الجهاد الوطني . وهى تبين الاصلاحات التى قامت بها الوزارة منذ ان وليت الحكم . والملحق الثانى هو الخطبة التى القاها وزير المالية عن الاستثناءات فى تعيين الموظفين وهى التى حدثت فى عهد الوزارة القائمة والوزارات الماضية .

والخطبتان وثيقتان خطيرتان من المفيد لقراء هذه المجلة ان يحتفظوا بهما . وقد رأينا الا نطبعهما فى صلب المجلة حتى لانخرج بها عن شكلها ومنهجها . فان خطتنا الا نتوغل فى السياسة وانما نلم بها الماما موجزا كل شهر

وقد حدثت للاسف بعض القلاقل من بعض الطلبة فى الشهر الماضى دلت على انهم يجهلون التاريخ الحديث لمصر والجهاد العظيم الذى جاهدته الامة لتحقيق الدستور . واصبح اعداء الدستور زعماء فى نظر بعض هؤلاء الطلبة . وهاتان الخطبتان اللتان اشرنا اليهما يجدر بكل طالب ان يقرأهما ويدرسهما حتى يميز بين الصديق والعدو للوطن

نشاط المعارضين

وقد نشط المعارضون للوزارة فى الشهر الماضى نشاطا لايغبطون عليه - فانهم مع مايعلمون من الكثرة التى تؤيد الوزارة فى البرلمان تقدموا بعريضة الى صاحب الجلالة الملك يطابون استقالة الوزارة او اقالتها . كما انهم حرضوا الطلبة على المشاغبات التى تذرعوا بها للحملة على الوزارة لا نها لم تصن الامن. وقد ادى هذا التحريض الى الاعتداء على الرئيس الجليل . ودل هذا السلوك على نذالة لاحد لها . وليس هذا غريبا على زعماء كانوا فى ايامهم الماضية يؤيدون المستبدين ويضعون السلاسل على ابواب البرلمان ويضربون النواب والشيوخ

والذى نراه ازاء هذه الحركات وخاصة ازاءحركات الطلبة ان الوزارة الوفدية قد قصرت اكبر التقصير فى نشر الدعاية . ولانعنى الدعاية لها وان كانت قد تنتفع بها . وانما نعنى الدعاية للدستور والديمقراطية والحرية اى ايجاد «الايديولوجية» التى يحتاج اليها شبابنا . فكان يجب ان يكون فى البلاد كتب صغيرة وكبيرة تبين للجمهور - وخاصة للطلبة - تاريخ اسماعيل صدقى باشا فى هدم الدستور وتأييد الاستبداد والصراع العظيم بين قوات النور والحرية وقوات الظلام والاستبداد اوبكلمة اخرى نحتاج الى كتاب يصف الجهاد بين الامة وزعمائها وبين المستبدين منذ سنة ١٩٢٠ الى الآن . فيذكر فيه زيور باشا الذى جمع البرلمان فى الصباح وطرد اعضاءه فى المساء بالاشتراك مع اسماعيل صدقى باشا • ثم تاريخ محمد محمود حين عطل الدستور وضرب النواب بالعصى • ثم التاريخ الاسود تاريخ اسماعيل صدقى الذى اعاد الى البلاد حكم المماليك والشراكس

ونحتاج الى كتب اخرى تبين معنى الديمقراطية والبرلمان والثورة الانجليزية والثورةالفرنسية والثورة الامريكية وما الى ذلك مما يمكن ان نعمم به «ايديولوجية» تسود اذهان الشبان فتبعدهم عن الحركات الرجعية التى تتخذ الوانا زاهية من الدين او النزاهة او الشرف وهى فى لبابها حركات استبدادية يراد منها فى النهاية احالة مصر الى عزبة كبيرة ينهبها المستبدون

وعندنا ان مثل هذه الكتب يجب ان تتفشى فلا يزيد ثمن الكتاب على قرش ولا تقل صفحاته عن مائتين • ويمكن تأليف نحو ثلاثين أو اربعين كتابا من هذا النوع لايجاد الثقافة العصرية

التى تهىء الامة للثورة حين يشب واثب مثل اسماعيل صدقى الى الحكم ويلغى الدستور ويقول لنا بالتقاليد التركية التى ورثها عن جده اننا يجب ان نقنع بالجلاليب الزرق وان نكف عن مطامعنا وان البرلمان بدعة اوربية لاتوافق المصريين

ازمة المزارعين

انحطت اثمان القطن انحطاطا عظيما جعل المزارعين يعانون ازمة لاتقل فى حدتها عن ازمة سنة ١٩٣٠ • ومتى عمت الازمة الريف انتقلت الى المدن لان القطن هو المحصول المهم الذى نعتمد عليه فى تادية الثمن لوارداتنا • ولهذا السبب تفشى الفقر فى المدن • والسائر فى شوارع القاهرة يجد مئات من الدكاكين المقفلة التى لاتجد من يستأجرها • وفى المحكمة المختلطة عدد كبير من قضايا الافلاس • والمزارع الذى كان لايبالى دينا قدره مائة جنيه قد اصبح يعد هذا المبلغ عبئا لايمكن التخلص منه

وقد اقترحنا فى العام الماضى خفض الجنيه الى نصف قيمته • واعدنا هذا الاقتراح هذا العام • ولكن الوزارة التى تخشى وساوس الاجانب وتحب ان يسمع عن نقدنا الاستقرار والثبات تكره هذا الاصلاح • ونحن لانشك فى ان فى الخفض رائحة كريهة • ولكن الخفض مع الضبط والمراقبة يعيد للريف رخاء يحتاج اليه اشد الحاجة هذه الايام • والاجانب انفسهم سينتفعون من هذا الرخاء ولسنا ندعى ان الخفض ترياق لكل داء فى الريف • ولكنه دواء لا بأس به يخفف اعباء الديون فينشط المزارعون الى الزراعة فتزيد المحصولات • كما ان الغلاء الذى سوف يعم الواردات الاجنبية سيجعلنا نعتمد على محصولاتنا ومنتجاتنا المصرية • وفى هذا تشجيع للجهد الاقتصادى الوطنى

معاش الشيخوخة

يقضى برنامج الوفد أن يكافح الفقر . وهذه المكافحة هى أشرف ما فى هذا البرنامج . ولكن الوزارة لاتزال مقصرة فى هذا الميدان . فان العطل فى المدن لم يعالج . والبؤس الذى يعانيه الفلاحون

الاجراء وخاصة فى الصعيد يدفعهم الى الاجرام . وقد تدخلت الحكومة لمصلحة المزارعين فى حرية الزراعة عشرات المرات ولكنها لم تتدخل مرة واحدة لمصلحة الفلاحين الاجراء . وفى المدن ملاجىء للعجزة ولكنها لاتفى بالغاية المنشودة منها

وعندنا أن مما يعالج به الفقر فى الوقت الحاضر معالجة سريعة الاثر ان تمنح الحكومة معاشاً لكل من يبلغ السبعين من العمر رجلا كان أم امرأة فى المدينة أو الريف . وحسبنا أن نبدأ بهذا المعاش بمبلغ متواضع لايزيد على خمسين قرشا فى الشهر . ولايكلف هذا المعاش خزانة الدولة اكثر من ٣٠٠ أو ٤٠٠ ألف جنيه فى العام كله . ثم هو سيغنينا عن الملاجىء أو عن معظمها كما أنه يعيد للشيخوخة حرمتها . ومثل هذا المعاش يمكن أن يكون بداية تتدرج منه الى زيادته مع منحه لمن هم أقل من السبعين

تعليم الكبار

يرى القارىء هنا صورة فصل فى مدرسة من مئات بل الوف المدارس التى تنشئها الولايات المتحدة لتعليم الكبار ولو كانت أعمارهم تزيد على الخمسين أو الستين . وهذا مجهود شريف يبين بعض نواحى البر السامى فى الحضارة الحديثة



الطلبة الشيوخ يتعلمون فى مدرسة فى نيويورك

فندق مصري

كانت صناعة الفنادق الى الآن من محتكرات الاجانب . حتى كنا عندما ندعو الى تشجيع السياحة يقال لنا أنه لافائدة من هذا التشجيع لان السياحين ينزلون فى فنادق أجنبية وينفقون فيها

ولكن الهمة التى عرفناها فى الزعيم الاقتصادى محمد طلعت حرب باشا قد بعثته على تمصير هذه الصناعة. فقداشترى بنك مصر المبنى الكبير الذى يقع جنوب ميدان الاوبرا بالقاهرة وهدمه . وعن قريب سيقيم مكانه فندقا مصريا يعيد الى مصر بعض المكاسب التى يجب أن تربحها من السياحين . ومن هذا الفندق سنتعلم انشاء الفنادق وادارتها . ورجال بنك مصر جديرون بالثناء العظيم لهذه الهمة

فى الخارج

١ ـ كانت الجيوش اليابانية منتصرة طول الشهر الماضى تكتسح الجيوش الصينية أمامها . وهى أى القوات اليابانية تتجه الى الغرب والجنوب

٢ ـ لم يحدث تطور جديد فى الموقف الحربى فى اسبانيا بين الثائرين وبين الحكومة . ولكن الموقف السياسى تغير قليلا لان الميل يتجه فى أوربا نحو الاعتراف بحكومة الثائر فرانكو

٣ ـ كان قد عقد مؤتمر فى بروكسل يراد منه ايجاد طريقة للتسوية بين اليابان والصين . ولكنه فشل

٤ ـ اعلن قيام حكومة فاشية فى برازيل والغى الدستور

وفاة رمسى مكدونالد

مات رمسى مكدونالد - وهو واحد من أولئك الاسكوتلانديين الذين لاينسى الانجليز أنهم يجيئون اليهم من اسكوتلانده لكى يحكموهم - فان اسكوتلانده صنو انجلترا فى دولة بريطانيا - وليس لها برلمان خاص بها لان برلمان لندن يمثل الاسكوتلانديين كما يمثل الانجليز - وان كان الاولون أقلية لايستطيعون أن يطبعوا البرلمان بطابعهم - ومن هنا نشوء الحركة الوطنية بينهم هذه الايام ورغبتهم فى ايجاد مجلس نيابى اسكوتلاندى

نشأ رمسى مكدونالد فقيرا - فنزح الى لندن حيث احترف التعليم - وما زال يدأب فى الدرس والاختلاط بالاحزاب السياسية وتفهم المذاهب الاقتصادية حتى انتهى الى الاشتراكية فاستقر عليها وعينه حزب العمال المستقل سكرتيرا فبقى فى هذا المنصب أكثر من عشرين سنة يقود فيها سفينة الاشتراكية المعتدلة فى بريطانيا

وكان رمسى مكدونالد شغوفا بالكتب - ولو لم تقض الاقدار عليه بأن يحترف السياسة لكان مؤلفا فى الاجتماع أو الادب - ومما يتنادر به أصدقاؤه انه كان ذات مرة ينتقل الى منزل جديد فوضع الحمالون أكداس الكتب فى غرفة دون أن ينتبهوا الى ثقلها فانهار السقف تحتها لوفرتها

وقد أوشك أن يفقد بصره فى أواخر سنيه لفرط ادمانه على الدرس - ولعل هذا الادمان هو السبب لاعتداله فانه كان بعيدا عن الغلو فى مذهبه الاشتراكى حتى أنه فسر عبارة «الثورة الاشتراكية» التى ترد كثيرا على ألسنة الخطباء والكتاب بأنه لايراد منها غير المعنى المجازى لا المعنى الحرفى - وهذا الاعتدال هو الصفة اللازمة للرجل المثقف الذى يمتد بصره الى أوسع دائرة من الاراء والافكار فان التعصب للفكرة أو العقيدة هو فى أغلب الاحيان برهان الجهل الذى يحصر صاحبه ويمنعه من رؤية الاراء والافكار الاخرى . ونقول «فى أغلب الاحيان» لاننا نعتقد أن هناك أراء نحتاج

الدفاع عنها الى روح التعصب . وقد وجد رمسى مكدونالد نفسه فى هذه الحال مدة الحرب الكبرى فانه على الرغم من اعتداله عارض حكومته فى هذه الحرب . وبقى طول مدة القتال وهو يدعو الى السلم . وقد قاطعه مواطنوه فاسقطوه فى الانتخابات ولكنه أصر على دعوة السلم

ويحكى عن لنين داهية الشيوعية الروسية انه قال ذات مرة فى حديث مع أحد الصحفيين الانجليز «ان الثورة الاشتراكية سوف تقع فى انجلترا وسوف تنجح أيضاً الا اذا وقف لها واحد من المعتدلين عندكم مثل رمسى مكدونالد . فانها عندئذ تفشل »

وكأن لنين كان يقرأ الغيب فى هذه العبارة . ففى سنة ١٩٢٩ كان مكدونالد رئيس وزارة للعمال وكان يعلن للعالم أنه اشتراكى وان كان فى الجناح الايمن من الاشتراكيين الانجليز . وكانت الاشتراكية مذهباً محبوباً فى ذلك الوقت ولم يكن على الحزب السائد الا أن يسير فى تنفيذ برنامجها



رمزى مكدونالد باليمين وفيليب سنودن بالوسط

على نحو مافعل ليون بلوم فى فرنسا . ولكن مكدونالد لم يتأخر عن تحقيق نبوة لنين عنه . اذ أنه فى الساعة التى كان الرأى العـــام الانجليزى يطالب فيها الاشتراكية انحرف مكدونالد وألف وزارة قومية بلا سبب معقول . وكان هذا الانحراف صدمة قوية لم تنتعش منها الاشتراكية فى بريطانيا الى الآن

فاذا كان الاعتدال نتيجة الثقافة والدراية الواسعة والخبرة العامة فاننا يجب أن نؤدى ثمن كل ذلك بالبطء فى تنفيذ البرامج الاصلاحية . وقد يرى بعضنا هذا خيرا

ولمكدونالد مؤلفات فى الاشتراكية المعتدلة . وقد ترجم حسنى العرابى واحدا منها الى العربية ولكنه ليس أفضلها ولا أحدثها . بل مؤلفات مكدونالد جميعها يمكن اهمالها ازاء التطور الدراسى الحديث فى هذا المذهب

وقد كان فى مكدونالد رجولة تبدو فى المواقف العصيبة . كما رأينا فى موقفه مدة الحرب الكبرى حين قاطع أمته أو كاد . وقد عاش ديمقراطيا لايعرف الترف بل لعله كان يخافه . فانه رفض أن يكون لوردا . وهذه ابنته اشيل قد افتتحت فندقا وهى تديره بنفسها

ولا نستطيع أن نقول أنه خدمنا فى القضية المصرية . فانه كان يلوم الاحرار والمحافظين على تلكؤهم فى تسوية الخلاف بيننا وبين الانجليز . وكنا نعتقـــد أن اشتراكيته سوف تجعل هذه التسوية عاجلة وميسورة . ولكنه لهذا الاعتدال الذى أشرنا اليه والذى جعله بعد ذلك يؤلف وزارة قومية ويترك مذهبه الاشتراكى انحرف الى ناحية الاستعماريين ورفض التسوية عند آخر لحظة

على اننا نذكر له شيئا يستحق عليه الرحمة بعد وفاته . ذلك انه عندما وثب اسماعيل صدقى باشا الى الحكم وقف مكدونالد فى مجلس النواب وصرح بصوت عال بأنه لايمكن أن تجرى مفاوضات بين الحكومة البريطانية وبين وزارة تطبخ الانتخابات وكان هـذا الطابخ المقصود هو من يدعى اسماعيل صدقى باشا

ولكن صدقى باشا والذين كانوا يسندونه ويدفعونه الى الغاء الدستور لم يخجلوا وطبخت الانتخابات وبلغت نتائجها ٦٧ وسبعة أثمان من الفوز للصدقيين .

التراجمة والسياح

فى مصر واوربا

بقلم الدكتور امير بقطر

لست أعرف بين الطوائف المصرية ، من هو « أبرز » شخصية ، وأشد مغنطيسية وأكثر أثرا فى التاريخ الاجنبي من طائفة التراجمة . وكلما حاولت تحليل العناصر التى تتكون منها هذه الشخصية الغريبة ، وأردت أن أتفهم سرها العميق ، زدت حيرة على حيرتى ، ودهشة على دهشتى

الادلاء فى أوربا افراد عاديون ، لايتميزون من سواهم فى شيء سوى الرطانة ببعض اللغات الاجنبية ، والالمام بشيء من جغرافية الاقليم ، وتاريخه ، وآثاره ، ودوره ، ومنشآته وارشاد السائح الاجنبي اليها ، والتنويه له بمحاسنها أو مساوئها . وليس للدليل غير ذلك من جاذبية ، أو لباس ، أو شخصية ، تترك فى ذهن السائح أثرا من اثاره ، بعد انتهاء المهمة التى كلف القيام بها

والتراجمة فى الاصل أدلاء ، لا أكثر ولا أقل . وكان من المنتظر ان يكونوا كأمثالهم فى أوربا ، لا يميزهم عن سواهم غير المهنة التى يزاولونها ، كما تميز سائر المهن اصحابها عن سواهم . غير أن الواقع لايؤثر فى ذلك . فالتراجمة المصريون ، فى لباسهم الفضفاض ، وألوانهم الزاهية ، وهندامهم المتقن ، وزيهم غير المألوف ، تتجسم فيهم شخصية نادرة ، لا تمت بصلة لشخصية الادلاء ، وتسكن أجسامهم روح غير روح زملائهم فى أوربا ويرفرف حولهم ملك الوحى الذى يعتقد الغربيون أن الشرق لا يزال مهبطه الوحيد ، وتحوم حولهم أجنحة متكسرة من بديع الخيال الذى يتصل بأقاصيص موروثة عن الهرم والصحراء وأبى الهول . وصفوة القول ان التراجمة المصريين ، قد حبك

التاريخ من شخصياتهم أروع القصص ، وصاغ من قصصهم ما يزرى بخطابات الف ليلة وليلة ، ومن أمثالهم ما تلهج بذكره الركبان .

يهبط السائح الغربى بلاد الفراعنة لاول مرة ، وصور الشرق ، وأحلامه ، ورواياته وسائر الاشباح الذهنية ، ترتسم فى مخيلته ، وتمثل أمام عينيه ، كصور قديمة منسية ، كان قد شاهدها فى شريط سينمائى عتيق بال ، فى زمن كانت فيه « السينما » حديثة العهد ، مضطربة الاشباح . وقد يكون قدومه ليلا ، فيقضى ساعات النوم فى فندق سميراميس فى أحلام وخيالات ، لاتقل ذبولا واضطرابا من الصور الذهنية ، والرويات الغرامية ، والمعجزات السحرية التى قرأ عنها فيما كتب الكتاب عن الشرق من الصور والروايات والمعجزات .

ومايكاد يغفو قبيل الفجر ، بعد أن تطوى صفحة الاحلام ، وتغيب أشباحها ، حتى يهب من رقاده ، والكرى لا يزال فى معاقد جفنيه ، واذا بالصبح يسفر عن يوم مشرق الديباجة ، واذا بالنيل وما وراءه من تاريخ تليد ، يشق الوادى ، وهو لا يزال منهلا عذبا سائغا للواردين ، واذا بشجيرات النخيل الباسقات ، تذهب فى جوف الفضاء على الضفة الاخرى ، متمايلة سيقانها الدقيقة ، متعانقة تيجانها الخضراء ، وكأنها والنسيم يداعبها وأشعة الشمس تترقرق بين أغصانها ، قطعة من جنان الفردوس

بهذه الصور والاشباح ، وفى هذا الجو الجديد الغريب ، وتحت هذا الاديم الصافى ، تتجسم الخيالات فى ذهن السائح الذى يهبط بلاد الفراعنة لأول مرة فى حياته ، ويهجر وطنه لأول مرة وبهذه الخيالات يشرع فى مشاهدة مصر ، القديمة والحديثة ، معتمداً على الدليل فى كل شىء ، حتى ينسى أحيانا ان له عيونا تبصر ، وآذانا تسمع ، وعقلا يفكر ، وكأن الدليل عنده بمثابة العين والاذن والعقل .

ونحن لا نتكلم هنا عن السائح المتزن ، أو المثقف ، الذى يكون منزلته من الدليل منزلة القاضى الحكيم العادل من الشهود ، يتخذ أقوالهم حجة ، أو ذلك السائح الذى درس تاريخ مصر القديم وحالها الاجتماعى الحديث أو ذلك الذى يقرأ الكتب ويدقق فى تصفح الخرائط والرسوم قبل

الاقدام على رحلة من الرحلات . ان هؤلاء ليسوا كثيرين كما يتوهم البعض . انما نتحدث هنا عن ذلك المحدث «الغنى الجديد» الذى لم يزحزحه من بلاده ولم يلق به الى هذا البلد الاجنبي الا الحظ والصدفة والمال الذى آل اليه من حيث لا يعلم . وانما نتحدث هنا عن الشاب الغربى الطائش الذى لم يقدم على زيارة هذا البلد الا ليقضى ليلة مقمرة فى الصحراء ورمالها الذهبية اللون ، على مقربة من الهرم الاكبر ، ينسى فيها المدينة وقيودها ، ونواميس الاخلاق وصرامتها ، والتقاليد الاجتماعية والحدود الدينية وحرمتها . وانما نتحدث هنا عن تلك الفتاة المستهترة التى لم تقرأ كتابا فى حياتها واستساغته ، الا الف ليلة وليلة وأمثاله ، ولم تهبط الى أرض مصر الا لتقضى ليلة من هذه الليالى التى كانت تحلم بها مدة أن أحست بطبيعتها الجنسية الثائرة . وانما نتحدث أخيرا عن تلك العجوز الشمطاء الفاجرة التى تناست جلال الشيخوخة ، وكرامة الشعور البيضاء تتوج رأسها وعقدت النية على الانتقام من ماض عفيف ، رزين طاهر ، والعيش « ولو بضعة أيام » فى حاضر خبيث فاجر .

ذكر لى أجنبي فاضل من الذين عاشوا فى مصر طويلا أنه سمع دليلا يسرد الاكاذيب تليها الاكاذيب لشابة سائحة أجنبية ، وكانت المائدة التى يجلس عليها فى شرفة شبرد بجانب مائدتها ، فضاق ذرعا ولم تطعه آذانه أن تسمع أكثر مما سمعت ، فالتفت الى السائحة الساذجة وقال لها فى عزم وشىء من الشدة : لاتصدقى شيئا مما قاله لك هذا الدليل أيتها الآنسة . فقالت . ولكن أليست عيناه جميلتين ؟ ؟ ؟

ومن أبدع ما سمعت حادث جرى لاحد كبار علماء الآثار ، وهو امريكى ولعله الدكتور ريزنر كان فى معبد الكرنك بالاقصر مرة ، وكان الدليل يتدفق دلسيل وهو يترجم الى الانجليزية ارتجالا لوحة هيروغليفية لسيدة أجنبية ولما أن أتى على آخر عبارة نظر العالم الى السيدة وقال لها ان الترجمة على بلاغتها لا تتفق والاصل فى شىء على الاطلاق وليس فى هذه اللوحة حرف واحد مما قاله لك الدليل . فغضبت السيدة وخاطبت العالم بشدة وغيظ . وأنت ماذا تعرف عن هذه اللغة الهيروغليفية وكيف تجرؤ أن تكذب هذا الرجل ؟ أليست هذه اللغة التى ينطق بها لغة أبيه وأمه وأجداده ؟

وهذا النوع من السياح يصادفه المرء فى كل مكان ، والادلاء فى أوربا

لايفوتهم التهكم أحياناً إذا ما أنسوا فى الجماعة «أو الفرد» التى يقودونها الجهل والبساطة. مثال ذلك ماحدث مرة فى باريس فبينما كان الدليل يتحدث عن بناء الأوبرا وإذا به يقول مستهزئاً: أراكم تدهشون لكبر هذا البناء واتساعه، ولكنكم ستزدادون دهشة إذا علمتم أنه من الداخل اكثر اتساعاً منه فى الخارج.

فأجابت احدى السائحات. هذا ما كنت اتوقعه تماماً

وكثيراً مايكون الأدلاء فى اوربا على شىء من العلم والثقافة ليس بقليل، فيذكرون للسياح احصاءات وأرقاماً، ويجددون معلوماتهم عنها كلما ظهرت بيانات حديثة عنها، ويبدون اراءهم الخاصة بأسلوب يدل على التفكير والمنطق والفلسفة. وأذكر هذا العام انى كنت أشاهد مع جماعة من السياح إحدى الكنائس «سنت فرارى» فى مدينة البندقية فى ايطاليا، فمنع الكاهن سيدة عجوزاً من الدخول لأنها كانت ترتدى حذاء بغير جوارب. فاغتاظ اصدقاؤها لهذا التعسف بغير مسوغ وقالوا إن سن هذه المسكينة كان ينبغى أن يكون شفيعا لها. وأراد الدليل أن يعطف على جماعة السياح الذين كانوا معه فخاطبهم نحو دقيقتين فى موضوع يكاد يكون فلسفياً تكلم فيه عن التناقض الظاهر فى نواميس الاخلاق والتفريق بين اللائق وغير اللائق فى العالم، واراد أن يضرب مثلا واقعيا مناسبا لمقتضى الحال، فأخذ الجماعة الى زاوية فى هذه الكنيسة وأشار الى تمثالين من المرمر عاريين، بدت منهما اعضاء التناسل ظاهرة للعيان وقال: أيهما أدعى للتحريم وأشد إثارة للشهوات فى مكان مقدس معد للعبادة، عجوز أهملت جواربها لحرارة الطقس، أم تمثال جميل على هذا النحو الذى وصفناه؟ ثم اردف ذلك بهذه الاسئلة: الا تدخل الفتاة القروية الكنيسة أحياناً عارية الساق؟ الم يكن الكثيرون من القديسين حفاة الأقدام، ومتى كانت الأقدام العارية مثيرة للشهوات؟ فخيل الى ان الدليل استاذ فى الفلسفة الحديثة او علم الاجتماع

وحدث هذا العام أيضا ان الدليل فى احد متاحف السلاح كان يشير الى «حزام العفة» وما يحوط به من الاسلاك الشائكة المدببة، وكانت الجماعة التى يقودها مكونة من نحو خمسين سيدة ونفر قليل من الرجال. فسألت إحداهن الدليل فى صراحة تامة إذا كانت أحزمة العفة هذه وافية بالمرام فى ذلك الزمن. فاستأذن الدليل السيدات فى سرد حكاية تاريخية معروفة أجابة عن هذا السؤال.

فأذن له فقال .

ذهب أحد حكام البندقية مرة وكبار قوادها على رأس جيش لمحاربة النمسا . وجريا على المعتاد أوصد حزام العفة جيداً وحرص على ان يكون مفتاحه معه فى مكان أمين ، خصوصاً وان امرأته كانت آية فى الحسن والجمال وكن شديد الغيرة عليها . ولما ان عاد بعد سنوات يحمل أكاليل النصر استقبله الشعب استقبالا لم يسبق له مثيل ، وكانت نشوة الفوز والعظمة تكسوه جمالا وجلالا . بيد أنه ماكاد يعتكف الى غرفته الخاصة ليلا ، حتى لمحت عليه امرأته الجميلة : امارات الحزن والاستياء ، وكانت قد تزينت للقائد ، وارتدت أفخر الملابس وأبدعها . فسألته عن سبب وجومه فقال لها : لقد أضعت مفتاح الحزام ، ولاسبيل الى فتحه لأن قفله منيع ، واشواكه قدت من أجود الفولاذ فاطرقت الزوجة قليلا ثم طيبت خاطره والابتسامة تحار بين شفتيها ويداها تطوقان عنقه وقالت : هون عليك ياحبيبي فانني كنت طيلة هذه السنوات احتفظ لدى بمفتاح آخر ... وكن الدليل يسرد هذه القصة التاريخية بكل تحفظ وسياسة وحياء واتزان ، ولم يكد يأتى على آخرها حتى دوت قاعة السلاح بالتصفيق

* * *

ونعود الى الدليل المصرى فنقول أنه ارقى اليوم عما كان من سنوات ، ولو كانت سوق السياح رائجة كما هى فى أوربا اليوم ، لكانت ثقافته اضعاف مما هى عليه . ولسنا نمانع فى أن يبقى زى التراجمة المصريين بالوانه الزاهية وتأثيره النفسانى كما هو ، بيد أننا نريد ان تكون هذه الطائفة أكثر ثقافة وأغزر علما ، وأمتن خلقا ولولا ضيق الزمن لعقبنا على هذا البحث بكلمة اسيفة رثينا فيها لمواسم السياح المصرية التى كدت أن تمحى صفحاتها من الوجود ، فى الحين الذى فيه تروج أسواقها ، وتربح تجارتها ، وتتضاعف ارقامها ، فى كل بلد من بلدان أوربا تقريباً . ان عدد الاميركيين وحدهم الذين يزورون باريس صيفاً لايكاد يصدق ، إذ أنه يزيد عن نصف المليون . وهذه مدينة البندقية وسكانها ٢٣٠ الف فقط يبيت فى فنادقها فى موسم السياحة «من ابريل الى نوفمبر» فى المتوسط كل ليلة ٢٥٠ الف أى أكثر من عدد سكانها . وقد اضطرت البلدية فى اغسطس أن ترجع خمسين الف سائح كل ليلة «عدة مرات» للمبيت خارج المدينة فى القرى والبلدان المجاورة لعدم وجود

الأماكن الكافية فيها . وما يقال فى باريس والبندقية يقال فى سائر العواصم وامهات المدن ولسنا مبالغين او مخطئين اذا قلنا أن أسباب الفشل فى هذه الصناعة المصرية — السياحة — دون غيرها من الامم ترجع الى «اولا» اللصوصية فى الفنادق وعدم توافرها لجميع طبقات السياح «وثانيا» موسم الاضطرابات والمظاهرات الذى يستهل به كل عام موسم السياح «وثالثاً» السمعة السيئة التى اشتهر بها الدليل المصرى فيما يتعلق بالمعرفة اولا والاجرة ثانيا والخلق ثالثا ، وإن كان لا يفوتنا ان بين هذه الطائفة عدد من الذين قد اتصفوا بدماثة الخلق والامانة والاخلاص

قال لى أحد كبار السياح الاميركيين مرة أنه اذا أتيح له أن يزور بلدا واحدا فى العالم كله لاغير فانه لن يختار سوى مصر ؛ وإذا قيل له ان يختار بعد ذلك بلدا واحدا لاغير فى اوربا فان لا يختار الا ايطاليا . ويتفق وهذا الرأى معظم السياح الذين شاهدوا العالم كله ودرسوا معالم مدنه واحواله . أفلا يجدر بالقائمين بالأمر إذن أن يعملوا على إزالة الاسباب التى تنفر السياح من هذه البلاد الغنية بآثارها ومظاهرها التاريخية الخالدة ، وتوفير أسباب الراحة لقوم يدرون على الالوف من المصريين بالربح الوفير والخير العميم ، فضلا عن الدعاية الحسنة لمصر والمصريين ؟

امير بقطر

الزيادة الحتمية فى النسل واسبابها

للاستاذ نظمى شحاته

موضوع السكان والنسل فى مصر أثار اهتماما خاصاً فى كثير من الدوائر الطبية والاجتماعية فى السنوات القليلة الماضية ، وبذلك نال هذا الموضوع الحيوى بعض ما يستحقه من العناية وهو جدير بالاهتمام لخطورته ، فهو موضوع الحياة وهل هناك ما هو أثمن من الحياة أو أولى منها بالعناية والدرس؟

وكان من الطبيعى أن نجد بين الباحثين من يرى أن نمو السكان فى مصر أسرع مما تسمح به مرافق البلاد وتقدمها وعلى ذلك يدعو الى تنظيم النسل وتحديده ، وأن نجد منهم ايضا من يعارض هذه الفكرة أشد المعارضة ، ومنهم أيضا من يحبذها ويعارضها فى وقت واحد ارضاء لدعاة التحديد ، وارضاءا لدعاة التكثير ايضا !

ولكنهم جميعا على كل حال متفقون على أن هناك مشكلة قائمة وهى أن نسل طبقات الموهوبين والمحظوظين ضئيل جدا بالنسبة الى نسل عامة الشعب والفقراء والمنحطين ، وانى فى هذه الكلمة لا أعالج من موضوع النسل إلا ناحية خاصة بالبحث فى الاسباب القائمة فعلا والتى تدفع العائلات الى ان تكثر من نسلها أو على الأقل لا تحاول تحديده رغم رغبتها فى تجنب زيادته مع التنويه بلزوم تعرف العائلات لوسائل منع الحمل السليمة لاستخدامها اذا لزم الحال ذلك .

ومن الحالات التى سأذكرها ما يصادف الكثير من الناس ومحاولتى هنا التعليق عليها فى اختصار .

١ — خشية العقم

الامومة عاطفة طبيعية فكل امرأة غير شاذة ترغب فى أن يكون لها طفل أو أطفال وهى تسعد

بأن تكون أما وتشقى الى حد كبير ان كانت عاقراً لسوء حظها .

والزوجه الجاهلة لا تعرف عن اخطر شؤون الحياة وهى شؤون التناسل شيئا يذكر فهى على ذلك لا تتدخل فى ظروف الحمل مطلقاً . أما المتعلمة العارفة بالشؤون الاجتماعية والمسائل التناسلية ففى مقدورها أن تعين الوقت المناسب الذى تحاول فيه أن يكون لها طفل ، والمعرفة شىء والتنفيذ شىء آخر أذ أن التنفيذ يخضع لظروف خاصة تحيط بالمرأة وتؤثر فيها تأثيرا قويا لا يدركه الناس وقد لا يدركه زوجها وشريكها فى الحياة . ومهما كانت درجة التعليم عند المرأة ، ومدى وقوفها على ظروفها الصحية والاقتصادية وما تتطلبه من وجوب تخير أوقات مناسبة للحمل فقد تقسو الظروف فتسلبها ارادتها وتدعوها الى الاسراع فى الحمل فى وقت يقول فيه عقلها بوجوب عدم محاولة ذلك . من هذه الظروف القاسية أن يكون للشابة المتزوجة حديثا قريبة أو صديقه عاقر لا تلد فخشية هذه الزوجة من أن تكون هى أيضا مصابة بالعقم ، أو تصورها لامكان أصابتها بمرض يجعلها عاقراً ، ومعرفتها لحالة الشقاء التى عليها المحرومات من الأمومة تدفع الى تجنب محاولة منع الحمل ، وتحصل على الطفل الأول فى اقرب فرصة وهى شبه مكرهة وهى بذلك تنسى ما كانت تنطوى عليه وهى مخطوبة فى أن تجعل سنى زواجها الاولى سنى متعة وتبرير وبناء لمستقبل زاهر ، وتجنب للارهاق المادى والصحى

٢ — الطمع فى الحصول على طفل ذكر

فى المجتمع المصرى لا يزال تقدير الولد أرفع من تقدير البنت ولا تزال المرأة محرومة من كثير من حقوقها فهى لم تأخذ مكانها المحترم بعد ، وليس أدل على هذا من مظاهر الفرح والغبطة التى تعم الأهل والأقارب عند ما يعلمون ان مولود العائلة الجديد ذكر لا أنثى ! والنساء فى مصر قد تأثرن بهذا الوضع والفنه . هذا الوضع الذى سلب المرأة شخصيتها فرضيت دون أن تشعر أن تلغى أهم مظاهر الشخصية ألا وهو الاسم . فهى تحمل أسم ابيها شابة ، واسم زوجها وهى سيدة واسم ولدها « لا ابنتها الأكبر منه » وهى أم . وعلى ذلك فهى ترغب فى أن تكون ذريتها من الذكور وتتألم كثيرا اذا كانت كلها أناثا ، ففى كثير من الحالات عند ما يرزق الوالدان طفلا

انثى فان موقفهما من منع الحمل يتغير فلا يزاولان وسائل منعه بل يتركانها فترة حتى يحدث حمل خر يرجى منه أن ينتج ذكرا . فاذا كانت الذرية الاولى للعائلة من الاناث فان مثل هذه العائلة تستمر فى الاكثار من نسلها ولا تحاول تحديده ولو رزقت بعد ذلك بولد أو ولدين ، وما كانت هذه العائلة ترغب فى كثرة النسل . وما كانت ظروفها الصحية والمادية تسمح باكثاره ، ولكن نظرة المجتمع للمرأة هى التى تدفع الى هذه الزيادة غير المطلوبة .

٣ — الجهل بوسائل منع الحمل

كم من أم فقيرة هزيلة تود أن تعيش بقية أيامها على الارض متمتعة بحياة هادئة ومعاشرة زوجية هنيئة لا تصحبها مشاغل الحمل ومتاعب الوضع وتكاليف تربية الاطفال العديدين ؟ كم من أم ترغب فى هذا كله بعد أن تكون قد قاست ألامرين من تعدد الولادات التى اضعفتها وهصرت قواها هصراً ، وأذلتها هى وزوجها فى السعى للحصول على القوت الضرورى لاطفالهما ؟

قد يخيل لبعض الناس أن الطبقات الفقيرة من الفلاحين والعمال لا يمر بذهنهم هذا الخاطر ولا تجيش فى نفوسهم رغبة منع الحمل لتخلص من الارهاق ، ولكنهم فى ذلك غير واقفين على ماجريات الحياة ، وانهم ليجدون الاجابة الصادقة عند المشتغلين بمسائل الاصلاح الاجتماعى ، وفى مراكز رعاية الطفل ، وقد صادفت كثيرا من هذه الحالات كما أن الناس جميعاً يعرفون أن الكثيرات من الامهات تحاولن الوصول الى بغيتهن من حيث منع الحمل بوسائل مؤذية ليست من الطب فى شيء ، والدافع الى كل هذا هو عدم اعلان وسائل منع الحمل الصحيحة ، الامر الذى يقصر معرفتها على الممتازين القادرين ومحجوبة عن العامة وهم المحتاجون اليها مما يدعوهم الى اتباع الوسائل غير الناجحة والمؤكدة الضرر .

فاذا كان المصلحون يشكون من كثرة نسل المنحطين فان اهمال العمل على نشر المعارف والوسائل الصحية بالاساليب الفنية الناجحة يعوق الاصلاح فيكثر النسل غير المرغوب فيه وفى الوقت نفسه يقل نسل الموهوبين قلة مزعجة تنبيء بمستقبل مظلم ينحط فيه مستوى المجتمع .

٤ - الوسائل الطبية الحالية لمنع الحمل

فى شهر مايو سنة ١٩٣٧ قامت الجمعية الطبيـة المصرية بتنظيم سلسلة محاضرات للبحث فى تنظيم النسل فى القطر المصرى ونشرت كل الابحاث فى عدد خاص من مجلتها فى شهر يوليو سنة ١٩٣٧ . وكن بين المحاضرين اعلام الطب الاختصـاصيين فى أمراض النساء والولادة وقد شرح بعضهم شرحا كافيا الوسائل التى تتبع فى منع الحمل مع عمل مقارنات بينها جميعا وبيان افضلها فى نظره ، كما أن البعض الآخر اعترض اعتراضا حراً على منع الحمل ووسـائله وأسهب فى شرح اضرارها جميعاً ومع ذلك فقد ابدى هؤلاء المعترضون فى الرأى ما يؤكد وجوب منع الحمل فى حالات خاصة أمكنهم تعيينها . وعلى العموم فاتجاه البحث الذى سارت فيه الجمعية الطبية يتضح لمن يتتبعه بالدقة أنه يتضمن أقرارا لمبدأ وجوب نشر المعارف الخاصة بمنع الحمل واستخدام وسائله فى حالات معينة تتسع دائرتها وتضيق حسب وجهـات النظر المختلفة . فمن الباحثين من يرى وجوب مزاولتها فى عائلات الفقراء والمرضى والجهلاء ومنهم من يرى وجوب قصرها على الحـالات التى يـكون فيها الخطر على صحة الام مؤكدا والحالات التى يخشى فيها على النسل من نتائج الامراض الوراثية الخطيرة.

ومن هذا نرى ان هناك على كل حال وسائل ناجحة ، اضرارها لا تذكر اذا قورنت بنتائجها ولـكن بالرغم من هذا نجد ان المتعلمين الذين يعرفون قيمة الوسائل الطبية يهملون مزاولتها اهمالا تاماً وذلك بسبب ما تحتاجه هذه الوسائل من اتخاذ بعض الاجراءات وتحمل بعض المشـاق فى مزاولتها خصوصاً فى المرات الاولى حتى تصير مألوفة سهلة التنفيذ .

وصنف آخر من المتعلمين متوسطى الحال والفقراء يحرمون من مزاولتها لانها غالية الثمن نسبيا أو بالحرى لانها ليست بالمجان . وعلى ذلك فنية هؤلاء الناس ورغبتهم فى منع الحمل صادقة ولـكن ما يعوقهم الآن هو عدم معاونة الطب لهم على مزاولتها . وقد اقترحت للتغلب على هـذه الصعوبة عدة اقتراحات اهمها العناية الخاصة بتعليم وسائل منع الحمل واجراءاته للاطباء والطبيبات وتقـديم

لارشادات اللازمة للعائلات فى مراكز خاصة أو فى مراكز رعاية الطفل وصرف الأدوات اللازمة للجمهور بلا ثمن باعتبارها كالدواء الذى يعطى للمرضى المحتاجين ـــ وهى فعلا دواء لكثير من امراض الاجتماع الخطيرة

والأمل معقود على أن يتمكن العلم فى المستقبل القريب من اختراع وسائل اضمن وأيسر استخداما من الوسائل الحالية وبهذا يتجنب الناس الزيادة فى النسل التى تأتى اليهم وهم شبه مضطرين .

٥ — وجهة النظر الدينية

لأمور الدين سيطرة مباشرة أوغير مباشرة على كثير من الامور الجليلة الشأن وفى مقدمتها أمور الارزاق والأعمار فهذه الامور عند عامة الناس تكون محاطة بهالة تجعلها غامضة : ذات جلال ورهبة على كل حال . وهذا لاينشأ نتيجة لعامل معين بذاته أو كأثر لدروس دينية خاصة وانما ينتج عن مجموعة كبيرة من المعتقدات ومايتبعها من تصرفات اجتماعية منذ أيام الطفولة الأولى ، ولهذه المعتقدات قيمتها التى لاتنكر فى تربية الشعب وتقويم اخلاقه وتحسين سلوكه ولكنها تؤثر فينا تأثيرا خفيا لاتقوى تعاليم الشباب والرجولة على تعديله إلا عند بعض الناس دون سواهم . فمثلا قد يقتنع الفرد بسبب سوء حالته الصحية والمالية بوجوب تحديد نسله ولكنه يهمل هذا الأمر اهمالا تاما لا لعلة واضحة فى عقله ولكن متأثرا بوجهة نظره الدينية التى يقويها الناس من حوله . وهو كرجل مستنير أو كسيدة مستنيرة يحاول تبرير موقفه هذا بأن ينتخب من تعاليم الدين واقواله ما يؤيد تصرفه ضاربا الحائط بكل ماعداه ولو كانت البينة واضحة جلية لاتعمل فى تفسيرها .وفى الوقت نفسه مأخوذة من صميم الدين ، ويقول بها ائمة رجاله ولكنها لم تصل الى سمع امثاله فى ايام الطفولة والمراهقة بل عرفوا بها وهم رجال لايسهل عليهم تغيير موقفهم من الدين كما عرفوه

وقد دعانى الى التحدث فى هذا السبب «وكنت أود غض الطرف عنه» مالمسته من موقف الكثيرين من الفتوى الصريحه الصادرة من حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية بتاريخ ١٢ ذو القعدة سنة ١٣٥٥ الموافق ٢٥ يناير سنة ١٩٣٧ المسجله

برقم ٨١ مسلسلة جزء ٤٣ والتى تناولها حديث الجرائد والمجتمعات فترة ليست قصيره وهذا نصها : —

صورة من الفتوى الخاصه بمنع الحمل

سأل سائل ، قال ما قول فضيلتكم فيما يأتى : — رجل متزوج رزق بولد واحد ويخشى ان هو رزق أولادا كثيرين أن يقع فى حرج من عدم قدرته على تربية الأولاد والعناية بهم ، أو أن تسوء صحته لضعف اعصابه عن تحمل واجباتهم ومتاعبهم ، أو أن تسوء صحة زوجه لكثرة ما تحمل وتضع دون ان يمضى بين الحمل والحمل فترة تستريح فيها وتسترد قوتها . فهل له أو لزوجته أن تتخذ بعض الوسائل التى يشير بها الاطباء لتجنب كثرة النسل بحيث تطول الفترة بين الحمل والحمل فتستريح الأم ولا يرهق الوالد ؟

أجاب : اطلعنا على هذا السؤال ونفيد بأن الذى يؤخذ من نصوص فقهاء الحنفية انه يجوز ان تتخذ بعض الوسائل لمنع الحمل على الوجه المبين فى السؤال كانزال الماء خارج محل المرأة أو وضع المرأة شيئا يسد فم رحمها ليمنع وصول ماء الرجل اليه .

وأصل المذهب أنه لا يجوز للرجل أن ينزل خارج الفرج إلا بأذن زوجته كما لايجوز للمرأة أن تسد فم رحمها إلا باذن الزوج ولكن المتأخرين أجازوا للرجل ان ينزل خارج محل المرأة بدون اذنها ان خاف من الولد السوء لفساد الزمان . قال صاحب الفتح :

« فليعتبر مثله من الاعذار مسقطا لاذنها » والظاهر من عبارة «فليعتبر مثله من الاعذار مسقطا لاذنها» أن مثل خوف السوء من الولد لفساد الزمان ما كان مثل ذلك من الاعذار كأن يكون الرجل فى سفر بعيد ويخاف على الولد وقياسا على ما قالوه قال بعض المتأخرين أنه يجوز المرأة أن تسد فم رحمها بدون اذن الزوج اذا كن لها عذر فى ذلك . وجملة القول فى هذا انه يجوز لكل من الزوجين برضا الآخر ان يتخذ من الوسائل ما يمنع وصول الماء الى الرحم منعا للتوالد ويجوز على رأى متأخرى فقهاء الحنفيه لكل من الزوجين ان يتخذ من الوسائل ما يمنع وصول الماء الى الرحم بدون رضا الآخر اذا كان له عذر من الاعذار التى قدمناها أو مثلها . بقى الكلام فى انه

هل يجوز منع الحمل باسقاط الماء من الرحم بعد استقراره فيه وقبل نفخ الروح فى الحمل ؟ اختلف فقهاء الحنفية فى ذلك وظاهر كلامهم ترجيح القول بعدم جوازه الا بعذر كأن ينقطع لبن المرأة بعد ظهور الحمل وله ولد وليس لابيه مايستأجر به الظئر ويخاف هلاك الولد . أما بعد نفخ الروح فى الحمل فلا يباح اسقاطه . وبما ذكرنا علم الجواب عن السؤال حيث كان الحال كما ذكر به . هذا ماظهر لنا والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

وبالرغم من اعلان هذه الفتوى واطلاع الناس عليها وفهمهم لما تتضمنه فان الكثيرين متأثرون بمعتقداتهم الدينية الخاصة لايبررون منع الحمل فى أية حالة مهما كانت الظروف .

وواضح أن الفتوى تبيح منع الحمل ، بل الاسقاط قبل نفخ الروح فى حالات تشمل عددا لا يستهان به من سكان مصر فى الوقت الحاضر ؛ فالفتوى بحق خدمة جليلة للمجتمع المصرى فلعله يعمل بها معدلا بذلك وجهة نظره الدينية فى مسائل الارزاق والاعمار حتى يتبعوا ماجاء بها فى يسر واطمئنان .

وعلى ذلك فهناك زيادة فى النسل تحتمها وجهة نظر الناس للدين .

٦ — انحطاط مستوى المعيشة
وتوافر المأكل دون سائر مطالب الحياة

هذا العامل من اقوى العوامل التى تسبب زيادة فى النسل تأتى اعتباطا وغصبا لاطوعا وتظهر قوة اثر هذا العامل فى القرى المصرية وبين صغار العمال .

فالطبقات الوضيعة التى ترضى بالحياة لأنها الحياة وكفى رغم خلو حياتهم من كل مايجعلها جديرة بهذا الاسم الذى يدل على سمو المسمى به .

هذه الطبقات تسعى فى حقول عملها كما تسعى السائمة فى مراعيها المجدبة ، أو تتردد أنفاسها بين جدران المعامل الحقيرة كما تتردد أنفاس أحط أنواع الحياة ، وتترك كما تترك الأدوات والآلات ، وليس لها من هموم أو مشاكل ، ولا يعدو تفكيرها وأملها حدود تجنب الجوع المميت لا حدود

الحصول على القدر الكافى لها من المأكل والملبس والمأوى وسائر مستلزمات الحياة ، وهى تعثر على مايسد رمقها على كل حال فعيش الذرة ، والجعضيض ، والملح ، وبقايا السمك المملح ، وآثار الجبن المحفوظ ، والبصل وما على شاكلتها لاتزال فى متناول أيدى الساعين اليها ! فاذا امتلأت البطون بهذا الأكل «ان صح تسمية هذه الأشياء وحدها أكلا» نقول اذا امتلأت البطون وتخدرت الابدان سعت أصحابها الى اللهو بما عندهم من بعض العافية ، وأى لهو أرخص من مزاولة المعاشرة الزوجية دون التمتع بغير ذلك من مسرات الحياة ! فمستوى معيشتهم المنحطة التى قبلوها مخيرين أو مسيرين ! لاتجعلهم يعرفون لذة الاطلاع على الكتب والمجلات أو الاستماع الى المحاضرات أو القيام بالرحلات والتمتع بمشاهدة المسرحيات أو زيارة الاندية وأماكن الاجتماع الراقية . فليس أيسر اذن من النوم ملء الجفون واشباع الشهوة الجسمانية وبذلك تتاح الفرصة لحدوث اكبر عدد ممكن من مرات الحمل ، فلا عجب أن تزيد نسبة المواليد بين طبقات المنحطين ، وهى زيادة لم يفكروا فيها مطلقا كما أنهم لا يعرفون التفكير فى درء شرورها .

ولو ارتقت أحوال المعيشة ، وارتفع مستوى الحياة ، لوجد أمثال هؤلاء القوم من ملذات الحياة مايقلل بطريق غير مباشر نسبة مواليدهم .

هذا والرغبة فى زيادة دخل العائلة . وتقويتها ليست سببا فى السعى الى زيادة عدد أطفال العائلة ، بالزواج المبكر ، أو بتجنب مسببات تأخير الحمل فهذا أمر ليس له محل بين الأسباب التى ذكرناها لأنه لايعقل أن يجول بخاطر انسان أنه يسعى الى اكثار نسله ليطمع فى تشغيل أطفاله العديدين فى أقرب وقت والحصول على دخل كبير من ذلك ، أو يسعى الى ذلك لتقوية مركز العائلة بين سائر العائلات . وانما ما يحدث هو أن تصاب العائلات الفقيرة بعدد كبير من الأطفال فتحاول بعد ذلك ادعاء القوة لنفسها وتخيل اليها أنها محسودة من سائر الناس وهى فى ذلك جد واهمة وقد تكون العائلات المحرومة من الذرية أسعد حالا ممن أصيبت بكثرة العيال مع الفقر .

وفى ذلك يقول القاضى مكردى من أشهر قضاة الانجليز «وقد توفى فى ابريل سنة ١٩٣٣» « ان الشقاء الذى تجلبه كثرة الاطفال عند الفقراء لايعدله أى شقاء» وصدور مثل هذا القول بل هذا الحكم من قاض خبر الحياة وتداولت بين يديه شتى القضايا يجعل له قيمة خاصة

هذه هى أهم العوامل التى يمكن أن يقال فيها انها تكره الناس اكراها لارفق فيه على زيادة نسلهم والمصلح النزيه الخبير بشئون المجتمع لايقع باللائمة على اولئك النـاس الذين لم يتمكنوا من تدارك الزيادة فى النسل المؤذية فى معظم الحالات لأنه أعرف الناس بما يتطلبه المجتمع من شتى صنوف الاصلاح فى الأمور الاقتصادية ، والتعليمية ، والصحية ، وغيرها .

وأخيرا نختم مقالنا بكلمة قصيرة عن عقلية الاصلاح والتطور والرقى .

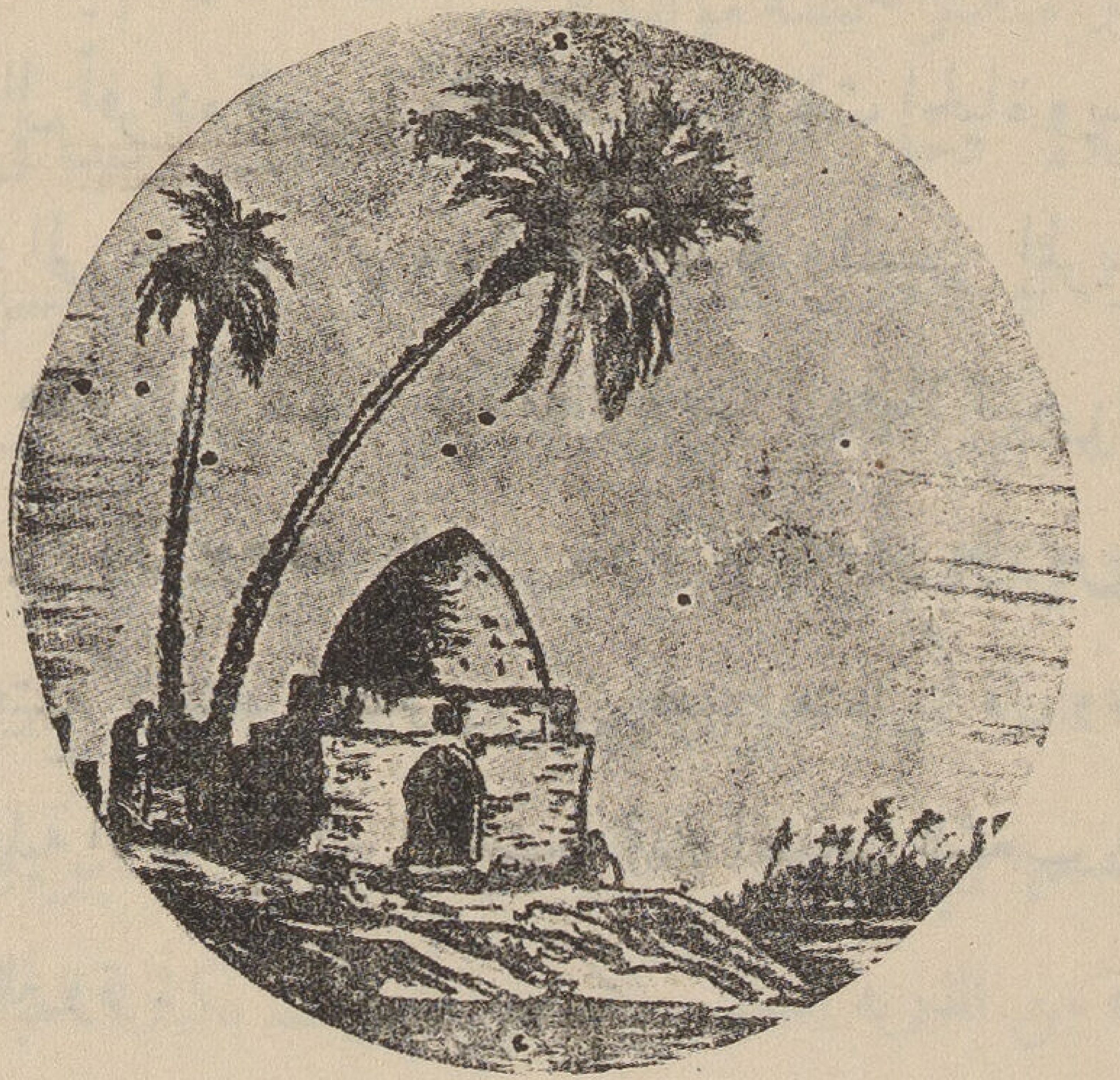
عقلية واحدة

المجتمع المتمدين كما جاء فى تقرير الخبير العالمى عند درسه لموضوع مكافحة البلهـــارسيا والانكلستوما فى مصر هو المجتمع الذى تتلاشى فيه الأمراض الطفيلية ويمكنه مقـاومة الأمراض المعدية عند ظهورها ، وهذا التعريف صحيح من وجهة النظر الطبية .

ويمكن استعارة هذا التعريف لينطبق على الحالة التعليمية فنقول إن المجتمع المتمـدين هو الذى تنعدم فيه الامية ويسعى الى تعليم أفراده جميعاً تعليما ممتازا . ومن وجهة النظرة الاقتصادية نقول إن المجتمع المتمدين هو الذى ينال أفراده القدر الكافى من ضروريات الحياة ويسعى لتوفير الخيرات لهم من ساعات كافية من الفراغ الى نصيب وافر من الطعام اللذيذ والمسكن المريح وغير ذلك مما يخفف من متاعب الناس . وتكون هذه التعاريف كلها لامغالاة فيها . وفعلا تسعى الامم الراقية لتصل الى الدرجة التى تجعل مجتمعها جديرا بأن يوصف بالتمدين . ولا تصادم أو تعارض بين هذه التعاريف كلها ومعنى هذا أنه لـكى يرقى مجتمع كالمجتمع المصرى حتى يصبح متمديناً فان وسائل الاصلاح يلزم أن تشمل جميع نواحيه اذ أن عقلية الاصلاح التى تطلب التقدم الصحى للشعب هى نفسها التى تطلب رقيه فى التعليم ، وتقدمه فى الثروة .

والذى يعنينا من هذا فى موضوعنا أن هـذه العقلية هى نفسها التى تدرك مزايا تنظيم النسل وتحديده بحيث يتناسب مع حالة العائلات والامم ، فالمجتمع المتمدين هو الذى يعرف كيف يسيطر على نسله خبيرا بشؤون السكان ودارساً لـكل تطور يطرأ عليها .

وما دام الامر كذلك فدعاة الاصلاح لايمكنهم اهمال هذه الناحية الاخيرة التى لاتقل خطرا عن سائر النواحى والتى تسير معها جنبا الى جنب ولا يبعد أن يقال أن الوقت لم يحن بعد فى مصر لتعليم الناس وسائل منع الحمل لاننا أمة تموت فيها الاطفال ، فعندما نتغلب على أسباب وفيـات الاطفال تمكننا بعد ذلك أن نحدد النسل . هذا لايتأتى مطلقا فمثل هذا الكلام يعرقل الاصـلاح اذ المعقول أن نحاول القضاء على الأمراض الفتاكة وفى الوقت نفسه يتعلم أهل الجيل الحاضر والاجيال المقبلة المسائل التى تتصل بالنسل فهذا نفسه يعـاون على تقليل نسبة وفيـات الاطفال تدريجيا ، وكذلك يمكن من مزاولة منع الحمل اذا لزم الحال ذلك وبذلك نتمكن من السير بالمجتمع الى الحالة التى تزكيه حتى يوصف بالتمدين ، ونتجنب انحطاطه وتأخره وبذلك نخدم الانسانية أجل خدمة ؟



الامتحان

قصـة انجليزية تأليف ج . م . ورد

وترجـمة نصيف ا. الهورى

مستر « يوليـوس فيزلى ستيرن » ثرى امريكى يملك قصرا على شـاطئ نهر سنت لورنس، وعمارة فى الشارع الخامس من نيويورك ، حصنا فى ايطاليا . ولقد أغـراه بعض صحبه أن يشيد منزلا جديدا وسط الربوع الساحرة فى جزيرة « لنج ايلند » غير انه رفض اذ عول على استخدام المال الزائد على حاجته فى تشجيع العلم . واختار مدينة « تارى تون » الواقعة على نهر الهدسون ليستخدم فيها هباته .

والآن وصل تقرير لمستر استيرن من مدير المـدرسة العليا فى تارى تون ينبئه بأن ثلاثة من طلبة السنة النهائية فازوا بجائزته حيث قد تفوقـوا على اقرانهم وحصلوا بالتساوى على ٨٨ فى المـائة وهو الرقم القياسى المقرر المنافسة . وهنا كتب مستر استيرن رسالة للمدير اظهر فيها رغبته فى الحضور فى العام القادم ليرى الطلبة الفائزين بنفسه ، ثم ارفق ٤٠٠ ريال يعطى نصفها للفائزين هذا العام والنصف الآخر للثلاثة الذين يقدر لهم الفوز فى العام القادم .

وفى السنة التالية حضر مستر ستيرن وكان ذلك فى يوليو ١٩٢٠ فقدم اليه مدير المدرسة ، الطلبة الثلاثة الفائزين بالجائزة وهم مستر دالى ومستر هملت ومستر بروكفيلد. فهنأهم ذلك الثرى بتفوقهم ودعاهم ليتناولوا الطعام معه فى المساء.وفى مجرى حديثه معهم ادرك ان لهم رغبة فى الالتحاق بالجامعة غير أن الفقر يحول دون بلوغ مآربهم

وهنا قال مستر استيرن « هذا ما كنت أتوقعه ولـكن بما أننى ممن يشجعون مواصلة التعليم بالجامعة ، فسأضع أمامكم عرضـا . سأقوم بدفع كل نفقـاتكم فى الجامعة ـ من سفر ونفقات المعيشة

وكتب ومصاريف مدرسية ومصاريف شخصية - لمدة اربع سنين ، وليختار كل منكم الجامعة التي يفضلها والمواد العلمية التي تروقه . ولي شرطان - ان يعد كل منكم ببذل قصارى جهده وقت التحصيل في الكلية . وأن يأتي الى كل فرد منكم بعد نهاية السنين الأربع ويسلم الى قياده طائعا مختارا - كرر مستر استيرن هذين الشرطين بنبرات أكيدة بطيئة - ثم أردف ، ستتقدمون الى امتحان أضعه لكم حينئذ ، ولن يكون في ذلك الامتحان ارهاق او تعجيز ؛

وجه الشبان اعمق عبارات شكرهم وقد اذهلهم ما سمعوه واعقبوا ذلك بالموافقة الممتزجة بالانشراح والحماسة .

توالت الايام وفي يونيو سنة ١٩٢٤ ، حضر الى القصر المنيف بالحي الخامس من نيويورك ثلاثة من أنبغ خريجي الجامعات . أحدهم رالي الحائز على درجة الامتياز والشرف والقانون من جامعة « يال » والآخر هملت الحائز على درجة الامتياز والشرف من جامعة هارفرد في العلوم الفلسفية والآداب القديمة ثم بروكفيلد بدرجة الامتياز والشرف في اللغة الالمانية والفرنسية والاسبانية من جامعة جون هوبكنز .

استقبلهم مستر استيرن بترحاب وحياهم تحية حارة ، ثم أخذ كلا منهم على انفراد في حجرته الخاصة ، وسلم لكل منهم مظروفا طويلا مبصوما ومكتوبا عليه اسم الشاب وكلمة « خاص » وقال لكل منهم بدوره « عدني وعد شرف الا تفتح هذا المظروف الا عند ما تصل الى المنزل وتجلس منفردا وستجد بداخله كل التعليمات الخاصة بالامتحان »

فوعده كل منهم بذلك وأخذ المظروف وانصرف الى منزله في تاري تون وفي ذلك المساء كان كل منهم يتطلع الى تحويل مالي بمبلغ ٥٠٠٠ ريال وورقة كتب عليها ما يأتي :

هذا امتحانك

١ . عليك في خلال اثني عشر شهرا ان تقوم بزيارة هولندا او سويسرا ثم المانيا او فرنسا ثم ايطاليا أو اليونان وأخيرا عليك بزيارة مصر حتما

٢ . عليك ان تكتب تقريرا عما تفتكره مهما في الاقطار التي قمت بزيارتها ، وترفع الى ذلك التقرير

قبل نهاية اثنى عشر شهرا

٣ . لك أن تحضر أو ترسل لى صندوق ثقاب « كبريت» مملوءا برمال الصحراء من سفح هرم الجيزة الأكبر .

ملاحظة — لا تسأل أى سؤال يختص بهذا الامتحان لا كتابة ولا شفاها ، لا بطريقة مباشرة ولا غير مباشرة . لا تستشر أى انسان عن محتويات تلك الوثيقة ولا عن عزمك أو طريقك فى العمل بموجبها .

هذا امتحانك فتذكر وعدك الشريف ؟ الامضاء

تحريرا فى ١٨ يونيوسنة ١٩٢٤ ى . ف . استيرن

وهنا انكب مستر رالى الحائز لدرجة الامتياز والشرف فى القانون والتاريخ على تفهم تراكيب وقواعد ومعانى الوثيقة بكل قواه ، وجعل يقرأها ويكررها ليدرك كلياتها وجزئياتها وكأنه كان يحل لغزا غامضا ، حتى أتى على كل شاردة وواردة فيها .

وأخيرا همس مستر رالى الى نفسه ، لقد وعدت أن أنفذ هذا الامتحان بغيرة واخلاص وواجبى ان أفعل ذلك . ان الرجل لايطلب مني شيئا لنفسه . بل كل واجبى ان اطيعه فى تأدية الامتحان المتفق عليه ، ولذلك فسأحترم كل كلمة من كلماته بنصها . لن أزيد على شروطه شيئا ففى ذلك سوء استعمال لنقوده ولن انقص شيئا ففى ذلك خروج على عهدى .

وبهذا الروح قرأ مستر رالى تعليماته وأطاعها باخلاص تام

القى نظرة على الشرط الأول فوجد ان له الخيار فى زيارة بعض الاقطار اما مصر فهو ملزم بزيارتها ، عندئذ رسم لنفسه خطة بمقتضاها يبدأ بهولندا ثم فرنسا وايطاليا ثم مصر وبعدها يقفل راجعا الى وطنه .

وفعلا أخذ احدى البواخر الهولندية وكان سيرها يقضى عليه بالمرور ببريطانيا ، ولكن مستر رالى وان كان يحب ان يرى تلك البلاد غير انه وجد ذلك منافيا للشروط فبقى فى الباخرة دون أن يضع قدمه على الشاطىء الى ان غادرت انجلترا ووصلت الى هولندا . وهنا فكر فى الوصول الى

فرنسا بالسكة الحديدية ومعنى ذلك انه سيخترق بلجيكا بالقطار ويترتب على ذلك ان يذكر مروره بتلك الدولة فى تقريره ، وفى هذا شيء من اهماله للشروط . وعليه فقد عول على الطيران من امستردام بهولندا الى باريس مباشرة وبهذا شعر بشيء من الحزم والارتياح

ورجع والى عن طريق ميناء الاسكندرية ومنها الى نيويورك مراعيا التدقيق التام فلم يضع قدمه فى مالطة ولا جبل طارق ولا اى ميناء آخر .

ثم تأمل رالى فى القسم الثانى من الامتحان لاسيما عبارة ماتفتكره مهما وهنا ادرك ان المقصود منها ليس «كل» ماتفتكره مهما اذاً فله ان يختار أهم شيء وعليه عول على ان يقدم تقريره عن الصحة مراعيا فى ذلك مايفيد وما يضر بالصحة العامة .

وعمد رالى الى جداول احصائيات الاعمار فى كل دولة زارها ودون ملاحظاته عن حالة الالعاب الرياضية ودورات المياه وطرق التهوية فى تلك الدول ومقدار تأثيرها فى حياة السكان وأعمارهم

انتقل رالى الى القسم الثالث من الامتحان فوجده ظاهرا لا يقبل التأويل

وحدث انه بلغ الاهرام ، فخاربته تجربة شديدة اذ زين له ان يملأ صندوقا ثانيا من الرمال يكتب عليه « من بين كفى أبى الهول » وقصد بذلك عمل مفاجأة ظريفة . ولكنه فكر فى الامر مليا فوجد أنه ليس له سلطان على هذا العمل الذى لم يرد ذكره فى التعليمات ، وعندئذ تراجع عن فكرته .

وعندما تم مستر رالى كل النصوص المذكورة ضم تقريره الى صندوق التقاب المملوء بالرمل من سفح هرم الجيزة الاكبر بعد ان غلفه جيدا حتى لا تتسرب محتوياته ، ثم ارسلها مسجلين بالبريد الى المنزل بالشارع الخامس فى نيويورك فى آخر مايو ١٩٢٥ .

اخيرا وصل رالى الى منزله فى تارى تون ، وهنا وضع يده فى جيبه فوجد ان ٥٢٣ ريالا و ٧٥ سنتا «قيمتها ثلاثة ارباع الريال» لا تزال باقية لم تصرف . فردد فى نفسه تلك العبارة « هذا امتحانك » وعندئذ شعر بوخز ضميره الحى ، وكان أن وضع تلك القيمة طى رسالة أخرى باسم

مستر استيرن ، صاحب المال حقا وشرعا .

* * *

مستر آرثر هملت خريج جامعة هارفرد بدرجة الامتياز والشرف فى العلوم الفلسفية والآداب القديمة ـ قرأ ورقة امتحانه بعناية فائقة ، بيد أنه انتهج لنفسه سياسة اخرى تختلف عن سياسة مستر رالى .

ثم همس الى نفسه ، انه امتحان على أى حال وبعد أن قرأه ثانية أطرق هنيهة وقال « ان العقدة فى الجزء الثالث » .

وبادر بأقرب فرصة فحجز لنفسه حجرة باحدى البواخر من عابرات الاتلانتيك ، وصرف بعض الأيام قبل السفر فى مكتبات نيويورك ، ولما اجتاز المحيط توجه الى لندن وقصد المتحف البريطانى يدرس ويبحث ويدون المذكرات ، وصرف على هذا الحال شهرا كاملا ذكره باشد ساعات الدرس عناء أيام الكلية . وأعقب ذلك بزيارة عاجلة لهولندا ثم ثلاثة شهور فى المانيا ومثلها فى ايطاليا وأخذ ثلاث شهور فى مصر .

ثم ضمن نتيجة ابحاثه فى ثلاث رسائل قيمة تشتمل المظاهر الخاصة بالحالات الصناعية والعلمية والدينية فى كل من الاقطار الثلاثة السابقة ، ثم لخص أسباب ونتائج الحركات الحديثة القائمة فى المانيا وايطاليا ومصر وما تتركه من أثر فى أوربا وأمريكا . فتضمن تقريره آراء حاسمة عن موت الروح الدينى فى المانيا وإيطاليا وعن المبدأ الفاشستى وكيفية تخليده لشخصية موسولينى ، وقتله لفن الادب الايطالى فى نفس الوقت . ثم أن مصر لن يمضى عليها زمن طويل حتى تغير الموقف التجارى والدينى فى الشرق بأجمعه . ولما أرسل مستر هملت هذا التقرير تم طبعه وما كاد ينشر حتى نال اهتمام العالم وأثار بحثا طويلا وأحرز مركزا خاصا فى بريطانيا وأمريكا كرسالة رائعة فى فن الأدب

ثم بدأ هملت يسائل نفسه : لقد طلب منى استيرن أن أبذل أقصى جهدى ، وهو محق فى ذلك وهذا فرض على . قال أنه يرغب فى امتحان ثقافة الجامعة . وكل سطر من سطور الامرين رقم ١ و٢ من شروطه ينبىء بأنه يرغب فى اختبار ملكة تحكم العقل وبعد النظر وملكة تكوين الرأى وقوة

التمييز والتفريق بين المهم والتافه من الاشياء . ثم استمر هملت يسائل نفسه ، الامر رقم ٣ -- ترى هل هو أمر ؟ — هنا اللغز . هل اضافة مستر استيرن ليرى هل لنا من سلامة الذوق ما يشجعنا على حذفه ؟ وعلى أى حال فصندوق الكبريت أقل الاشياء صلاحية لاحتواء الرمل .

ولما اشتدت به الرغبة فى اهمال الامر رقم ٣ . بدأ هملت يستشير كثيرين من الثقات عن الخواص الجيولوجية للرمال المصرية ، عله يجد فيها صفة نادرة أو خاصة لم يقف عليها من قبل فلم يجد . وأخيرا ذهب الى وطنه وأرسل تقاريره وبعد تردد طويل أرسل كيساً صغيرا مملوءا بالرمل ، وصرح بأنه يخشى أن يكون قد أساء فهم تعليمات البند الثالث .

* * *

أما مستر تشارلس بروكفيلد خريج جامعة جون هوبكنز الحائز على درجة الامتياز والشرف فى اللغة الالمانية والفرنسية والاسبانية ، فما كاد يلقى نظرة على ورقة الامتحان والتحويل المالى حتى كاد يفقد صوابه لشدة فرحه ، ولما أفاق من ذهوله عمد الى يراعته وحرر هذه الرسالة :

تارى تون فى ١٨ يونيو ٩٢٤

سيدى المحترم مستر استيرن

امام منحتك السامية التى ضمنت لنا عاماً كاملا كله تمتع ومرح بعد أن سبقت فشملتنا بعطفك طويلا ، أجد نفسى عاجزا كل العجز عن أن أقوم بشكرك مهما أوتيت من الفصاحة والبيان . طالما تمنيت فى الاحلام لو أتيح لى قضاء شهر واحد فى أوربا والآن ها أنا أملك عاماً ! عاماً كاملا لا يكلفنى درهما واحداً ! وايم الحق انك ملك السخاء والكرم

تنازل ياسيدى بقبول فائق ثنائى واحترامى ؟

خادمك المطيع

تشارلس بروكفيلد

حمل بروكفيلد تلك الرسالة وهو يهذى كالمجنون طول الطريق الى أن أودعها صندوق البريد ، ثم قفل راجعاً يبحث عن الباخرة حتى بلغها ، بيد أنه عزم على أن يعرج فى طريقه على انجلترا حيث

زار أهم أعلامها ومنها الى هولندا والمانيا فسويسرا وهنا عرج على اسبانيا ثم اتجه الى ايطاليا ، ولم يفته أن يدون فى كل بلد ما يراه من الملاحظـات والصور . ثم وصل الى مصر وتمتع برؤية أشهر آثارها غير أنه أبدى اهتماماً زائدا بكل ماله صلة بتاريخ اخناتون ، كما رسم بريشته عدة صور للقوارب السابحة فى النيل وما تبعثه فى النفس من سحر وجمال ، وامام مشهد الصحراء أبدى أسفه بالقول : ليس لى من قوة الفن ما يمكننى من التعبير عن صمت الصحراء الرائع .

وأخيرا رجع بروكفيلد الى نيويورك فى أول يونيو بعد أن صرف الخمسة آلاف ريال عن آخرها الا انه تمكن من الحصول على مائة وخمسين ريالا عن طريق بيع عشرين صورة من المناظر التى رسمها فى أثناء رحلته . ثم اتجه توا الى منزل استيرن يريد مقابلته فأخبره السكرتير بأنه فى سفر . فأجاب بروكفيلد بأنه يرغب فى أن يترك له طردا صغيرا ورسالة ، فادخل الى المكتبة حيث حرر الرسالة الآتية

نيويورك فى أول يونيو ١٩٢٥

سيدى العزيز

الآن أرجع بعد نهاية رحلة عام كامل حافل بكل معانى اللذة والسعـادة ، وذلك بفضل تلك المنحة السامية وقد وضعتها خلف ذلك الستار الذى سميته «الامتحان» ولقد بذلت كل وسعى لارضى ممتحنى بكل ما أوتيت من جد وولاء فزرت كل الاقطار التى ذكرتها واكثر مما ذكرت ، ثم كتبت تقريرا عن كل مارأيته مهما . وأقصد به جمال الفن والطبيعة . أما عن الشرط الثالث فلعلك أردت أن تكشف به عما اذا كنت اذكرك فى وسط سرورى ونشوتى ، وها أنا ذا كنت اذكرك يوميا واكبر دليل اننى ألتمس ان تتفضل بقبول صندوق الثقاب الموجود طيه مع ما يحويه من الرمال المصرية .

المخلص

تشارلس بروكفيلد

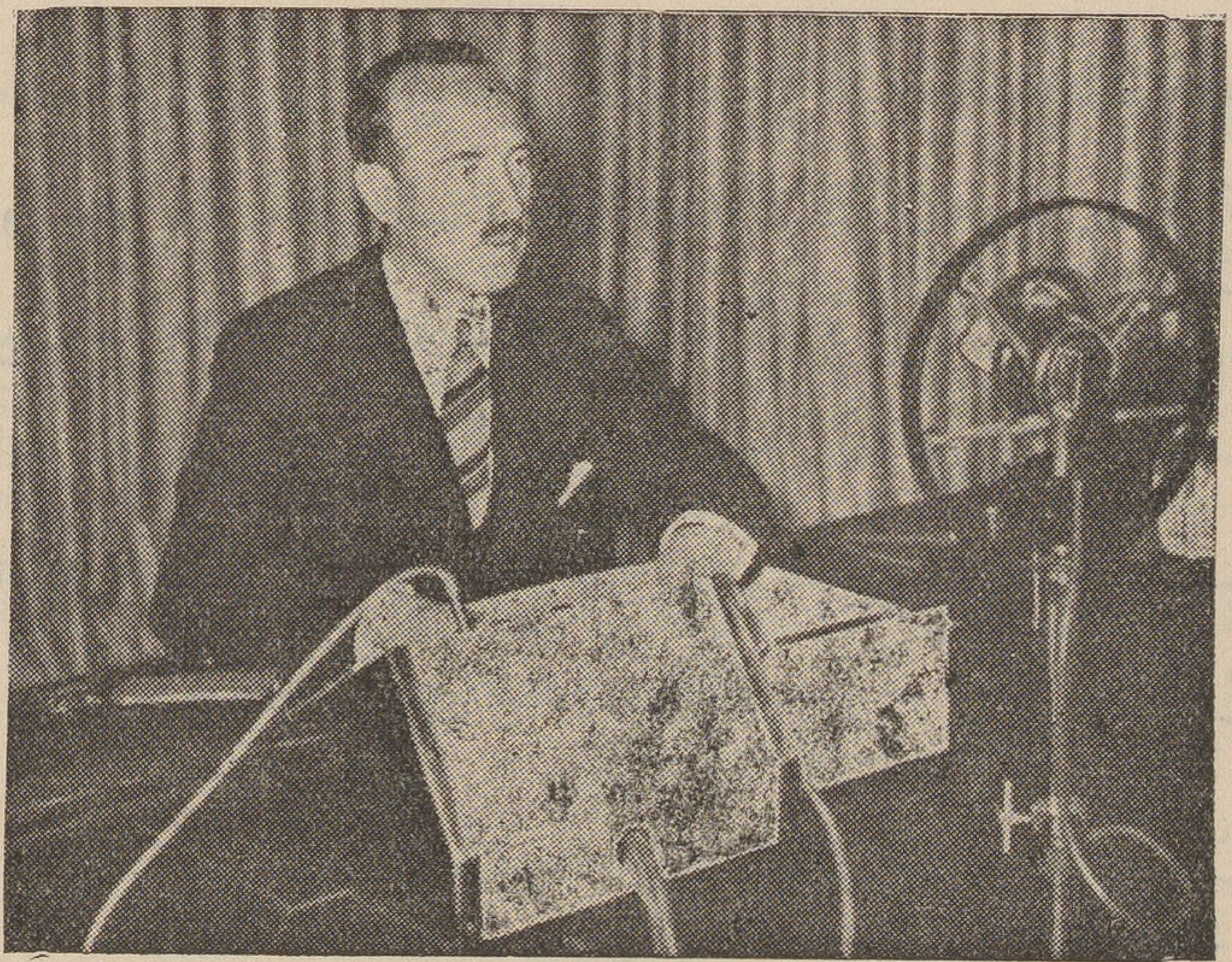
وبعد أن وقع بروكفيلد بامضائه على الرسالة أخرج من جيبه علبة مغلفة ، هى صنـدوق الثقاب وقد صنع باتقان من الذهب النقى الخالص تزينه النقوش الجميـلة ، فأتى آية فى الابداع . ولـكن مع شديد الأسف لم يكن الغلاف الخارجى محكما فتسربت منه معظم الرمال فى جيب بروكفيلد وعن طريق ثغرة فى جيبه تسربت الى الارض فى أثناء سيره . وبقى عليه أن يلتجىء الى الرسالة ليضيف اليها

ملاحظة يشرح فيها ماحدث ويندب فيها سوء حظه لفشله فى اتمام ماطلب منه .

فى شهر يناير سنة ١٩٢٦ مات مستر استيرن فجأة دون أن يكون له من الاقربين من يخلفه فى ثروته ، وكان قد سبق فكتب وصيته التى تقضى بأن تصبح عماراته الثلاث الفخمة بمحتوياتها وكل ثروته وقيمتها أربعة ملايين من الجنيهات لأحد الشبان الثلاثة الذى يحرز بعد نهاية الامتحان اكبر قسط من الذكاء والاهتمام والاخلاص فى اطاعة الشروط .

أيهم ياترى نال الميراث ، هل هو خريج جامعة يال أو هارفرد أو جون هوبكنز ؟

أيها القارىء الكريم لعلك بما أوتيت من قوة الحكم تستطيع بسهولة أن تصل الى الجواب الصحيح وتدرك بثاقب فكرك من ذا الذى فاز فى الامتحان .



ليوبولد الثالث ملك بلجيكا الذى زار لندن فى الشهر الماضى

الارامل الصبايا فى الهند

الارملة فى الهند قد تكون امرأة وقد تكون فتاة لم يتم بينها وبين زوجها تعارف جنسى وفى الهند نحو ١٨ مليون أرملة منهن أكثر من عشرة آلاف سنهن دون الثامنة. اطفال لا يعرفن انهن قد تزوجن او أن آباءهن قد زوجهن وهن فى السنة الثانية او الثالثة من اعمارهن . وقد يموت الزوج دون ان يفتضهن فيبقين ارامل ابكارا

وقد سنت الحكومة قانونا يمنع زواج الفتيات اذا كن دون الرابعة عشر . ولكن هذا القانون حديث لم تدركه ملايين من التعيسات اللاتى يعانين الترمل الآن . كما انه لا ينفذ فى القرى النائية فان الهند كبيرة تشبه القارة وفيها طبقات تعيش بعيدة عن الحضارة ولا تكاد تعرف شيئا عن القوانين الا ما توارثته من التقاليد . ولذلك لا يزال زواج الاطفال قائما . فان العادة ان البنت عندما تولد او بعد الولادة ببضع سنوات يعقد لها بالزواج على اى رجل فتى او شيخ . وهذا لا يدخل عليها الا بعد ان تبلغ العاشرة او الثانية عشر . ولكن يحدث ان يموت الزوج قبل دخوله عليها . وعندئذ تصبح هذه المسكينة ارملة

والأرملة مكروهة فى الهند وخاصة اذا لم تنسل لان الديانة او التقاليد الهندوكية تقول بان الزوج لم يمت الا لأن زوجته قد اذنبت فى حياتها الراهنة أو السابقة . والهندوكيين يعتقدون أنهم عاشوا على هذه الارض فى حياة سابقة . وان وفاة الزوج هو الجزاء لهذا الذنب. فهى لذلك مسئولة ومطالبة بالتكفير . وطرق التكفير كثيرة ولكن افضلها ان تقصد الأرملة الى المعبد حيث تعيش سائر حياتها جارية فى خدمة البراهمة اى الكهنة . فهى تسلم عفافها لهم أو هى بعبارة أخرى تصير عاهرة فى خدمة الدين . ولا يقتصر عهرها على البراهمة اذ قد يتجاوزهم الى غيرهم من الزائرين للمعبد

اربعون سنة فى البرية

عنوان لفصل من كتاب « سينا أمس واليوم » وضعه بالانكليزية محافظ سينا السابق المستر جارفز ،وقد نشره بعد أن أقام في صحراء سينا تسع سنوات متوالية متنقلا بين أجزائها المتعددة مختبرا وفاحصا فيها بحكم عمله كمحافظ لسينا

وقد عالج فى هذا الفصل موضوع خروج الاسرائيليين من مصر الي شبه جزيرة سينا وبقائهم فيها نحو اربعين عاما . وقد تضمن بحثه الشيء الكثير من المعلومات التاريخية ، والجيولوجية وغيرها مما جعل كتابته ذات قيمة كبيرة خصوصا وقد دلل على كل ما يراه بأدلة علمية واضحة كل ما يرد فى هذا المقال مأخوذ عن المؤلف :

مسألة خروج بنى اسرائيل أى اليهود من مصر الى برية سينا من المسائل التى عولجت كثيرا بشيء من الاهتمام وذلك لتعدد وجهات النظر فيها ولانها تتعلق بشعب اسرائيل الذى يعتبر هذه الرحلة رحلة مقدسة

ولانها تتعلق ايضا بقدماء المصريين اكثر أهل زمانهم مدنية ولو أن المصريين لم يتركوا بين آثارهم ما يدل على هذا الحادث الخطير « فى رأى اليهود » ، ولم يعترفوا لوجود اليهود بينهم كفئة من العمال .

وقد كانت مصر فى ذلك العهد أمة عظيمة لها جيش قوى ، فاذا كان اليهود قد حاولوا الخروج من مصر بصورة هاربين فلا بد ان الحكومة حاولت ارجاعهم . ومراجع التاريخ لا تذكر لنا أن فرعونا مصريا غرق فى ذلك التاريخ فاذا كان قد خرج مع جيشه فانه لم يكن من بين الضحايا .

أما التعليل الذى يراه المؤلف لعزم اليهود على الخروج من مصر هو انهم كانوا يعيشون فى البلاد كما يعيش العرب فى البادية قرب الحدود فلما تقدمت المدنية رأت الحكومة عدم اعفائهم من الضرائب واشتراكهم فى الاعمال الاجبارية التى تفرضها الحكومة على عامة الشعب ومن اهم هذه الاعمال امداد الحكومة بقدر معين من اللبن « الطوب » كل يوم ليستعمل فى

بناء الاجران والمخازن وكانت الحكومة تعطيهم التبن اللازم لذلك فى أول الامر فلما تكاسلوا منعت التبن وجعلتهم يجمعون بدلا عنه القش على أن يؤدوا المفروض عليهم كل يوم بيومه المعتاد . وكان ذلك العمل فى نظر اليهود عملا قاسيا لا يطاق « كما أن أى عمل يعادله يعتبر شاقا فى نظر كل العرب الرحالة حتى يومنا هذا » ولو أن ذلك العمل كان فى الواقع عملا بسيطا محتملا .

وهنا بدأ تذمرهم من أرض مصر فحاولوا الخروج الى البرية حيث لا عمل فى الطين أو التبن .

والآن نعالج بشىء من التطويل مسألة خط سير اليهود فى البرية لأنها مسألة فيها اشكال كبير وسأتجنب الاكثار من ذكر اسماء الأماكن لغرابتها عنا .

الزعم الاول لخط السير هو أن الشعب بدأ من نقطة تقع جنوب غربى بور سعيد بنحو عشرين ميلا . وعلى هذا الاساس تكون حادثة غرق جيش فرعون قد تمت فى بحيرة التمساح ويكون الشعب قد سار أولا فى شمال سينا ثم بعد ذلك اتجه نحو الجنوب .

وهناك رأى آخر يقول بأنهم ابتدأوا من نقطة تقع جنوب غربى الاسماعيلية بنحو عشرين ميلا وعلى ذلك فحادثة الغرق لم تتم فى بحيرة التمساح والترحال لم يكن فى الشمال مطلقا .

وقد حاول اللاهوتيون الذين زاروا سينا فى العصور الحديثة دراسة الطريق الذى سلكه بنو اسرائيل فى البرية وبعد الفحص والتمحيص استقر رأيهم فى آخر الامر على الأخذ بالرأى المعمول به من ٣٧٠٠ سنة ! ! لأنهم وجهوا كل ما بحثوه بحيث يتفق مع ما جاء بالحرف فى التوراة ولانهم أخذوا لحروف التوراة المعنى « من مجموعة المعانى التى يمكن أن تعبر عنها كثير من الحروف » أخذوا المعنى الذى يتفق مع ما وجدوه مستقرا على تعاقب الاجيال . وهذا الرأى يقول بان الاسرائيليين عبروا خليج السويس ثم اتجهوا جنوبا الى المناطق الجبلية فى وسط سينا فى وادى فيران ثم الى قرب جبل موسى حيث سلم لوحى الشريعة . ثم الى أرض ادوم بجوار العقبة ليصلوا الى فلسطين .

أما غرق جيش المصريين فقد تم فى خليج رأس السويس أو فى البحيرة المرة التى يحتمل أنها كانت متصلة بالبحر الاحمر فى تلك العصور . وهذا الرأى كان سائدا حتى وقت قريب جدا .

ومن الناس من يطلب تفسيرا أكثر قبولا للعقل فى مسألة غرق جيش المصريين فيرضون بالرأى

القائل بأن حادثة الغرق قد تمت فى احدى المنخفضات الرملية الواسعة قرب السويس حيث طغى البحر عليها بسبب مد عال ناتج من ريح شرقية عاصفة . ومن المستغرب أن المسلمين يعتقدون أن حادثة الغرق تمت فى الجانب الآخر من سينا عند خليج العقبة أى قريبا من الأراضى الاسلامية المقدسة . ولو أن مسألة وجود جيش المصريين شرقى السويس فى ذاك الوقت مسألة لا تفهم !

والرأى السائد حتى عهد قريب جدا عند كل النـاس وحتى اليوم عند الكثيرين هو أن شعب اسرائيل عاشوا فى البرية فى جنوب سينا حول جبـل موسى الحـالى . وقبل أن نورد الادلة على ما يعارض هذا الرأى نأتى بوصف موجز لبرية سينا .

شبه جزيرة سينا على شكل مثلث قاعـدته فى الشمال ورأسه فى الجنـوب فى البحر الاحمر ، وتنقسم الى ثلاثة أقسام

الاول : منطقة رملية واطئة تقع فى الشمال على امتداد ساحل البحر الابيض المتوسط

الثانى : هضبة من الحصا والاحجار الجيرية وتلى المنطقة السابقة وتشغل وسط سينا

الثالث : المنطقة الجنوبية وهى عبارة عن جبال جرانيتية مرتفعة .

وفى المنطقة الاولى فى الجزء الواقع شرقى مدينة العريش نجد ارضا رملية تنتج محصولا زراعيا جيدا خصوصا من الحبوب . وهناك أسباب جيولوجية تويد أن الجزء من هذه المنطقة الواقع غربى العريش كانت له نفس الطبيعة الزراعية أما الرمال التى تغطيه الآن فكلها حديثة للغاية وهى تغطى غابات كثيرة كانت موجودة فى عهد سفر الخروج من أسفار التوراة وآثارها الحالية تدل عليها .

وهناك رأى سائد بأن بنى اسرائيل اعتمدوا على المن واللهى والسمان فى غذائهم فى أثناء تجوالهم ٤٠ سنة فى البرية وهو رأى خاطىء يوضح خطأه دراسة سفر الخروج بامعان فنرى من هذه الدراسة الدقيقة ان المن لم يستعمل الا فى الاشهر الاولى القليـلة ، وفى فترات القحط . وانهم فيما عدا ذلك زرعوا الارض والدليل على ذلك أنه عند تقديم الضحايا فى الاعياد وفى الحفلات كان الخبز واللحم متوافرين

ووجود الدقيق والزيت والخراف والثيران والحمير وغيرها دليل كاف على أن الشعب استنبت الارض وأغلب الظن أن معيشة اليهود ٤٠ سنة فى البرية شبيهة بمعيشة أهل سينا الحاليين من حيث

استغلال الارض الزراعية والانتفاع بالنخيل واتخاذ الجهات الجبلية كمرعى للأغنام فقط .

ولابد أن شعب اسرائيل حاربوا السكان الاصليين وأخذوا أرضهم - وحربهم مع عماليق يصفها سفر الخروج فى اصحاح ١٧ الاعداد من ٨ الى ١٦ . وبانهزام اولئك السكان سمحوا لليهود بأخذ أرضهم. ومثل هذا الامر يحدث مع العرب الرحالة فى وقتنا الحاضر ، وكذلك كان يحدث فى مصر وفلسطين قبل أن تهتم حكومتاها بتنظيم شؤون العرب .

ولأن موسى قد تزوج بنت جسرو كبير قبيلته فى سينا فقد عاش اليهود مع هذه القبيلة فى وئام ويقال ان القوانين والانظمة التى وضعها موسى للشعب كانت من تدبير هذه الشيخ الخبير بشؤون المعيشة فى البرية . ومما يؤيد هذا أن هذه القوانين والشرائع هى المتبعة مع أعراب البادية حتى عصرنا الحاضر .

والآن نورد الادلة على أن اقامة شعب اسرائيل كانت فى شمال سينا لا فى جنوبها مبتـــدئين ببيان الخطأ فى زعم المتحمسين لفكرة الجنوب . اذ أنهم يرتكنون فى زعمهم هذا على التقليد وحده وهو دليل غير كاف مطلقا خصوصاً اذا علمنا أنه بحكم التقليد ظل جبل سربال نحو ١٥٠٠ سنة آخرها سنة ٣٠٠ ميلادية معتبرا أنه جبل الشريعة . وبعد ذلك عندما بدأ المهاجرون المسيحيون يكشفون عن خط سير الاسرائيليين فى البرية وعن جبل الشريعة رأوا أن جبل موسى هو جبـل الشريعة . ومعلوم أن الحقائق فى الصحراء تتعرض للغموض والنسيان بطول الزمن

والادله على أن الطريق ومعظم وقت الاقامة كانا فى الشمال هى : —

(١) مسأله ارتفاع جبل الشريعة : ذكر الـكتاب أن هـذا الجبل مرتفع للغايه وحقا أن جبل موسى فى جنوب سينا من أعلى جبالهـا أذ يبلغ ارتفاعه نحو ٨٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، ولكن مسألة الارتفاع ادرا كها نسبى . ففى الشمال جبال لا يزيد ارتفاعها على ٢٠٠٠ قدم عن سطح البحر ومع ذلك فمن يراها ينطبع فى ذهنه أنها شاهقة للغاية وانها أكثر ارتفاعا من جبل موسى والعلة فى أن جبال الشمال هذه تحوطها مناطق واطئة للغاية . أما جبل موسى فحوله عدد كبير من قمم المرتفعات التى قد تعلو عنه وعلى ذلك فادراك العلو دون اتخاذ منسوب معين كسطح البحر لا يتوقف الا على حالة الاراضى المحيطة بالجبل. ولا أظن أن كاتب سفر الجامعة أو اهل زمان الخروج كانت لهم

وسائل قياس الارتفاع بالنسبة لمستوى سطح البحر .

(٢) والدليل الثانى هو أن جبال الجنوب جرانيتيه وهى حقا تبعث فى النفس رهبة وتشعر من يقربها بانها مقدسة وأنها أولى من غيرها باقامة شعب الله حولها فى رحلته المقدسة ، ولكنها ليست ارضاً صالحة للزراعة مهما كانت كمية الامطار التى تسقط عليها وأن انتاجها فى أحسن المواسم لايمكن أن يكفى الشعب وما كان معه من انواع الحيوان . وأهم محاصيل هذه المناطق هو التمر وقليل من انواع الفاكهة ولا تزيد المساحة التى تصلح لزراعة القمح فى جنوب سينا باجمعه على ٥٠ فدانا .

أما أراضى سينا التى تنتج الحبوب بوفرة فهى كما ذكرنا اراضى الشمال خصوصا شرقى العريش الآن وشرقى وغربى العريش فى أيام الخروج وهناك من الاثار ما يثبت أن هذه البقاع قد استمتعت فى ازمنة ماضية بأوفر من حالتها الراهنة وأن اناسا متقدمين نوعا فى الزراعة قد استغلوها .

وشعب اسرائيل كما ذكر لنا فى سفرى الخروج ـ والعدد كان من طبقات منوعة فمنهم الكهنة واصحاب الحرف ، والرعاة وغيرهم وهذا يدعونا الى القول بأن الفئات الأولى اتخذت البقاع الشمالية مسكنا لها فى حين ان الرعاة قد اختاروا وسط وجنوب سينا حيث الاراضى تصلح لرعى الماشية ..

وربما يعترض على الرأى المرجح لفكرة الاقامة فى الشمال بأن هذه الاراضى لا تكفى لمعيشة ٣ ملايين نسمة ، وهو ما يفهمه المعارضون مما جاء عن عدد أفراد كل عائلة خرجت مع موسى من مصر « كما ذكر فى العدد الاصحاح الأول » .

اذ ذكر بعد عدد افراد كل عائلة أن عدد المقاتلين فوق سن العشرين هو ٦٠٣٥٥٠ مقاتلا فاذا قدرنا لكل فرد من هؤلاء زوجة وطفلين وأحد الوالدين « وهذا طبعا تقدير متواضع جدا بالنسبة للعائلات الشرقية . » كان العدد نحو ٣ ملايين . وخروج مثل هذا العدد الضخم دفعة واحدة من مصر الى البرية وأقامته بها نحو ٤٠ سنه أمر لا يمكن أن يصدقه من له خبرة بشؤون الصحراوات .

وهذا مما دعا بعضهم الى التعرض لازالة ما فى هذه المسألة من غموض فوفق الى تفسير مقبول وهو أن الكلمة العبرية التى معناها آلاف لها معنى آخر هو عائلة أو قسم فاذا ذكر لنا أن بنى رأوبين بكر اسرائيل كان تواليدهم حسب عشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الاسماء برؤوسهم كل ذكر من ابن عشرين

سنة فصاعدا كل خارج للحرب كان المعدودون منهم لسبط رأوبين ٤٦ الفا وخمس مئة فانه يمكن تفسير ذلك بأن يحتوى السبط ٤٦ عائله ، ٥٠٠ مقاتل . وهكذا مع بقية الاسباط واذا اخذنا بهذا التفسير كان عدد المقاتلين من كل سبط يتناسب مع عدد العائلات .

وهذا يستلزم اعتبار أن احصاء مجموع المقاتلين بـ ٦٠٣٥٥٠ احصاءاً مغلوطا أما . بالاعتبار الجديد يكون عدد المقاتلين ٥٠٠ و ٣٠٠ و ٦٥٠ و ٤٠٠ و ٤٠٠ و ٥٠٠ و ٢٠٠ و ٤٠٠ و ٧٠٠ و ٥٠٠ و ٤٠٠ يساوى ٥٥٥٠ مقاتلا

فاذا قدر أن كل محارب يعول خمسة اشخاص فى المتوسط كان عدد بنى اسرائيل نحو ٢٧ ألفاً « لا عائلة طبعا » وهو جمع يمكن خروجه الى البرية واقامته بها ومعيشته فى سينا الشمالية الزراعية التى يقطنها نحو هذا العدد فى العصر الحديث .

ومما يثبت أن عدد الشعب كان أقل من ٣٠ ألفا أمران !

الأول : أن موسى كان يحكم بنفسه فى جميع المنازعات والقضايا

الثانى : انه كان يوجد بين كل هذا الشعب قابلتان « دايتان » لاغير .

وما دمنا قد تعرضنا للمقارنة بين طبيعة الارض فى الشمال وطبيعتها فى الجنوب فانى اذكر هنا أن قادس التى ذكرت كثيرا فى سفرى العدد والجامعة ليست هى كما يظن عين قادس الواقعة على الحدود بين مصر وفلسطين لان هذه الاخيرة ليست عينها ويغلب انها تكون هى عين الجديرات الواقعة شمالى عين قادس بنحو خمسة أميال ومنها ينبع الماء بغزارة فى مجرى فى الوادى يجعل الارض حولها خصبة . وهنالك يوجد خزان متسع جدا من الحجر الجيرى له قيمته الأثريه ولا يعرف عصر انشائه ولكنه ليس رومانيا على كل حال . ويصح ان يكون من انشاء الاسرائيليين انفسهم .

الدليل الثالث لبيان ان ترحال شعب اسرائيل كان اغلبه فى الشمال هو مسألة المن وقد قرر العلماء ان المن هو افراز حشرة صغيرة تتغذى على شجر اسمه بالانكليزية « تماركس » فى أوقات معينة من السنة وهذه الافرازات على شكل حبوب بيضاء دقيقه توجد بكثرة فى ايامنا هذه تحت هذا الشجر فى الربيع وهى ليست بالغذاء الشهى ولكنها على كل حال تحفظ الروح مع

الجسد وهذه الاشجار نادرة الوجود فى جنوب سينا وكثيرة للغاية فى الشمال . وتوجد حفريات اى آثار لهـذه الاشجار فى منطقة واسعة على ساحل البحر غطتها الرمال الحديثة .

والدليل الرابع مسألة السمان .

وقد ورد ذكره فى التوراه فى مناسبتين منفصلتين وقيل إنه كان يأتى على شكل سحابة من البحر وهذا منظر مألوف جدا يمكن مشاهدته على معظم سواحل البحر الابيض المتوسط فى كل فصول الخريف وخاصة فى سبتمبر واكتوبر بعد فجر كل يوم تقريبا حيث تندفع هـذه الطيور منهوكة القوى نحو البر لتأوى فى اى عشب يصادفها وفى بعض المواسم يسهل صيدها بالأيادى لكثرتها وقد تكفى كثرتها لاشباع جمع غفير كشعب اسرائيل . وكان سمن هذه الطيور عظيمة لدرجة أنها كانت تسبب لهم الامراض التى ذكرت فى الكتاب على أنها لعنة للشعب

وهناك مسائل أخرى كثيرة ضد فكرة الجنوب ، منها ان قدماء المصريين كانوا يجهلون شمال سينا بدليل عدم وجود أى مبنى أو أثر لهم هنالك فى حين انهم فى الجنوب عرفوا مناجم النحاس ومناطق الاحجار نصف الكريمة فكانت لهم هناك معابد ، وحامية لحراسة المناجم .

أما موسى فكان عارفا لبرية سينا قبل أن يقود اليها الشعب فقد زارها قبل وهو متزوج من بنت شيخ منها أو من شرق الاردن وليس من المعقول أن يقود الشعب الى مكان تحميه جنود الاعداء . والمعبد المصرى المسمى سراية الخادم لا يبعد أكثر من ٥٠ ميلا عن جبل موسى الذى يظن خطأ أنه جبل الشريعة

ومعلوم من سفر العدد أن الشعب أقام نحو سنة كاملة بالقرب من هذا الجبل أى على مرمى من جيوش الاعداء وفى اراض اختبرها الاعداء - فهل هذا معقول !

أما الجبل الذى تنطبق عليه اوصاف الكتاب تماما فيقع على بعد ٣٠ ميلا جنوب العريش ويسمى جبل هلال وهو جبل من الحجر الجيرى يعلو نحو ٣٠٠٠ قدم فوق سطح البحر وهو وأن كان أقل أرتفاعا من جبل موسى إلا أنه يظهر كأنه أعلى منه بكثير لأنه قائم وسط اراض منخفضة بخلاف جبل موسى .

واسم هلال يمكن أن يعنى شريفا وتستعمل أيضا للتعبير عن طريقة ذبح الحيوان ذبحا صحيحاً

كما أن جبل موسى يقترن أولا بمسألة تسليم لوحى الشريعة وثانيا بمسألة الذبائح التى كان يقدمها الشعب للرب

وفى فلسطين ومصر نجد لاسماء الاماكن فى احيان كثيرة معنى خاصا فالاقصر مثلا محرفة عن كلمة معناها الحصن . وبير شيبا معناها البئر السابعة والتل الكبير اسم لبلد له معناه . وغير ذلك كثير وكثير . وكثيرا ما يكون للتقاليد شأن فى تفسير معانى الاماكن ولكن عرب سينا لا يعرفون لماذا سمى جبل هلال بهذا الاسم ولكنك تجد بينهم من يقول أنه سمى كذلك لأنه كان مذبحا للحيوان فاذا سألته عن الوقت أو الغرض الذى من أجله جعل مذبحا فانه لا يجد جوابا .

اما اسماء الأماكن التى جاءت فى تقرير موسى فى اصحاح ٣٣ من سفر العدد فمن المسلى أن نعرف أنه لم يذكر سوى اسم واحد يقرب من اسم مكان فى الجنوب وهو وادى فيران ويغلب أنه وادى باران . أما فى الشمال فتوجد اسماء لا تعنى شيئا فى العربية ولكنها قريبة جدا من الاسماء التى ذكرت فى سفر الخروج ومن أوضحها الوش وهى غالباً العريش

ومن المستحيل أن نعين الطريق الموصوف فى الكتاب على الخريطة بالضبط وكل محاولة لا بد أن تؤدى الى الغموض .

ولكن من السهل أن نعين الشىء الكثير فى الارض الشمالية المثلثة الشكل الواقعة بين العريش ورفح والقسيمة .

* * *

وقد ذكر اسم البحر الاحمر مرتين وهذا ما دعا الى اعتبار ان اليهود عبروا البحر بالقرب من السويس ولكن الكلمة العبرية المترجمة بالبحر الاحمر فى العربية ومعناها الصحيح بحر الاعشاب . وليس بالبحر الاحمر اعشاب تذكر واحسن مكان تنطبق عليه هذه التسمية هو بحيرة البردويل على البحر الابيض بين بور سعيد والعريش واذا قبل هذا المعنى فان ترحال الاسرائليين ومسألة وجود المن والسمان وأيضا غرق جيش فرعون تلتئم جميعها وينعدم التنافر والغموض الذى يشملها

نظمى شحاته

لندبرج

مثال الشباب الجسور

سمعنا كثيرا عن اسم لندبرج ولكننا لم نقرأ شيئا مسهبا عن ترجمته مع انه لا تخلو لغة حية من كتاب أو اكثر عن قصته الرائعة يقرأها الشبان والفتيات لكى يعتبروا بها وتسمو اعينهم واطماعهم الى مستواها . وفى قراءة هـذه القصة ماينير نا عن العوامل التى حركت لندبرج الى هذه الجراءة التاريخية وعن الوسط الذى يؤهل الشباب فى الولايات المتحدة لان ينزع الى البطولة والرغبة فى المجد

ففى سنة ١٩٢٧ دهش العالم كما لو استيقظ من نوم اذ به يسمع أن شابا فى الخامسة والعشرين من عمره قد طار من أمريكا الى أوربا وكأنه قد وثب وثبة هرقلية . وأخذت الصحف مجلات وجرائد تتساءل عن هذا الشاب وتتنادر عن أصله وشخصيته وتنشر صورته

ولندبرج هو الآن فى الخامسة والثلاثين ولكن المتأمل لوجهه يشعر من بريق عينيه وشقرة بشرته أنه أشبه بالصبي منه بالرجل وهو كذلك فى الحقيقة . فان وثبته من أمريكا الى أوربا تدل على أنه يحتفظ بشىء كثير من طفولته . والا هل الرجل العاقل أو الذى ننسبه الى العقل والوقار والذى يحرص على الاعتبارات الدنيوية يرضى بهذه المجازفة؟ ولكن من جهة أخرى لنا أن نتساءل هل هذا الرجل العاقل يذكره التاريخ فى أى شىء ؟ فى اختراع أو اكتشاف أو ثورة أو تجديد ؟

نشأ لندبرج فى ولاية مينوسيتا فى الوسط الغربى من الولايات المتحدة . وابوه ينتمى الى أصل اسوجى ولكن أمه يرجع نسبها الى أصل انجليزى . وكان ابوه يشتغل بالقانون فيما نسميه « وكالة الدعاوى » وليس له نظير فى نظامنا القضائى . وقد انتخب عضوا فى برلمان الولايات المتحدة « كونجرس » من سنة ١٩٠٧ الى سنة ١٩١٦ فانتقل بزوجته وابنه الى واشنطون . ومما يذكر عن

نشاط هذا الأب انه عندما وجد أن الواجبات تتراكم عليه جعل نظام عمله اليومى يبدأ فى الساعة الخامسة من الصباح فلا يزال فى مكتبه ينظر وحده أو مع سكرتيره الى أن يجتمع البرلمان . وكان الصبي لندبرج يتردد على البيت الابيض أى بيت الرياسة ويلعب مع ابن روزفيلت وانعقدت بينهما من ذلك الوقت صداقة متينة

واذا نحن تأملنا التعليم الذى حصل عليه لندبرج لم نجد فيه نظاما . فقد اضطرب تعليمه بين مدينته الاصلية وفى مدة اغترابه عنهـا مع أبيه فى عاصمة الولايات المتحدة . وقد التحق بجامعة وسكنسين .وكان عاديالم يبق فيها غير سنتين ولـكنه حصل على مكافآت فى الرماية بالمسدس . على أن تربية الانسان قد تتخذ طرقا خفية لاتدل عليها المدرسة أو الجامعة . فقد عرف لندبرج فى طفولته حياة الريف وعاش فى عزبة أبيه وكانت تجاور غابة شجراء حافلة بالطيور كان يلجأ اليها للتجوال والصيد . وقد تعلم ركوب الخيل والأتوسيكل وذاق لذة المخاطرة فى السرعة وهو لايزال دون الخامسة عشر . ثم كان جده لامه طبيب أسنان . وكان الى هذا مخترعا لايفتأ يجرب



لندبرج

التجارب ويجمع الى ادوات خلع الاضراس آلات أخرى . وقد اخترع كانونا وسجل اختراعه وكان له بعض الشأن . فكان لندبرج يقصد اليه ويعالج الحديد والنحاس ويلوى قضيبا هنا ويدق مسمارا هناك فاكتسب فى ورشة جده هذه الصغيرة ميلا الى الميكانيات

وحين نقول أن لندبرج قضى سنوات فى عزبة أبيه ومارس الزراعة يجب الا نتخيل عزبة مصرية. ففى مصر نعيش فى العزبة كما كان يعيش الاوربيون مدة العهد الاقطاعى . رئيس يأمر ويشرف ولا يعمل بيديه وعمال كالموالى . ولكن العزبة الامريكية ليست كذلك . لأن الآلات تقوم مقام العمال . ولذلك فان المالك الذى يملك مائة فدان يعود هو نفسه الزارع الذى يستخدم الآلات فى البذار والحصاد والرى وغير ذلك . وقد ملأ لندبرج هذه العزبة بكل جديد من الآلات

على أننا حين نتأمل اضطراب التعليم الذى حصل عليه لندبرج يجب الا يفوتنا ان ام لندبرج كانت قبل الزواج معلمة . ولما مات زوجها عادت الى التعليم وهى تدرس الكيمياء فى احدى المدارس العالية . ومثل هذه المرأة يعد من الحظ العظيم للطفل أو الصبى أن يتربى على يديها وأن يجد فيها اما ترعاه وتغرس فيه الطموح الشريف

وفى سنة ١٩٢١ ترك لندبرج جامعة وسكبنسين اى بعد سنتين من التحاقه بها . ودخل فى مدرسة للطيران . وكان سريعاً فى تعلمه للنزعة الميكانيكية التى تولدت فى نفسه من معاشرته لجده وتردده على ورشته ومعالجته لمخترعاته . ولم تمض عليه مدة حتى كان قد اشترى طائرة وصار يؤجرها للمسافرين ينقلهم لقاء أجر من بلدة الى اخرى . وهذا العمل مألوف الآن فى الولايات المتحدة حيث يقدر الامريكيون السرعة حق قدرها أو أكثر من قدرها

وفى سنة ١٩٢٣ رشح ابوه نفسه للانتخابات . فكان لندبرج يحمله على الطائرة وينتقل به الى حيث الدائرة . ولكنه لم ينجح . وفى السنة التالية توفى ابوه . وهنا نجد شيئا يليق بالطيار لندبرج وامه معلمة الكيمياء . فانهما احرقا الجثة وحمل الابن الرماد على طائرته وطار بها الى العزبة حيث قضى الأب ايام الطفولة وهناك نثر الرماد فوق ارضها

وكانت اقتحامات لندبرج الجوية تزيد على المألوف . ولكنها لم تكن رعونة . فانه كان يحسب لكل حركة حسابا دقيقا ويتبصر فى العواقب القريبة والبعيدة . وكثيرا ما كان يخرج الى

جناح الطائرة ويهبط منها الى الارض وهى على أقصى سرعتها تحمله البراشوت

وفى سنة ١٩٢٧ التحق بالجيش وامتحن فى ٢٣ مادة كان متوسط الدرجات التى حصل عليها فيها جميعا فوق التسعين (من مائة). وفى هذه السنة عقد العزم على قطع المحيط الاطلنطى بين القارتين على الطائرة وشرع يدرس هذا الموضوع درسا دقيقا . فقصد الى كليفورنيا وهناك جمع ثلاثة آلاف جنيه لشراء الطائرة . والمسافة بين القارتين ٣٥٠٠ ميل تحتاج الى أربعين ساعة من اليقظة والانتباه. فجعل يمرن نفسه على ذلك . يترك الموطر وهو يعمل طول هذه المدة ويتسمع له لكى ينتقد كل مخالفة فيه . كما أنه صار يقضى يومين كاملين بلا نوم . فلما تم له كل ما أراد سافر من كليفورنيا الى نيويورك والشقة بينهما طويلة .

فكانت تجربة أولية لشقه المحيط . فلما كان يوم ١٥ مايو سنة ١٩٢٧ قصد الى دار سينمائية لقضاء الامسية بعد أن اوصى مناوب الفندق بايقاظه فى الساعة ٢٫١٥ من الصباح . وكان ذهابه للتفرج برؤية القصة السينمائية برهانا على أنه قد أتم كل شىء أو انه أراد أن يخلى باله من التفكير فى هذا الموضوع. وهذا يذكرنا بما قيل عن هيئة أركان الحرب الالمانية التى أعدت كل شىء حتى اذا كان يوم التحرك للجيش قصد أعضاء هذه الهيئة كل الى فراشه للنوم ثقة بأن النظام تام وهو كفيل بكل شىء

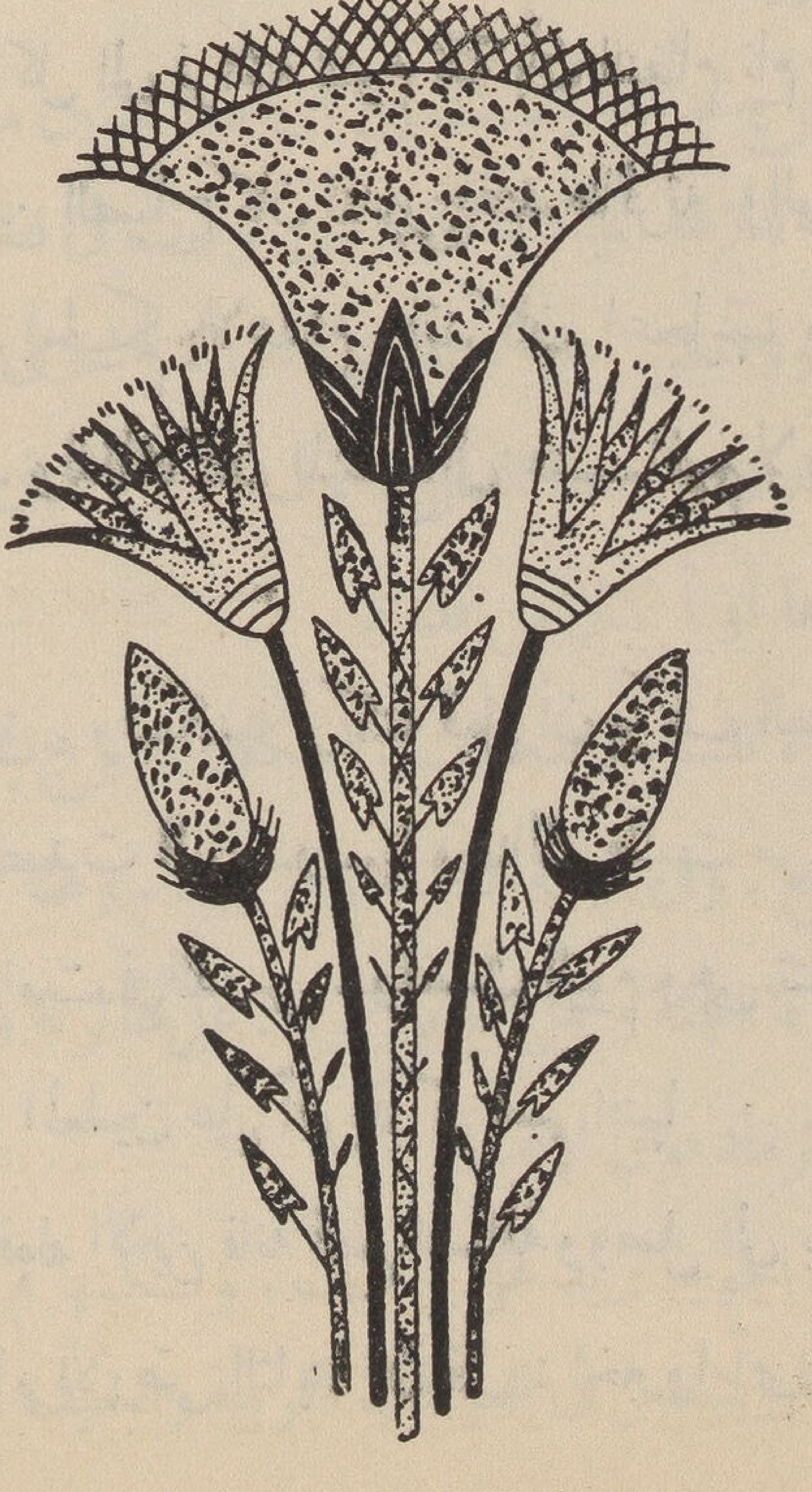
فلما كانت الساعة الرابعة من الصباح كان لندبرج عند طائرته والوف الناس قد احتشدوا حوله وكأنهم قد اجتمعوا لرؤية تنفيذ الحكم بالاعدام . فقد كان اعجابهم مشوبا بغصة اشفاقا على الشاب الجميل يقتحم المحيط الاطلنطى . ولذلك كان المتسمع الى هتافهم لايتمالك من الشعور بانه مشوب بزفرة الاسف

وذهبت الام لتوديع الابن . ولكنها تركته قبل أن يركب الطائرة وكأن المسكينة عجزت عن مواجهة هذه اللحظة . ثم قصدت الى مدرستها وهناك طلبت من ناظر المدرسة الا يبلغها أحد شيئا سيئا أوحسنا عن ابنها ما دامت فى الدرس . وقضت اليوم وهى تتحدث عن الاحماض والقلويات ولايجسر واحد من التلاميذ أو المعلمين على أن يذكر اسم ابنها

هذا ما فعلته الام . أما ما فعله الابن فانه قطع المسافة ووصل الى بورجيه فى فرنسا . فكان أول ما فكر فيه عندما وطئت قدماه الارض الثابتة ان قال : اخبروا أمى

وقليل من الناس من يبلغ ذروة الحياة وهو فى الخامسة والعشرين . ولـكن هؤلاء القليلين هم الابطال .

وبعد ذلك لانعرف عن لندبرج الا أنه تزوج وان وغدا شريرا خطف ابنه وقتله . وقد اعدم هذا الوغد على الـكرسى الـكهربائى بعد محاكمة دامت سنوات . ولـكن لندبرج لايزال طيارا مقحاما وقد طار فى الاقاليم الشمالية يبحث عن طريق حول القطب الشمالى يصل بين أوربا وأمريكا وآسيا ونعرف عنه أيضا أنه قد اشترك مع العالم الـكسيس كاريل فى اختراع قلب صناعى يؤدى للانسان ما يؤديه القلب الطبيعى



زهرة التفاح

قصة روسية تأليف مدام ميركوفوسكى
وترجمة الدكتور صبرى جرجس

— ١ —

« لم انشأتنى بحيث لا استطيع الحياة دونها ؟ لقد فعلت هى ذلك ولست ملوما عليه »

كتبت هذه الكلمات وما أعجب ما أشعر به ! لكأنى أتحدث عن امرأة أحبها ولكني لا أحب امرأة ما . أنها أمى التى ربتت ذلك بحيث احس اننى أكاد أموت حاجة اليها . وأنت اذا آويت رجلا فى الدفء طول حياته ثم تنكرت له فجأة ودفعت به الى الزمهرير فليس عجيبا أن يموت كما اموت أنا الآن

لقد كانت هذه الايام الاخيرة كبيرة المعنى عظيمة الدلالة بالنسبة لى . وانى لاخال أننى وصلت الى شىء ما ... أو أننى انهيت نصف حياتى وما أدرى بعد ذلك ماذا سيكون من أمر ما سيتبقى منها .. أأخطو فيها الى الامام ام اتراجع الى الخلف أم أقف حيث أنا ؟ أأرتفع صاعدا أم أهبط نازلا ... أم ماذا عسى أن يكون الامر ؟

أننى الآن فى السابعة والعشرين من عمرى ولكن احدا من الناس لن يصدق هذا ... فانا أبدو عجوزا ... بل انى اعلمه وأحسه فى نفسى . لقد مرت على فترة من الزمان كان فيها وجهى جميلا وناعما مثل وجه أمى ، وكنا يومئذ ننظر الى المرآة سويا فنعجب لشدة التشابه بيننا . أما الآن فلها لن تعرفنى لو رأتنى ... ستنكر منى الظهر المنحنى والعينين الباهتتين واللحية النامية والوجه الاصفر الداكن . وأحسبنى سأموت عن قريب . لست أشكو مرضاً خاصا ولكنى سائر الى الموت لان

الذى يحيا هو الذى يريد الحياة ..: نعم انها ارادة الحياة التى افتقدها فلا اجدها . عندما أدركت هذه الحقيقة فى الايام الاخيرة وأيقنت أنه ليس هنا ما ينتظرنى فى غدى خطر ببالى أن أقدم على الانتحار ولكنى تراجعت لانى اخشاه ..

أنا موسيقى ... لست موسيقياً عظيما ولكنني موسيقى لا بأس به كما يقول الناس . وأنا احب الانفعالات والتأملات الهادئة التى تملأ القلب بألم حلو وتفيض على النفس بسكون عميق . وعندما كنت اشترك مع احدى الفرق فى العزف « وهذا منذ عهد غير قريب » كنت فى بعض الأحيان أسدد النظر الى احد الوجهاء من الجالسين فى الصف الاول فأسبح فى الخيال واقول كأنما اخاطبه « ها أنت تنظر الى مصغيا فى انتباه شديد ولكن لو أننى بدلا من هذه القطعة عزفت اغنية روسية بسيطة تعيد الى خيالك ذكرى سنوات مضين منذ زمان بعيد وحديقة صغيرة تشيع الحرارة والدفء وعينين غريزتين — قد تكونان فى عالم النسيان الان — ، لو أننى فعلت ذلك لما استطعت ان تكبح عواطفك ولنهضت لتختلى الى دمعك فى مكان منعزل ونفسك تجيش بذلك الالم الحلو الذى لا تستطيع هذه القطعة التى أعزفها الآن ان تبعثه اليها ، وأنا اعلم أنك ستحاول أن تخفى ذلك الألم لانك تشعر بالخجل منه ، وستحسب انك الوحيد الذى يشعر به وان الآخرين لايشعرون ولا يقدرون ولكنهم جميعا سيشعرون ويقدرون ويخجلون ، وكل منهم يحسب انه فى ذلك الوحيد » . ان لكل انسان نقطة متوهجة لامعة فى ماضيه ، وان لى مثل هذه النقطة أيضا .

-- ٢ --

مما يبعث على الملل أن يبدأ المرء الحديث عن نفسه منذ البداية اى منذ اوائل الطفولة . ومع ذلك وأنا ارى ان حياتى فى سن العشرين لا تختلف عنها فى سن العاشرة ، ولعلى كنت فى سن العشرين أوفر سعادة لأنى كنت استطيع أن اخرج مع أمى وأن اسير معها جنبا الى جنب ويدى فى يدها فى حين أنى فى صباى كثيرا ماثرت وصخبت محتجا عليها لذهابها الى المسرح دونى ، وكنت أقول ان لاحق لها فى التمتع فى حين اقضى انا الوقت فى مراجعة دروسى ، فكانت تتوسل إلى وترجونى الصفح عنها . ولكننا لم نشتبك قط اذ لم يكن لديها سواى ولم يكن عندى الاها .

ولم أكن اكلم والدى قط فانه كان رجلا عجوزا دائم الانشغال بعمله . وكان يقيم فى جناح خاص فى المنزل ولا يكاد يدرى بوجودى . أما أمى فكانت صغيرة السن دقيقة الجسم جميلة الهيئة ذات عينين سوداوين كبيرتين تبين عليهما النضرة وينبعث منهما ضوء متوهج . وكان يحوم حولها عطر غريب لم أعرف اسمه ولكنه كان يذكرنى بمطالع الربيع .

وكنا نقيم فى مدينة كبيرة من مدن الجنوب فى منزل جديد بناه ابى بنفسه ولكنه كان رطبا وغير مريح ؛ وكانت له حديقة صغيرة انيقة تحيط به من جميع نواحيه فكان يخيل الى اننى لا أستطيع أن أصل الى نهايتها .

ولم أذهب الى المدرسة قط لأن أمى لم ترض بذلك ، وكان لها أصدقاء كثيرون حاول بعضهم التقرب اليها ولكنى لا أظن انها شجعت أحداً منهم . وقداختارت لى خير الأساتذة لتثقيفى بالمنزل وكانت فى بعض الأحيان تساعدنى على الاستذكار ولكنها فى الأغلب كان سريعة الملل قليلةالصبر على الكتب ، فكانت تطوى الكتاب بعد قليل وهى تقول « هيا بنا الى نزهة قصيرة يافولوريا » .

وكنا نخرج — أمى فى ثيابها الجميلة ، وأنا سعيد لان لى مثل هذه الام الفاتنة التى كنت قريب الشبه لها — فنتنزه قليلا ثم نعود . ولم تتغير أمى كما لم يلح عليها تقدم السن فلم نلبث أن بدونا كأخ وأخته وخصوصا عندما أخذ شاربى يظهر ولحيتى تنبت . غير أن هذا لم يؤثر على احساسى الداخلى .

وعندما بلغت العشرين أخذت أظهر ميلا جديا الى الموسيقى وبدأت أفكر فى الالتحاق بالمعهد الموسيقى «الكونسرفتوار» وكنت يومئذ قد جزت امتحاناتى بنجاح ولم يبق على الا أن أقرر على أى نهج سأسير .

وقالت أمى « من المحقق انك ستذهب الى الكونسرفتوار فى موسكو فيجب أن تسرع لانك أشرفت على العشرين الآن . ستكون شهيرا يوما ما وسترى أن نبؤتى هذه ستتحقق »

فكنت أجيب « ومتى سأذهب »

فتقول « فى الخريف فيما أظن .. فهل يرضيك هذا ؟ »

ولم يكن هناك بطبيعة الحال أى احتمال لذهابى دونها ، والا فمع من كنت سأتحدث ومن الذى يخرج للنزهة معى ؟

وكنت فى كثير من الأحيان أجلس فى غرفتها على الارض عند قدميها بجانب المدفأة كما اعتدت أن أجلس منذ كنت طفلا فاحدثها عن هذه الفتاة أو تلك ممن كن يحببنى وأصف لها كيف كنت أغازلهن واختارمنهن من كنت أفضلها على الاخريات . وكان يخيل لى يومئذ أن جميع الفتيات واقعات فى غرامى لجمال شكلى واجادتى العزف على البيانو .

وفى ذات يوم قالت لى أمى «أتعلم يافولوريا انك لاتشبه الرجال على الاطلاق وانك كالمرأة تماماً ؟ قد يكون هذا هو السبب فى اننا صديقان حميان ولكننى أتساءل هل أعد نفسى مسئولة عن ذلك » ثم اردفت قائلة « انك لاتغشى مجالس الرجال قط وحين أجدك مع النساء لأراك تبدى من الاهتمام بمغازلتهن قدر ماتبدى من الاهتمام باظهار حسنك وجمالك . لست واثقة ولكن يخيل لى انك لو كنت غريباعنى لماأحببتك»

يومئذ تأذيت لهذا الكلام كثيرا ولكنى لم أدر ماذا يعنى . ألم تقل اننى قريب الشبه منها فلماذا اذن تظهر عدم الاهتمام بى ؟ واذا كنت غير جميل وأن اكون كالمرأة فلم لم تلتفت الى هذا من قبل ؟

وكأنما أدركت انها اساءتنى بهذا الكلام فمضت تتوسل الى طويلا كى أعفو عنها ، ولكنى لم أستطع أن أنسى كلماتها قط . وكنت بين الحين والآخر أقول لها « ان سيرومتنيكوف وميرمانوف قريبا الشبه من الرجال .. أليس كذلك ؟ ثم اليسا جديرين بان يقع جميع النساء فى حبهما ؟ فكانت تبتسم وهى تضع يدها الجميلة على فمى لاسكاتى .

وأصابنى شيئا من الزهو لذلك ، واستغرقتنى الرغبة القوية فى أن أبدو جميلا لكى أجذب أنظار الفتيات الى . ولكنى لم أقع فى شراك الغرام قط . صحيح انى شعرت بالميل لفتيات كثيرات ولكنى لم أحب احداهن . كنت نقيا حتى ذلك العهد كالقليل من الرجال ، ولكنى فى تفكيرى لم أكن خيرا من غيرى

— ٣ —

لم اكن كثير الاهتمام بالمطالعة الا قبيل الامتحان حين كنت أضطر الى القراءة والاستذكار وبعد الفراغ من الامتحان تحول اهتمامى الى الموسيقى التى كانت وحدها هى التى تستطيع أن تهز

نفسى وتجعلنى أنسى مالم أكن انساه لولاها .

وأخيرا ذهبنا الى موسكو ، وقد كنت جذلا لذلك لأننى أدركت بالبديهة ان تغييرا ما لا بد أن يقع .

واقمنا فى منزل استأجرناه فى مالايانيكتسكايا ، وعشنا معا كصديقين حميمين . وسرعان ما ظهر فى سماء حياتنا أصدقاء جدد ولكنهم لم يستطيعوا أن يؤثروا على توثق مودتنا ، وصرفنى العمل بعض الشىء عن ملازمة أمى على الدوام كما كان الحال من قبل .

وفى المعهد لم يكن لى من الاصدقاء غير أستاذى الذى كان لايزال شابا حديث السن . وقد قال اننى غريب الاطوار ولكن المستقبل امامى يبشر بالخير والازدهار ، ولم يستطع أن يفهمنى تمام الفهم الاحين جاء معى الى المنزل وقدمته الى أمى . فقد كان من المستحيل أن يفهمنى وأحدنا بعيد عن الآخر ، وكان ينبغى أن نكون معا لنكون وحدة كاملة .

وذات يوم قال لى استاذى « أصغ أيها الشاب : يجب أن تعمل وتجد . شىء مايجب أنلايخرج عنك والا فسترى نفسك ضائعاً »

فكانت هذه الكلمة حافزا لى على مضاعفة الجهد والاستغراق فى العمل حتى نسيت الكسل والخمول وأهملت العناية بشعرى وملابسى وانقطعت عن الخروج من المنزل إلا قليلا ولطالما كنت أحب التطلع الى السماء الزرقاء والأرض والازهار التى لم أكن أحب سواها . وكانت أمى تعزينى كثيرا ولكننى كنت أشعر اننا فى هذه الناحية مختلفين جد الاختلاف ، فانها لم تكن تهتم حتى بالعناية بحديقتنا وكانت تفضل السير فى الطرقات عن التجوال فيها وتقول ان أشعة الشمس اكثر تهدئة للأعصاب داخل المنزل منها خارجه وان عطورها الخاصة خير من روائح الربيع .

عندما كنت أذكر هذا فى فترات عارضة كان يخيل لى انها لم تعد صغيرة بعد واننا لا يمكن أن نبقى صديقين كما كنا .. كان هناك حجاب مايفصل بيننا .. ولكنها كانت فترات عارضة وحسب.

لقد قلت اننى لم اكن ذا أصدقاء واعنى بذلك الاصدقاء الحميمين ، ولكن كان لى معارف كثيرون وكنا نخرج فى رحلات صاخبة لبعض المناسبات أقضى فيها الليل خارج المنزل

وكانت أمى تسألنى فى استطلاع وفضول ولكنها لم توجه الى كلمة عتاب قط . وقد ضايقنى

هذا فكنت أقص عليها التفاصيل بشىء من الاشمئزاز والكبرياء وكانت تعقب بقولها « هذا أمر لايهم يافلوريا .. لقد كنت واثقة من أنه وشيك الحصول ولكن ينبغى الا تنسانى . أتفهم ؟ ينبغى أن يكون لى المقام الأول عندك كما ان لك المقام الاول عندى . أتفهم ؟ من المستحيل أن نحيا على غير هذه الحال . أتفهم ؟

فكنت ابتسم واحوطها بذراعى وانا أقول لنفسى : من عساه يمكن أن يحتل المقام الاول عندى سواها ؟ ان هذا من المستحيلات

— ٤ —

ومرت على ذلك سنوات وانهيت دراستى فى المعهد ثم عملت بعد ذلك فى بعض الفرق ولكنى لم أكن سعيدا لانى لم أجد ما يشبع ظمأ نفسى فى تلك الاغنيات الصاخبة التى كانت أصابعى تتحرك فيها على الاوتار بما يحمل الى عبارات الثناء والاعجاب : وكثيرا ما كنت أفكر متى سأستطيع ان أعزف أغنية طالما سمعتها وعصانى ترديدها . يوم أوفق الى ذلك سيتغير كل شىء فى حياتى وسأشعر بنفس الانفعالات التى تجيش بها صدور المستمعين الى . سنبكى معا لان الاغنية ستنفذ الى أعماقنا وتهز مشاعرنا . نعم سنبكى معاً ... وبعدئذ ... ليس يعنينى ماذا سيكون من الامر بعدئذ ... حتى الموت لن يعنينى . لقد كنت واثقاً من أنه لن يحدث شىء ما طالما أن نفسى لم يحركها أنفعال قوى وكنت اوقن أنه لو جاءنى هذا الشىء الذى يصيب الناس جميعا لا ستطعت أن « اتحدث » اليهم ... فان العزف فى هذه الحالة يصير نوعا من الحديث العقلى

وقد اضطرت أمى الى العودة الى منزلنا مرتين تركتنى فى خلالهما بضعة أسابيع فاصبت بصدمة اضاعت منى القدرة على العمل وافقدتنى شهية الطعام وأحاطتنى بنوع من الفزع المروع خلت معه أنى أحيا فى هذه الدنيا المترامية الاطراف وحيدا ، وشعرت كأنما أمى ليست معى يومئذ وكأنما لم تكن معى يوما ما قط . ولعل هذا الخاطر الاخير هو الذى ضاعف من فزعى ، فقد حسبت أنه يعنى أنها لن تكون معى بعد ذلك على الاطلاق .

لم ربطتنى اليها فى هذه الصلة المحكمة بحيث جعلت الحياة دونها أمرا مستحيلا ؟ من اللغو أن

يقال انني كنت أحبها فانا لا أحب الهواء والطعام ومع ذلك لا أستطيع الحياة دونهما ... انني شخص ضعيف ... بلغ الغاية من الضعف ... وليس عندى من القوة ما يعينني على بذل أى جهد للتخفيف من وطأة هذه الآلام التى كانت تغتال نفسى وتنالها بأقسى الوان العذاب

وفى العام الماضى بينما كنت لا أزال فى موسكو مرض أبى فاضطرت أمى الى الرحيل قبيل عيد الميلاد وفى الايام الاخيرة من يناير مرضت أنا فانقطعت عن العمل وسافرت وقضيت سنة كاملة بين البطالة والعطلة . ولكن ماذا يعنينى من هذا ؟ هل كنت استطيع العمل بغير أمى ؟ فى مساء وصولى قضيت الليل كله جالسا على مقعد فى مخدعها صامتاً ... كنت أشعر أنها فرحة لوجودى فانها لم تكن تستطيع الحياة بدونى كما لم أكن استطيع الحياة بدونها

— ٥ —

فى الايام التى قضيتها بمنزلنا كنت أمضى الساعات الطوال فى العزف وكانت لى غرفة خاصة بها نافذة صغيرة تواجه الحديقة فوضعت البيانو الى جانبها حتى أستطيع النظر الى السماء والاشجار وأنا أعزف .

وفى أواسط فبراير بدأ الجو يدفأ فكنت أسير فى الحديقة وأحملق فى السماء الزرقاء التى تظهر من خلال فروع اشجار التفاح والكريز . وبدأت التلال البعيدة تكتسى بلون اصفر ... اصفر لا أخضر من البرسيم النابت فيها ، فان البرسيم فى اول عهده بالظهور يكون من النضارة بحيث يبدو ذا لون أصفر وكنت أحب زهرته الصغيرة الدقيقة . لم يا أمى لم تخرجى الى الحديقة لنسير معاً فيها ؟ ولم لم تحبى ما كنت أحب ؟ لقد شعرت يومئذ بسحابة باردة تحوم حول قلبى وتفصلنى عنها .

وكلما تقدم الربيع زدت احساسا بالسعادة وأطلت من الجلوس فى الحديقة وقوى شعورى بأننى أنمو مع أزهارها . وتركت موسيقاى الى حين لأننى شعرت بشىء يتحرك فى أعماق نفسى . شىء أبهى وأجمل من الموسيقى . لقد بحثت عنه طويلا ولكننى لم استطع الوصول اليه ... كان قريبا منى وكنت أحس وجوده فى أصوات الربيع وعطوره ... ولكن ما أبعده عنى الآن !

و ذات يوم كـنت جالسـا فى مقعد منخفض فى نهاية طريق ضيق رطب الى جانب سياج الحديقة ، ولم يكن يضيرنى ان لها هذا السياج الذى يحدها عن الامتداد الى ما لا نهاية لاننى كنت أرى الاشجار حيثما اجلت البصر و كنت أرى الحشائش والارض والسماء فى كل مكان . فلن يعنينى بعد ذلك أن تـكون هذه الاشجار ملـكا لى أو ملـكا لسواى ، وحسبها أنها تدخل السرور على نفسى لاشعر بانها لى . بل لقد كنت اشعر ان تلك التلال المتعرجة ذات الظلال الزرقاء الداكنة فى مرمى الافق البعيد لى ايضاً .

وكانت الشمس تميل الى الغروب واشعتها تفقد حرارتها تدريجيا فشعرت باننى ينبغى ان اعود الى المنزل ولـكننى لم استطع الحراك . وفجأة احسست بان شخصا ما قادم نحوى من الخلف فى خفة لم اكد اسمع معها حركته .فاجلت النظر حولى وادركت ان القادم يسير فى الحديقة المجاورة .و كنت استطيع ان انهض لارى من عساه يكون ولـكني قلت لنفسى «وماذا يعنيني من امره .. ليكن هو من يكون فانه لايستحق مشقة القيام» . وكان هواء الربيع قد انهكني فكنت احس باشد الحاجة الى اغفاءة قصيرة فى هذا الجو من السكون المطلق .

وانقطع الصوت ثم عاد مرة اخرى ثم انقطع . ورفعت عينى فرأيت وجها يتفرس فى بصرامة وغضب ثم ببرود وعـــدم اكتراث ، ورأيت فى الجانب الآخر من السياج فتاة لا اعرفها . نظر كلانا الى الآخر برهـة وهو صامت . وحسبت انهـا ستمضى فى طريقها على التو ولـكنها تـكلمت فقالت «اسعدت مساء . لقد رأيتك هنا مرارا كثيرة فلم تجلس فى هذا المكان دائما ؟ »

فاجبت فى خجل وكأنما كنت اعتذر «لانى احبه .. ولـكنى لم ارك قط»

«لانى كنت اراك من بعيد .. اننى اقيم فى هذا المنزل» ثم اشارت الى منزل تـكاد الاشجار تحجبه عن العيان .

وعندما حركت ذراعها لاحظت لاول مرة ان ملابسها غريبة .. تختلف عن المـلابس التى ترتديها الفتيات العاديات . وقد خلتها فى اول الامر ذاهبة الى احدى الحفلات التنكرية ولـكن الواقع ان ملابسها تستلفت النظر ببساطتها فقد كانت ترتدى جلبابا فضفاضاً من قماش ابيض ذا حزام احمر وذيل طويل واكمام تكاد تغطى اصابعها .

وسألتها «لم ترتدين هذا الثوب الغريب ؟»

فلم يبد عليها انها دهشت لهذا السؤال واجابت قائلة «لانه يريحني . وطالما لا يراني احد فاني احب ان ارتدى ما اشاء»

« انه على اى حال يعجبنى . ما اسمك ؟»

«مارتا» «مارتا ؟ الست روسية ؟»

«طبعا ، واسم الاسرة كورينيفا - وأنا اقيم هنا مع امى - الم تسمع عنها ؟ مدام كورينيفا المليونيرة الغريرة»

فتذكرت على الفور انني سمعت شيئا عن مدام كورينيفا المليونيرة الغريرة وابنتها الصغيرة التى كانت منصرفة الى دروسها ومنقطعة عن الخروج .

واجبتها فى بطء وتثاقل «نعم سمعت - من العجيب ان نكون جيرانا ثم تكون هذه هى مقابلتنا الاولى»

فقالت مسرعة «اننى لا احب الخروج - يظهر انك دهشت لاسم مارتا - ان اسمى الحقيقى هو مارثا - ولكنى احب ان انادى بمارتا لانه اسم جميل» .

وقلت فى تفكير كأنما اخاطب نفسى «انت جميلة جدا»

فقالت فى بساطة «اصحيح هذا ؟ يخال لى انه صحيح وان كان بعض الناس يقولون انى لست جميلة واعتقد ان هؤلاء يفهمون» .

لم يثر هذا الحديث شيئا من الدهشة الى نفسى لاننى لم استطع ان ادرك ان مارتا فتاة وان عبارتى لها مديح واطراء - ولكنى كنت اراها جميلة كالسماء التى تبدو من خلال الاشجار وكالنسيم الهادىء العليل كالسحاب الاحمر الخفيف الذى يحوط قرص الشمس وهو موشك على الغروب كنت اراها متناسقة مع كل ظواهر الساعة - ولم تكن بى رغبة خاصة الى الحديث او الى الدهشة ولكنى كنت اريد ان استمتع باللحظة التى انا فيها الى آخر حدود الاستمتاع .

وامتد بيننا صمت قصير قطعته بقولها « اسعدت مساء» ثم اردفت قائلة فى شىء من الكبرياء المصحوب بالتلطف «ويمكنك ان تحضر الى هذا المكان»

ثم سارت فسمعت مرة اخرى حفيف ثوبها على الارض - لم تدهشنى كلماتها لان خواطرها كانت هى عين مايجول بخاطرى - ان المرء ليعجب فقط من الامور الغريبة عليه الخارجة عنه ، اما الامور التى يعرفها ويحسها فليست تدعو الى الدهشة والعجب -

لبثت بقية المساء فى حالة غريبة ، حاولت أن أعزف ولكن صوت البيانو اثارنى . وذهبت لألقى تحية المساء على أمى ولكنى لم أذكرلها حرفا مما حدث . ولأول مرة فى حياتى لم توح خطورها الى نفسى رائحة الربيع الحقيقى .

-- ٦ --

لم أذهب الى الحديقة منذ يومين

ولم اكن أعلم مم كنت أخاف . لعلى خشيت الا تكون المقابلة التالية فى بهجة الاولى فاردت أن أحتفظ بذكراها صافية غير مشوبة . وقد لاحظت أمى مرارا متعددة شحوب وجهى وانصرافى عن العزف . وكان أبى لايزال ملازما الفراش فانشغلت أمى الى العناية به من الاهتمام بامرى .

«ماذا بك يافولوريا ؟ أتخرج الى النزهة معاً الليلة»

فكانت اجابتى متراخية وتهربت منها بالقول اننى لا أحب السير فى الطرقات

وفى اليوم الثالث انتهيت الى رأى شأن ذوى الارادة الضعيفة فارتديت قبعتى مسرعا وذهبت الى الحديقة وأنا أعتزم أمراً .

ولم اكد أجلس حتى سمعت صوت الحفيف ورأيت مارتا عند السياج .

بادرتنى بالتحية قائلة « أسعدت مساء »

فنهضت واقتربت منها . كانت ترتدى نفس الجلباب ، غير أن الحزام كان ذا لون ذهبى بدلا من اللون الاحمر .

واردفت قائلة « لم لم تأت ؟. ألم أقل أنه يمكنك الحضور . ومع ذلك فانا أعلم السبب فى تخلفك»

«وما هو ؟» «هذا لا يهم كثيرا .. ولكنى أعرف»

أكانت أشعة الشمس التى انحدرت عليها أم كان وحى خيالى هو الذى جعلنى أرى رداءها مشربا

بحمرة خفيفة كتلك التى نراها فى زهر التفاح ؟

كان لمارتا وجه عجيب لاأستطيع ان أصفه تماما ، وقصارى ما أستطيع أن أقوله عنه انه كان خاليا من أى خفاء أو غموض . وقد خيل الى أن شعرها الذى كان معقودا من الخلف فى عقـدة واحدة قد اختلط بسواد الجو المحيط به . وكان وجهها مستديرا وشاحبا ودقيقا ، وكانت عيناها شفافتين كالماء النقى ولـكنى لاأستطيع أن أذكر لونهما وان كنت اخاله أقرب الى السواد

اننى أذكر كل وحدة من ملامح وجهها على حـــدة : جبينها المستقيم وشفتيها الحمراوين المضغوطتين .. ، ولـكني لا استطيع أن أذكر تفاصيل الوجه عموماً .

وقالت مارتا « اننى أعرف أين تغرب الشمس كل يوم .. فان هذه هى أيامى .. » ثم تابعت حديثها قائلة « أتريد أن تعرف ماذا سيصيب الحديقة من التغيير فى الغد ؟ أتريد أن أقول لك فى أى يوم ستزدهر أشجار التفاح ؟ »

« وانى لك معرفة هذا ؟ »

« انني أستطيع أن أعرف كل شىء عن الحـديقة وعن الربيع وعن الشمس وعن الازهار لأ ننى أحبها جميعا »

والواقع انى شعرت بل ايقنت انها تعرف كل شىء مما تقول

« بم تظن أن شجرة الصمغ التى تراها هناك تشعر الآن »

« تشعر بالفرح » « وأى فرح ! »

« نفس الفرح الذى تشعرين به أنت وأشعر به أنا .. الفرح من الشمس »

« نعم اننا جميعا نفرح بهذا .. جميعا »

ثم أضافت بعد فترة « فى بعض الاحيان أسمعك تعزف .. وأنا أحب أن أسمع العزف من هذا المكان لانه يفقد خشونته »

فتذكرت على التو انى كنت أسمع صوت البيانو خشنا فى الايام الاخيرة .

ومضت مارتا فى حديثها قائلة « انك لن تغضب منى ولـكنك فى بعض الاحيان تعرف أدوارا صعبة متنوعة النغم ، وليس هذا ما يوافقك . ينبغى أن تنصرف عما يراه الناس وتصغى هنا ، ثم أشاحت

بيدها فى الهواء وهى تقول « هنا حيث تنسجم الحياة مع طبيعتك »

ووقفت عن الحديث كأنها تجد شيئا من العسر فى ايضاح ما تعنيه . ولكنى بطبيعة الحال ادركت كل شيء على الفور .

وقلت « لقد كنت على هذا الرأى دائما ويسرنى أنك تشاطريننى إياه . لا بد ان يكون صائبا إذن » .

« ألا تستطيع ان تعزف شيئا أقل سرعة وأكثر سهولة ؟ لقد سمعت ذات يوم أغنية تعزفها إحدى الفرق ولكن بغير الطريقة التى أحبها . انها تبدأ « لا كلام ياصديقى ولا تنهد » لست أعرف الغناء ولكنى سأغنيها لك لأدلك على طريقتها » .

وبدأت فى الغناء كأنها تتحدث، وكان صوتها ناعما حتى اننى طلبت منها أن تعيدها مرة أخرى وقالت حتى كلماتها تبدو جميلة ولكنى لا أفهم معناها حتى الآن . »

ثم قالت مرة أخرى « ان هذه هى أيامى ... فاذا مضى الربيع . »

ثم تهدج صوتها . وفجأة خطر لى اننى لم أرها تبتسم قط فسألتها « ألا تبتسمين قط يامارتا ؟ »

فأجابت بشيء من الكآبة « ان الشمس تغيب الآن وأنا أضحك فى الصباح فقط » .

اننى لا أذكر الان وانا جالس فى منزلى بمدينة بتروغراد اتذكر كلمات ذلك الحادث فاخاله لم يقع قط ولا أراه خليقا ان يقع . أكن حلما من الاحلام ؟ كلا ، لم يكن حلما لان ما أعقبه بعد ذلك لم يكن حلما وانما كان حقيقة مرة مروعة ادفع حياتى فى سبيلها .

فى ذلك المساء بعد لقائى الثانى لمارتا آويت الى غرفتى وأطفأت المشاعل وفتحت النافذة وجلست الى البيانو . حاولت أن اذكر نغمة الاغنية التى غنتها مارتا ... كانت نغمة حلوة هادئة سهلة فجعلت اعيدها المرة بعد الاخرى . ولست أدرى ماذا دهانى ولكنى كنت أحس بشعور غريب يملأ نفسى فتركت البيانو وتوجهت الى النافذة اطل منها، ثم فتحت الباب على غير وعى منى وهبطت الدرج المظلم فاذا بى أجد نفسى فى الحديقة .

كان ضوء الحديقة أشد من ضوء الغرفة وكان بها ضباب خفيف ، وكان القمر الجديد قد غرب فلم يبق فى صفحة السماء غير النجوم

وفى نهاية الطريق استطعت أن ألمح ثوب مارتا الابيض فقد كنت واثقا من انها هناك -- تصغى وهمست عندما اقتربت منها قائلة « لاتتكلم بصوت مرتفع - لقد كنت اترقب حضورك الآن - اريد أن أطلب منك شيئا واحدا لا تأت الى الحديقة غدا ولكن تعالى بعد غد عند غروب الشمس وتأهب لجلسة طويلة - بعد غد تكون براعم التفاح قد نضجت واوشكت على الازدهار -- سنراها وهى تزهر --- سنراها --- ستحضر --- أليس كذلك »

فهمست قائلا « أجل سأحضر »

فهزت رأسها ارتياحا وسارت واختفت بين الظلام والاشجار

وبقيت أنا حيث كنت وحيدا

- ٧ -

فى اليوم التالى صحوت متأخرا وذهبت بكسل وتثاقل الى غرفة المائدة لاتناول قهوة الصباح وقد بقيت اليوم طوله انتقل من غرفة الى غرفة دون أن تكون عندى أى رغبة للقيام بعمل ما - وتحاشيت النزول الى الحديقة كما طلبت مارتا منى .

وكنت أشعر برغبة قوية فى التوجه الى أمى والجلوس بجانبها فى صمت -- فقد كان يعتريني شىء من القلق يومئذ - كأنى فقدت شيئا، ولعل هذا راجع الى انى لم أر أمى كثيرا فى تلك الاثناء ولم يكن فى عزمى ان اطلعها على شىء مما مر بى فقد كان الامر كله يتعلق بالحديقة وهى لم تكن تحبها اوتعنى بها - ولكن أمى كانت لازمة لى كنفسى - لم ادرك الا يومئذ انها لم تكن تشعر كما اشعر ولم تكن تحس بنفس الأمور التى أحس بها . ترى لماذا خدعتني هذه المدة الطويلة ؟ ولماذا انشأتني بحيث لا استطيع الحياة دونها ؟

وجلست الى العشاء شاحب اللون منهوك القوى فاقد الشهية - وشعرت بعينين تحدقان النظر الى فتلفت واذا بى أرى امى تصوب الى بعينيها السوداوين نظرة اجتمع فيهما من الغضب والكراهة ما جعلنى ارتعد خوفا وفزعا - أكنت فى حلم ؟ أكان هذا من نسج الخيال ؟ لقد خلت كأن حملا ثقيلا يجثم فوق صدرى حينذاك ثم خلت كأن جسمى ينكمش ويتضاءل

نهضت على التو وذهبت الى مخدع أمى ولـكنها لم تكن هناك ، فانتظرت لانى كنت واثقا من حضورها وجاءت ولكنها لم تنظر الى بل جلست فى مقعد كبير فى صمت مطبق . ولبثت أنا أيضا فى صمتى اتعذب

واخيرا قالت « أننى أعرف كل شيء يافولوريا »

وشعرت بقليل من الراحة عندما سمعت صوتها ولـكننى لم استطع فهم كلماتها فقلت بشيء من الجهد « ماذا ؟ »

قالت « انا أعرف كل شيء . انت تحب . يقول بعض الناس أن هذا أمر لا محيص أن يقع ولـكنه بالنسبة لك مستحيل . لن يكون لانى لن اسمح به . لقد حاولت جهدى ولن أدعك تفلت منى » .

كان موقفى من هذه الثورة الجنونية موقف اليأس المطلق . لقد أخافنى غضبها ولـكنى لم اشعر بشيء من الشفقة عليها .

وأخيرا قلت « ماذا تقصدين ؟ اننى لا أستطيع أن أفهمك »

فهدأت قليلا وقالت « انت تحب مارتا كورينيفا وأعلم أنك تقابلها فى الحديقة ، وقد أذهلتك هذه الحالة عن امرك فهل تريد أن تتزوجها . لا بد لى اذن من ان اخبرك ان الفتاة التى وقع أختيارك عليها فتاة شاذة فاسدة منـذ الطفولة ، وهى اما أن تـكون مجنونة او على قدر كبير من المهارة فاحذر . كان ينبغى أن تطلعنى على هذا الامر ولـكنى علمته برغم اخفائه عنى »

كانت افـكارى فى حالة اضطراب شديد ، وعصانى لسانى فلم استطع النطق ، أنا أحب مارتا ! هذا مستحيل . وأنا أريد التزوج منها ! انا أتزوج ايجب أن يـكون أحدنا مجنونا أو لعلنا جميعا ذوو جنة . اخذت اهذى ببضع كلمات مضطربة وانا لا أكاد ادرى ماذا اقول . . تحدثت عن الحديقة وعن الربيع وعن اشجار التفاح وعن مارتا فقلت أنها حديقة حية بالنسبة لى وعن الجو والريح . وفى يأسى أدركت أن أمى لن تستطيع ان تفهمنـى الا اذا شعرت بمثل ما أشعر به

ثم بدأ يتخللنى خوف غريزى ناتج من الاحسـاس بالوحدة ؛ فقد شعرت فى تلك اللحظة ان أمى هجرتنى وأنها تـكرهنى وانى لا أستطيع أن احيا وحيداً . ولم أكن لاتردد عن الـكذب

لو أستطعته او أنه كان يفيدنى ، ولـكننى لم أ كذب من قبل قط . ولعل أمى أدركت مقدار ما أقاسيه من الألم والعذاب فقالت « ارى انك لم تنتظر شيئا من هذا كله ولـكن يجب أن تذكر يافولوريا ان العلاقة بيننا ليس من شأنها أن تجعلنى أقف منك موقفا سلبيا . لقد اعطيتك حياتى كلها فيجب أن تعطينى حياتك أيضا . حياتك كلها . هذا ما قصدت اليه : لم أتركك قط وجعلتك نفسى ولنفسى . قد أكون مخطئة فى هذا العمل ولـكن هذا لا يعنينى . أنه حق وعدل . كما انى لا أستطيع لتضحية بذاتى الآن . ومهما يكن من حبك لزوجتك أو عشيقتك ومهما يكن من حبها لك فانت لن تستطيع الحياة دونى .

قالت هذه الكلمات ثم نهضت فاقتربت منها واحطتها بذراعى واحدقت النظر فى عينيها ثم قلت لها « حسبك هذا العذاب . فانا اعلم انى ملك لك وانى لا استطيع الحياة بدونك ، وانا لا اريد ان اتزوج لانى لا أحب احدا .. لا استطيع .. لم أفهم .. انها الحديقة والازهار التى تعنينى .. والموسيقى .. عفوك ورضاك »

فضمتنى اليها وهى تقول « يجب أن تعدنى الا تذهب الى الحديقة أو ترى مارتا مرة أخرى . أنك لم تحبها بعد . ولـكن ... لا تقاطعنى ... انى أشعر بان هذا مستحيل ... انت ضعيف الارادة ياعزيزى بحيث لا تستطيع أن تحفظ عهدك ... فاحفظه ليوم واحد فقط ... لغد ... وبعد غد فى الصباح المبكر سنرحل »

لغد . غدا ستزدهر براعم التفاح !

« مالك لا تتكلم ؟ الا تريد ان تعدنى حتى بهذا ؟ »

ثم عقدت حاجبيها .

ودعتها ثم انفجرت باكيا منتحبا ... لقد كنت أحب الازهار وهأنذا سأتخلى عنها لاجلها وكنت اشعر — وان كنت لا ادرى لماذا — أنه من المستحيل على بعد ذلك أن أذهب .

— ٨ —

بدأنا نتأهب للرحيل منذ الصباح . وكان ابى لا يزال مريضا ولا غنى له عن عناية المربية

فقامت أمى بالمهمة كلها . أما أنا فقد كنت كالأموات وجلست طول اليوم مغمض العينين . وقد اقتحمت اشعة الشمس غرفتى من النافذة وغمرتنى بدفئها ولكننى ارتعدت منها فقمت الى «الشيش» واغلقته لانها لم تعد شمسا بعد

ومرت الساعات وكان الألم الذى يحز فى نفسى الما ثقيلا متصلا ، وكان على أن احتمله مادمت لا أملك القدرة على الاختيار او العزم

وعند الغروب اردت الى أذهب الى أمى لكى تضمنى اليها فاغمض بين ذراعيها عينى وأفقد الاحساس بالوقت .

وذهبت الى غرفة الاستقبال ونظرت من النافذة . كان قرص الشمس لايزال كبيرا ومستديرا ومتوهجا ويميل الى الانحدار وراء الافق ... لم احتمل رؤية هذا المنظر فأسرعت أعدو الى غرفة أمى على أجدها ولكنها لم تكن هناك . وفى الممر الخارجى قابلت احدى الخادمات وسألتها عنها فقالت : لقد خرجت المدام لتعد عربة لرحلة الغد وطلبت منى أن أبلغك ياسيدى بانها ستذهب بعد ذلك الى أسرة بولوتسكى .. وستتأخر فى العودة ، فاذا وجدت نفسك فى حالة حسنة تسمح بالخروج فهى تريدك أن تلحق بها هناك فى الساعة التاسعة ... والا فانها تريدك أن تذهب الى النوم مبكرا ..

لم استطع الانتظار حتى تفرغ الخادمة من رسالتها .. كان هذا اكثر مما يسعه الاحتمال وكنت فى تلك اللحظة حائرا بين عهدى لامى وبين رغبتى فى الذهاب الى الحديقة لكى استمتع بالربيع واستمع الى اشجار التفاح فى نجواها . وانا دائما اذعن بغير مقاومة لما هو اقوى منى ، ولذلك فليس عجيبا ان يحدث ما لابد انه واقع يوما ما . نظرت الى قرص الشمس مرة اخرى بابتسامه ذابلة ، وبدون تردد او نظر الى الخلف اسرعت الى الحديقة .

- ٩ -

بعد ان اغلقت الباب خلفى وسرت بضع خطوات بين الاشجار عدت الى نفسى فجأة ونسيت كل شيء . وكل لحظة مرت بعد ذلك زادت من ارتياحى وضاعفت سرورى . فقد خاط نفسى

اسير بين اصدقائى وخجلت اذ تذكرت انى تخليت عنهم هذه المدة الطويلة ـ وتنبهت فجأة فاذا بى احد نفسى فى نهاية الطريق

كانت مارتا هناك على المقعد لا فى الجانب الآخر من السياج كما اعتادت ان تكون ـ وكانت جالسة ويديها مطبقتين على ركبتيها وهى تصوب الى نظرة حادة ـ

قلت «انا آسف يامارتا ، لقد غربت الشمس»

«لم تغرب بعد ، انها وراء التل لا وراء الافق»

جلست الى جانبها وكانت اكثر شحوبا من المعتاد ـ وثوبها ـ ـ لن اخطئه هذه المرة لم يكن ابيض اللون كما كنت اخاله بل كان مشوبا بحمرة خفيفة ـ

وقالت مارتا «يجب ان تنتظر ـ ـ ستزدهر الليلة ـ ـ اتستطيع ان تلاحظ شدة بياض القمر ؟ انه يظهر كسحابة صغيرة ولكنه حين يزيد لمعانا ويرتفع فى الجو»

وسألتها قائلا «ما الذى يجعلك مثل هذا يامارتا ؟ ـ ـ اننى اخالك واحدة منها»

«وانت ايضا ؟ اننى واثقة من ذلك ـ وهذا هو السبب فى اننى مسرورة من وجودك معى ـ ـ وهو السبب ايضا فى اننى احبك»

فقلت «وانا ايضا احبك يامارتا ـ ـ احبك كما احب الحديقة ـ ـ ككل شىء»

فاعادت عبارتى الاخيرة بنغمة حزينة «نعم ـ ككل شىء»

ومرت فترة الظلام ثم ارسل القمر اشعته الباهته على الطريق فى تردد وخجل واشتدت الرائحة المنبعثة من الارض ورسمت اشجار التفاح ظلها بوضوح عليها ، وبدأ كل شىء يبدو كأنه يتمتم ويتحرك بعد ان ظل ساكنا صامتا حتى تلك اللحظة ، وخلت ان ضبابا خفيفا قد غشى ضوء القمر وهو يرتفع فى السماء ـ

وانتابنى شعور قوى من الخوف فلبثت اترقب وانا سابح فى تأملاتى ـ ولم تنظر مارتا الى وكان جسمها يشعر بالبرودة ـ

وتحركت نحوى قليلا ـ ووجدت نفسى احوطها بذراعى دون ان ادرى ، ولعلى فعلت هذا لمجرد رغبتى فى ان اكون قريبا منها ـ

وقالت وهى تضع يدها البيضاء فى يدى «لنحتفظ بالهدوء المطلق ولنبتعد عن الهياج - لننتظر فى سكون تام فبغير سكينة القلب لاتستطيع ان تكون قريبا منها»

وادركت انها تعنى الطبيعة

واردفت مسرعة وهى تنظر فى عينى «ويجب ان نكون قريبين على الدوام -- انت وانا معها» لم اشعر قط بانى «معها» كما شعرت تلك اللحظة -- وكانت هى السعادة بعينها لو انها تدوم - ثم شممنا رائحة خفيفة جديدة -- احسسناها معا وأدركنا فى لحظة من اين جاءت

وقالت مارتا «ان البرعمة الاولى قد تفتحت -- لاتنظر اليها الان بل انتظر حتى يتفتح غيرها»

وكان حديثها همسا فضممتها الى واردت ان اتكلم ولكنها تمتمت قائلة «ولا كلمة» - فسكت، وسرنى هذا السكوت - لم ارد شيئا اكثر من هذا .. انه كان السعادة بعينها -

ثم جاءت رائحة جديدة -- رائحة قوية ملأ عبيرها ارجاء الحديقة - وهبط القمر وآذن بالزوال -- ولكن اشجار التفاح بقيت على نورها

وفى اللحظة التى بدا فيها كل ماحولنا واضحا وانبثق الفجر نظرت الى وجه مارتا .. كانت جالسة كما كانت منذ بدأنا وقد احتضنتها الى .. فرفعت عينيها نحوى وقالت «لقد أزف الوقت .. ستشرق الشمس عما قليل وستزدهر أشجار التفاح»

وأحسست بضربة موجعة تصيب قلبي .. لقد ذكرت كل شىء فعرانى الشحوب وبدا على الخوف والارتياع .

ونظرت مارتا الى فى قلق وهى تقول «ماذا بك ؟»

قلت «لست سعيدا يامارتا .. رحماك .. يجب أن أذهب»

فقالت فى بطء دون أن تبدو عليها الدهشة «أتذهب ؟ الآن ؟ انتظر قليلا -- لاداعى للعجلة - انتظر حتى تبدأ الأزهار فى السقوط»

«لا أستطيع -- لا أستطيع --- لست أنا ولكنهم يريدوننى»

فقالت بهدوء «يريدك آخرون ؟ ان هؤلاء الآخرين يفسدون كل شىء دائما -- لا تكن شقيا اذهب وان كنت لاأريدك أن ترحل الآن»

فنظرت الى عينيهـا فى يأس -- كانتا منفرجتين وفيهما هدوء ولـكنهما مغرورقتان بالدموع - لو انها حركتهما لتساقط الدمع منهما .

ونهضت انا ولـكنها ظلت جالسة حيث هى دون أن تنظر الى

«الى اللقاء» «الى اللقاء -- لا تنسى»

«أنسى ماذا ؟» «كل شيء -- اننا نعرف الآن كيف نعيش»

« والآخرون يا مارتا »

« نعم الآخرون -- ولكن الا تقدر ؟ ألا تستطيع ؟ ولكنك لن تنسى -- لن تنسى ، اليس كذلك ؟

نظرت اليها -- ثم الى السماء وقد ظهرت تماما الآن -- ثم الى أشجار التفـاح وقد بدت كأنما يغطيها زغب الثلج

قلت : لن أنسى يامارتا --- والى اللقاء --

فهزت رأسها وسرت أنا فى طريقى

-١٠-

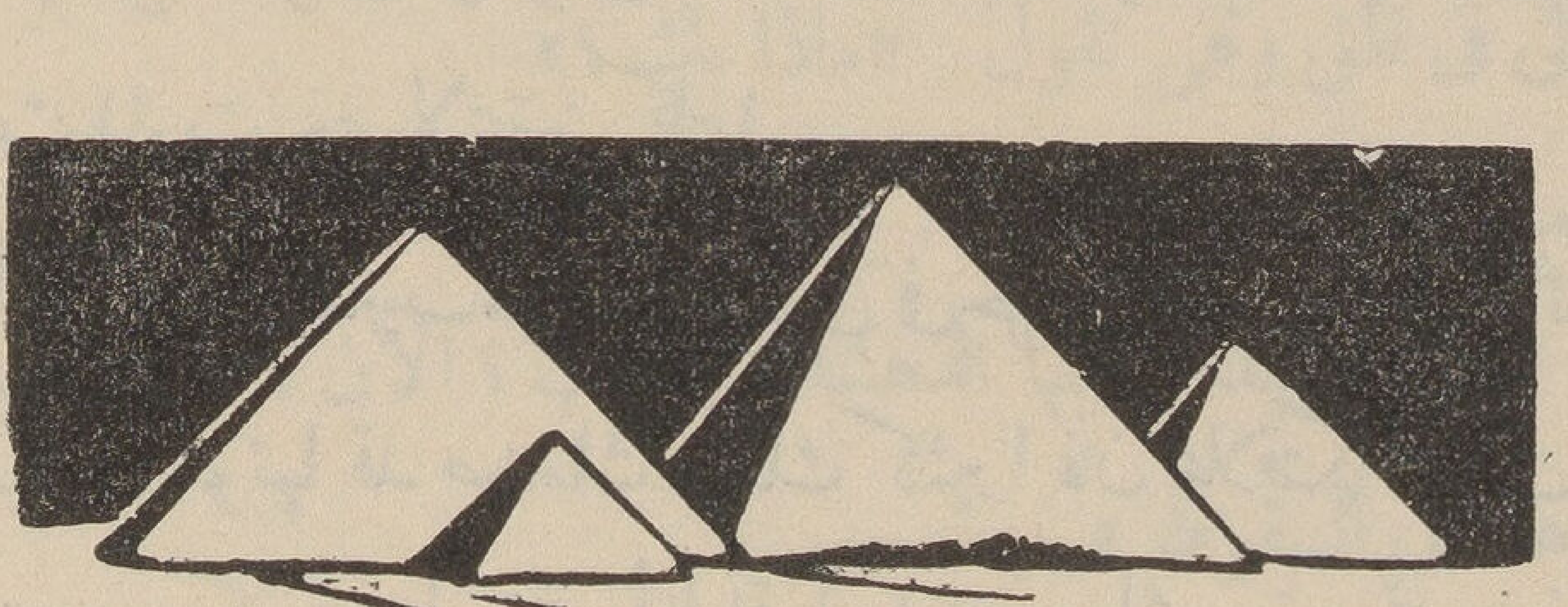
ماحدث بعد ذلك سأرويه باقتضاب لان ذكره بالتفصيل يؤلمنى أشـد الالم . أرادت أمى أن تثأر لنفسها -- وأعترف لقد بدا عليهـا التعب والهزال والشحوب فى تلك الليلة ولـكن ذلك أعزوه - فى يقينى — الى الـكراهة الشديدة التى فاضت نفسها بها نحوى . كنت أعلم أنها لن تصفح عنى لانها لن تستطيع الصفح فلم أتحدث اليها بكلمة واحـدة وبدوت كأنى من الاموات . أمرتنى أن أسافر وحدى وقالت انها لن تغفر لى أو ترانى بعد الآن ابدا . ولا بد انها كانت تعلم انها لن تستطيع احتمال هذه الحالة فآثرت الموت حتى لاتنقض كلمتها .

لقد رأيت يوم ماتت رجلا يقترب منى ويهز يدى فى حرارة وهو يعزينى قائلا : ان أمك كانت امرأة مدهشة .. لاريب أن موتها قد صدمك وآلمك كثيرا فان علاقتكما كانت من القوة والوثوق . وانفرجت شفتاى عن ضحكة غير طبيعية وأنا أقول : نعم معك حق . ثم هززت يد الرجل وغادرته وبعد انتهاء مراسم الجنازة رحلت ، فلم يبق هناك ما يربطنى الى المكان أو يبقينى فيه ، كما لم اسأل عن مارتا ولم أذهب الى الحديقة .

كم من السنوات مرت على ذلك الحادث - انني لا أستطيع تقديرها - فى بعض الأحيان أستعيد الى مخيلتي ذكرى الليلة التى ازهرت فيها براعم التفاح فاجلس الى البيانو وأعزف أغنية «لا كلام ياصديق ولاتنهد» فاشعر بشيء من العزاء - ولـكنها فترات قليلة عارضة - ان حياتى يزداد عبؤها على نفسى مع كل ساعة تمر منها وأنا أعيش لانى لا أملك القوة حتى على الموت - اننى أقيم الآن فى بتروغراد فى هذا المنزل الخانق وأعطى دروسا فى الموسيقى ثم أعود الى منزلى بلا هدف أو غرض -- فالى متى ستطول هذه الحياة ؟

يتدلى من سقف احدى الغرف خطاف كبير -- فلم لا أربط حبلا اليه ؟ لن يعلم بذلك أحد وخصوصا فى أثناء الليل -- ثم ان فى استطاعتى أن أحله متى شئت -- ولم لا أعقد فيه أنشوطة - لن أشنق نفسى -- فانني لا أقدم على هذا العمل لمجرد اننى عقدت أنشوطة فى حبل -- ان الشنق عمل فظيع -- مروع -- كم أنا بعيد عن مارتا الان ؟ هل صحيح انى سأفعل ؟ كلا -- كلا -- انها تجربة لاغير -- تجربة وحسب

دكتور صبرى جرجس



عظماء التاريخ الثلاثة

بقلم هـ. ج. ويلز
وترجمة سامي جورجي

يحار العقل البشرى فى معرفة عظماء التاريخ الذين تزعموه فانتزعوا منه الخلود والبقاء ، ولكن الكاتب الانجليزى الكبير ويلز يبسط لنا اسماء هؤلاء العظماء ويحدثنا عنهم حديثا شائقا قد يقنع القارىء بما ذهب اليه ، ثم لا يجد محيصا من الوقوف امام تلك الشخصية الفذه يمجدها ويجتر أفكارها .

فويلز يقول: قبل ثلاث عشرة سنة سئلت لكى اسمى الرجال الستة العظماء فى العالم فأجبت على هذا السؤال بلا روية او تعقل . ولكني ما لبثت بعد ذلك ان تنكرت لاجابتي السابقة وساءلت نفسى عما اذا كنت متشبثا بها متعلقا باهدابها .. وسرعان ما اعتقدت ان ثلاثة منهم احتفظوا بمكانتهم والثلاثة الآخرون فقدوا الثقة وتغير رأيى فيهم .. والحق انه لا يوجد ستة عظماء لنجىء على ذكرهم لأن هؤلاء الستة فرضوا جدلا . ولكن يوجد ثلاثة وثلاثة فقط .

ولما سئلت عن الانسان الذى ترك فى العالم اثرا مستديما غلب ظنى بان السائل نفسه يعنى يسوع الناصرى . فهو على ما أعتقد اهم شخصيه فى تاريخ البشرية وما على المؤرخ الا ان يعالج تاريخ حياته كرجل ولكننا لا نعرف عنه كثيرا — كما يجب ان نعرف — ولو ان الاناجيل الاربعة تتناقض فى اعطائنا صورة واضحه لشخصية بارزة الا أنها تتوخى اثبات الحقيقة . ومن الصعب جدا ان يتخيل الانسان بانه لم يعش ابدا وان حياته مخترعة لأنه بهذا يخلق مشاكل امام المؤرخين بدلا من الموافقة على المبادىء الاولية الواردة فى قصص الأنجيل كحقائق ...

وانا والقارىء نعيش فى اقطار تضم بين احضانها الملايين من الرجال ، بيدان يسوع اعظم من

رجل. واذا جاز للمؤرخ ان يتغاضى عن تلك الحقيقة وجب عليه ان يتشبث بالدليل الذى يعترض عليه اذا قرىء كتابه فى كل الامم والامصار -- وانه لسار جدا ان يكون من المتعذر على المؤرخ ان يصف بأمانة تقدم الانسانية بلا غرض لاهوتى وبدون ان يعطى المكانة الأولى للمعلم الناصرى الذى لا يملك شيئا -- وقد جهل المؤرخون الرومانيون القدماء يسوع تماما اعتقادا منهم بانه لم يترك تأثيرا يستحق ان يذكره التاريخ فى عصره ، الا انه بعد اكثر من ١٩٠٠ سنة سيجد المؤرخ بان فى اخلاق وحياة هذا الرجل العظيم صورة لا تعاند او تدانى .

وما زلنا نتلمس اسباب الجاذبية التى استمالت الرجال الذين ابصروه لاول مرة فتركوا كل شيء وتبعوه ، فقد ملاهم محبة وشجاعة وتكلم معهم بالمعرفة والسلطان الذى اعجز الحكماء .. غير أن معلمين آخرين فعلوا كل هذا ايضا الا ان هذه السجايا لم تعطه تلك المنزلة الرفيعة الدائمه بل جاءت له من جراء الاراء العميقة التى اطلقها والاهتمام بربوبية الله وادراكوفهم ملكوت السموات الذى يعتبر من اعظم تغييرات المستقبل التطورية التى قلبت وغيرت تفكير بنى الانسان ..

وليس فى مكنة البشرية أن تفهم حتى الآن التحدى الرائع الذى وجهه الى المعاهد واخضاعه النوع البشرى الذى لم يعرف أن الدنيا بدأت أن تكون دنيا أخرى من اليوم الذى بشر فيه بمذهبه. وكل خطوة يخطوها المرء نحو فهم أوسع أو نحو التسامح والرغبة الطيبة هى خطوة نحو اتجاه الاخاء العالمى الذى نادى به يسوع .. ومقياس المؤرخ لعظمة الفرد هو ماذا ترك وراءه لينمو ..؟ هل بدأ بالناس بالتفكير نحو أساليب جديدة خلدت بعده؟ بهذا القياس يقف يسوع فى المقدمة والصدارة .

وكما أن هذا ما اتصف به يسوع كذلك اتصف ببعضه بوذا الذى أضعه قريبا من المسيح فى الاهمية فانت تجد بكل وضوح رجلا بسيطا .. منعزلا يحارب من أجل النور .. رجلا ذا شخصية حية وليست أسطورة .. وانك لواجد أيضا رجلا أعطى للبشر رسالة وحيدة من نوعها تضمنت كثيرا من أجود أفكارنا الحديثة التى تمت بصلة وثيقة اليها .. فدلل على أن الشقاء والجشع اللذين يسودان الحياة يرجعان الى الانانية التى تأخذ أولا صورة الرغبة فى اشباع الحواس وثانيا صورة الحنين الى الخلود وثالثا صورة الرغبة فى السعادة ..

وما على الانسان الذى يريد أن يصبح مخلوقا أعظم شأنا الا أن يكف عن العيش لحواسه أو لنفسه كما كان شأنه قبل أن يصبح مهديا رصينا .

وبوذا نادى بالناس الى انكار الذات ٥٠٠ سنة قبل المسيح ، وكان فى بعض أساليبه أقرب الينا ولحاجاتنا بل كان اكثر وضوحا فى الاهتمام بذاتيتنا فى الخدمة من يسوع وأقل غموضا منه فى توضيح خلود الذات ..

ويلى المسيح فى أهمية تاريخ الذكاء البشرى وبوذا فى تاريخ البشر ارسطوطاليس الذى ابتدع شيئا جديدا هو تصنيف وتحليل المعلومات حتى صار اماما للتوحيد العلمى . وقد عاش قبله كثير من المفكرين ولكن هو الذى علم الناس كيف يكون تفكيرهم مشتركا .. حتى أصبح معلما للاسكندر الاكبر الذى تمكن بفضل مساعدته وتعضيده من ترتيب أسس الدراسة على طريقة وبحالة لم تحاول من قبل .

ففى وقت ما كان له نحو ألف رجل منتشرون فى أنحاء آسيا واليونان يجمعون المواد الخامة للتاريخ الطبيعى . ولقد أجرى طلبته تحليل وتلخيص ١٥٨ دستورا سياسياً حتى ان ارسطوطاليس أصدر على دقة تحليلهم نورا أظهر الحق واضحا جليا مما يعتبر خطوة جديدة واسعة نحو تقدم البشرية هؤلاء أسماء عظماء ثلاثة وفى مكنتى أن أضيف اليهم عشرين أو ثلاثين ولكنى أرشح الاسماء الثلاثة المتقدمة .. فانى أقلب أسماء كونفيوش وروبيرت اوين المؤسس الحقيقى للمذهب الاشتراكى وكارل ماركس الذى جعل العالم يفكر فى الحقائق الاقتصادية حتى ولو كان تفكيره معوجا قليلا ثم بعد ذلك ماذا أقول عن هؤلاء الفلكيين الذين فضحوا الكرة الأرضية وازاحوا الستار عنها وقد كانت أفكار الناس محصورة فى محيط ضيق فأصبحت فسيحة طليقة .؟

وفى هذا الاختيار الذى أخذته أجد ان هواى الشخصى يقودنى نحو روجر بيكون الذى نادى مشددا بضرورة التجربة وجمع المعرفة وتنبأ قبل ستمائة سنة عن اختراع السفن والقطارات التى تسير بطرق آلية ، كما تنبأ أيضا عن آلات الطيران وأجبر الناس على التفكير باساليب جديدة وترك من بعده أثرا خالدا وهو أنه عاش لمنفعة كل الأجيال . هل تريد عظيما امريكيا فى سجل العظماء ؟ انه لنكولن ولا أحد سواه . اذ يظهر لى أنه هو وحده الذى له مميزات أمريكا الجوهرية .. وهو الذى

أعطى الفرصة للصبي الوضيع المنبت عساه يصل الى ذروة المجد بفضل دفاعة عن العدل والمساواة .. وان بساطته ولين طباعه وتفاؤله العميق حمل على الاعتقـاد بان العدل يجب أن يسود وكل هذه تبدو كأحسن مبادىء قومتها أمريكا للنوع البشرى .

ولـكن ازاء أولئك الثلاثة الذين هم رموز باقية للاخاء . والالوهية الوحدانية والخدمة فى أنكار الذات وتوحيد عقليات النوع البشرى لانجد أحدا غيرهم يدانيهم فى صفاتهم أو يتطاول للوقوف بجوارهم ..

نشرنا فى عدد نوفمبر الماضى مقالا تحت عنوان « العلاجات النفسية » وقد سقط سهوا اسم كاتبه الاستاذ مترى أمين فنعتذر عن ذلك الخطأ المطبعى

توحيد التقويم واصلاحه

بقلم الاستاذ نقولا يوسف

تعددت التقاويم واختلفت التواريخ منذ فجر الحضارة بالنسبة الى تفاوت الامم فى الرقى، وتبعا لحاجتها إلى نظام حسابى تؤرخ بمقتضاه حوادثها ومواسم زراعتها وحصادها وأعيادها . وبذلك ظهر منذ القدم الى اليوم مئات التواريخ والتقاويم اندثر معظمها وظل بعضها حيا حتى الان، وفى مقدمة هذه التواريخ التى ما زالت تستخدم لدى الأمم التاريخ الميلادى والهجرى والقبطى واليهودى والارمنى والفارسى والبهائى وغيرها . .

فنحن اليوم فى عام ٥٦٩٨ عبرية و ١٩٣٧ ميلادية و ١٦٥٤ قبطية و١٣٨٥ أرمنية و ١٣٥٦ هجرية و ١٣٠٥ فارسية وهكذا . .

وكما اختلف الناس فى أجناسهم وأديانهم ولغاتهم وعاداتهم وظلوا منذ الخليقة مشتتين متنابذين لا يبغون التقرب نحو وحدة عالمية وأخوة عامة، بل هم لا يرتضون الاتفاق على أتفه المسائل، تسيطر عليهم العادة ويزيدهم الخوف والجهل والمصالح المادية والسياسية تشبثا بكل قديم موروث فانهم أيضا يأبون الاتفاق فى موضوع حسابى اصطلاحى مثل التقويم وتوحيده واصلاحه لا سيما فى عصر تشتبك فيه المصالح وتكثر المعاملات الاقتصادية وتزداد الصلات الأدبية وتنشط السياحة بين جميع الدول . .

وعلى الارض كثير من الشعوب التى تتشبث بتقويمها الحسابى وتضع حوله هالة من القداسة الدينية، وهى تفضله على سائر التقاويم بلا مناقشة . ومثل هذا التعصب يقف عقبة فى سبيل الوحدة.

الانسانية التى يدعو إليها العقلاء . غير أن سنة التطور لابد أن تسرى كعادتها على هذه المصطلحات ولا بد ان يأتى اليوم الذى يتفق فيه أهل الارض على تقويم واحد يسهل على الجميع تبادله واستعماله .

وإذا أتينا هنا بموجز عن بعض التواريخ والتقاويم التى استعملتها الامم فانما لنستدل على كثرتها وتنوعها، وعلى الحاجة الى اتفاق دولى على تقويم واحد تقره عصبة الامم .

ونحن لا نعرف الآن متى بدأ الانسان يستعمل التقويم ولكن المعروف أن دورة الشمس الظاهرية مرة فى اليوم ودورة القمر حول الارض مرة فى الشهر قد ساعدتا على خلق تقسيم الزمن واختراع التقاويم . وقد اتخذت بعض الشعوب القديمة من القمر ودورانه مقياسا لسنتهم وتقويمهم ولكن الامم الزراعية لم تستطع الاعتماد على الحساب القمرى لأنه لا يتفق مع الفصول كما نرى فى الشهور العربية التى تقع فى الشتاء تارة وفى الصيف تارة أخرى . وكانت مصر بين هذه الامم الزراعية التى نبذت السنة القمرية منذ الوف السنين واهتدت لتقدمها فى علم الفلك إلى السنة الشمسية ولعلها أول أمة اهتدت إلى هذا الحساب الشمسى وضبطت عليه مواسمها الزراعية وأوقات الحصاد والفيضان وأيام الاعياد . ولا تزال هذه السنة الشمسية وأسماء الشهور المصرية القديمة مثل توت وهاتور مستعملة فى الريف المصرى إلى الآن باسم السنة القبطية . .

وكان المصريون القدماء قد لاحظوا أن النجم سيرس يظهر قبل الفجر إبان فيضان النيل فتفاءلوا واتخذوا من يوم ظهوره عيدا لرأس السنة الزراعية . ولما كان هذا النجم يتم دورته مثل الشمس فقد جعلوا سنتهم ٣٦٥ يوما قسموها الى اثنى عشر شهرا كل منها ثلاثون يوما وكانوا يضيفون الخمسة الايام الباقية الى آخر السنة ثم أدخلوا فيها بعد السنة الكبيسة كل أربع سنوات كما نفعل الآن . .

ولما غزا الفرس مصر أبقوا العمل بالتقويم المصرى وبالاحتفال بعيد رأس السنة ودعوه بلغتهم بالنيروز أى اليوم الجديد . وما برح المصريون يحتفلون بهذا النيروز الى الآن . .

والسنة القبطية هى السنة المصرية القديمة فى حسابها وأسماء شهورها ، فكل شهر ثلاثون يوما يضاف إليها أيام النسىء وهى خمسة أيام للسنة البسيطة وستة للكبيسة . ويبدأ اليوم القبطى كالميلادى عند شروق الشمس بينما يبدأ اليوم الهجرى والعبرى عند غروبها . .

والسنة القبطية الحالية التى بدأت فى ١١ سبتمبر الماضى هى عام ١٦٥٤ للشهداء . وكان أقباط مصر حتى عصر دقلديانوس الامبراطور الرومانى يؤرخون بالسنة المصرية القديمة ولكن حدث أن هذا الامبراطور أخذ فى عام ٣٠٣ للميلاد يضطهد أقباط مصر ويقتل منهم عشرات الالوف فجعل الاقباط من اليوم الذى ارتقى فيه دقلديانوس هذا عرش الملك وهو ٢٩ اغسطس سنة ٢٨٤ م مبدأ للتقويم القبطى . .

وفى اول يناير سنة ١٨٧٦ أمر الخديوى اسماعيل باستبدال التاريخ القبطى المستعمل بمصر فى جباية الضرائب وأعمال الحكومـة بالتقويم الجريجورى كسائر الدول الاوربيـة وذلك عقب انشاء المحاكم المختلطة والمراقبة المالية . .

وكان العرب قد حملوا معهم الى مصر التقويم الهجرى المبنى على الحساب القمرى فأصبح بمصر إلى اليوم ثلاثة تقاويم ..

أما الاغريق فكانوا يؤرخون بالاولمبياد نسبة إلى الالعاب الاولمبية التى كانت تقام فى سهل اولمبيا مرة كل اربع سنين، وكان أول دور رسمى لهذه الالعاب فى صيف عام ٧٧٦ ق.م وجعل اكثر المؤرخين أول السنة الاولمبية فى أول يوليه وكان كل اولمبياد يستغرق ستة شهور فكان يقال مثلا أن ميلاد المسيح فى الاولمبياد المائة والخامس والتسعين . وكان بعض الاغريق يؤرخون أيضا من موت الاسكندر أى سنة ٣٢٥ ق.م ثم بطل هـذا التاريخ ، كما بطل التاريخ بالاولمبياد بعد أواسط القرن الخامس .

وكان الرومان يتخذون من تاريخ تأسيس رومة مبدأ لتاريخهم وشاع هذا التاريخ فى كتب مؤرخى الرومان واختلف الباحثون فى مبدأ هذا التاريخ ولكن بعضهم فرض أن بناء رومة كان فى ٢١ ابريل سنة ٧٥٠ ق.م أى نكون الآن فى عام ٢٦٨٧ لتأسيس رومة، وقد زال هذا التاريخ ايضا. وشاع فى بابل تاريخ نبوخذ نصر الذى يبدأ من ٢٦ فبراير ٧٤٧ ق.م

وكان اليهود ولايزالون يبدأون تاريخهم من السنة التى خلق فيها آدم معتمدين فى حسابهم على ماجاء بالتوراة من مدد وسنين، فوصلوا إلى نتائج قيل إنها تزيد على مائتى نتيجة أقصرها ٣٤٨٣ سنة بين عام الخلق وميلاد المسيح وأطولها ٦٩٨٤ سنة ، أما اليهود المعاصرون فيتبعون الرأى القائل بأن

الخلق وقع سنة ٣٧٦٠ ق.م وعلى ذلك فنحن اليوم فى عام ٥٦٩٨ للخليقة حسب التقويم الحاضر العبرى الذى ذاع منذ خمسة قرون ، والسنة العبرية قمريه شمسيه ويقع مبدؤها تارة فى الخريف وأخرى فى الربيع . .

وهناك تقاويم اخرى كانت تبدأ تاريخها من خلق آدم كالتاريخ القسطنطينى الذى استعمل فى وسيا حتى عهد بطرس الأكبر ويقع الخلق حسب تقديره سنة ٥٥٠٨ ق.م . وكالتقويم الاسكندرى الذى وضعه يوليوس الافريقى وجرى عليه مسيحيو الاسكندرية وكان يقدر الخلق بخمسة آلاف وخمسمائة سنة ق.م وكالتاريخ الانطاكى الذى ينقص عن الاسكندرى عشر سنوات

وهناك التاريخ المقدونى أو السلوقى الذى يبدأ من استيلاء سلوقس نيكاتور على بابل عام ٣١١ ق . م واستعمله اليونان وبعض اليهود فى الشرق

ويبدأ التاريخ الارمنى فى ٩ أغسطس ٥٥٢ للميلاد وهو تاريخ انفصال الكنيسة الارمنية عن اليونانية . ويبدأ التاريخ الفارسى أو تاريخ يزدجرد فى ١٦ يونيه ٦٣٢ م وكان متبعا فى ايران ولا يزال الفرس يؤرخون به فى الهند

ومن التواريخ القديمة الاخرى تاريخ صور وانطاكيه والتاريخ الاسبانى والاغسطى وغيرها

أما التاريخ العربى فيبدأ فى ١٦ يوليه ٦٢٢ م وهو عام الهجرة النبوية وعلى ذلك فنحن الآن فى سنة ١٣٥٦ هجرية ، وتقويمه قمرى تقسم فيه السنون الهجرية الى أدوار كل دور منها ٣٠ سنة منها ١٩ كل منها ٣٥٤ يوما والباقى كل منها ٣٥٥ يوما . والحساب القمرى لا يتفق مع الفصول إذ تقع شهوره تارة فى الصيف واخرى فى الشتاء . .

وثمت تقويمان جديدان أولهما تقويم الثورة الفرنسية الذى اعتبرت فيه يوم ٢٢ سبتمبر ١٧٩٢ وهو اليوم الذى بدأت فيه الجمهورية بدء تاريخ توقت به السنين وقد قسمت فيه السنة الى اثنى عشر شهرا متساوية ، وقسم الشهر إلى ثلاثة أقسام بدلا من أربعة وبدلت أسماء الشهور وجعلت الخمسة الايام الباقية فى نهاية السنة أيام عطلة عامة وقد ذهب هذا التقويم بذهاب الثورة . أما ثانيهما فهو التقويم البهائى الذى وضعه الباب المؤسس الأول للبهائية عام ١٨٤٤ وجعل السنة البهائية تسعة عشر شهرا فى كل شهر ١٩ يوما والسنة ٣٦٠ يوما يضاف إليها أيام النسىء وهى اربعة ايام للسنة البسيطة

وخمسة للكبيسة بين الشهر الثامن عشر والتاسع عشر . وسميت الشهور بأسماء الصفات الالهية ويبدأ عامها فى ٢١ مارس كما كان الحال فى السنة الايرانية القديمة .

أما أشهر التقاويم وأكثرها ذيوعا لاسيما فى العالم المتمدين هو التقويم اليونانى الذى أمر بوضعه يوليوس قيصر لتسير عليه الدولة الرومانية وظل مستعمـلا حتى جاء البابا غريغورى الثـالث عشر فنقحه وسمى منذ ذلك الحين بالتقويم الغريغورى وهو الذى نتبعه اليوم .

ولكن هذا التقويم الغريغورى فى حاجة أيضا إلى الاصلاح ففيه خطأ مقداره يوم كل ٣٨٦ سنة ، ثم أن شهوره تختلف تارة بين ٢٨ و٢٩ و٣٠ و٣١ يوماً ، وكذلك أيام الاسبوع لاتطابق ايام الشهر فتقع الأعياد الرسمية تارة فى السبت مثلا واخرى فى الأحد .. وكثيرا ماتسبب هـذه الاختلافات فروقا فى اجر العمال وعقود المقاولات ونحوها .

وقد شعر العالم فى العصر الحاضر بضرورة اصلاح التقويم وتوحيده فى كل الدول حتى لاتختلف التواريخ فى الكتب والأعياد والمعاملات. وقد ألفت عصبة الامم لجنة لبحث هذا الموضوع فتقدم إليها عشرات المشروعات. ولكن أكثرية الناس ترى أن تقسم السنة الى ثلاثة عشر شهرا كل شهر منها ٢٨ يوما فيكون فى كل شهر اربعة أسابيع تتفق أيامها مع أيام الشهر وعلى ذلك يكون عدد أيام السنة ٣٦٤ يوما ويعد اليوم الزائد بها وكذا اليوم المضاف الى السنة الكبيسة عيدين لجميع الامم

ثم هناك مسألة الاختلاف فى الاعياد المسيحية فان مسيحي العالم يحتفلون مثلا بعيد الميـلاد فى ٢٥ ديسمبر بينما يحتفـل به أقباط مصر وبعض الطوائف الشرقية فى ٧ يناير وكذا الحال فى عيـد الفصح وفى أعياد اخرى وهذا الاختلاف قائم على اختلاف التقاويم التى لابد من توحيدها واصلاحها على أسس علمية صحيحة وبروح لا يشوبها التعصب وبذلك نضع حجراً فى صرح الوحدة العالمية ..

النظر المادى وروح التشكك

عند المصريين القدماء

من كتاب فجر الضمير للمصرلوجى الامريكي برستد
ترجمة وتلخيص الانسة اريس حبيب المصرى

أن اهرام الجيزة برهان واضح ناطق على السلطة والثروة اللتين تركزتا فى أيدى فراعنة الاسرة الرابعة . وبقاء هذه الاهرام مدى خمسة آلاف من السنين رغم كل عوادى الزمن يعزز هذا البرهان من غير شك . اذ لا بد أن الحاكم الذى كان فى استطاعته أن يوجه جهود الملايين من أتباعه وثرواتهم صوب اقامة بناء ارتفاعه ٤٨١ قدما وهو يشغل للآن مساحة ثلاثة عشر من الافدنة — لا بد أن مثل هذا الحاكم كان ممسكا بأعنة حكومة مركزية متسلطا على هذه الحكومة المركزية تسلطا تاماً .

ونحن نعرف الآن أن الرجال الذين هيمنوا على تنفيذ هذا المشروع الهائل كوفئوا من الملك بما وهبهم اياه من الاراضى الواسعة حتى أنهم صاروا يعيشون عليها كحكام الاقطاعيات . ولم يلبثوا بعد أجيال قليلة أن صاروا يتمتعون بمقدار كبير من الاستقلال . وهكذا أصبحت الحكومة المركزية القوية التى يبدو مظهر قوتها أمامنا فى اهرامات الجيزة الهائلة حكومة لا مركزية مفككة . بل ان التفكك بلغ اقصاه حوالى سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد حين أشتد التنافس بين امراء الاقطاعيات وضاع الترابط بينهم حتى كادت الامة تسقط لشدة ما حل بها من التفكك والتنابذ . ففى خلال فترة من الزمن لا تزيد على الفى سنة كانت الحضارة الاولى قد تطورت تطورا تاما من البداوة الاولية وما فيها من تنافس رؤساء القبائل المختلفة حتى صارت دولة ذات حكومة مركزية متحدة — ثم تفككت هذه الحكومة المركزية تدريجا الى ان عادت ثانية الى حالتها الاولى من تنافس شديد بين حكام المقاطعات وتنابذ بين اتباعهم . ان شكل الحكم دار دورة كاملة : من اللامركزية والتنافس الى المركزية والاتحاد ثم الى اللامركزية ثانية . وقد استغرقت هذه الدورة نحو الفى

سنة تقريبا ـ وكانت هى أول دورة خبرتها البشرية فتركت أثرا لا يمحى فى أذهان المفكرين من الرجال الذين كان فى استطاعتهم عند نهاية الدولة القديمة أن يعودوا ببصرهم الى الوراء ليرقبوا مثل هذه السلسلة الطويلة من التقدم فى نظام الحكم ـ فرأوا ان التنظيم المستمر للمجتمع وما فيه من جلال وروعة قد أثر على آبائهم كل التأثير ـ وكان من شأن هذا التأثير أن تطورت معه آراؤهم عن معبودات الطبيعة القديمة فصارت آلهة لها اتصال بالمجتمع وبحياته ـ ولانه كان فى استطاعتهم أن يعودوا ببصرهم الى الوراء ويروا هذا التطور المنظم وما تبعه من انحلال فقد اندفعوا فى التأمل والتفكير ـ ونحن سنرقب الآن ما كان لهذا التطور من أثر على افكارهم فيما يتعلق بالانسان وبالسلوك البشرى وبالله

والمرجح أن سقوط الوحدة الثانية للدولة القديمة وانهيار صرحها حدث بعد سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد بقليل ٠ وفى خلال التطاحن الذى تلا سقوطها وفى وقت لا يمكن تعيينه على وجه التحقيق استطاع نبيل من حكام الاقطاعيات « وكان حاكما لمدينة هراكليوبوليس التى تبعد نحو خمسة وعشرين ميلا جنوبا عن ممفيس » ان يستأثر بالحكم وان ينادى بنفسه فرعونا ـ ولم تترك هذه الاسرة الضعيفة أثرا سياسياً الا القليل من المخلفات .وأنشق الجزء الجنوبى من مصر العليا واستقل بمفرده ـ كما أن الحروب توالت على حدود أقاليم مصر الوسطى ـ ولقد كان لهذا التفكك النهائى أثر هائل على عقول من راقبوه اذ انهار هذا الصرح بعد أن دام الفا من السنين ـ وانتقل المفكرون من التأمل فى مظاهر العظمة والابهة الخارجية الى التأمل فى قيمة القوى الداخلية ـ وليس من شك فى أن مراكز الحضارة كممفيس وهليوبوليس ظلت قائمة كما كانت ـ وكذلك ظهرت هراكليوبوليس اذ قام فيها على الاقل حاكم مفكر حكيم ومع الاسف انا لا نعرف اسمه ـ ولكن هذا الحاكم عندما قارب نهاية حكمه كتب لتعليم ابنه رسالة عن سلوك الملك يصح ان نسميها « تعاليم موجهة الى مريكرى »
وهذه الرسالة العجيبة لاتزال للآن محفوظة فى متحف لينجراد وعليها علامات تثبت أنها كتبت فى ذلك العصر الذى تتعلق به ويمكن اعتبارها كلمة صادرة حقا من ذلك الملك الهيراكليوبوليسى القديم . وحين يوجه حديثه الى ابنه يرجع ببصره الى الوراء صوب الدولة القديمة

باحترام عميق لما انتجت من حكمة . فيقول « اما الحكيم فيأتيه البر مجهزا كما ايده الآباء . احتذ مثال آبائك واجدادك . . . لان كلماتهم لاتزال مسطورة فى الملفات . افتحها لتقرأ ولتنقل عنها المعرفة . فهكذا يتضلع العامل » . ويمكننا تلمس اثر بتاهوتب فى هذه الكلمات لانه كان من عادته ان يصف الكلام بانه « صناعة » والمتكلم البارع « بالصانع » . كما ان الامير ينصح بقراءة ملف من حكم بتاهوتب حتى يطيل التأمل فيما تحويه من عظات كان قد مضى على كتابتها اكثر من اربعمائة سنة . ثم يقول الملك الكبير : « كن صانعا فى الكلام تكن قويا لان قوة المرء لسانه والحديث أقوى اثرا من الحرب . . » ولكن بتاهوتب كان يعرف كل المعرفة ان اللسان اللبق فى حاجة الى حسن التوجيه وحكمة القيادة اذ يتم حديثه بقوله : « لايستطيع احد أن يقف فى وجه الحكيم ولايناقضه كل من يعرف حكمته . وهكذا لايحدث سوء فى ايامه » وكان غير ممكن طبعا تجاهل المصاعب السياسية التى كانت قائمة اذ ذاك . لهذا نصح الملك ابنه بأن يحافظ على السلام مع حكام الجنوب وان يعنى عناية خاصة بالحدود المهددة الواقعة ناحية آسيا فى الشرق ولوبيا فى الغرب .

ولكن حكمة هذا الملك المجهول تبدو بجلاء فيما يقول عن السياسة الداخلية . فهو يعترف صراحة بقوة الاسر الشريفة العظيمة . وكغيره من ملوك اوربا الذين جاءوا بعده بقرون يرى وجوب التعاون والتفاهم معهم . ولكنه فى الوقت عينه يظهر كثيرا من بعد النظر حين يعترف بضرورة اكتشاف المواهب الكامنة في رجال الشعب وفى خلق رجال جدد يمكن الاعتماد على كفايتهم . واخلاصهم فى محاربة النبلاء الاقدمين ، فيقول : « اخلق الجيل الجديد حتى تكون محبوبا فى بلاطك ، ان مدينتك ملأى بالشباب المدرب ، زد حاشيتك من الجيل الحديث . زودهم بالممتلكات وامنحهم الحقول وهبهم القطعان ، لاترفع ابن الرجل العظيم فوق ابن الرجل الحقير بل اختر لنفسك الرجل ذا الخبرة والكفاءة ، » الا انه ليس من المناسب اهمال البيوتات الشريفة القديمة ـ لهذا يقول : « عظم نبلاءك لكى ينفذوا قوانينك » لانهم ان لم يكونوا ذوى يسار لايستطعون اقامة العدل ـ « ان الغنى فى منزله لايحابى لانه صاحب ممتلكات وليس فى احتياج ـ اما الفقير (متى كان ذا سلطة) فلا يتكلم تبعا للبر « مآت » لان الذى يقول ليت لى « ليس ممن لايحابون ـ لانه يظهر المحاباة لمن يقدر ان يبذل له الجزاء ـ عظيم من كان اشرافه عظماء ، وقوى هو الملك

الذى يمتلك بلاطا حافلا ، رفيع من كان غنيا بالاشراف . ان انت تكلمت بالحق «مآت» فى منزلك فالاشراف المهيمنون على مرافق البلاد يخشونك . وسيكون الخير فى نادى الملك العاقل الذى لايحابى لان من الداخل « داخل القصر » ينبعث الاحترام للخارج »

والى جانب التبعة الملقاة على الملك بتثبيت العدل مدنيا فان الملك الشيخ يوصى ابنه بما على الحاكم من واجبات هامة فى الهيكل وكيف يتحتم عليه أن يوجه اهتماما خاصا لكل الفروض المقدسة التى يعترف بها اعترافا تاما بارتكانه على النعم الالهية . ومع ذلك فان نفسية الملك لاتبدو من اداء هذه الفروض الخارجية الظاهرة فحسب وليست مراعاتها بضمان كاف للرضى الالهى . لان شخصية المعطى اهم من العطية . وفى كلمة تعبر عن فكرة من اسمى التأملات الادبية المصرية القديمة يأمر الملك الهراكليوبوليسى الشيخ ابنه ان يذكر انه «مقبولة لدى الله فضيلة الرجل البار اكثر من ثور الرجل صانع الشر » وعندما يعتلى الشاب العرش عليه أن يقيم حكمه تبعا للصفات الادبية الداخلية « اعمل البر حتى تثبت على الارض . عز الحزين ، لاتضايق الارملة ، لاتحرم انسانا ارثا تلقاه عن أبيه ، لا تؤذ الاشراف فى مراكزهم . لا توبخ مالم يكن فى التوبيخ فائدة شخصية بل عاقب بواسطة غيرك ولكن بتعقل فيسود النظام هذه الارض ... الله يعرف الرجل العاصى وهو يضرب شره بالدم ... لا تقتل رجلا أنت تعرف قيمته وقد رتلت معه الملفات « فى المدرسة » . والرفق الذى أشاد به بتاهوتب يكرره الملك الحكيم ويؤكد وجوب اتباعه فيستحلف ابنه « لا تكن قاسيا لأن الرفق حسن . ثبت ذكراك بالمحبة ... وسيشكرك الناس لحسن مكافأتك .. مسبحينك على رفقك وحسن معاملتك وضارعين لله ان يحفظك » .

ونذكر ان بتاهوتب كان مهتما اهتماما خاصا بالمستقبل فى هذا العالم بسبب التقلبات والاهواء التى تحيط بالمرء فى مركزه . أما مريكرى فينصحه والده الملك بان يفكر فى المستقبل فى العالم الآخر « ان محكمة القضاة الذين يحكمون على من لا قيمة له — أنت تعرف انهم لا يتساهلون فى ذلك اليوم حين يقضون على الشرير البائس ساعة تنفيذ الكتاب ... لا تطلب طول العمر لأن قضاة العالم الآخر ينظرون الى العمر كساعة والمرء يحيا بعد موته فتوضع أعماله الى جانبه كالجبال . لان الابدية

فى البقاء هناك «فى العالم الآخر» والجاهل الاحمق من لا يفكر فيه - أما من يصله من غير ان يكون قد أتى شرا فسيعيش هناك كاله سالكا مسلك أرباب الابدية «الموتى البررة» . فهذا الملك الشيخ يرى أن حياة الخير هنا كالاساس الذى تقوم عليه الحياة فيما بعد إذ يقول: «تذهب الروح الى المكان الذى تعرفه ولا تحيد عن طريقها المعتاد الذى سارت فيه بالامس» ولا شك فى أنه يقصد بطريق الأمس طريق السلوك القيم . لهذا كان القبر ضرورة فهو يقول : زين مسكنك «قبرك» الذى فى الغرب وجمل كرسيك فى مدينة الموتى كانسان مستقيم و كفرد عمل البر «مآت» لان هذا هو ما ترتكن عليه قلوبهم «قلوب الموتى» .

وأهم ما فى حياة الانسان هو صلته بآلهه سواء فى حياته هذه أو فيما بعد - يمر جيل يتبعه آخر والله الذى يعرف الشخصية قد خبأ نفسه -- وهو يغلب الناس على أمرهم بما يرونه بعيونهم - فليعبد الله على صورته سواء كانت مصنوعة من الحجارة الكريمة أم من النحاس كالماء يستبدل بالماء . ولا يوجد جدول يدع نفسه مختبئا لانه يطغى على سدوده التى تخفيه - وهذه الكلمة المدهشة الصادرة عن مفكر مصرى عاش منذ أكثر من اربعة آلاف سنة هى على ما يظهر مجهود يرمى الى التميز بين الاله ذاته وبين الصورة التقليدية الموضوعة فى الهيكل والتى تحمل على الاكتاف للسير بها وسط المواكب أيام الاعياد ليراها الجمهور - ولكن كما أن النهر يطغى على سدوده فهكذا الله لا يمكن حصره فى حدود الصورة المرئية التى تنخدع بها العيون فى حين ان الاله غير المنظور «الذى كان كالاثير لا يدرك كنهه و كنهر يتدفق فى نهر آخر فيصعب التفريق بينهما - ومن الصعب جدا تتبع أفكار هذا الملك العريق فى القدم ولكن من الواضح ان ما خطه على ملف البردى ان هو الا تأملات عن الاله الشمس يقرب فيها هذا المفكر الحكيم من ادراك وحدة الالوهية - * وهو يعترف بمجموعة من الالهة يجلسون قضاة على الناس فيما بعد الموت . ويبدو انه بهذه الفكرة يبتعد عن قبوله فكرة اله واحد - صاحب السلطة الادبية - كما أن وحدة الالوهية تبدو ثانية خلال هذه التأملات فى الصورة التى رسمها

---

* يقول برستد ان اول من لاحظ هذه الحقيقة هو جاردنر فى ترجمته الجريئة لمحتويات هذا الملف بأكملها وهو يظن بأنه لا يوجد للآن من استطاع ان يدرك حقيقة هذه التأملات العجيبة تمام الادراك .

لنا حكيم هيرا كايو بوليس فى ختامها والتى يصور فيها الخالق الحاكم المحب « فى متناول الناس معين للخير وهم قطعان الله ، هـــو خلق السماء والارض تبعا لرغباتهم ، وارواء عطشهم بالماء وأوجد لهم الهواء ليتنفسوا فيحيوا . انهم أشباهه الذين خلقهم ، وهو يشرق فى السماء حسب رغبتهم ، وقد صنع لهم النبات والحيوان والدواجن والأسماك لغذائهم . هو أهلك اعداءه ، وأدب أولاده بسبب مؤامرتهم على التمرد وجعل النور وفق رغبتهم لـكى يسبح فى السماء ويراهم . اقام حصنا حولهم ، وحين يبكون يسمعهم . وهو الذى هيأ لهم حكاما فى البيضة أى « سبق فرسم لهم أن يكونوا كذلك قبل أن يولدوا » لـكى يكونوا عضد الضعيف »

وعبارة « أهلك أعداءه » تشير الى الاعتقاد الذى كان شائعاً بين المصريين وهو ان الاله الشمس حكم مصر كفرعون أرضى حين تآمر عليه رعاياه فاضطر الى اهـلاكهم . ولهذه الاسطورة ناحيتها الادبية فيما يتعلق بسقوط الانسان عن استحقاقه العطف الالهى . وفيها يعترف تماما بالسلطة الادبية التى للاله الشمس . وفى هذه التأملات يمكننا أن نلتمس مدى المجهود الفكرى عند هذا الملك الحكيم فيما يحاوله لايجاد التوازن بين فـكرته السامية عن المطالب الادبية وبين التقاليد الموروثة القائلة بأهمية الوسائل المادية . فيقول لابنه « اقم تماثيل لاتبلى للاله لانها تديم ذكرى من صنعهـا . دع الانسان يفعل ما هو صالح لروحه : التطهر الشهرى ، لبس الحذاء الابيض والذهاب الى الهيكل ، الـكشف عن الاسرار ، الدخول الى قدس الاقداس وأكل الخبز فى الهيكل . دع التقدمات تتكاثر ، ضاعف عدد الارغفة ، زد التقدمات الثابتة ، لانها نافعة لمن يقدمها . اجعل آثارك ثابتة بقدر ما بين يديك من ثروة لان يوما واحدا قد تجنى من ورائه الابدية وساعة واحدة قد تدوم للمستقبل . فالله يعرف من يخدمه » ويبدو المجهود للموازنة بين الوسائل المادية وبين ضرورة الصفات الادبية فى تلك الكلمة التى ذكرت قبل حين يقول الشيخ « مقبولة لدى الله فضيلة الرجل البار اكثر من ثور الرجل صانع الشر » ومع ذلك فقدم لله التقدمات لـكى يكافئك بالمثل ، زود هيكله بالعطايا وبالملفـات لان هذا هو الذى سيخلد اسمك . لان الله عالم بمن يقدم له »

هنـا اعـتراف تام بقيمة الحياة السامية فى نظر الله الذى لاتـكفى فى نظره العطايا ولا يعدها مغنية عن الشخصية — اعتراف فاق بكثير اسمى ما وصلت اليه المثل العليا فى عصر الاهرام . ومع

ذلك فالتقليد الموروث عن الاجداد خاصا بقيمة الوسائل المادية فى البناء وفى التقدمات لا يزال معترفا به من الملك الشيخ . ولعله لم يكن يدرى أنه كان يستعرض مشكلة لم يكن ممكنا أن تترك دون البت فيها ودون ترجيح كفة على أخرى . ولقد أظهرت الاجيال بقسوة عنيفة غير منقطعة فشل الاعتماد على الوسائل المادية لخير النفس البشرية فى المستقبل «بعد الموت» وكشف سير الزمن بلا شفقة عن انهيار صرح المادية وهكذا بدأت أول ظلال الشك والخيبة السوداء تلبد الجو المصرى الصافى وتملأه ظلمة .

ولقد كان لحكمة هذا الملك المفكر أثرها بعدما سقطت اسرته باجيال . فنحن نسمع صداها فيما سرده أحد أشراف الاسرة الحادية عشرة عن حياته الخاصة فيقول : «اننى سمعت من أفواه الرجال كلمات الحكمة التى يتداولها الفهماء وهى أن فضيلة المرء هى كل مايبقى بعده أما صانع الشر فيمحى أثره» وبعد هذا العصر باجيال نعود فنرى ذكرى نصائح الملك القديم تتردد بنفس الكلمات تقريبا فى سيرة شريفين عاشا لاول عهد الملك سيزوستريس «حوالى سنة ٢٠٠٠ ق م» وجدت مخطوطة فى قبريهما . وكان احدهما شريفا من أعيان أسيوط . وهذا يفتخر بانه «من اولئك الذين يقضون من غير محاباة . لاننى كنت غنيا . وكنت أمقت الكذب ولا أحيد عن طريق الاستقامة» أما سيرة الشريف الثانى فمنحوتة على حجر جميل الصنع لايزال للآن موجودا فى متحف الفن بنيويورك «المعروف باسم متروبوليتان» والشريف ويسمى منتووز يقول «كنت أستمع للمتقاضين واتطلب الحقائق من دون أن أظهر المحاباة لمن يستطيع أن يبذل الجزاء لانى كنت غنيا أرفل فى الثروة»

وهنا نجد ان كلا منهما يحاول ان يبرر الغنى كوسيلة لمعاملة الناس بالحق ولاقامة العدل ولكن فشل الارتكان على الوسائل المادية كان يزداد وضوحا يوما بعد يوم حتى آخر عصر الوحدة الثانية . فلقد كانت هذه الوسائل المادية وحدها هى ما اعتمد عليه ملوك الاسرة الرابعة العظام فشهروا بها الحرب العوان مدى اجيال ضد عوامل الفناء . ولكن كفاحهم عديم الجدوى — كما كانت تشهد بذلك الآثار المتداعية التى كانت لاتزال ماثلة امام عيون الاجيال التى تعاقبت بعدهم . كان الكفاح الذى قام به اكابر الملوك كفاح الجبابرة . يفوق كل قوى البشر . وقد ظل قائما بلا انقطاع مدى خمسمائة سنة . وكان كل مابقى من آثار هذا الكفاح الهائل مجموعة من الابنية المترامية تشغل نحو ستين ميلا

مربعا من الارض وتحجب الافق عن العيون بضخامتها وتراصها . هنالك عند ابتداء الصحراء الغربية امتدت تلك الابنية الشامخة كحصون صامتة على حدود الموت . وكان قد انقضى نحو الف من السنين على الهرم الاكبر منها وانقضت اجيال منذ ان انتهى المهندسون من عملهم الشاق وطووا ملفاتهم ومضوا كما مضى العمال بعد ان نفضوا ايديهم من العمل الذى اتموه . وكان الكهنة الموكلون بامر هذه الهياكل وهذه الاهرام قد تركوها هم ايضـا لان بقاءهم فيها كان معناه هلاكهم اذ انفض عنهم الناس فغادروا الابنية المنيفة والممرات الممهدة الرحبة . وهكذا خيم سكون رهيب موحش على المقابر الشامخة وطغت عليها الرمال وغطت تلك الخرائب التى كانت فيما مضى ابنية شامخة فخمة ، فزالت من امام العيون الاقواس المتداعية والاعمدة الساقطة، وصار المكان كله قاعا صفصفا خربا لا يسمع فيه صوت ولا يرى فيه مخلوق سوى ابن آوى وهو يحاول الاختفاء عن مطارديه . كل هذه الخرائب وما اصابها من اهمال ومن تعثر ابن اوى فيها كانت شهادة ناطقة قاطعة بان العناية بالهة الموت القديمة الحامية للصحراء ضرب من ضروب العبث . والى يومنا هذا لا يوجد منظر أشد روعة من اهرامات الجيزة الشاهقة . ومن السهل على كل منا ان يذكر شتى المشاعر التى تملكته حين رآها لاول مرة .

وكثيرا ما احسسنا بالرهبة والخشوع ولكن هل ندرك نحن العائشين فى القرن العشرين ان هذه المشاعر وهذه الاحساسات كانت هى بعينها التى خالجت خلفاء مشيديها الذين عاشوا بعدهم بقرون قلائل ولم يمض على ذهاب الاسرة الرابعة سوى بضع مئات من السنين ؟ وهل فى امكاننا ان ندرك ان هـذه الاهـرام كانت قديمة بالنسبة لمن عاشوا سنة ٢٠٠٠ ق . م . ؟ ان منظر الاهرام كان عميق الاثر على اذهان المفكرين الذين عاشوا فى آخر عصر الوحدة الثانية . فان كان قد بدأ ظل من الشك يظهر لمن عاشوا فى عصر بناة الاهرام فى الاعتقاد بان الوسائل المادية المحضة هى الوسائل الوحيدة لقهر عوامل الفناء وهى وحدها الكفيله بالحصول على الخلود فان هذا الظل اخذ يقوى ويزداد حلوكة حين تداعت هذه الوسائل المادية وحين صارت الاهرام ومقابرها كتلا من الخرائب يسودها الصمت الرهيب وتتساقط اعمدتها واقواسها دون ان يبالى بها احد . وهكذا اخذ الشك يقوى ويتسلط على العقول ولم يلبث ان تدفق الى الادب .

وانه لعصر ناضج ذلك العصر الذى اخذ فيه القوم يتساءلون فيه عن صحة العقائد التى اعتنقها الآباء ولايرضون بان يتخذوها قضية مسلما بها لا لشىء سوى لان اجدادهم اعتقدوا بصحتها . فهو يعني انهم فكروا مليا فيما تسلموه وبدأوا يشعرون بقوتهم الشخصية وبمقدرتهم على ان يؤمنوا به اولا يؤمنوا • وتفكيرهم هذا هو خطوة واضحة فى سبيل الشعور بالشخصية ومقدرة الفرد على التجديد • ولا يظهر الشك الا بين قوم نضجت حضارتهم — ولا يوجد على الاطلاق بين الاقوام العائشين فى سذاجة الفطرة • اذن فهؤلاء المتشككون المفكرون الذين عاشوا فى نهاية الوحدة الثانية كانوا هم الخلاصة لما انتهى اليه التقدم الفكرى خمسة قرون حاسمة • وتبدو وجهة نظرهم بوضوح انشودة كانوا يتغنون بها فى عيد خاص بذكرى الموتى — وكانوا ينشدونها فى المقابر حين يجتمع كل جماعة حول قبر فقيدهم • ولايوجد سوى نسختين من هذه الانشودة احداهما على ملف بردى والاخرى على جدران قبر فى طيبة . وقد كتبت فى قمة النسخة المخطوطة على البردى هذا العنوان : « الانشودة التى هى فى بيت الملك انتف * الموضوعة امام عنبى المنشد حامل القيثارة »

وانه لمن المدهش حقا ان تكتب هذه الانشودة على جدران قبر خاص بملك من الاسرة الحادية عشرة «حوالى» سنة ٢١٠٠ ق . م وفى استطاعتنا ان نتخيل ونحن نتتبع الانشودة بان المنشد حين كان يغنى كان يقف على مرتفع من الارض ويرفع بصره صوب الاهرام التى كانت تبدو له عن بعد . وهذه هى الانشودة :

انشودة عازف القيثارة

ما اعظم فلاح هذا الامير الصالح

فقد اتمت فيه الاقدار الكريمة قصدها

تمر الاجيال المتعاقبة

تتبعها غيرها

منذ ايام اجدادنا

* يقصد بالبيت المعبد المتصل بالقبر • وانتف هذا احد ملوك الاسرة الحادية عشرة •

الآلهة الذين عاشوا قبلنا
الذين ينعمون بالراحة فى اهراماتهم
الاشراف والموتى الامجاد ايضا
مدفونون فى اهراماتهم •
اولئك الذين بنوا معابدهم
لم يبق لهم من اثر
تأمل فيما حل بمكانهم •
لقد سمعت اقوال أمهوتب وهاردداف
كلمات ذاع صيتها كما تفوهوا بها •
هذه الاماكن الخاصة بهم
لقد تداعت جدرانها
لم يبق منها شيء
كأن لم تكن
لم يأت احد من هناك
ليخبرنا كيف حالهم
ليحدثنا عما أصابوا
ليريح قلوبنا
الى أن نرحل نحن أيضا
الى حيث سبقونا
شجع القلب على النسيان
واملأ سبيل رغباتك بالمرح
طالما حييت

ضع المر على رأسك

والبس ثيابا من التيل الناعم

وانعم بكل أسباب الرفاهية

والكماليات الحقة التى للآلهة

زد فى أسباب استمتاعك

ولاتدع قلبك يتراخى

اتبع رغبتك وما فيه خيرك

رتب أحوالك على الارض

تبعا لما يمليه عليك قلبك

الى أن يأتى يوم الندب

حين لا يسمع ذو القلب الصامت بكاءهم

ولا يصغى ساكن القبر للعويل

اعط اليوم السعيد حقه من المرح

لا تتراخ فيه

فهو ذا لا يأخذ انسان ممتلكاته معه

ولا يعود أحد ممن يذهبون هناك

تلك هى المشاعر التى جاشت فى صدور بعض المفكرين من المصريين الذين عاشوا فى ذلك العصر الجديد حين كانوا يبصرون مقابر اجدادهم الهائلة ويتأملون هول الفشل الماثل امامهم فى اهرام آبائهم . وحتى اسماء رجال الحكمة والفكر امثال امهوتب وهارددف خطرت على بال المنشد لانهم نالوا بحكمتهم خلودا يفوق الخلود الآتى عن طريق المقابر المادية الهائلة - ولم تكن صدفة أن يكون اسم امهوتب أول اسم ذكره المنشد - وامهوتب هـذا اول من شيد بناء شامخا من الحجر فهو أبو المهندسين البنائين . ولانه كان مهندس الملك زوسر «سنة ٣٠٠٠ ق ٠ م ٠» فقد اقام لاول مرة

صرحا باذخا هو اقدم ما بناه الانسان من الحجر الصلب وما بقى لنا من العالم القديم وهو الهرم المدرج بسقارة • وكانت شطرة لها رنة خاصة تلك التى عادت بمنشدها الى ذكر قبر ذلك المهندس العظيم فوجده متداعيا زالت معالمه كأن لم تكن • والواقع أن قبر امهوتب لا يزال مجهولا حتى يومنا هذا. اما هارددف فكان احد ابناء الملك خوفو وهو بذلك ذو صلة بالهرم الاكبر ولان ذكرى هذين الرجلين بقيت لما عرف عنها من الحكمة والمعرفة فقد اتخذت هذه الحقيقة دليلا آخر على عجز المسائل المادية كوسيلة للخلود • ولكن تبدو فى الوقت نفسه رنة من الاسى والتأمل العميق فى تلك الكلمات التى يقول فيها المنشد انه لا يستطيع معرفة ما أصاب الراحلين لانه لم يعد واحد منهم ليخبره بما هنالك — رنة يمكن سماع صداها فى الشرق بعد انقضاء ثلاثة آلاف من السنين فى الابيات التى قالها عمر الخيام وهى :

«غريب — اليس كذلك؟ ان من الملايين

الذين جازوا أبواب الظلمة قبلنا

لم يعد واحد ليخبرنا عن الطريق

الذى يجب أن نجتازه بانفسنا لينكشف لنا »

وهذا تشكك فى كل الوسائل مادية او معنوية للحصول على الخلود • وليس لهذا التشكك من جواب انما الجواب الوحيد هو اطراح الشكوك جانبا موقتا والتنعم بما فى العالم من ملاذ وشهوات تطغى على الشكوك فتغرقها • ولذلك «فلنأكل ولنشرب لاننا غدا نموت •»

اما النسخة الثانية فتوجد فى قبر «الاب الالهى كاهن امون — نفرهوتب» فى طيبة • ولكنها اقل روعة من الاولى وهى لسوء الحظ ناقصة • ولكن بها بعض شطرات لها قيمة خاصة وبها تأملات عن باطل الغنى كأنما اراد كاتبها ان يتوسع فى الفكرة التى بدت فى النسخة الاولى القائلة بانه «لا يأخذ احد ممتلكاته معه» والمال لا قيمة له لان النهاية واحدة «لاولئك الذين كانوا يمتلكون المخازن وينفقون عن سعة على موائد التقدمة ، ولاولئك الذين لم يكن لهم مثل هذه النعم» لذلك ينصح الغنى بان «يذكر اليوم الذى سيحمل فيه الى حيث لا يعود» — «فاتبع هوى نفسك»

ومغنى الانشودة طبقا لهذه النسخة لايجد مخرجا له من التأمل فى الموت ولكنه يشير الى انه من الخير على اية حال ان يترك الانسان ذكرى حسنة بعده — ليس لان عمل الخير يؤدى الى اية منفعة فى العالم الآخر بل ليبقى اسمه فى اذهان من يأتون بعده • فالحياة الادبية التى يحتمها «الاله العظيم» الذى لامفر من قضائه فيما بعد — هذه الحياة الادبية وكل مايأتى عنها من خير فى عالم الموتى كنتيجة طبيعية لها لاذكر لها على الاطلاق فى ذهن هذا المتشكك . وهو يتجاهل الآلهة ولا يذكر الا الاله الشمس «رع او اتن» الذى يظهر اسمه حتى فيما يتعلق بالمومياء حين يخيل لنا ان اوزوريس هو الذى يجب ان يذكر . فالانغماس فى الملذات والذكرى الحسنة هما خلاصة ماينادى به اولئك المتشككون الذين تركوا تعاليم الآباء .

ولاشك فى ان السلوك الادبى كان موضوع تأمل عميق منذ عصر «قصة ممفيس» ولكن لم يكتسب المصريون المقدرة على الاختلاء بانفسهم للتأمل والحكم الا بعدها بالف سنة فى العهد الاقطاعى حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م . حين استطاعوا لاول مرة ان يبينوا المجتمع كوحدة فاصبح محلا للتأمل وبعد التفكير • وكانت نتيجة هذا التأمل وهذا التفكير العميق للبعض منهم تشاؤما لا ينفذ اليه شعاع من الامل . الم تكن شخصية المجتمع كوحدة قد بلغت من الشر ابعد الحدود حتى ان العمل على اكتساب حسن الذكر كان اقل قيمة مما تخيله المنشد عازف القيثارة ؟ ثم ماذا يكون الحال لوفرض ان لطخ اسم الفرد بعار من غير ماذنب اقترفه ؟ ولو فرض انه لم يكن فى مقدوره ان يدفع عن نفسه هذه التهمة الباطلة ؟ — ثم لوفرض ان المرض أوالضعف اقعده فلم يستطع أن يسترسل فى اشباع رغبات نفسه وميولها ؟ هذه الحالة وماتفترضه هى بعينها ماتصوره لنا احدى الملفات البردية التى لا تزال محفوظة للآن فى متحف برلين . وربما كان هذا الملف أدهش مخلفات ذلك العصر السحيق . ويمكننا أن نسمى ما فيها بانه « نجوى متشائم الى روحه» ولو أن الاقدمين لم يضعوا لها عنوانا . والموضوع العام فيها هو اليأس الناتج عن حالة المجتمع — يأس لا سبيل الى الحياة معه ولا منقذ منه الا الموت . ولا حاجة الى الاشارة بما يثيره الكلام فى هذا الموضوع فى ذلك العصر السحيق من دهشة وعجب — لان الموضوع هو فى الواقع يتعلق بحالة

نفسية ، أو هو اختبار داخلى لنفس معذبة تتألم ظلما . فهو اذن أقدم رسالة أدبية تصف اختبارا نفسيا .

ولسوء الحظ أن المقدمة التى تصف الظروف المؤدية الى هذه الثورة النفسية قد ضاعت — فالكتاب اذن ينقصه التمهيد ولكن يمكن استخلاص بعض الحقائق (التى لا شك أننا كنا نجدها فيه لو أننا عثرنا عليه) من التأملات عينها . ولا يعرف اسم المؤلف — ولكنه يبدو لنا رجلا رقيق النفس أصابته المصائب وتوالت عليه المحن . مرض فهجره اصدقاؤه بل هجره أخوته الذين كان يجب عليهم العناية به . ولم يبرهن له احد عن الاخلاص لانه وهو فى محنته سرق جيرانه ماله ونسى الجميع ما كان قد فعله من خير . ومع أنه كان حكيما فصيح اللسان الا انه زل حين حاول الدفاع عن نفسه . ثم حكم عليه ظلما وعدوانا فصار اسمه مضغة فى الافواه بدلا من أن يكون محل الاجلال والاكبار . وفيما هو على هذه الحالة من اليأس والقنوط تراءى له شبح الموت فعول على الانتحار . وهنا يبدأ الجزء الذى لا يزال باقيا . فنراه وهو واقف على حافة القبر وقد تراجعت روحه هلعا من روعة الظلمة فيما بعد ورفضت أن تتبعه . وفى محاورة طويلة بين الرجل وبين روحه اخذ الرجل يناقش روحه ويحاجها كأنما هى شخص آخر . وأول ماتبديه روحه من المخاوف هو ارتياعها من كونها قد لا تجد قبرا تسكنه بعد الموت . ومن الغريب أن نذكر هذه المخاوف مع أن هذا الرجل كان ضمن من يتشككون فى فعل الوسائل المادية . ولكننا لا نلبث أن نكتشف أن هذه المخاوف انما ذكرت كوسيلة ادبية لاثبات تفاهة الوسائل المادية تفاهة تامة ويظهر ان الروح قد افترضت الانتحار حرقا ثم تراجعت من هول هذه النهاية . وبما انه لن يوجد صديق أوقريب ليقف على القبر ويقوم بالمراسيم الدينية للدفن فقد استحلف المتشائم روحه لتؤدى له هذه المهمة . وهنا ترفض الروح الموت بأية وسيلة وتصف اهوال القبر . «فتحت روحى فاها واجابتنى قائلة « ان انت تذكرت الدفن انه حزن ، انه مجلبة للدموع وللألم ، انه اخذ الانسان من بيته والقاؤه فوق المرتفع « الجبل حيث القبور » فلا تعود تصعد الى المرتفعات لترى الشمس . اولئك الذين يبنون بالجرانيت الاحمر ، الذين يقيمون المقبرة داخل الاهرام ، اولئك الحسان داخل هذه الأبنية الجميلة الذين صاروا كالآلهة ، ان موائد تقدماتهم اصبحت خاوية كموائد المتعبين الذين يسقطون

على قارعة الطريق لفرط الارهاق كموائد اولئك الموتى الى جانب القنوات فجرفتهم المياه بعد ما قتلهم الحر والتهمهم السمك . اصغ لى — لانه من اللياقة ان يصغ المرء — اتبع هوى نفسك وانس الهم . »

تلك اذن اجابة النفس حين تنظر الى الموت وفقا للتقاليد . فيؤكد المتشائم أنه «سعيد من يرقد فى اهرامه . ويقف الى جانب تابوته قريب» ويلح فى الطلب الى روحه بان تكون « الذى يهتم بدفنى ويقدم التقدمات عنى ويقف على قبرى ليعد لى مرقدى . » ولكن روحه تعود فتذكره بالاهرام المتداعية والخرائب التى اصبحت كل ما بقى من مقابر العظماء كما تذكره بالاهمال الذى صار نصيب هذه المقابر وبخلو موائدها من التقدمات كموائد البؤساء الذين يسقطون كالحشرات وهم يشتغلون باقامة السدود فوق القنوات . ولا يوجد سوى حل وحيد : هو الحياة ونسيان الهموم واغراقها فى الملذات .

والى هذه المرحلة لاتتعدى هذه القطعة الادبية مافى غيرها من التأملات . ولكنها بعد ذلك تختلف عن كل ما سبقها . فيحاول المتشائم ان يثبت ان الحياة اقل احتمالا من الموت وابعدما تكون عما يتوهمه البعض من انها مسرح للملذات وهو لكى يثبت صحة مايقول يكتب اربع مقطوعات من الشعر موجهة الى روحه وهذه المقطوعات هى الجزء الثانى من الرسالة وهى لحسن الحظ اكثر وضوحا من الجزء الاول . فى المقطوعة الاولى يصف احتقار الناس لاسمه ويستعين فيها بتشبيهات مختلفة مأخوذة عن الحياة اليومية لتوضيح مايقول . اما فى المقطوعة الثانية فهو ينسى نفسه ليصف اولئك المسئولين عما اصابهم من شقاء — وهو اذ ينظر الى المجتمع فى عصره لايرى سوى الفساد والمكر والظلم والخيانة حتى من اقربائه . وانها لتهمة رائعة تلك التى يوجهها إلى المجتمع وهو اذ يتفوه بها يسائل نفسه مرة بعد اخرى : «إلى من اتحدث اليوم ؟» ولاشك انه يعنى بذلك « اى نوع من الناس اولئك الذين اتحدث اليهم ؟ » وفى كل مرة يكون الجواب على هذا التساؤل اتهاما جديدا ثم ينتقل فى المقطوعة الثالثة الى امتداح الموت ولكنه لا يبلغ فى وصف ذلك الذروة التى بلغها افلاطون فى وصف موت سقراط ، ولا هو يقرب من تلك الشكوى المريرة التى

يتفوه بها ايوب فى ألمه ، ولكن هذا الشعر بوصف كونه اقدم تأوه من انسان يتألم ظلما ، وكأقدم صرخة للبرىء يتردد صداها على مر الدهور من ذلك العالم القديم هو قطعة رائعة من الادب لها قيمة منقطعة النظير ، لا تخلو من جمال ومن رقة تثير الشفقة والالم . ومن المدهش انه لا يذكر اسم الله فيها وانما يتغنى بالخلاص من كل ما فى هذا العالم من ألم لا يحتمل — ينسى الماضى ولكنه لا يمتد ببصره الى المستقبل . وهو صورة حقة للعصر وللبلد الذى كتبت فيه . لان كل ما فيها من صور مأخوذة من الحياة على ضفاف النيل فى ذلك العهد . وعلى الرغم من ان ما فيها من صور مأخوذ من عالم بعيد غير مألوف «الى حد ما» فانها للآن تؤثر فى نفوس قارئيها تأثيرا بليغا .

اما فى المقطوعة الرابعة فيتجه المتشائم صوب المستقبل الذى تجاهله تماما فى الثالثة . وهو يبدأ كل جزء منها بكلمات «ذاك الذى هناك» او «اولئك الذين هنالك» ويعنى بها الموتى . «فذاك الذى هنالك» سيصير هو نفسه الها «وسيوقع العقاب على الشر وصانعه» لا على البرىء كما فى هذه الحياة و «ذاك الذى هنالك» سيقلع مع الاله الشمس فى زورقه السماوى وخير التقدمات ستقدم الى الآلهة بدلا من الاسراف فى تبديدها على الحكام الفاسدين اللصوص . «ذاك الذى هنالك» سيحترم لحكمته وسيوجه تظلمه للاله الشمس نفسه الذى سيمنحه الفرصة يوميا لبث شكواه .

وكان المتشائم قد ابدى ثقته فى انه سيبرر فيما بعد وهو يعود الى هذا الاعتقاد فى المقطوعة الرابعة التى يختتم بها رسالته العجيبة . فهو اذن ينتهى الى نتيجة شبيهة بتلك التى انتهى اليها ايوب وهى استئناف بث شكواه الى الحاكم العدل ليتبرر مما علق به من تهم . ولكنه لم يتفق وايوب فى كون ايوب قد صبر اما هو فقد عول على الانتحار . وهو قد عول عليه لانه وجد ان الموت هو الخطوة التى لابد من اجتيازها للوقوف فى ساحة العدل وهو لذلك مرغوب فيه باقصى سرعة .

وهكذا ترضى روحه ان تقبل على الانتحار لانها تتوق الى الخلاص واثقة كل الثقة بما سينالها من مزايا بعد الموت — وهكذا يجوز المتشائم الظلال وينتقل ليكون مع «اولئك الذين هنالك» . ولا يسعنا الا الشعور بشىء من الاسى عند مراقبة هذا المجهول يعبر من عالمنا الى العالم الثانى وتغطيه حجب الجلال . فان روحه هى اقدم روح بشرية استطعنا ان نلمح قبسا من خفاياها الداخلية وبيننا

وبينها اربعة آلاف سنة .

لقد كان رجال العهد الاقطاعى يتبارون فى اقتناء هذه القطع الادبية فالملف الذى خطت عليه هذه الرسالة هو الملف المحفوظ الآن بمتحف برلين وقد كتب فى آخره « انتهت من البداية الى النهاية كما وجدت فى المخطوطات » فكاتبها قد نقلها بلا شك عن ملف أقدم . ولا شك أيضا فى أنه كانت توجد عدة نسخ غيرها فى مكاتب المفكرين فى ذلك العصر . ولقد نشأت قصة المتشائم من اختباره الفردى الذى كان يعبر عن حقيقة الحالة المضطربة المؤلمة المحيطة به . ولأن كثيرين غيره أحسوا بنفس مشاعره وعرفوا اختباره شخصيا فانهم كانوا يرتاحون الى قراءة ماخطه والتفكير فيه . وهذه خطوة حاسمة فى التقدم البطىء صوب الشعور بالنفس وهو تقدم أستغرق أجيالا حتى انتهى الى قيام الفرد كقوة أدبية ذاتية وحتى تحول الفرد فاصبح فى مقدوره ادراك معنى الضمير وجعله المحكمة العليا التى يرجع اليها فى الحكم والتى بها يستطيع أن يواجه المجتمع ويتهمه ويقضى عليه . وموقف هؤلاء الرجال المفكرين هو موقف من يشعر بعظم المسئولية الادبية للفرد وللمجتمع . وهو موقف نستطيع نحن الآن أن نفهمه ونستسيغه لكثرة من توالوا علينا من الانبياء والرسل . ولكن الاختبار البشرى لم يكن قد أبرز مثل هؤلاء الرسل عند قيام العصر الاقطاعى فى مصر منذ اربعة آلاف سنة . فظهورهم على ضفاف النيل اذ ذاك كان فاتحة عصر جديد للبشرية — عهد يفسح المجال للفكر البشرى والمسئولية الأدبية .

وقصة المتشائم ولو أنها قصة اختبار فردى الا أنها تناولت فحص المجتمع الذى كان ضعفه ونقصه سببا فى كل ما اصاب هذا المتشائم من بلايا . ونحن نجد أن المفكرين من المصريين كانوا يجدون لذة عظمى فى التغنى بالمثل العليا للسلوك — ونجد أن هذا التغنى قد بلغ مرتبة سامية فى حكم بتاحوتب ومنها الى نصائح مريكرى . ولكن هؤلاء المفكرين مع سمو ما تغنوا به من المثل لم يكونوا ليقفوا قليلا كى يقارنوا بين نظرياتهم النبيلة وبين الواقع . ففى « نصائح مريكرى » نجد كلمة « ثور صانع الشر » ونرى الاشارة الى تكديس خطايا المرء فتصير كالجبال الى جانبه عند الدينونة . ولكن لا نجد أى ادراك لانحطاط المجتمع . فنحن اذن فى هذا العصر « سنة ٢٠٠٠ ق.م. »

قد وصلنا الى مرحلة بدأ الحكماء يدركون فيهاهول الفرق بين المثل التى توارثوها عن أجدادهم وبين الحقيقة المروعة المحيطة بهم . وهم أيضا قد بدأوا يظهرون اهتماما جديد بانحطاط المجتمع الذى يعيشون فيه ومقدرة على التأمل فى أعماله وادراك اخطائه ، وهذا كله يصبح موضوعا للكتابة ولو انها كتابة التشاؤم — فى هذا العصر العجيب ، عصر نما فيه الادراك الشخصى ودب فيه دبيب اليأس والخيبة لاول مرة فى تاريخ البشر

وقد عاش فى هذا العصر كاهن من كهنة هليوبوليس اسمه كيكيبرى سونب عبر عن تأملاته القائمة فى رسالة كانت لا تزال متداولة بعده باجيال حين نقلها كاتب فى عصر الاسرة الثامنة عشرة على لوحة لا تزال للآن فى المتحف البريطانى . وهى شيقة لانها ترينا كيف ان رجال ذلك العصر البعيد كانوا شاعرين بانهم بدأوا ينتهجون سبلا جديدة فى التفكير وانهم حادوا بعيدا عن عدم المبالاة والقناعة البادية لهم فيما كتبه آباؤهم . وكاهن هليوبوليس يبدأ حديثه كما يلى : « ليت فى مقدورى ان اتفوه بكلمات مجهولة وأتحدث باقوال غريبة ، أو بالاصح ليت عندى لغة جديدة لم تتردد على المسامع من قبل ، خالية من التكرار ، بدلا من هذه الكلمات التى طالما ترددت وتحدث بها الاقدمون . . . لقد تكلمت وفقا لما رأيت مبتدئا بالرجال الاول ثم الى من جاء بعدهم . – لقد سقط البر وقام الظلم وسط قاعة المشورة ، واعتدى على مشاريع الآلهة وأهملت مطالبهم . فالبلد فى شقاء ، الحزن فى كل مكان ، المدن والاحياء الواسعة كلها فى نحيب ، الجميع على السواء سقطوا تحت الظلم أما حرمة الاشياء فقد ديست . . . . حين أهم بالكلام أشعر بان نفسى ثقيلة من الحزن . أنا متألم لقلبى اذ يحزه الصمت . ولو انه كان قلب انسان آخر لانحنى امام العاصفة وصمت . أما القلب الشجاع فهو رفيق صاحبه . ليت لى قلبا فى امكانه الالم فحينئذ كنت أرتاح اليه .. تعال اذن ياقلبى اتحدث اليك لتفسر لى ماذا هى البلاد .. أنا غائر فى تأملاتى لما أصابها . تتوالى المصائب اليوم ولاتنقشع غدا . الجميع واجمون والبلاد كلها فريسة الفوضى . لا يوجد انسان واحد خال من العيب — بل الجميع اخطأوا . القلوب واجمة . وصاحب الأمر تساوى مع من يأمره وقلب كليهما قانع . يستيقظ الواحد منا يوميا للألم والقلوب لاتلقيه خلفها . وما كان بالامس يتجدد اليوم .. لايوجد حكيم الى حد الادراك ولاغاضب الى حد الكلام . ما أشد ما أعانى . والفقير ليس

له قدرة على تخليص نفسه ممن هو أقوى منه . وما أشـــد الألم فى الصمت ولـكن فى التحدث الى الجاهل ما هو أمر ..»

هنا اذن انسان هزه فساد مجتمعه هزا عنيفا . وهو يتأمل فى هذا المجتمع كوحدة ومع أنه يعبر عما فى نفسه من ألم لما يواجهه من فوضى الا أن ألمه ليس بالهم الوحيد . وهو مشغول البال آلم للمجتمع الذى يعيش فيه — ذاك المجتمع الذى يرسف فى قيود الضعف والخمول ولا يستطيع ادراك مدى بؤسه وشقائه . وليس فى مكنته أن يعمل ليتجدد . وكثير من تأملاته يمكن أن نسمع صداها فى افواه المفكرين الآن ممن رق احساسهم الادبى . فمن الظاهر اذن أن الناس كانوا فى ذاك العصر قد وصلوا الى مرحلة بدأوا يشعرون فيها لأول مرة فى تاريخ البشرية بعظم اخطاء المجتمع وبانحطاطه الادبى .

ووجهة هؤلاء المفكرين ترجع الى حد ما الى نمو الادراك الادبى نموا مطرداً . ولكن هناك عوامل أخرى ساعدت على حدة خيبتهم . لقد تأثر أولئك الرجال تأثراً عميقاً بتأملاتهم فى حياة البشر هنا وفيما سيقدر لهـا بعد الموت . وقد لاحظنا من قبل شيئا من أسى الخيبة التى انتابتهم حين اكتشفوا بأن الوسائل المادية المحضة تافهة لاتضمن السعادة النفسية فى العالم الآخر . هنا اذن تقليد قديم غائر فى القدم حتى انهم لايستطيعون تحديد منشأه — تقليد من تقاليد الآباء تداعى وانهار فجرف معه كل شعور بالطمأنينة وبالثقة فى العالم الآخر . وربما كان من جراء ذلك أن الثقة فى حـكمة الاولين والركون اليها ركونا أعمى لم يعودا فى الامكان . فان كان هذا هو اختبارهم نحو ما تسلموه عن الآباء فيما يتعلق بالحياة الثانية فان تزعزع ايمانهم زاد اضعافا لما رأوه فى هذه الحياة . فلقد دام مدى الف من السنين نظام قومى ممثلا فى فرعون واسمه ماآت « الحق — العدل — البر » ولـكن هذا النظام أصابه الخلل . فنجد الشمال منقسما على الجنوب والملك الشيخ فى نصائحه لابنه مريكرى يبدى مخاوفه من هجوم الاغراب ويؤكد ضرورة حمـاية الشمال . وبالتدريج تداعت القوة المنظمة التى دامت هذه القرون الطوال واكتشف الطامعون من الاجانب مواضع الضعف فى الامة التى كانت عظيمة قوية فاخذت جموعهم تنهال كالسيل على الدلتا من آسيا فى الشرق ولوبيا فى الغرب — وسارت الفوضى فى اثرهم فتم الخراب . وربما كانت هذه الحالة المحزنة هى التى يصفها كاهن هليوبوليس فى مراثيه

أما فلسفة التفاؤل الهادئة التى نجدها في حكم بتاهوتب فقد سقط عليها ظل كثيف من التشاؤم، ازدادت كثافته لسببين الاول ضياع الامل نهائيا فى الحياة بعد الموت المؤسسة على عمدة الوسائل المادية ، والثانى أن النظام الادبى الادارى الذى دام الفا من السنين والذى كان الاساس لكل مجهودات المجتمع ، هذا النظام الذى خيل للجميع أنه دائم الاستقرار تداعى وانهار . فسقط الامل فى هذه الحياة وفى الحياة الاخرى تحت الانقاض وعمه ظلام دامس خيل لكاهن هليوبوليس ولغيره من المفكرين ان الاله الشمس نفسه لن يستطيع أن يبدده . ففي خلال ألفين من السنين من الحياة القومية المنظمة أقام الناس مقاييس خالوها دائمة لاتتزعزع وتلك المقاييس التى قدروها وسموا بها كانت أول ما جرفه التيار . فكان ذلك العصر الذى ضاعت فيه هذه المقاييس المثلى هو أقدم عصر للشعور بالخيبة والقنوط واليأس . وهذا الانهيار التام لكل الآمال البشرية السامية وكل الطموح قد حدث عدة مرات فى التاريخ منذ ذاك العصر البعيد . وكان آخر حدوثه فى السنوات التى أعقبت الحرب الكبرى . ترى هل كان الحزن والعويل هما كل ما وجده اولئك المصريون المفكرون حين اسودت الدنيا فى عيونهم وضاقت بهم ؟ انه لمن الشيق حقا لنا نحن الذين لانزال نحارب الفساد وسوء النظام فى هذا العصر أن نتتبع أفكارهم وشجاعتهم فى مجابهة تلك الكارثة الاولى التى دهمتهم منذ أربعة آلاف سنة وكانت أول كارثة فى تاريخ البشرية .

ايريس حبيب المصرى

فى الحياة والعمل

بقلم سلامه موسى

حرية المرأة

خطة الاكتفاء الوطنى الاقتصادى

تقييد الاعمال الحرة

الكساد العام يتفاقم

تصميم كتاب يجب أن يؤلف هذه الايام

حرية المرأة

فى هذا الشهر — اكتوبر — احتفلت كلية أوبرلين فى الولايات المتحدة بمرور مائة سنة على تعليم الفتيات . ففى سنة ١٨٣٧ دخلت هذه الكلية أربع فتيات وشرعن فى تلقى المحاضرات على قدم المساواة مع الشبان . وكان المألوف من قبل أن تتعلم الفتيات مواد خاصة كان يزعم المربون أنها تليق للنساء

ومن هذا الخبر نفهم أن حرية المرأة حديثة حتى فى أوربا وأمريكا . فان التفريق بين الجنسين فى التعليم — وهو أعظم مايدل على اختلاف النظر بين القادة والساسة بشأن المرأة والرجل — كان إلى وقت قريب عاما . بل هذه الحرية نفسها ليست قائمة على أسس ثابتة كما رأينا من دعاوى الفاشيين فى ايطاليا أو الاشتراكيين الوطنيين فى ألمانيا . وصحيح أن هذه الدعاوى لم تجد الاستجابة العملية بين الألمان أو الايطاليين الذين يعلمون فتياتهم التعليم الجامعى ويفتحون لهن أبواب الارتزاق فى جميع الأعمال الحرة . ولكن هذه الدعاوى تدل على أن النظر الشرقى للمرأة لاتزال فيه بقية من الحياة — ولو كانت حياة ضعيفة — فى أوربا

وهذا النظر الشرقى لايزال مخيما علينا فى مصر . وهو ليس خطراً على حرية المرأة وحدها بل على حرية الرجل . على حريتنا جميعاً . لأن أعظم تقاليد هذا الشرق هو حكم الفرد أى الحكم الاستبدادى واستعباد المرأة . فالشرق لم يعرف فى تاريخه قط الحكم البرلمانى والنظام الديمقراطى كما أنه لم يعرف حرية المرأة . بل أن بعض الأقطار الشرقية حتى عند ماتأخذ بأساليب الحضارة الحديثة الأوربية مثل اليابان تستبقى من شرقيتها استعباد المرأة . وكلنا يعرف أن الاب الذى يستخدم أحدث الآلات فى مصنعه يتجر بعرض ابنته ويبيعها للبغاء . وهذا بالطبع يرجع إلى هوان المرأة عند اليابانيين الشرقيين

وليس بعيداً أن نفقد نحن الرجال حريتنا اذا ساد الأمة هذا النظر الشرقى . ففى مدة المرحوم

الملك فؤاد رأينا محاولات متكررة لهدم النظام البرلمانى رغبة فى الاستئثار بالحكم . وليس بعيداً أن نرى هذه المحاولات تتجدد . كما رأينا أيضاً محاولات لهدم حرية المرأة أو تقييدها بدأت قبل سنتين أو ثلاث بالفصل فى شواطىء الاستحمام بين الجنسين وانتهت بالمطالبة بالفصل بينهما فى كليات الجامعة. وهذه الحرية التى نلناها نحن الرجال والنساء لا يمكن أن تصونها الا اذا سهرنا عليها فى يقظة وانتباه . وأحسن الوسائل لصيانتها أن ندأب فى المطالبة بزيادتها فاننا كسبنا تعليم المرأة فلنحاول أن نكسب زيادة حقوقها الاقتصادية بأن نطالب الحكومة بفتح أبواب العمل لها على قدم المساواة مع الشاب . وكذلك يجب أن نحثها على الاقبال على العمل الحر لكى تتكسب . وعندما نقول أننا نريد من المرأة أن تتعلم وتتكسب لا نعني أنها يجب أن تؤثر العزوبة على الزواج . فان الشاب يتكسب ويتزوج وكذلك الفتاة قد تتكسب ثم تتزوج . وهى بعد الزواج قد تستمر فى التكسب او قد تجد من مشاغل البيت ماهو أهم وأدعى لاستئثار نشاطها

ولكن الفتاة يجب أن تتعلم لكى تعمل عملا مجديا للامة ولنفسها . وذلك لكى تتكون شخصيتها الانسانية التى يجب أن تكون أهم من كل شىء عندها . ونحن الرجال لا تتكون لنا الشخصية الا بمقدار ونوع العمل الذى نعمله وبمقدار اختلاطنا بالناس واصطدامنا بالحياة أفراحها وأتراحها . ولو كنا نعيش بالبيت بلا عمل لركدت أجسامنا وعقولنا ركود الترهل والموت الذى نراه فى بعض النساء السمينات اللاتى لا يستطعن الحديث الاعن القيل والقال. وقبل أيام رأيت مجلة أنشأتها سيدة مربية فوقع نظرى فيها على اعلان للمفتقة والحلبة وسائر العقاقير المسمنة

فهذا هو النظر الشرقى الذى انحدر الينا بالتقاليد والذى كاد يصبح جزءا من مزاجنا القومى وهو مزاج يجب أن نكافحه فى أنفسنا وفى غيرنا . فلا نكف عن تثقيف المرأة جسمها وعقلها ولا نكف عن تعليمها على قدم المساوة بالرجل كما يجب أن نعلمها حرفة تعيش منها لكى تتكون شخصيتها الانسانية

وأخيرا أقول للشاب أنه يجب عليه أن يساعد زوجته على أن تتكون ذات شخصية انسانية جليلة . وذلك بأن يشركها فى جميع علاقاته الاقتصادية والاجتماعية وأن يكلفها التكاليف التى تشعرها بالواجبات والمسئوليات المختلفة حتى تنمو معه نموا ذهنياً واخلاقيا واجتماعيا . ويجب أن نصرح بان الواجبات المنزلية لا تكفى لهذا النمو

خطة الاكتفاء الوطنى الاقتصادى

فى تلغراف من رومه ان السنيور موسلينى قد افتتح السنة الثانية من خطة «الاكتفاء بالنفس» فألقى خطبة قال فيها انه يجب أن تصبح ايطاليا وحدة اقتصادية تكفى نفسها. وفى الاجتماعات التى عقدها قرر مقدار الطعام الذى ينبغى لايطاليا أن تستورده من الخارج

وفى تلغراف آخر من رومه ان الدوائر الاقتصادية قد ارتاحت لحصول القطن فى ايطاليا الذى لايقل جودة عن أصناف القطن الاجنبية خصوصاً نوع «السكلاريدى» وقد اتبعت نظاما جديداً لتنمية هذه الزراعة وابلاغ المساحة المزروعة قطنا الى مائة الف وخمسين الف هكتار بمتوسط ثلاثة قناطير ونصف قنطار للهكتار الواحد. وسيكون فى استطاعة ايطاليا انتاج ٤٥٠ ألف قنطار قطن سنويا والاستغناء قريبا عما تستهلكه من الخارج

ولهذين الخبرين تأثيرهما الكبير فى محصولاتنا. ولكن يجب أن يكون لهما أيضا المغزى المفيد فى توجيه خططنا الأقتصادية. فان «الاكتفاء الوطنى الأقتصادى» وما يسميه الأوربيون «الاوتارخية» هو خطة قد اتبعها معظم الامم. وكانت المانيا صاحبة الدعوة الكبرى فيها إذ هى التى دعت المصانع الى الاستغناء عن المواد الخامة الاجنبية باستعمال كل ما يمكن استعماله من المواد التى تنتجها الارض الالمانية

وعلى هذا المبدأ صار البترول يصنع من الفحم الألمانى. وصار الكئول المستخرج من المصانع الألمانية يستخدم وقوداً للاتومبيلات. وصار الكوتشوك الكيماوى يأخذ مكان الكوتشوك الطبيعى المستورد من جاوة وسومطرة. وكثرت مصانع الريون والصوف الكيماويين للاستغناء بهما عن واردات القطن والصوف والحرير. بل المعادن نفسها قد صار الألمان يمزجون بينها لايجاد المتانة المطلوبة حتى يستغنوا عن واردات المعادن الأجنبية. وأدعى الى الاعجاب وان لم تكن له القيمة الاقتصادية الكبرى التى لغيره هو استخراج السكر من الخشب

وعجيب حقاً أن يعمد هذا الشعب الألمانى الى استغلال ضائقته وعجزه عن شراء المحصولات الأجنبية فيخترع المواد التى تغنيه عنها ويستخدم ذكاء أبنائه ومهارة علمائه فى هذا السبيل

وكذلك فعل الايطاليون وان لم يذهبوا الى المدى الذى بلغته ألمانيا . وهذان الخبران اللذان نقلناهما فى أول هذا المقال يدلان على أن ايطاليا دائبة فى خطة الاستغناء عن الواردات الأجنبية وعلى أنها تنوى الاحتفاظ بالنقد الايطالى حتى لايذهب الى الأقطار الأجنبية ثمناً للبضائع الأجنبية . وايطاليا لاتزرع القطن فقط بل هى أيضا تؤسس مصانع الريون أى القماش الكيماوى ولها أكبر عدد من هذه المصانع بعد المانيا

وما أحرانا بأن نفتح أعيننا لهذه الظاهرة الاقتصادية . فان مما لاشك فيه أن كثيراً من الاقطار الكبرى ستتجه هذا الاتجاه وستبذل أقصى جهودها للاستغناء عن المحصولات الاجنبية اما باستنتاج هذه المحصولات نفسها فى ارضها . كما فعلت روسيا وايطاليا وتركيا واليونان وبرازيل بزرع القطن واما بالاستغناء عنه باقامة المصانع الكبرى لايجاد الريون وما اليه من الأقمشة الكيماوية . وعلى هذا يجب أن ننتظر التقهقر المتوالى لمحصول القطن المصرى . ويجب أن نقاوم هذه الظاهرة بانشاء مصانع الغزل والنسيج فى بلادنا لكى نستهلك منه أقصى ما يمكننا . وفى الوقت نفسه يجب على الحكومة والأمة أن تسعيا لتحقيق ما يمكن تحقيقه من خطة «الاكتفاء الوطنى الاقتصادى» ونحن لانجهل أننا مهما جهدنا فاننا لن نبلغ شيئاً عظيما فى الوقت القريب . ولكن ما ذا يمنعنا مثلا من فرض المكوس العالية بل المكوس المانعة على جميع الأطعمة الطازجة أو المخزونة حتى يضطر المستهلكون أجانب ووطنيين إلى استهلاك الأطعمة المصرية . ويدخل فى لفظة «الاطعمة» جميع واردات الدقيق ومشتقات اللبن وجميع الفواكه والبقول واللحوم . فان علبة السردين تباع الآن فى مصر بقرش واحد .

ولسنا ندرى أية مصلحة نجنيها من هذا التسامح . والراغب فى السردين الاجنبى يمكنه اذا اشتهاه أن يؤدى فى ثمن العلبة خمسة قروش . وكذلك الشأن فى سائر الأطعمة الأجنبية . ولكن المكوس وحدها لاتكفى فيجب أن ننشط الى تأسيس المصانع المصرية التى تستهلك محصولاتنا بل

نحن لا نرى ما يمنع الحكومة من أن تقوم بنفسها بتأسيس المصانع أو القليل منها الذى لا يمكن الأمة فى وجدانها الاقتصادى الحاضر أن تدرك قيمته وتتطوع لتأسيس الشركات له

وقد قمنا قبل نحو سبع سنوات بحركة المصرى للمصرى لهذا الغرض ودعونا الى الوطنية الاقتصادية . ونحن فى حاجة الى تجديد هذه الدعوة حتى تشعر الأمة بضرورة الاستقلال الاقتصادى الذى لا تتوانى الامم القوية مثل ألمانيا أو إيطاليا عن الدعوة اليه والعمل لتحقيقه مع التضحيات الكبيرة التى يحتاج اليها هذا التحقيق

تقييد الاعمال الحرة

اذا كنت الرغبة التى أبدتها لجنة الصحافة فى انقاص صفحات الجرائد ستؤدى الى بعض المناقشات الاقتصادية فان الفائدة للقراء ستكون كبيرة. فان الاهرام قد اتخذت موقفا مناقضا للموقف الذى اتخذته سائر الجرائد المصرية ودعت الى الحرية المطلقة للعمل الحر واستندت الى نظريات يحسب كاتبها أنها على شىء من القيمة

ونظن أن فى عصرنا الحاضر يجب على كل كاتب يتصدى لبحث المسائل السياسية والاجتماعية أن يكون واقفا على النظريات الاقتصادية التى هى الاساس لكل تطور سياسى أو اجتماعى . فان لفظة « الحرية » محببة إلى النفس وهى تستهوى الاذن والقلب . فاذا دعا داع الى صيانة الحرية ومنع التقييد بين المشتغلين بالاعمال الحرة توهم السامع أن المقصود هو خدمتهم . وان تدخل الحكومة يراد منه الاضرار بهم أو هو سيضرهم حتى ولو لم تكن هناك الارادة لذلك

ولكن الواقع ان حرية المزاحمة ليست على الدوام حسنة للمتزاحمين أنفسهم أو للجمهور فان المفروض منطقا أنه كلما كثر المتزاحمون انتفع الجمهور بانخفاض الثمن . وهذا صحيح ما دام هؤلاء المتزاحمون صغاراً . وقد كنت هذه هى الحال السائدة قبل القرن التاسع عشر . فان صناعة

الاحذية مثلا كانت فى أيدى صغار الصانعين الذين كان كل منهم مالكا وأجيرا فى وقت واحد . يملك دكانه ويعمل بنفسه فلم يكن هناك مكان للاحتكار مهما كانت هذه الصناعة مطلقة حرة . ولكن بعد ذلك ظهرت الماكينات التى تصنع مئات بل ألوف الاحذية فى اليوم فمحت بالاحتكار من أمامها المالك الصغير . فيجب عندما نتغنى بحرية المزاحمة واطلاق الاعمال الحرة ألا ننسى أن الاحتكار يهدم هذه الحرية . والجمهور لا يربح شيئا . فان المحتكر صاحب الآلات الضخمة يبيع سلعته فى أول الأمر رخيصة حتى يقتل مزاحمه الصغير الذى يعمل بيديه . فاذا انتهى منه زاد أثمان سلعته كما يشاء لانه لايخشى المزاحمة

وقد أصبح التدخل اى تدخل الحكومات فى الاعمال الحرة عاما . ونحن نعرف هنا فى مصر أن المزارع المصرى لا يمكنه أن يقول أنه حر فى زراعة ارضه كما يشاء . فان الحكومة تتدخل وتفرض عليه ألا يزرع سلالة معينة من القطن . وهى تحدد مقدار الرز الذى سيزرع فى منطقة خاصة وهى تتدخل فى حقل القطن الموبوء بالديدان وتعين الفعلة لتنقيتها . وهى تمنعه من رى أرضه الا فى مواعيد . وهكذا . وهكذا

فالتدخل فى الاعمال الحرة مسلم به . والحكومة فى تدخلها فى مسألة الجرائد انما تحاول منع الاحتكار . ومن منا ينكر أن هذا الاحتكار واضح وانه لم يقم على أسس تتفق وشرف الصحافة ؟

ان بيننا صحفيين لا يتورعون عن التحدث بأن الاحزاب السياسية فى مصر يتزعمها زعماء تجوز عليهم الحيل وأنهم ينتفعون بالوثبات السياسية ولا ينكرون أن هذا الصحفى قد نال فى يوم من رئيس وزارة سابقة خمسة آلاف جنيه لكى يدعو له ويخدمه فى شتم الوفديين . وأن هذا الاخير كيت وكيت . بل سمعنا من صحفيين فى سنه ١٩٢٧ و ١٩٢٨ أن الدستور ليس الا لعبة وأن النية معقودة على حكم البلاد بدونه . ورأينا جرائد هؤلاء الصحفيين ومجلاتهم سريعة الى تلبية دعاة الديكتاتورية وملء أيديهم من أموال الدولة

واستطاع هؤلاء الصحفيون أن يصلوا الى القمة ، وان يجعلوا جرائدهم ومجلاتهم تستغرق

السوق فلا يباع الى جنبها جريدة أو مجلة . بل رأينا بعض هؤلاء يستولون على الاعلانات أيضا ويحتكرون الجرائد والمجلات بيعاً واعلانات

لقد كانت تجارة البترول حرة فى الولايات المتحدة فانتهت هذه الحرية الى أن يحتكرها روكفيلر اذ استولى على معظم المنابع وصار يحارب جميع مزاحميه حتى قتلهم وعندئذ تصدى له الرئيس روزفيلت وحارب احتكاره

ومن العبث ان يحيلنا كاتب على نظريات القرن الثامن عشر أو التاسع عشر . فاننا لا يمكننا أن نعمى عن الواقع سنة ١٩٣٧ فان ألمانيا تتدخل فى الاعمال الحرة وتفرض حداً اعلى للمرتبات فى هذه الاعمال لا يزيد على ٧٥٠ جنيها فى السنة . وإيطاليا تفرض عضوية موظف من الحكومة فى مجلس ادارة الشركات والامم التى أخذت بنظام الحصص تمنع المستوردين من شراء البضائع الاجنبية الا بمقدار معين . وبعض الامم تمنع خروج النقد . فالرجل الثرى الذى يملك مئات الالوف من الجنيهات وهى التى جمعها بعرق جبينه واعتصار ذهنه لا يمكنه أن يأخذ سوى مقدار صغير جداً منها اذا أراد ترك بلاده للسياحة أو التنزه . وبعض التجار اليونان فى مصر لا يمكنهم الآن ان يستعيدوا أموالهم التى لهم فى اليونان

ونستطيع ان نزيد الامثلة . ولكن خلاصة ما يقال ان الصحافة قد اصبحت احتكارا لواحد او اثنين . وليس هذا من مصلحة الامة . والحكومة تحسن اذا حاربت هذا الاحتكار بانقاص صفحات الجرائد الى ثمان

الكساد العام يتفاقم

ذكرت احدى الجرائد أن فى المحكمة المختلطة نحو سبعين قضية افلاس ، وذكرت جريدة أخرى أنه قد أغلق فى الاسبوع الماضى خمسة مصانع مصرية . واحد منها للمسامير . وآخر لأوكسيد الزنك . وثالث للمنسوجات الحريرية . واثنان للازرار

وهذان الخبران يجب أن يبعثا القلق العظيم فى نفوسنا . فانهما يدلان على أن موجة الكساد التى كانت قد انحسرت بعض الشىء منذ سنة ١٩٣٠ قد عادت وربما كانت عودتها أشد وأفظع مما كانت فى تلك السنة . وقد عللت احدى الجرائد اقفال هذه المصانع التى ذكرناها بان الواردات الأجنبية لاتجد من المكوس الجركية العالية ماينقص مقدارها وانها لذلك تغمرنا فلا يمكن مصانعنا المبتدئة أن تزاحمها . وبدهى أن المصانع الأوربية قد حصلت من الاختبار والدراية مالا ينتظر أن يحصل عليه مصنع مصرى مبتدىء . ولذلك تحتاج مصانعنا الى الحماية والرعاية الى أن تثبت وتستطيع الوقوف فى وجه المزاحمة الأجنبية

وقد سبق أن أشرنا إلى أن أمماً كثيرة أخذت هذه الأيام بمبدأ الاستقلال الاقتصادى وانها لهذا السبب تستنبط من أرضها المواد الخامة والمحصولات التى تحتاج اليها . كما انها بنظام الحصص فى الواردات قد منعت التجار من شراء البضائع الأجنبية إلا بمقادير معينة لاتؤذى الصناعات الوطنية . واحتفظت بنقدها وصارت تمنع أبناءها من اخراجه ـ وهلم جرا

ونحن فى بداية نهضتنا الصناعية نحتاج إلى أن تحمى الحكومة صناعاتنا بفرض مكوس جمركية عالية على الوردات الأجنبية ـ بل الزراعة نفسها فى حاجة إلى هذه الحماية . فان مما يدعو إلى العجب أن تمتلىء دكاكين البقالين بالمأكولات الاجنبية فى حين أن مصر قطر زراعى أقل مايطلب منه أن يكفى نفسه بالأطعمة . ولسنا نعنى المنع التام وانما يجب أن نشجع الفلاح على صنع الجبن الجيد بأن نجعل ثمن الأقة من الجبن الأجنبي نصف جنيه مثلا

وهكذا الشأن فى سائر مصانعنا ـ فان الحكومة التى تفكر فى إنشاء البنوك الصناعية يمكنها أن تستغنى عن كل ذلك لو أنها زادت المكوس الجركية على جميع الواردات التى نصنع مايماثلها أو حتى يقوم مقاومها ولو لم يكن من جنسها

ولكن زيادة المكوس الجركية لايمكن ان تكون ترياقا لجميع أدوائنا الاقتصادية فان ثمن القطن لن يزيد مليما مهما زدنا نحن فى مقدار هذه المكوس . والريف المصرى يعانى هذه الأيام نكبات متواليات من انخفاض الاثمان وانخفاض المحصولات معاً . والاول يسيطر عليه عوامل عالمية . والثانى قد وصلنا اليه بطيشنا وقلة تبصرنا حين غمرنا أرضنا بالمياه حتى مرضت التربة وحتى

نزل محصول الفدان من ١٢ قنطاراً إلى ثلاثة قناطير - ولو لم نكن قد رأينا هذا الانحدار بأعيننا لما صدقناه . وهذا إلى التقهقر العام الذى يجده القطن فى أسواق العالم . وإلى أن المزارعين على الرغم من تخفيف ديونهم لايزالون ينوءون بها

فماذا نفعل من أجل هذا الريف الذى يخيم عليه الضيق وكيف ننقذه ؟

ان العلاج الحاسم لهذه الحال يحتاج إلى جهود كبيرة جداً تحتاج الى السنين فى اصلاح التربة أى تجفيفها وفى تعليم الفلاحين العناية بمحصولات أخرى غير القطن وفى تشجيعهم على ايجاد هذه المحصولات — وأخصها مشتقات اللبن والفراخ والبيض والفواكه والخضراوات — بايجاد الأثمان الحسنة المغرية لها - وعندنا أن الطريقة المثلى التى يمكن أن نلجأ اليها من الآن لتحقيق بعض ذلك انما تكون بخفض النقد أو مايسمى التضخم

وقد كنا من دعاة هذا الخفض منذ سنة ١٩٣٢ حين انخفض نقدنا بانخفاض الجنيه الاسترليني ودافعنا عن هذا الانخفاض وأوضحنا فائدته للمحصولات المصرية - وفى العام الماضى قبل نحو ١٥ شهراً كتبنا ندعو هذه الدعوة - والآن نعود اليها ونحض الحكومة على اتباعها - ونحن نقول هذا بعد ماقرأنا عن تصميم الحكومة على المحافظة على السعر الحاضر للنقد المصرى . ولكننا نعتقد أن الحكومة لم تكن موفقة فى هذا التصريح - ولسنا نتعامى عن موقفنا الحاضر أزاء المعاهدة والوساوس التى قد تخامر بعض الأجانب وحرص الحكومة على بث الطمأنينة المالية - ولكن كل هذا لايساوى الفوائد العظيمة التى تعود على أبناء الريف مزارعين مالكين وفلاحين مأجورين وهم لايقلون عن ١٢ مليوناً من خفض النقد الذى يخفف أعباء الديون عنهم وينشطهم الى العمل المثمر فى حقولهم التى غشى عليها الخمول والركود لليأس الذى استولى على المنتجين

ولاعبرة بما يقال من أننا نستهلك منتجات أجنبية وأن أثمانها سترتفع فنعجز عن شرائها عندما تنخفض قيمة النقد - فان هذا القول نفسه يمكن أن يحتج به لفائدة الخفض - ذلك لأننا عندما نجد المنتجات الأجنبية غالية فاننا سوف نجرؤ على تأسيس المصانع المصرية ونشترى مصنوعاتها كما نقتصر على استهلاك محصولاتنا فيكون من هذا وذاك تشجيع للزراعة وللصناعة المصريتين

ويمكن الحكومة أن تؤلف لجنة من الماليين والاقتصاديين أجانب ومصريين لكى تبحث اراءهم قبل الشروع فى هذا الخفض

تصميم كتاب يجب ان يؤلف هذه الايام

تدل حركات بعض الطلبة هذه الاشهر القريبة الماضية على انهم لصغر سنهم لم يعرفوا الحقائق المرة التى يجب أن تعرف

ولهذا نعتقد أنه من الحسن أن يؤلف كتاب فى تاريخ وزارة اسماعيل صدقى باشا . ولا تذكر فى هذا الكتاب أراء بل لا تورد فيه كلمة تشنيع لأن الحقائق نفسها بليغة تصرح بالعار والشنار

وهاك تصميما أو ترسيما لكتاب يؤلف تحت عنوان «وزارة اسماعيل صدقى باشا وأعمالها فى أربع سنوات» ويطبع مزوداً بالصور صور القتلى والجرحى من المصريين الصميمين . ويجب ألا يقل عدد الصور عن ثلاثين أو أربعين لأن الجمهور يحب رؤية الصور فيقبل على قراءة الكتاب . والصورة الافتتاحية هى بالطبع صورة اسماعيل صدقى باشا . ثم تتلوها صورة مرسى عبد الجواد وهو الشرطى الذى حكم عليه بالسجن خمس عشرة سنة لأنه قتل فى سنة ١٩٣٠ أحد الشبان المصريين الذين رفضوا الذهاب معه إلى مكتب الانتخابات لانتخاب المرشح للبرلمان الصدقى . ثم صورة هذا الشاب المقتول . وبعد ذلك ننقل عشرات الصور التى تمثل شبابنا المقتول والمجروح لكى يتمتع من يدعى اسماعيل صدقى باشا برياسة الوزارة

هذا عن الصور . وقد تبدو هنا صعوبة وهى أن الجرائد والمجلات المصورة لم تكن تنقل هذه الصور لأنها كانت فى صف صدقى باشا أو كانت تداريه بالسكوت لأنه كان يداريها بشىء آخر . ولكن فى كثير من المجلات الانجليزية وعند كثير من الوطنيين مئات الصور التى تصف تلك السنوات السود الوصف الذى تستحقه

ثم نبدأ الفصل الأول فنجعله خلاصة لتاريخ صدقى باشا قبل وزارته . أى كيف نشأ وفى أى أسرة

وكيف كان جده تركياً لا يعرف العربية . وهنا قد تكون لنا ملاحظات سيكلوجية مفيدة ـ ثم نذكر انضمامه لوزارة زيور باشا التى جمعت البرلمان فى الصباح ثم حلته وطردت الاعضاء فى المساء لأنهم كانوا فى نظرها جماعة فلاخين

ثم بعد ذلك نعقد فصلا عن دستور سنة ١٩٢٣ ولماذا كان يكرهه المستبدون ـ والدستور الذى باضه وفقسه اسماعيل صدقى باشا ولماذا أحبه المستبدون ـ والمقابلة بين الدستوريين تنير كل مصرى عن المرامى التى كان يرمى اليها أمثال اسماعيل صدقى باشا وزيور باشا

ثم يأتى فصل ممتع فى هذا الكتاب ـ وهو فصل الانتخابات ـ ويجب أن أكرر هنا ضرورة الاحجام عن كلة شتم أو تقبيح لصدقى باشا لأن الحقائق لا تشتمه بل تصفعه

ففى هذا الفصل نصف الحوادث وكيف سارت إلى أن انتهت بنجاح صدقى باشا حتى حصل على ٦٧ وسبعة أثمان فى المائة من الأصوات

وهنا لا بد من ذكر الاحصاءات الدقيقة عن القتلى والجرحى فى أنحاء القطر قبل تحقيق هذا النجاح المئوى المرتفع . ولعل من اللائق أن نقرر فى هذا الفصل الفشل الذى أصيب به صدقى باشا فى دائرة بورسعيد التى لم تزد فيها النسبة على خمسة فى الماية إذ كان المحافظ فى ذلك الوقت رجل يدعى حسن رفعت بك رفض الاستخذاء لرئيس الوزارة وأصر على أن يكون نزيها وعلى أن يترك الحرية للناخبين

ثم فصل ممتع آخر — عن مرسى عبد الجواد الذى سبق ان قلنا ان صورته يجب ان تنشر مع صورة الشاب الذى قتله فى حلوان سنة ١٩٣١ لأنه رفض انتخاب المرشح الصدقى . وهذا الفصل يحسن أن يكتب على هيئة بلاغ يقدم للنيابة العمومية . نذكر فيه بايجاز قصة الانتخابات والجو الاحمر جو الدم والسيف والنار الذى أشاعه اسماعيل صدقى فى البلاد حتى ظن هذا الشرطى أن كل جريمة تجوز فى سبيل تحقيق الغرض الاسمى وهو بلوغ ٦٧ و سبع اثمان فى المائة من الأصوات . فنذكر هنا أن اسماعيل صدقى يقع عليه جزء من المسؤولية فى هذه الجريمة وأننا نطالب النائب العمومى بالتحقيق لكى يعين مقدار اشتراكه فيها . وقد يرى بعضنا أنه برىء ويرى بعضنا أنه مجرم ـ فالنيابة العمومية هى الهيئة الوحيدة التى يمكنها أن تعين مسئوليته فى هذه الجناية

التى انتهت بقتل شاب مصرى وبالحكم على شرطى بالسجن خمس عشرة سنة

والى هنا لايحتاج المؤلف إلى كتابة سطر واحد لايلتذه القارئ - فان كل حادثة درامة يبدو لنا فيها صدقى باشا كأنه بطل يرقص على المسرح - ولكن يجب فى كتاب كهذا ألا تكون غايتنا اللذة - بل يجب أن نضع الفائدة فوقها - فنأتى على الاستثناءات فى العلاوات والترقيات - وقد بلغت ١٢٥٠ ومن هم الذين حصلوا عليها فى الوقت الذى ضرب فيه الموظفون بضريبة الدمغة - وأى شركان ينويه بهذه الاستثناءات الكثيرة ؟

وهنا لابأس من أن نخالف قاعدتنا وهى الاقتصار على الحقائق ونساهم بقليل من الآراء لكى نستكنه نفسه ونياته - وربما يكره بعض القراء هذه المخالفة ويلح على وجوب الاقتصار على الحقائق فى هذا الكتاب - فاذا نزلنا على رأى هذا الفريق الحنبلى فاننا يجب أن نسلم باننا نضحى بقسم لذيذ من الكتاب

ثم ننشر فصولا متوالية - كلها حقائق - عن الصحافة فى أيامه السود - وعن الفلاحين والضرائب - وعن توازن الميزانية - وعن السخرة - وعن التسوية مع البنوك العقارية لفائدة المدينين أو الدائنين - وعن سلطة مجلس الوزراء الذى هو برلماننا الصغير منذ أيام الخديو اسماعيل - وعن الخ

ومثل هذا التصميم يقبل التنقيح هنا وهناك - ولكن هذه صورة عامة قد تناولنافيها العظام العارية لهذا الموضوع الخطير . وكل مانحتاج اليه همة بعض المؤرخين لاتمامه واخراجه كتابا سويا يقرأه الطلبة فيعرفون من هو اسماعيل صدقى باشا


اليانس واستوتجرتر
بنك للتأمين على الحياة
شركة مساهمة تأسست سنة ١٨٨٩
ميزانيتها لآخر سنتها المالية
مجموع الأموال المؤمن عليها ٢٩٧و٩٠٠و٠٠٠
جميع احتياطي البوالص المعقودة بمصر تبقيه الشركة في هذه البلاد
الادارة لعموم القطر المصري
١٧ شارع قصر النيل - القاهرة - تليفون ٤٠٧٥٤ - ص - ب ٧٧٢

3609
48·3

FRONT

1

العيد العيد العيد

فرحة الصغير وغبطة الكبير

لمناسبة اقتراب العيد

« تعرض »

شركة بيع المصنوعات المصرية

وفروعها

مجموعة كبيرة من الملابس الجاهزة

بدل بلاطى قمصان كرفتات مناديل روائح

قسم كامل من الاحذية للسيدات والرجال والاولاد

غاية فى الجودة واعتدال السعر

لا تنسوا زيارة

شركة بيع المصنوعات المصرية وفروعها

Widener Library
3 2044 089 916 753